

Qalqashanda



ibn 'Alī

/Kitāb ṣubḥ al-ashā'

فهرس

الجزء الثاني عشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندی

صفحة

- القسم الثاني - مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية
ما يكتب لأرباب الوظائف بالممالك الشامية ،
- ٥ وهي على ضربين
- ٥ الضرب الأول - من لا تصدر عنه منهم تولية في عمل نيابته ...
- » الثاني - من تصدر عنه التولية والعزل في عمل نيابته ،
- ٦ وهي سبع نيابات
- النيابة الأولى - نيابة دمشق ، ويعبر عنها بكفالة السلطنة بالشام ،
- ٧ ووظائفها على نوعين
- النوع الأول - ما هو بحاضرة دمشق ، ويشتمل ما يكتب به عن
- ٨ الأبواب السلطانية على أربعة أصناف
- ٨ الصنف الأول - أرباب السيوف ، وهم على طبقات
- ٨ الطيقة الأولى - من يكتب له تقليد في قطع الثلثين
- » الثانية - من يكتب له تقليد في قطع النصف ... ٢٤
- » الثالثة - من يكتب له مرسوم ، وهي على مرتبتين ... ٢٦
- المرتبة الأولى - من يكتب له في قطع النصف ... ٢٦
- » الثانية - من المراسيم التي تكتب بحاضرة دمشق لأرباب
- السيوف ما يكتب في قطع الثلث ... ٣٣
- الصنف الثاني - من الوظائف بدمشق الوظائف الدينية ، وجميع
- ٣٨ ما يكتب فيها توابع ، وهي على مرتبتين
- المرتبة الأولى - ما يكتب في قطع النصف الخ ... ٣٨
- » الثانية - ما يكتب في قطع الثلث الخ ... ٥٩
- الصنف الثالث - توابع أرباب الوظائف الديوانية ، وفيها مرتبتان
- ٨٦ المرتبة الأولى - ما يكتب في قطع النصف الخ
- » الثانية - من يكتب له في قطع الثلث الخ ... ٩٩

AE
2
Q3
1913
v. 12
c. 1

صفحة

- الصفحة الرابع - وظائف المتصوفة ومشايخ الخواص ، وفيها مرتبان ١٠١
- المرتبة الأولى - ما يكتب في قطع الثلث الخ... .. ١٠١
- » الثانية - من يكتب له في قطع العادة الخ... .. ١٠٣
- النوع الثاني - من وظائف دمشق ما هو خارج عن حاضرتها ١٠٤
- الطبقة الأولى - ما يكتب به مرسوم في قطع النصف ١٠٦
- الصفحة الثاني - ممن هم خارج دمشق أمراء العرب ، وهم على طبقتين ١١٨
- الطبقة الأولى - من يكتب له منهم تقليد في قطع النصف ... ١١٨
- » الثانية - من يكتب له مرسوم شريف ، وهم على مرتبتين... ١٢٤
- المرتبة الأولى - من يكتب له في قطع النصف ١٢٤
- » الثانية - من يكتب في قطع الثلث ١٣٥
- النيابة الثانية - من نيابات البلاد الشامية نيابة حلب ، ووظائفها
- التي يكتب بها من الأبواب السلطانية على نوعين... .. ١٤٠
- النوع الأول - من بحاضرة حلب ، وهم على أصناف... .. ١٤٠
- الصفحة الأول - منهم أرباب السيوف ، وهم على طبقتين ... ١٤٠
- الطبقة الأولى - من يكتب له تقليد في قطع الثلثين ١٤٠
- » الثانية - من يكتب له في قطع الثلث ١٥١
- الصفحة الثاني - أرباب الوظائف الدينية بحلب ، وهم على طبقتين ١٥٥
- الطبقة الأولى - من يكتب له في قطع الثلث الخ... .. ١٥٥
- » الثانية - من يكتب له في قطع العادة ١٦٠
- الصفحة الثالث - من أرباب الوظائف بحلب أرباب الوظائف
- الديوانية ، وهم على طبقتين ١٦٠
- الطبقة الأولى - من يكتب له في قطع الثلث ١٦٠
- » الثانية - من يكتب له في قطع العادة... .. ١٦٧

صفحة

- النوع الثانى - من أرباب الوظائف بالمملكة الحليية من هو
 خارج عن حاضرتها ، وهم على أصناف ١٦٨
- الصفى الأول - أرباب السيوف ١٦٨
- » الثانى - الوظائف الدينية ١٧٤
- » الثالث - الوظائف الديوانية ١٧٥
- النيابة الثالثة - نيابة طرابلس ، ووظائفها التى جرت العادة بالكآبة فيها
 من الأبواب السلطانية على نوعين ١٧٦
- النوع الأول - ما هو بحاضرة طرابلس ، وهو على ثلاثة أصناف ... ١٧٦
- الصفى الأول - أرباب السيوف ، وهم على طبقتين ١٧٦
- الطبقة الأولى - من يكتب له تقليد ١٧٦
- » الثانية - من يكتب له مرسوم فى قطع الثلث ١٧٩
- الصفى الثانى - الوظائف الدينية ، وهى على مرتبتين ١٨٢
- المرتبة الأولى - من يكتب له فى قطع الثلث ١٨٢
- » الثانية - من يكتب له فى قطع العادة ١٨٧
- الصفى الثالث - الوظائف الديوانية ، وهى على مرتبتين ١٨٨
- المرتبة الأولى - ما يكتب فى قطع الثلث ١٨٨
- » الثانية - من يكتب له فى قطع العادة ١٩٤
- النوع الثانى - ما هو خارج عن حاضرة طرابلس ، وهم على ثلاثة أصناف ١٩٥
- الصفى الأول - أرباب السيوف ، وهم على طبقتين ١٩٥
- الطبقة الأولى - الطباخاناه ١٩٥
- » الثانية - العشرات ١٩٧
- الصفى الثانى - الوظائف الدينية ١٩٨
- » الثالث - أرباب الوظائف الديوانية ٢٠٠

صفحة

- النيابة الرابعة - نيابة حماة، وهي على ثلاثة أصناف ٢٠٠
- الصف الأول - أرباب السيوف ٢٠٠
- » الثاني - أرباب الوظائف الدينية ٢٠٤
- النيابة الخامسة - نيابة صفد، ووظائفها على ثلاثة أصناف ٢٠٥
- الصف الأول - أرباب السيوف، وفيه وظيفتان ٢٠٥
- الوظيفة الأولى - نيابة السلطنة ٢٠٥
- » الثانية - نيابة قلعة صفد ٢٠٨
- الصف الثاني - أرباب الوظائف الديوانية ٢١١
- » الثالث - أرباب الوظائف الدينية ٢١١
- النيابة السادسة - نيابة غزة، ووظائفها على صنفين ٢١٢
- الصف الأول - أرباب السيوف ٢١٢
- » الثاني - الوظائف الديوانية بغزة ٢١٩
- النيابة السابعة - نيابة الكرك، وأرباب الولايات فيها على أصناف ٢٢٠
- الصف الأول - أرباب السيوف ٢٢٠
- » الثاني - أرباب الوظائف الدينية ٢٣٢
- » الثالث - أرباب الوظائف الديوانية ٢٣٢
- القسم الثالث - مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية
بالديار المصرية مما يكتب لأرباب الوظائف
- بالمملكة الحجازية، وتشتمل على ثلاث قواعد ٢٣٢
- القاعدة الأولى - مكة المشرفة، وبها وظيفتان ٢٣٣
- الوظيفة الأولى - الإمارة ٢٣٣
- » الثانية - قضاء مكة ٢٤٠
- القاعدة الثانية - المدينة النبوية، وبها ثلاث وظائف ٢٤٢

صفحة

- الوظيفة الأولى - الإمارة ٢٤٢
- » الثانية - القضاء ٢٥٨
- » الثالثة - مشيخة الحرم الشريف ٢٦٠
- القاعدة الثالثة - ينبع ، وبها وظيفة واحدة وهي النيابة ٢٦٢
- القسم الرابع - مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية
بالديار المصرية ما يقع على سبيل الدور ٢٦٥
- الفصل الثالث - من الباب الرابع من المقالة الخامسة فيما يكتب من
الولايات عن تواب السلطنة ، وفيه طرفان ٢٨٠
- الطرف الأول - في مقدمات هذه الولايات ، ويتعلق بها مقاصد ٢٨٠
- المقصد الأول - في بيان من تصدر عنه الولايات من تواب السلطنة ٢٨٠
- » الثاني - في بيان الولايات التي تصدر عن تواب السلطنة
بالممالك الشامية ٢٨١
- » الثالث - في افتتاحات التواقيع والمراسم بتلك الولايات ٢٨٢
- » الرابع - في بيان الألقاب ، وفيه أصناف ٢٨٣
- الصف الأول - أرباب السيوف ، ولألقابهم مراتب ٢٨٥
- » الثاني - أرباب الوظائف الديوانية ، وفيهم مراتب ٢٨٧
- » الثالث - من أرباب الولايات بالممالك الشامية أرباب
الوظائف الدينية ، وفيه مراتب ٢٩٠
- » الرابع - من أرباب الولايات بالممالك الشامية مشايخ الصوفية ٢٩٢
- » الخامس - من أرباب الولايات بالممالك الشامية أمراء العربان ٢٩٣
- » السادس - من أرباب الولايات بالممالك الشامية أرباب
الوظائف العادية ٢٩٣
- » السابع - من أرباب الولايات بالممالك الشامية زعماء
أهل الذمة ٢٩٤

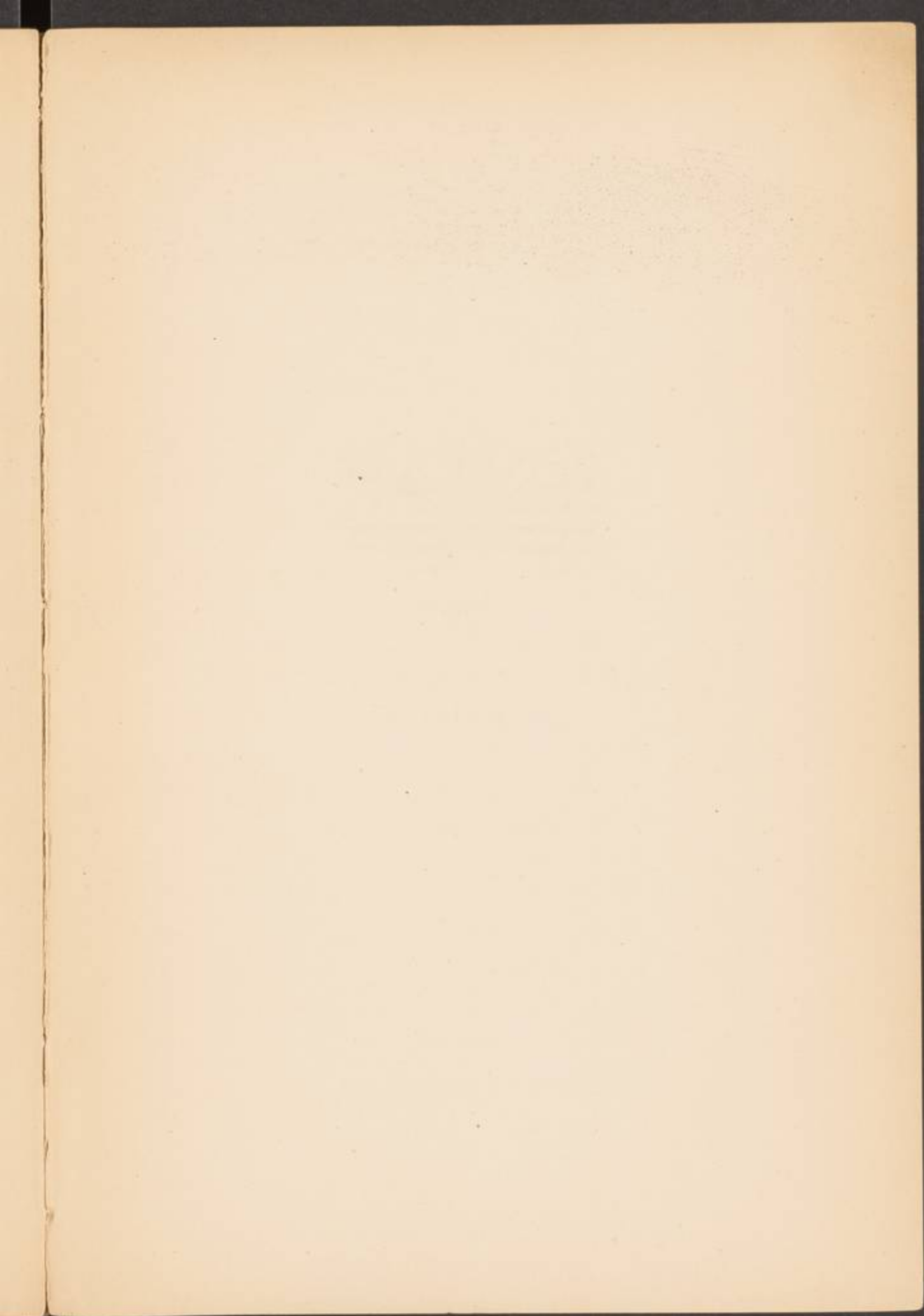
- المقصد الخامس - في بيان مقادير قطع الورق المستعمل فيما يكتب عن نواب الممالك الشامية... ٢٩٤
- » السادس - في بيان ما يكتب في طرزة التواقيع... ٢٩٥
- » السابع - في بيان كيفية ترتيب هذه التواقيع... ٢٩٩
- الطرف الثاني - في نسخ التواقيع المكتوبة عن نواب السلطنة بالممالك الشامية، وفيه ثلاث نيبات... ٢٩٩
- النيابة الأولى - الشام، والتواقيع التي تكتب بها على خمسة أصناف... ٣٠٠
- الصف الأول - ما يكتب بوظائف أرباب السيوف، وهو على ضربين... ٣٠٠
- الضرب الأول - ما هو بحاضرة دمشق، وهو على مراتب... ٣٠٠
- المرتبة الأولى - ما يفتتح بالحمد لله... ٣٠٠
- » الثانية - ما يفتتح بأما بعد حمد الله... ٣٠٤
- » الثالثة - ما يفتتح برسم بالأمر العالي... ٣٠٦
- الضرب الثاني - ممن يكتب له عن نائب السلطنة بالشام من أرباب السيوف من هو بأعمال دمشق، ومواضعهم على ثلاث مراتب... ٣١١
- المرتبة الأولى - ما يفتتح بالحمد لله... ٣١١
- » الثانية - ما يفتتح بأما بعد حمد الله... ٣١٧
- » الثالثة - ما يفتتح برسم... ٣٢٥
- الصف الثاني - تواقيع أرباب الوظائف الدينية، وهي على ضربين
- الضرب الأول - ما يكتب لمن هو بحاضرة دمشق، وهو على ثلاث مراتب... ٣٣٧
- المرتبة الأولى - ما يفتتح بالحمد لله... ٣٣٧
- » الثانية - ما يفتتح بأما بعد حمد الله... ٣٥٩
- » الثالثة - ما يفتتح برسم بالأمر... ٣٧٢

- صفحة
- الضرب الثاني — ما يكتب به لمن هو بأعمال دمشق ، وهو على مرتبتين ٣٧٧
- المرتبة الأولى — ما يفتح بأما بعد حمد الله ٣٧٧
- » الثانية — ما يفتح برسم بالأمر ٣٧٩
- الصنف الثالث — ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية ،
وهي على ضربين ٣٨٣
- الضرب الأول — ما يكتب لمن يحاضرة دمشق منهم ،
وهو على ثلاث مراتب ٣٨٣
- المرتبة الأولى — ما يفتح بالحمد لله ٣٨٣
- » الثانية — ما يفتح بأما بعد حمد الله ٣٩٠
- » الثالثة — ما يفتح برسم بالأمر الشريف ٣٩٣
- الضرب الثاني — ما هو خارج عن حاضرة دمشق ، وغالب ما يكتب
فيها من التواقيع مفتوح برسم ٤٠٤
- الصنف الرابع — تواقيع مشايخ الخوائق ، وهي على ضربين ٤١٠
- الضرب الأول — ما هو بحاضرة دمشق ، وهي على ثلاث مراتب ٤١٠
- المرتبة الأولى — ما يفتح بالحمد لله ٤١٠
- » الثانية — ما يفتح بأما بعد حمد الله ٤١٧
- » الثالثة — ما يفتح برسم بالأمر ٤١٩
- الضرب الثاني — ما هو بأعمال دمشق ، وفيه مرتبة واحدة
وهي الافتتاح برسم ٤٢٠
- الصنف الخامس — تواقيع العربان ٤٢٢
- » السادس — تواقيع زعماء أهل الذمة من اليهود والنصارى ٤٢٤
- النيابة الثانية — نيابة حلب ٤٢٨
- » الثالثة — نيابة طرابلس ٤٥٠

(تم فهرس الجزء الثاني عشر من كتاب صبح الأعشى)

صنعة الأندلس

الجزء الثاني عشر



دار الكتب السلطانية

كتاب

صنح الأربعة

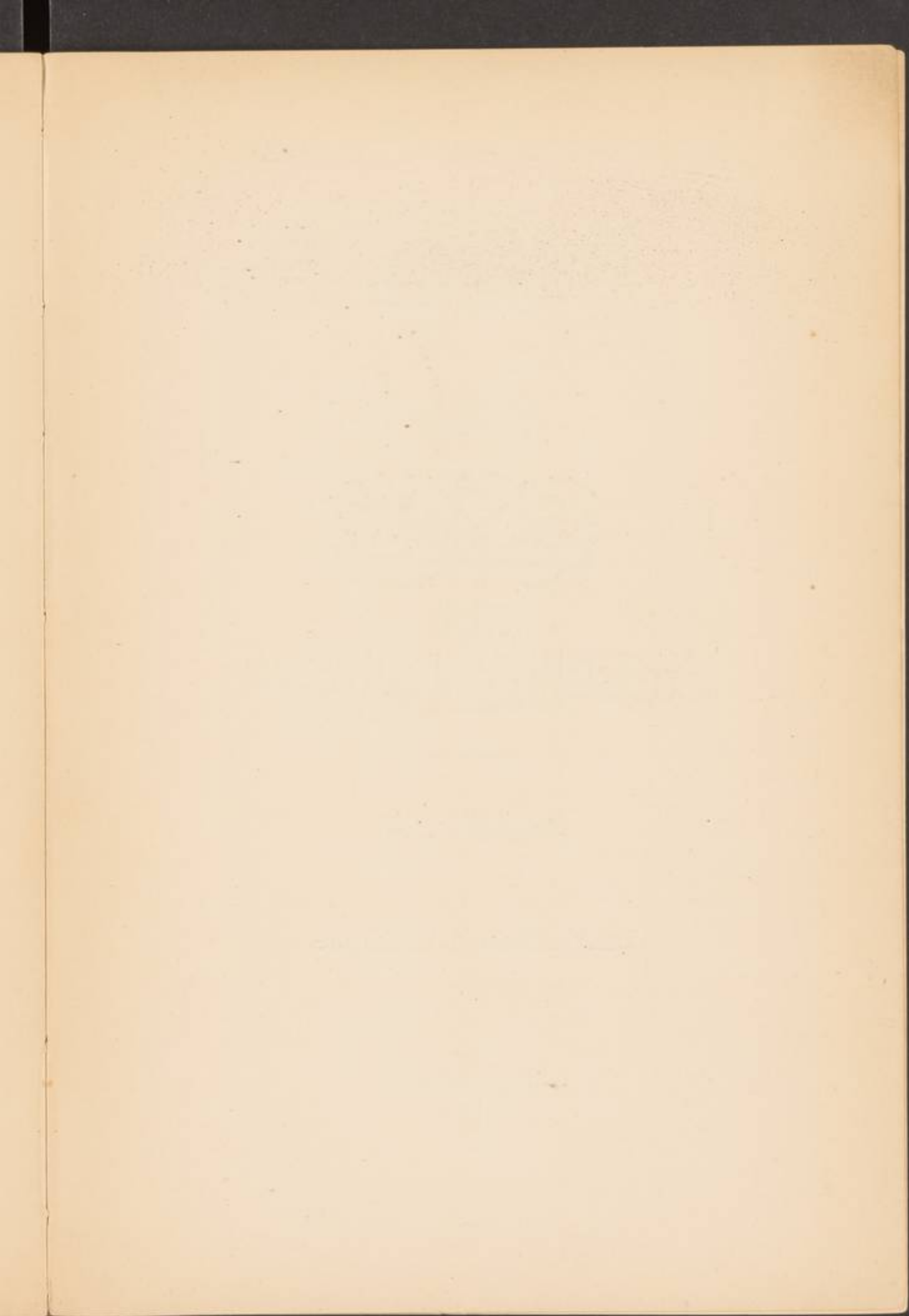
تأليف

الشيخ أبي الغساس أحمد القلقشندي

الجزء الثاني عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٦ هـ
م ١٩١٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

القسم الثاني

(مما يُكْتَبُ من الولايات عن الأبواب السلطانية - [ما يكتب لأ] رباب

الوظائف بالممالك الشامية)

وأعلم أنَّ تَوَابِ السلطنة في التولية على ضريين :

الضربُ الأول

(من لا تصدُر عنه منهم تولية في عمل نيابته)

وهم تَوَابِ الديار المصرية : من النائب الكافل ، ونائب الإسكندرية ، ونائب الوجه البحرى ، ونائب الوجه القبلى ، فليس لأحد منهم تصرّف في ولاية ولا عزّل لنايب ، ولا كاشيف ، ولا ولى حرب . إنما النائب الكافل يكتب في بعض الأمور على القصاص ، والسلطان هو الذى يباشر الكتابة على الولايات بنفسه ، والنائب الكافل يكتب بالاعتماد على ما يكتب عليه السلطان ، كما تقدمت الإشارة إليه

في موضعه .

الضرب الثاني

(من تصدر عنه التولية والعزل في عمل نيابته)

وهم نواب السلطنة بالممالك الشامية السبعة المقدم ذكرها : من النيابات الصغار،
والوظائف الديوانية، والوظائف الدينية، ووظائف مشايخ التصوف، والوظائف
العادية : كرياسة الطب ونحوها، ووظائف زعماء أهل الذمة : من رئاسة اليهود،
وبطريكة النصارى، وغير ذلك .

فأما النيابات الصغار التي في أعمال النيابات العظام : فما كانت نيابته إمرة
عشرة فأكثر يولى فيه النواب، وربما ولى فيه السلطان . وما كانت نيابته إمرة
طبلخاناه فأكثر : يولى فيه السلطان، وربما ولى فيه النواب . وما كانت نيابته
تقدمة ألف، فولايته مختصة بالسلطان دون النواب .

وأما الوظائف الديوانية، فما كان منها صغيرا ككتابة الدرّج وما في معناها،
فأكثر ما يولها النواب . وما كان منها جليلا : ككتابة السرّ وما في معناها، ونظير
الجيش، ونظير المال، فتوليته مختصة بالسلطان . وما كان منها متوسطا بين
الطرفين : ككتابة الدست ونحوها : ففي دمشق تارة يولى فيها السلطان، وتارة يولى
فيها النائب . وفيما دونها من النيابات غالب من يولى فيها النواب، وقد يولى فيها
السلطان .

وأما الوظائف الدينية، فما كان منها صغيرا : كالتدريس الصغار، والخطابات
بالجوامع الصغار، وأنظار المدارس والجوامع الصغار، ونحو ذلك، فإنه يولى فيها

النواب ولا يؤتى فيها السلطان إلا نادراً . وما كان منها جليلاً : كقضاء القضاة ، فإن توليته مختصة بالسلطان . وما كان منها متوسطاً بين الرتبين : كقضاء العسكر ، وإفتاء دار العدل ، والحسبة ، ووكالة بيت المال ، ومشيخة الشيوخ ، ونحو ذلك : فتارة يؤتى فيها السلطان ، وتارة يؤتى فيها النواب . إلا أن تولية السلطان فيها في النيابات الجبار كالشام أكثر ، وتولية النواب فيها فيما دون ذلك أكثر .

وأما مشيخة الخوانق فقد يؤتى فيها السلطان ، وقد يؤتى فيها النواب : إلا أن تولية السلطان في مشيخة الشيوخ بالشام أكثر ، وتولية النواب في غير مشيخة الشيوخ بدمشق وفي غيرها من وظائف الصوفية في غير دمشق أكثر .

وأما الوظائف العادية : كرياسة الطب ونحوها ، ففي جميع النيابات توليتها من النواب أكثر ، وربما ولي فيها السلطان .

وأما وظائف زعماء أهل الذمة : كرياسة اليهود ، وبطركيسة النصارى ، فيستبد بها النواب دون السلطان : لزيادة حقارتها في الوظيفة والبعد عن حضرة السلطان .

وقد تقدم في الكلام على ترتيب الممالك بالبلاد الشامية أنه كان بها سبع ممالك عظام استقرت سبع نيابات :

النيابة الأولى

(نيابة دمشق ويعبر عنها بكفالة السلطنة بالشام)

وظائفها على نوعين :

النوع الأول

(ما هو بحاضرة دمشق ، ويشتمل ما يكتب به من وظائفها
عن الأبواب السلطانية على أربعة أصناف)

الصف الأول

(أرباب السيوف ، وهم على طبقات)

الطبقة الأولى

(من يكتب له تقليد في قطع الثنتين بـ «المقرّ العالی» مع الدعاء
بـ «عزّ الأنصار» : وهو نائب السلطنة بها)

وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كتبت به عن السلطان الملك العادل
«كُتِبَا» للأمير «سيف الدين غرلو العادلي» من إنشاء الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي جعل لسيف دولتنا على عاتق الملك الأعرز نجادا ، وأذخر لكفالة
مملكتنا من الأولياء من تناسب وضمناه آجتهدا في مصالح الإسلام وجهادا ، وعدق
أمور رعايانا بمن أيقظ لها سيفه وجفنه فامتلات عيونهم بما وهب وسلب من نومه
وتوهم العدا رقادا ، ورفع الوية إحساننا على من زاد برفعها ظل عدله أنيساطا على
الرعية وأمتدادا ، ووطد قواعد ممالكنا بمن أجلنا الفكر في حسن اختياره أنتقاء
لمصالح الإسلام وأنتقادا ، وأدى لشكر نعم الله التي لا يؤدي شكر بعضها ولو أن
ما في الأرض من شجرة أقلام أو كان البحر مدادا .

نجمه على نعيمه التي جعلت عزائمنا على الأبد منصوره، ومقاصدنا على مصالح المسلمين مقصوره، وآراءنا تفوض زعامة الجيوش إلى من نصيح فرق الأعداء يفرقه مغزوة ومالكهم بمهابته محصوره .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال تنشر دعوتها في الآفاق، وتزهف لإقامتها في ممالكنا سيفا يصل ما أمر الله بقطعه ويقطع إلا الأرزاق، وتزهب من الحدد فيها بكل ولي لرعيه في القلوب ركض ولوايته في الجوانح خفق ولأستته في الصدور إشراق، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف من فوض حكامنا في أيامه إلى من اعتمد عليه، وأراف من استخلف على من بعد عنه من أمته من يعلم أن صلاحهم في يديه، وألطف من عدق شئنا من أمور أهل ملته بمن أعانه الله وسدده في دفع عدوهم وصلاح ما يرفع من أحوالهم إليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ولوا على الأمة فعدلوا، وأمروا بما جيله الله عليه من الرأفة والنعمة والرحمة فامتثلوا، وعلموا أن الحق فيما نهج لهم من طرق طريقته المثلى فما مالوا عن ذلك ولا عدلوا، صلاة لا تغرب شمسها، ولا يعزب أنسها، ولا تعتبر أوقات إقامتها إلا ويقصر عن يومها في الكثرة أمسها، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى ما عملنا إليه ركائب الآراء المؤيدة، وصرفنا إليه أزمة نجائب الأفكار المسددة، وأجلنا فيه طرف النظر الذي لا يسق في بلوغ الغاية غباره ولا يدرك، وأحلنا الأمر فيه على التأييد الذي هو عمدتنا فيما يؤخذ من ثواب الآراء وما يترك، وقدمنا فيه مهم الاستخارة الذي يتلوه التوفيق، وعلمنا أن الد أسباب الأهداء إليه سلوك طريق النصيح لله ورسوله والإسلام فسلكتنا إليه من ذلك

الطريق ، وقصّرنا النية فيه على مصالح الأمة التي هي فرض العين بل عين الفرض ، وأطلقنا الإرتياد فيه لتعين من نرجوه ممن عناهم الله بقوله : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ . وتدبنا له سيفاً لم يزل في صدور الأعداء صدره وفي يد جبار السموات قائمه ، وأردنا لتقدمة الجيوش فيه زعيماً طالماً ملّ ضوء الصبح مما يغيّره وملّ سواد الليل مما يزاخمه ؛ وقدمنا له من نسا في حجر ولائنا ، وغدّى بلبان ربنا وآلائنا ؛ وشهد الوقائع بين يدينا ، وخبّرنا من سيرته النهوض في الرطيا بما كتب الله لهم من الرأفة والرحمة علينا - أمر نيابة ساطنتنا الشريفة بالمالك الشامية التي نابت فيها مهابتنا ، عن الإقامة فيها ، وجعلتها عنايتنا ، من أشرف ممالكنا التي تخصها على البعد بدوام الملاحظة ونصفيها ؛ وهي واسطة عقد ممالكنا ، ومحط رحال طرفنا إلى جهاد الأعداء ومسالكنا ، وهالة أهلة سرى القصد إلى لحظها في أديم الأرض مواقع سنابكنا ؛ ومواطن القربان التي نصت الآنار الصحيحة عليها ، ومظان العبادات التي طالما نصت ركائب العباد إليها ؛ ومقام الأبدال الذين هم أهل دار المقامة ، ومستقر طائفة الدين الذين لا يزالون ظاهرين على أعدائهم لا يضرهم من خذلهم إلى يوم القيامة ؛ وفلك الثغور الذي تُسرق منه كواكب سعودها ، وتتصرف من نوته إلى من جاورها من العدا خاطفات بروقها وقاصفات رعودها ؛ فكم ذى جنود أمها فهلك وما ملك ، وسلك إليها بجيوشه فرّلت وتزلزلت قدمه حيث سلك ؛ ولجيشها البأس الذي وجود الأعداء به عدم ، والحُد الذي يعرفه أهل السياق و[ان] أنكرته أعناقهم « فما بالعهد من قدم » .

وأن نفوض [أمرها] إلى من ينشرها على الأمة لواء عدلنا ، ويسطّ فيها بالرأفة والرحمة رداء فضلنا ، ويحيي بها سنن الإحسان التي مبدأ أيامها غايه من ساقف من قبلنا ؛

ويقيم مَنَارَ الْمَلِكِ مِنْ بَأْسِهِ عَلَى أَرْفَعِ عِمَادٍ ، وَيُنِيمُ الرِّعَايَا مِنْ عَدْلِهِ فِي أَوْطَانِ مِهَادٍ ؛
 وَيَكْفُفُ أَكْفَفَ الظُّلْمِ إِلَى مَا يَتَجَاسَرُ إِلَى إِعَادَةِ يَدِهِ إِلَيْهَا عَادٍ وَمَنْ عَادَ ، وَيُجْرَدُ إِلَى
 الْعِدَا مِنْ خِيَالِهِ وَخَيْلِهِ سَرَايَا تَطْرُدُ عَنْ مَوَارِدِ جَفُونِهِمْ بِقَوَائِمِهَا الرُّقَادَ ؛ وَتَسْتَعِيدُ
 عَوَارِي أُرَاحِهِمْ مِنْ مُسْتَوْدَعَاتِ أَجْسَادِهِمْ فَهِيَ بِحُكْمِ الْعَارِيَةِ غَيْرُ مُسْتَقَرَّةٍ
 فِي الْأَجْسَادِ ، وَيَصُونُ الرَّتَبَ عَنْ تَطَرُّقِ مَنْ يُفْسِدُ أَحْوَالَهَا لِعَدَمِ أَهْلِيَّتِهِ : فَإِنَّهُ مَا سَلَكَ
 أَحَدٌ فِي أَيَّامِنَا طَرُقَ الْقَسَادِ قَسَادٌ ؛ وَيُعَلِّمُ بِهِ أَنَا جَرَدْنَا عَلَى الْعِدَا سَيْفًا يَسْبِقُ إِلَيْهِمْ
 الْعَدْلَ ، وَيَزَاحِمُ عَلَى قَبْضِ نَفْسِهِمُ الْأَجَلَ ، وَتَحَلَّى بِتَقْلِيدِهِ الدُّوْلَ ، وَيُتَحَقَّقُ بِفَتْكِهِ
 أَنَّهُ لَا حَاكِمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ إِلَّا السَّيْفُ الَّذِي إِنْ جَارَ فِيهِمْ فَقَدْ عَدَلَ .

ولذلك لما كان المجلس العالى الفلانى : هو الذى آخترناه لذلك على علم ، وقدناه
 أمور الممالك : لما فيه من حدة بأس وآية حلم ؛ وعجمننا عوده فكان لينا على الأولياء
 فظا على العدا ، وبلونا أوصافه فعلمنا منه السداد الذى لا يضع به الندى فى موضع
 السيف ولا السيف فى موضع الندى ، وعرضنا سداه على حسن اعتبارنا للاكفاء
 فكان سميرنا (وحمل ، فزين معروضا وراع مسددا) ؛ وهزناه فكان سيفا ينصل
 حده الخطب إذ أعضل ، وأعطينا أمر الجيوش فلم يختلف أحد فى أنه أفضل
 من الأفضل .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازل يصطفى من الأولياء كل كفى كريم -
 أن تؤوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الشامية : تفويضا يعلى قدره ، ويسط
 فى مصالح الملك والممالك أمره ؛ ويطلق فى مصالح الدولة القاهرة سيفه وكلمه ،
 ويدبر على الأولياء إحساننا الذى إذا جرى الغيث أنجمل دوائه ديمه ؛ ويرفع بالعدل

مَنَارَ دَوَامِ مُلْكِكَ الَّذِي قَرَنَهُ اللَّهُ لِلْأُمَّةِ بِجُودِنَا ، وَيُضِيفُ بِاسْتِرْفَاعِ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ
لِدَوْلَتِنَا مِنْ كُلِّ لِسَانٍ جُنُودَ اللَّيْلِ إِلَى جُنُودِنَا ، وَيَنْظُرُ فِي أُمُورِ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ نَظْرًا
عَاقِمًا ، وَيُعْمَلُ فِي سِدَادِ نَعُورِهَا وَسِدَادِ أُمُورِهَا رَأْيًا نَاقِبًا وَفِكْرًا نَاقِمًا ، وَيَأْمُرُ النَّوَابِ
مِنْ سِدِّ خَلِّهَا بِمَا كَفَّيْتَهُ أُدْرَى بِهِ مِنْهُمْ ، وَيَنْبَهُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا عَلَى مَا ظَهَرَ لِفِكْرِهِ
الْمُصِيبِ وَخَفِيَ عَنْهُمْ ، وَيَلَاحِظُ أُمُورًا مَا بَعْدَ مِنَ الْبِلَادِ كَمَا لَحِظْتَ أُمُورًا مَا دَنَا ،
وَيَنْظُرُ فِي تَفَاصِيلِ أُمُورِهَا : فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ عَلَى السِّدَادِ فَلَيْسَ بِهَا عَنْ حُسْنِ نَظَرِهِ
غَيًّا ، وَيَسْلُكُ بِالرَّعَايَا سُنَنَ إِنْصَافِهِ الَّتِي وَكَلَّمْتَهُ مَعْرِفَتَنَا بِهِ إِلَيْهَا ، وَيُجِيرُ بِهِمْ عَلَى عَوَائِدِ
الْإِحْسَانِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ خُلُقِهِ سَجِيَّةً وَزِدْنَاهُ تَحْرِيرًا بِضَائِعِهَا .

وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَقَامَنَا مِنَ الْجِهَادِ فِي أَعْدَائِهِ بِسُنَّتِهِ وَفَرَضِهِ ، وَمَكَّنَ
لَنَا فِي الْأَرْضِ : لِإِقَامَةِ دَعْوَتِهِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَتَطْهِيرِ أَرْضِهِ ، وَعَضَّدَنَا بِتَأْيِيدِهِ لِنُصْرَةِ
الْإِسْلَامِ ، وَأَمَدَّنَا مِنْ عَدَدِ نَصْرِهِ بِكُلِّ سَيْفٍ تَرَوَّعَ الْأَعْدَاءَ بِهِ الْيَقِظَةَ وَتَسْلُهُ
عَلَيْهِمُ الْأَحْلَامَ ، وَبَثَّ سَرَايَا جِيُوشِنَا بَرًّا وَبَحْرًا : فَهِيَ إِمَّا سَوَارٍ فِي الْبَرِّ تَمْتَرُ مَرَّةً
السَّحَابِ أَوْ جَوَائِرِ مُنْشَأَتٍ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ، وَيَتَعَاهَدُ أَحْوَالَ الْجِيُوشِ الشَّامِيَةِ
كُلَّ يَوْمٍ بِنَفْسِهِ ، وَيَعُدُّهُمْ فِي عَدِّهِ بِإِعَادَةِ مَا أَعْتَبَرَهُ مِنْ عَرَضِهِمْ فِي أَمْسِهِ ، وَيُرْتَبُ
أَمْرَ كُلِّ إِقْلِيمٍ وَحَالَهُ ، وَيَتَفَقَّدُ مَنْ يَبَاشِرُ بِالتَّقْدِيمَةِ تَقْدِيمَهُ إِلَى الْأَطْرَافِ وَآرْتِحَالِهِ ،
وَيَأْمُرُهُمْ كُلَّ يَوْمٍ بِالتَّأَهُبِ لِلْعَرَضِ الَّذِي يَبَاشِرُهُ غَدًا بَيْنَ يَدَيْنَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كتب به للأمر « جمال الدين أقوش
الأشرفي » في جمادى الأولى ، سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، من إنشاء الشيخ شهاب
الدين محمود الحلبي رحمه الله تعالى ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الدين في أيماننا الزاهرة زاهياً بجماله ، سامياً بتقديم من
إذا أرهف في الذب عنه بسيف عزيمه غدت الجنة تحت ظلاله ، حالياً بتفويض
زعامة جيوشه إلى من لو فأخر به البدور تعجبت من نقصانها وكمالها ، عالياً بباله
من تتولد معاني النصر والظفر بين الكاملين : من روية رأيه وأرتجاله ، راقياً على هام
الكفر بعزائم من لا يزال تُصبح مهابته العدا بطلان خيله وتبينهم بطوارق خياله ،
نامياً بإسناد الحكم فيه إلى من يقطع إنصافه بين المبطل ورجائه ويصل العدل [منه]
بين المحق وبين أماله .

نحمده على نعمه التي أنامت الرعايا من معدلتنا في أوطان مهاد ، وأدامت الدعاء
الصالح لأيماننا بإعلاء كلمتي العدل والجهاد ، وأقامت الإيالة في أسنى ممالكنا بمن هو
أجري من الغيوث ، وأجرأ من اللبوث ، في مصالح البلاد والعباد .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال الألسن لإقامتها مديمه ،
والضائر على إدامتها مقيمه ، والقلوب تعقد من كلمة إخلاصها وإخلاص كلمتها في جيد
الإيمان تميمه ، والتوحيد يظهر أنوارها في الوجوه الوسيمه ، بمأمن مطالع
القلوب السليمه .

ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي جبّه على خلق عظيم ، وجعله وإن تأخر عصره
من مقام النبوة في أعلى رتب التقديم ، ومن على الأمة بإرساله إليهم من أنفسهم
وأنه بالمؤمنين رؤ وف رحيم ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين دُعوا إلى طاعته
وأجابوا ، وحكوا بسنته وأصابوا ، وجاهدوا المعرضين عن ملته حتى رجعوا إلى الهدى
وأنابوا ؛ صلاة لا تغيب أنوارها ، ولا يفارق وجوه أهلها وقلوبهم رؤاؤها
وارواؤها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإنه - لما أجزانا الله عليه من عوائد نصيره، وأغرانا به من حصد الشرك وحصره، ومنحنا من بسطة ملك زينت بها أسائر البسيطة وأسرتها، ووهبنا من فوائح فتوح عالت على وجوه الكفر مساءتها وبدت على وجوه الإسلام مسرتها - لم نزل نؤدى شكر نعم الله بالإحسان إلى عباده، ونستريد منها بتفويض أمورهم إلى من يقوم في الذب عنهم مقام الجيش على أنفراده؛ فلا تقدم على الرأفة بحاق الله أمرا، ولا نحابي في بسط المعدلة عليهم زيادا ولا عمرا؛ ولا نعدل بهم عن إذا ركب في موكب نيابتنا زانه وجمه، وإذا جلس على بساط عدلنا زاده وكمه؛ وإذا رسم بأمرنا أضغيت السيفوف إلى مرآسيمي، وإذا نظر بعين عنايتنا نفرا أهدى الشنب إلى مباسيمي؛ وإذا رام في مصالح الإسلام أمرا قرب على رأيه بعيدة، وإذا رمى في حماية الممالك عدوا سبق إلى مقاتله قبل السيفوف وعيده؛ وإذا جرد جيشا إلى أعداء الإسلام جرت قبل اللقاء دبول هزائهما، ورأت الفرار أمتع لها من صوارمها، وتثلت ماني كائنها من سهام ضعفت عن الطيران قوى قوادمها .

ولما كان الجنب العالی الفلانی هو معنى هذه الفرائد، وسر هذه الأوصاف التي للشرك منها مصائب هي عند الإسلام فوائد، وفارس هذه الحلبة، التي أحرز [قصب] سبقها، وكف هذه الرتبة، التي أخذها دون الأكفاء بحققها؛ لاناخذة في الحق لومة لائم، ولا يأخذ أمر الجهاد إلا بجدده «وما ليل المحمد بنائم» يسرى إلى قلوب الأعداء رعبه وهو في مكانه، وتؤدى مهابته في نكاية الكفر فرض الجهاد قبل إمكانه؛ ويشفع العدل في الرعايا بالإحسان إليهم، ويجمع بين إرهاب المعتدين وشدة الوطأة عليهم؛ ويقف في أحكامه مع الشريعة التي أعلى الله تعالى منارها، ويستضيء بأحكامها التي هي لا بصار النظر تغير انوارها .

وكانت المملكة الشامية المحروسة من الممالك الإسلامية بمنزلة القوة في ايمين ،
والواسطة في العقد الثمين ؛ والإدرار في الصدور ، والإشراق في البُدور ؛ وبها الأرض
المقدسة ، والحُصون التي هي على نكاية الأعداء مؤسسه ؛ ولها الجيوش التي ألفت
في الجهاد السرى ، وألفت لسيوفها في الجفون الكرى ؛ ومررت على مقاتل العدا
استتها ، وصرفت في مسالك الحرب أعتتها ؛ وراعت ملوك أهل الكفر سمعة
أمرائها ، وحاطتها أمداد النصر في حروبها من بين يديها ومن ورائها ؛ وفيها من الأئمة
العلماء الأعيان من يعدل دم الشهداء مداد أعلامهم ، ومن الأتقياء الصالحاء من
لا تطيش دون مقاتل أهل الكفر مواقع سبهمهم - أقتضت آراؤنا الشريفة أن تمتع
هذه الرتبة السنية بجمالها ، وأن تبلغ هذه الدرجة السرية بمن حوى هذه الأوصاف
الفاحرة غاية آمالها ؛ ليصبح بها لواء عدلنا ، مرفوع الذوائب ، ومنهل فضلنا ، مدفوع
الشوائب ؛ وكلمة جهادنا ، نافذة في المشارق والمغرب ، وقبضة بأسنا ، آخذة من أعداء
الدين بالذرا والغوارب ، وطلبة كتماننا مؤتممة بمن توفى الطير أن فريقه إذا ما اتقى
الجمعان أول غالب .

فلذلك رسم بالامر الشريف - لازالت صوارمه للشرك قامعه ، ومراسمه لمصالح
الدين والدنيا جامعه - أن تفوض إليه تفويضا يرفع علمه ، ويمضي في مصالح
الإسلام سيفه وقلمه ؛ وينشر في آفاق الممالك الشامية عدله ، ويدسط على رعايا
تلك الأقاليم المحروسة فضله وظله ؛ فيطلع في أفق المواكب هالة أهلته ، وطراز
حلتها ؛ وطلعة لوائها ، وواسطة عقود مقدمها وآرائها ؛ وزينة تسيرها ووقوفها ،
وحلية طلائعها وضموفها ؛ ويجلس في مواطن الجلوس صادقا بالحق في حكمه ،
أمرا بإدامة التائب للعدو في أيام سلامه ؛ معطيا منصب النيابة الشريفة حقه من
الجلاله ، موفيا رتبته المنيفة ما يجب لها من أهبة المهابة وكفاءة الكفاله ؛ ولا يزال

لمصالح الجيوش المنصورة ملاحظاً، وعلى إزاحة أعدارهم محافطاً؛ وإلى حركات عدو
الإسلام وسكاته متطاعاً، وإلى ما يتعين من إبطال مكايده متسرّعا؛ ولإواطن أحوالهم
بحسن الأطلاع محققاً، وجموعهم بيمين الأجتاع للقائهم مفترقاً؛ فلا يضمرون مكيدة
إلا وعلمها عنده قبل ظهورها لديهم، ولا يسرون غارة إلا ورأيتا خيله المغيرة
أسبق منها إليهم .

وليكن لمنار الشرع الشريف معلياً، ولأقدار أربابه معلياً؛ ولرتب العلماء رافعا،
ولأقوالهم في الأحكام الشرعية سامعاً؛ ولذوى البيوت القديمة مكرماً، ولأهل الورع
والصلاح معظماً؛ وعلى يد الظالم صارياً، وفي آقناء الأدعية الصالحة لدولتنا القاهرة
رأغباً؛ ولجليل النظر في عمارة البلاد مديماً، وبجسّن الفكر في أمور الأموال معلماً
رأياً بمصالحها علياً؛ ولجهات البرّ بجميل العناية والإعانة عامراً، وعن كل ما لا يجب
أعتاده ناهياً وبكل ما يتعين فعله آمراً . وفي كمال خلاله، وأدوات جماله، ما يغني عن
الوصايا إلا على سبيل الذمّرى التي تنفع المؤمنين، وترفع المتقين؛ وملاكها تقوى
الله تعالى وهي من خصائص نفسه الكريمه، وعوائد سيرته الحديثه والقديمه؛ والله
تعالى يسدده في القول والعمل، ويؤيده وقد فعل؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام، كتب بها للأمير «سيف الدين تنكر
الناصرى» في ربيع الأول سنة أثنى عشرة وسبعائة، من إنشاء الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي، وهي :

الحمد لله مقوض أسنى الممالك في أيامنا الزاهرة إلى من ترهب بتقليده، ومشيّد
قواعد أمتي الأقاليم في دولتنا القاهرة بمن يعلو بإياله ما يلقى إليه معاقد مقاليدته؛

وَمُسَدِّدِ الآرَاءِ فِي تَصْرِيفِ أَعِنَّةِ جِيوشِنَا الْمَنْصُورَةِ بِتَقْدِيمِ مَنْ تَغَدُّو سِيُوفَهُ مِنْ
عُنُقِ كُلِّ مُتَوَجِّعٍ مِنَ الْعِدَا قِلَادَةَ جِيَدِهِ ، وَنَاشِرِ لِيَوَاءِ الْعَدْلِ فِي رِعَايَانَا وَإِنْ بَعُدُوا
بِمَنْ تُنِيمُ كَلًّا مِنْهُمْ فِي مَهْدِ الْأَمْنِ وَالِدَّعَةِ يَدِ مَهَابَتِهِ وَتَمْهِيدِهِ ، وَمُعَلِّي مَنَارِ الْجِهَادِ
فِي سَبِيلِهِ بَمَنْ إِذَا جَرَدَ سَيْفَهُ فِي وَغَى تَهَلَّلَتْ تَوَاجِدُ أَفْوَاهِ الْمَنَائِي الضَّوَّاحِكِ بَيْنَ تَجْرِيهِهِ
وَتَجْرِيدِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي أَبَدَتْ آرَاءَنَا بِوَضْعِ كُلِّ شَيْءٍ فِي مُسْتَحَقِّهِ ، وَقَلَّدَتْ سَيْفَ
النَّصْرِ مِنْ أَوْلِيَانَا مَنْ يَأْخُذُهُ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ بِحَقِّهِ ، وَجَدَّدَتْ آلَاءَنَا لَمَنْ إِذَا جَارَتْ
الْحُتُوفُ سِيُوفَهُ إِلَى مَقَاتِلِ الْعِدَا فَاتَهَا وَفَاقَهَا بِمِزِيَّتِي كِفَايَتِهِ وَسَبْقِهِ .

وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً لَا تَرَالُ أَلْسِنَتُنَا تَرْفَعُ مَنَارَهَا ،
وَسِيُوفُنَا تَصَلِي مِنْ بَحْمَدِهَا قَبْلُ نَارَهَا ، وَآرَاؤُنَا تُفَوِّضُ مَصَالِحَ جُمَّلَتِهَا إِلَى مَنْ إِذَا رَجَعَتْهُ
لِنُصْرَةٍ أَنَالَهَا وَإِذَا أَسْدَى مَعْدِلَةَ أَنَارَهَا .

وَنُشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَيْدَى اللَّهُ بِنُصْرِهِ ، وَجَعَلَهُ سَابِقُ مَنْ تَقَدَّمَ
مِنَ الرُّسُلِ عَلَى عَصْرِهِ ، وَأَتَاهُ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا يَضِيقُ النُّطْقُ عَنْ إِحْصَائِهِ وَمِنْ
الْمُعْجَزَاتِ مَا يَحْوُلُ الْحَصْرُ دُونَ حَصْرِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا
بِهُدَاهُ ، وَهَجَرُوا فِي طَاعَتِهِ مِنْ عَادَاهُ ، وَهَضَبُوا فِي رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَاهِ إِلَى مَظَانِّ
الْجِهَادِ وَإِنْ بَعُدَ مَدَاهُ ؛ صَلَاةٌ يَشْفَعُهَا التَّسْلِيمُ ، وَنَبْتَعِي إِقَامَتَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ
أَجْرٌ عَظِيمٌ ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا أَعْمَلْنَا فِي مَصَالِحِهِ الْفِكْرَ ، وَتَدَبَّرْنَا أَحْوَالَهُ بِكُلِّ رَأْيٍ يُسَدِّدُهُ
الْحَزْمُ الْمُرَوِّىَ وَيُؤَيِّدُهُ الْإِلْهَامُ الْمُبْتَكَّرَ ، وَقَدَّمْنَا فِيهِ الْأَسْتِخَارَةَ عَلَى مَا جَزَمَ الْيَقِينُ بِأَنَّ
الْخَيْرَةَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي آعْتَادِهِ ، وَتَمَسَّكْنَا فِيهِ بِجَبَلِ التَّوْفِيقِ الَّذِي مَازَالَ نَتَكَفَّلُ

لنا في كُلِّ أمرٍ بسَدَادِهِ وفي كُلِّ تَغْيِيرٍ بسَدَادِهِ - أمرُ الممالك الشامية التي هي واسِطَةٌ
عِقدِ الممالك، ومُجْتَمَعُ ما يُفِضِي إلى مواطنِ النَّصْر من المسالك؛ ومَرْكَزُ فَلَكَ الأقاليمِ
الذي تَنْتَظِمُ عليه بروجُ نُغُورِها، ونُقْطَةُ دائرةِ الحُصُونِ التي منها مادَّتُها وعلينا مَدَارُ
أموْرِها؛ وغَيْلُ لُيُوثِ الحربِ التي كمِ انْتَشَبَتْ أظفارَ أُسْتَبْها في طُرَّةِ ظَفَرٍ، ومَوَاطِنُ
فُرْسَانِ الوَعْيِ التي كمِ أسْفَرَ عن إطلاقِ أَعْتَبِها إلى غاياتِ النَّصْرِ وجهُ سَفَرٍ؛ وأن
تَرْتَادَ لِكِفَالَةِ أمورها، وكِفَايَةِ جُمُهورِها، وحِمايَةِ مَعاقِلِها المِصُونَةِ ونُغُورِها؛ وزَعَامَةِ
جَبُوشِها، وإِرْغامِ طَارِقِ أطرافِها من أعداءِ الدينِ ونِثْلِ عُرُوشِها، مَنْ جَرَدَهُ الدِّينُ
فكان سَيِّفًا على أعدائه، وانتقاه حُسْنُ نَظَرِنا للمسلمين فكان التوفيقُ الإلهي مُتَوَلَّى
جَميلِ آنتقاده وانتقائه؛ وعَجَمًا عُودَ أوصافه فوجدناه قَوِيًّا في دِينِهِ، مُتَمَكِّنًا في طاعته
بِإِخْلَاصِ تَقَوَاهِ وَصِحَّةِ يَقِينِهِ؛ متيقظًا لمصالحِ الإسلامِ والمسلمين في حالَتِي حَرَكَتِهِ
وَسُكُونِهِ، أَخْذًا عِنَانَ الحَزْمِ بِبُسرٍ يُسْرَهُ وَسِنَانَ العَزْمِ بِبِمينٍ يَمِينِهِ؛ وَأَقِفًا مع الحقِّ
لذاتِهِ، مَقْدَمًا مَشَاقَّ الجهادِ على سائرِ ما ربه ولذاتِهِ؛ مَاضِيًّا كَسَبَفِهِ لِأَنَّهُ [لا] يَأْلَفُ
كالسيفِ الجُفُونِ، رَاضِيًّا في رَاحَةِ الآخِرَةِ بِمَناعِبِ الدُّنيا ومصاعِبِها فلا يَرْعَى في مَوَاطِنِ
الجهادِ إِذا حَلَّها أَكْثافُ الهَوِيَّنا ولا رَوْضِ الهُدُونِ؛ مَنايَعِي حِمَى الإسلامِ لا "حِمَى الوَقْبِي"
يَضْرِبُ" يَفَرِّقُ بين أسبابِ الحِياةِ و"يُؤَلِّفُ بين أَشْئَاتِ المِنُونِ".

ولما كان فلان هو الذي تشوّفت هذه الرتبة إلى أن تتجمل به مواكبها، وتتكل به
مراتبها، وتنتظم على دسسته هالة أمراتها كما تنتظم على هالة بدر السماء كواكبها؛ فإذا
طلع في أفقٍ موكبٍ أعتت الأعداء جلالته، وأعدت الأولياء بسالته؛ وسرى إلى
قلوب أهل الكفر رعبه، وفعل فيهم سائمه ما يفعل من غيره حربته؛ وإذا جلس
على بساط عدلٍ تحرس الباطل، وأنجز ما في ذمته الماطل؛ وتكلم الحق بملء فيه،
وتبرا الباطل حتى ممن يسره ويخفيه؛ وإن نظر في مصالح البلاد أغان الغيث على

رَبِّهَا بِرَفِيقِهِ ، وَأَعَادَ رَوْقَ عِمَارَتِهَا بِكَفِّ أَكُفِّ الظلم ووصول كُلِّ ذِي حَقِّ إِلَى حَقِّهِ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشريفة أنْ تَجْعَلَ فُنُونُ أَفْنَانِهِ بِبُحْنِ إِيَابَتِهِ دَانِيَةَ القُطُوفِ ، وَأَنْ نُصَيِّرَ جَنَّتَهَا تَحْتَ ظِلَالِ سَيْفِهِ : فَإِنْ «الجنة تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ» .

فَلذَلِكَ رَسِمَ بِالْأَمْرِ الشريفة - لِأَزَالِ زَمَنُ عَصْرِهِ ، مَوْرَخًا بِالْفَتْوحِ ، وَسَيْفُ نَصْرِهِ ، عَلَى مَنْ كَفَرَ دَعْوَةَ نُوحٍ - أَنْ تَمْفُوضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ السُلْطَنَةِ الشريفة بِالشامِ المَحْرُوسِ : تَقْوِيضًا يُحَسِّنُ بِهِ الْمَنَابَ فِي تِلْكَ الْمَمَالِكِ عَنَّا ، وَيَنْشُرُ فِيهَا مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مَا يُلْقَاهُ مِنَّا ، وَيُلْبِسُهَا مِنْ حُلِّ الْمَهَابَةِ مَا يُضَاعِفُ بِهِ أَمَنَ سَرِيحِهَا ، وَتُصْبِحُ بِهِ السُّيُوفُ الْمَجْرَدَةُ أَحْفَظَ لَهَا مِنْ قُرْبِهَا ، وَيَطْلُعُ فِي أَفْقِ مَوَاجِبِهَا الْجَلِيلَةِ طُلُوعَ الشَّمْسِ الَّتِي يَوْمَ تَقْعُهَا ، وَيُعْيِشِي النَّوَاطِرَ لَمَعُهَا ، وَيَجْلِسُ فِي دَسْتِ نِيَابَتِنَا حَاكِمًا فِيهَا بِأَمْرِنَا ، جَازِمًا بِحُكْمِ الشَّرْعِ الشريفة الَّذِي قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ حَلِيَّةُ سِرِّنَا وَجَهْرِنَا ، نَاشِرًا مِنَ مَهَابَةِ الْمَلِكِ مَا تَرْجِفُ لَهُ الْقُلُوبُ مِنَ الْعِدَا ، وَتُصَبِّحُهُمْ بِهِ سَرِيًّا رُغْبِيهِ عَلَى بُعْدِ الْمَدَى ، مُلْزِمًا مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْجِيُوشِ الْمَنْصُورَةِ بِمُضَاعَفَةِ إِعْدَادِ الْقُوَّةِ ، وَإِدَامَةِ التَّأْهِبِ الَّذِي لَا تَبْرَحُ بِسُمْعَتِهِ بِلَادُ أَهْلِ الْكُفْرِ مَغْرُورَةً ، مُطَّلِعًا عَلَى أَحْوَالِ الْعِدَا بَلُطْفِ مَقَاصِدِهِ ، وَنِكَايَةِ مَكَايِدِهِ ، وَحُسْنِ مَصَادِرِهِ فِي التَّنْذِيرِ وَمَوَارِدِهِ ، فَلَا يُبْرِمُونَ أَمْرًا إِلَّا وَقَدْ سَبَقَهُمُ الْإِذْنُ نَقِضَ مُبْرَمِهِ ، وَلَا يَقْدَمُونَ رِجْلًا إِلَّا وَقَدْ أَخْرَجَهَا بَوَثْبَاتِ إِقْدَامِهِ وَثَبَاتِ قَدَمِهِ . وَأَبْعَظَمَ مَنَارَ الشَّرْعِ الشريفة بِتَكْرِيمِ حُكْمِهِ ، وَالْوُقُوفِ مَعَ أَحْكَامِهِ ، وَيَرْفَعُ أَقْدَارَ حَمَلَةِ الْعِلْمِ بِتَرْفِيهِ أَسْرَارِهِمْ ، وَتَسْهِيلِ مَآرِمِهِمْ وَأَوْطَارِهِمْ ، وَلِيَعْمَّ الرِّعَايَا بَعْدَلِهِ وَإِنْصَافِهِ ، وَيَسْتَرْفِعَ لَنَا أَدْعِيَاةَ الْأَوْلِيَاءِ وَالصُّلَحَاءِ بِإِسْعَادِهِ وَإِسْعَافِهِ . وَفِي خِصَائِصِ أَوْصَافِهِ الْكَرِيمَةِ ، وَتَجَايَاهُ الَّتِي هِيَ لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ مُسْتَدِيمَةٍ ، مَا يُغْنِي عَنِ تَسَدُّدِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ وَقَدْ فَعَلَ ، وَيَجْعَلُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ جَعَلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام، كتب به للأمر «يلبغا الكامل» بعد نيابته بحلب وحمّة، من إنشاء المقرّ الشهابي بن فضل الله، وهي :

الحمد لله مجرى الأقدار، برفعة الأقدار، ومثري آمالي من حسنت له في خدمتنا الآثار، بمواهب العطايا والإيثار، ومثري غروريس نعيم أولياتنا التي رعى عهدا عهدا تحب جودنا الغزار؛ جاعل أصفياء مملكتنا الشريفة كل حين في آزياد، وما نلج المخلصين في خدمتنا مزيد الإسعاف والإسعاد، وفاتح أبواب التأييد بسيوف أنصارنا التي لا تهجع في الأعماد .

نحمده على مواهب نصره، ونشكره على إدراك المآرب من جوده الذي يعجز لسان القلم عن حصره، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تؤيد قائمها في موافقه، وتجمع له من خير الدنيا بين تالده وطاريفه؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي هدى الله به هذه الأمة من الضلال، وفضل به المجاهدين حيث جعل الجنة تحت ما لسيفوفهم من ظلال . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا انفصام لعروتها ولا انفصال، ولا انقضاء لأسبابها ولا زوال؛ وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد، فإن أولى من أنتدب لحفظ ممالك الإسلام، وأتمن على صوتها بعزمه الذي لا يسامى ولا يسام؛ وأسند إليه من أمور الرعايا بأجل الممالك ما يقضى بمزيد التكريم، وأعتمد على صيانتته وديانته لما شهد الاختبار بأنه أهل للتقديم؛ وجرىته الدول محالصته، وتحقق آهتامه الذي بلغه من العزّاياته؛ وأثنت على حسن سيرته وسيرته سوابق خدمه، وشكر آهتامه في المخالصة التي أعربت عن عزمه؛ ففاق أشباها وأنظارا، وكفل الممالك الشريفة الحليّة والحموية فأيدها أعوانا وأنصارا؛

ووسط فيها من العدل والإنصاف ما أعلى له شأنًا ورفَع له مقدارًا ، وسلك فيها
مسلكًا شَفَّ أسماعا وشَرَفَ أبصارا .

ولما كان المقرّ الكريم (إلى آخره) هو صاحب هذه المناقب ، وفارس هذه
المقائب ، ونير هذه الكواكب ، كم أهبج النفوس بمآله من عزيم مشكور ، وحزم
مأثور ، ووصيف بالجميل مؤفّور .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازل لسيف أوليائه مُرهِقًا ، ولا يرح لأخصائه
مُسَعِدًا ومُسَعِفًا - أن تفوض إلى المشار إليه نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس ،
على أجمال عوائد من تقدمه في ذلك وأكمل قواعده . فليتناول هذا التقليد الشريف
بيد لم يزل لها في الولاء الباع المديد الطويل ، ويتلق هذا الإحسان بالشكر الذي هو
بدوام النعمة خير كفيل ؛ ويضاعف ما هو عليه من آهتام لم يزل منه مألوفًا ، وأعتام
إذا لاقى غيره مهمًا واحدًا لاقى هو ألوفًا ؛ ويُعِين النظر في مصالح هذه المملكة
الشامية المحروسة ، ويعتمد من حسن تديره ما تغدو ربوعها بحسن ملاحظته
عامرة مأنوسة . وهو يعلم أن العدل من شيم دولتنا الشريفة ، وسجية أيامنا التي هي على
هام الجوزاء منيفه ؛ فليسلك سننه ، ويتبع فرضه وسننه ؛ ويعلم أن عدل سنية خير
من عبادة ستين سنه ، ولينشر على الرعايا ملائسه الحسنه ؛ ويعظم الشرع الشريف
وحكامه ، ويعين الإقطاعات لمن يستحقها من الأيتام أو يوجب الاستحقاق
إكرامه ؛ والله تعالى يجعل السعد خلفه وأمامه ، ويؤيده تأييدًا يبلغه مراده من
النصر ومرامه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام :

الحمد لله الذي طَهَّرَ الشَّامَ وَقَدَّسَهُ ، وَصَانَهُ وَحَرَّسَهُ ، وَجَعَلَ لِسُلْطَانِنَا فِيهِ قَوَاعِدَ
بِالنَّصْرِ مُؤَسَّسَهُ ، وَأَنْوَارَ لِلهُدَى مَقْتَبَسَهُ ، وَكَفَّلَهُ بَيْنَ إِذَا صَفَّ لَهُ الْعُدُوَّ أَنْتَرَسَهُ ،
وَأَذَلَّهُ وَأَرْكَسَهُ ، وَأَرْغَمَ مَعْطَسَهُ ، وَأَطْفَأَ بِسَيْفِهِ أَرْؤُسَهُ ، وَمَنْ يُعْطَى النَّصْرَ إِذَا أَمْتَطَى
فَرَسَهُ ، وَمَنْ كَرَّمَ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَكَثَّرَ أُنْسَهُ ، وَعَطَّرَ نَفْسَهُ ، وَمَنْ يُنْصَفُ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ
وَيَبْلُغُ السَّائِلَ مُتَمَسِّسَهُ ، وَمَنْ لَيْسَ ثَوْبَ الْعَقَافِ وَاتَّبَقَ فَكَانَ خَيْرَ ثَوْبٍ لَيْسَهُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَصْلِ جُودِ غَرَسِهِ ، وَعَارِضِ سَوْءِ حَبَسِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَزَالَتِ الشَّرْكَ وَحَمَّتْ نَجْسَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ مَجْدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ
الَّذِي أَنْبَعِ اللَّهُ مِنْ أَصَابِعِهِ عَيْنًا مُنْبِجِسَهُ ، وَأَخْضَرَ الْعُودَ الْيَابِسَ لَمَّا لَمَسَهُ ، وَأَضْعَفَ
الْوَسَاوِسَ الْمُخْتَلِسَهُ ، وَأَتْرَعَ الْحَقَّ مِنْ بَحْسِهِ ، وَجَاهَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ لَمَّا وُلِدَ
فَمَا نَحَسَهُ ، وَنَوَّرَ الْقَلْبَ الَّذِي خِيمَ عَلَيْهِ الضَّلَالُ وَطَمَسَهُ ، وَكَانَ الشَّرْكَ قَدْ أَثْبَتَ
فِي الْأَرْضِ فُطُوَاهُ دِينُهُ وَكَبَسَهُ ، وَجَاهَهُ وَدَرَسَهُ ، وَجَاءَ بِالْقُرْآنِ فُطُوبِي لِمَنْ تَلَاهُ
وَدَرَسَهُ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ : (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ نِصْفَهُ) صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا أَوْجَحَ اللَّهُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَعَمَّسَهُ ، وَمَيَّزَ بِنِصْفِ الْعَدَدِ مِنْ
الثَّلَاثِ سُدُسَهُ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أما بعد ، فإن الشَّامَ هُوَ عَقْدُ النَّظَامِ ، وَأَجَلُ مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ ، وَمَعْدِنُ النَّصْرِ
الَّذِي بَرُوقُهُ تُسَامُ ، وَمُسْتَقَرُّ الْبَرَكَاتِ الْوَسَامِ ، وَعَسْكَرُهُ أَفْضَلُ عَسْكَرٍ فِي حَسَنِ
الْإِعْتِرَاءِ وَالْإِعْتِرَامِ ، لَا يَرْهَبُونَ الْجَمَامَ ، وَيَخْوَضُونَ بُلُجَّ الْمُنُونِ بِالْحَسَامِ ، وَنِيَابَهُ
السلطنة الشريفة به من أجل النيابات مقدارا ، وأكرمها آثارا ، وأعزها أنصارا ؛

إذ هو تلقاء أو امرنا الشريفة المنطوية عليها أسرار البريد، ومن عنده تفتتح المهمات للقريب والبعيد، وعنه يصدر البريد، وإليه يرد بكل شئ جديد، ومنه يأتي إلى مسامعنا الشريفة بما نريد، فلا يحل دار سعادتها إلا من هو منصور سعيد، وذو رأي سديد، وحزم حديد، وقد اخترنا لها بحمد الله كفاها المعيد.

ولما كان فلان هو الضاري على العدا، وأنغيت المتوالي الندى، والهمام الذي جرد سيف عزمه أبدا فلا يرى مغمدا، وأنصف بحسن الصفات فما ساد سدى، قد تجملت الممالك بأرائه ورأياته، وثباته وثباته، وروض تديره وطيب نباته، وحسن اعتاده في خدمة ملكنا الشريف ومهماته، إن ذكرت الموالات الصادقة كان راوى مستنדהا، وحاوى جيدها، والآوى إلى ظلها المديد وطيب موردها، وإن ذكرت الشجاعة كان زعيم كتابها، ومظهر عجائبها، وليث مضاربيها، ومجرد قواضيمها، وفارس جنائبها، ومطلب أطلابها ومنجح مطالبيها، ومجلى غيايها - اقتضى حسن الرأي الشريف أن يعقد عليه لواء الاحتشام، في الشام، وأن يخص بالبركات، المخلص من الدركات.

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس، على عادة من تقدمه وقاعدته، وأن يكون داخلا في نيابته الشريفة ما هو مضاف إلى الشام المحروس: من ممالك وقلاع، ومدن وضياع، وتغور ومواني، وسواحل في أقاص وأداني، تفويضا أسقت درره، وأشرق غرره، وتليت آياته وسوره.

فليمهد بالعدل أكناف البلاد، وينظر بعين الرعاية والسداد، ولينشر لواء الإنصاف، لتكون الأمة تحت ظله الضاني وإليه الحق مضاف. وليدبر الأرزاق

من الأخلاف ، وليأمر بإقامة الحدود على شارب السلاف ، وعلى السارقين بالقطع
من خلاف ؛ وليستترهف عزائم العساكر المنصورة في القتال والجهاد ، وليأخذهم
بحسن الاستعداد ، وليعرف للأمرء منازلهم : فإنهم أركان وأعضاء ، وأنصار
وأجناد ، وأولياء دولتنا الشريفة المأخون للفساد ، وممن تجعل بهم الموارب
وتتفطر بهم للعدا الأجداد ؛ والله الله في الشرح الشريف وإقامة مناره ، وتنفيذ
كلمة أحكامه وإزالة أعداره ؛ والتقوى فهي أفضل شعاره ، وقرة أبصاره ، والوصايا
فمنه يُشرق هلالها إلى أن يتم في إبداره ، ويتكلم بأنواره ، وهو غني عن إكثاره .
نغذ تقليدنا هذا باليمين ، وألبس من هذا التفويض الملبس الأسنى الثمين ؛ وأخبار
البريد المنصور فلا تقطعها عنا ، فمنه إلينا ترد أخبار البريد وإليه ترد المهمات منّا ،
والله تعالى يخوله كل يوم من إحساننا في الزيادة والحسنى ؛ والخط الشريف أعلاه .

الطبقة الثانية

(من يكتب له تقليد شريف في قطع النصف بـ «المجلس العالی»)

وهو الوزير من أرباب السيوف ، وهو بالملكة الشامية

على حد الوزير بالديار المصرية)

وهذه نسخة مرسوم من ذلك :

الحمد لله مُسَدِّدِ سَهَامِ الْأَخْتِيَارِ ، وَمُسَيِّرِ الْأَوْلِيَاءِ إِلَى مَنَازِلِ الْعِلْيَاءِ مَسِيرَ الْأَهْلَةِ إِلَى
مَنَازِلِ الْإِبْدَارِ ، الَّذِي جَدَّدَ نِعْمًا ، وَعَدَّدَ كَرَمًا ، وَعَلِمَ مَوَاقِعَ الْأَضْطِرَارِ ، إِلَى مَوَاقِعِ
الْأَوْزَارِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مَنْ تَسْتَهْلُ آرَاؤُهُ دِيمًا .

نحمده حمدا كثيرا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبًا
ولا وزيرًا ، ونصلي على سيدنا محمد الذي عمَّر الله به البلاد تَعْمِيرًا ، وأحسن بالعدل

تقريراً ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ظاهروه بالسيوف والأقلام كاتباً
وأميراً ؛ صلاة لا ينقطع تواليها ، ولا تزال الآفاق تتناقلها وتستهديها .

وبعد ، فإن أولى من عظم شأنه ، وكرم مكانه ، وثبت إمكانه ، وأثبت في منابت
الرماح قامه الذى هو ترجمانه ، وبسطت في تشييد الممالك يده وأطلق لسانه . من
كان علامة العلم ، وغداً بالنشاط في كبره ففى السن كهل الحلم ؛ الذى فاق جلالته
ونسبا ، وأستعلى همته وأدبا ، وعرف بالديانة التى طار صيتها فى الآفاق شرقاً
ومغرباً ، والهمة التى سواء عليها أحملت قلمها أم أنتضت قضبها .

ولما كنت أيتها المجلس الفلانى - أدام الله تأييدك ، وتسديدك وتمهيدك ؛
وكبت حسودك ، وضاعف صعودك - أنت المعنى بهذه المآثر ، المنتضدة عليك
هذه الجواهر ، الدالة على مناقبك هذه المفانح ؛ الذى وجدناك على الانتقاد تزيد
أستخلاصاً ، وتعدو على السبك خلاصاً .

فلذلك نخرج الأمر الشريف أن تؤزر ، ونحمى موارد آرائك لتستغزرها ؛ ويكون
لك الحكم فى المملكة الشامية عموماً ، وتصرف فى معاملاتها مجهولاً ومعلوماً ؛ على
أكل قواعد الوزراء وأتمها ، وأجلها وأعمها ؛ متصرفاً فى الكثير والقليل ، والحقير
والجليل ؛ تغزل وتولى من شئت ، وتكفى وتستكفى من آرتضيت . ونحن نوصيك
بالرفق الذى هو أخلق ، والعدل الذى تستدر به شحب الأموال وتستغدق ؛ والحق
فإن كل القضايا به تتعلق ، ويمن السياسة فإن الرئاسة بها تكمل وتعدق ؛ وإياك
والغرض الذى هو يهوى بصاحبسه ، ويرديه فى عواقبه ؛ وأتق الله الذى لا تم
الصالحات إلا بتقواه ، وأحذر أن تكون مع من ضل سبيله وأتبع هواه ؛ والله تعالى
يُجج رجاءك ويوضح منهجك ، ويعلى درجك ، ويلقنك إذا خاصمت وأختصمت
حججك ؛ إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثالثة

(من يُكْتَبُ له مرسومٌ شريفٌ ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(من يُكْتَبُ له في قطع النصف وهو نائب قلعة دمشق)

إن كان مقدّم ألف كما كان أولاً ، كتب له بـ « المجلس العالی » . أو طبلخاناه
كما هو الآن ، كتب له بـ « السامی » بغير ياء . وبالجملة فإنه يكتب له مفتحا
بـ « الحمد لله » .

وهذه نسخة مرسوم شريف بناية قلعة دمشق المحروسة ، من إنشاء المقر الشماني
ابن فضل الله رحمه الله ، وهي :

الحمد لله مُشْرِفِ القلاع ، ومُصَرِّفِ رجالها في الامتاع ، ومُعْرِفِ من جادها
أنَّ الشمسَ عاليةً الأرتفاع .

نحمدُه حمداً يُسَنِّفُ الأسماع ، ويُشَرِّفُ الإجماع ، وتُحَلِّقُ في صُعودِهِ الملائكةُ
أولىً أجنحةً مَنَى وثلاثَ ورُبَاعٍ ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادةً نرجو بها لما بقي من قلاع الكُفْرِ الأقبلاع ، وأستعادة ما قرَّ معهم من قُرَى
وضاع من ضياع ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي حمى به ديرة الإسلام
من الأرتضاع ، وصان به حوزة الحق أن تُضاع ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
صلاةً دائمةً ما أسبلَ لليلِ ذيلٌ وأمتدَّ للشمسِ شعاع ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن للحُصُونِ حواضرَ كما للبلاد ، وحواضِنَ تضمُّ بقاياها ضمَّ الأُمَمَاتِ
للأولاد ؛ ومعاقلٍ يرجعُ إليها إذا نابَتِ النوبُ الشَّداد ، ومعاقدٍ يعتصم من منعتها
بجبالٍ ويتمسك بأطواد ؛ وقلعةُ دمشق المحروسة هي التي تفتخر بقايا البقايا بالانصال

بَسْبِهَا، وَاتَّسَكَ فِي الشَّدَائِدِ بِذَيْلِ حَسَمِهَا، لَا يُهْتَدَى فِي السَّلْمِ وَالْحَرْبِ إِلَّا بِمَنَارِهَا،
وَلَا يُقْتَدَى فِي التَّسْلِيمِ وَالْإِمْتِنَاعِ إِلَّا بِأَنَارِهَا، وَلَا يُسْتَقَى إِلَّا بِمَا يَفِيضُ عَلَى السُّحْبِ
مِنْ قَيْضِ أَمْطَارِهَا؛ قَدْ تَرَجَّلتُ لُبَّارِزٍ، وَتَقَدَّمَتُ لُتْنَاهِزٍ، وَدَلَّتْ بِقُوعِهَا فَمَا
اِحْتَجَبَتْ مِنْ سُجُوفِ الْجَبَلِ بِحِجَابٍ وَلَا اِحْتَجَزَتْ مِنَ الْغَمَامِ بِحَاجِزٍ؛ بَلْ أُلْفَتْ إِلَى
قَرَارِ الْمَاءِ حِجْلِهَا، وَأُثْبِتَتْ فِي مَسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلُهَا؛ وَكَشَفَتْ لِلْحَرْبِ الْعَوَانَ
قِنَاعِهَا، وَأَشَعَلَتْ أُنْبُتَهَا مِنَ الذَّهَبِ شُعَاعِهَا، وَأَشْغَلَتْ أَفْنِيتَهَا الْبُرُوقَ أَنْ تُطَاوَلَ
بَاعِهَا، أَوْ تُحَاوَلَ آرْتِفَاعِهَا؛ قَدْ جَاوَرَتْ قُبَّتَهَا الزَّرْقَاءُ أُخْتَهَا السَّمَاءَ، وَجَاوَزَتْ بُرُوجَهَا
مِنْطَقَةَ الْبُرُوجِ أَعْيَانًا؛ وَهِيَ مَعْقِلُ الْإِسْلَامِ يَوْمَ قَرَعِهِمْ، وَأَمْرٌ قُلُوبِهِمْ أَعَاذَهَا
اللَّهُ مِنْ بَحْرَعِهِمْ؛ وَقَدْ نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْهَا وَنَازَلَهَا زَمَانًا بِجُمُوعِهِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ،
وَأَقْدَمُوا وَتَقَدَّمُوا وَهُمْ مُتَأَخَّرُونَ؛ وَطَاوَلُوهَا فَكَانَتْ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ، وَنَكَالًا لِمَا
خَلَفَهُمْ وَمَا يَنْبَغِيهِمْ؛ وَثَبَّتَ اللَّهُ بِهَا أَفْدَامَ بَقِيَّةِ الْفَلَاحِ، وَقَوَّى بِعَزَائِمِهَا إِمْدَامَ مَنْ فِيهَا
عَلَى الْإِمْتِنَاعِ؛ وَقَلْعَةَ الْجَبَلِ الْمَحْرُوسَةِ وَإِبَاهَا كَالْأَخْتَيْنِ، وَهِيَ لَهَا ثَانِيَةٌ أُثْبِتِي؛
وَكَتَبْنَا لِكُرْسِيِّ مُلْكِنَا الشَّرِيفِ مَنَزَلٌ سَعِيدٌ، وَمَسْتَنْزَهُ يُوَدُّ صَفِيحُ الْأَفْلَاكِ لَوْ تَرَامَى
إِلَيْهِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ.

فَلَمَّا رَسِمْنَا بِنَقْلِ مَنْ كَانَ فِي النِّيَابَةِ الشَّرِيفَةِ بِهَا فِي مَنَازِلِهَا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ،
وَقَدَّمْنَا أَمَامَهَا كَمَا يَهْتَرُ فِي قَادِمَةِ الرِّيحِ السَّنَانُ؛ وَأَتَّخَذْنَا مِنْ بُرُوقِ عَزَائِمِهِ لِبَعْضِ
تُغُورِهَا الضَّاحِكَةِ شَذْبًا، وَمِنْ هَمَجِهِ الْمُتَّصِلَةِ الْمَدِيدِ بِهَا مَا تَمَسَّدَ مِنْهَا إِلَى سَمَائِهَا سَبَبًا -
أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفُ أَنْ نُؤَوَّلَ فِي أَمْرِهَا الْمُهْمِمْ، وَبَرَّهَا الَّذِي بِهِ مَصَالِحُ كَثِيرٍ مِنْ
مَمَالِكِنَا الشَّرِيفَةِ تَمِّمْ؛ وَنَحَلِّي مَشَارِقَهَا بِمَنْ تَضَاحِكُ الْبُرُوقَ سُيُوفُهُ فِي آيِلِ كُلِّ نَفْعٍ
مُدْلَمٍ، وَنَجْحِي حِمَاهَا بِرَجْلِ تَمْنَعِ مَهَابَتِهِ حَتَّى عَنْ تَقَلُّ الْأَسْنَةِ (?) طَارِقِ الطَّيْفِ
أَنْ يَلِي؛ وَهُوَ الَّذِي لَا تَرَعِزُ لَهُ دُرَا، وَلَا يُنَاحُ لِبادِرَةِ سَيْلِهِ فِي دَرَا، وَلَا يُقَدِّرُ مَعَهُ

الأسد أن يبيت حول غايه مُصِحراً، ولا الطير أن يحلق إليه إلا ما سحياً بجناحه على الثرى، ولا أدبحت إليه زمر الكواكب إلا تقاعست فلا تستطيع السرى .

وكان فلان هو حامي هذا الحمي، ومانع ما يخلو في الثغور من موارد اللئى، وغبور الحى فلا تبرز له إلا من عقائل المعاقل قاصرات الطرف كالدحى، وحافظ ما استودع من مصون، واستجمع من حصون، واستجهر من موارد تردها من زرد الدروع عيون، ويفرق منها المجانيق سخائب ممطرة بالمنون، فصمم رأينا الشريف على اختياره ليوقل صهوة هذا الجواد، ويوقى ما يجب لهذه العقيلة من مرتقى لحظ ومرتمى فؤاد، ويبحث من الشغف بها عن أمل أمل أو مراد مراد، ويعجب من عقيلتها المصونة أن أبراجها تتبرج وما لنعمائها إنعام ولا لسعادها إسعاد .

فرسم بالأمر الشريف العالى المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى - أعلاه الله وشرفه، وأدام فى الأرض ومن عليها تصرفه - أن تفوض إليه النيابة بقلعة دمشق المحروسة : على عادة من تقدمه وقاعدته، ومقاربتة ومباعدته، وتخليه ومساعدته ؛ وكل ما جرت به العوائد فى رجائها ورجالها، وما لها وما لها ؛ وهذه نيابة شريفه، وسخابة مطيقه ؛ ونعمة تقابل برعاتها، وتكتم نواحيها بإذاعتها ؛ وتقوى الله حلية عقها، وحلة أفقها، ومجرى المجرة إجلالا فى طرفها .

فعليك بحفظها ليلا ونهارا، وتفقد أحوال من فيها سرا وجهارا، وفتح بابها وغلقها مع الشمس، وتصفح ما بها من لئس، وتنبع أسبابها كما فى النفس ؛ والتصدى لملازمة الخدمة الشريفة فى أبوابنا العالية ببابها ، والأخذ فى أدوات حفظها بجماع أطرافها دون التمسك بأهدابها ؛ والتجسس على من يلثم فيها جفنه بكرى وما أثقله مناما،

والزَّامِ كُلِّ وَاحِدٍ بِمَا يَلْزِمُهُ مِنَ الْوُظَائِفِ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ ، وَإِدْلَاجِهِ وَابْتِكَارِهِ ،
 وَمِنْ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْمَعْقِلِ إِشْرَافٌ مِنْ شُرُفَاتِهِ أَوْ تَسَوُّرٌ عَلَى أَسْوَارِهِ ، وَإِظْهَارُ الرَّهَجِ
 وَالصَّبِيَّةِ وَالسَّمْعَةِ بِالْإِهْتِمَامِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِزِفَافِ عَرُوسِهَا ، وَضَرْبِ الْحَرَسِ لِنَوَاقِيسِهَا ،
 وَالْإِعْلَانِ لِصَبَاحِ الْخَيْرِ لَنَا فِي صُبْحَاتِهَا وَالِدَعَاءِ الصَّالِحِ فِي تَغْلِيْسِهَا ، وَصِيَانَةِ مَا فِيهَا مِنْ
 حَوَاصِلٍ ، أَوْ يَصِلُ إِلَيْهَا مِنْ وَاصِلٍ ، وَمَا فِيهَا مِنْ ذَخَائِرٍ ، وَمَا فِي خَزَائِنِهَا الْعَالِيَةِ مِنْ
 مَدَدِ الْبَحْرِ الرَّاحِرِ ، وَمَا تُشْتَمَلُ عَلَيْهِ دَارُ الضَّرْبِ مِنْ أَمْوَالٍ تُضْرَبُ لِلِهَبَاتِ بَرَسِيمِنَا ،
 وَأَمْوَالِ النَّاسِ [التي] حُمِلَتْ إِلَيْهَا لِشُرْفِ تَقْوَدُهَا بِاسْمِنَا ، وَخَزَائِنِ السِّلَاحِ الْمَنْصُورَةِ
 وَمَا يُسْتَكْتَفَرُ فِيهَا مِنْ عَدَدٍ ، وَمَا يُسْتَعَزَّرُ مِنْ مَدَدٍ ، وَالْمَجَانِيْقُ الَّتِي تُحْطَرُ مِنْهَا كُلُّ
 خَطَّارَةٍ كَالْفَنِيْقِ ، وَتَضَعُدُ وَمَرْمَاهَا إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا تَحْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ
 فِي مَكَانٍ سَبِيْحٍ ، سَائِلَةٌ عَقَارِئُهَا ، آفَلَةٌ بِالْأَعْمَارِ كَوَاكِبُهَا ، وَالْحُدُوجُ وَالْقِسِيَّةُ
 وَالرَّايَاتُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ سِلَاحٍ ، أَوْ دُرُوعٍ تُرَدُّ السَّهَامَ عَلَى أَعْقَابِهَا وَتُحْنِي قَامَاتِ
 الْعَوَالِي وَتُضَيِّقُ صُدُورَ الصَّفَاحِ . وَالْبَحْرِيَّةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ رِجَالِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ الْمَحْرُوسَةِ
 مِنْ نَجْمِ آفَاقِهَا ، وَغِيُومِ إِرْعَادِهَا وَإِبْرَاقِهَا ، وَدِيَمِهَا إِذَا أَسْبَلَتِ الْمَسَالِمَةُ ذِيُولَهَا وَأَعْوَانِهَا
 إِذَا شَمَّرَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا . وَبَقِيَّةُ الْمُسْتَحْدِمِينَ وَأَرْبَابِ الصَّنَائِعِ الَّذِينَ هُمْ عِمَارَةُ
 أَوْطَانِهَا ، وَأَمَارَةُ الْعِنَايَةِ بِهَا مِنْ سُلْطَانِهَا ، فَكُلُّ ذَلِكَ مَذْخُورٌ لِمَنْفَعِ الْإِسْلَامِ ،
 وَمَا رِيَشُ السَّهْمِ لِأَنَّهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ يُرْمَى وَلَا طَبِيعَ السَّيْفِ لِأَنَّهُ فِي كُلِّ بَارِقَةٍ يُسَامُ ،
 فَاحْفَظْ لِأَوْقَاتِهَا تِلْكَ الْمَوَادِّ الْمَذْخُورَةَ ، وَاحْفَظْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالَ فَإِنَّهُمْ ظَهْرُ الْعَسَاكِرِ
 الْمَنْصُورَةِ ، وَخُذْ بِقُلُوبِهِمْ وَأَوْصِلْ إِلَيْهِمْ حُقُوقَهُمْ ، وَاجْمَعْ عَلَى طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ
 مُتَّفَرِّقَهُمْ وَأَكْرِمْ فَرِيْقَهُمْ ، وَمِنْهُمْ الْمَمَالِكُ السُّلْطَانِيَّةُ وَهُمْ إِخْوَانُكَ فِي وِلَايَتِنَا ، وَالَّذِينَ
 تَشْرِكُهُمْ فِي آلَائِنَا ، وَبِالْبَعْغِ فِي حِفْظِ الْمَعْتَقَلِينَ فِي سُبُجُونِهَا ، وَلَفِظِ الْمَعْتَقِدِينَ خِلَافًا
 فِي مَكْنُونِهَا ، وَنَحْنُ نُعِيدُهَا بِاللَّهِ أَنْ تَقُولَ : تَفَقَّدْنَا بِالْتَرْمِيمِ وَالْإِصْلَاحِ ، وَلَكِنَّا نَأْمُرُكَ

أن نتعهدا بما نتعهد من الزين الملاح ؛ ولك من معاضدة من في ذلك الإقليم ،
من لك برأيه طريق مستقيم ؛ ومن تراجع في أشكل عليك من الأمور ، وتجذب به
في طاعتنا الشريفة نوراً على نور ، وأتبع مرامينا المطاعة فهي شفاء لما في الصدور ؛
والوصايا كثيرة ، والله تعالى يجعلك على بصيره ، ويتولاك بما فيه حسن السيره ،
وصلاح السيريه ؛ والاعتماد



وهذه نسخة مرسوم شريف بناية قلعة دمشق المحروسة ، كتبت بها الحسام
الدين «لاجين الإبراهيمي» من إنشاء الشريف شهاب الدين ، رحمه الله ، وهي :
الحمد لله الذي صار الحُصُون بارتضاء الحُسام ، وزان الملك بارتضاء ذوى
البِقْظَةِ من الأولياء والأهتام ، وأبان سبيل السعادة لمن أحسن بفروض الطاعة
وأجمل القيام .

نحمده على أن جعل نعمنا لأصفيائنا وإفرة الأقسام ، ونشكره على أن أقبل عليهم
بأوجه إقبالنا الوسام ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لعقود
إخلاصنا انتظام ، ولسعود اختصاصها الثمام ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
الذي منحه الإجلال والإعظام ، ومدحه بالإفضال والإكرام ، ورَّجحه بمزايا الفضل
على جميع الأنام ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه بدور التمام ، ورَضِيَ عن أصحابه
الذين لهم صدقُ الاعتزام ، صلاة ورضواناً لها تجديدٌ ومزيدٌ وتأيدٌ ودوام ؛ وسلم
تسايماً كثيراً .

وبعد : فإن آلاءنا لا تزال تختار الأَكفاء ، وآراءنا لا تبرح تمنح ذوى المناصحة
الإصفاء ، ونعماءنا تُديمُ للملابس إجلالها على أولى الخدم الإفاضة والإضفاء ، وتبني
بوعود جودها لمن أدام لناهج المخالصة الافتناء .

ولما كان فلان هو الذى عُرفَ له فى مهماتنا خدَم سالفه ، وألفت منه هممةً
عليه خصته بكل عارفه ، وخولناه نعمنا الواكفه ، وأهلناه لاستحفاظ الحصون
فساعده توفّر التوفيق وساعفه ، ونقلناه فى الممالك فسار سيرة حميدة اقتضت لمواهبنا
لديه المضاعفه - اقتضى حسنُ الرأى الشريف أن نرزع محله بأعز القلاع ، ونظلمه
بأقنى سعدا أمين إطلاع ، وننذبه لضبطها فيحسن له فيها الاستقرار ويحمد منها له
الاستيداع .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت صدقاته تُحقق الأطلاع ، وهباته تُفيض
ملايسها التى ليس لها أتباع - أن يستقر فى نيابة قلعة دمشق ...

فليباشر النيابة بالقلعة المذكورة بأذلا الاجتهاد ، مواصلا للعزم والسداد ، عاملا
بالحزم فى كل إصدار وإيراد ، كافلا منها بحسن الاعتدال ؛ حافظا حواصلها من
الضياع ، مقررأ أحوالها على أجهل الأوضاع ؛ وليأخذ رجالها بالامتثال على الخدمة
والاجتماع ، وليحرضهم على المبادرة إلى المراسيم والإسراع ؛ وليطالع من أمورها
بما يتعين عليه لأبوابنا العالية فيه المطالعة ويحب لعلومنا الشريفة عليه الأطلاع ،
وليراجع كافل الممالك الشامية بما جعلنا لآرائه فيه الإرجاع ؛ وليكن له إلى إشارته
إصغاء واستماع ، وإلى سبيل هديه افتناء وأتباع ؛ وليقف عند ما يتقدم به إليه
فبذلك يحصل له الرشد والانتفاع ، والله تعالى يحدد عليه سوابغ نعمنا التى جادت
بأجناس وأنواع ؛ ويجزى فى نصرتنا حسامه الذى من بأسه الأعداء ترهب وترتاع ،
ويديم له ولجميع الأولياء من صدقات دولتنا الشريفة الإمتاع ؛ وانلخط الشريف
اعلاه ، حجة بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية نائب قلعة أوردها في "التعريف" :

وعليه بحفظ هذه القلعة التي زُفَّتْ إليه عقيلتها المُنَّعَه ، وجايت عليه سافرة ودونها
 السماء بالسحب مُنَّعَه ؛ وسأمت إليه مفايحها ، وخواتيم الثريا أفعال ، وأوقدت له
 مصابيحها ، وفنائل البروق لا تُسبُّ لِقْفَال . فليبدأ بعبارة ما دعت الحاجة إليه من
 تجديد أبنيتها ، وتشديد أقيمتها ؛ وشد عقودها ، وعدد مالا يحصى [في الذخائر] من
 نفودها ؛ وتبنيه أعين رجالها والكواكب قد همت برقودها [(٢)] ، والأخذ بقلوب من
 فيها ، وتدارك بقية ذماتهم وتلافيها ؛ وجمعهم على الطاعة ، وبذر الإحسان فيهم
 إذا عرفت أرضا تركو فيها الزراعة ، والتمادي لهم : قرب رجال تجزئ عن عدة سنين
 في ساعه ؛ وتخصين هذا الحصن المنيع بما يدتحرف حواصله ، ويستمد بعبارة البلاد
 المختصة به من وأصله ؛ وما يكون به من المجانيق التي لا ترقى عقاربها ، ولا توقي
 منها أقاربها ؛ ولا ترد لها مضارب ، ولا يكف من زباني زبانيها كل صارب ؛
 ولا يخطئ سهمها ، ولا يخفى بين النجوم تجها ؛ ولا يعرف ما في صندوقها [المقفل] ،
 من البلاء المرسل ، ولا ما في نخدها المشمر الساق من النشاط الذي لا يكسل ؛
 وغيرها من الرايات التي في غيرها لا تُسد ، ولسوى خيرها لا تُعقد ؛ وما يرمى فيها
 من السهام التي تشق قلب الصخر ، وتبكي خنساء كل فاقدة على صخر ؛ وكذلك قسي
 اليد التي لا يد بها ولا قبيل ، وكثائب السهام التي كم أصبح رجل وبه منها مثل
 الجبل ؛ وما يُصان من اللبوس ، ويعده للنعم والبوس ؛ وما يمد من الستائر التي

(١) الذي في "التعريف" «وقناديل» .

(٢) الزيادة من "التعريف" (ص ٩٥) .

(٣) في "التعريف" «من العدد والعدد والبوس» .

هي أسوار الأسوار ، ولعاصم عقائل المعاقل منها حتى سوى كل سوار ، وهي التي ثلاث لئمتها على مباسم الشرفات ، وتضرب حجبها على أعلى الغرفات ، وسوى هذا مما تعصم به شواخ الفلال ، ويتبوا به مقاعد للقتال ، فكل هذا حصه وحصنه ، وأحسبه وحسنه ، وأعد منه في الأمن لأوقات الشدائد ، وأجر فيه على شأو من تقدم وزد في العوائد ، وهكذا ما يدخر من عدد أرباب الصنائع ، ومدد التحصين المعروف بكثرة التجارب في الوقائع ، والأزواد والأقوات ، وما لا يزال يفكر في تحصيله لأجل بعض الأوقات ، وكن من هذا مستكثرا ، وله على ما سواه مؤثرا ، حتى لا تزال رجالك مطمئنة الخواطر ، طيبة القلوب ماعليها إلا السحب المواتر ، وأعمل بعادة القلاع في غلق أبواب هذه القلعة وفتحها ، وتفقد متجددات أحوالها في مساء كل ليلة وصبحها ، وإقامة الحرس ، وإدامة العسس ، والحذار ممن لعله يكون قد تسور أو اختلس ، وتعرف أخبار من جاورك من الأعداء حتى لا تزال على بصيره ، ولا تبرح تعد لكل أمر مضيره ، وأقم نوب الحمام التي قد لا تجد في بعض الأوقات سواء رسولا ، ولا تجد غيره مخبرا ولا سواه مستولا ، وطالع أبوابنا العالية بالأخبار ، وسارع إلى ما يرد عليك منها من ابتداء وجواب ، وصب فكرك كله إليها وإلى ما تضمنته من الصواب .

المرتبة الثانية

(من المراسيم التي تكتب بحاضرة دمشق لأرباب السيوف -

ما يكتب في قطع الثلث ، وفيها وظيفتان)

الأولى - شد الدواوين بدمشق . وصاحبها يتحدث فيما يتحدث فيه شاد

الدواوين بالديار المصرية ، وقد تقدم .

وهذه نسخة مرسوم شريف بشد الدواوين بدمشق :

الحمد لله الذي أرهف لمصالح دولتنا القاهرة من الأولياء ، سيقاً ماضياً ، وجرّد
لمهمات خدمتنا الشريفة من الأصفياء ، عَضْباً يَغْدُو المُلْكُ عن تَصْرِفِهِ الجميل رَاضِياً ،
وجدد السُّعُود في أيامنا الزاهرة لمن لا تَحْتَاجُ هِمُّهُ في عمارة البلاد المحروسة
مُتَقَاضِياً .

نحمده على نِعَمِهِ التي تستغرقُ المحامد ، وتستوجبُ الشُّكْرَ المستأنفَ على الخامد ؛
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً مُجَاهِدٍ لِأَعْدَائِهَا ، مُجَاهِرٍ لِإِعْلَانِهَا ؛
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرفُ الأنبياءِ قَدْرًا ، وأَوْطَمُ في الرتبة مكانةً وإن كان
آخَرَهُمْ عَصْرًا ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ نَهَضُوا بِمَا أُمِرُوا ، وَعَمَرُوا الَّذِينَ
قَبْلَ الدُّنْيَا فلم تتمكنِ الأيامُ من [نقض] ما عمروا ؛ صَلَاةً يَتَأَرْجُ نَشْرُهَا ، وَيَتَبَلَّجُ
بِشْرُهَا ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من عُدِّقَ به من مهماتنا الشريفة أعمها نفعاً ، وأحسنها في عمارة
البلاد وقفاً ، وأكثرها لخزائن الأموال تحصيلًا وجمعًا ؛ وأجمعها لمصالح الأعمال ،
وأضبطها لحواصل الممالك التي إذا أعد منها جبالاً تلا عليها لِسَانُ الإنفاقِ :
(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ) مَنْ زَانَتْ عَزَمَهُ نَزَاهَتُهُ ، وَكَلَّتْ قُوَّتَهُ فِي الْحَقِّ خِبْرَتُهُ
ونباهته ؛ وكان من أولياء دولتنا المعدنين لشد أركانها ، وإشادة بُيُنَانِهَا ؛ والنهوضِ
بمصالحها المتنوعة ، ونشرِ كلمةِ عدلِها التي تَغْدُو بالأدعية الصالحة مبسوطةً وبالأنبييةِ
العاطرةِ مُتَضَوِّعَةً .

ولما كان فلان هو الذي أُشِيرَ إِلَى مَحَاسِنِهِ ، وَنُبِّهَ عَلَى إِبْرِيذِ فَضْلِهِ الْمُظْهِرِ مِنْ
معادنه ؛ مع صَرَامَةِ تُخَيِّفُ اللُّبُوثَ ، وَنَزَاهَةِ تُعِينُ عَلَى عِمَارَةِ الْبِلَادِ الْغِيُوثَ ؛ وَخِبْرَةِ
بإظهارِ المصالح الخفيةِ وَفِيهِ ، وَبِإِبْرَازِ مَعَادِنِ الْأَمْوَالِ مِنْ وَجْهِهَا الْجَلِيَّةِ مَالِيهِ ؛

وَمَعْرِفَةٍ تَعْمُ الْبِلَادَ بَيْنَ الرِّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَتَجْعَلُ مَثَلُ مَا يُودَعُ فِيهَا بِالْبِرْكَاتِ وَالنَّمَاءِ مَثَلُ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةً - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نُذَبَّ عَلَى حَسَنِ آعْتِنَانَا بِأَمْرِهِ ، وَآعْتَادَنَا بِمَا قَدَّمَهُ مِنْ أَسْبَابِ إِسْنَاءِ رُتْبَتِهِ وَرَفْعَةِ قَدْرِهِ ؛ فَلذَلِكَ رَسْمٌ - زَادَ اللهُ فِي عِلَالَتِهِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ

فَلْيَبْشُرْ ذَلِكَ مُظْهِرًا مِنْ مَصَالِحِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ مَا كَانَ فِي صَمِيرِ كِفَايَتِهِ مَكْنُونًا ، مُبْرَزًا مِنْ تَثِيرِ الْأَمْوَالِ وَتَعْمِيرِ الْأَعْمَالِ مَا يَحَقُّ بِهِ : مِنْ خِصْبِ الْبِلَادِ بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى مَا كَانَ مَظْنُونًا ؛ مُوَالِيًا إِلَى الْخِزَانِ الْمَعْمُورَةِ مِنْ حُمُولِ تَدْيِيرِهِ مَا يُمَسِّى بِهِ طَائِرُ تَصَرُّفِهِ مِيمُونًا ، وَسَبَبُ تَوْقِفِهِ مَا مُونًا . وَلِيَكُنِ النَّظَرُ فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ هُوَ الْمِهْمُ الْمَقْدَمُ لَدَيْهِ ، وَالْأَمْرُ الَّذِي يَتَعَيَّنُ تَوْفُرُ أَهْتَامِهِ عَلَيْهِ ، فَلْيَجْتَهِدْ فِي ذَلِكَ آجْتِهَادًا يَظْهَرُ أَثْرُهُ ، وَيُخْتَنَى ثَمَرُهُ ، وَيُجَمَّدُ وَرْدُهُ وَصَدْرُهُ ؛ وَتُفْتَرَعُ عَنْهُ أَنْوَاعُ الْمَصَالِحِ ، وَتَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ أَسْبَابُ الْمَنَاجِحِ ؛ وَمِلَّاكَ ذَلِكَ بَسْطُ الْمَعْدِلَةِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ لِلْبِلَادِ مِنْ أَنْ تُمَطَّرَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَآعْتَادُ الرَّفْقِ الَّذِي لَا يَبْضُرُ مَعَهُ الْبَأْسُ قَوْمًا ، وَلَا يَجُوبُ عَلَى فَاعِلِهِ مَعَ الْحَزْمِ لَوْمًا ، وَلَا يَطْرُدُ عَمَّنْ أَنَامَهُ الْعَدْلُ فِي مِهَادِ الدَّعَةِ نَوْمًا ؛ وَلِيَصْرِفَ إِلَى آسْتِجْلَابِ الْأَمْوَالِ وَمُوَالَاتِهَا حَمْلًا هِمَّةً نَاهِضَةً ، وَعِزْمَةً إِلَى مَا قُرْبُ وَنَأَى مِنَ الْمَصَالِحِ رَاكِضَةً ، وَقُوَّةً بِأَسْبَابِ الْحَزْمِ آخِذَةً وَعَلَى آعِنَةِ التَّدْيِيرِ قَابِضَةً ؛ وَفِيهَا خَبْرَانُهُ مِنْ عِزَائِمِهِ الْمَشْكُورَةِ ، وَسِيرَتِهِ الَّتِي مَا بَرِحَتْ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ مَشْهُورَةٍ ؛ مَا يَكْتَفِي بِهِ عَنْ الْوَصَايَا الْمَوْكَّدَةِ ، وَيُوثِقُ بِهِ فِيمَا عُدِقَ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُسْتَدَّةِ ؛ لِيَكُنْ تَقْوَى اللهِ تَعَالَى أَوْلَى الْوَصَايَا وَأَوْفَىهَا ، وَأَحَقُّ مَا تَلِيَتْ عَلَيْهِ تَفَاصِيلُهَا وَجُمْلَتُهَا ؛ فَلْيَقْدِّمْ تَقْوَى اللهِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَجْعَلْهَا الْعُمْدَةَ فِيمَا آعْتَمَدَ فِيهِ عَلَيْهِ ؛ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ .

الوظيفة الثانية - شد المهّمات . وصاحبها يتحدّث فيما يُطلَب للأبواب السلطانية من المستعملات وغيرها . وقد ذكر في "التنقيف" أن عادته أن يكون مقدّم ألف .

وهذه نسخة توقيع بشد المهّمات بدمشق ، وهي :

الحمد لله الذي شدّ عرّا المصالح من الأولياء بكل ذى أيدٍ ، وكلّ من هو في المهّمات أبطش بعمرو من زيد ، ومن له تدير كم أغنى باقتناصه لشوارد الأمور عن جبالة صيد .

[وبعد^(١) فإن أحق من استخلص لاستخلاص الأموال ، وأختير لصونها من الاختلال وحفظها من الاختلال ، وأهل قلمه وكلمه : هذا للتمثيل وهذا للامثال ؛ وفوض إليه التصرف في الترغيب والترهيب ، والاجتهاد في التمييز والتحرير والتوفير إذ كل مجتهد مُصيب - من اشتهر بأنه ذو حزم لا يني ، وعزم عن المصالح لا يئنّي ، واحتفال بالأحوال التي منها نُكر لمن ينجي وشكر لمن ينجي ؛ وله نباهة يدرك بها كل إيهام وكل إيهام ، ويطلع [بها] على فلتات ألسنة الأقلام ، ويفهم بها مقاصد كل من هو من الحنة في كل وإديهيم ، ولا يخفى عليه جرأ الجرائد ولا مخازي المخازيم ؛ وفيه رحمة كم أصبح بها وهو الأتقى ، ولم يأت قساوة يكون بها هو المنبت الذي لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى ؛ وكم ساس الأمور ودبرها فأحسن فيها السياسة وأجمل التدبير ، واستخرج [الشيء الكثير] بالتخويف اليسير ؛ حتى جمع حسن تدبير واسترعا ، وصنع حسناً وأحسن صنعا .

(١) زدنا هذه اللفظة للزومها واستقامة الكلام بها . فنبه .

ولما كان فلان هو لهذا الأمر الجليل المُستَرعى، واسمه في أول مدارج التنويه والتنويل خير مُستدعى؛ وفيه من جميل الأوصاف ما يرضى حسن الاقتراح وقد خبر أمور الكتبة، وقد علم من أحوالهم ما هو أحرى لهم بالتجربة؛ وعرف خفايا المعاملات معرفة تامه، وأحاط بجزئيات الجهات وكلياتها إحاطة خاصة وعامة - آقتضى حُسن الرأي المُنيف، أن رسم بالأمر الشريف - لا برح يشد عضد كل مُهم من الأولياء بأخي كل عزم، ويجعل له سلطاناً لا يكفل مصلحة إلى حزم ذى حزم - أن يفوض إليه شد المهام بالشام المحروس .

فليضبط الأمور ضبطاً مستوعباً، ولينتصب لذلك آتصافاً مترتباً، وليحترز مُنفذاً ومُصرفاً، ومُسرعاً ومُسْتَوْقفاً؛ ومتى ظهر حق يتمسك به تمسك الغريم، ولا يُجاب فيه ذأ بأيس قوى ولا ذأ منهُج إلى المنع والدفع غير قويم؛ وما من جهة إلا ولها شروط صوب الصواب، ولا يعتمد على غير الحق منجماً عن ترويح الكُتاب؛ ولتكن الجمول مسيره، والمتخرجات متوفره؛ وجهات الخاص مقرره، إذ الضمان لا ينتظر لهم نظرة إلى ميسره؛ فإنهم سوس المعاملات، وكواسر الجهات؛ ومنهم يُحفظ أو يُضاع، وبهم يترقى أو يتحط الأرتفاع؛ وجهات المُقطعين الواجب له أن يجعل عليها واقية باقيه، ولتحم لهم حتى لا يتناول إلى ذروتها أمتداد الأيدي المخترلة ولا خطأ العدوان الراقية؛ وليصرف وجهه بحفظه إلى مراقبة من في باب الشد من مُقدمين ومن رُسُل ياكلون أموال الناس بالباطل، ويبيعون الآجل بالعاجل؛ ويُخيفون العام والخاص، وكل منهم يروم الغناء وهو رقاص .

هذه زُبدة من الوصايا مُقنعه، وعزومات غنية عن تكثير في القول أو توسعه؛ والله تعالى يكون له ويعينه، بمنه وكرمه، إن شاء الله تعالى .

الصنف الثاني

(من الوظائف بدمشق الوظائف الدينية ، وجميع ما يكتب
فيها توافيع ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع النصف بـ «المجلس العالی بالباء» مفتتحا بـ «الحمد لله»)

وبذلك يكتب للقضاة الأربعة بحاضرة دمشق .

وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الشافعية بدمشق المحروسة ، كتب به لقاضي
القضاة «بهاء الدين أبي البقاء السبكي» وهي :

الحمد لله الذي أقر أحكام الشرع الشريف ، في أيامنا الزاهرة على أكل القواعد ،
وأمر مدار الحكم المنيف ، في دولتنا القاهرة على أجمل العوائد ، وأمضى فصل
القضاء في ممالك الشامية بيد إمام غيت فضائله عن الشواهد ، وأتمه الأئمة
لاقتباس الفوائد ، وعدت أحكام الملة منه مجاهر في الحق مجاهد ، مسدد في الدين
سهم أجهاد رمي به شاكلة الصواب عن أثبت يد وأشد ساعد .

نحمده على نعيمه التي حلت مناصب الدين في ممالكنا الشريفة بأكفائها ، وعلت
رتب العلم في دولتنا القاهرة بأستقرار من جعلته فضائله غاية اختيارها ونهاية
أصطفائها ، ودلت على اعتنائنا بتنفيذ أحكام من أتعبت سيرته الجميلة من سهد
في اتباعها وجهد في اقتنائها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
لا تزال أعلامنا بها تنصر ، وأيامنا على الجهاد لتكون كلمتها هي العليا تقتصر ،
وأفلامنا لنشر دعوتها في الآفاق تسهب ولا توجر وتطنب ولا تختصر ، ونشهد أن
مهدا عبده ورسوله أشرف من قضت أمته بالحق فعدلت ، وتلقت عنه أحكام ملته

فَفَاقَتْ بِذَلِكَ الْأُمَّمَ وَفَضَلَتْ ، وَحَكَتْ بِمَا أَرَاهَا اللَّهُ مِنْ شِرْعِيهِ فَمَا مَالَتْ عَنْ
سَنَنِهِ الْقَوِيمِ وَلَا عَدَلَتْ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّهِ فَسَلِمُوا ،
وَعَمِلُوا فِي دِينِ اللَّهِ بِمَا عَلِمُوا ، وَبَدَّلُوا النُّفُوسَ فِي طَاعَتِهِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِمَا أَصَابَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا الْمَوَا ؛ صَلَاةٌ تُؤَدِّي بِهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ الْمُفْتَرَضِ ، وَنُزُغٌ بِإِقَامَتِهَا الَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ؛ وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنْ أَوْلَى مِنْ تَنَقُّلٍ فِي رُبَيْهِ السَّنِيهِ ، وَوُطِّدَتْ لَهُ بِمِصْرَ وَالشَّامِ قَوَاعِدُ
سِيرَتِهِ السَّرِيهِ ؛ وَأَطْلَقَتْ جِيَادَ الْبِرَاعَةِ فِي إِمْضَاءِ حِكْمِهِ فِي الْمَمْلَكَتَيْنِ مَشَانِي أَعْتَبَهَا ،
وَأَطَقَتْ صِعَادَ الْبِرَاعَةِ فِي إِعْلَاءِ بَهَائِهِ فِيهِمَا [السنّة] أَسْتَبَهَا ؛ وَأَرَدْنَا أَنْ نُرُدَّهُ إِلَى أَعَزِّ
الْمَمَالِكِ عَلَيْنَا لِنُقَرَّرَ عَيْتَهَا ، وَقَصَدْنَا أَنْ نُعِيدَهُ إِلَى رُبَيْتِهِ بِهَا لِنُوقِفَ بِاسْتِعَادَتِهِ دِينَهَا ؛ وَأَخْتَرْنَا
أَنْ نَجِدَّ لَهُذِهِ الْوِظِيْفَةَ سَالِفَ عَهْدِهِ ، وَأَنْ نُرِيَهُ آعْتِنَاءَنَا بِأَمْرِ مَنْصِبِهِ الَّذِي لَمْ يَلِهِ
مِثْلُهُ مِنَ الْأُمَّمَةِ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَعَلِمْنَا أَنَّ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ قَدْ آخْتَصَتْ بِفَضَائِلِهِ زَمَنًا
طَوِيلًا ، وَأَنَّ الْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ قَدْ أَلْقَتْ مِنْ أَحْكَامِهِ مَا لَمْ تُرِدْ بِهِ بَدِيلًا - مِنْ ظَهَرَتْ
فَضَائِلُهُ ظُهُورَ نَعْتِهِ ، وَتَهَادَتْ قَوَائِدُهُ رِفَاقَ الْآفَاقِ ؛ مِنْ عُلَمَاءِ زَمَانِهِ وَأُمَّةِ وَقْتِهِ ،
وَعَلِمَتْ أَوْصَافَ الصُّدُورِ الْأَوْبِ مِنْ عِلْمِهِ وَوَرَعِهِ وَسَمْتِهِ ؛ وَنَشَرَتْ الْأَيَّامُ مِنْ عُلُومِهِ
مَا لَمْ يُطَوِّبْ لِنُطَوِّي إِلَيْهِ الْمَرَا حِلَّ ، وَنَقَلَتْ الْأَقْلَامُ مِنْ فُنُونِهِ مَا يُرَوِي فَيَرَوِي بِهِ
السَّمْعَ الظَّامِي وَيَخْصِبُ بِهِ الْفِكْرَ الْمَا حِلَّ ؛ وَأَلْقَتْ الْأَقَالِمُ مِنْ حُكْمِهِ مَا غَدَتْ بِهِ بَيْنَ
مَسْرُورٍ بِإِشْرَاقِهِ ، وَمُرْوَجٍ بِفِرَاقِهِ ، فَمِنْ أَفْضِيَّةِ مُسَدَّدِهِ ، وَأَحْكَامِ مُؤَيَّدِهِ ؛ وَأَقْوَالِ
مَزَّهِيَّةِ عَنِ الْهَوَى ، وَأَحْوَالِ صَادِرَةٍ عَنْ زَهَادَةِ مُحْكَمَةِ الْقَوَاعِدِ وَنَزَاهَةِ مُجْتَمَعَةِ الْقَوَى ؛
وَإِصَابَةِ دَالِيَةٍ عَلَى مَا وَرَاءَهَا مِنْ عِلْمٍ وَوَرَعٍ ، وَإِجَابَةِ فِي الْحَقِّ تَحْيَا بِهَا السُّنُنُ وَتَمُوتُ
الِدَعُ ، وَشِدَّةِ فِي الدِّينِ تَصَدُّعُ فِي كُلِّ حُكْمٍ بِالْحَقِّ وَإِنْ صَدَعَ ؛ وَعَطِلٍ لَا يُسْتَلَانُ

جَانِبُهُ ، وَحَزْمٌ لَا يُسْتَزَلُّ صَاحِبُهُ ، وَلَا يُسْتَنْزَلُ رَأْيُهُ ، وَفُؤَةٌ فِي الْحَقِّ تَمْنَعُ الْمُبْطِلَ مِنَ
الإِقْدَامِ عَلَيْهِ ، وَلِيْنٌ فِي اللَّهِ يُفْسِحُ لِلْحَقِّ بِجَمَالِ الْقَوْلِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَبِجَالَسِ غَدَّتْ بِالْعِلْمِ
طَيِّبَةَ الأَرْجِ ، وَفَضَائِلَ يُحَدِّثُ فِيهَا عَنْ مَوَادِّ فِكْرِهِ عَنِ البَحْرِ وَلَا حَرَجَ ، وَبِدَائِعِ
تُضْرَبُ إِلَى اسْتِمَاعِهَا أُجْبَادُ الإِيْلِ ، وَبِدَائِهِ تَهْرُمُ الأَيَامُ وَعُمُرُ شَبَابِهَا مُقْتَبِلٌ .

ولما كان المجلس العالى - أدام الله نعمته - هو الذى ورد على أبوابنا العالية ونور
ولائه يسعى بين يديه ، وصدر الآن عنها وحل الآثنا تَضْفُو عَلَيْهِ ؛ وأقام فى خدمتنا
الشريفة معدودا فى أكرم من بها قطن ، وعاد إلى الشام مجموعا له بين مضاعفة النعم
والعود إلى الوطن . وهو الذى تختال به المناقب ، وتختار فضله العواقب ؛ ويشرق
قلمه بالفتاوى إشراق النهار ، وتغدق منافعُه إغداق السحب بالأمطار ، وتُحْدِقُ
الطَّبَسَةُ بِهِ إِحْدَاقَ الكِيَامَةِ بالثمرِ والهالات بالأقمار ، وهو شافى عي كل شافعى ،
ودواء ألم كل ألمعى ؛ طالما جانب جنبه المضاجع سهادا ، وقطع الليل ثم استمده
لمدد فتاويه مدادا ؛ وجمع بين المذهبيين نظرا وتقليدا ، والمذهبيين من القولين قديما
وجديدا ؛ وسلك جميع الطرق إلى مذهب إمامه ، وملك حسانها فأسفر له كل وجه
تغطى من أوراق الكتب يلثامه ؛ وانفتحت بفهمه للتصانيف أبواب شغلت
«القفال» أفعالها ، وتفتح [له] نفتح ما «للاوردى» مثالها ، ومنحت حلا يفخر
«الغزالي» إذا نسج على منواله سر بالها ؛ فلو أدركه «الرافعى» لشرح «الوجيز» من
لفظه ، وأملى أحكام المذاهب من حفظه ؛ وصدر المسائل بأقواله ، وأعد لكل
سؤال وارد حجة من بحثه وبرهانا من جداله ؛ فله فى العلم المرتقى الذى لا يدرك ،
والمنتهى الذى لا ينزع فى تفرده ولا يشرك ، والغاية التى أحرزها دون غيره فلولا
المشقة لم تترك ؛ وهو الذى ما زال بهذه الرتبة مليا ، وبما عدى بذمته من أحكامها

وَفِيَا، وَبِكُلِّ مَا يُرِضِي الْخَلِيقَةَ عَنْهُ مِنْ أَحْوَالِهَا قَانِمًا وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا، وَبِأَعْبَائِهَا مُسْتَقِلًّا مِنْ حِينَ مَنْحِهِ اللَّهُ الْعِلْمَ نَاشِئًا وَأَتَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا . وَمَا بَرِحَ تَدْعُوهُ التَّقْوَى فُجِيئَهَا، وَيَتْرَكَ مَا لَا يُرِيْبُ نَفْسَهُ تَزْيِيمًا عَمَّا يُرِيْبُهَا، فَكَمَّ بَحْرًا بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ مِنْ عَلَيْهِ عُيُونًا، وَغَرَسَ بِهَا مِنْ أَفْنَانِ فَضْلِهِ فُنُونًا؛ وَكَانَ لَهَا خَيْرٌ جَارٍ تَرَكَ لَهَا مَسَاوَاهَا، وَأَكْرَمَ نَزِيلِ نَوَى بِالْوَصُولِ إِلَيْهَا مَصْلَحَةَ دِينِهِ فَلَمْ يُضَيِّعِ اللَّهُ لَهُ نَيْتَهُ الَّتِي نَوَّاهَا، وَأَلْفَ قَوَاعِدَ أَهْلِهَا وَعَوَائِدَهُمْ، وَعَرَفَ بِحُسْنِ أَطْلَاعِهِ مَا جَبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَائِبَهُمْ وَشَاهَدَهُمْ؛ وَعَدَّوهُ مِنَ النِّعَمِ الْمَقْبُولَةِ عَلَيْهِمْ، وَأَقْتَدَوْا فِي مَحَبَّتِهِ بِالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ؛ ثُمَّ قَدِمَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَمَا كَانَ قُدُومُهُ إِلَّا عَلَيْنَا، وَوَفَدَ إِلَيْهَا بِحُسْنِ مَوَدَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِ اللَّتَيْنِ مَا وَفَدَ بِهِمَا إِلَّا إِلَيْنَا؛ فَوَأْنَسْنَا مِنْهُ إِمَامًا لَا يُحْكَمُ فِي تَوَلِيَّتِهِ الْحُكْمَ بِالْهَوَى، وَلَا يُنَوَى فِي تَقْلِيدِهِ الْقَضَاءَ غَيْرُ مَصْلَحَةِ الْمَسَالِمِينَ « وَلِكُلِّ أَمْرِيٍّ مَا نَوَى »؛ وَهُوَ - بِحَمْدِ اللَّهِ - لَمْ يَزَلْ بِقَوَاعِدِ هَذَا الْمَنْصِبِ خَيْرِيًّا، وَبِعَوَائِدِ هَذِهِ الرِّتْبَةِ بَصِيرًا، وَبِإِجْرَائِهَا عَلَى أَكْمَلِ السُّنَنِ وَأَوْضَحِ السُّنَنِ جَدِيرًا، وَبِإِمْرَاءِ حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي يُحَقِّقُ إِجْحَادَ الْحَقِّ فِيهِ لِلْأُمَّةِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾؛ مَعَ مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ فُضَائِلُهُ مِنَ الْوُقُوفِ مَعَ الْحَقِّ الْمُبِينِ، وَالتَّحَلِّيِ بِالْوَرَعِ الْمَتِينِ، وَالتَّخَلِّيِ لِلْعِبَادَةِ الَّتِي أَصْبَحَ مِنْ أَنْصَفِهَا مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

فَلذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْأَشْرَفِيِّ النَّاصِرِيِّ - لِأَزَالِ عِلْمِ الْعِلْمِ فِي أَيَّامِهِ مَرْفُوعًا، وَالْمُ الْجَهْلِ بِمَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ دَوْلَتَهُ مِنَ الْأُمَّةِ الْأَعْلَامِ مَدْفُوعًا - أَنْ يَفُوضَ إِلَى الْمَشَارِ إِلَيْهِ قَضَاءَ الْقَضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ، وَنَظَرَ الْأَوْقَافِ بِدَمَشَقِ الْمَحْرُوسَةِ وَأَعْمَالِهَا بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ، وَمَا هُوَ مُضَافٌ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالتَّنَادِيرِ وَالصَّدَقَاتِ وَالتَّنَادِيرِ وَالتَّنَادِيرِ وَالتَّنَادِيرِ، عَلَى عَادَةِ مَنْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ وَقَاعَدَتِهِ وَمَعْلُومِهِ .

فَلْيَقَابِلْ هَذَا التَّقْلِيدَ السَّعِيدَ بِيَدِ زَيْدٍ فِي الْحَقِّ تَمَكُّنُهَا ، وَعَلَى الْخَيْرِ تَمَرُّنُهَا ، وَفِي الْعَدْلِ
 أَنْبَسَاطُهَا ، وَفِي أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى بِحَسَنِ الْمَعَاوِدَةِ عَلَى الْحَقِّ قُوَّتُهَا وَأَحْتِيَاطُهَا ، وَيَمِضُ
 عَلَى مَا أَلْفَ مِنْ سِيرَتِهِ الَّتِي زَانَ الْعِلْمُ أَوْصَافَهَا ، وَزَانَ الْوَرَعُ أَتَّصَافَهَا ، وَحَلَّى الْعَدْلُ
 مَفَاخِرَهَا ، وَأَحْيَا الثَّقَى مَآثِرَهَا ، وَتَنَاقَلَتْ رِفَاقُ الْآفَاقِ أَحْكَامَهَا ، وَأَسْتَصَحَبَتْ مِنْ
 هُدَايَا هُدَايَا مَا تُخْفُفُ بِهِ حُكْمَهَا ، وَفِيهَا نُعْتٌ مِنْ مَحَاسِنِهِ مَا يُغْنِي عَنِ الْوَصَايَا الْمَجْدَدَةِ ،
 وَالْإِشَارَاتِ الْمُرَدَّدَةِ ؛ لَكِنِ الذِّكْرُ بِتَقْوَى اللَّهِ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَرْفَعُ الْمُتَّقِينَ ، وَتَجْمَعُ
 مَصَالِحَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ فَلْيَجْعَلْهَا خُلُقَهُ مَا اسْتَطَاعَ ، وَلْيَرَحِّمْهَا هُوَ الْحُكْمُ الْمَتَّبِعُ
 وَأَمْرُهَا هُوَ الْأَمْرُ الْمَطَاعُ ، وَالْإِعْتِمَادُ رَابِعُ عَشَرَ الْمَحْرَمِ سَنَةِ
 خَمْسِ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

قلتُ : ولم أقف على تفويض لقاضٍ من كتابة من تقدم سوى تفويض واحد ،
 من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، كتبه لقاضي القضاة «شهاب الدين بن المحجد
 عبد الله» بالشام المحروس ، على مذهب الإمام الشافعي . وهذه نسخته :

الحمد لله على التمسك بشرائعه ، والتنسك بذراريه ، والتوسل إلى الله بتأييد أحكام
 شارعه ، والتوصل به إلى دين يقطع به من الباطل أعناق مطامعه .

نحمده حمدا يأخذ من الخير يجامعه ، ويضاهي الغمام في عموم منافعِهِ ، ويباهي
 السيف بقلم الشرع في قهر عاصيه وحماية طائعه . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
 لا شريك له شهادة تؤدي للإيمان أمانة ودائعه ، وتهدى إلى صيانة مَشَارِعِهِ ، وتقيم
 من العلماء كُلَّ شهابٍ تُقْسِمُ الْأَنْوَارُ بِلَوَائِعِهِ ، وَتُقْسِمُ الْأَبْصَارُ بِبَدَائِعِهِ ، وَتَجُولُ
 الْفَتَاوَى فِي صَدْرِهِ الْفَسِيحِ وَتَجُولُ فِي شَوَارِعِهِ ، وَتُرْهِفُ مِنْهُمْ لِلْحُكْمِ الْعَزِيزِ كُلَّ قَلَمٍ
 يَدُلُّ السُّهْمَ عَلَى مَوَاقِعِهِ ، وَيُنْبَسِ الرُّخْ مِنْ مَقَاتِلِ الْأَعْدَاءِ عَلَى مَوَاضِعِهِ ، وَيَسْتَرِي

عَمَّامُهُ إِلَى الْأَعْدَاءِ بِصَوَاعِقِهِ وَإِلَى الْأَوْلِيَاءِ بِهَوَامِعِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ
وَرَسُولَهُ الَّذِي أَسْعَدَ الْأُمَّةَ بِطَالِعِهِ ، وَأَضْعَدَ الْأُمَّةَ فِي مَطَالِعِهِ ، وَأَسْعَفَ الْمِلَّةَ بِمَا
أَبْقَى اللَّهُ فِيهَا مِنْ حَسَنِ صَنَائِعِهِ وَبَيْنَ طَلَائِعِهِ ، وَمَنْ شَرِيعَتُهُ الَّتِي أَمِنَ حَبْلِهَا الْمُدُودُ
مَنْ جَذَبَ قَاطِعَهُ ، وَكَفَى شَرَّ قَاطِعِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً [تَتَوَالَى
إِلَيْهِ تَوَالِي] الْعَذْبِ إِلَى مَنَابِعِهِ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَقَامَنَا لِحِمَايَةِ شَرِّهِ الشَّرِيفَ أَنْ يُسْتَبَاحَ حِمَاهُ ، أَوْ يُبَاحَ لِأَحَدٍ
مِنْ حُكَّامِهِ أَنْ يَرْكَبَ هَوَاهُ ، أَوْ يَتَعَدَّى حُدُودَهُ فِي سُخْطِهِ أَوْ رِضَاهُ ، أَوْ يُخْدِتَ فِي أَمْرِهِ
مَا لَيْسَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَدًّا عَلَى سِوَاهُ - [جَعَلْنَا] نُجِدُّ عَلَى إِقَامَةِ مَنَارِهِ أَنْ يُطَمَسَ ؛
وَإِدَامَةَ مَبَازِهِ أَنْ يُقْلَعَ مَنَارُهَا أَوْ يُخْسَ ؛ أَسْتَدَامَةَ لِنَأْبِسَ حُكَّامِهِ ، وَتَأْيِيدَ أَحْكَامِهِ ؛
لِأَنَّهُ سَخَّابُ أَنْوَاءٍ يَعْزَمُ الرَّبِيعَ رَبُوعَهَا ، وَمِشْكَاتُ أَنْوَارٍ يَكَاثِرُ الصَّبَاحَ لَمُوعَهَا ، وَأَفَاقِيُ
وَفَاقِيُ تُنِيمُ بِهِ الْأُمَّةَ ضُرُوعَهَا ، وَشَجَرَةَ مَبَارَكَةِ إِسْلَامِيَّةٍ زَكَّتْ أَصُولُهَا وَنَمَتْ فُرُوعُهَا ؛
شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى مَا خَصَّنَا بِهِ : مِنْ تَحْصِينِ مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ ، وَتَحْسِينِ مَسَالِكِ دَارِ السَّلَامِ ؛
لِنَمْنَعَنَّ الْحَنَّ أَنْ تُسَامَ ، وَبُرُوقَ الْفِتَنِ أَنْ تُسَامَ ، وَوُجُوهَ الْفِتَوَى أَنْ تَتَرَنَّ إِلَّا بِسَامَةِ
الشَّامِ ؛ غِبْطَةً بِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلْإِسْلَامِ مِنْهَا مَا هُوَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ، وَأَشْرَفُ وَأَتْقَى ، وَأَعْظَمُ
بَلَدٍ نَشَعَبُ بِالْمَذَاهِبِ طُرُقًا ، وَتَوَدُّ الْحَجْرَةَ لَوْ وَقَفَتْ بِهَا عَلَى الشَّرِيعَةِ نَسَقًا . تَتَرَاخَمُ
فِي مَرْكَبِهَا الْأَعْلَامُ ، وَتَتَضَافَرُ عَلَى الْجِهَادِ فِي اللَّهِ بِالْجِلْدِ وَالْجِدَالِ تَارَةً بِالسِّيُوفِ
وَتَارَةً بِالْأَقْلَامِ . وَدِمَشْقُ حَرَمِهَا اللَّهُ هِيَ أُمُّ ذَلِكَ الْإِقْلِيمِ ، وَمَدَدُهُ الَّذِي يَحْنُو عَلَى
مَشَارِعِهَا حُنُوُ الْوَالِدَةِ عَلَى الْفَطِيمِ ، وَتَبَّتْ بِهَا فَوَائِدُ لَا تَأْمَنُ مَعَهَا الْغَوَانِي حَتَّى
تَلْمِيسُ «جَانِبِ الْعَقْدِ النَّظِيمِ» ؛ وَهِيَ دَارُ الْعِلْمِ ، وَمَدَارُ الْحُكْمِ ، وَمَوْطِنُ عُلَمَاءِ تَتَعَاقَبُ

فيها كواكبهم ، وَتَتَنَوَّبُ سَخَائِبُهُمْ ؛ وَتَتَنَاهَى إِلَى حِكْمِهَا الْعَزِيزِ الشُّكُورَى ، وَتَتَفَصَّلُ بِحُكْمِ حَاكِمِهَا الدَّعْوَى ، وَيَتَنَدُّ جَنَاحُ طَيْلِسَانِهِ عَلَى رَضْوَى ، وَيُحَلِّقُ الْبَرْقُ وَرَاءَ فَهْمِهِ وَلَا يَبْلُغُ غَايَتَهُ التُّصْوَى ؛ وَيَطْوُلُ قَامُهُ عَلَى السَّيْفِ الْمَشْهُرِ ، وَيُرْفِقُ سِجْلُهُ عَلَى الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ ؛ كَمْ حَلَّتْ فِي صُدُورِهِ صُدُورٌ ، وَكَمْ طَلَعَتْ مِنْهُمْ شُمُوسٌ وَبُدُورٌ ، وَكَمْ حَمِدَتْ مِنْهُمْ أُمُورٌ عَاقِبَةٌ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ؛ كَمْ آدَاءٌ دَرَسَ بِهِمْ ذِكْرٌ ، وَكَمْ آدَبٌ تَقَيَسَ شِكْرٌ ؛ كَمْ بِهِمْ مَجْدٌ رَسَّخَ ، وَجَدُّ مِلَّةٌ مَمَالَاةٌ نَسَخَ ؛ كَمْ أَقْضِيَةٌ لَمْ بِالْحَقِّ وَصَلَتْ ، وَقَضِيَةٌ لِلْحَقِّ فَصَلَتْ ، وَمَهْنَةٌ مِنْ غَلْمِهِمُ الْآلِاحِقِ حَصَلَتْ ؛ كَمْ سِجْلٌ صَاحِبُ هَذَا الْمَنْصِبِ حَامِلٌ عَلَيْهِ الْمَنْشُورُ ، وَمَصْبَاحٌ دِيمِهِ الْخَافِلَةُ عَلَى مِزِ الدُّهُورِ ؛ بِشَرَفِ مُدْرَسِ عِلْمِهِ يَطْلُعُ مِنْ مَحْرَابِهِ ، وَنَسَاكُ حِلْمٍ يَبْدُو بَدْرُهُ التَّمَامُ خَلْفَ سَمَابِهِ ؛ وَبِمَجْلِسِ إِفَادَةٍ ، أُنْعَقَدُ عَلَيْهِ فِيهِ الْإِجْمَاعُ ، وَبِمَحْفَلِ سَادَةٍ ، كَانَ فِيهِمْ وَأَسْطَةَ عَقْدِ الْاجْتِمَاعِ .

[ولما] تزلزلت قدم منابره ، وأتتهك حجاب صنابره ؛ وأسترته الشيطان بكيده المتين ، وأضله على علمه المبين ؛ وسبق القلم الشرعي ، بما هو كائن ، ومضى الحكم القطعي ، بما هو من تصرفه بائن - تردد الاختيار الشريف فيمن نحى جيده بتقليدها ، ونوهل يراعته لتسليم مقاليدها ؛ وصوبنا صواب النظر فيها مضرا وشاما ، وأستشرفنا أعلاما ، وتيقنا لأقوى ما يكون [لها] قواما ؛ وابتكرنا أنه لا يصلح إلا من كان لحيلة المحيد طرازا ، ويزيد العمل إليه اعتراء والعلم به اعتراضا ؛ إلى أن أجمع رأينا العالی على من لا ينكر ذو قدم ولا قدم ولا قلم ، أنه السابق ؛ ولا يجحد رب علم ولا عمل ولا علم ، أنه الباسق . ولا يسك أن من فوائده يستمد المطر ومن توقد ذهنه يقدح زناد البارق ، ولا يرتاب البحر أن فرائده ما يطوق العنق ويسنف الأذن ويتوج المقارق ؛ ولا يمارى في فضله الذي لو طلب له مثيل لم يصب ، ولو ادعى الكوكب السارى أنه له شبيهه لمسه النصب ، أو تلفت أعناق القنا إلى قامه لا يقنت أنها كل على القصب ؛

وهو الذى أفنى عمره فى تحصيل العلم اشتغالا ، وجدّ فى الطلّب لصالح العمل وإن تعالَى ؛ وبقى فقيه قوم ماجد منهم مثله ماجد ، ولا جادت يد كريم منهم تمتد بما هو جائد ؛ ودرج أقرانه إلى الله وخلى دونهم شرعا لا يردّ واردا ، وخلف بعدهم سهما فى الكفاة واحدا .

وكان المجلس العالى - أدام الله تأييده - هو الذى تختال به المناقب ، وتختار فضائله العواقب ؛ وشرق بقلمه الفتاوى إشرقا النهار ، وتغدق منافعه إغداق السحب بالأمطار ، وتُحْدِقُ به الطلبة إحداق الكفاة بالثمر والمالات بالأقمار ؛ وهو شافى عي كل شافى ، ودواء ألم كل ألمعى ؛ طالما جانب جنبه المضاجع سهادا ، وقطع الليل ثم استمه لمدد فتاويه مدادا ؛ وجمع بين المذهبين نظرا وتقليدا ، والمذهبيين من القولين قديما وجديدا ؛ وسلك جميع الطرق إلى مذهب إمامه ، وملك حسنها فأسفر له [كل] وجه تغطى من أوراق الكتب بلثامه ؛ وفتحت [بفهمه] للتصانيف أبواب شغلت « القفال » أفعالها ، وفتحت له نفتحات ما « للآوردى » مثالها ، وسفحت ديم غزار يسقى « المزنى » سبحانها ، ومنحت حللا يفخر « الغزالي » إذا نسج على منواله سربالها .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال يحدّد ملبس فضله ، ويقلد كل عمل لصالح أهله - أن يفوض إليه قضاء الشافعية بدمشق المحروسة وأعمالها وجنودها وضواحيها ، وسائر الممالك الشامية المضافة إليها والمنسوبة لها والمحسوبة فيها ؛ يولى ذلك ولاية صحيحة شرعية ؛ على عادة من تقدمه وقاعدته المرعية ؛ مع ما هو مضاف إلى من كان قبله من تدريس المدارس ، تفويضا لا يئأفسه فيه مناس ، ولا يجالسه فى درسه إلا من ارتضى من النجوم ان يجالس ؛ وأذنا له أن يستندب عنه من

لا يَحْجُلُ عند الله ولا عِنْدَنَا بِاسْتِنَابَتِهِ، ولا يُدَاخِلُهُ ظَنُّ في خَلَاصِ ذِمَّتِهِ بِإِنَابَتِهِ إِلَى الله في نِيَابَتِهِ؛ عَلَى أَنَّهُ يَتَفَقَدُ أَعْمَالَهُمْ، وَيَتَصَفَّحُ أَحْوَالَهُمْ: فَمَنْ نَقَلَ إِلَيْهِ تِقَاتَهُ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمِ أَقْرَهُ، وَإِلَّا صَرَفَهُ ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُ إِلَى عَمَلِهِ كَرَهُ؛ وَهُوَ الْقَائِمُ بِحُجَّةِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَحُجَّةِ الله عَلَيْهِ قَائِمُهُ، وَعَلَيْهِ إِنْ قَصَرَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فِي أُمُورِهِ تَعُودُ اللَّائِمَةُ؛ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّمَا كُنَّا نَعْرِفُكَ عِيَانًا، وَإِنَّمَا وُصِفْتَ لَنَا حَتَّى كَأَنَّا نَرَاكَ وَسَمِعْتَ بِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ حَتَّى كَأَنَّكَ تَرَانَا؛ فَشَيْدَ لِمَنْ شَيْدَ لَكَ شُكْرُهُمْ أَرْكَانًا، وَأَعْلَى ذِكْرُهُمْ لِمَجْدِكَ بِنِيَانًا، وَجَعَلَ لَكَ قَدْرُهُمُ الْجَمِيلُ مِنَّا سُلْطَانًا؛ وَأَقِمْ بِحُسْنِ سُلُوكِكَ عَلَى مَا قَالُوا فِيكَ بُرْهَانًا؛ وَأَعْرِفْ لَهُمْ حَقَّ مَعْرِوفِهِمْ وَجَازِيَهُمْ عَنِ حُسْنِ ظَنِّهِمْ بِالْحَسَنَاتِ إِحْسَانًا .

وَنَحْنُ نُوصِيكَ بِوَصَايَا تَشْهَدُ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْكَ بِبَلَاغِهَا، وَيَعْتَرِضُ مِنْهَا فِي الْخُلُوقِ شَجَابًا: فَأَيُّ الرِّجَالِ يَقْدِرُ عَلَى مَسَاغِيهَا؛ فَإِنْ قُمْتَ بِهَا كَانَ لَنَا وَلَكَ فِي الْأَجْرِ أَشْرَاكٌ، وَإِنْ أَضَعْتَ حَقُوقَهَا فَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّنَا أَخْرَجْنَا هَذِهِ الْأَمَانَةَ مِنْ عُنُقِنَا وَقَدَدْنَاكَ، وَاللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ شُهُودٌ عَلَى مَا أَوْلَيْنَاكَ وَمَا وَلَّيْنَاكَ؛ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ، وَالْعَمَلِ بِمَا تَعَلَّمَهُ سِوَاءَ رِضَى فُلَانٍ أَوْ سَخِطِ فُلَانٍ؛ وَالْإِتِّهَاءِ إِلَى مَا يَقْتَضِيهِ عُمُومُ الْمَصَالِحِ، وَإِمْضَاءِ كُلِّ أَمْرٍ عَلَى مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ؛ وَإِقَامَةِ حُدُودِ اللهِ وَلَا تَتَعَدَّ حُدُودَهُ، وَقَعَ الْبِدْعَ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ لَا لِإِنَارَةِ فِتْنَةٍ مَقْصُودَةٍ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْكَرْتَهُ أَنْتَ وَأَمْثَالُكَ مِنَ الْأُتَمَّةِ الْعُلَمَاءِ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ تَسْرَعِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، وَتَطَّلَعُهُ إِلَى مَطَالِبِ سَقَطِ دُونِهَا فِي مَهَاوِي الْمَهَالِكِ؛ فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَتَّبِعَ فِي هَذَا النَّحْوِ سُبُلَهُ، أَوْ رَسَنَهُ عَنِ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ» .

والصدقات الحكيمة على مادة المساكين ، وجادة الشاكين ، ففرقتها على أهلها ،
وأجمع لك الحسنات عند الله بتبديد شملها ، ولا تبقى منها بقية تبقى معرضة لأكلها ،
فلو أراد واقفوها - رحيمهم الله - أنها تبقى مخزونة ، لما سمحوا ببذلها ، وبقية الأوقاف
شارف في أمورها ، وشارك الواقفين - رحيمهم الله - في أجورها ، وخص الأسارى -
أحسن الله خلاصهم - بما يصل به إحسانك إليهم ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال
التي كانت عليهم .

والأيتام - جبرهم الله - : منهم الطفل والمميز والمراهق ، ومن لم يملك رُشدَه ، أو من
يحتاج أن يبلغ في جواز التصرف أشده ، وكل هؤلاء فيهم من لا يعلم من يضره من
ينفعه ، ولكن الله يعزفه وفي أعماله يرفعه ، فاجتهد أن تكون فيهم آبا براً ، وأن
تتخذ فيهم عند الله أجراً ، وأن تعامل في بينك بمثل ما عاملتهم إذا انقلبت إلى الدار
الأخرى ، واحفظ أموالهم أن تنهكها أجرة العمال ، وترجع في قراضها إلى ما ينجح
بروس الأموال ، ومثل أعمالك [المعروضة] على الله في صحائفها المعروضة ، وأحذر
من المعاملة لهم إلا بفائدة ظاهرة ورهن مقبوضه .

والجهات الدينية هي بضاعة حفظك ، ووداعة لحظك ، فلا تول كل جهة إلا من
هو جامع لشرطها ، قائم بموازن قسطها .

والشهود هم شهداء الحق ، وأمناء الخلق ، وعلى شهاداتهم تبنى الأحكام ، وإياك
والبناء على غير أساس ثابت فإنه سريع الانهدام ، ومنهم من يشهد في قيمة المثل
ويتعين أن يكون من أهل البلد الأمثل ، لأنه لا يعرف القيمة إلا من هو ذو وسعة
ممول ، ومنهم من أذن له في العقود فامنع منهم من تسهل بسبب من الأسباب ، وما
تمهل إشفاقاً لأختلاط الأنسال والأنساب ، يقبل بالتعريف ما يخلو من الموانع

الشرعية مَنْ كَانَ، وَلَا يُحْسِنُ فِي تَرْوِيحِهِ يُمَسِّكُ إِمْسَاكًا بِمَعْرُوفٍ وَلَا يُسْرِّحُ تَسْرِيحًا
بِإِحْسَانٍ؛ وَهَؤُلَاءِ مَقَاسِدُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، وَبِالْبَلَاءِ بِهِمْ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُسْتَقْصَرَ
أَوْ يُسْتَقْصَى؛ فَاعْتَبِرْ أحوالَهُمْ أَعْتَابًا جَلِيًّا، وَفَكِّرْ فِي آسْتِدْرَاكِ فَاِرِطِهِمْ فِكْرًا مَلِيًّا؛
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالِدِينِ مَا يُوضِّحُ لَهُ الْمُشْتَبِهَاتِ، فَإِيَّاكَ وَتَرَكَهُ قُرْبٌ مُعْتَقِدٌ أَنَّهُ
يَطَّأُ وَطَأً حَلَالًا وَقَدْ أَوْقَعَهُ هَدَاً وَمِثْلَهُ فِي وَطْءِ الشُّبُهَاتِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْمُدُ إِلَى
التَّحْلِيلِ، وَيُرْتَكِبُ مِنْهُ مَحْدُورًا غَيْرَ قَلِيلٍ؛ وَهُوَ بَعِيْنُهُ نِكَاحُ الْمُتَعَةِ الَّذِي كَانَ آخِرَ
الْأَمْرَيْنِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّهْيُ عَنْهُ، وَقَامَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ
أَبْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُحَدَّرًا مِنْهُ؛ فَاحْسِبْ هَذِهِ الْمَادَّةَ الرَّدِيَّةَ الَّتِي تُؤْلَمُ عَضْوًا
فَيَسْرَى إِلَى سَائِرِ الْأَعْضَاءِ أَلْمَهَا، وَيَبْقَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الدَّرَارِيِّ الْمَوْلُودَةِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْكِحَةِ
الْفَاسِدَةِ تَلْمَهَا.

وَالرُّسُلُ وَالْوَكَلَاءُ يَجْلِسُ الْحَكْمَ الْعَزِيزَ وَمَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ، وَمَا نَزَلَ فِي أُمُورٍ
مَا يَرِيدُونَ بِهَا تَقْلِيدَ حِكْمِكَ بَلْ مَا يَقْضُونَ بِهِ الْأَوْقَاتِ؛ فَلَا تَدَّعُ مَنْ تَرِيدُ مِنْهُمْ
إِلَّا كَلَّ مَشْكَورِ الطَّرِيقِ، مَشْهُورِ الْقِصَّةِ بَيْنَ الْخِصُومِ بِطَلْبِ التَّوْفِيقِ.

وَالْمَكَاتِبُ هِيَ سَهَامُكَ النَّاسِ فَدَّهْ، وَأَحْكَامُكَ الْمُؤَاخِذَةُ؛ فَسَدِّدْ مَرَامِيهَا، وَلَا
تُرَدِّفْهَا مَا عَرَضَ عَلَيْكَ مِنَ الْأَحْكَامِ حَتَّى لَا يَسْرَعَ الدَّخُولُ فِيهَا؛ وَالْمَحَاضِرُ هِيَ مَحَلُّ
التَّقْوَى، فَاجْتَهِدْ فِيهَا أَجْتِهَادًا لَا تَدْرُ مَعَهُ وَلَا تُتْبِقُ.

وَأَمَّا قَضَايَا الْمُتَحَاكِمِينَ إِلَيْكَ فِي شِكَاوِيهِمْ، وَالْمُحَاكِمِينَ فِي دَعَاوِيهِمْ، فَأَنْتَ بِهِمْ
خَيْرٌ، وَلَهُمْ نَاقِدٌ بَصِيرٌ؛ فَإِذَا اتَّوَكَّلْتَ لِتَكْشِفَ بِحُكْمِهِمْ لَأَوَاءَهُمْ، فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ؛ وَقَدْ فَهَمَكَ اللَّهُ فِي دِينِهِ، وَأُورِدَكَ مِنْ مَوَارِدِ بَقِيْنِهِ، مَا جَعَلَهُ لَكَ

نُورًا، وَجَلَّاهُ لَكَ سُفُورًا ؛ وَأَقَامَهُ عَلَيْكَ سُورًا ، وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ مِنْهُ أُمُورًا ،
فَإِنْ أَشْكَلْ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَرُدَّهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاجْتِمَاعِ
أَحْبَابِهِ فَإِنَّ لَمْ تَجِدْ فَعِنْدَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَجْعَلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ سُورَى ؛ وَالْأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كِتَابَ كِتَبِهِ إِلَى بَعْضِ الْقَضَاةِ ، فَأَعْمَلْ بِمَقْتَضَاهُ ،
وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ آرْتَضَاكَ لَخَلْقِهِ فَاعْمَلْ عَلَى رِضَاةِ .

وَالْأئِمَّةُ الْعُلَمَاءُ هُمْ إِخْوَانُكَ فِي الدِّينِ ، وَأَعْوَانُكَ عَلَى رَدِّعِ الْمُبْتَدِعِينَ ، وَلِسَانُكَ
فِي الْحَفْلِ وَجَنَاحُكَ إِذَا جَلَسُوا ذَاتَ الشِّمَالِ وَذَاتَ الْيَمِينِ ؛ فَتَزَلَّمْ مَنَازِلَهُمُ الَّتِي أَحْلَاهُمْ
اللَّهُ فِي سُورَاتِهَا ، وَبَوَاهُمْ رَفِيعَ غُرْفَاتِهَا ، وَتَأَلَّفْ خَوَاطِرَهُمْ فَإِنَّكَ تَنْظُرُ إِلَى كَثِيرٍ
مِنَ الْأُمُورِ فِي صَفَاءٍ مُصَافَاتِهَا .

وَمَنْ نُسِبَ إِلَى خِرْقَةِ الْفُسْقِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الْمُقَرَّبُونَ ، وَأَحْبَابُهُ
الْأَقْرَبُونَ ، فَعَظِّمْ حَيَاتَهُمْ ، وَجَانِبِ مَحَابَاتَهُمْ ، فَمَا مِنْهُمْ وَإِنْ ائْتَلَفْتَ أحوالَهُمْ إِلَّا مِنْ
هُوَ عَلَى هُدًى مُبِينٍ ، وَأَحْرِصْ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ حَبِيبًا يَمَلَأُ قُلُوبَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ إِلَى قَوْمٍ
مِنَ قُلُوبِ قَوْمٍ آخِرِينَ .

وَأَنْتَصِبْ لِلدَّرُوسِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ بِهَا عَلَى وَافِدِ الطَّلِبَةِ فَإِنَّ الْكِرَامَ لَا يَمْحَقُهُ الْاِئْتِمَاسُ ،
وَالْمُصْبَاحَ لَا يُفْنِي مُقْلَهُ كَثْرَةُ الْاِئْتِمَاسِ ، وَالغَمَامَ لَا يَنْقُصُهُ تَوَالِي الْمَطَرِ وَلَا يَزِيدُهُ طَوْلُ
الْاِحْتِمَاسِ ، وَالْبَحْرَ لَا يَتَغَيَّرُ عَنْ حَالِهِ وَهُوَ لَا يَخْلُو عَنْ الْوُرَادِ فِي عَدَدِ الْأَنْفَاسِ .

وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَإِنَّمَا هَذِهِ نُبْدَةٌ جَامِعَةٌ ، وَبَارِقَةٌ لِأَمِعَةٍ ؛ وَمَنْكَ يُسْتَفَادُ بِسَاطِ
الْقَوْلِ ، وَأَنْبَسَاطِ الطَّوْلِ ؛ وَهَذَا يُكْتَفَى بِمَا فِيكَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْفِيكَ ، وَيُحْصِي
حِسَابَ أَعْمَالِكَ الصَّالِحَةِ لِيُوفِيَكَ ؛ حَتَّى تَجِدَّ فَلَا يَتَخَلَّفُ بِكَ السَّيْرُ ، وَتَسْتَعِدَّ لِيُخْتَمَ لَكَ
بِحَاتِمَةِ الْخَيْرِ ، وَالْاِعْتِمَادِ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ .

(١) فِي الْأَصْلِ « حَلَا يَمَلَأُ فِي قُلُوبِهِمْ » فَتَأَمَّلْ .



قلت : وهذه نسخة توقيع بقضاء ، أنشأته بدمشق للقاضي «شرف الدين مسعود»

وهي :

الحمد لله الذي شيد أحكام الشرع الشريف وزاد حكامه في أيامنا شرفا ، ورقع
منار العلم على كل منار وبوأ أهله من جنات إحساننا عرفا ، وأباح دم من ألد فيه
عنادا أو وجه إليه طعنا ، وأوجب الانقياد إليه بقوله تعالى : (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ
الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) ؛ وأتم
الصواب في اختيار من لم يزل لهذه الرتبة معدا ومن رجالها معدودا ، وصرف وجه
إقبالنا إلى من آرضيناها للمسلمين حاكما فأصبح بنظرنا مسعودا .

نحمده حمد من آتني بالقيام بشرائع الإسلام وتعظيم شعائره ، ونصح للرعية
فيمن وآله عليهم وأعطى منصب الشرع حقه بتقديم أكبره . ونشهد أن لا إله إلا الله
وحدّه لا شريك له شهادة يقضى لصاحبها بالنجاة من النار ، ويسجل لقاتلها بالثبوت
في ديار الأبرار ؛ وأن محمدا عبده ورسوله الذي شرط الإيمان بالرضا بحكمه
وأوجب طاعته أمرا ونهيا واستجابة وتحكما ، فقال تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا تَنَجَّرُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَاقِمُوا
تَسْلِيمًا) . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نحن بسيرهم مهتدون ، وبآثارهم
مقتدون ، وعلى آله وصحبه الغر الكرام الذين قضاوا بالحق وبه كانوا يعدلون ؛ صلاة
لا يختلف في فضلها آثان ، ولا يتنازع في قبولها خصمان ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فلما كانت مرتبة الشرع الشريف هي أعلى المراتب ، ومنصب حكامه
في الوري أرفع المناصب ؛ إليه تنتهي الخاصات في فصلها ثم لا تعدوه ، ويحكم فيه على

الخصم فيدعن لِحِكْمِهِ ثم لا يَسُنُوهُ ؛ بل يتفرق الخَصْمَانِ وكل منهما بما قُضِيَ له
 وَعَلَيْهِ رَاضٍ ، ويقولُ الْمُتَمَرِّدُ الجَائِرُ لِحَاكِمِهِ : قد رَضِيتُ بِحُكْمِكَ فَاقْضِ فِي مَا أَنْتَ
 قَاضٍ ؛ وَنَاهِيكَ بِرُتْبَةٍ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الْمُتَصَدِّى للقيَامِ بواجبها ،
 والخلفاء الراشدون - رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ - محافِظِينَ على أَدَاءِ رَوَاتِبِهَا ؛ ثم آخِصَّ
 بها العلماءُ الَّذِينَ هم وَرَثَةُ الأنبياءِ من الخليفة ، وَأَسْتَأْتَرُوا بِهَا دون غيرهم من سائر
 الناسِ فهم أهلها على الحقيقة ؛ إذ لا يُؤَهَّلُ لهذه الرتبة إلا من أَرْتَقَى إلى درجات
 الكمالِ ، وَأَتَصَفَّ بِأَحْسَنِ الأوصافِ وَأَحْتَوَى على أَنَسِ الخصالِ ؛ وَتَضَلَّعَ من العلم
 الشريفِ بما يُرويه ، وفاق في العقل والنقل بما يحثه ويرويه .

ولما كان المجلس الفلاني : هو تين هذه القلادة وواسطة عقدها ؛ وقُطِبَ
 دائرتها وملاك حلتها وعقدتها ؛ إذ هو «شريح» الزمان ذكرها ، و«أبو حامد» سيرة
 و«أبو الطيب» نشرها ؛ لاجرم البسته أيامنا الزاهرة من الحكم نوباً جديداً ، وأفاض
 عليه إنعامنا نحلة نغيبها - إن شاء الله تعالى - مزيداً .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت الشريعة المطهرة بمناصرتي في أعز صوان ،
 وحكامها بمعاضدتي في أعلى درجة وأرفع مكان - أن يفوض إليه

فليباشر هذه الوظيفة مباشرة مثله لمنها ، وليعمل بما يعلمه من أحكامها فهو ابن
 بجدتها وانحير بمسالك وغيرها وسهله ؛ فهو الحاكم الذي لا يساوى ، والإمام الذي
 يقتدى به في الأحكام والفتاوى ؛ فعليه بالتأني في الأحكام ، والتثبت فيما يصدر عنه
 من النقص والإبرام ؛ وليستظر في الأمر قبل الحكم المرة ثم الأخرى ، ويكرر النظر
 في ذلك ولو أقام شهراً ؛ ويراجع أهل العلم فيما وقف عليه ويُساورهم فما ندم من
 استشار ، ويقدم استخارة الله تعالى في سائر أموره فما خاب من استخار ؛ وليسدر

مع الحق كيف دار ، ويتبع الصواب أنى توجهه ويقتنى أثره حيث سار ؛ وإذا ظهر له الحق قضى به ولو على ابنه وأبيه ، وأعز أصدقائه وأخص ذويه ؛ غير متزق في فصل القضاء بين القوي والضعيف ، والوضيع والشريف ؛ ولا مُميز في تنفيذ الحكم بين الغني والفقير ، والسوقة والأمير ؛ وليسو بين الخصوص حتى في تقسيم النظر إليهم ، كما في موقف الحكم وسماع الدعوى ورد الأجوبة فيما لهم وعليهم ؛ وليس تخلف من الثواب من حسنت لديه سيرته ، وحمدت عنده طريقته ؛ ويوص كلاً منهم بما نوصيه به ويبلغ في تأكيد وصيته ، ويستحضر السر في قوله صلى الله عليه وسلم : « ألا كلُّكم راج وكلكم مسئول عن رعيته » . ولئمين النظر في أمر الشهود الذين تترتب على شهادتهم أمور الدنيا والفروج والأموال ، ويتفقد أمرهم في كل وقت ولا يغفل عنهم في حال من الأحوال ؛ ويحملهم من الطرائق على أحسن وجهها ، وأحفظهم بامعان النظر شهود القيمة والعمائر ، الذين يُقطع بقولهم في أملاك الأيتام والأوقاف مما تنفر عنه القلوب وتنبؤ عنه الضمائر .

والوكلاء والمنتصفون فهم قوم فصل عنهم الشر قباعوه ، وأستحفظوا الود فلم يرعوا حقه وأضاعوه ؛ فهم آفة أبواب القضاة بلا نزاع ، كيف وهم الضباع الضارية والذئاب الجياع . وما تحت نظره من أوقاف المدارس والأسرى والصدقات ، وغيرها مما يقصد به واقفوه وجه البر وسبيل القربات ؛ يُحسن النظر في وجوه مصارفها ، مع حفظ أحوالها الذي هو أغنياً مراد واقفها .

وأهل العلم أبناء جنسه الذين فيهم نساء ومنهم نجم ، وجنده الذين يقصدونه بالفتاوى فيما قضى وحكم ؛ فليوفوهم الإحسان ، ويصنع معهم من المعروف ما يبقى ذكره على ممر الأزمان ؛ ومثله لا يحتاج إلى كثرة الوصايا ، وثوقاً بما عنده من العلم

بالأحكام والمعرفّة بالقضايا ؛ لَكِنَّ عَلَيْهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمِرَاقَبَتِهِ يَكُنْ لَهُ مِمَّا يَتَّبِعُهُ
ظَهْرًا ، وَيَسْتَرْشِدُهُ فِي سَائِرِ أُمُورِهِ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ لَدُنْهُ هَادِيًا وَنَصِيرًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
يَبْلُغُ وَائِقَ أَمَلِهِ مِنْ كَرَمِنَا مَرَامًا ، وَيُوَطِّئُ لَهُ الْمِهَادَ بِيَلَدٍ حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا .
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة المالكية بالشام ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي تَعَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ، وَهِيَ :

الحمد لله جاعل المذاهب الشرعية في أيماننا الشريفة زاهية بأركانها الأربعة ،
مستقرة على النظام الذي غدت به قواعد الحجّة محكمة ومواقع الرحمة متسعة ، فإذا خلا
رُكْنٌ مِنْ مَبَاشَرَةٍ أَقْبَنَّا مِنْ تَكُونِ الْقُلُوبِ عَلَى أَوْلِيَّتِهِ مُجْتَمِعَةٍ ، وَأَنْتَقِينَا لَهُ مِنَ الْاِتِّقَاءِ
مَنْ تَغْدُو بِهِ الْأُمَّةُ حَيْثُ كَانَتْ مُتَّفِعَةٍ ، وَأَسْتَدْعِينَا إِلَيْهِ مَنْ تَغْدُو الْأَدْعِيَةُ الصَّالِحَةُ
لَنَا بِتَقْوِيضِ الْحُكْمِ إِلَيْهِ مُرْتَفِعَةٍ ؛ الَّذِي خَصَّ مَذْهَبَ « إِمَامِ دَارِ الْهَجْرَةِ »
بِكُلِّ إِمَامٍ هَجَرَ فِي التَّبَجُّرِ فِيهِ دَوَاعِي السُّكُونِ وَبَوَاعِثَ الدَّمَعِ ، وَجَمَلَ مَنْصِبَ حُكْمِهِ
بِمَنْ كَلَّ بَعْلُومَ الدِّينِ نَحْرَهُ فَإِذَا حَكَمَ غَدَّتِ الْأَقْضِيَةُ لِحُكْمِهِ مُنْفَذَةً وَإِذَا قَضَى أَصْحَحَتِ
الْأَحْكَامُ لِأَقْضِيَتِهِ مُتَّبِعَةً .

نحمده على نعيمه التي جعلت مهمم الشرع الشريف لدينا كالأستفهام الذي له
صدر الكلام ، وبمناجاة النية المقدمة حتى [على] تكبير الإحرام ؛ ونشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة أثبتت الإخلاص حُكْمَهَا ، وَأَحْكَمَ الْإِيمَانَ عِلْمَهَا ،
وَأَبْقَى الْيَقِينَ عَلَى صَفَحَاتِ الْوُجُوهِ وَالْوُجُودِ وَسَمَّهَا الْمَشْرِقَ وَأَسَمَّهَا ؛ ونشهد أن محمداً
عبده ورسوله الذي أخذ الله ميثاق النبيين في الإقرار بفضله ، وأرسله (بالهدى

وَبِالْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)؛ وَخَصَّهُ بِالْكِتَابِ الَّذِي أَنْخَسَ الْأُمَّمَ عَنْ مُجَارَاتِهِ
 فَلَوْ (أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ)؛ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِسُنَّتِهِ وَسُنَّتِهِ، وَأَوْصَحُوا شَرَعَهُ الشَّرِيفَ لِمَنْ تَلَقَّاهُ
 بَعْدَهُمْ مِنْ أُمَّةٍ أُمَّتِهِ؛ صَلَاةٌ لَا تَزَالُ يَفْقَهُ الْإِيمَانَ لِأَحْكَامِهَا مِنْبَتِهِ، وَأَنْوَاءُ الْإِيْقَانِ
 لِأَوَامِهَا مُقَلَّتِهِ؛^(١) وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

وبعد ، فإنه لما كانت الأحكام الشرعية تتوقف على ملاحظة قضاء قضائياتها
 في غالب الأمور، وتستند إلى مراجعة أصول حكمها في أكثر مصالح الجمهور ،
 لم يكن بد من مراعاة أصولها التي إنما تتوب الفروع عنها، وتدبر أحوال أحكام
 حكمها التي تنشأ أفضية الدواب منها؛ ولذلك لما أصبح منصب قضاء القضاة على
 مذهب الإمام «مالك بن أنس» رضى الله عنه بالشام المحروس لضعف مباشره
 المتمد ، في حكم الحالى ، وتعطل بعجزه المشتد ، مما ألف به قديما حال حكمه
 الحالى؛ وتمادى ذلك إلى أن ترقى الناس منه إلى درجة اليقين؛ وتناهى الحكم فيه
 إلى أن يعين أن يرتاد من يتعين لمثله من الأئمة المقيمين؛ لئلا يخلو هذا المذهب من
 قاضى قضاء يقيم مناره ، ويديم أنواره ، ويرفع شعاره ، ويحيى ما أثر إمامه وآثاره ،
 ويؤمن كمال أفته أن يعاود سراره ؛ وكان المجلس السامى ، القاضوى ، الفخرى ،
 هو الذى لا يعدوه الارتباد ، ولا يقف دونه الانتقاء والانتقاد ، ولا تتجاوزة الإصابة
 فى الاجتهاد : لما عليه من علم جعله مخطوبا للمناصب ، وعملي تركه مظلوبا للراتب
 التى لا تدعن لكل طالب ؛ وثقى أعاده مرتقيا لكل أفيق لا يصلح له كل شارق ،
 وورج فتح له أبواب التلقى بالاستدعاء وإن لم تفتح لكل طارق ؛ وقد هجر الكرا
 فى تحصيل مذهب «إمام دار الهجرة» إلى أن وصل إلى ما وصل ، وأنفق مدة

(١) الأوام شدة العطش ومقلته مهلكة .

عُمره في آفتاء فوائده إلى أن حصل من الثروة بها على ما حصل ؛ فسارت فتاويه في الآفاق ، وامتت بركات فوائده التي أنفقها على الطلبة فزكت على الإنفاق - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نبقى نخر هذا المنصب الجليل بفخره ، وأن نخص هذا المذهب النبيل بذخره ؛ وأن نحلى جيده بمن نقلنا إلى وشام الوسام ما كان من حسن شدي العلم مختصاً بتغيره .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال لأحكام الشرع مقيماً ، وللنظر الشريف في عموم مصالح الإسلام وخصوصها مديماً ؛ أن يفوض إليه لما تقدم من تعينه لذلك ، وتبين من أنه لحكم الأولوية بهذه الرتبة في مذهب الإمام مالك مالك .

فليل هذه الوظيفة حاكماً بما أراه الله من مذهبه ، مراعيًا في مباشرتها حق الله في الحكم بين عباده وحق منصبه ؛ مجتهداً فيما تبرأ به الذمة من الوقوف مع حكم الله في حالتي رضاه وغضبه ، واقفاً في صفة القضاء على ما نص فيه من شروطه وأوضاعه من قواعده وشروح من أدبه ؛ ممضياً حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقتضيه رأي إمامه ، متوجاً الحكم بنصوصه المجمع دليماً من أئمة مذهبه في تقض كل أمر وإبرامه ؛ جارياً في ذلك على قواعد أحكام هذا المذهب الذي كان مشرقاً في ذلك الأفق بجماله وزينه ، واقفاً في ذلك جميعه مع رضا الله تعالى فإنه في كل ما يأتي ويذر بعينه ؛ والله تعالى يستدده في قوله وعمله ، ويبلغه من رضا نهاية سوله وغاية أمله ؛ بمنه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الحنابلة ، كُتب بها للقاضي علاء الدين
«منجى التنوخي» وهي :

الحمد لله الذي رفع بعلاء الدين قضاء قضائه ، وأوضح الهدى في القيام في توليتهم بمقرضاته ، وأعلى منار الشرع بما أوقفهم عليه من أحكامه ووقفهم له من مرضاته .

نحمده حمدا نستعيد من بركاته ، ونستعيد به أن نفضل في ضوء مشكاته ، ونستعين عليه رب كل حكم ممدنا قلبه بسكونه وقلمه بحركاته ، ويثبت من جميل محضره لدينا ما يرفع مس شكاته ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يستودع إخلاصها في قلوب ثقاته ، وتفوض أحكامها إلى ثقاته ، ويحجى مرحها من أبطال الجلال والجدال بكل مشتاق إلى ملاقاته ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل من حكم بما أنزل الله من آياته ، وجاهد في الله برأيه وآياته ، وشرع من الدين ما ينجي المتمسك به من غواياته ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أقام شرعه منهم بركاته ، وجعل حكمهم دائم الثبوت أبدا بأقلام علمائه وسيوف حماه ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فنصب الحكم الذي به تفصل الأمور ، وتفرج له الصدور ، وتتسدأ أقلام حكمه بهما ، وتفيض غماما ؛ وتعلم منه الأسود زهيرا ، ويطول السيف صليلا والرمح صيريا ؛ وتنصب بين يدي حكمه الأقدام ، وتنصف على أحكامه الخصام ؛ وتكس الرؤوس هيبتة إطرافا ، وتفرض المقل فتأدير جفونا ولا تقلب أحداقا ؛ ويجري بتصرفه قلم القضاء ، ويجارى مرهفه البروق فتقر له بالمضاء ؛ وقد سيد الله مباتيه في ممالكا الشريفة مصرا وشاما على أربعة أركان ، وجمع في قضائه الأئمة الأربعة لتكمل بهم فصول الزمان ؛ ومذهب الإمام أبي عبد الله « أحمد بن حنبل » رضی الله عنه هو بالسنة النبوية الطراز المذهب ، وطريقة

(١) الخصام جمع خصم كبحر وبحار . انظر المصباح .

السلف الصالح في كلِّ مذهب ، وقد تجنَّب من سلف من علمائه التَّأويلَ في كثير ،
ووقف مع الكتاب والسنة وكلِّ منهما هو المصباح المنير .

وكانت دمشق المحروسة هي مدار قُطبيهم ، ومطلع شُموسهم ونُجومهم وشُهبهم ؛
وأهلها كثيراً ما يحتاجون إلى حاكم هذا المذهب في غالب عقد كلِّ بيع وإيجار ،
ومزارعة في غلالٍ ومساواة في ثمار ، ومصالحية في جوائح سماوية لا ضرر فيها
ولا ضرار ، وترويح كلِّ مملوكٍ أذن له سيده بجزءٍ كريمه ، واشتراط في عقد بان
تكون الأمراء في بلدها مقيميه ؛ وفسخ إن غاب زوجها ولم يترك لها نفقة ولا
أطلق سراحها ، وبيع أوقاف دائرية لا يحدُّ أرباب الوقيف نفعاً بها ولا يستطيعون
إصلاحها .

فلما استأثر الله بمن كان قد تكلم هذا المنصب الشريف بشرفه ، وتجلَّ منه
ببقية سلفه ؛ حصل الفكر الشريف فيمن نقلده هذه الأمانة في عُنقه ، ونهتُّ هذا
المنصب بطولع هلاله في أفقه ؛ إلى أن ترجح في آرائنا العالية المُرَّجَّح المُرَّجَّح ، وتعين
واحداً لما آبتل الناس بالقضاء كان المنجى ابن المنجى ؛ طالما تطرقت له الفتاوى
بالأفلام ، وألنفت به حلقة إمام ، وخاف في طلب العلم من مضايقة الليالي فما نام
- أقتضى حسن الرأي الشريف أن يفوض إليه قضاء القضاة بالشام المحروسة على
مذهب الإمام الرباني « أحمد بن حنبل » الشيباني ، رضي الله عنه .

فليحك في ذلك بما أراه الله من علمه ، وآتاه من حكمه ؛ وبينه له من سبيل
الهدى ، وعينه لبصيرته من سنن نبيه صلى الله عليه وسلم التي من حاد عنها فقد جار
وأعدى ؛ ولينظر في أمور مذهبه ويعمل بكل ما صحَّ نقله عن إمامه ، وأصحَّاه
من كان منهم في زمانه ومن تخلف عن أيامه ؛ وقد كان - رحمه الله - إمام حق

نَهَضَ وَقَدْ قَعَدَ النَّاسُ تِلْكَ الْمُدَّةَ ، وَقَامَ نَوْبَةَ الْحِنَةِ وَقَامَ «سَيِّدُ تَيْمٍ» ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
نَوْبَةَ الرَّدِّ ، وَلَمْ تَهَبَّ بِهِ زُعَايِعُ «الْمُرِّيْبِيِّ» وَقَدَّهَبَتْ مَرِيَسَا ، وَلَا «أَبْنُ أَبِي دُوَادٍ»
وَقَدْ جَمَعَ كُلُّ ذَوْدٍ وَسَاقَ لَهُ مِنْ كُلِّ قَطْرِ عَيْسَا ، وَلَا نَكَتَ عَهْدَ مَا قَدَّمَ إِلَيْهِ «الْمَامُونُ»
فِي وَصِيَّةِ أَخِيهِ مِنَ الْمَوَاتِقِ ، وَلَا رَوَعَهُ صَوْتُ «الْمَعْتَصِمِ» وَقَدْ صَبَّ عَلَيْهِ عَذَابُهُ
وَلَا سَيْفُ «الْوَاتِقِ» ، فَلْيَقِفْ عَلَى آثَرِهِ ، وَلْيَقِفْ بِمَسْنَدِهِ عَلَى مَذْهَبِهِ كُلِّهِ أَوْ أَكْثَرِهِ ،
وَلْيَقْبِضْ بِمُفْرَدَاتِهِ وَمَا آخَرَهُ أَصْحَابُهُ الْأَخْيَارَ ، وَلْيُقْلِدْهُمْ إِذَا لَمْ تَخْتَفِ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ ،
وَلْيَحْتَرِزْ لِدِينِهِ فِي بَيْعِ مَا دَرَّ مِنَ الْأَوْقَافِ وَصَرَفِ ثَمَنِهِ فِي مِثْلِهِ ، وَالْأَسْتَبْدَالَ بِمَا فِيهِ
الْمَصْلَحَةُ لِأَهْلِيهِ ، وَالْفَسْخَ عَلَى مَنْ غَابَ مَدَّةً يَسُوغُ فِي مِثْلِهَا الْفَسْخُ وَتَرَكَ زَوْجَةً
لَمْ يَتْرَكْ لَهَا نَفَقَةَ ، وَخَلَّاهَا وَهِيَ مَعَ بَقَائِهَا فِي زَوْجِيَّتِهِ كَالْمُعَلَّقَةِ ، وَإِطْلَاقِ سَرَاحِهَا
لَتَتَرَوَّجَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْفَسْخِ بِشَرْطِهِ الَّتِي يَبْقَى حُكْمُهَا بِهِ حِكْمَ أُطْلَقَتْ ، وَفِيهَا يَمْنَعُ مُضَارَّةَ
الْجَارِ ، وَمَا تَفَرَّعَ عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» . وَأَمْرٌ وَقِفَ
الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ وَإِنْ رَأَى سِوَى أَهْلِ مَذْهَبِهِ ، وَطَلَعَتْ بِهِ أَهْلَةٌ عُلَمَاءَ لَوْلَاهُمْ
لَمَّا جَلَّ الزَّمَانُ جُنْحَ غَيْبِهِ . وَكَذَلِكَ الْجَوَائِحُ الَّتِي يَخْتَفِ بِهَا عَنِ الضَّعْفَاءِ وَإِنْ كَانَ
لَا يَرَى بِهَا الْإِلْزَامَ ، وَلَا تَجْرِي إِلَّا بِجَرَى الْمَصَالِحَةِ دَلِيلَ الْإِلْتِمَامِ . وَكَذَلِكَ الْمَعَامَلَةُ الَّتِي
لَوْلَا الرُّخْصَةُ عِنْدَهُمْ فِيهَا لَمَّا أَكَلُ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا الْحَرَامَ الْمُحْضَ ، وَلَا أَخَذَ قِسْمَ
الْفَلَالِ وَالْمَعْمَلُ هُوَ الَّذِي يَزْرَعُ الْبَذْرَ وَيَحْرُثُ الْأَرْضَ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ [مَحِيطُ]
بِمُفْرَدَاتِهِ الَّتِي هِيَ لِلرَّفِيقِ جَامِعَةٌ ، وَلِلرَّعَايَا فِي أَكْثَرِ مَعَايِشِهِمْ وَأَسْبَابِهِمْ نَافِعَةٌ ، وَإِذَا
أَسْتَقْتَرَتِ الْأَصُولُ كَانَتْ الْفُرُوعُ لَهَا تَابِعَةٌ ، وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى .

(١) سيد تيم هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

المرتبة الثانية^(١)

(من تواقع الوظائف الدينية بدمشق ، ما يكتب في قطع الثلث مفتحا

بـ« الحمد لله » إن علّت رتبة المتولّي أو بـ« أمّا بعد حمد الله »

إن انحطت رتبته عن ذلك بـ« المجلس السامى » وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى — قضاء العسكر . وبها أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ،

كما بالديار المصرية .

الوظيفة الثانية — إفتاء دار العدل بدمشق . وبها أربعة : من كل مذهب

واحد ، كما بالديار المصرية .

الوظيفة الثالثة — الحسبة .

وهذه نسخة توقيع بالحسبة الشريفة :

الحمد لله مجدد النعم في دولتنا الشريفة لمن صفّت عليه ملائمتها ، ومضاعيف
الدين في أيامنا الزاهرة لمن سمّت به نقائسها ، ومولى الآلاء لمن بسق غرمتها لديه
فزهت بجماله ثمراتها وزكّت مغارمها .

نحمده على نعمة التي تؤنّس بالشكر أوائسها ، وتؤمّس على التقوى بجباليسها ؛
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة استضاء بنور الإيمان قلوبها ،
وأجتنى ثمر الهدى غاريسها ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف من أنشئت به
معالم التوحيد فعمّر داريسها ، وأشرق دأيسها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
قلوبهم مشاهد الذكر وألسنتهم مدارسها ؛ وسلّم تسليما كثيرا .

(١) في الأصل الطبقة الثانية .

وبعد ، فإنَّ أَوْلَى من أَمْضَى له ما كان به أَمْرٌ ورُسِمَ ، وجُدِّدَ له من المَنَاصِبِ
الدِّينِيَّةِ ما عُرِفَ به من قَبْلُ ووُسِمَ ، وأُثْبِتَ لَتَرْقِيهِ ما حُتِمَ له به من المَرَاتِبِ السَّنِيَّةِ
بِمَقْتَضَى الأَسْتِحْقَاقِ وَحِكْمِ - من رَقَمَتْ أو أَمَرْنَا له حُلَّةً مَنَصِبٍ يَجْدُدُهَا الإِحْسَانَ ،
وأَمَرَتْ له مَرَّاسِمُنَا بِوِظِيفَةِ تُوَكَّدُ عَوَارِفُنَا الحِسانَ ، وَأَثَلَتْ [له] نَعْمُنَا مَنَصِبًا أَعَدَّ له
من كَيْلِ الأَهْلِيَّةِ أَكْمَلُ ما يُعِدُّه لذلِكَ الإِنْسَانُ .

ولما كان فلان هو الذي تحلَّى من إحساننا بما يأمن [معه] سعيد رتبته [من] العطل ،
وَأَسَمَ من بَرْنًا وأَمْتِنَانِنَا بما هو في حِكمِ المَسْتَقَرِّ له وإن أَلوَى به الدَّهْرُ ومَطَّل -
أَقْتَضَى إِحْسَانُنَا أَنْ نُجَدِّدَ له مَوَاقِعَ النِّعَمِ ، ونُشَيِّدَ من رِجَائِهِ مَوَاضِعَ ما شَبِهَ له من البِرِّ
والكَرَمِ ، ونُرِي من عَدَقِ بِنَا رِجَاءَ أَمَلِهِ أَنَّنَا نَتَّعَاهِدُ سُقْيَا أَمَالِ الأَوْلِيَاءِ وَالخَدَمِ .

فلذلك رسم ... - لازل بره شاملا ، وبدره في أفق الإحسان كاملا - أن يفوض إليه
نظر الحسبة ويستمر في ذلك على حكم التوقيع الشريف الذي بيده : لما سبق من
أختياره لذلك وأصطفائه ، وأدخاره لهذا المنصب من كفاة أعيانه وأعيان أكفائه ؛
ولما تحلَّى [به] من رياسة زانته عقودها ، وتكفل له من أصالة ضفت عليه خبرها
وسمت به برودها ؛ وتجمل به من زاهية أشرفت في أفق صعودها إلى الرتبة الجليلة
سعودها ، وأنصف به من كمال معرفة تجرت له به من مطالب المناصب وعودها .

فليباشر ذلك معطيا هذه الوظيفة من حسن النظر حقا ، محققا بجميل تصرفه
تقدم أولويته وسبقها ؛ وليكن لأمر الأوقات ملاحظا ، وعلى منع ذوي العذر
من الاحتكار المضيقي على الضعفاء محافظا ؛ وعلى الغش في الأوقات مؤدبا ؛ ولإجراء
الموازن على حكم القسط مرتبا ؛ ولمن يرفع الأسعار لغير سبب رادعا ، ولمن لا يزرعه
الكلام من المطففين بالتأديب وأزعا ؛ ولقيم الأشياء محورا ، ولقانون الجودة

في المَزْرُوعِ والمَوْزُونِ مُقَرَّرًا، وَلِدَوِي الهَيْثَاتِ بِلِزُومِ شَرَايِطِ المَرْوَةِ أَخِذًا، وَعَلَى تَرْكِ
الْجَمْعِ وَالْجَمَاعَاتِ لِعَامَةِ النَّاسِ مُؤَاخِذًا، وَلِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ أَمْرٍ مُقَدَّمًا، وَبِمَا
يُخَلِّصُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِكُلِّ مَا تَقَعُ بِهِ المَعَامَلَاتِ بَيْنَ النَّاسِ مُقَوِّمًا، وَفِي خِصَائِصِ
نَفْسِهِ مَا يُغْنِيهِ عَنِ تَأْكِيدِ الوَصَايَا، وَتَكَرُّرِ الحَثِّ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ
الْمَزَايَا، فَلْيَجْعَلْهَا شِعَارَ نَفْسِهِ، وَنَجِيَّ أُنْسِهِ، وَمُسَدَّدَ أَحْوَالِهِ الَّتِي تَظْهَرُ بِهَا مَرْيَّةٌ يَوْمَهُ
عَلَى أَمْسِهِ، وَالخَطَّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ، حُجَّةً بِمَقْتَضَاهُ .



وهذه نسخة توقيع بنظر الحسبة الشريفة، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله،
مضافا إلى نظر أوقاف الملوك، وهي :

الحمد لله ميثيب من أَحَسَّبَ، وَمُجِيبُ المُنِيبِ فِيمَا آكْتَسَبَ .

نحمده حمدا رسد الأدب صرب الطرب^(١)، (؟) ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة ظاهرة الحسب، طاهرة النسب؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده
ورسوله أفضل من آتدي وأنتدب، وأدب أمته فأحسن الأدب، صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه صلاة يكتتم أجزها فيكتب، ويستتم بها كل صلاح [ويفتمم بها
كل فلاح]، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن الحسبة الشريفة هي قانون جواد الأوضاع، ومضمون مواد
الإجماع، تتجمع إلى الشريعة الشريفة سياسة يهبط جدها، ويهبط حدها؛ وتخشي
الرعايا سطوات مباشرها، وتتحنى عما تصبه سيول بوادرها؛ وأصحابها الآلة التي
هي أخت السيف في التأثير، ولكل منهما سطوة تخاف لافرق بينهما إلا ما بين

(١) كذا في غير نسخة بالاهمال ولم تهتد الى تصحيحه .

التأنيث والتذكير؛ وله التصرف المطلق، والتعريف الذي يفتح من الحوايت على
 أربابها كل باب معاق؛ ولرؤكويه في المدينة زينة يحشر لها الناس ضحى، ورهبة
 يغدو بها كل أمين لشأنه مصلحا، وإليه الرجوع في كل تقويم، وهو المرجو في كل
 أمر عظيم؛ وهي بدمشق - حرسها الله تعالى - من أجل المناصب التي تتعلق [عوا] إليها
 بيد متوليها وتؤمل منازل البدور، وإن ربها ترجع إلى تصريفه أزيمة الأمور،
 وينتجع سخابه المظلل عمامة الجمهور؛ وتحيا به سنة عمرية لولاها لضاقت رحاب
 المعاملات، وضاعت بالغش المعاش المتداخلات؛ وظهر الغبن في غالب ما يشرى
 ويباع، وانتشر التطفيف [الذي] يزيل رابحة الميزان وتو الزراع؛ ولكم ناب بحسن
 تدبيره عن الغمام، ونظر في الدقيق والخليل للخاص والعام؛ طالما انحط به سعر
 غلا أن يقوم، ووجد من الأقوات صنف لا يوجد ولو يدل من الشمس دينار
 والبدردرهم.

وكان المجلس السامع، القضاة، الأجل، الكبير، الصدري، الرئيسي،
 العالمي، الكافلي، الفاضلي، الأوحدي، الأثيري، الماجدي، الأصيلي،
 العمادي؛ مجتهد الإسلام، شرف الرؤساء، بهاء الأنام، جمال الصدور، نحر الأعيان،
 خالصة الدولة، صفوة الملوك والسلاطين: أدام الله علوه، هو الذي ربته السيادة
 على وبيادها، ولبته السعادة إلى مرادها؛ وبنت العلياء قواعدها على عماده،
 وثبت المراتب أعناقها متشوفة إلى حسن أعتاده؛ وبأشر الجامع المعمور خصوصا
 والأوقاف الشامية عموما فعمرها، وكثر أعدادها وأتمى من بركات نظره متحصلاتها
 وتمرها؛ وشيد في كل منها مواطن عباده، وملتقى حلقة ومدار سبحة ومفرش سجاده،
 وأبى الله أن يقاس به أحد والجامع الفاروق وللذين أحسنوا الحسنى وزاياه؛
 فأوجب له جميل نظرنا أن نضاعف له الأجر في كل عمل إليه ينتسب، وزيده

في رزقه سعة : من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب ؛ فرأينا أنه أحق أن يقلد
من أمور الحسبة الشريفة حكمها المنصرف ، وحكمها المعروف ، ويقام فيها بهدي من
تقدمه في تقرير أمورها على أثبت القواعد ، وتقدير مصالحها على أجمل ما جرت به
العوائد ؛ ويظهر أوقاتها من الدنيس فيما يحضر على الموائد ، وإخافة الأعناق من
مضاربه التي تقطع ما غفا السيف عنه من مناط القلائد .

فوسم بالأمر الشريف العالی - لا زالت بمراسمه تتلقى كل رتبة ، وتووق الدنيا
بمن يقوم بالحسبة - أن يفوض إليه النظر على الحسبة الشريفة بدمشق وما معها
من الممالك الشامية المضافة إليها ، بالمعلوم المستقر ، الشاهد به الديوان المعمور إلى
آخروقت : مضافا إلى ما هو بيده : من نظر الأوقاف المبرورة بالشام ، وأوقاف
الملوك . خلا نظر الجامع المعمور إلى آخروقت بحكم إفراده لمن عين له ، تفويضا
يضمه إلى ربائب كنفه ، ويعمه بمواهب شرفه ، ويحمله في أعلى غريفه ، ويحمله
بما يحسد الدر مارمي من صدفه .

فأتق الله في أحوالك ، وأتق من يجمع عليه من الثواب في أعمالك ، وأمر
بالمعروف وأنه عن المنكر ، فإني المنكر لا يعرف والمعروف منك لا ينكر ؛ واعتبر
أحوال أرباب المعاش اعتبارا يصلح للناس أوقاتهم ، ويرغد أوقاتهم ؛ ولا تدع
صاحب سلعة يتعدى إلى غير ما أحله الله له من المكاسب ، ولا صاحب معيشة [يقدم]
على تخلل خليل في المال والمشارب ؛ وأقصد التسوية بالحق فإنه سواء فيه البائع
والمشترى ، ولا فرق بين الرخيص والثمين ؛ وأقيم الموازين بالقسط حتى لا يتمكن
كفاتها أن تتحمل ولا تتحمل ، ولا يستطيع قلبها أن يميل مع من يميل ، ولا يقدر
لسانها أن يكتم الشهادة بالحق وإن كان مثقال حبة من تحردل ؛ وأجعل لك على

أهل المَبَايَعَاتِ حَفَظَةً لِنَظْلِ أَعْمَالِهِمْ لَكَ تُنْسَخَ . وَتَفَقَّدَ الْأَسْوَاقَ مِمَّا يَتَوَلَّدُ فِيهَا
 مِنَ الْمَفَاسِدِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ رُبَّمَا بَآضَ فِي الْأَسْوَاقِ وَفَرَّخَ . وَأَرَبَابُ الصَّنَائِعِ فِيهِمْ مِنْ
 يَدْلَسُ ، وَفُقَهَاءُ الْمَكَاتِبِ مِنْهُمْ مَنْ لِعَرِضِهِ يَدْتَسُّ ؛ وَالتَّقْصَاصُ غَالِبُهُمْ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ
 فِي قِصَصِهِ ، وَأَهْلُ النَّجَامَةِ كَمْ مِنْهُمْ مَنْ لَعِبَ مَرَّةً بَعَثَ أَمْرَأَةً وَأَمَاتَ رَجُلًا
 بِغُصْبِهِ ؛ وَآخَرُونَ مِنْ تَضَلُّ بِهِمُ الْعُقُولُ ، وَتَظَلُّ حَاثِرَةً فِيهِمُ النُّقُولُ ؛ وَكَثِيرٌ مِنْ
 سَوَى هَؤُلَاءِ يَدُكُ مَبْسُوطَةٌ عَلَيْهِمْ ، وَأَحْكَامُكَ مُحِيطَةٌ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ وَبَيْنَ يَدَيْهِمْ ؛
 فَقَوْمٌ مِنْهُمْ مَنْ مَالَ ، وَقَلَدَ مَالِكًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا رَأَاهُ مِنَ الْمَعَاقِبَةِ تَارَةً بَانَهَاكَ الْجَسَدُ
 وَتَارَةً بِإِفْسَادِ الْمَالِ ؛ فَرُبَّمَا أَطْفَى الْغِنَى وَالْمَصْبَاحُ فَرُبَّمَا قَطَّبَ
 وَتَمَّ مِنْ لَا يَسْتَقِيمُ حَتَّى يُؤَدَّبَ ، وَمَنْ لَا يُلْمُ عَلَى شَعْبٍ وَأَيُّ الرِّجَالِ الْمُهْتَدِّبِ ؛ وَفِيكَ
 مِنَ الْأَلْمَعِيَةِ نُورٌ بَاهِرٌ ، وَكَوْكَبٌ زَاهِرٌ ؛ فَلَا حَاجَةَ إِلَى أَنْ تُلْقَى الْوَصَايَا أَقْلَامَهَا أَيُّهَا
 يَكْفُلُكَ ، وَلَا تَنْبَهَكَ عَلَى زِينَةِ الْعَنَافِ فِيهَا وَهُوَ حُلُّكَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوفِّقُ أَعْتَادَكَ ،
 وَيُوفِّرُ مِنَ التَّقْوَى زَادَكَ ؛ وَالْأَعْتَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ
 بِمُقْتَضَاهُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الرابعة — وكالة بيت المال المعمور .

وهذه نسخة توقيع بوكالة بيت المال ، من إنشاء القاضي تاج الدين البارنباري ،
 للقاضي نجم الدين أبي الطيب .

الحمد لله الذي جعل الطيبات للطيبين ، وهدى بالنجم المنير السبيل المؤمنين ، وعَدَّقَ
 بأئمة الدين مصالح المسلمين ، وآتانا بتفويضنا إليه ، وتوكلنا عليه ، شرفاً في الشأن وقوة
 في اليقين .

نحمده على أن أعان بحيره وهو خير معين ، ونشكره على أن بصرنا في الإيرادات ،
بالملائكة المقترين ، ونصرنا في الولايات ، بالقوى الأمين ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة أنوارها في القلب مشرقة على الصفحات والحين ،
وأذكأرها على اللسان جعلت الإنسان من صالح المؤمنين ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً
عبده ورسوله هادي المهتدين ، وموضح شرعة الإحسان للحسين ، و « أبو الطيب »
و « أبو القاسم » كنى بأولاده المطهرين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم
من كان من السابقين الأولين ، ومنهم من كان مهيباً للكافرين ، ومنهم من تزوج
بأبنتي الرسول ولم يتفق ذلك لغيره في سالف السنين ، ومنهم من كان الخير ملاء
يديه : فشمول البركة بشياله وذو الفقار في اليمين ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فأكرم التفويض ما صادف محلاً ، وأبرك الولايات ما وجد قدراً معلً ،
وأحسن الإحسان ما أصبح به الحال محلي ، وأسنى الأنجم ما أشرق في مطلعها وتجلي ،
وأحق [الولاية] بإعلاء منصبه من أقبلت عليه وجوه الإقبال حين تولى ؛ وأولى
[الولايات] بإجمال النظر وإمعانه ، في تشييد شأنه ، وتمكين مكانته ومكانه ، وحفظ
حوزته من سائر أركانها - وكالة بيت المال المعمور التي بها تُصان الأرض المقدسة ،
ومنها تُستبصر الآراء الرئيسة ؛ وبها يؤمن الاستيلاء على المحال والأبنية من كل جائر ،
وبها تزداد قيم المبيعات مما هو لبنت المال ما بين عامٍ ودائر ؛ وإلى متوليها تأتي
الرغبات ممن يتنازع أرضاً ، وبه تُمضى المصالح وتُقضى ، وبه يظهر التمييز في الثمن
الأرضي ؛ وهي في الشام نعيمة المقدار ، كريمة الآثار ؛ مرضية بالربح في كل أرض
بينت المصالح في كل بناء دائرة بالنجح في كل دار ؛ فلا يسيم برقتها ، ويتوج فرقتها ،
ويؤفقا حقتها ، إلا من له علم وتبصره ، وعرفان أوضح الطريق وأظهره ، وحسن
رأى فيما أثره وأثره ، وصدارة ورد بها منهل الكرام البررة .

وكان فلان هو ذو السؤدد العريق ، والباسق في الدوح الوريق ، والمنسب إلى
 أعز فريق ، والطيب أصلاً وقرعاً على التحقيق ، والإمام في علومه التي أصلت
 التفريع ووصلت التفریق ، والموفق فيما يأتي ويذر والله ولي التوفيق ؛ قد أشرق
 بدمشق نجمه نورا ، وأبتسم البرق الشامي به سرورا ؛ وتصدر بحافلها فشرح صدورا ،
 وأبنتى له سؤودا وجعل مكارم الأخلاق عليه سورا ؛ تلقى بحضرة المسائل فتلقى منه
 ولياً مرشدا ، وتذكر لديه المباحث فتجد على ذهنه المتوقد هدى ، وإذا اضطرب
 قول مشكل سكن ببابته وهذا ؛ إن تأول أصاب في تأويله ، وإن نظر في مصلحة
 كان رأيه في السداد موافقا لقيه ، وقد استخرنا الله تعالى - وهو نعم الوكيل -
 في توكيله .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه

فليات هذا المنصب المنصب وبلى بركته من بابه ، وليخيم في فسيح رحابه ، ولينعم
 بجناته في جنابه ؛ وليحرر ما يباع من أملاك بيت المال بشروطه وأوزامه المسطورة
 في كتابه ، وليردع من استولى على أرض باعصابه ، فليس لعرق ظالم حق ؛ وهو
 إما بناء بإنشائه وإما غراس بإنشائه ؛ وما يرتجع إلى بيت المال المعمور من أرض
 وعقار ، وروضات ذات غراس وأنهار ، وقرى وما يضاف إلى ذلك من آثار ؛ فليحرر
 مجموعته ، وليسلك في ذلك الطريقة المشروعة . وليشفق إشفاق المتقين المهادين
 لمآلهم ، ولينصح لنا وللساميين فهو وكيل بيت ما لهم . ومن مات ولا وارث له من
 عصبية أو كلاله ، فإن لبيت المال أرضه وداره وماله .

وقد وكلنا إليك هذا التقليد وقدناك هذه الوكالة ، وكذلك - رحمه الله - كانت
 مفوضة إليه قديما فلذلك أحيينا بك تلك الأصالة .

وَأَعْلَمَ - أَعَزَّكَ اللهُ - أَنَّ الْوَصَايَا إِن طَالَتْ فَقَدْ طَابَ سَبْحُهَا ، وَإِن أُوجِرَتْ
فَقَدْ كَفَى لَمَعَهَا وَلَمَحُّهَا ؛ وَعَلَى الْأَمْرَيْنِ فَقَدْ أَنَارَهَا هُنَا بِالتَّوْفِيقِ صَبْحُهَا ، وَحَسَنَ
بِالتَّصَدِيقِ شَرْحُهَا ، وَأَطْرَبَ مِنْ حَمَامٍ أَقْلَامُهَا صَدْحُهَا ، وَالتَّقْوَى فِيهِ أَوْفَى
وَآخِرُهَا وَخَتْمُهَا وَفَتْحُهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْقِي بِكَ كُلَّ قَضْبَةٍ [ذَوَى] صَبْحُهَا ؛ وَالْخَيْرُ
يَكُونُ إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع شريف بوكالة بيت المال بالشام أيضا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ كَافِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ ، وَمُحْسِنِ مَالٍ مَنْ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَيْهِ ، وَمُجَلِّ مَائِبٍ مَنْ
قَدَّمَ رَجَاءَنَا عِنْدَ الْهِجْرَةِ إِلَى أَبْوَابِنَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَمُقَرَّرَيْنِ مِنْ أَسْمَرٍ فِي أَسْمَطَارِ عَوَارِفِنَا
بِكَالِ الْأَدْوَاتِ نَاطِرِيهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ سَعَى مَنْ أَمَّ كَرَمَنَا ، مَشْكُورًا ، وَسَعَدَ مَنْ قَصَدَ حَرَمَنَا ،
مَشْهُورًا ؛ وَإِقْبَالَ مَنْ أَقْبَلَ إِلَى أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ مُحَقَّقًا يَتَقَلَّبُ فِي نِعْمَانَا مُجْبُورًا ، وَيَتَقَلَّبُ
إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَعْتَصِدُ فِيهَا
بِالإِخْلَاصِ وَنَعْتَصِمُ ، وَنَتَمَسَّكُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِعُرْوَتِهَا ، الَّتِي لَا تَنْفِصِمُ ، وَنُوَكِّلُ فِي إِقَامَةِ
دَعْوَتِهَا ، سُيُوفِنَا الَّتِي لَا تَزَالُ هِيَ وَأَعْنَاقُ جَاحِدِيهَا تَحْتَصِمُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي أَضَاءَتْ شَرِيعَتُهُ ، فَلَمْ تَخْفَ عَلَى ذِي نَظَرٍ ، وَأَنَارَتْ مَلْتَهُ ، فَأَبْصَرَهَا الْقَلْبُ قَبْلَ
الْبَصَرِ ، وَعَمَّتْ دَعْوَتُهُ ، فَاسْتَوَى فِي وَجُوبِ إِجَابَتِهَا الْبَشَرُ ، وَأَخْتَصَّتْ أُمَّتَهُ ، بِعُلَمَاءِ
يُبْصِرُونَ مِنْ فِي طَرْفِهِ عَمَى وَيُظْهِرُونَ حَقَّ مَنْ فِي بَاعِهِ قِصْرَ ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ الَّذِينَ عَمِلُوا بِمَا عَامَلُوا ، وَعَدَلُوا فِيهَا حَاكِمًا ، وَحَفِظُوا بِالْحَقِّ بِيُوتِ أَمْوَالِ الْأُمَّةِ

(١) القضبَةُ الرطبة من النبات وذوَى يس والصبح في الأصل خروج العنقود من كانه .

فأشترك أهل الملة فيما غنموا؛ صلاةً توكل الإخلاص بإقامتها، وتكفل الإيمان بإدامتها؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد : فإن أهم ما صرفت إليه الهمم ، وأعم ما نوجب في اختيار الأئمة له براءة الذم ، وأخص ما اتخذنا الاستخارة فيه دليلاً ، وأحق ما أقمنا عنا فيه من أعيان الأمة ويكلاً ، لا يدع حقاً للأمة ما وجد إليه سبيلاً - أمر بيت مال المسلمين الذي هو مادة جهادهم ، وجادة جلادهم ؛ وسبب استبطاعتهم ، وطريق إخلاصهم في طاعتهم ؛ وسداد نفورهم ، وصلاح جمهورهم ؛ وجماع ما فيه إيقان أحوالهم واستقرار أمورهم ؛ ومن أكد مصالحه وأهمها ، وأخص قواعده وأعمها ، وأكل أسباب وفوره وأتمها ؛ الوكالة التي تصون حقوقه أن تضاع ، وتمنع خواصه أن تُساع ؛ وتحسن عن الأمة في حفظ أموالها المناب ، وتتولى لكل من المسلمين فيما فرض الله لهم الدعوى والجواب ؛ ولذلك لم نزل نغير لها من ذخائر العلماء من زان الورع بجباياه ، وكل العلم مزاياه ؛ وأنعقد الإجماع على كماله ، وقصرت الأطماع عن التحلي بجمال علمه : وهل يبارى من كان علمه من جماله .

ولما كان المجلس السامى ، الشيخى ، الفلافى ، هو الذى ظهرت فضائله وعلومه ، ودل على بلوغ الغاية منطوق نعتيه ومفهومه ؛ وحل علمه بالورع الذى هو كمال الدين على الحقيقة ، وسلك طريقة أبيه فى التفرد بالفضائل فكان بحكم الإرث من غير خلاف صاحب تلك الطريقة ؛ مع نسب لنسب مامر حلاله ، وتقى ما ورثه من أبيه عن كلاله ؛ وثبات فى ثبوت الحق لاستغفزه الأغراض ، وأناة فى قبول الحكم لا تحيل جواهره الأغراض ؛ ووقوف مع الحق لا يبعده إلى ما [لا] يجب ، وبسطة فى العلم بها يقبل ما يقبل ويختب ما يختب ؛ وتحقيق تجرى الدواوى الشرعية على محبته ، وإنصاف لا يضرب خصمه معه كونه ألحن منه بحبته ؛ مع وفادة إلى

أبوأبنا العالیه تقاضت له كرمنا الجَم ، وفضلنا الذى خصَّ وعم - آقتضت آراؤنا الشریفه أن یرجع إلى وطنه مشمولاً بالنعم ، مخصوصاً من هذه الرتبة بالغایة التى یکبُو دونها جوادُ المهتم ؛ منصوصاً علی رفعة قدره التى جاءت هذه الوظیفه علی قدر ، مداوماً [لشکر أبوأبنا] علی اختياره لها بعد إمعان الاختیار وإنعام النظر .

في سِم بالأمر الشریف أن تُفوض إليه وكالةُ بیت المال المعمور بالشام المحروس .

فلیرق هذه الرتبة التى هی من أجل ما یرتقی ، ویتلق هذه الوكالة التى مدار أمرها علی التقى وهو خير ما یتقى ، ویبأشر هذه الوظیفه التى منأط حکمها فى الوری الذى لانتسخت صأحبه الأهواء ولا تستفزه الرقى ؛ ولینهض بأعبأها مستقلاً بمصالحها ؛ متصدياً لمجالس حکمها العزیز لتحریر حقوق بیت المال وتحقیقها ، متلقياً ما یرد من أمر الدعأوی الشرعیة التى یت مثلها فى وجهه بطریقها ؛ منقباً عن دوافع ما یتبت له وعلیه ، محسناً عن بیت المال الوكالة فيما جرّه الإرث الشرعى إلیه ؛ مستظهِراً فى المعاقدة بما جرت به العاده من وجوه الاحتراز ، مجانباً جانب الحیف فى الأخذ والعطاء بأبواب الرخص وأسباب الجواز ؛ منكباً فى تشدده عن طریق الظلم الذى من تحلى به كان عطلا ، سالكاً فى أموره جادة العدل فإنه سیان من ترك حقه وأخذ باطلا ؛ مجتهداً فى تحقیق ما وصح من الحقوق الشرعیة وكن ، متقبلاً ما غالت الأيام فى إخفائه فإن الحق لا یضیع بقدیم العهد ولا یبطل بطول الزمن .

وفى أوصافه الحسنه ، وسمأیاه التى غدت بها أقلام آیامنا لیسنه ، وعلومه التى أسرت إلیها أفكاره والعیون وسنه ، ما یغنى عن وصأیا یطلق عنان البراعة فى تحدیدها ، أو قضاياً ینطق لسان البراعة فى توكیدها ؛ ملاكها تقوى الله وهى سبیحة نفسیه ،

(١) فى الأصل « مداوماً لها على الخ » .

وَنَجِيَّةٌ أَنَسِيهِ ، وَحِلْيَةٌ خَلَالِهِ الْمَعْرُوفَةُ فِي يَوْمِهِ وَأَمْسِيهِ ؛ فَلْيَقْدِمْنَاهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ ، وَيَقِفْ
عِنْدَ رِضَا اللَّهِ فِيهَا لِارِضَا زَيْدٍ وَلَا عَمْرٍو ؛ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ :

[الوظيفة الخامسة - الخطابه^(١)].

وهذه نسخة توقيع بالخطابة بالجامع الأموي، كُتِبَ بها لزيّن الدين الفارقي،
من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

الحمد لله رافع الدين أوتوا العلم درجات، وجاعل أرجاء المنابر بفضائل أئمة الأمة
أرجات، وشارح الصدور بذكره بعد أن كانت من قبل المواعظ حرجات؛ الذي
زان الدين من العلماء بمن سُميت له فيه الإمامة، وصان العلم من الأئمة المتقين
بمن أصحّب له جاح الفضل يصرف كيف شاء زمامه؛ ووطد ذروة المنبر الكريم^(٢)
لمن يحفظ في هداية الأمة حقه ويرعى في البداية بنفسه ذمامه، ووطأ صدر
المحراب المنير لمن إذا أمّ الأمة أرتته خشية الله أن وجه الله الكريم أمامه .

تحمده على ما منحنا من صون صهوات المنابر إلا عن فُرسانها، وحفظ درجات
العلم إلا عنمن ينظر بإنسان السنة وينطق بلسانها . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة لا تزال أفواه المحارب، تُثبت طروسها، وأنواء المنابر، تُثبت غروسها،
وأسنة الإخلاص تُلقى على المسامع من صُحف الضمائر دُروسها . ونشهد أن محمدا عبده
ورَسُولُهُ الذي شَرَفَتِ المنابرُ أَوْلًا بِرُقيهِ إليها، وأخراً بِذِكْرِ اسمِهِ الكريمِ عَلَيْهَا ؛ فَهِيَ
الرَّبِيبَةُ التي يَزِيدُ تَبَصُّرَهُ على ممرِّ الدهور بقاءُها، والدَّرَجَةُ التي يطول إلا على وِثْمَةِ
عَلَمِهِ أرتقاؤها؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ فَذَكَرُوهَا،

(١) أضفنا هذه الزيادة لأقتضاء الكلام لها .

(٢) أي ذلّ وانقاد بعد صعوبة .

وَبَصَّرَهُمْ بِآلَاءِ اللَّهِ فَشَكَرُوهَا ، وَعَرَّفَهُمْ بِمَوَاقِعِ وَحْدَانِيَّتِهِ بِخَادِلُوا بِسُنَّتِهِ وَأَسْنَنِهِ الَّذِينَ
 أَنْكَرُوهَا ، صَلَاةً لَا تَبْرُحُ لَهَا الْأَرْضُ مَسْجِدًا ، وَلَا يَزَالُ ذِكْرُهَا مُغَيِّرًا فِي الْأَفَاقِ
 وَمُنْجِدًا ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنه لما كانت الخطابة من أشهر شعائر الإسلام ، وأظهر شعار ملة سيدنا
 محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، شرعها الله تعالى لإذكار خلقه بنعمه ، وتحذير عباده
 من تقمه ، وإعلام بريته بما أعد لمن أطاعه في دار كرامته من أنواع كرمه ، وجعلها
 من وظائف الأمة العاقمة ، ومن قواعد وراثته النبوة التامة ، يقف المتلبس بها موقف
 الإبلاغ عن الله لعباده ، ويقوم الناهض بقرضها مقام المؤدى عن رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم - إلى أمته عن مراد الله ورسوله دون مراده ، ويقسمها
 في فروض الكفايات على سنن سبيله ^(١) ، ويستزل بها مواد الرحمة إذا ضن الغيث
 على الأرض بوبه ، وكان المسجد الجامع بدمشق المحروسة هو الذي سارت بذكره
 الأمثال ، وقيل هذا من أفراد الدهر التي وضعت على غير مثال ، قد تعين أن ترتاد
 له بحكم خلوه من الأئمة من هو مثله فرد الأفاق ، وواحد العصر عند الإطلاق ،
 وإمام علماء زمانه غير مدافع عن ذلك ، وعلامه أئمة أوانه الذي يضيء بنور
 فتاويه ليل الشك الحالك ، وناصر السنة الذي تدب علومه عنها ، وحاوي ذخائر
 الفضائل التي تسمى على كثرة إنفاقه على الطلبة منها ، وشيخ الدنيا الذي يعقد على
 فضله بالحناصر ، ورحلة الأقطار الذي غدت نسبته إلى أنواع العلوم زاكية
 الأحساب طاهرة الأواصر ، وزاهد الوقت الذي زان العلم بالعمل ، وناسك الدهر
 الذي صان الورع بامتداد الفضائل وقصر الأمل ، والعايد الذي أصبح حجة

(١) في الأصل "تبيه" .

الْعَارِفِ وَقُدُوءَ السَّالِكِ ، وَالصَّادِعُ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا يُبَالِي مِنْ أَعْضَبَ إِذَا رَضِيَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ بِذَلِكَ .

ولما كان فلان هو الذي خَطَبَتْهُ لهذه الخطابة علومه التي لا تُسَامَى ولا تُسَامَ ،
وَعَيْنَتْهُ لهذه الإمامة فَضَائِلُهُ التي حَسُنَتْ بها وَجُوهُ الْعِلْمِ الْوَسَامُ ، حَتَّى كَانَتْهَا فِي قِمِّ
الزَّمَنِ أُتِسَامَ ، وَالنَّقَى إِلَيْهِ مَقَالِيدَهَا كَمَا لَهُ الَّذِي صَدَّ عَنْهَا الْخَطَابُ ، وَسَدَّ دُونَهَا أَبْوَابَ
الْخَطَابِ ، وَقِيلَ : هَذَا الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ أَوْلَى بِهَذَا الْمِنْبَرِ وَأَحْرَى بِهَذَا الْمِحْرَابِ -
أَقْتَضَتْ آرَائُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نُحَلِّيَ أَعْطَافَ هَذَا الْمِنْبَرِ بِفَضْلِهِ الَّذِي يُعِيدُ عَوْدَةَ رَطِيبِيَا ،
وَيُضَمِّخُ طَيْبًا مِنْهُ مَا ضَمَّ خَطِيبِيَا ، وَأَنْ نَصَدِّرَ بِهَذَا الْمِحْرَابِ مَنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ لَدَى الْأُمَّةِ
مُنَاجٍ لِرَبِّهِ ، وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ يَحْوُلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ - لَا زَالَ يُوَلَّى الرَّتَبَ الْحَسَانَ ، وَيَجْرِي بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ
الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ - أَنْ تَفْوُضَ إِلَيْهِ الْخَطَابَةَ وَالْإِمَامَةَ بِجَمَاعِ دِمَشْقِ الْمَحْرُوسِ عَلَى
عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَه .

فَلْيَرَقْ هَذِهِ الرَّتَبَةَ الَّتِي أَمَّطَاهُ اللَّهُ ذُرْوَتَهَا ، وَأَعْطَاهُ الْفَضْلَ صَهْوَتَهَا ، وَعَيْنَهُ تَفَرَّدَهُ
بِالْفَضَائِلِ لِإِذْكَارِ الْأُمَّةِ عَلَيْهَا ، وَرَبَّحَهُ لَهَا أَنْعَادُ الْإِجْمَاعِ عَلَى فَضْلِهِ حَتَّى كَادَتْ
لِلشَّوْقِ أَنْ تَسْعَى إِلَيْهِ لَوْ لَمْ يَسْعَ إِلَيْهَا ، حَتَّى تَحْتَالَ مِنْهُ بِإِمَامِهِ لَا تَعْدُو مَوَاعِظُهُ حَبَابَاتِ
الْقُلُوبِ ، لِأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ مِثْلِهَا ، وَلَا تَدْعُ خُطْبَهُ أَثْرًا لِلذُّنُوبِ ، لِأَنَّهَا تُوَكِّلُ مَاءَ الْعَيْونِ
بَغْسِلِهَا ، وَلَا تُبْقِي نَصَائِحَهُ لِلدُّنْيَا عِنْدَ الْمُغْتَرِّبِهَا قَدْرًا : لِأَنَّهَا تَبْصُرُهُ بِخِدَاعِهَا ، وَلَا تَتْرَكَ
بِلَاغَتَهُ لِلْقَصْرِ عَنِ التَّوْبَةِ عُدْرًا : فَيُنْهَى تُحَدِّثُهُ مِنْ سُرْعَةِ زَوَالِ الْحَيَاةِ وَأَنْقِطَاعِهَا ، وَلَا
تَجْعَلُ فَوَائِدَهُ لَدَوِي النَّجْدَةِ وَالْبَاسِ الْبِغَاتَا إِلَى أَهْلِ وَلَا وَدَيْدَ لَأَنَّهَا تُبَشِّرُهُ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ

لمن نَحَرَجَ فِي سَبِيلِهِ ، وَلَا تُمَكِّنُ زَوَاجِرُهُ مَنْ تَسَرَ الظلمَ أَنْ يُمَدَّ إِلَيْهِ يَدًا لِأَنَّهَا تُخْبِرُهُ بِمَا فِي الإِقْدَامِ عَلَى ذَلِكَ مِنْ إِغْضَابِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

فَلْيُطَلِّ - مع قِصْرِ الخُطْبَةِ - لِلظَّالِمِ بِجَمَالِ زَجْرِهِ ، وَلِيُطَبِّ قَلْبَ العَالِمِ العَامِلِ بِوصفِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنْ أَجْرِهِ ؛ وَلِيَجْعَلَ خُطْبَهُ كُلَّ وَقْتٍ مَقْصُودَةً عَلَى حِكْمِهِ ، مَقْصُودَةً فِي وُضُوحِ المَقَاصِدِ بَيْنَ مَنْ يَنْهَضُ بِسُرْعَةٍ إِدْرَاكُهُ أَوْ يَقَعُدُ بِهِ بَطْءُ فَهْمِهِ ؛ غَيْرُ الكَلَامِ مَادَّلًا بِلَاغَتِهِ وَإِنْ قَلَّ ، وَإِذَا كَانَ قِصْرُ خُطْبَةِ الرَّجُلِ وَطُولُ صَلَاتِهِ مَثْنَةً مِنْ فِقْهِهِ فَمَا قَصَرَ مَنْ حَافِظٌ عَلَى حُكْمِ السُّنَّةِ فِيهِمَا وَلَا أَخَلَّ .



[وهذه] نسخة توقيع بالخطابة بالجامع الأموي ، كُتِبَ بِهِ لِلقَاضِي «تَقِيَّ الدِّينِ

السبكي» .

الحمد لله الذي جعل دَرَجَاتِ العُلَمَاءِ آخِذَةً فِي مَزِيدِ الرُّقِيِّ ، وَخَصَّ بِرَفِيعِ الدَّرَجَاتِ مِنَ الأئِمَّةِ الأَعْلَامِ كُلِّ تَقِيٍّ ، وَأَلْفَى مَقَالِيدَ الإِمَامَةِ لِمَنْ يَصُونَ نَفْسَهُ النَّفِيسَةَ بِالوَرَعِ وَبِقِيٍّ ، وَأَعَادَ إِلَى مَعَارِجِ الجَلَالِ ، مَنْ لَمْ يَزَلْ يَخْتَارُ حَمِيدَ الجَلَالِ ، وَيَنْتَقِي ، وَأَسَدَلَ جِلْبَابَ السُّؤْدَدِ عَلَى مَنْ أَعَدَّ لِلصَّلَاةِ وَالصَّلَاتِ مِنْ قَلْبِهِ وَنُوبِهِ كُلِّ طَاهِرٍ تَقِيٍّ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ أَعْلَى عِلْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَأَقَامَهُ ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ التَّقْوَى بَاقِيَةً فِي أَهْلِ العِلْمِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً عَدْلٌ قَيَّدَ الفَضْلَ بِالشُّكْرِ وَأَدَامَهُ ، وَأَيَّدَ النِّعْمَةَ بِمَزِيدِ الحَمْدِ فَلَا غَرْوَ أَنْ جَمَعَ بَيْنَ الإِمَامَةِ

(١) فِي الأَصْلِ «شَهَادَةٌ عَدْلٌ فِيهَا قَيْدُ الخ» وَضُبُّ عَلَى لَفْظَةِ «فِيهَا» .

وَالرَّعَامَةَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَعْلَى اللَّهُ بِهِ عَقِيْرَةَ مُرْتَلِّ الْأَذَانِ
وَمُسْدِرِجِ الْإِقَامَةِ ، وَأَعْلَى بِبِرْكَتِهِ قِيَمَةَ مَنْ تَمَسَّكَ بِسَبِيْلِ الْمُهْدَى وَلَا زَمَّ طَرِيْقَ
الْإِسْتِقَامَةِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ عَقَدُوا عُهُودَ هَذَا الدِّينِ وَحَفِظُوا نِظَامَهُ ،
وَعَلَى أَصْحَابِهِ الَّذِينَ مَامَنَهُمْ إِلَّا مَنْ أَقْتَدَى بِطَرِيْقِهِ فَاهْتَدَى إِلَى طَرِيقِ الْكِرَامَةِ ، صَلَاةٌ
لَا تَزَالُ بَرَكَاتُهَا تُؤَيِّدُ عَقْدَ الْيَقِيْنِ وَتُدِيْمُ ذِمَامَهُ ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ سِيْمِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيْفَةِ أَنْ تَرْفَعَ كُلَّ عَالِي الْمِقْدَارِ مَكَانًا عَلِيًّا ،
وَتَجْعَلَ لَهُ مِنْ أَسْمِهِ وَصِفَتِهِ قَوْلًا مَسْمُوعًا وَفِعْلًا مَرْضِيًّا ، وَتُوَطِّدَ لَهُ رُتَبَ الْمَعَالِي
وَتَزِيْدَ قَدْرَهُ فِيهَا رُقِيًّا ، وَتَكْسُوهُمْ مِنْ جِلْبَابِ السُّؤْدُدِ مِطْرَفًا مَبَارِكًا وَطِيًّا ، وَتُطَلِّقَ
لِسَانَ إِمَامِهِ بِالْمَوَاعِظِ الَّتِي إِذَا تَعَقَّلَهَا أُولُو الْأَلْبَابِ نَحَرُوا لِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ سُبْحَانًا وَبُكْيَا .

وَمَا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِيُّ هُوَ الَّذِي أَعَزَّ أَحْكَامَ الشَّرِيْعَةِ الشَّرِيْفَةِ وَشَادَهَا ،
وَأَبْدَى مِنْ أَلْفَاظِهِ الْمُبَارَكَةِ الْمَوَاعِظَ الرَّبَّانِيَّةَ وَأَعَادَهَا ؛ وَأَذَاعَ فِيهَا أَسْرَارَ الْيَقِيْنِ
وَزَادَهَا ، وَأَصْلَحَ فِسَادَهَا ، وَقَوَّمَ مُنَادَهَا ؛ وَكَيْفَ لَا وَقَدْ جَمَعَ مِنَ الْعُلُومِ أَشْتَاتَا ،
وَأَحْيَا مِنْ مَعَالِمِ التَّقِيِّ رُقَانَا ، وَأَوْضَحَ مِنْ صِفَاتِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ بِهَدْيِهِ وَسَمَّتِهِ هَدْيًا
وَسَمَاتَا ، فَلِذَلِكَ خَرَجَ الْأَمْرُ الشَّرِيْفَ الصَّالِحِيَّ الْعَامَدِيَّ



قُلْتُ : وَهَذِهِ نَسْخَةٌ تَوْقِيْعٌ بِخَطَابَتِهِ أَيْضًا ، أَنْشَأْتُهُ لِلشَّيْخِ « شِهَابِ الدِّينِ
أَبْنِ حَاجِي » :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطَّلَعَ شِهَابَ الْفَضَائِلِ فِي سَمَاءِ مَعَالِيهَا ، وَزَيَّنَ صَمَوَاتِ الْمَنَابِرِ بِمِنْ
قُوَّةِ عُيُونِهَا مِنْ وِلَايَتِهِ الْمُبَارَكَةِ بِتَوَالِيهَا ، وَجَمَّلَ أَعْوَادَهَا بِأَجَلِّ حَبْرٍ لَوْ تَسْتَطِيعُ فَوْقَ

قدرتها لَسَعَتْ إِلَيْهِ وَفَارَقَتْ - حَرْقًا لِلْعَادَةِ - مَبَانِيهَا ، وَشَرَفَ دَرَجَهَا بِأَكْمَلِ عَالِمِ
مَاوَضَعَ بِأَسَافِلِهَا قَدَمًا إِلَّا وَحَسَدَتْهَا عَلَى السَّبْقِ إِلَى مَسِّ قَدَمِهِ أَعَالِيهَا .

نعمده على أَنْ خَصَّ مَصَاقِعَ الْخُطْبَاءِ مِنْ فَضْلِ اللَّسَنِ بِالْبَاعِ الْمَدِيدِ ، وَقَصَرَ الْجَامِعَ
الْأُمَوِيَّ عَلَى أَنْبُلِ خَطِيبِ يَسِيبُ فِي تَطَلُّبِ مِثْلِهِ الْوَالِيدِ ، وَأَفْرَدَ فَرِيدَ الدَّهْرِ بِاعْتِبَارِ
الْأَسْتَحْقَاقِ بُرْقَى دَرَجِ مِنْبَرِهِ السَّعِيدِ . وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
شَهَادَةً تَحْفَظُ عَلَى مَوَازِيحِ الصُّفُوفِ أَعْلَامُهَا ، وَتَتَوَقَّرُ مِنْ تَذْكَيرِ آيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى
أَقْسَامُهَا ، وَلَا تُقْصِرُ عَنْ تَبْلِيغِ الْمَوَاعِظِ حَبَاتِ الْقُلُوبِ أَفْهَامُهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ نَبِيِّ نَبَةِ الْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ مِنْ سِنَانِيهَا ، وَأَيُّقِظُ الْخَوَاطِرَ النَّائِمَةَ
مِنْ سُبَاتِيهَا ، وَأَحْيَا رَيْمِ الْأَفِيدَةِ بِقَوَارِعِ الْمَوَاعِظِ بَعْدَ مَمَاتِيهَا ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ الَّذِينَ عَلَا مَقَامُهُمْ ، فَفَاتَتْ أَعْقَابُهُمُ الرَّؤُوسَ ، وَرُفِعَتْ فِي الْمَجَامِعِ رُتَبُهُمْ ،
فَكَانَتْ مَنَزَلَتُهُمْ مَنَزَلَةَ الرَّئِيسِ مِنَ الْمَرُؤُوسِ ؛ صَلَاةً لَا تَزَالُ الْأَرْضُ لَهَا مَسْجِدًا ،
وَلَا يَبْرَحُ مُفْتَرِقُ الْمَنَارِ بِاخْتِرَاقِ الْآفَاقِ لِاجْتِمَاعِهَا مَوْرِدًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا صُرِفَتِ الْعِنَايَةُ إِلَيْهِ ، وَوَقَعَ الْاِقْتِصَارُ مِنْ أَمْرِ الْمُهِمَّاتِ عَلَيْهِ -
أَمْرُ الْمَسَاجِدِ الَّتِي أُقِيمَ بِهَا لِلدِّينِ الْحَنِيفِ رُسْمُهُ ، وَبُيُوتِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى
أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ؛ لَا سِوَى الْجَوَامِعِ الَّتِي هِيَ مِنْهَا بِمَنْزِلَةِ الْمُلُوكِ مِنَ الرَّعِيَّةِ ،
وَأَمَائِلِ الْأَعْيَانِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْبَرِيَّةِ ؛ وَمَنْ أَعْظَمَ خَطَرًا ، وَأَبْيَنَهَا فِي الْمَخَاسِنِ أَثْرًا ،
وَأَسِيرَهَا فِي الْآفَاقِ النَّائِيَةِ خَبْرًا ؛ بَعْدَ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تُسَدُّ الرِّجَالَ إِلَيْهَا ، وَيُعَوَّلُ
فِي قَصْدِ الزِّيَارَةِ عَلَيْهَا - جَامِعُ دِمَشْقَ الَّذِي رَسَتْ فِي النَّخْرِ قَوَاعِدُهُ ، وَقَامَتْ عَلَى عَمْرٍ
الْأَيَّامِ شَوَاهِدُهُ ؛ وَقَاوِمِ الْجَمِّ الْغَفِيرِ مِنَ الْجَوَامِعِ وَاحِدُهُ ؛ وَلَمْ تَزَلِ الْمُلُوكُ تُصْرِفُ الْعِنَايَةَ
إِلَى إِقَامَةِ شِعَائِرِ وَظَائِفِهِ ، وَتَقْتَصِرُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ فَنٍّ عَلَى رَيْسِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَعَارِفِهِ ؛

فما شغرت به وظيفته إلا اختاروا لها الأعلى والأرفع ، ولا وقع التردد فيها بين اثنين إلا تقبلوا منهما الأعلَم والأورع ؛ خصوصاً وظيفة الخطابة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم للقيام بها متصدياً ، وعلم الخلفاء مقام شرفها بعد فباشروها بأنفسهم تأسياً .

ولما كان المجلس العالى ، القاصوى ، الشيخى ، الكبيرى ، العالمى ، الفاضلى ، الأوحدى ، الأتكلى ، الرئيسى ، المقوهى ، البليغى ، الفريدى ، المفيدى ، التجيدى ، القدوى ، الحجى ، المحققى ، الورعى ، الخاشعى ، الناسكى ، الإمامى ، العلامى ، الأثبلى ، العريقى ، الأصبلى ، الحاكى ، الخطيبى ، الشهابى : بحال الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء العاملين ، أوجد الفضلاء المفيدين ، قُدوة البلغاء المجتهدين ، حجة الأمة ، عمدة المحققين ، نجر المدرسين ، مفتى المساميين ، معز السنة ، قابع البدعة ، مؤيد الملة ، شمس الشريعة ، حجة المتكلمين ، لسان المناظرين ، بركة الدولة ، خطيب الخطباء ، مذكر القلوب ، منبّه الخواطر ، قُدوة الملوك والسلاطين ، ولى أمير المؤمنين « أبو العباس أحمد » أدام الله تعالى نعمته : هو الذى خطبته هذه الخطابة لنفسها ، وعلمت أنه الكفاء الكامل فسيبت به فى يومها ما كان من مصابيح الخطباء فى أمسيها ؛ إذ هو الإمام ، الذى لا تُسامى علومه ولا تُسام ، والعلامة الذى لا تُدرَك مداركه ولا تُرام ؛ والخبر الذى تُعقد على فضله الخناصر ، والعالم الذى يعترف بالقصور عن مجاراة جياده المناظر ؛ والحافظ الذى قاوم علماء زمانه بلا منازع ، وعلامة أئمة أوانه من غير مدافع ؛ وناصر السنة الذى يذب بعلمه عنها ، وجامع أشتات الفنون التى يقتبس أمائل العلماء منها ، وزاهد الوقت الذى زان العلم بالعمل ، وناسك الدهر الذى قصر عن مبالغ الأمل ؛ ورحلة الأقطار الذى تُشد إليه الرحال ، وعالم الآفاق الذى لم يسمع الدهر له بمثال - آقتضى

حسن الرأى الشريف أن ترفعَه من المنابر على على درجها ، ونقطع ببراهينه من دلائل الإلباس المُلبَّسة داحض حُججها ، ونقدمه على غيره ممن رام إبرام الباطل فنفض ، وحاول رفع نفسه بغير أداة الرفع نخفض .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، المنصورى ، المعزى - لا زال يرفع لأهل العلم راسا ، ويحقق لذوى الجهل من بلوغ المراتب السنية ياسا - أن يفوض إلى المجلس العالى المشار إليه خطابة الجامع المذكور بانفراده ، على أتم القواعد وأكملها ، وأحسن العوائد وأجملها .

فليرق منبره الذى عاقب فيه رايحه الطالع أعزَل غيره الغارب ، وليتنبؤ ذروة سنامه الأرفع من غير شريك له ولا حاجب ؛ وليتصد بمواعظه حبات القلوب ، ويرشق شهاب قراطيسها المانعة فإنها الغرض المطلوب ؛ وليأت من زواجر وعظه بما يذهب مذهب الأمثال السائرة ، ويرسلها من صميم قلبه العامر فإن الوعظ لا يظهر أثره إلا من القلوب العامره ؛ ويقابل كل قوم من التذكير بما يناسب أحوالهم على أكمل سنن ، ويخص كلاً من أزمان السنة بما يوافق ذلك الزمن ؛ والوصايا كثيرة وإنما تهذيب العلم يُغنى عنها ، وتأديب الشريعة يكفى مع القدر اليسير منها ؛ وتقوى الله تعالى ملاك الأمور وعندة منها القدر الكافى ، والحاصل الوافى ؛ والله تعالى يرقيه إلى أرفع الدرى ، ويرفع على الجوزاء مجلسه العالى : « وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً » .



الوظيفة السادسة — التّدريس الجّار بدمشق المحروسة .

وهذه نسخة توقيع بتّدريس المدرسة الرّيحانية ، كُتِبَ به لقاضي القضاة «عماد الدين الطّرسوسى» الحنّفى ، عوضا عن جلال الدين الرّازى . كُتِبَ بسؤال بعض كُتاب الإنشاء ، وهى :

الحمد لله الذى جعل عماد الدين عليا ، وأحكم مبانى من حكم فلم يدع عصيا ،
وقضى فى سابق قضايه لإمضاء قضايه أن لا يبقى عتيا .

نحمده على ما وهب به من أوقات الذكر بكرة وعشيا ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة تُنبّه بالعلم بوحدانيته من كان غيبا ، وتكثرت لمقاتل
سيوف العلماء من كان غويا ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى كان عند
ربه رزيا ، وعلى ذبه عمّا شرع من الدين مرزيا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
صلاة لا يزال فضل قديمها مثل حديثها مرويا ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فلما كانت رتب العلم هى التى يتنافس عليها ، ويتطاول إلى التنقل إليها ،
ويختار منها ما كسى مباشرة المتقدم ملابس الجلال ، وأن له أن ينتقل إليه البدر
بعد الهلال ، وكانت المدرسة الرّيحانية بمحروسة دمشق هى ريحانة المجالس ، وروضة
العلم الزاكية المغارس ، وبحر الفوائد الذى يُخرج الفرائد ، ومسرح العلماء الذى
قد أن أن يظفر به منهم من الألف زائد .

ولما توفى من آلت إليه ، وعالت مسألتها إلا عليه ، وكان ممن قد ولي الأحكام
استقلالا ، وكان لبصر الدنيا جلاء وللدين جلالا ، لم تكن إلا لمن ينمى به ذلك

الدَّاهِبُ ، و ينسب إليه عِلْمٌ مذهبِهِ كُلَّهُ وإن كان لا يقتصر به على بَعْضِ المذاهب ؛
و يعرفُ مَنْ هُوَ و إن لم يُصرَحْ بِاسْمِهِ ، و يعرفُ مَنْ هُوَ وإن لم يُذكر بعَلَاءِ قَدْرِهِ العَلِيِّ
و عِلْمِهِ ؛ و لا يُمتَرَى أَنَّهُ خَلَفَ « أَبَا حَنِيفَةَ » فيمن خلف ، و حَصَلَ على مِثْلِ ما حَصَلَ
عليه القَاضِي « أَبُو يُوسُفَ » و ذهب ذلك في السَّلَفِ الأوَّلِ مع من سَلَفَ ؛ و اعْلَمْ
بِجِدَالِهِ أَنَّ « مُحَمَّدَ بْنَ الحَسَنِ » ليس من أَقرانِ أَبِي الحَسَنِ ، و أَنَّ « زُفَرَ » لم يُرَزَقْ
طِيبَ أَنفَاسِهِ في بَرَاةِ اللِّسَنِ ؛ و أَنَّ « الطَّحَاوِيَّ » ما طَعَنَ بِهِ « قَلْبَ إِي الحِسانِ
طُرُوبِ » و « القَاضِي حَانَ » لَدَيْهِ مِنْهُ الأَثُوبُ ؛ و تَلَقَّبَ « شَمْسُ الأئِمَّةِ » لما طَلَعَ
عِلْمُهُ أَنَّهُ قد حَانَ من شَمْسِ النَّهَارِ غُرُوبِ ، و « الرَّازِيَّ » لما جاءَ تَيَقُّنُ أَنَّهُ يروزه
عن علمِ الجيوبِ ، و « المَرغِينَانِيَّ » مُسَّ و لم يُرغَنَ لَهُ في مَطْلُوبِ ؛ و « التَّلجِيَّ » ما بَرَدَ
لَطَائِبِ غَلِّهِ ، و « الخَبَازِيَّ » لم يُوجَدَ عنده لَطَعَامٌ فَضَّلَهُ ، و « الهِنْدُوَانِيَّ » ما أَجْدَى
في جِلَادِ الحِدَالِ و لا هَرَّ نَصْلَهُ ؛ و لم يَزَلْ يُسَارِ إِليه و التَّقْلِيدُ الشَّرِيفُ لَهُ بالحِكمِ
المُطَاقِ بما تَضَمَّنَتْهُ من مَحاسِنِ أوصافِهِ شَاهِدٌ ، و دَسَّتْ الحُكْمَ على عُلَى كِوَانِ شَائِدِ ؛
و مدارسِ العِلْمِ تُسِرُّ من حُبِّهِ ، ما حُنِيتَ عليه من مَحاريبِها الأَضالِعِ ، و بِمَجَالِسِ القِضاءِ
تُظْهِرُ بَقْرِيهِ ، ما لم يكن تَدَانِيَّ إِليه المَواضِعِ .

وكان الجناب الكريم ، العالى ، القضاى ، الأجلى ، الإمامى ، الصدرى ، العالمى ،
العالمى ، العلامى ، الكاملى ، الفاضلى ، الأوحدى ، المفيدى ، الورعى ، الحاكى ،
العمادى ، ضياء الإسلام ، شرف الأنام ، صدر الشام ، أمير الإمام ، سيد العلماء
والحكام ، رئيس الأصحاب ، معز السنة ، مؤيد الأمة ، جلال الأئمة ، حكم الملوك
والسلطين ، خالصة أمير المؤمنين ، أبو الحسن على بن الطرسوسى الحنفى ، قاضى

(١) كذا فى الأصل ولعله من زيادة قلم النسخ .
(٢) يروزه يسأله ويخبره . يريد
(٣) من أرغز له فى كذا . أعطاه فيه .

القضاة بالشام - نشر ملاءة مذهبه ، وحلَّ بجلوسه للحكم طرْفِي النهارِ إضاءةً مفضِّضه
وتوشيح مذهبه ؛ طالما ساس الرعية بحكمه ، وساد نظراءه في معرفة العلوم الشرعية
بعلمه وحكمه ؛ وسار مثل فضله في الأقطار وضوء الشمس مرْدُ شعاعه ، فطال إلى
السماء وقصر الأفق المتمد على طول بآعه ، وقاض فيض الغمام وما أكمل البحر بكيله
ولا صار مثل صاعه ؛ وعرضت عليه هذه المدرسة التي لم يكن لغيره أن يجي
ريحاتها ، ولا أن تؤدي إلى يد سواه فودع أماتها ؛ فأثرها على أنه ترك المدرسة
المقدّمية المتقدّم له درسها ، المعظم به في كل حين غرسها ؛ ليوسع بها على الطالب
مذهبه ، ويفرغ لها ساعة من أوقاته المنتهبة ، ويهب [لها] من حقه الذي هو
في يده مالمو شاء ما وهبه .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال يقرب الآماد ، ويرضى القوم وأفضاهم على
وأثبتهم طوداً العاد - أن يفوض إليه تدريس المدرسة الريمانية المعينة أعلاه ، على
عادة من تقدّمه وقاعدته إلى آخر وقت ؛ يحكم تركه للقدّمية ليهب عليه روحها
وتهب له السعادة ريجها ؛ ولها من البشري بعلمه ما تيمس به ريجانه ريجها سرورا ،
وتميد وقد أكنت جبلاً من العلم وقورا ؛ وتمتد وقد ناخت في مسكة الليل غيرها ،
وفي أخوانية الصباح كافورا ؛ وما نوصي مثله - أجل الله قدره - بوصية إلا وهو
يعلمها ، وبقنها من حفظه ويعلمها ؛ ومن فضل قضائه تؤخذ الآداب ، وتنفذ سهام
الآراء والآراب . وتقوى الله بها بأطنه معمور ، وكلُّ أحد بها مأمور ؛ وما نذكره
بها إلا على سبيل التبرك بذكرها ، والتمسك بأمرها . والفقهاء والمتفقهة هم جنده ،
وبهم يجتد جده ، [فليجعلهم له في المشكلات عدّه ، وليصرف في] الإحسان إليهم
جهده ؛ والله تعالى يُعينه على ما ولي ، ويُعينه لكلّ علياء لا يصلح أن يحلها إلا على .
وسبيل كلِّ واقف عليه العمل به بعد الخطّ الشريف أعلاه .



الوظيفة السابعة — التصاير بدمشق المحروسة .

وهذه نسخة توقيع أنشأته لقاضى القضاة «بدر الدين محمد» ابن قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء، وولده جلال الدين محمد، بإعادة تصديرين كانا باسمهما، بالجامع الأموى بدمشق : أحدهما أنتقل إليهما عن سلفهما، والثانى بزول، وخرج عنهما عند استيلاء «تم» نائب الشام على الشام فى سنة اثنتين وثمانمائة، ثم أعيد إليهما فى سؤال من السنة المذكورة، فى قطع الثلث، وهى :

الحمد لله الذى جعل بدر الدين فى أيامنا الزاهرة متواصل رتب الكمال، مترددا فى فلك المعالى بأكرم مساع بين بهاء وجمال، مئزها عن شوائب النقص فى جميع حالاته : فإما مرتقب الظهور فى سرياره، أو مئسم بالتمام فى إبداره، أو أخذ فى الأزدباد وهو هلال .

نحمده على أن أقر الحقوق فى أهلها، وأنترع من الأيدى الغاصبة ما اقتطعته الأيام الجائرة بجهلها، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تسمى قائلها من شوائب التكدير، وتضون متحلها من عوارض الإصدار إذا ورد أصفى مناهل التصدير، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل نبي اقتفت أمته آثاره وأتبعته سننه، وأكرم رسول دعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أئمة الحق وأعلام الهدى، وحماة الدين وكفاة الردى، صلاة يبق على مدى الأيام حكمها، ولا يتدرس على ممر الليالى رسمها، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من رعى له الحقوق القديمه، وحفظت له مساعيه الكريمة، وخلدت عليه النعم التى حق لها أن تكون بأهلها مقيمه، من كرم أصلا وطاب

قَرَعًا ، وَزَكَامَنَّبَعًا وَعَدَبَ نَبْعًا ، وَوَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى فَضْلِهِ الْمَتَوَاتِرَ فَأَعْدَقَ الْحُكْمَ
بِفَضْلِهِ قَطْعًا ؛ وَمَنْ إِذَا تَكَلَّمَ فَأَقَّ بِفَضْلِهِ نَبْرَ اللَّالِي ، وَإِذَا قُدِرَ قُدْرَهُ انْحَطَّتْ عَنْ
بُلُوغِ غَايَتِهِ الْمَعَالِي ، وَإِذَا طَلَعَ بَدْرُهُ الْمِضْيُ مِنْ أَفْقِ مَجْلِسِهِ الْمُرُوثِ عَنْ أَبِيهِ وَأَعْمَامِهِ
قَالَ : لَيْتَ أَشْيَاخِي شَهَدُوا هَذَا الْمَجْلِسَ الْعَالِي ؛ وَمَنْ إِذَا جَلَسَ بِخَلْقَتِهِ الْبَيْتَةَ غَشِبَتْهُ
مِنْ الْهَيْبَةِ جَلَالَهُ ، وَإِذَا أَطَافَتْ بِهِ هَالَةُ الطَّلَبَةِ وَالْمُسْتَفِيدِينَ قِيلَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الْبَدْرَ
فِي هَذِهِ الْمَسَالَةِ ! ، وَمَنْ تَدْبَهُ طَلَبَتْهُ عَلَى أَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ بِالْإِنْتِمَاءِ إِلَيْهِ ، وَتَسْمَعُ نُفُوسٌ
تَلَامُدْتِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمُتَصَدِّقِينَ بِالْجُلُوسِ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ وَمَنْ إِذَا أَقَامَ بِمِصْرَ طَلَعَ بِالشَّمَامِ
بَدْرُهُ ، وَلَوْ أَقَامَ بِالشَّمَامِ بَقِيَ بِمِصْرَ عَلَى الدَّوَامِ ذِكْرُهُ .

وَكَانَ الْمَجْلِسَ الْعَالِي ، الْقَاضِي ، الْكَبِيرِي ، الْعَالِي ، الْعَامِلِي ، الْأَفْضَلِي ،
الْأَكْمَلِي ، الْأَوْحَدِي ، الْبَلِيغِي ، الْفَرِيدِي ، الْمَفِيدِي ، النَّجِيدِي ، الْقُدُوسِي ،
الْمُجْتَمِعِي ، الْمُحَقِّقِي ، الْإِمَامِي ، الْأَصِيلِي ، الْبَدْرِي ، جَمَالَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، شَرَفَ
الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ ، أَوْحَدَ الْفُضَلَاءِ الْمُفِيدِينَ ، قُدُوةَ الْبُلْغَاءِ ، حُجَّةَ الْأَدَبِ ، عُمْدَةَ
الْمُحَدِّثِينَ ، نَخْرَ الْمُدْرَسِينَ ، مُفْتِيَ الْفِرْقِ ، أَوْحَدَ الْأُمَّةِ ، زَيْنَ الْأُمَّةِ ، خَالِصَةَ الْمُلُوكِ
وَالسُّلْطَانِينَ ، وَلِيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، مُحَمَّدُ بْنُ الْمَجْلِسِ الْعَالِي ، الْقَاضِي ،
الْكَبِيرِي ، الْمُرْحُومِي ، الْبَهَائِي ، أَبِي الْبَقَاءِ الشَّافِعِي ، السُّبْكِي ، ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى
نِعْمَتَهُ : هُوَ عَيْنُ أَعْيَانِ الزَّمَانِ ، وَالْمُحَدِّثُ بِفَضْلِهِ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي وَلَيْسَ الْخَبْرُ كَالْعِيَانِ ؛
مَا وَلِيَ مَنْصِبًا مِنَ الْمَنَاصِبِ الدِّينِيَّةِ إِلَّا كَانَ لَهُ أَهْلًا ، وَلَا أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ مِنْ
مَجْلِسِ عِلْمٍ إِلَّا قَالَ لَهُ مَهْلًا ؛ وَلَا اسْتَبَدَّلَ بِهِ فِي وَظِيفَةٍ إِلَّا نُسِبَ مُسْتَبَدَّلُهُ إِلَى
الْحَيْفِ ، وَلَا صُرِفَ عَنْ وِلَايَةٍ إِلَّا قَالَ آسْتَحْقَافُهُ : كَيْفَ سَاعَ ذَلِكَ لِمُتَعَاطِيهِ
فَكَيْفَ وَكَيْفَ .

وكان ولده المجلس السامى، القضاى، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الكاملى،
البارعى، الأصيلى، العريقى، الجلالى، ضياء الإسلام، نحر الأنام، زين الصدور،
جمال الأعيان، نجلى الأفاضل، سليل العلماء، صفوة الملوك والسلاطين، خالصة
أمير المؤمنين، أبو محمد بلغ الله تعالى فيه [عارفيه] غاية الأمل، وأقر به
عين الزمان كما أقر به عين أبيه وقد فعل؛ قد أوضع لبان العلم وربى فى حجره، ونسأ
فى بيته ودرج من وكره؛ وكل له سؤدد الطرفين: أباً وأماً، وحصل على شرف
المحمدين: خالاً وعمماً؛ لم يقع عليه بصر متبصر إلا قال: نعم الولد، ولا تأمله صحيح
النظر إلا قال: هذا الشبل من ذاك الأسد؛ ولا رمى والده إلى غاية إلا أدركها،
ولا أحاط به منطقة طلبية إلا هزها للبحث وحركها؛ ولا أفتنى أثر أبيه وجده
فى مهيج فضيل إلا قال قائله: أكرم بها من ذرية ما أبركها ! .

وأنفق أن خرج عنهما ما كان باسمهما من وظيفتى التصدير بالجامع الأموى
المعمور بذكر الله تعالى بدمشق المحروسة: المنتقلة إحداهما إليهما عن سابقهما
الصالح قديما، والصارئة الأخرى إليهما بطريق شرعى معتبر وضعا وثابت حكما -
أقتضى حسن الرأى الشريف أن يحفظ لهما سالف الخدمه، ويرعى لهما قديم الولاء
فالعبرة فى التقديم عند الملوك بالتقدمه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال ليدوى البيوت حافظا، وعلى الإحسان
لأهل العلم الشريف على ممر الزمان محافظا - أن يعاد ذلك إليهما، ويوالى مزيد
الإحسان عليهما؛ فليتلقيا ذلك بالقبول، ويسطا بالقول ألسنتهما فمن شمله إنعامنا
الشريف حق له أن يقول ويطول؛ وملاك أمرهما التقوى فهى خير زاد، والوصايا

وإن كثرت فعنهما تؤخذ ومنهما تُستفاد؛ والله تعالى يُقرُّ لها بهذا الاستقرار عينا،
ويُهبُّ خواطرهما بهذه الولاية إيهاج من وجد صائته فقال : (هذه بصاعتنا ردت
إلينا) . والاعتماد في ذلك على الخطِّ الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه، حجة بمقتضاه؛
إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثامنة — النظر .

وهذه نسخة توقيع بنظر البيارستان النورى، كُتِب بها لمن لقبه «شهاب الدين»

وهي :

رِسْم ... - لا زال يُطلِعُ في سماء المناصب السنية من ذوى الأصالة والكفاية
شهابا، ويوزعُ المستحقين بجهات البرشكره إذ اختار لهم من أهل النهضة من ارتدى
العفاف جلبابا، ويودعُ صحائف الأيام ذكره الجميل حين أحيا قريات الملوك
السالفين بانتخاب من يُحدد لهم بحسن المباشرة نوبا - أن يُحمل «مجلس الأمير»
فلان : أعزّه الله تعالى فيما هو بيده من نظر البيارستان النورى بدمشق المحروسة،
على حكم التوقيع الكريم والولاية الشرعية للذين بيده، واستقراره في ذلك بمقتضاهما
استقرارا يسط في هذا المنصب يده ولسانه، ويُظهرُ شهاب عدله الذى يُحرق من
الجور شيطانه؛ ويبرز من مباشرته ما عُرف جوهره بحسن الانتقاء وإبريزه بحسن
الانتقاد، ومن تأثيره ما تبلغ به النفس المراد بأوسع مراد؛ ويبدى من تديره،
ما يُنتج تمييز الوقف وتميمه .

فليأشر ذلك على عادة مباشرته الحسنه، ويسلك فيها ما عهد من طريقته
المستحسنه؛ محصلا من المفردات ما يصرفها لمستحقها وقت الحاجة إليها، متأبرا

على حُسن مُعالجة المَضْرُور الذى لا تَقْدِرُ يَدُهُ من العَجْزِ عليها ؛ مُوَاصِلًا فِعْلَ الخَيْرِ
بِاستمرارِ صدقاتِ الواقفِ لِشَارِكِهِ فى الأَجْرِ والثَّوَابِ ، مُسْتَجَلِبًا لَهُ من الدعاءِ ولنا
بِمُشارَكته فى الأمرِ بِالْعَمَلِ بِسُنَّتِهِ إلى يَوْمِ المَاتِ ، ضَائِعًا أَمْوَالَ هذهِ الجهةِ بِتحريرِ
الأُصُولِ والمَطْلُوقِ والحِسَابِ والحُسَابِ ؛ متقدمًا إلى الخُدَّامِ والقَوْمَةِ بِحَسَنِ الخِدْمَةِ
للعاجِزِ والضعيفِ ، مُؤَكِّدًا عليهم فى أَخِذِهِم بِالْقَوْلِ اللَّيِّنِ دُونَ الكَلَامِ العَنِيفِ ؛
مُلتزمًا لَهُم بِجودَةِ الخِدْمَةِ لَيْلًا ونَهَارًا ، مُوَاخِدًا لَهُم بِمَا يُحْتَلُونَ بِهِ من ذلكِ إِهْمَالًا
وَإِقْصَارًا ؛ مُتقدمًا إلى أَرْبابِ وِظَائِفِ المَعَالِجَةِ بِبَدْلِ النَّصِيحَةِ ، وَاسْتِدْرَاكِ الأَدْوَاءِ
المُسْقِمَةِ بِاتقانِ الأَدْوِيَةِ الصَّحِيحَةِ ؛ وَلِيَتَفَقَّدَ الأَحْوَالَ بِنَفْسِهِ : لِيَعْلَمَ أَهْلُ المَكَانِ
أَنَّ وِرَاءَهُم من يَقابِلُهُم على التَّقْصِيرِ ، وَلِيَبْدُلَ فى ذلكِ جُهْدَهُ فَإِنَّ الاجْتِهَادَ القَلِيلَ
يُؤَثِّرُ الخَيْرَ الكَثِيرَ . وَالوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَعِندَهُ من التَّادِبِ بِالْعِلْمِ وَحُسْنِ المُبَاشَرَةِ ما فِيهِ
كَفَايَةٌ ، وَفى أَخلاقِهِ من جَمِيلِ المَآثِرِ وما حَازَهُ فى البِدَايَةِ ما يَنْفَعُهُ فى النِّهَايَةِ ؛ وَلِئِنْ
تَقَوَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هِىَ السَّبَبُ الأَقْوَى ، وَالْمَنْهَلُ الذى من وَرَدِهِ يَرَوَى ؛ فليَجْعَلْهَا
لَهُ دَخِيرَةً لِيَوْمِ المَعَادِ ، وَمَعْقِلًا عِندَ الخُطُوبِ الشَّدَادِ ، وَاللهُ تَعَالَى يُبَلِّغُهُ من التوفيقِ
الأَمَلِ والمُرَادِ ؛ بِمَنَّةِ وَكَرَمِهِ ! ، وَالاعْتِمَادِ إِنَّ شاءَ اللهُ تَعَالَى .

الصفحة الثالث

(من توقيعات أرباب الوظائف بحاضرة دِمَشْقَ - تَوَاقِعُ أَرْبابِ
الوظائف الدِّيوانِيَّةِ ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع النصف بـ «المجلس العالی» وهي على ضربين)

الضرب الأول^(١)

(توقيعات الوزارة بالملكة الشامية على ما استقر عليه الحال)

فقد ذكر في "التعريف" أنه يكتب بالشام للصاحب [عز] الدين أبي يعلى
«حمزة بن القلانسي» رحمه الله بـ «بالجناب العالی» بلالة قدره ، وساقه خدمه ،
وعناية من كتب له بذلك . لیکنه لم یبین مقدار قطع الورق لذلك . ولا یخفی أنه
كتب به في قطع الثلثين ، على القاعدة في أنه يكتب للجناب في قطع الثلثين . وقد ذكر
بعد ذلك أن الذي استقر عليه الحال أنه يكتب للوزير بالشام «المجلس العالی»
بالدعاء ، كما كتب للصاحب أمين الدين أمين الملك .

[وفيه وظائف :

الوظيفة الأولى — ولاية تدبير الممالك الشامية]^(٢)

وهذه نسخة توقيع للصاحب «أمين الملك» المذكور بتدبير الممالك الشامية
والخواص الشريفة والأوقاف المبرورة ، من إنشاء الصلاح الصفدي ، وهي :

(١) لم يذكر الثاني .

(٢) بياض بالأصل والتصحيح من "التعريف" (ص ٧٥) .

(٣) زدنا ما بين القوسين لأقتضاء المقام وتتم الكلام .

الحمد لله الذي جعل وليَّ أَيْمَانِنَا الزَّاهِرَةَ، أَمِينَنَا، وَأَحَلَّهُ مِن صَمَائِرِنَا الطَّاهِرَةَ، مَكَانًا
أَيْمَانًا تَوَجَّهَ وَجَدَهُ مَكِينًا، وَخَصَّصَهُ بِالْإِخْلَاصِ لِدَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةَ، فَهُوَ يَقِينًا يَقِينًا، وَعَضُدٌ
بِتَدْيِيرِهِ مَمَالِكِنَا الشَّرِيفَةَ فَكَانَ عَلَى نَبِيلِ الْأَمَلِ الَّذِي لَا يَمِينُ يَمِينًا، وَزَيْنٌ بِهِ آفَاقُ
الْمَعَالِي فَمَا دَجَا أَمْرٌ إِلَّا كَانَ فِكْرُهُ فِيهِ صَحِيحًا مُبِينًا، وَجَمَلٌ بِهِ الرُّتَبُ الْفَائِرَةُ فَكَمْ قَلْدٌ
جِيَدَهَا عِقْدًا نَفِيسًا وَرَضَعَ تَاجَهَا دُرًّا ثَمِينًا، وَأَعَانَهُ عَلَى مَا يَتَوَلَّاهُ فَهُوَ الْأَسَدُ الْأَسَدُ
الَّذِي آتَخَذَ الْأَقْلَامَ عَرِييْنَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمَةِ الَّتِي خَصَّصْنَا بُولِيَّ تَجَمَّلَ بِهِ الدُّوَلُ، وَتَغْنَى الْمَالِكُ بِتَدْيِيرِهِ عَنِ
الْأَنْصَارِ وَالنُّحُولِ، وَتَحْسُدُ أَيْمَانِنَا الشَّرِيفَةَ [عَلَيْهِ] أَيَّامٌ مِنْ مَضَى الدُّوَلِ الْأَوَّلِ .
وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَسْتَمَطِرُ بِهَا صَوْبَ الصَّوَابِ،
وَنَزْفُلُ مِنْهَا فِي ثَوْبِ الثَّوَابِ، وَنَعْتَدُّ بِرَّهَا وَأَصْلًا لِيَوْمِ الْفَصْلِ وَالْمَاتَبِ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدَهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ، وَرَسُولُهُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ عَلَى الْغَيْبِ بَضِينًا، وَحَبِيبُهُ الَّذِي فَضَّلَ
الْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ، وَنَجَّيْتُهُ الَّذِي أَسْرَى بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى
حُجَّةً عَلَى الْمُتَلَحِّدِينَ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ صَحَّبُوا وَوَزَّرُوا، وَأَيَّدُوا
حَرْبَهُ وَنَصَرُوا، وَعَدَّلُوا فِيهَا نَهْوًا وَأَمْرًا، صَلَاةً تَكُونُ لَهُمْ هُدًى إِذَا حُشِرُوا،
وَتَضَوُّعٌ لَهُمْ عَرَفُهُمْ فِي الْعُرْفِ وَتُطَيِّبُ نَشْرَهُمْ إِذَا نُشِرُوا؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وبعد، فَإِنَّ أَشْرَفَ الْكَوَاكِبِ أَبْعَدُهَا دَارًا، وَأَجْلَهَا سُرًى وَأَقْلَهَا سِرَارًا،
وَأَعْلَاهَا مَنَارًا، وَأَطْيَبَ الْجَنَّاتِ جَنَابًا مَا طَابَ أَرْجَا وَثَمَارًا، وَجُجَّرَ خِلَالَهُ كُلُّ نَهْرٍ
« يَرُوعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ الْعَدَارِي »، وَرَتَّحَتْ مَعَاطِفَ غُصُونِهِ سُلَافُ النَّسِيمِ فَتَرَاهَا
سُكَّارِي، وَمَدَّتْ ظِلَالَ الْغُصُونِ فَتَخَالُ أَنَّهَا عَلَى وَجَنَاتِ الْأَنْهَارِ تَدْبُ عِدَارًا .

وكانت دِمَشْقُ المحروسة لها هذه الصِّفَات ، وعلى صفاها تهبَّ سَمَاتٌ هَذِهِ
السَّمَاتُ ، لم يَصِفْ غيرها بهذه الصِّفَةِ ، ولا اتَّفَقَ أولوا الألباب إلا على مجاسنها
المُخْتَلِفَةِ ؛ فهي البُقْعَةُ التي يَطْرَبُ لأوصافِ جمالها الجماد ، والبَلَدُ الذي ذَهَبَ بعضُ
المُفَسِّرِينَ إلى أنها إِرْمُ ذاتُ العِمَادِ ؛ وهي في الدنيا أُمُودُجُ الحِنَّةِ التي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ،
ومِثَالُ النِّعَمِ لِلَّذِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ؛ وهي زَهْرَةٌ مُلْكَا ، ودُرَّةٌ سَلِكَا ؛ وقد خَلَّتْ
هَذِهِ المِدَّةُ مَن يَرَاعِي تَدْيِيرَهَا وَيَجِي حَوَازَتَهَا وَيُحَاشِيهَا مِنَ التَّدْمِيرِ وَمِثْلًا خَزَائِنَهَا
خَيْرًا يُحْيَى ، إِذَا مَلَأْنَا سَاحَتَهَا خَيْلًا وَرَجُلًا - تَعَيَّنَ أَنْ نَتَدَبَّ لها من جَرَبِنَاهُ بَعْدًا
وَقُرْبًا ، وَهَزْرَنَاهُ مَثَقَفًا وَسَلْطَنَاهُ عَضْبًا ، وَخَبَانَاهُ فِي خَزَائِنِ فَكْرِنَا فَكَانَ أَشْرَفَ مَا يُدْخِرُ
وَأَعَزَّ مَا يُحْيَى ؛ كَمْ نَهَى فِي الأَيَّامِ وَأَمَرَ ، وَكَمْ شَدَّ أَرْزَامًا وَزَرَ ، وَكَمْ غَنَيْتُ بِهِ أَيَّامَنَا
عَنِ الشَّمْسِ وَالأَيَّامِ عَنِ القَمَرِ ، وَكَمْ رَفَعْنَا رَايَةً مُجِيدَ تَلْقَاهَا عَرَابُهُ فَضْلُهُ بَيْنَ الظَّفَرِ ،
وَكَمْ عَلَا دُرًّا رُتِبَ تَعَزُّ عَلَى الكَوَاكِبِ النَّائِيَةِ فَضْلًا عَمَّن يَنْتَقِلُ فِي المِبَاشِرَاتِ مِنَ
البَشَرِ ، وَكَمْ كَانَتِ الأُمُوالُ جُمَادِي وَأَعَادَهَا ربيعًا غَرَّدَ بِهِ طَائِرُ الإِقْبَالِ وَصَفَرَ .

و [لما] كان [الصاحب أمين الملك] هو معنى هذه الإشارة ، وتسمى هذه الحالة
وبدُرُ هذه الدَّارِ ؛ نَزَلَ مِنَ العَلِيَاءِ فِي الصِّمِيمِ ، وَنَحَرْنَا بِأَقْلَامِهِ الَّتِي هِيَ سُمُرُ الرِّمَاحِ كَمَا
نَحَرْتُ بِقَوْسِهَا نَمِيمَ ؛ وَحُفِظَتِ الأُمُوالُ فِي دَفَاتِرِهِ الَّتِي يُوشِيهَا فَأَوْتُ إِلَى الكَهْفِ
وَالرَّقِيمِ ، وَقَالَ لِسَانُ قَلَمِهِ : (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ مِثْلِي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) وَعَقِمَ
الزَّمَانَ أَنْ يَجِيءَ بِمِثْلِهِ « إِنَّ الزَّمَانَ مِثْلُهُ لَعَقِيمٌ » وَتَسَبَّهَ بِهِ أَقْوَامٌ فَبَانُوا وَبَادُوا ، وَقَامَ
مِنْهُمْ عِبَادُ العِبَادِ فَلَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ كَادُوا - أَرَدْنَا أَنْ تَنَالَ الشَّامُ فَضْلَهُ كَمَا نَالَتَهُ مَضْرُ
فَمَا تَسَاهَمَ فِيهِ سِوَاهُمَا ، وَلَا يَقُولُ لِسَانُ المَلِكِ لغيره :

حَلَلَتْ بِهَذَا حَلَّةٌ ثُمَّ حَلَّةٌ * بِهَذَا فَطَابَ الوَادِيَانِ كِلَاهُمَا

(١) بياض بالأصل والتصحيح مما تقدم .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه تدبير الممالك الشريفة، ونظر الخواص الشريفة والأوقاف المبرورة على عادة من تقدمه في ذلك .

فليتلق هذه الولاية بالعزم الذي نعده، والحزم الذي شاهدناه ونشهده، والتدبير الذي يعترف الصواب له ولا يحدده؛ حتى يتمر الأموال في أوراق الحساب، وتزيد نمواً وسمواً فتفوق الأمواج في البحار وتفوت القطر من السحاب؛ مع رفق يكون في شدته، ولين يزيد مضاء حدته، وعدل يصون مهلة مدته؛ والعدل يعمر، والغدر يدمر، ولا يتمر؛ بحيث إن الحقوق تصل إلهاً وأربابها، والمعالم تطلع بدور يديرها كاملة كل هلال على أصحابها، والرؤوم لا تزداد على الطاقة في بابها، والرعايا يحنون تمر العدل في أيامه منسأها؛ وإذا أنعمنا على بعض أوليانا ينحل فلا يكدر وردها بأن تُؤخر، وإذا استدعينا لأبوانا بهم فليكن الإسراع إليه يُجمل البرق المتألق في السحاب المسخر؛ فما أردناك إلا لأنك سهم خرج من كانه، وشهم لا ينهي إلى الباطل عيانه وعنانه؛ فاشكر هذه النعمة على منأجها، وشنف الأسماع بمدأجها؛ متحققاً أن في الثقل، بلوغ العز والأمل، وأنه لو كان في شرف المأوى بلوغ منى «لم تبرج الشمس يوماً دارة الحمل»؛ فاستصحب الفرح والجدل، بدل الفكر والجدل .

الوظيفة الثانية — كتابة السر بالشام .

ويعبر عنها بصحابة ديوان الإنشاء الشريف بدمشق . وشأنه هناك شأن كاتب السر بالأبواب السلطانية .

وهذه نسخة توقيع بصحابة ديوان الإنشاء بالشام، كتبت بها لفتح الدين بن الشهيد، من إنشاء القاضي ناصر الدين بن النشائي، في مستهل ذي القعدة سنة أربع وستين وسبعائة، وهي :

المحمدية مجزئ المن والمنح ، ومُرْسِل سَحَابِ الْعَطَاءِ السَّمْح ، ومُعْمِل فِكْرِنَا الشَّرِيفِ
 فِي آخِثَابِ مَنْ أَوْرَى زَنْدَ الْحَيْرِ بِالْقَدْح ، ومُنْتَمِلِ السَّرَّيْنِ الْأَفَاضِلِ مِنْ صَدْرِ إِلَى
 صَدْرِ يَحْمَى يَصُونُ لَهُ السَّرْح ، وَيُعْنِي مَشْهُورُ الْأَفَاطِيهِ عَنِ السَّرْح ؛ ومُجْمَلِ بِنَاءِ الدِّينِ ،
 بِمَا سَكَنَ بِهِ مِنْ صِيمِ الْفَضْلِ الْمُبِينِ ، وَمَا اقْتَرَنَ بِأَبْوَابِهِ مِنْ حَرَكَةِ الْفَتْحِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِ عَاطِرَةِ النَّفْحِ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَنَنِ عَالِيَةِ السَّفْحِ . وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ
 إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ تُجَبِّي قَائِلُهَا مِنْ حَرِّ الْجَحِيمِ وَتَقْبِيهِ شَرِّ شَرَرِ ذَلِكَ
 اللَّفْحِ ، وَتَحْتَضِبُ بِهَا أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ عَلَى مَنَابِرِ الْأَنْامِلِ فُتُنْشِئُ عِنْدَهَا مِنْ مُطْرَبَاتِ
 الْوَرَقِ عَلَى غُصُونِ الْأَوْرَاقِ هَدْيِلَ الصَّدْحِ . وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي بَلَغَ
 الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَعَامَلَ الْأُمَّةَ بِالنُّصْحِ ، وَأَزَالَ عَنْهُمْ التَّرْحَ وَأَمِنَهُ اللَّهُ عَلَى أَسْرَارِ
 وَحْيِهِ فَكَانَ أَشْرَفَ أَمِينٍ خَصَّه اللَّهُ فِي مُحْكَمِ آيَاتِهِ بِالْمَدْحِ ، وَجَعَلَهُ أَعْظَمَ مِنْ أَمْرٍ
 بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَمْ تَأْخُذْهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَاتِمَّ مِنْ لَحَا وَمَنْ لَمْ يَلْحُ بِصَلَّى اللَّهِ
 عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَالصَّفَاءِ وَالصَّفَاحِ وَالصَّفْحِ ، وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ
 حَقَّ جِهَادِهِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْكَدِّ وَالْكَدْحِ ؛ وَرَفَعُوا أَعْلَامَهُمُ الْمُظَلَّةَ ، وَنَصَبُوا
 أَقْلَامَهُمُ الْمُعَدَّلَةَ ، فَكَمْ لَهِمْ فِي الْمُشْرِكِينَ مِنْ جِرَاحٍ لَا تَعْرِفُ الْجِرْحُ ؛ وَذَادُوا عَنِ حَوْزَةِ
 الدِّينِ ، بِبَارَاقَةِ دَمِ الْكُفَّارِ الْمُتَمَرِّدِينَ ، فَحَسُنَ مِنْهُمْ الذَّبُّ وَالذَّبْحُ ؛ وَكَانُوا فُرْسَانَ
 الْكَلَامِ ، وَأَسْوَدَ الْإِقْدَامِ ، الَّذِينَ طَامَأَ خَسَاتِ بِهِمْ كِلَابُ الشَّرِكِ فَلَمْ تُطْقِ النَّبْحُ ؛
 صَلَاةً دَائِمَةً بَاقِيَةَ الصَّرْحِ ، مَا اقْتَرَنَ النَّظْرُ بِاللَّحِ ، وَمَا هَطَلَ السَّحَابُ بِالسَّحِ ؛ وَسَلَّمَ
 تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوَّلِيَّ مَنْ حَظَبَتِ الْمَنَاصِبُ الْعَلِيَّةُ ، مُحَاسِنَةُ الْجَلِيلَةِ الْجَلِيَّةِ ، وَرَغِبَتِ
 الْمَرَاتِبُ الَّتِي هِيَ بِاخْتِيَارِ حَرِيَّةِ ، فِي جَمِيلِ حَالَتِهِ الَّتِي هِيَ بِعُقُودِ الْمَفَاحِرِ حَاجِيَّةِ ، وَسَجَّتِ

تَحَابُّ الإِقْبَالِ الْوَابِيَةِ ، ذُبُولَ فَضَائِلِهِ الْفَاضِلِيَّةِ ، وَآكُتْسَبَ الْعُلُومِ الْفَرَعِيَّةِ وَالْأَصْلِيَّةِ ،
 مِنْ جَمَائِعِ فُنُونِهِ الَّتِي تُعْرَبُ عَنْ أَنْوَاعِ الْفَوَائِدِ الْجَمَلِيَّةِ وَالتَّفْصِيلِيَّةِ - مِنْ شَهَدَتِ الْمَفَانِحُ
 بِأَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الشَّهِيدَ لَهَا وَأَبْنَ الشَّهِيدِ ، وَحَمِدَتِ الْمَأْتِرَ الَّتِي هُوَ الشَّهِيرُ بِهَا فَمَا عَلَيْهَا
 فِي جَمِيلِ الْأَدْوَاتِ مِنْ مَزِيدٍ ، وَتَسَيَّدَتِ مَبَانِي مَعَالِيهِ الَّتِي آقَرْنَ بِأَبْ حَيْرِهَا مِنْهُ
 بِالْفَتْحِ الْمُسِينِ ، وَتَمَهَّدَتِ مَعَانِي أَمَالِيهِ بِالْتَّخِيلِ اللَّطِيفِ وَاللَّفْظِ الْمَتِينِ ، وَتَعَدَّدَتِ
 أَوْصَافَ شَيْمِهِ فَهِيَ لِمَحَاسِنِ الدَّهْرِ تَزِيدُ وَتَزِينُ ، وَغَدَا مِنْ الْكَاتِبِينَ الْكِرَامِ وَالْكَرَامِ
 الْكَاتِبِينَ ، الَّذِينَ تَضَحُّ بِأَطْلَاعِهِمْ مَرَايِدُ الْمَقَاصِدِ وَتَبِينُ . طَالَمَا آسَقَ عِقْدُ نَظْمِهِ
 الْمَتِينِ ، وَبَسَقَ غُصْنُ قَلَمِهِ الْمُشْمِرُ بِالذِّينِ ، وَأَضَافَ إِلَى أَدَبِ الْكُتَّابِ حِلْيَةَ الْعُلَمَاءِ
 الْمُتَّقِينَ ، وَأَرْتَقَبَ أَفْعَالَ الْجَمِيلِ الَّتِي آسْتَوْجِبُ بِهَا حُسْنَ التَّرَقُّيِّ إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ
 الْمُتَّقِينَ ، وَقَلَّدَ أَجْيَادَ الطُّرُوسِ جَوَاهِرَ الْفَاطِهَةِ الَّتِي تَفُوقُ الْجَوْهَرَ عَنْ يَقِينِ ، فَهِيَ
 بِنُضَارِ خَطِّهِ مَصُوغَةٌ أَبْهَجَ صِبَاغِهِ ، وَفِي طَرِيقِ الْإِنْسَاءِ سَالِكَةٌ نَهَجَ الْبَلَاغَةِ ، وَكَذَا
 يَحَارُ الْفَضَائِلُ وَارِدَةٌ مَنَاهِلِهَا الْمُسَاغَةِ ، كَمْ أَعْرَبَ كَلِمُهُ الطَّيِّبِ ، عَنْ تَحَابِّ الصَّوَابِ
 الصَّيِّبِ ، وَكَمْ أَغْنَى فِي الْمُهَمَّاتِ بَكْتِيهِ ، عَنْ جَيْشِ الْكُتَّابِ وَقُضْبِهِ ، وَكَمْ هَزَّأَتْ
 صَحَائِفُهُ بِالصَّفَاحِ ، وَكَمْ أَغْنَتْ رَاشِقَاتِ فِكْرِهِ الثَّابِتَةَ الْعِلْمِ عَنْ سَهْوِ السَّهْمِ الرَّائِحِ ، وَكَمْ
 تَسَاجَرَتْ أَقْلَامُهُ الْبَيْضُ الْفِعَالِ هِيَ وَشُمْرُ الرَّمَاحِ فَكَانَ نَصْرُهَا الْإِلَاحِ ، وَكَمْ تَعَارَضَ تَسْرُ
 وَصْفِهِ وَشَدَا الطَّيِّبِ فَالْتَمَى الزَّمَانُ ثَنَاءَهُ هُوَ الْفَائِحِ ، وَكَمْ أَشْتَمَلَ عَلَى أَنْوَاعِ مِنَ النَّفَاسَةِ
 فَاسْتَوْجِبَ مَنَامًا يَقْضِي لَهُ بِأَجْزَلِ الْمُنَى وَالْمَنَامِ .

ولما كان المجلس العالی ، القاضوی ، الأجلی ، الکبیری ، العالی ، الفاضلی ،
 الکاملی ، الأوحدی ، الأیبری ، الرئیسی ، البلیغی ، المفیدی ، المجدی ، الأصیلی ،
 العریقی ، العابدی ، الزاهدی ، المؤمنی ، الفتحی ، جمال الملوك والسلاطين ، ولی

أمير المؤمنين ، محمد بن الشهيد ، أدام الله نعمته : هو الذي أعرب القلم عن صفاته ، وأطرب المسامع ما أذاه اليراع عن أدواته ؛ ورام البنان أن يستوعب بيان شكره فلم يدرك شأواً غايته ، وتسارعت بدائع البدائيه من أفكاره فسأقت جريان يراعه في أبياته ؛ وراقت أماليه ، لناقلي الفاظه ومعانيه ، فشكر السمع والفهم بها هبات هباته ؛ فأدابه مشهوره ، وعلومه مذكوره ؛ وتخليه بمذاهب الصوفية آرتاضت به نفسه الخيرة الحيرة ، وإخلاصه في عبادة الله تعالى حسنت به منه السيرة والسيرة ؛ وصيانتة للأسرار الشريفة استحق بها إسناد أمرها إليه ، وإيداع غوامضها لديه ، والتعويل في حفظها وفي لفظه للفظها عليه - أقتضى حسن الرأي الشريف أن تجتبه لما تحققنا منه من ذلك ، ونخصه بصحابة ديوان الإنشاء الشريف في أجل الممالك ، ونجعل قدمه ثابتة الرسوخ ، والصعود في مشيخة الشيوخ ، ليسلك فيها أحسن المسالك .

فذلك رسم بالأمر الشريف ^(١) الأشرفي ، الناصري - لا زال لأبوابه الشريفة فتح في الخير يقدمه النصر ، ولصحابه منح ما يعرف مدد أمداه القصر - أن تفوض إليه صحابة ديوان الإنشاء الشريف ، ومشيخة الشيوخ بالشام المحروس ، على عادة من تقدمه وقاعدته ومعلومه الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت .

فليأشر ذلك بوافر عفافه ، ووافي إنصافه ؛ ومشهور أمانيه ، ومشكور صيانيه ؛ كاتباً للأسرار ، كاتباً للبار ، ليكون من الأبرار ؛ عالفاً مصالح الأنام بإرشاد رأيه وصوابه ضابطاً أحوال ديوانه ، متحرراً في كثير الأمور وقليلها : فإن الكتاب يظهر من عنوانه ؛ محرراً لما يملئ معتبراً لما يكتب ، مجتلاً للطلعات الكريمة بفكره المتسرع

(١) بياض بالأصل ولعله "العالي" .

وتصوره الأرتب ، حافِظًا أزيمة ما يصدُر من مِثَال وما يَرِدُ في المِهْمَات الشَّرِيفَةِ
فهو أَدْرَى وَأَدْرَبُ بما على ذلك يَتَرَبَّبُ ؛ مُحَافِظًا كِعَادَتِهِ على دِينِهِ ، لَازِمًا لَصَدَقِ
يَقِينِهِ ؛ حَافِظًا لِأَهْلِ الْخَيْرِ جَنَاحَهُ ، مَا نَحَا لَهُمْ نَجَاحَهُ ؛ مُعَامِلًا لِلْفُقَرَاءِ بِكَرَمِ نَفْسِ اللَّهِ
غَنِيَّةً ، مُلَاحِظًا لِأَحْوَالِهِمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ ؛ مُحْتَرِمًا لِكَبِيرِهِمْ ، حَانِيًا على
صَغِيرِهِمْ ؛ مُفَكِّرًا فيما يَعودُ نَعْمُهُ عَلَيْهِمْ ، رَآكًا في الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ إِلَيْهِمْ ؛ مُعْنِيًا لَهُمْ
بِالِاسْتِغَالِ بِالْعِبَادَةِ ، مُسَلِّكًا لَهُمُ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّهَا الطَّرِيقُ الْجَادَةُ ؛ مُسْتَجَلِبًا
لِدَعْوَاتِهِمُ الصَّالِحَةَ ، مُسْتَفِيدًا مِنْ مَتَاحِرِ بَرَكَاتِهِمُ الرَّايِحَةِ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِنْ نُورِ
إِفَادَتِهِ تُقْتَبَسُ ، وَمِنْ مَشْهُورِ مَادَّتِهِ تُتَمَسَّسُ ؛ وَمِلا كُنْهَا التَّقْوَى وَهِيَ أَوَّلُ كُلِّ أَمْرٍ
وَأَخْرَهُ ، وَبِمَلَازِمَتِهَا تَمُّ لَهُ مَفَاحِرُهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَحْرُسُهُ فِي السَّمْرِ وَالنَّجْوَى ، وَيُظْهِرُ
بَارشَادَهُ لِلْعَانِي وَالْبَيَانُ كُلُّ نَجْوَى ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بكتابة السِّرِّ بالشَّام ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي « شَرَفِ الدِّينِ
عَبْدِ الوَهَّابِ » بنِ فَضْلِ اللَّهِ ، عِنْدَ مَارِسِمِ بِنْقَلِهِ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى دِمَشْقَ ،
فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسَبْعِينَ ، مِنْ إِثْنَاءِ الشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ « مَحْمُودِ
الْحَلَبِيِّ » وَهِيَ :

الحمد لله الذي خَصَّ دَوْلَتَنَا الشَّرِيفَةَ بِرِعايَةِ الذَّمِّ ، وَحَفِظَ مَا أَسْلَفَ الْأَوْلِيَاءُ
مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْخِدْمِ ، وَإِدَامَةَ مَا أَسَدَّتْهُ إِلَى خَدَمِ آيَاتِنَا الزَّاهِرَةِ مِنَ الْإِلَاءِ وَالنَّعْمِ ؛
وَإِفَاضَةَ حُلِيِّ أَعْتِنَائِهَا ، الَّتِي هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شَرَفِ بَوْلَانِهَا ، مِنْ حُمْرِ النَّعْمِ ؛ وَأَبْقَى
عَوَارِفَهَا على مَنْ لَمْ يَزَلْ مَعْرُوفًا فِي صَوْنِ أَسْرَارِهَا بِسَعَةِ الصَّدْرِ وَفِي تَدْيِيرِ مَصَالِحِهَا
بِصِحَّةِ الرَّأْيِ وَفِي تَنْفِيزِ مَرَّاسِمِهَا بِطَاعَةِ اللِّسَانِ وَالْقَلَمِ .

نحمده على نعمه التي ما استهلكت على ولي فاقلعه عنه عمائمها ، ولا استقرت بيد صفيح
فانثريه من يده حيث تصرف زمامها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة لا تزال تعصم بحياها المتين ، ويتلقى عرابه إخلاصنا راية فضائها باليمين ؛
ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أكرم مبعوث إلى الأمم ، بالإحسان والكرم ؛ صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه الذين كرمت أنسابهم ، وأضاعت لهم وجوههم وأحسابهم ؛
فرقلوا في حلال ما اكتسبوه من سننه ، واكتسبوه من سننه ، فحسن منها اكتسابهم
واكتسابهم ؛ صلاة لا تزال لها الأرض مسجدا ، ولا يبرح ذكرها مغيرا في الآفاق
ومنجدا ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من خولته مكارمنا الإقامة حيث يهوى من وطنه ، وبؤاته نعمنا
الجمع بين ذمام برنا وبين ما فارقه من سكنه ؛ وملكته عواطفنا ، زمام التصرف
حيثما أمكن من خدمتنا الشريفه ، وعرفته عوارفنا ، أن مكاتته عندنا على حالها حيث
أدى ما عدى به من وظيفه - من لم يزل قلمه لسان مراسمنا ، وعنان ما تجريه
في الآفاق من سوابق مكارمنا ، وترجمان أوامرنا ، وخطيب الآثنا التي غدت بها
أعطاف التقاليد من جملة منا برنا .

ولما كان المجلس العالی : هو الذي لم يبرح صدره خزانة أسرانا ، وفكره كنانة
إعلاننا في المصالح وإسرارنا ، وخطره مرآة آرائنا ، ویراعه مشكاة ما يشرق : من أنوار
تديبرنا ، أو يبرق : من أنواء الآثنا ؛ ينطق قلمه في الأقاليم عن السنة أوامرنا المطاعة ،
وينفذ كلمه عن مراسمنا في ديوان الإنشاء بما تقابله أقلام الجماعة بالسمع والطاعة ؛
وكانت سنة قد علت في خدمتنا إلى أن رأينا توفير خاطره على البركات ، عن كثير
مما يتبع ركابنا الشريف من لوازم الحركات ؛ وأن نغنيه مما يلزم الإقامة بأبوابنا

الشريفية من كثرة المثل بين يدينا، وأن تقتصر به على أخف الوظيفتين إذ لا فرق في رتبة السريين ما يصدر عنا أو ما يرد إلينا .

فُرسم بالأمر الشريف، العالى، المولى، السلطانى، الملكى، الفلانى، الفلانى، أن يكون فلان صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس، بمعلومه الشاهد له به الديوان المعمور بالأبواب العالية، عوضاً عن أخيه المجلس السامى، القضائى، المحيوى « يحيى بن فضل الله » ويستمر أخوه القاضى « محيى الدين » المذكور مع جملة الكُتاب بديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور .

فليأشر هذه الرتبة التى تأملت به قواعدها وعن تقريره وتحريره أخذ كل من كان بأنواعها وأوضاعها عليا؛ فإنه لم يخرج عن أخيه شئ وصل إليه، ولا فوض له إلا ما هو بحكم عموم الأولوية والأولية فى يديه؛ وأما ما يتعلق بذلك من وصايا تبسط، وقواعد تُسرت؛ فإنها منه استفادها من رفقها، وعنه ارتوى بها ورواها من تعلمها؛ ونحن نعلم من ذلك ما لا يحتاج إلى أن يزداد فيه يقيناً، ولا أن يزيد به ذكره معرفةً وتمكيناً، والاعتقاد

قلت: ومن غريب ما وقع: أنه كتب لقر الشمايى بن فضل الله بكتابة السر بالشام، حين وليها بعد انفصاله من الديار المصرية توقيع مفتتح بـ «أما بعد حمد الله» من إنشاء المولى « تاج الدين بن الباربارى » وكأنه إنما كتب بذلك عند تغير الساطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » عليه، على ما هو مذكور فى الكلام على كُتاب السر فى مقدمة الكُتاب .

وهذه نسخة توقيع بكتابة السربالشم المحروس :

أما بعد حمد الله منقل الشهب في أحب مطالها ، ومعل الأقدار بتصرف الأقدار ورافها ، ومبهبج النفوس بمعادها إلى أوطانها ومواضعها ، ومضى مشيئته في خليقته بالخيرة فيما يشاء لطالها ، والشهادة له بالوحدانية الآخذة من القلوب يجامعها ، والصلاة على سيدنا محمد الذي بصر الأمة بهديها ومنافها ، وصان شرعته الشريفة تلو الملل بنسخ شرائعها ، وعلى آله وصحبه الذين استودعوا أسرار الملة فحفظوا نفيس ودائعها - فإن ممالكنا الشريفة هي سواء لدينا في التعظيم ، وأولياء دولتنا الشريفة ينتقلون فيها في منازل التكريم ؛ وعندنا من « فضل الله » رعاية للعهد القديم ، وتأكيده لأسباب التقديم ؛ فلا غضاضة لمن نقلناه من أبوانا إليها ، ولا وهن يطرأ على علو المراتب ويعتريها ؛ حيث صدقنا دائما ، ونغور إقبالنا باسمه ، ومراسمتنا لمساعدة الأقدار في الأيام حاكمه ؛ و« الشهاب » لو لم يسر في سمانه ، لما أهدى الناظرون بضيائه ؛ والدرة لو مكثت في صدفيها ، لما حظيت في العقود بشرفيها .

وكان المجلس العالي ، القضاة ، الشهابي ، قد أقام في خدمتنا الشريفة بالأبواب العالية حافظاً للأسرار ، قائماً بما يحب ويختار ؛ ثم لما أخذ حظه من القرب من أيدينا الشريفة : رأينا أن عوده إلى أوطانه ، وأهليه من تمام إيمانه ؛ وأن مرجعه إلى محله ، من نعم الله عليه وفضله ؛ وما سار إلا والإقبال يزوده ، والاستقبال به وأهل بيته يسعده ويضعده .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن ينقل إلى كتابة الإنشاء الشريف بدمشق المحروسة ، وأن يكون متحدتاً عن والده ، على ما كان عليه بالديار المصرية ، وليقرر له من المعلوم كذا وكذا .

فَلْيَسِّرْ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ ، وَلْيَسْتَقِرَّ فِي مَوْطِنِ إِقَامَتِهِ ، قَرِيرَ الْعَيْنِ ، مَمْلُوءَ الْيَدَيْنِ ،
مَسْرُورًا بِرَفْعِ الْمَحَلِّ فِي الْمَمْلَكَتَيْنِ ؛ وَلْيَكُنْ لَوَالِدِهِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَضُدًا ،
وَلْيُصْبِحْ لَهُ فِي مَهْمَاتِنَا الشَّرِيفَةِ سَاعِدًا وَيَدًا ، وَلْيُضِحْ بِهِ الْيَوْمَ بَرًّا لِيَجِدَ رِضَا اللَّهِ
غَدًا ؛ فَإِنَّ وَالِدَهُ بَرَكَةُ الْمَمَالِكِ ، وَلَهُ قَدِيمُ هِجْرَةٍ ، وَسَالِفُ خِدْمَةٍ ، وَحَسَنُ طَوِيلَةٍ ،
فَنَحْنُ نَرْعَاهُ لَذَلِكَ ، وَالْمِهْمَاتُ الشَّرِيفَةُ يَتَلَقَّاهَا بِنَفْسِهِ ، وَلْيُصْدِرْ فُصُولَ الْمَطَالَعَةِ
مُدْبِجَةً عَلَى عَادَتِهِ فِي تَدْبِيجِ طَرَسِهِ ؛ وَلْيَسْتَعِنْ بِاللَّهِ فَهُوَ وَلِيُّ الْإِعَانَةِ ، وَلْيَعْتَمِدْ
عَلَى الرَّقْقِ فِي أَمْرِهِ فَمَا كَانَ الرَّقْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ؛ وَمَا بَعْدَ عَنَّا ، مَنْ كَانَ بَعِيدًا
بِالصُّورَةِ قَرِيبًا بِالْمَعْنَى ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُهُ مِمَّا مَنَّا ؛ وَالخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ حُجَّةٌ فِيهِ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الثالثة - نَظَرُ الْجِيُوشِ بِالشَّامِ .

وَشَأْنُ صَاحِبِهَا كِتَابَةُ الْمُرَبَّعَاتِ الَّتِي تُنْشَأُ مِنَ الشَّامِ ، وَتَنْزِيلُ الْمَنَاشِيرِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي
تَصْدُرُ إِلَيْهِ .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك ، كُتِبَ بِهِ «لموسى بن عبد الوهاب» من
إِنْسَاءِ السَّيِّدِ الشَّرِيفِ شَهَابِ الدِّينِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ إِحْسَانَنَا عَائِدًا بِصَلَاتِهِ ، وَفَضْلَنَا يَجْمَعُ شَمْلَ الْإِسْعَادِ بَعْدَ
شَتَاتِهِ ، وَعَوَاطِفَنَا تُنَبِّهُ جَفْنَ الْإِقْبَالِ مِنْ إِغْفَائِهِ وَسِنَاتِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ نَصَرَ بِنَا جَيْشَ الْإِسْلَامِ فِي أَرْجَاءِ مُلْكِنَا الشَّرِيفِ وَجِهَاتِهِ ، وَجَعَلَ
الْبَرَكَةَ وَابْتِمْنًا بِأَمْرِنَا فِي حَالَتِي مَحْوٍ وَإِثْبَاتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
شَهَادَةً زَادَتْ فِي جَزَاءِ الْمُخْلِصِ وَحَسَنَاتِهِ ، وَأُصْحَحَتْ نُورًا يَسْمَعِي بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ
وَالِى جَنَاتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِ وَاصِحَّ آيَاتِهِ ،

وأصبح الشَّرْعَ عَاقِبًا من تَسْرِرَاتِهِ ؛ وَمَا الفَتْرَةَ بِهَدْيِهِ وَسَرَّ سَرَائِرِ أَوْلِيَائِهِ وَأَكْمَدَ قُلُوبَ عِدَائِهِ ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا تَأْرَجُ النَّسِيمُ فِي هَبَاتِهِ ، وَأَبْجَعُ العَطَاءَ بِجَزِيلِ هَبَاتِهِ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فإنَّ من النِّعَمِ ما إِذَا عَادَتْ أَقْرَبُ العُيُونِ ، وَحَقَّقَتِ الآمَالَ وَالظُّنُونِ ؛ وَرَفَعَتِ الأَقْدَارَ وَإِنْ لم يَزَلْ رَفِيعًا مَحَلُّهَا ، وَجَمَعَتِ المَسَارَّ المَتَدَّ عَلَى الأَفِيدَةِ ظِلُّهَا ؛ وَعَمَّرَتِ رُبُوعَ الإِحْسَانِ ، وَعَمَّرَتِ بِمَنَائِحِهَا الحِسانَ ؛ كَهَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي تَلَقَّتِ الإِقْبَالَ من حَافِلِ عَمَامِهِ ، وَجَمَعَتِ شَمْلَ التَّقْدِيمِ مَشْفُوعًا بِإِكْرَامِهِ ؛ وَأَعَادَتِ سَمَاءَ التَّكْرِيمِ هَادِيَةً بِقَطْبِهَا ، مُشْرِقَةً الأَرْجَاءَ بِنُورِ رَبِّهَا ؛ وَسَفَرَتِ بَدُورَهَا مِن هُوِ أَوْلَى بِاجْتِلَائِهَا ، وَتَهَيَّأَتْ رَبُّهَا لِمَنْ هُوَ جَدِيرٌ بِأَعْيَانِهَا ؛ وَحَقِيقٌ بَأَنَّ تَعُودَ المَوَاهِبِ بَعْدَ قَرْنِهَا ، وَأَنْ تُقْبَلَ عَلَيْهِ وَجُوهَ المَنَائِحِ بَعْدَ لَفْتِهَا ؛ لِتُصْبِحَ كَوَاكِبُ الإِسْعَادِ كَانِهَا مَا أَفَلَتْ ، وَعَطَايَا التَّخْوِيلِ كَانِهَا مَا انْتَقَلَتْ ؛ وَيُعُودَ عَلَيْهِ اليَوْمُ كَأَمْسِهِ ، وَيَرْجِعُ أَفُقُ العَوَارِفِ الحِسامِ مُشْرِقًا بِبَدْرِ الأَجْتِبَاءِ وَشَمْسِهِ .

ولَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي حَسُنَتْ فِي الخِدْمِ الشَّرِيفَةِ آثَارُهُ ، وَحُمِدَ إِيرَادُهُ فِي المِهْمَاتِ الشَّرِيفَةِ وَإِصْدَارُهُ ؛ وَشَكَرَهُ شَامُهُ وَمِصْرُهُ ، وَسَمَا فِي كُلِّ جِهَةٍ حَلَّهَا مَحَلُّهُ وَقَدْرُهُ ؛ وَتَحَقَّقَتْ مِنْهُ رَأْسَةٌ قَضَتْ لَهُ بِإِبْدَاءِ النِّعَمِ وَإِعَادَتِهَا ، وَأَنْ تَجْرِيَ لَهُ الدَّوْلَةُ مِنَ الإِكْرَامِ عَلَى أَجْمَلِ عَادَتِهَا ؛ وَأَنْ تُرْعَى لَهُ حُقُوقُ أَلْفِهَا حَدِيثًا وَقَدِيمًا ، وَتُنَشَّرَ عَلَيْهِ ظِلَالُ الفَضْلِ حَتَّى لا يَفْقِدَ مِنْهَا عَلَى طُولِ المَدَى تَكْرِيمًا .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالأَمْرِ الشَّرِيفِ ... لا زَالَ ... أَنْ يَسْتَقَرَّ ... تَجْدِيدًا لِلْمَلَأِسِ سَعْدُهُ ، وَتَأْكِيدًا لِقَوَاعِدِ تَجْدِيدِهِ ، وَتَرْدِيدًا لِلْفَضْلِ الَّذِي حَلَا مِنْهُلُ وَرِيدِهِ ؛ وَرِعَايَةً لِخِدْمَتِهِ الَّتِي أَكْبَتْ عَلَيْهَا السِّيُوفُ وَالأَقْلَامُ ، وَشَكَرَتْ تَأْيِيدَهَا جُنُودُنَا - نَصَرَهَا اللهُ

تعالى - بمصر والشام ، ولما له من حُسن سميت زاده وقاره ، وأصله صالح طابَتْ
منه ثماره .

فليستقر في هذه الوظيفة المباركة : عالمًا أن لسان القلم أمسك عن الوصايا لأنه
خبر هذه الوظيفة فرعًا وأصلاً ، وألفت منه ناظرًا علا قدرًا وكرم محمداً وفضلاً ،
وهو بحمد الله أدرى بسلوك منهاجها القويم ، وأدرب باقتناء سننها المستقيم ، والخير
يكون ، والاعتماد في ذلك على الخط الشريف إن شاء الله تعالى أعلاه ، حجة
بمقتضاه .

المرتبة الثانية

(من مراتب أرباب التواقيع الديوانية بدمشق - من يكتب له

في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء مفتوحاً بـ «الحمد لله» إن علت

رتبته وإلا بـ «أما بعد» ، وتشتمل على وظائف

منها - نظير الخزانة العالية ، وشأنها هناك نظير الخزانة الكبرى بالديار المصرية
في القديم ، ونظير خزانة الخاص الآن .

وهذه نسخة توقيع بنظر الخزانة العالية :

أما بعد حمد الله على نعمه التي خصت المناصب السنية في أيامنا الزاهرة بكل
كفء كريم ، وجعلت على خزائن الأرض من أولياء دولتنا القاهرة كل حفيظ عليم ،
وأفاضت ظل إنعامنا على من إذا أنعم النظر في حق ذوى البيوت القديمة كان أحق
بالقديم ، والصلاة على سيدنا محمد أفضل من حباه بفضله العميم ، وأجته له سداية
خالقه إلى السنن القويم ، وجعل سلامة الصلاة المقبولة من التقص مقرونة بالصلاة
عليه والتسليم - فإن أولى من ربحه لخدمتنا الاختيار ، وقدمه في دولتنا الاختيار ،

وأخلصه حسن نظرنا الشريف رتبة أبيه من قبل ، وأغدق له سحاب رنا صوب إحسان فلم يصبه ظل بل وابل - من حمد سيره وسيره ، وشكر في طاعتنا وزده وصدرة ، وزان الأصالة بالنباهة ، والراسة بالوجهه ، والمعرفة بالتزاهه ، وجمع بين الصلف والأطلاع ، والتضلع من العفة والأضطلاع ، والصفات التي لو تخيرها لنفسه لم يزيدا على ما فيه من كرم الطباع .

ولما كان نظر الخزانة العالمة بدمشق المحروسة رتبة لا يرقى إليها من الأكفاء إلا من ومن ، ولا يقدم لها من الأولياء إلا من تعين من رؤساء العصر وفضلاء الزمن ، وكان فلان هو الذي عينه لها ارتياد الأكفاء ، وأصطفى هو من أهل الصفاء ، وتقدم من وصف محاسنه ما لا يروع تمام بده وظهوره بالنقص والأخفاء .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه نظر الخزانة المذكورة .

فليباشر ذلك مباشرة من يحقق في كفايته وفضيلته التأميل ، ويظهر حسن نظره الذي هو كالنهار لا يحتاج إلى دليل ، وليجبر على جميل عاداته في النهوض في خدمتنا بالسنة والقرض ، ويضعف اجتهاده الذي بمثله جعل من اختياره على خرائن الأرض ، وهو يعلم أن هذه الرتبة مأل الأموال ، وذخائر الإسلام التي هي مادة الجيوش وموارد الإفضال ؛ فليعمل في مصالحها فكره ودأبه ، وإذا كان حسن نظرنا الشريف قد جعله المؤمن عليها : ((فليؤد الذي أوثمن أمانته وليتق الله ربه)) . وفي سيرته التي عرفت ، وصفاته التي إن وصفت فما أنصفت ؛ ما يغني عن تفاصيل الوصايا وجمالها ، وإعادة مزايا التأكيد : قولها وعمليها ؛ لكن ملائكتها الصيانة التي هو بها موصوف ، والتقوى التي هو بها معروف ؛ والاعتداع على الخط الشريف أعلاه .

ومنها - صحابة ديوان النظر، وصحابة ديوان الجيش ونحو ذلك من الوظائف الديوانية بدمشق .

قلت : هذا إن كتب من الابواب الثمريفة السلطانية ، وإلا فالغالب ككتابة ذلك عن نائب السلطنة بدمشق .

الصنف الرابع

(من الوظائف بدمشق وظائف المتصوفة ومشايخ الخواريق ،
وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء ، مفتوحا بـ «الحمد لله» .
وبذلك يكتب لشيخ الشيوخ بالشام ، وهو شيخ الخانقاه
الصلاحية ، المسماة بالشميصاتية)

وهذه نسخة توقيع بذلك ، وهى :

الحمد لله الذى اختار لعارة بيوته اولياء يحبونه ويحبهم ، وأصفياء حقههم برحمته
فاجتهدوا فى طاعته فازداد قريتهم ، وأتقياء زهدوا فى الدنيا وأبدلوا الفانى بالباقى
وطاب فى مورد الصفاء شريهم .

نحمده حمد من جعل حب الله دناره ، وملابس التقوى شعاره ، ونشكره والشكر
لمزيد النعم أماره ، وللقلوب الدائرة عماره ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة مخلص فى التوحيد ، يتبوا بها جنان الخلد ويخلص من سماع قول جهنم :

هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَمَرْنَا بِهِ إِلَى حَضْرَةِ
 أَنَسِهِ ، وَحَظِيرَةِ قُدْسِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ سَبَقَ الْأُمَّةَ
 بِبَشَائِرِهِ وَقَرَّ فِي صَدْرِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَلَّتْ وَاقِعُهُ سَارِيَةَ عَلَى عُلُوِّ شَأْنِهِ وَرِفْعَةِ قَدْرِهِ ؛
 صَلَاةً لِاتِّزَالِ الْأَرْضِ لَهَا مَسْجِدًا ، وَلَا يَبْرَحُ ذِكْرُهَا مُغَيَّرًا فِي الْآفَاقِ وَمُنْجِدًا ؛ وَسَلِّمْ
 تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ عُوِمِلَ بِالتَّقْدِيمِ ، وَأَجْدَرُ مَنْ يُحْصَى بِالتَّكْرِيمِ ، مَنْ كَانَ
 قَدْرُهُ فِي الْأَوْلِيَاءِ عَظِيمًا ، وَذِكْرُهُ فِي الْآفَاقِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ قَدِيمًا ، وَتَجْرِيدُهُ عَنِ
 الدُّنْيَا مَشْهُورًا ، وَسَعْيُهُ عَلَى قَدَمِ الطَّاعَةِ مَشْكُورًا ؛ وَشُهُودُهُ لِمَقَامِ الْكَمَالِ مُسْتَجَلِبًا ،
 وَأَسْتَجْلَاؤُهُ لِمَوَاتِ الْأَنْسِ مُسْتَمْلِبًا ؛ فَهُوَ فِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْجَلِيلَةِ سِرِّي الْمِقْدَارِ ، مَعْرُوفُ
 الصِّفَةِ فِي حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَمَنَاقِبِ الْأَبْرَارِ ، وَالْمُتَقَدِّمُ مِنَ الْإِمَامَةِ فِي بَعْضِ الْأَخْيَارِ .

ولما كان المجلس السامى ، الشَّيْخِي ، الْكَبِيرِي ، الْعَالِمِي ، الْعَامِلِي ، الْأَوْحَدِي ،
 الرَّاهِدِي ، الْوَرَعِي ، الْأَصْبَلِي ، الْفَلَانِي ؛ جَلَالَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَشَرَفِ الصَّلْحَاءِ
 فِي الْعَالَمِينَ ، شَيْخِ الشُّبُوحِ ، قُدْوَةِ السَّالِكِينَ ، مُعْتَقِدِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينَ ، أَعَادَ اللَّهُ
 تَعَالَى مِنْ بَرَكَاتِهِ : هُوَ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ ، وَالْمَالْحُوظَ بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ - أَفْتَضَى
 حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ يُحْصَى فِي الدُّنْيَا بِالتَّعْظِيمِ ، وَيُمَيَّزَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالتَّكْرِيمِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ لَهُ مِنْ جُنُودِ اللَّيْلِ جَيْشٌ لَا تَطْبِيشُ
 سِهَامَهُ ، وَمَنْ فُورَسَانِ الْحَارِيبِ مَدَدٌ لَا تَزِلُّ فِي مَلَاقَاةِ الرَّجَالِ أَقْدَامُهُ - أَنْ يَسْتَفْتَرَ
 فِي كَذَا .

فَلْيُقَابِلْ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِالسُّرُورِ ، وَلِيَتَأْتَلْ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ بِحَمْدِ اللَّهِ الشُّكُورِ ، وَلِيُوَاطِبْ
 عَلَى وَظِيفَةِ الدُّعَاءِ بِدَوَامِ أَيَّامِنَا الرَّاهِرَةِ ، وَلِيَسْتَمِطِرَ جَزِيلَ الْفَضْلِ مِنْ سَعَائِبِ جُودِنَا

المأطرة؛ وليسُطَّ يده في عمَلِ المصالح، وليستمرَّ على السعي الحسن والعمل الصالح؛ فإن هذه البقعة مأوى القادم والقاطن، وتسمو على أمثالها من المواطن؛ وليكن لأسرارهم موقراً، ولأقواتهم المعينة على الطاعة ميسراً؛ والله تعالى يجعل خلواته معموره، وأفعاله مبرورة؛ والاعتماد في ذلك على الخط الشريف .

قلت : هذا إن وليها شيخ من مشايخ الصوفية، على عادة الخوانق . وقد يلها كاتب السر بالشام، فيكتب تقليده بكتابة السر في قطع النصف «بالمجلس العالی» على عادة كتاب السر، ويسار في تقليده إلى بعض الألفاظ الجامعة بين المقامين، ويضاف إلى ألقاب كتابة السر بعض ألقاب الصوفية المناسبة لهذا المقام . على أنه ربما كتب بولايتهما عن نائب السلطنة بالشام لكتاب السر أو غيره .

المرتبة الثانية

(من يكتب له في قطع العادة مفتوحاً بـ«رسم»)

وهذه نسخة توقيع من ذلك، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت أوامره تُجلى القربات محلها، ومراسمه تُسند الرتب الدينية لمن إذا خصوا بمواقعها كانوا أحق بها وأهلها - أنت يرتب فلان في كذا : إذ هو أولى من خص بمواطن العبادة، ونص بترفيه الأسرار على التحلي بأفاضة الإفاده؛ ووفر كده على اجتلاء وجوه المعارف من أفق المراقبه، وجمع خاطره لاجتماع نعمة الأئس من أفنان الطاعات البائتة في رياض المحاسبه؛ مع تمسكه بعلوم الشريعة الذي [خلص] معرفته من الشوائب، وأحيا الدجى من آفتال شيبية

ظلامه إلى أن تسيب منه الذوائب ؛ ونفع متعد إلى كل طالب فضيل وملتزم ،
 ودين باهر من مصباح مشكاة العلم والعمل لكل باغي نور ومقتبس .

فليستقر شيخاً بالمكان الفلاني : لتعمر أرجاؤه بهجده ، وتشرق خلواته بتعبده ؛
 وتعدب موارده بأوراده ، وتطلع مجالسه بمجوم معرفته البازغة من أفق إيراده ؛ [والتغدو
 هذه البقعة روضة أفكار ، وقبلة أذكار ؛ ومرافق دعوات ، ومرافق بركات ،
 تستنزل بين صلوات مقبولة وخلوات ؛ ولتتناوي المعلوم المستقر له ترفيها ليره ،
 وتزنيها لفكره ؛ وإعانة على الاتقطاع بهذه البقعة التي نتصل به أسباب السعادة
 في أرجائها ، وتخصيصاً لها منه بإمام تقي لو كان لبقعة أن تجنني بركته لكان منتهى
 رجائها ؛ وليرفع من الأذعية الصالحة لآيائنا المباركة ما لا تزال مواطن القبول لنفحاته
 المترقبة متلقيه ، وما لا تبرح النفوس لحشيتيه المانعة متوقيه ؛ والاعتاد على الخط
 الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه .

قلت : هذا إن كتب عن الأبواب السلطانية . وإلا فالغالب كتابة ذلك عن
 نائب السلطنة بالشام .

النوع الثاني

(من وظائف دمشق ما هو خارج عن حاضرتها)

وقد تقدم في المقالة الثانية : ان دمشق أربع صفقات ، وهي : الغربية ،
 والشرقية ، والقبلية ، والشمالية .

فأما الصفة الغربية : وهي المعبر عنها بالساحلية والجبلية ، على ما تقدم فيها ، ففيها
 من وظائف أرباب السيوف عدة ووظائف ، وتولى فيها الأبواب السلطانية .

منها - نيابة القدس . وقد تقدم أنها كانت في الزمن المتقدم ولاية صغيرة يليها جندي ، ثم استقرت نيابة طبلخاناه ، في سنة سبع وسبعين وسبعائة ، وأن العادة جرت أن يُضاف إليها نظر الحرمين : حريم الخليل عليه السلام ، وحريم القدس . والذي يكتب له مرسوم في قطع الثلث بـ «السائي» بالياء .

ومنها - نيابة قلعة الصبيبية . وقد تقدم أنها من أجل القلاع وأمنها ، وأنه كان يليها نائب مفرد من أجناد الحلقة أو مقدميها عن نائب دمشق ، ثم أضيفت إلى والي بانياس . ثم استقرت في سنة أربع عشرة وثمانمائة في الدولة الناصرية « فرج » نيابة .

ومنها - نيابة قلعة عجلون . وقد تقدم أنها على صغرها حصن حصين ، مبنية على جبل عوف ، بناها أسامة بن مقيذ ، أحد أمراء السلطان صلاح الدين « يوسف ابن أيوب » في سلطنة العادل أبي بكر ، وأنه كان مكانها رهب اسمه عجلون ، فسميت به . ثم استقرت في الدولة الناصرية « فرج » في سنة أربع عشرة وثمانمائة إمرة طبلخاناه .

وقد تقدم أول هذا القسم ما يكتب للقدمين ، وما يكتب للطبلخاناه ، وما يكتب للعشرات .

أما أرباب الوظائف الدينية .

فمنها - مشيخة الخانقاه الصلاحية بالقدس . وتوقيعها يكتب في قطع الثلث مفتتحا بـ «الحمد لله» .

(١) في تفويم البلدان ص ٢٢٨ أن جبل عوف كان أهله عصاة فبنى عليهم أسامة حصن عجلون وهو معقل حصين مشرف على الغور .

ومنها - خُطَابَةُ الْقُدْس ، وتوقيعها كذلك .

ومنها - مَشِيخَةُ حَرَمِ الْخَلِيل ، وتوقيعها في العَادَةِ يكتب مفتتحا بـ «رُسْم» .
 وأما الصَّفَقَةُ الْقَبِيلِيَّةُ ، فالتَّى يُوَلَّى بها من الأبواب السُّلْطَانِيَّة نِيَابَةٌ صَرَّحَ .
 وقد تقدّم في الكلام على ترتيب المملكة الشَّامِيَّة أَنَّهُ قد يجعل فيها من يَقْرُب من
 رُتَبِ السُّلْطَنَةِ ، وحينئذٍ : فإن وليها مُقَدَّم أُلْفٍ ، كان مَرَسُومُهُ في قَطْعِ النِّصْفِ
 بـ «المجلس العالى» . وإن وليها أمير طَبَلْخَانَاهُ ، كان مَرَسُومُهُ في قَطْعِ النِّصْفِ أيضا ،
 بـ «السَّامِي» بالياء .

وأما الصَّفَقَةُ الشَّرْقِيَّةُ فالنِّيَابَاتُ بها على طَبَقَتَيْنِ :

الطبقة الأولى

(ما يُكْتَبُ به مرسومٌ شَرِيفٌ في قَطْعِ النِّصْفِ ، وهو ما يليه مُقَدَّم أُلْفٍ
 أو طَبَلْخَانَاهُ ، وفيها نِيَابَاتُ)

النِّيَابَةُ الْأُولَى - نِيَابَةُ حَمَصَ .

وقد تقدّم أَنَّهُ كانت نِيَابَةً جَلِيلَةً ، كان يَلِيها في الدَّوْلَةِ النَّاصِرِيَّة «محمد بن قلاوون»
 مُقَدَّم أُلْفٍ ، وأنه ذكر في «التَّنْقِيحِ» أَنَّهُ صارت الآن طَبَلْخَانَاهُ . وحينئذٍ :
 فإن كان بها مُقَدَّم أُلْفٍ ، كان مَرَسُومُهُ في قَطْعِ النِّصْفِ بـ «المجلس العالى» . وإن
 كان طَبَلْخَانَاهُ ، كان مَرَسُومُهُ في قَطْعِ التُّلْثِ بـ «المجلس السَّامِي» بالياء .

وهذه نسخة مرسومٍ شَرِيفٍ بِنِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ بِحَمَصَ :

الحمد لله مُقَدَّرِ كُلِّ أَجَلٍ إِلَى حِينٍ ، ومُقَرَّرِ أُمُورِ الْمَمَالِكِ فِي عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ ، الَّذِي
 جَعَلَ بِنَا أَوْلِيَاءَنَا مِنَ الرَّايِحِينَ ، وَحَفِظَ مَا اسْتَرَعَانَا مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ بَوْلَايَةِ النَّاصِحِينَ .

نحمده على اختياره لا يصل إليه قدح القادحين ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون بها في عمّرات الحروب على السوايح ساجدين ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أكرم المائحين ، وأعظم الفاتحين ، وأشرف من ولى الأعمال الكفافة الوفاة المكافين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة لا تزال فيها الحفظه على أعمالنا ممتسين ومصابحين ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن مراسمنا الشريفة وإن تأخر وقتها إلى أجل معدود ، وأمد ممدود ، ومضت أيام وليال ولها باب مسدود ، وعمل سببه غير مشدود - فإننا كالسيف يتلاهى ثم إذا صم لا يرجع ، وكالغمام تمادى مدد مدته ثم يعود فلا يقبلع ؛ ولم نزل منذ فوض الله أمور بلاده إلينا ، وصرف أمور جمهور عباده بيدينا ؛ نرى أن نحى غاباتها بأشد الأسود ، ونرى غاياتها بن هو لأمر ما يسود ؛ ونحوظ جنباتها بمن لا يستبيح حرمة إلا الوفود ، ونحط ركائب رعاياها منه على من هو المقصود ؛ ونبيب إلى ما يتربح من مصالحهم لدينا ، ونستدب لمن يترجى الحسنى إذا عرضت متجددات أمورهم علينا ؛ وإذا انفرد بحكم لا يظن إلا أنه بسمع من أذنيننا ، ومرأى من عينينا ؛ لأن نواب الممالك الشريفة فروع عدلنا الشريف ونحن أصلها ، وأسباب إحساننا بأوامرنا المطاعة قطعها ووصلها .

وكانت حمص المحروسة من أكبر الممالك القديمة ، والمدين العظيمة ؛ تفرق الأقاليم في مدنها ، وتمتد عساكرها فتعد حماة حماة من جندها ؛ وهى من الشام المحروس فى مائتى مواكبه ، ومجر عواليه ومجرى سوايقه وجميع كتابه ؛ طالما كان بها الحرب سجالا ، وطالما سابت بها الرجال أجالا ؛ وكان لنا بها فى الحرب يومان عوضنا الله أذناهما بما حفظت المعارك ، وضاعت الأرض بدماء القتلى ففاض إلى

السَّيِّءُ مَا أَلْتَقَى بِالشَّفَقِ مِنْ [تلك المسالك] ^(١) ، وَأَتَّصَتْ بِالْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِنْ جَانِبَيْهَا ؛
وَأَتَّصَفَتْ بِأَنْهَا مَهَبُ الرِّيحِ ، وَمَرْكَزُ الرَّمَّاحِ ؛ لِمَا يَهْبُ لَنَا مِنْ بَشْرَى النُّصْرِ وَيُخَفِّقُ
مِنْ عَصَائِبِنَا الْمَنْصُورَةِ عَلَيْهَا .

فَلَمَّا تَطَاوَلَ الْأَمْدُ عَلَى خُلُوقِهَا مِمَّنْ يَنْوِبُ عَنِ السَّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ فِي أَحْكَامِهَا ،
وَيَثُوبُ إِلَى تَسْدِيدِ مَرَامِي سِبْهَامِهَا ؛ لَمْ تَزَلْ آرَافُنَا الْعَالِيَةَ تُجُولُ فِيمَنْ يَصْلُحُ أَنْ
يُقَدِّمَ قَدَمَهُ إِلَى رُتْبَتِهَا الْعَالِيَةِ ، وَيُجَرِّدَ مِنْهَا عِزَّائِمَةَ الْمَشْرِيفَةِ ؛ وَيَجْمَعُ بِهَا عَلَى طَاعَتِنَا
الشَّرِيفَةِ مَنْ فِيهَا مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ ، وَالْقَبَائِلِ الْمَشْهُورَةِ ، وَالطَّوَائِفِ الْمَذْكُورَةِ ،
وَيَسُطُّ بِسَاطِ الْعَدْلِ فِي كَافَّةِ جُنُودِهَا وَرِعَايَاهَا فَإِنَّهَا بِهَيْؤَلِهَا مَحْرُوسَةٌ وَبِهَيْؤَلِهَا
مَعْمُورَةٌ - قَرَأْنَا أَنَّ أَوْلَى مِنْ حَكَمٍ فِي عَاصِيهَا وَالْمُطِيعِ ، وَأَنْتَحَدَ لِسُورِيَا السُّورِ الْمُنِيعِ ؛
مَنْ هُوَ الْمَوْثُوقُ بِمَا أَمْضَتْ السُّيُوفُ مِنْ هِمَمِهِ ، وَأَرْضَتِ التَّجَارِبُ مِنْ سَوَائِقِ
خِدْمَتِهِ ؛ وَطَارَتْ سُمْعَةٌ شُكْرِهِ فِي الْآفَاقِ ، وَطَابَتْ أَثْبَتَتُهُ بِخَاءَتِهَا بِمَا يُعْرِفُ مِنَ
الطَّرِبِ لِإِسْحَاقِ ؛ وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ لَهُ فِي عَيْنَتَابِ ^(٢) ، نِيَابَةٌ كَمْ أَصَابَهُ فِيهَا رَجُلٌ بِالْعَيْنِ
ثُمَّ إِنَّهُ مِنَ الْعَيْنِ تَابَ ؛ وَقَامَ بَيْنَ أَيْدِي كِفَلَاءِ مَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ حَاجِبًا ، وَفَهَمَ مِنْ
أَحْكَامِهِمُ الَّتِي تَلَقَّوْهَا مِنْهَا مَا أَصْبَحَ لَهَا صَاحِبًا ؛ فَمَا لِلنِّيَابَةِ إِحْكَامُ أَحْكَامِ إِلَّا وَهُوَ
بِهِ عَالِمٌ ، وَلَا تَوْلِيَةٌ حُكْمٌ إِلَّا وَقَدْ اسْتَحَقَّهَا لِقُرْبِ مَا بَيْنَ الْحَاجِبِ وَالْحَاكِمِ .

وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ الْمُرْتَضَى لِلْبَيْتِ هَذِهِ الْمَفَاخِرِ ، وَالْمُنْتَظَرُ الَّذِي كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ فِيهِ
لِلْآخِرِ - فَاقْتَضَتْ مَرَّاسِمِنَا الْمَطَاعَةَ أَنْ يَزَانَ جَيْدُهُ بِهَذَا التَّقْلِيدِ ، وَتُلْقَى إِلَيْهِ الْمَقَالِيدُ ؛
وَيَمْتَدِّدُ هَذِهِ الرُّتْبَةَ لِتَلْقِيهِ ، وَتَخْضَعُ عَنْقُ هَذِهِ الْمُرْتَبَةِ لِتَرْقِيهِ ؛ وَتَحْوِلُ إِلَيْهِ هَذِهِ النِّعْمَةَ

(١) بياض بالأصل .

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي معني الخلفاء المشهور .

التي أُلْحِقَتْ قَدْرَهُ بِالْأَكْفَاءِ ، وَأَهَلَّتْ هِمَمَهُ لِلْكَثْفَاءِ ؛ وَشَرَّفَتْ مَكَانَهُ بِمَا أَجْمَعَتْ
عَلَيْهِ آرَأُونَا الشَّرِيفَةَ لَهُ مِنَ الْأَصْطَفَاءِ ، وَأَحْسَنْتْ بِهِ الظَّنَّ لَمَّا رَأَتْ نَيْتَهُ الْجَمِيلَةَ
مُمَثَّلَةً مِنْ خَاطِرِهِ فِي مِرْآةِ الصَّفَاءِ .

فَرِسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ مَرْفُوعًا بِهِ كُلَّ عِلْمٍ ، تَمَنُّوعًا بِهِ حَمَى كُلِّ حَرَمٍ -
أَنْ تُفَوِّضَ إِلَيْهِ نِيَابَةَ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِمَحْضِ الْحُرُوسَةِ وَأَعْمَالِهَا ؛ وَجُنْدِهَا وَعُمَمَّا لَهَا ،
وَعَسَاكِرِهَا وَعَشَائِرِهَا ؛ وَعَامِرِهَا وَظَامِرِهَا ، وَأَوَّلِهَا وَآخِرِهَا ؛ وَدَانِيَهَا ، وَقَاصِيَهَا ؛ وَكُلَّ
مَا فِي حُدُودِهَا الْأَرْبَعَةِ ، وَدَاخِلِ فِي جِهَاتِهَا الْمُتَمَنِّعَةِ ؛ عَلَى أَكْمَلِ مَا جَرَّتْ بِهِ عَوَائِدُ مَنْ
تَقَدَّمَ ، وَاسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ الْقَوَاعِدُ الْمُتَقَدِّمَةِ .

فَاتَّقِ اللَّهَ فِي أُمُورِكَ ، وَاجْعَلِ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ مِسْكَاتَةَ نُورِكَ ، وَعَظْمَ حُكْمِهِ ،
وَنَفْذَ أَحْكَامِهِ ، فَهُمْ أَمْنٌ سُوْرِكَ . وَأَعْدِلْ فَهُوَ قَرَارُ خَوَاطِرِ جُمْهُورِكَ ، وَتَبَقُّظُ
لِسَدَادِ سِدَادِ تُفُورِكَ ، وَارْفُقْ لِتَطْلُقَ بِهِ نُطْقَ نِطَاقِ سُكُورِكَ . وَأَقِمْ الْحُدُودَ فَإِنَّهَا
زِيَادَةٌ فِي أَجُورِكَ . وَأَمَّا الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ ، فَعَمَلْ بِهَمِّ فِي خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ مَوَابِكِكَ ،
وَكُلَّ بَعْرَائِمِهِمْ مَضَارِبِكَ ؛ وَلَا تَسْتَخْدِمْ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يُسْرِكُ أَنْ تَرَاهُ فِي يَوْمِ الْعَرَضِ ،
وَتَعْقِدُ هَوَادِي جِيَادِهِ السَّمَاءَ بِالْأَرْضِ ؛ وَأَحْمِ أَطْرَافَ بِلَادِكَ مِنْ عَادِيَةِ الرِّجَالِ ،
وَأَحْفَظْ جَانِبَيْهَا مِنْ تَخْطِيفِ الْغَارَاتِ فَسِرْ قِيَامَهَا [لَا يَدْفَعُهُ] غَيْرَ احْتِيَالٍ ؛ وَأَهْتَمَّ بِالْجِهَادِ
تَحْتَ صَنَاجِقِنَا الْمَنْصُورَةِ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ مَتَى أَجْمَعُوا ، وَضَرَسَهُمْ بِأَنْيَابِ أَسْنَنِكَ فَانْتَ
صَاحِبُ الْعِصَابِ وَهِيَ تَلْتَقِفُ مَا صَنَعُوا ؛ وَعَمَّرْ بِلَادَهَا بِمُلَاحَظَتِكَ الْجَمِيلَةِ ، وَنَمِّ أُمُورَهَا
فَهِيَ قَوَامُ الْجُنُودِ وَهَمُّ إِلَى الثَّقَةِ فِي النَّصْرِ الْوَسِيلَةَ ؛ وَسَارِعْ إِلَى مَا تَرَدُّ بِهِ مَرَّاسِمُنَا
الشَّرِيفَةَ عَلَيْكَ لَتَهْدِيكَ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ؛ وَتَجَلِّ الْبَرِيدَ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ بِهِ مَا لَسْتَ بِعَلِيمٍ ؛

وَبِقِيَّةِ الوصايا لاحتاجة إليها لما تعرفه من قديم ، والله تعالى يُمتَّعك بكلِّ خُلُقٍ كريمٍ ؛
وانحطُّ الشريفُ أعلاه

النيابة الثانية - نيابة الرّجبة .

وهذه نسخةٌ بنيابتها :

الحمد لله الذي أمدنا بنصره ، وشمل بجود سلطاننا أهلَ عصره ؛ وأيده بجنود أولها
متصلٌ بأولِ عِراقه وأخرها بأحرِمِصره ، وفزقَ بِمهامِهِ الأعداءَ في حواصلِ الطيرِ بين
حِضْنِه وحِصْرِه .

نحمده حمداً يقومُ بشكره ، ويحافظُ على حُسنِ ذكره ، ويُستعاذُ به إلاّ ما يُدَمِّرُ
على العدا من عواقبِ مكره ؛ ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادةً تُرغِمُ
مَن جادلَه بكُفْرِه ، وتُزِقُّه بين كلِّ نَابِ سيفٍ وطُفْرِه ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده
ورسوله أرسله مُقيماً لأمره ، ومُديماً في الجهادِ لإعمالِ بيضه ومُتمِّره ، صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه حملةً سِرِّه ، ونقّلةً هُدْيِه بأمره ؛ صلاةً باقيةً في الوجودِ بقاء
دَهْرِه ، راقيةً ارتقاءً زُهْرِه .

وبعد ، فإن الثغورَ بسدادِها ، والبُحورَ بِإمدادِها ، والنُحورَ لا تحلّي بأحسنَ من
حليّةِ نِجادِها ؛ والممالكَ المحروسَةَ لا تُحرسُ إلاّ بِسُهبِ نُحْرَسانِها ، ولا تُسقىْ بأنتع
مما يُطْلَه من الدماءِ سُحْبُ فُرْسَانِها ؛ والفُراتَ لا تُنحّيْ موارِدُها إلاّ بِأمشالِ سيوفِها
القَوَاضِبِ ، ولا تمنعُ مَحَاوِضَها إلاّ بِدَمِ خاضِبِ ، والحِصُونِ لا يرضى بها كلُّ مَنجنيقِ
غُضبانٍ إلاّ بِوِصالِ مُغاضِبِ ، والقِلاعَ لا تتطالعُ عيونُ دِيادِها إلاّ لمن ماء الكرى

(١) في الأصل مخالفتها .

في جُفُونِهِ نَاصِبٌ ، وَالْمَعَاقِلَ لَا تَسْمَحُ بِعَقَائِلِهَا إِلَّا لِمَنْ هُوَ عَلَى خِطْبَتِهَا مُوَاطِبٌ ؛
وَكَانَتْ الرَّحْبَةَ - حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى - هِيَ أَوْسَعُ مَكَانٍ رِحَابًا ، وَأَذْنَى إِلَى مَطِيرِ سَحَابًا ؛
وَأَوْثَقُ مَا أَعْلَقَ عَلَى الْبِلَادِ بَابًا ، وَأَقْرَبُ مَا سَمِعَ حُرَّاسُهَا فِي السَّمَاءِ دُعَاءَ مُجَابًا ؛
قَدْ مُلِئَتْ سَمَاوُهَا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا ، وَمَدَّتْ كَوَاكِبَ الدُّلُوحِ وَاسْتَقَّتْ مِنَ الْغَمَامِ
قُلُوبًا ؛ وَعَدَّتْ مَا وُورَاءَ الْحَجَرَةِ فَعَمِيَتْ دُونَهَا الْمَسَالِكُ ، وَحُسِبَتْ لِمَلِكٍ وَنُسِبَتْ إِلَى
مَالِكٍ ؛ وَمَالِكٌ - لَا أَعْنِي إِلَّا ابْنَ طَوِيقٍ - خَازِنُهَا ، وَمَنْزِلُ أَمِينٍ وَفِي غَابِ الْأَسَدِ
مَسَاكِنُهَا ؛ قَدْ وَقَفَتْ لِبَغْدَادَ فِي قِيمِ الْمَضِيقِ ، وَهَمَّتْ بِلَادُ الْعِدَا أَنْ تَخْوَضَ الْفُرَاتَ
إِلَيْهَا فَقَالَتْ : مَالِكٌ إِلَى طَرِيقٍ ؛ قَدْ آفَرَتْ فِي وَجْهِ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ تُعْرِهَا الضَّاحِكُ ،
وَرَدَّ قَرْنَ الشَّمْسِ فَرَعَهَا الْمُتَمَّاسِكُ .

فَلَمَّا أُعْهِدَ حُسَامُهَا الْمَسْلُوكُ ، وَأَقْلَعُ عَمَامُهَا وَكُلُّ هُدْبٍ بِالْبُكَاءِ عَلَيْهِ مَبْلُوكٌ -
أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفُ أَنْ نَجْتَدِدَ لِعُرُوسِهَا زِفَافًا ، وَلِيَبُوتَهَا أَفْوَافًا ؛ وَلِسُيُوفِهَا جِلَاءٌ ،
وَلِسُقُوفِهَا إِعْلَاءٌ ؛ وَنُؤْيَاهَا لِمَنْ تَكُونُ هِمَّتُهُ فِيهَا جَدِيدَةَ الشَّبَابِ ، أَكِيدَةَ الْأَسْبَابِ ؛
لِيَكُونَ أَدْعَى لِمَصَالِحِهَا ، وَأَرْعَى لِمَنَاجِحِهَا ؛ وَأَوْعَى لِمَا يَجْمَعُهُ سَمْعُهُ مِنْ مَصَالِحِهَا ،
وَأَسْعَى فِي حِمَايَةِ مَمَاسِيهَا وَمَصَالِحِهَا ؛ وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ أَصْلَبُ مَنْ فِي كَنَائِنَا الشَّرِيفَةِ
عُودًا ، وَأَنْجَزُ وَعُودًا ؛ وَأَصْدَقُ رُعودًا ، وَأَيْمَنُ إِذَا طَلَعَ نَجْمُهُ فِي أَفْقِ سَعُودًا .

فرسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه نيابة الرحبة المحروسة، على عادة من تقدمه
وقاعدته [فليتول ذلك] مقدمًا تقوى الله والعمل بما شرع، وأتباع مرامنا الشريفة
فمثله من أتبع؛ وحماية أطرافها، من كل طارق إلا طارقًا بطرق بخير، وصيانة أكنافها،
من كل عصاة مُحَاقَّةٍ إِلَى جَوْهَا كَالطَّيْرِ؛ وَحِفْظُهَا مِنْ عَادِيَةٍ كُلِّ أَفَّاكٍ وَسَفَّاكٍ، وَبَادِيَةٍ
أَعْرَابٍ وَأَثْرَاكٍ؛ وَكُلِّ فَارِسٍ فَرَسٍ وَرَاكِبٍ بَعِيرٍ، وَكُلِّ وَقْفَةٍ مُحَاصِرٍ وَحَقْقَةٍ مُغِيرٍ؛

وَجَائِيٌّ بِرَوْحِيٍّ : فِي أَحَدِهِمَا الْمَسَالِكُ تَعْمَى وَالْآخَرَ لَا يُعَامُ ، وَصَاحِبِي سِرٌّ وَجَهْرٌ :
هَذَا تَحْشَى لَهُ عَاقِبَةَ كَلَامٍ وَهَذَا مُعَاقِبَةُ كَلَامٍ .

وَلِيَتَخَطَّفَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا تَلَمَعَ لَدَيْنَا بِوَارِقِهِ ، وَيَتَقَطَّفَ مِنَ الْأَقْوَالِ ثَمَرَاتِهَا
وَلَا يَدَّعِ كُلَّ مَا تَجَمَّعَ حَدَائِقُهُ ، وَلِيَجْعَلَ لَهُ مِنَ الْمُنَاصِحِينَ طَلَائِعَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ
فِي آتِيهِابِ الْأَخْبَارِ أَبُو الْغَارَاتِ ، وَمَنْ إِذَا أَلْجَمَهُ الْخَوْفُ كَانَ لَهُ فِي لَمَسِ الْبُرُوقِ
إِشَارَاتٌ ؛ وَلِيَتَّخِذَ مِنَ الْكَشَافَةِ مَنْ يَسْبِقُ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ ، وَمَنْ الْخِيَالَةَ مِنْ
لَا يَرْتَدُّ عَنْ وَقْدِ الرَّمَاجِ طَرْفُهُ ؛ وَمَنْ الْقَضَادَ مَنْ لَا يَطْوِي عَنْهُ خَبْرًا ، وَمَنْ الدِّيَادِبَ
مَنْ يُعْبِرُهُ وَقَلَّ أَنْ تُعَارَ الْعَيُونُ نَظْرًا ؛ وَلِيَحْفَظَ التُّجَّارَ فِي مَذَاهِبِهِمْ غُدُوًّا وَرَوَّاحًا ،
وَمَسَاءً وَصَبَاحًا ؛ وَلِيَسْتَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ طَالَمَا أزدَانَتْ بِهِمْ صُدُورُ الْخَزَائِنِ عَلَى
أَمْتِلَانِيهَا أَنْتِرَاحًا ، وَلِيَأْخُذَ مِنْهُمْ مَا لَبِيتَ الْمَالِ فَكَمْ وَجَدُوا بَعْطَانَهُ أَرْبَاحًا ؛ وَلِيُوصَلَ
إِلَى أَرْبَابِ الْقَرَارَاتِ مَا لَمْ مِنْ مُقَرَّرٍ مَعْلُومٍ ، وَلِيُعْطِيَهُمْ مَا تَصَدَّقْنَا بِهِ عَلَيْهِمْ وَهُوَ
مَشْكُورٌ وَإِلَّا أَعْطَاهُمْ وَهُوَ مَذْمُومٌ ؛ وَلِيُعْمَرَ الْبِلَادَ بِتَوَطُّينِ أَهْلِ الْقُرَى ، وَإِنَامَتِهَا
بِالْعَدْلِ مَلَائِنَةَ الْحُقُوقِ مِنَ الْكُرَى ؛ وَلِيَكُنْ لِلْفَرَاتِ مَتِيقَظًا لثَلَا يَطْفِي بِهَا النَّيَّارُ ،
وَيَغْلَبَ بِمَدِّهَا الْمُخَمَّرَ عَلَى سَكْرِهَا مِنَ السُّكْرِ الْخُمَارِ ؛ وَيَقْوَى عَلَى سَدِّهَا قَبْلَ أَنْ لَا يَقْدِرَ
عَلَى مُقَاوَاةِ الْبِحَارِ ؛ وَيَتَفَقَّدَ مَبَانِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ أَسْنَى مَا تَتَفَقَّدُهُ الْأَبْصَارُ ، وَلِيغْلِقَ
زُرُوعَهَا لِتَكُونَ : (كَمَثَلِ زَرْعٍ أَنْجَحَ شَطَاهُ فَأَزْرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ
يُعِجِبُ الزَّرَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) وَلِيَعْفَ فَإِنَّ الْعَفَافَ هُوَ الْغِنَى ، وَلِيُؤْمِنَ مَنْ يَلِيهِ
فَإِنَّ الْأَمَانَ هُوَ الْمُنَى ؛ وَلِيَقِرَّ مَا اسْتَقَرَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ مِنْ صُلْحٍ أُكِّدَتْ أَوْأَخِيهِ ،
وَأَصْبَحَ كُلُّ مَنْ أَهْلِ الْجَانِبَيْنِ لَا يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ ، وَلَا يَرْخُصُ لِأَحَدٍ فِيمَا يَنْقُضُهُ
لَا فِي عَاجِلِ أَمْرٍ وَلَا فِي تَرَاخِيهِ ؛ حَتَّى إِذَا كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا ، وَشَدَّتْ عَقْدَ
نِطَاقِهَا ؛ فَلْيَكُنْ بِحَسَبِ مَرَّاسِمِنَا الشَّرِيفَةِ اعْتِمَادُهُ فِي شَنْ كُلِّ غَارِهِ ، وَسَنْ كُلِّ مَاضٍ

مُرْهَقًا غَرَّارَهُ ، وَجَوِّسَ خِلَالَ دِيَارِ الْعِدَا وَأَخْتِطَافَ كُلَّ قَمَرٍ مِنْ دَارِهِ ، وَالْمُحْرِقَاتِ
الَّتِي لَا تُحْرِقُ نَبَاتًا حَتَّى تَسْبَبَ فِي ضُلُوعِهِمْ ، وَالْعِبَارَةَ فِيهِ الزَّلَازِلُ الَّتِي تَتَسَاقَطُ مِنْهَا
مَبَانِي رُبُوعِهِمْ ، وَمُؤَالَاةُ الْبُعُوثِ : فَإِنَّ كُلَّ بَعِثٍ يَتَكْفَلُ بِسَنَاتِ جُمُوعِهِمْ ، وَالْعَمَلُ
بِكُلِّ مَا تَرِدُ بِهِ مَرَّاسِمُنَا الْعَالِيَةِ ، وَالْمُؤَاصَلَةُ بِكُتُبِهِ الَّتِي تَرْفُضُ مَا سِوَى أَخْبَارِهَا
الْمُتَوَالِيَةِ ، وَإِرْسَالُ كُلِّ بَرِيدٍ وَحَامٍ مُخَلَّقٍ بِهِمَا : إِمَّا رِيحٌ ظَاهِرَةٌ وَإِمَّا رِيحٌ عَادِيَةٌ ،
وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْرُبُ لَهُ الْغَايَاتِ الْمُنَادِيَةَ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .

النيابة الثالثة — نيابة مضاف .

وهذه نسخة مرسوم بنيابتها :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَرَفَ مَمَالِكَنَا الشَّرِيفَةَ فِي الْمَمَالِكِ ، وَشَرَّفَ بِنَا كُلَّ حِصْنٍ
لَا تَعْرِضُ لَهُ الْحَجَرَةُ فِي الْمَسَالِكِ ، وَعَرَّفَ بِالْتَرِيَةِ فِي خِدْمَةِ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ إِلَى أَيْنَ
يَنْتَهَى السَّالِكُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي نَعْتَدُّ بِهَا الْحَمْدَ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَرْغَبُ أَنْ نَلْقَى اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ الْأَمَانَةِ
فِيهَا كَذَلِكَ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مَا هُوَ مَالِكٌ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَضَاءَ بِهِ كُلَّ حَالٍ حَالِكٍ ، وَأُنْجَى بِهِ مِنْ مَهَاوِي الْمَهَالِكِ ،
وَجَمَعَ بِهِ مِنَ الْأُمَّةِ مَا وَهَى وَهَى كَالْعَقْدِ الْمُتَهَالِكِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
صَلَاةً يَجِدُ بِهَا قَائِلُهَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ كُلَّ هُنَاءٍ هُنَالِكَ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ النُّظَرَ فِي أُمُورِ الْمَمَالِكِ هُوَ أَوَّلُ مَا يَقْدَمُهُ الْمَلِكُ ، وَأَوَّلَى مَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ
مَنْ سَلَكَ ، وَبِمَمْلَكَةِ بَيْتِ الدَّعْوَةِ هِيَ مِنْ أَجْلِ مَا تَفَرَّدَتْ بِهِ مَمَالِكُنَا الشَّرِيفَةِ ،
وَامْتَدَّتْ بِهِ فِي الْأَمَاكِنِ الْحَقِيفَةِ ، وَأُرْسِلَتْ مِنْ قِلَاعِهَا مِنْ يَقْتَلِعُ الْعِدَا بُرُوثُوهَ ،
وَيُسَابِقُ السَّمَّ إِلَى مَطْلُوبِهِ ، وَيَتَعَبَّدُ بِمُؤَالَاتِنَا الَّتِي وَرَثَهَا عَنْ سَلْفِهِ فِي طَاعَةِ أُمَّتِهِمْ ،

وعلموا بها أن الدولة العلوية ما انقضت حتى انتقلت إلينا الولاية على شيعتهم ؛
 وأن الملك الإسماعيلي فينا قد انحصر ميراثه ، وأن كل من مات من الخلفاء الفاطميين
 - رحمهم الله - نحن ورثناه ؛ فهم بهذا يبذلون نفوسهم في الطاعة الشريفة التي يرونها
 فرضاً عليهم ، ويبلغون بنا أعلى مراتب الإيمان : لأنهم إذا رأوا منكراً أزالوه
 بيديهم ؛ كما هجموا على عدو من أعداء الله هجمة طيف ! ، وكما استطالوا بسكين
 لا يتناول إلى مباراتها سيف ! ، وكما أوقدوا لهم بارقة عزيم فقيل : هذه سخابة
 صيف ! ، ولم وردوا بالدماء خذاً غداً ينأدي : يا كرام الورد ضيف ! . وكانت
 مصياف - حرسها الله تعالى - هي كرمي هذه المملكة ، وقلعها هي التي بدوائب
 الجوزاء متمسكة ؛ واقتضت مراسمنا المطاعة نقل النائب بها إلى مارسمنا به الآن ،
 نخلت ممن يترقى فيها إلى أعز مكان ، واحتاجت إلى من تغنى به عما يقال : من
 اعتقال رنج وتجريد سنان .

فحصل الفكر الشريف فيمن تقلده هذه النيابة ، ويتقلد أمر هذه العصابة ؛
 ويتصرف في أمورها بمقتضى ما ترد به مراسمنا المطاعة ، ويعلم أنه من شيعتنا :
 لأنه داعياً في هذه الجماعة ؛ فرأينا أن أحق [الناس بها] من قدمه ولأوه ، وعظمه
 آتمأوه ؛ ونبه عليه أهتام هممه التي لا تساهبها الكواكب في سيرها ، وعزائم التي
 طالما كان بها في خدمتنا الشريفة « يظل بمومة ويمسى بغيرها » ؛ ولم تزل به مساعيه
 حتى وصل إلى المزيد ، وأسرع له الشيب في طاعتنا الشريفة : لأنه في كل وقت
 [كان] يسمع قعقة لحام البريد ؛ وكان فلان هو الذي أشار إليه القول بوصفه ،
 ودل عليه ثناؤه بعرفه .

فرسم أن تفوض إليه النيابة بمصياف وأعمالها ، على عادة من تقدمه وقاعدته .
 فليقدم تقوى الله تعالى فيما وليه ، وليدثر جناح عدلنا الشريف على من يليه ، وليعمل

بالأحكام الشرعية في كل ما يقضيه ؛ وليسلك في أهلها أوضح المرشد ، وليبين لهم أنه يدعوهم إلى سبيل الرشاد إلا ما آدعاه راشد ؛ وليوصل إلى المجاهدين أرزاقهم التي هي أثمان نفوسهم ، وثمار مآذني القَطَاف من رءوسهم . وأهل من مات أو يموت منهم على طاعتنا الشريفة فكن عليهم متعطفًا ، ومن طاب منك الإنصاف فكن له منصفًا ؛ وأفعل معهم أحسن الأسوة ، وقل لهم عنّا : إن الصّدقات الشريفة قد استجابت لكم يا أهل الدّعوة ؛ وخذ بقلوبهم ، لتزاد من حبهم ، وقل للمجاهدين : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . والأموال فصنمها من الضّياع ؛ وعمارة البلاد عليك بها فإن القلعة لا تكون إلا بالمدينة والمدينة لا تكون إلا بالضّياع ؛ وأمثال مراسمنا الشريفة وكل ما يرسم به سارع إلى اعتاده ، وطائفة المجاهدين لا تدع منهم إلا من هو معتد لجهاده ؛ والكتان الكتان ! فبه تسأل المطالب ، وتذكر المآرب ؛ وعليك بقمع المفسدين ، وردع المعتدين ، وإقامة الحدود : فإن بها أقام الله هذا الدين ؛ ونحن نفتي بما فيك من المعرفة ، وبما أنت عليه - بحمد الله تعالى - من كمال كل صفة ، عن استيعاب الوصايا التي لم تبرح سبحانك بها متصفه ، والله تعالى يزيدك من كل نوع أشرفه ؛ والخط الشريف أعلاه



وأما الصّفقة الشماليّة ، فالذي يولّي بهذه الصّفقة عن الأبواب السلطانية ، نيابةً بعلمك فقط . وقد تقدّم في الكلام على ترتيب المملكة الشّامية أنّها كانت أولاً إمرة عشرة ، ثم صارت طباخانا ، وأن نائب الشام يولّي بها ، وربما وليت من الأبواب الشريفة السلطانية . وحينئذ فيكون مرسوم نائبها في قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء .

وهذه نسخة مرسوم بنيابة بعلبك :

أما بعد حمد الله على أَمَلٍ حَقَّقَ مُنَاهُ ، وَصَدَّقَ غَنَاهُ ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ سُحُوبَ أَعْتِنَاهُ
أُورَقَ بِهِ عُدُّهُ وَطَابَ جَنَاهُ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي كَمَّلَ بِنَاهُ ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا شِيدَ مَعْقِلِ نَخَارِ مَبْنَاهُ - فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مُدُنِ الشَّامِ الْقَدِيمَةِ ، وَدُورِ
الْمُلْكِ الَّتِي ذَهَبَ مِنْ يَحُلُّهَا مِنَ الْمُلُوكِ وَبَقِيَتْ آثَارُهُ مُقِيمَةً ، مَدِينَةَ بَعْلَبَكِ وَهِيَ الَّتِي
تَحْصَنُ الْإِسْلَامَ بِقَلْعَتِهَا ، وَتَحْصَلُ الرَّعْبُ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ [بِمَنْعَتِهَا] ^(١) بَنِيَتْ عَلَى عَهْدِ
سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَأَتَقَنَّ بِنَاؤُهَا ، وَهَالَتْ أَسْوَارُهَا حَتَّى نُسِبَ إِلَى صَنْعَةِ
الْحِجْنَ بِنَاؤُهَا ؛ وَدَعَمَتِ السَّمَاءَ عَمْدُهَا ، فَطَالَتْ شُرْفُهَا حَتَّى كَادَتْ تُحْضِخِخِضُ فِي سَجَلِ
السَّحَابِ يَدُهَا ؛ وَجَمَعَتْ مَحَاسِنَ فِي سِوَاهَا لَا تُوجَدُ ، وَتَقَرَّرَ بِمُلْكِهَا مِنَ الْمُلُوكِ :
تَارَةً سَعِيدًا وَتَارَةً أَمْجَدًا ؛ وَمَا خَلَّتْ مِنْ عُلَمَاءِ عَظِيمِي الشَّانِ ، وَصُلَحَاءِ يَلْمُهُمْ
الْجَبَلَانِ : سَيْسُ وَلُبْنَانِ ؛ وَهِيَ بَابُ دِمَشْقِ الْمَفْتُوحِ ، وَسَحَابُ الْأَنْوَاءِ الْمَسْفُوحِ
بِالسُّفُوحِ ؛ وَبَابُ الْبُرُوقِ الَّتِي آلَتْ أَنَّهَا بِأَسْرَارِهَا لَا تَبُوحُ ، وَمَابُ السَّفَارَةِ الَّتِي تَغْدُو
مُحَمَّلَةً أَوْقَارَ رِكَابِهَا وَتُرُوحُ ؛ وَلَهَا الْعَيْنُ الْمُسْبَلَةُ الرَّوَاتِبُ ، وَالْجِبَالُ الرَّاسِيَةُ الْوَقَارِ
لِمَفْرِقِهَا الشَّابِ ، الْعَالِيَةِ الدَّرِيِّ مِنْ قِطْعِ السَّحَابِ ؛ وَ[لَمَّا] كَانَ مِنْ فِيهَا الْآنَ
مَنْ لَا تَسْتَعْفِي الدَّوْلَةُ الْقَاهِرَةُ عَنْ قُرْبِهِ ، وَلَا تَسْتَتِي أَحَدًا مَعَهُ فِي تَجْرِيدِهِ سَيْفَهُ
الْمَشْهُورَ مِنْ قُرْبِهِ ، أَجَلْنَا الرَّأْيَ فِي كُفِّ لَعْرُوسِهَا ، وَمَسَائِلِ لِمَرْكَزِ تَأْوُدِ غُرُوسِهَا ،
فَلَمْ نَجِدْ أَدْرِيَّ بِأَحْوَالِهَا ، وَأَدْرَبَ بِمَا يُؤَلَّفُ عَلَى الطَّاعَةِ قُلُوبَ رِجَالِهَا ، كَمَنْ آسْتَقْرَبَهُ
فِيهَا مَعَ أَبِيهِ الْمَاضِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - الْوَطَنِ [وَنَالَا مِنْهُ الْوَطْرَ] ، وَمَرَّتْ [عَلَيْهِمْ فِيهِ]

(١) بياض بالأصل والتصحيح من المقام .

(٢) > > ولعله : التي كانت متلقة من الخ .

سنون وأيام هتف بها داعي قصر؛ ولا غنى [عنه] مع ماله من ولايات صحب فيها
الناس وفارقهم على وجه جميل، ورافقهم ثم أنصرف وأنصرفوا عنه وما ذمه في الناظرين
تزييل؛ وكان فلان هو المتوقد الشهاب، المتوقل في تلك الهضاب؛ المشكور قولاً
ودينًا، المشهور بوضع كل شيء في موضعه شدةً ولينا .

فلذلك رسم ... - لا زال إحسانه أحمد وأختياره مقدما - أن يرتب في نيابة
بعلبك على عادة من تقدمه وقاعدته، مبتدئا حسن النظر في الأمور العامة، لا يدع
ظلامه، ولا يدع سالك طريق إلى سلامه، ولا يعد سمعا إلا لسمع شكر لا ملامه؛
ولينظر في المظالم نظرا ينجلي به سدفها، وليشكر العشير توطيا يوطأ به هدفها؛ وليلاحظ
الأمور الديوانية بما ينمى به أموالها، ويندى بسحابه المتدفق أحوالها . والأوقاف
فليشارك واقفيها في إحسانهم، وليجر حسناتها على ما كانت عليه في زمانهم؛ وليكن
لها نعم الكفيل في دوام المحافظة ولتفقد ما فيها من الحواصل والزرذخانا مما
يدثر لوقته، ويؤثر لقرط الشغف به لالمقته . ومن أهم ما يحتفظ به قلوب الرجال،
وعمارة الأسوار فإنها للفرسان المقاتلة مجال، وعليها تنصب المجانيق وتخطف
الآجال . وأما الشريعة المطهرة : فإن من تعدى غرق أو أوشك أن يغرق،
وأتباع أوامرها : وإلا فقيم يعدب من يعدب ويحرق من يحرق؛ وتقوى الله
تعالى هي الوصية الجامعة، والتذكرة التي ترتد بها الأبصار خاشعه؛ وليفهم هذه
الوصايا ولا يخرج شيئا منها من قلبه، وليبين معانيها ليكون بها على بينة من ربه؛
والله تعالى يكشف عنه غطاء حجته، ويزعه عما يأخذه ويؤاخذه من نيتته؛
إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني^(١)

(ممن [هم] خارج دمشق : ممن يؤتى عن الأبواب السلطانية -
 أمراء العربان ، وهم على طبقتين :)

الطبقة الأولى

(من يُكْتَبُ له منهم تقليدٌ في قَطْعِ النِّصْفِ بـ«المجلس العالى» وهو أمير آل
 فَضْلٍ خَاصَّةً : سواءً كان مستقلاً بالإمارة أو شريكاً لغيره فيها)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب المملكة الشامية نقلا عن «مسالك الألبصار»
 أن ديارهم من حصص ، إلى قلعة جعبر ، إلى الرحبة ، آخذين على شقي الفرات وأطراف
 العراق .



وهذه نسخة تقليد بإمرة آل فضل : كُتِبَ به لأمير شجاع الدين « فضل بن
 عيسى » عوضاً عن أخيه مهناً ، عند ما خرج أخوه المذكور مع قرا سنقر الأفرم
 ومن معهما من المتسحين ، وأقام [هو] بأطراف البلاد ولم يقارق الخدمة ، في شهر
 سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي منح آل فضل في أيامنا الزاهرة بحسن الطاعة فضلا ، وقدم عليهم
 بقديم الإخلاص في الولاء من أنفسهم شجاعا يجمع لهم على الخدمة ألفة وينظم لهم
 على المخالصة شملا ، وحفظ عليهم من إعزاز مكان بيتهم لدينا مكانة لا تنقص
 لها الأيام حكما ولا تنقص لها الحوادث ظلا .

(١) لم يتقدم تقسيمه الى أصناف ولعل مراده أن ما تقدم من التولية في الصفقات صنف أول وهذا
 صنف ثان . فليتبه .

نحمده على نعمه التي شملت برّنا، الحضر والبدو، وألهجت بشكرنا، ألسنة العجم
 في الشدو والعرب في الحدو، وأعمت في الجهاد بين يدينا من اليعملات ما يبارى
 بالنص والعنق الصافيات في الحبيب والعدو؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
 لا شريك له شهادة ندرأ بها الأمور العظام، ونقلد بيمينها ما أهم من مصالح الإسلام لمن
 يجرى بتديره على أحسن نظام؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث من أعلى
 ذوائب العرب وأشرفها، المرجو الشفاعة العظمى يوم طول عرض الأيم وهول
 موقفها؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كرمت بالوفاء أنسابهم، وأضاعت
 بتقوى الله وجوههم وأحسابهم؛ صلاة لا تزال الألسن تقيم نداءها، والأفلام ترقم
 رداها؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من أجتته الطاعة ثمرة إخلاصه، ورفعته المخالصة إلى أُنسنى
 رتب تقريبه وأختصاصه؛ وألف بمبادرته إلى الخدمة الشريفة قلوب القبائل وجمع
 شملها، وقلده حسن الوفاء من أمر قومه وإمرتهم ما يستشهد فيه بقول الله تعالى:
 ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ - من ارتقى إلى أُنسنى رتب دنياه بحفظ دينه، ودل
 تمسكه بإيمانه على صحة إيمانه وقوة يقينه؛ ولا حظته عيون السعادة فكان في حرب
 الله الغالب وهو حزبنا، وقابلته وجوه الإقبال فأرته أن المغبون من فاته تقربنا
 وقربنا؛ ورأى إحساننا إليه بعين لم يطرّفها الجحود، ولم يطرّفها إعراض السعود؛
 فسلك جادة الوفاء وهي من أيمن الطرق طريقا، وأقتدى في الطاعة والولاء بمن قال
 فيهم بمثل قوله: ﴿وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا﴾ .

ولما كان المجلس العالى ... هو الذى حاز من سعادة الدنيا والآخرة بحسن الطاعة
 ما حاز، وفاز من برّنا وشكرنا بجميل المبادرة إلى الخدمة بما فاز؛ وعلم مواقع إحساننا

إليه فعمل على استدامة وبلها ، واستراحة فضيلها ؛ والارتواء من معروفيها الذي بآء بالحرمين [منه] من نرح عن ظلها ؛ مع ما أضاف إلى ذلك : من شجاعة تبيت منها أعداء الدين على وجل ، ومهابة تسرى إلى قلوب من بعد من أهل الكفر سري ما قرب من الأجل - آقتضت آراؤنا الشريفة أن نمدد على أطراف الممالك المحروسة منه سوراً مصفحاً بصفاحه ، مشرفاً بأسنة رماحه .

فرسم بالأمر الشريف العالی - لا زال يقلد وليه فضلاً ، ويملاً ممالكه إحساناً وعدلاً - أن يفوض إليه كبت وكبت : لما تقدم من أسباب تقديمه ، وأومى إليه من عنايتنا بهذا البيت الذي هو سر حديثه وقديمه ؛ ولعلمنا بأوليائه التي قطبها الشجاعة ، وفلكها الطاعة ؛ ومادتها الديانة والتقى ، وجادتها الأمانة التي لا تستر لها الأهواء ولا تستفرها الرقى .

وليكن لأخبار العدو مطالعاً ، ولنجوى حركاتهم وسكاتهم على البعد سامعاً ، ولديارهم كل وقت مصبباً حتى يظنوه من كل نية عليهم طالعاً ، ولئيدم التأهب حتى لا تقوته من العدو غارة ولا غره ، ويلزم أصحابه بالتيقظ لإدامة الجهاد الذي جرب الأعداء [منه] مواقع سيوفهم غير مره ؛ وقد خبرنا من شجاعته وإقدامه ، وسياسته في تقض كل أمر وإبرامه ؛ ما يغني عن الوصايا التي ملاكها تقوى الله تعالى وهي من سبحاياه التي وصفت ، وخصائصه التي ألفت وعرفت ؛ فليجعلها مرآة ذكوره ، وفاتحة فكره ، والله تعالى يؤيده في سره وجهره ؛ بمنه وكرمه ! : إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة مرسوم شريف بإمرة آل فضل ، كتب بها للا مير حسام الدين «مهنا بن عيسى» من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله الذى أرهف حسام الدين فى طاعتنا بيد من يمضى مضاربه بيديه ،
وأعاد أمر القبائل وأمرتهم إلى من لا يصاح أمر العرب إلا عليه ، وحفظ رتبة
آل عيسى باستقرارها لمن لا يزال الوفاء والشجاعة والطاعة فى سائر الأحوال منسوبات
إليه ، وجعل حسن العقبي بعنايتنا لمن لم يتطرق العدو إلى أطراف البلاد المحروسة
إلا ورده الله تعالى بنصرنا وشجاعته على عقيبه .

نحمده على نعمه التى ما زالت مستحقة لمن لم يزل المقدم فى ضميرنا ، المعول عليه
فى أمور الإسلام وأمورنا ، المعين فيما تطوى عليه أثناء سرائرنا ومطوى صدورنا ،
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة توجب على قائلها حسن التمسك
بأسبابها ، وتقتضى للإخلاق فيها بذل النفوس والنفائس فى المحافظة على مصالح أربابها ،
وتكون للحافظ عليها ذخيرة يوم تتقدم النفوس بطاعتها وإيمانها وأنسابها ، ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله المبعوث من أشرف ذوائب العرب أصلا وفرعا ، المفروضة
طاعته على سائر الأمم دينًا وشرعا ، المخصوص بالائمة الذين بثوا دعوته فى الآفاق
على سعتها ولم يضيقوا لجهاد أعداء الله وأعدائه ذرعا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
الذين حازوا بصحبته الرتب الفاعره ، وحصلوا بطاعة الله وطاعته على سعادة الدنيا
والآخرة ، وعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف فلم يرحمهم عن ظاهها الركون إلى
الدنيا الساخرة ، صلاة تقطع الفلوات ركائبها ، وتسمى بسالكى طرق النجاة نجائبها ،
وتتصير بإقامتها كتاب الإسلام ومواكبها ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن أولى من تلقته رتبته ، التى توهم إعراضها بايمن وجه الرضا ،
وأستقبلته مكانته ، التى تحيل صدودها بأحسن مواقع القبول التى تضمنت الاعتداد
من الحسنات بكل ما سلف والإغضاء من الهفوات عما مضى ، وآلت إليه إمرته

التي خَافَتِ الْعَطْلَ مِنْهُ وَهِيَ بِهِ حَالِيهِ ، وَعَادَتْ مُزِيلَتُهُ إِلَى مَا أَلْفَتْهُ لَدَيْنَا : مِنْ مَكَانَةِ مَكِينَةٍ وَعَرَفْتَهُ عِنْدَنَا : مِنْ رُثْبَةٍ عَلَيْهِ - مِنْ أَمِنَتْ تَشْمُسُ سَعَادَتِهِ فِي أَيَّامِنَا مِنَ الْغُرُوبِ وَالزُّوَالِ ، وَوَقَّتْ أَسْبَابُ نِعَمِهِ بَأَنْ لَا يَرُوعَ مَرِيرُهَا فِي دَوْلَتِنَا بِالْإِنْتِقَاضِ وَلَا ظَلَالُهَا بِالْإِنْتِقَالِ ؛ وَأَعْتَتْهُ سَوَابِقُ طَاعَتِهِ الْمَحْفُوظَةُ لَدَيْنَا عَنْ تَوْسُطِ الْوَسَائِلِ ، وَأَحْتَجَّتْ لَهُ مَوَاقِعَ خِدْمَتِهِ الَّتِي لَا تُجْحَدُ مَوَاقِفُهَا فِي نِكَايَةِ الْأَعْدَاءِ وَلَا تُسَكَّرُ شُهُرُهَا فِي الْقَبَائِلِ ؛ وَكَفَلَ لَهُ حُسْنُ رَأْيِنَا فِيهِ بِمَا حَقَّقَ مَطَالِبَهُ ، وَأَحْمَدُ عَوَاقِبَهُ ، وَحَفِظَ لَهُ وَعَلَيْهِ مَكَانَتَهُ وَمَرَاتِبَهُ ؛ فَمَا تَوَهَّمُ الْأَعْدَاءُ أَنَّ بَرَقَهُ ، خَبَا حَتَّى لَمَعَ ، وَلَا ظَنُّوا أَنَّ وَدَقَهُ ، أَقْلَعَ حَتَّى هَمَى وَهَمَعَ ، وَلَا تَحَيَّلُوا أَنَّ حُسَامَهُ نَبَأَ ، حَتَّى أَرْهَفْتَهُ عِنَايَتُنَا فَيَسِّرًا حَلَّ مِنْ أَوْصَالِهِمْ قَطَعَ ؛ وَكَيْفَ يُضَاعُ مِثْلُهُ ؟ وَهُوَ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا تَنْزِلُ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَرْتَقِي الْأَطْعَامُ مُتُونَهَا ، وَلَا تَسْتَقِرُّ^(١) الْأَعْدَاءُ عِنْدَ جِهَادِهَا وَأَجْتِهَادِهَا فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ حَسْبِهَا وَدِينِهَا .

ولما كان المجلس العالى ... هو الذى لا يجوز اعتقادنا فى ولايته ، ولا يزول اعتمادنا على نفاذه فى مصالحنا ومضائيه ؛ ولا يتغير وثوقنا به عمّا فى خواطرنَا من كمال دينه وصحة يقينه ، وأنه ما رفعت بين يدينا راية جهاد إلا تلقاها عرابة عزيمه بيمينه ؛ فهو الولي الذى حسنت عليه آثار نعيمنا ، والصفي الذى نشأ فى خدمة أسلافنا ونشأ بنوه فى خدمتنا ، والتقى الذى يأبى دينه إلا حفظ جانب الله فى الجهاد بين يدي عزيمتنا وأمام هممتنا - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نصرح له من الإحسان بما هو فى مكنون سرائرنا ، ومضمون ضمائرنا ؛ ونعلن بأن رتبته عندنا بمكان لا تتناول إليه يد الحوادث ، ونبين أن أعظم أسباب التقدم ما كان عليه من عنايتنا وأمتناننا أكرم بواعث .

(١) لعله "ولا تستقر".

فلذلك رُسم أن يعاد إلى الإمرة على أمراء آل فضل ، ومشايخهم ومقدميهم ،
وسائر عربانهم ، ومن هو مضاف لهم ومنسوب إليهم ، على عادته وقاعدته .

فليجبر في ذلك على عادته التي لا مزيد على كمالها ، ولا تحيد عن مبدئها في مصالح
الإسلام ومآلها ؛ أخذًا للجهاد أهبتَه من جمع الكلمة واتحادها ، واتخاذ القوة
وإعدادها ، وتضافر المهمة التي ما زال الظفر من مآذها والنصر من أمدادها ؛
والزام أمراء العربان بتكميل أصحابهم ، وحفظ مراكزهم التي لا تُسد أبوابها إلا بهم ؛
والتيقظ لمكائد عدوهم ، والتنبيه لكشف أحوالهم في رواحهم وغدوهم ؛ وحفظ
الأطراف التي هم سُورُها من أن تسورَها مكائد العدا ، وتخطف من يتطرق إلى
الغور من قبل أن يرفع إلى أفقها طرفًا أو يمد على البعد إلى جهتها المصونة يدا ؛
وليبت في الأعداء من مكائد مهايتهم ما يمنعهم الفرار ، ويحسن لهم الفرار ، ويحول
بينهم وبين الكرى لأشترك أسم النوم وحد سيفه في مسمى الفرار .

وأما ما يتعلق بهذه الرتبة من وصايا قد ألفت من خلاله ، وعرفت من كماله ،
فهو ابن بجدتها ، وفارس بجدتها ، وجهينة أخبارها ، وحلبة غايتها ومضارها ، فيفعل
في ذلك كله ما شكر من سيرته ، وحمد من إعلانه وسيرته ؛ وقد جعلنا في ذلك وغيره
من مصالح إمرته أمره من أمرنا : فيعتمد فيه ما يرضى الله تعالى ورسوله ، ويبلغ
به من جهاد الأعداء أمله وسوله ؛ والله الموفق بمنه وكرمه ! والاعتاد

الطبقة الثانية

(من عرب الشام - من يكتب له مرسومٌ شريفٌ)

وهم على مرتبتين :

المرتبة الأولى - من يكتب له في قطع النصف ، وهم ثلاثة :

الأول - أمير آل علي ، ورتبته « السامي » بالياء . وقد تقدم أن منازلهم مرج دمشق و غوطتها ، بين إخوانهم آي فضل و بنى عمهم آل مرء ، ومنتهاهم إلى الحوف و الجابنة ، إلى السكة ، إلى تيماء ، إلى البرادع . وأنه ذكر في « التعريف » : أنهم إنما نزلوا غوطة دمشق حيث صارت الإمرة إلى مهنا بن عيسى .

وهذه نسخة مرسوم شريف بإمرة آل علي ، كتب به للأمر عز الدين « جواز » بعد وفاة والده محمد بن أبي بكر ، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، وهي :

الحمد لله الذي أخرج بنا كل و سبيله ، وأحسن بنا الخلف عمن قضى في طاعتنا الشريفة سبيله ، و مضى و خلى ولده ر سبيله ، وأمسك به دمة السيوف في خدودها الأسيله ، و أمضى به كل سيف لا يرد مضاء مضار به بحيله ، و أراضى بتقليده كل عني و حمل كل بحيله .

نحمده على كل نعمة جزيله ، و موهبة بحيله ، و نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُرشد من اتخذ فيها نجوم الأسنه دليله ، و تجعل أعداء الله بعز الدين ذليله ، و أن محمدا عبده و رسوله الذي أكرم قبيله ، و شرف به كل قبيله ، و أظهر به العرب على العجم و أنحد من نارهم كل قبيله ، صلى الله عليه و على آله و صحبه صلاة بكل خير قبيله ، و سلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن دولتنا الشريفة لما خفق على المشرق والمغرب جناحها، وشمل
البدو والحضر سماحها، ودخل في طاعتها الشريفة كل زايل ومقيم في الأقطار،
وكل ساكن خيمية وجدار - ترعى النعم بإبقائها في أهلها، وإلقائها في محلها؛ مع
ما تقدم من رعاية توجب التقديم، وتودع بها الصنائع في بيت قديم؛ وتزين بها
المواكب إذا تعارضت بحمايلها، وتعارفت شعوبها وقبائلها؛ واستولت جيادها على
الأميد وقد سبقت أصائلها، وتداعت فرسانها وقد آتتهت مناسبها ومناصبها
ومناصلها؛ وكانت قبائل العربان ممن تعمهم دعوتنا الشريفة، وتضمهم طاعتنا
التي هي لهم أكل وظيفه؛ ولم نجد في كل بادية وحضر، وإقامة وسفر؛ وشام
وحجاز، وإنجاد وإنجاز؛ ولم يزل (لال علي) فيهم أعلى مكانه، وما منهم إلا من توسد
سيفه وأقترش حصانه؛ وهم من دمشق المحروسة رديف أسوارها، وفريد سوارها؛
والنازلون من أرضها في أقرب مكان، والنازحون ولم إلى الدار بها أقطار وأوطان؛
قد أحسنوا حول البلاد الشامية مقامهم، واستغنوا عن المقارعة على الضيفان لما
نصبوا بقارعة الطريق خيامهم؛ وبأهوا كل قبيلة بقوم كثر النجوم عيدهم،
وأوقدوا لهم في اليفاع نارا إذا همي القطر شبتها عيدهم؛ وهم من آل فضل حيث
كان عليها، وحديثه في المسامع حليها؛ فلما آتته الإمرة إلى الأمير المرحوم
شمس الدين، محمد بن أبي بكر رحمه الله - جمعهم على دولتنا القاهرة، وأقام فيهم
يتنغى بطاعتنا الشريفة رضا الله والدار الآخرة؛ ثم أمده الله من ولده بمن ألقى إليه
همه، وأمضى به عزمه، ونفذ به حكمه، ونفل قسمه .

وكان الذي يتحمل دونه مشقات أمورهم، ويتلقى شكاوى أمرهم ومأمورهم؛
ويرد إلى أبوابنا العالية مستمطرا لهم سخائب نعمنا التي أخصب بها مرآدهم،

وساروا في الآفاق ومن جدواها راحلتهم وزادهم ؛ وتفرّد بما جمعه من أبوته وإبائه ،
وركز في كلّ أرض مناخ مطيه ومرسى خبائه ؛ وضاهى في المهاجرة إلى أبوابنا
الشريفة النجوم في السرى ، وحافظ على مراضينا الشريفة فما أنفك من نار الحرب
إلا إلى نار القري ؛ وورد عليه مرسومنا الشريف فكان أسرع من السهم
في مضائه . كم له من مناقب لا يعطى عليها ذهب الأصيل تمويها ؛ وكم تنقل من
كوير إلى سرج ومن سرج إلى كوير فتمنى الهلال أن يكون لهما شبيها ؛ كم أجمل
في قومه سيره ؛ وكم جمل سيره ؛ كم أثمر لها أملا ؛ كم أحسن عملا ؛ كم سدّد
خللا ؛ كم جمع في مهماتنا الشريفة كلّ من امتطى فرسا وركب جملا ؛ وكم صفوف
به تقدمت ، وسيوف أقدمت ، وحتوف حمايم الحمام بها على الأعداء ترنمت !! .

وكان المجلس السامي الأيرى ، الأجلّى ، الكبيرى ، المجاهدى ، المؤيدى ،
العصدي ، النصيرى ، الأوحدي ، المقدمي ، الذخري ، الظهيري ، الأصيلي :
مجد الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء في العالمين ؛ همأم الدولة ، حسام الملة ؛
ركن القبائل ، ذخر العشائر ؛ نصره الأمراء والمجاهدين ، عضد الملوك والسلاطين
« جواز بن محمد » أدام الله نعمته - : هو المراد بما تقدم ، والأحق بأن يتقدم ،
والذي لو أنّ الصباح صوارم والظلام جحافل لتقدم ؛ فلما مات والده رحمه الله نحّا
إلى أبوابنا العالية ، ونور ولأئنه يسعى بين يديه ، ووقف بها : وصدقاتنا الشريفة
تُرفرف عليه ؛ فرأينا أنه بقية قومه الذين سلقوا ، وخلف أبائه الذين عن زجر
الخليل ماعزفوا ؛ وكبيرهم الذي يعترف له والدهم ووليدهم ، وأميرهم الذي به تُرعى
عهودهم ؛ وشجرتهم التي تلتف عليه من أسابهم فروعها ، وفريدهم الذي تجتمع عليه
من جحافلهم جموعها .

فرسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه إمرة آل عليّ : تامّة عامّة ، كاملة
شاملة ؛ يتصرف في أمورهم ، وأمرهم ومأمورهم ؛ قريباً وبعداً ، وغوراً ونجداً ؛
وظعنًا وإقامه ، وعراقًا وتهامه ؛ وفي كلّ حقيرٍ وجليل ، وفي كلّ صاحب رضاء
ونساء وصيرير وصليل ؛ على أكل عوائد أمراء كلّ قبيله ، وفي كلّ أمورهم
الكثيرة والقليلة .

ونحنُ نأمرُك بتقوى الله فيها صلاح كلّ فريق ، وإصلاح كلّ فريق ، ونجاح
كلّ سالك في طريق . والحكم : فليكن بما يوافق الشرع الشريف . والحقوق :
نخلصها على وجه الحق من القويّ والضعيف . والرفق بمن وليته من هذا الجمل الغفير ،
والجمع الكبير ، وإلزام قومك بما يلزمهم من طاعتنا الشريفة التي هي من الفروض
اللازمة عليهم ، والقيام في مهماتنا الشريفة التي تبرز بها مراسمنا المطاعة إليك
واليهم ؛ وحفظ أطراف البلاد والذّب عن الرعايا من كلّ طارق يطرقهم إلا بخير ،
والمسارعة إلى ما يرسم لهم به ما دامت الأسفار في عصاها سير ؛ والإفراج لعربك
لا تسمع به إلا لمن له حقيقة وجود ، وله في الخدمة الشريفة أثر موجود ؛ ومنعهم :
فلا يكون إلا إذا توجه منهم ، أو توانت عزائمهم وقلّ نفعهم ؛ والمهابة : فأنشرها
كسُمعتك في الآفاق ، ودع بوارق سيوفها تُسام بالشام وديمتها تُراق بالعراق ؛ وخيول
التّقدم : فارتدّ منها كلّ سابق وسابقة تقف دونهما الرياح ، ويحسّدهما الطير إذا
طارا بغير جناح ؛ ولا تتخذ دوننا لك بطانة ولا وليجه ، ولا تقطع عنا أخبارك
البيجه ؛ وليعرف قومه له حقه ، ويؤفوه من التعظيم مستحقّه ؛ فإنه أميرهم وأمره
من أمرنا المطاع ، فمن نازع فقد خالف النص والإجماع ، والله تعالى يوفقه
ما استطاع ، بمنه وكرمه ! والخط الشريف

[الثاني - أمير آل فضل ^(١)] .

وهذه نسخة مرسومة شريفة بالتقدمة على عرَبِيّ آل فضل وآل عليّ ، كتب به
للأمير نحر الدين « عثمان بن هبة » وهو :

الحمد لله الذي خصّ من وآل هذه الدولة بالتقدمة والفخر ، ورمي من عاداها
بالمدلة والقهر ، ومدّ في عمر أيامها حتى يُستنفد الدهر ، وحتى تُوصف أيامها -
وإن قصرت - بالمساز : كلُّ شهر يمرّ منها كالعام واليوم كالشهر .

نحمده على ما منحنا : من تأييد وظفر ، وطوى دعوة من عاندنا بعد النشر ، ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة إن دخلت شواهدا تحت الإحصاء
فلا تدخل فوائدها تحت الحصر ، وأنّ محمدا عبده ورسوله الذي جعل الله به الهداية
في المبدأ والشفاة في المعاد يوم الحشر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تسعد
بعد الشقاء وتجبر بعد الكسر .

وبعد ، فإن الله سبحانه وتعالى لما مكّن لنا في الأرض ، وجعل بيدنا البسط
والقبض ، وأرانا كيف نصنع الجميل ونجمل الصنع ، وكيف نجبر قلب من جعل
في أيامنا جبره بعد الصدع ، وكيف تصبح أنجم ذوى الأقدار في سماء مملكتنا
نيرة المطالع ، وكيف نلقى الخير في عراصها من رأمه إذا كان على الخير في غير أيامنا
مانع ، وكيف نحلّ التقدمة فيمن إذا عقل في حللها قيل : هذا هو أحقُّ بها ممن
كان ، وهذا الذي ما برحت التقدمة في بيته في صدر الزمان ، وهذا الذي إذا ذكر
آل فضل وآل عليّ كانت له مرتبة الشرف ولا غرو أن تكون مرتبة الشرف

(١) الزيادة من المقام .

لُعْمَانُ ، وَأَنَا لَا نُمِطِي صَهْوَةَ الْعِزِّ إِلَّا لِأَهْلِهَا ، وَلَا نَنْسَخُ الْآيَةَ لِمَنْ تَقَدَّمَ فِي التَّقْدِيمَةِ إِلَّا بِغَيْرِ مَنَّا أَوْ مِثْلِهَا ؛ وَلَا نُسَلِّمُ رَأْيَهَا ، إِلَّا لِمَنْ تُعَقَّدُ عَلَيْهِ الْخِصَائِرُ ، وَلَا يَتَسَمَّ ذُرِّيَّتَهَا ، إِلَّا مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ .

ولما كان المجلس السامى ، الأميرى ، نخر الدين ، عثمان بن مانع بن هبة : هو المراد بهذا القول الحسن ، والممدوح بحشد هذا المدح الذى يسر السر والعلن ، والحقيق من الإحسان بكلمة والخير بان ، والخصيص من سوائف الخدم بما والمفضل على سائر النظراء ولو قيس بمن - آقتضى حسن الرأي الشريف ، أن رسم بالأمر الشريف - لا زال ذو القدر فى أيامه يرتفع ، وذو الفضل فى دولته لا يعز عليه مطلب ولا يمتنع ، وذو الأصالة التى يجتمع له فيها من النعماء ما لا يلبث له فى غيرها ولا يجتمع - أن تفوض إليه التقدمة على العربان بالشام المحروس ، وهم من يأتى ذكره ، على ما استقر عليه الحال فى ترتيبهم ؛ وأن منازل الداروم : بعدا وقربا ، حضرا وبدوا ، عامرا وغامرا ، رائحا وغاديا ، من الرستن إلى الملوحة . والعرب : آل فضل وآل على حيث ساروا نزلوا منزلة المذكور ، أو بمنزلة الأمير شمس الدين محمد بن أبى بكر ، والخدمة واحدة ، والكلمة على اتفاق المصالح متعاضده .

فليكن للقوى جسد رويها لابل روح جسدها ، ومجموع القبائل أوجد عدددها إذا صح الأول من عدددها ؛ وقطب فليكنها الذى على تديره مدارها ، وعلى تقريره اقتصارها ؛ وعلى تقدمته تعويلها ، وإلى نسبة إمارته جملتها وتفصيلها ؛ وليجمعهم على الطاعة فإن الطاعة ملاك الأمر للأمر ، وأس الخير للبادى والحاضر ؛ وليعلم أن لكل منهم نقابة تعرف ، وعلمية أصالة بها يعرف ؛ ومنزلة يرثها الولد عن الوالد ، ومشيخة ترجع من ذلك البيت إلى ذلك الواحد ، فليحفظ لهم الأنساب ، وليرع لهم

الأسباب ، وإذا أمرُوا بأمرٍ من مَهَامِ الدَّوْلَةِ يتلَو عليهم : (أَدْخُلُوا الْبَابَ) .
والألزام له ولهم مَحَاوِضٌ تَحْفَظُ ، وَمَفَاوِزٌ تُلْحَظُ ، وَمَطَارِحٌ لَا تُتْلَفُظُ ، وَمَشَائِطٌ
وَمَصَائِفٌ ، وَنَفَائِضٌ وَمَصَارِفٌ ؛ وَمَرَابِيعٌ ، وَمَرَاتِعٌ ؛ وَدُنُوٌّ وَأَقْتِرَابٌ ، وَتَوْطُنٌ
وَأَقْتِرَابٌ ؛ وَإِغَارَةٌ وَنَهِيضٌ ، وَبَرْقٌ وَوَيْبِضٌ .

فَلْيُرْتَّبْ ذَلِكَ أَجْمَلُ تَرْتِيبٍ ، وَلْيَسَلُكْ فِيهِ خَيْرَ مَذْهَبٍ وَتَهْدِيبٍ ؛ وَلْيَدْعُ الْعَادِي ،
وَيَلْحِظِ الرَّائِجَ وَالغَادِي ، وَلْيُؤَمِّنْ ذَلِكَ الْجَانِبَ فَأَمُنَّا تُطْرِبُ أَبْيَانَهُ الْمُحَدِّثُ
وَالْحَادِي ؛ وَعَلَيْهِمْ عِدَادٌ مَقْتَرٌ ، وَقَانُونٌ مُحْتَرَبٌ ؛ وَلْيَكُنْ عَلَى يَدِ شَادِهِ شَادَا ، وَلَسَبِيبِ
تَأْيِيدِهِمْ مَادَا ؛ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَنْغَمَضَ مِنْ جُفُونِهِ فَيَا مَضَى ، وَأَعْرَضَ
عَنْهُ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ الَّذِي أَنْقَضَى ؛ وَقُدِّمَ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ دُونَهُ ، فَقَدْ رَدَّ اللَّهُ لَهُ أَبْكَارَ
الْأَمْرِ وَعُونَهُ ؛ فَلَا يَجْعَلُ لِقَائِلٍ عَلَيْهِ طَرِيقًا ، وَلَا يَدْخُلُ فِي أَمْرٍ يُقَالُ عَنْهُ فِيهِ :
كَانَ غَيْرُهُ بِهِ حَقِيقًا ؛ بَلْ يَقُوقُ مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْخِدْمَةِ وَالْهِمَّةِ ، وَالصَّرَامَةِ وَالْعَزْمَةِ ،
وَاللَّهُ يُوزِعُهُ شَكَرَ هَذِهِ النِّعْمَةَ ؛ وَالْحَطَّ الشَّرِيفُ :

الثالث — أمير آل مرآة ، ورتبته « السامى » بالياء .

وقد تقدم أن منازلهم حوران . وعن « مسالك الأبصار » أن ديارهم بين بلاد
البيدور والجولان ، إلى الزرقاء ، إلى آخر بصرى . ومشرقًا إلى حرة كشت ، على
القرب من مكة المشرفة ، زادها الله شرفا .

وهذه نسخة مرسومة شريف بامرأة آل مرآة ، كتب بها للأمير بدر الدين
« شطى بن عمر » وهى :

الحمد لله الذى زين آفاق المعالي بالبدر ، ورفع بأيامنا الشريفة خير ولى أضحى
بين القبائل جليل القدر ، ومنح من أخلص فى خدام دولتنا الشريفة مزيد الكرم

فأصبح بإخلاصه شديد الأزر؛ وأجزل بره لأصائل العرب العرباء فوفر لهم الأقسام،
وأسبغ ظلال كرمه على من يرعى الجار ويحفظ الدمام .

نحمده على نعيم هطل سبحانه ، ومنن تفتحت بالمساز أبوابها ، ونشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقرب صاحبها يوم الفزع الأكبر، من المحل
الأمين ، وتورده نهر الكوثر، الذي ماؤه غير آسن ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
الذي بعثه الله من أشرف القبائل ، وأوضح بنور رسالته الدلائل ؛ فاتخذ الله به
هذه الأمة من ضالها ، وبوأها من قصور الجنان أعلى غر فيها وأشرف ضلالها ؛
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أوصحوا مناهج الإيمان ، وشيدوا قواعد الدين
إلى أن علت كلمته في كل مكان ، [فكان] عصرهم أجمل عصر وقرنهم خير أوان ؛
وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من أذنبنا من بساط الأضطفاء محله ، وأرثسف من سبح
معروفنا طله فوبله ؛ ونال من عواطينا منزلة القرب على بعد الدار ، وحكم له حسن
نظرنا الشريف بتولى عزيز كرمنا المدار .^(١)

ولما كان المجلس الفلاني : هو المشار إليه بهذا النعت الحسن ، والموصوف
بالشجاعة في السر والعلن - رسم بالأمر الشريف - لا زال بدؤه ، ساطع الأنوار ،
وبره ، هامع القطار ، وخيره يشمل الأولياء بجزيل الإيثار وجميل الآثار - أن يستقر
المشار إليه في كيت وكيت : لأنه البطل الشديد ، والفارس الصنديد ؛ وليث
الحرب المذكور ، ومن هو عندنا بعين العناية منظور .

(١) لم يذكر خيرا لأن ولعله سقط من قلم الناصح والأصل « من كرم أصلا ومحتدا ، وسل سيف عزيمته

حتى خضعت له رقاب العدا » أو نحو ذلك .

وَلِيَتَّقِ مِنْ صَدَقَاتِنَا الشَّرِيفَةَ بِمَا يُؤْمَلُ وَيَعَهَدُ ، وَلِيَتَحَقَّقَ قُرْبَهُ مِنْ مَقَامِنَا
الشَّرِيفِ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ ؛ وَلِيَتَلَقَّ هَذَا الْإِحْسَانَ بِقَلْبٍ مُنْشَرِحٍ ، وَأَمَلٍ مُنْقَسِحٍ ؛
وَلِيَجْتَهِدُ فِي أَمْرِ عُرْبَانِهِ الَّذِينَ فِي الْبِلَادِ ، فَإِنَّا جَعَلْنَا عَلَيْهِ فِي أُمُورِهِمُ الْأَعْتِيَادَ ،
وَقَدْ أَقْنَاهُ أَمِيرًا عَلَى عَرَبِ آلِ مِرَاءَ ؛ فَلْيُشَمِّرْ عَنِ سَاعِدِ الْأَجْتِهَادِ فِي مَصَالِحِ دَوْلَتِنَا
الشَّرِيفَةِ بِغَيْرِ زُورٍ وَلَا مِرَاءَ ؛ وَلِيَقْمَعَ الْمُفْسِدَ مِنْ عُرْبَانِهِ وَيَقَابِلَهُ بِالنَّكَالِ ، وَالصَّالِحَ
الْخَيْرَ مِنْهُمْ يُجْزِلُ لَهُ النَّوَالَ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَلِيُثْلِثْهُ لِأَتَقَالَ ؛ وَانْطَلِقْ الشَّرِيفَ أَعْلَاهُ
حِجَّةً فِيهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة مرسوم شريف بنصف إمرة آل مراء، كُتِبَ به لقناة بن نجاد،
في العشر الآخر من شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبعائة . من إنشاء المقر
الشهباني بن فضل الله، وهي :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي آسْتَعِذُّ لِنَصْرِنَا كُلِّ سَيْفٍ وَقَنَاءَ ، وَكُلِّ سُرْعَةٍ وَأَنَاءَ ، وَكُلِّ مُتَّقِفٍ
سَلَى جَنَائِيهِ وَيَعْدُبُ جَنَاهُ ، وَكُلِّ مَاضٍ لَا يَعُوقُهُ عَنْ مَقَاصِدِهِ الصَّالِحَةِ يَعُوقُ
وَهُوَ عَبْدٌ مَنَاءَ .

نَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ أَغْنَاهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَسْتَعِذُّ
مِنْ قِبَالِهَا فَاتَى الصَّبَاحَ سَنَاءَ ، وَيُقَكُّ مِنْهَا مِنْ قَبْضَةِ السُّيُوفِ عُنَاءَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي [بَوَاهُ مَنَازِلَ الشَّرَفِ] وَبِنَاهُ ، وَأَحَلَّهُ مِنَ الْعَرَبِ فِي مَكَانٍ يَخْضَعُ
لَهُ رَأْسُ كُلِّ جَبَّارٍ وَيُخَشَعُ بَصَرُهُ وَتَسْتَمِعُ لِمَا يُوحَى أُذُنَاهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ صَلَاةً تُخَصِّمُهُمْ مِنْ كُلِّ شَرَفٍ بِأَسْمَاءِ وَأَسْنَاءِ ، وَسَلْمٍ تَسْلِيْمًا .

(١) سلى جنائياته - ترك فلا يقتصر منه .

وبعد، فإن لكل ناكلة قرارا، ولكل هاجرة مزارا، ولكل معصم سوارا لا يلبق إلا بزنده، ولكل عني درًا لا يصلح إلا لعقده، ولكل سيف طال هجوعه في غمده أنسلالا، ولكل قناسة لم تعتقل مدةً اعتقلا، وكانت إمرة آل مرآة قد ثبتت من البيت الأحمدي بأوثق أوتادها، ووصلت منه في الرفعة إلى نجادها، ولم تزل تنقل في آفاقها بدورهم الطالعه، وتضيء عليها من صفائحهم بروقهم اللامعه، وتجوول فيها من سوابقهم السحب الهامعه، وتغني في حروبها عزائمهم إذا وقعت الواقعة، وتقدمت للجلس السامى، والأميرى، الفلانى، بركابنا الشريف حجة حمد فيها السرى، وخدمة أوقدت له نار القرى، وهاجر إلينا في وقت دل على وفائه، وسهر إلى قصدنا الليل وله النجم يحيط المقل باغفائه، وأقطع إلينا بأمله، ولازم من عهدنا الشريف صالح عمله، وأستحق تعجيل نعيمنا الشريفة وإن تأخرت لأجل موقوت، وأمل نجاحه لا يقوت.

فلما آن أن تفاض عليه ثيابها، ويضاف إليه ثوابها، ويصرف في قومه أمره، ويشرف بنهم قدره، ويعرف من لم يعرف المسك أنه عندنا ذكوه، ومن جهل البر: أنه على ما يحمد عليه شكره، ومن أنكر أن شيئا أصعب من الموت: أنه في مجال الموت صبره، ومن خالف فيما هو أمضى من القضاء: أنه في البيعة صدره، ومن ادعى أنه لا تصيبه البيض والسمر: أنها متقفته وبتره، وزال من هذا البيت العريق الطود وهو ثابت، ونزع منه السن لولا أنه في قناته ثابت، و[لولا] لهاجت هذه القبيلة إلى من يقبل على نباتها، ويقبل بها: تارة يُجعد في نجدها وأخرى يحول في جولاتها - رسم بالأمر الشريف أن يُقلد من إمرة آل مرآة ما كان الأمير «ثابت ابن عساف» رحمه الله يتقلده إلى آخر وقت، ويرفع فيها إلى كل مسامة وتسمت به ليكمل ما نقص من التمام ووضفه، ويعلم أنه حلق إليه حتى أتى دون نصف البدر

فأختطف النصف وذلك النصف هو نصفه ؛ ليكون لهم إحدى اليدين ، وأخرى
تقع لسيف بحدّين .

وتقوى الله أربك ما أشتمت عليه عودها ، وأنتخبت له زيدها ؛ فليتخذها له ذروة
يهتدى بها أتى سلك من الفجاج ، وأقتحم من حلك العجاج . وعليه بحسن الصحبة
لرفيقه ، ويؤمن القبول على فريقه ، وإقامة الحدود على ما شرع الله من دينه القويم ،
وإدامة التيقظ [للتأثر] المنيم ؛ وإنزال عربه ومن ينزل عليه أو ينزل عليهم
في منازلهم .

وليجمع قومه على طاعتنا الشريفة كل الجمع ، ويقابل ما ترد به مراسمنا المطاعة
عليه بما أوجب الله لها من الطاعة والسمع ؛ وليأخذ للجهاد أهبتة ، ويعجل إليه
هبتة ؛ ويقف من وراء البلاد الشامية المحروسة دريئة لأسوارها المنيعه ، ونطاقا على
معاقلها الرفيعه ؛ وسدا من بين أيديها وخلفها لباب كل ذريعه ، وخندقا يحوط بلادها
الوسيعه ، وحجابا يمنع فيها من تعدى الحق وخاص الشريعة ؛ ولا يفارق البلاد
حتى يعبس في وجوهها السحاب ، ولا يعود حتى تؤذن زروعها الخيمة بذهاب ؛
والكرم هو فيه سجايا ، والعزم ما برح لوشان (؟) أسننه بكل قناة لحايا ، والحزم بيده
المراوية من آل مرآه يظهر له الخفايا ، والشجاعة هو في رباها المنيرة « ابن جلا وطلاع
الثنايا » ؛ وما رضع المرميل كأفويق الوفاق ، ولا وضع شيئا في موضعه كمدارة الرفاق ؛
فليكن لرفيقه أكثر مساعدة من الأخي لأخيه ، وأكبر معاضدة من المصراع لقسيمة
والحفن بلحنه والشئ لما يؤاخي . هذا يجب ويتعين وليس يجمعهما فرد طاعه ،
ولا يلزمهما لشيء واحد استطاعه ؛ فكيف وهو [و] رفيقه إلينا أعتراؤهما ومنا
إعزازهما ، وهما قران معتقان : لدينا إجنأؤهما وبيدنا إهزأؤهما .

(١) يريد لها ، بالهمز فاضطر للقلب مراعاة للسجع .

وليحصل من الخليل كل سابقة تليق أن تقدم إلينا، وسأجبه في كل مهمه حين يقدم علينا . والشرع الشريف يكون إليه مأبك ، وعليه عقوقك وعقابك ، وبمقتضاه عقد كل نكاح لا يصح إلا على وجه المرضي وإلا فهو سفاح ، والميراث على حكمه لمن جره إليه وإلا فهو ظلم صراح ، وبقية ما نوصيه به إذا آتته منه إلى هذه التبدية فما عليه في سواها جناح . وسبيل كل واقف على تقليدنا هذا أن ينب إلى نوصيه ، ويؤوب إلى عمومه وخصوصه ، والحد من الخروج عنه بقول أو عمل ، فالسيف أسبق من العدل ، والله تعالى يتمعه بما وهبه من العز في الثقل ، والمحاسن التي هي يد المسامح والأفواه والمقل ، والخط الشريف أعلاه

المرتبة الثانية

(من أرباب المراسيم من العرب - من يكتب له في قطع الثلث بـ «السامي»

بغيرياء ، مفتحا بـ «أما بعد» وهم ثلاثة أيضا)

الأول - أمراء بني مهدي ، وهي مقسومة بين أربعة . ورتبة كل منهم

«مجلس الأمير» .

وقد تقدم أن منازلهم البلقاء ، إلى ماثر ، إلى الصوان ، إلى علم أعقر .

وهذه نسخة مرسوم شريف برقع إمرة بني مهدي ، وهي :

أما بعد حمد الله على نعمه التي حققت في كرمنا المأرب ، وأجزلت من آلائنا الموابب ، وقربت لمن رجانا بإخلاص الطاعة ما يأتى عليه من المطالب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث من أشرف ذوائب لؤي بن غالب ، المخصوص باللواء الذي لا يضحى من أوى إلى ظلّه والحوض الذي لا ظمأ بعد وروده

لشَارِب ، وعلى آله وصحبه الذين فازوا من صُحْبِهِ وطَاعَتِهِ بأسمى المراتب وأسنَى المناقب - فإنَّ أولى من رَفَعَتْ رعايتنا قدره ، وأطلعت عنايتنا في أفق السعادة بَدَرَهُ ، وحققت آلاؤنا سُؤْلَهُ ، وبلغته صدقاتنا مرامه ومأموله - من أحكم في طاعتنا أسباب ولائهِ ، وأتقن في خِدْمَتِنَا آتسَابَ بعيده وأتممائه ؛ وتقرَّب إلينا بإخلاصه في آجتهاده ، ومَتَّ بما يُرضينا من آحتفاله بأُمُورِ جهاده ؛ مع ما تميَّز به من أسباب تَنَقُّضِي كَرَمِنَا في تَقْدِيمِهِ ، وتَقْتَضِي إيجراءه على ما أَلْف أولياءُ الطاعة من حَدِيثِ إحساننا وقَدِيمِهِ .

ولما كان فلانٌ هو الذي آخِصَّ بهذه المقاصد ، وعُنيَ بما ذكر من المصادر والموارد - رُسمَ أن يُرتَّبَ في رُبْعِ إمْرَةِ نَبِيِّ مَهْدِيٍّ .

فليرتَّبَ فيما رُسمَ له به من ذلك قائماً من وظائفها بما يجب ، عالمًا من مصالحها بما يأتي وما يتجنب ، واقفًا لاعتماد ما يرد عليه من المراسم وقوف المتظير المرتقب ، ملزمًا عربيه من الخدم بما يؤكِّد طاعتهم ، ومن إعداد الأهبة بما يضعف آسِطَاعَتَهُمْ ، ومن الحفاظة على أسباب الجهاد بما يجعل في رضا الله تعالى ورضانا قُوَّتَهُمْ وتبجاعتهم ؛ وليُقَدِّمَ تقوى الله تعالى بين يديه ، ويجعل توفيقه العمدة فيما اعتمد فيه عليه ؛ وانلخير يكون ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة مرسوم شريف رُبْعِ إمْرَةِ نَبِيِّ مَهْدِيٍّ أيضا :

أما بعد حمد الله على نعيمه التي جددت لمن أخلص في الطاعة رُتْبَ السُّعُودِ ، ورَفَعَتْ من تَهْض في الخِدمِ الشَّرِيفَةِ حَقَّ النُّهوضِ إلى مناصب الجُدودِ ؛ والصَّلَاةِ والسَّلَامِ على سيدنا محمد المخصوصِ بلِوَاءِ الحَمْدِ المَعْقُودِ ، وظلِّ الشَّفَاعَةِ المَمْدُودِ ،

والخوض الذى لا يَنْضُبُ على كثرة الورود ، وعلى آله وصحبه الذين وفوا بالعهود ،
وبدت سيماهم فى وجوههم من أثر السجود - فإنَّ أولى من آجتلى وجوه النعم ،
وأجتلى ثمرة ما غرس من الخدم ، وأرتقى إلى ما أنعم به عليه من التقدّم الذى أقامه
السعد لاستحقاقه على أثبت قدم - من نشأ فى طاعتنا الشريفة يدين بولايتها ،
ويتقلب فى خير نعمها وآلائها ، ويتعبد بما يؤهل له من خدمها ، ويبادر إلى
ما يندب له من المهام الشريفة بين يدي مراسمتنا أو تحت علمها .

ولمّا كان فلان هو الذى ذكرت طاعته ، وشكرت خدمته وشجاعته - رهم ...
أن يرتب فى ربيع إمرة نبي مهدي ، على عادة من تقدمه وقاعدته .

فليرتب فى ذلك ، قائماً بما يجب عليه من وظائفها المعروفة المألوفة ، وخدمها
التي هى على ما تبرز به أوامرنا الجارية موقوفة ، وليكن هو وعربيه بصدد ما يؤمرون
به : من خدمة يبادرون إليها ، وطاعة يثأرون عليها ، وتأهب للجهاد ، حيث سرت
الجيش المنصورة لم يبق لهم عائق عن التوجه بين يديها ، وسياسة تأخذهم من
الطرائق الحميدة بسؤلك ما يجب ، ويعرف بها سلوك ما يسلك واجتناب ما يخبئ
والخير يكون ، إن شاء الله تعالى .

الثانى - مقدم زبيد . ومنازل بعضهم بالمرج وغوطة دمشق ، وبعضهم
بصرخدا ، وخوران .



وهذه نسخة مرسوم شريف بتقدمة عرب زبيد ، وهى :

أما بعد حمد الله الذى أنبى بنا للنعم تأييدا ، وأحسن العاقبة لأحسن عاقبة آدم
لم فيها تخليدا ، وأحيا به منهم حيا نكتب لأمرهم وإمرتهم فى كل حين تقليدا ،

وَنَقَلَ مِنْهُمْ نَوْفَلًا فَلَا نَزَالَ نَجِدُّ فِيهِمْ أَلَا يَسُ الْفَخَّارُ بِذِكْرِ اسْمِهِ تَجْدِيدًا ، وَرَعَىٰ بَنَاءَ أَبْنَاءِ بَيْتٍ تَنَاسَقُوا أَبْنَاءَ وَجُدُودًا ، وَتَبَاشَرُوا بَوْلَدٍ لَمَّا خَلَفَ وَالِدَهُ بَاتَ ابْنُ سَعِيدٍ لَا يَكُونُ إِلَّا سَعِيدًا ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ الَّذِي أَهْلَكَ بِسَيْفِهِ كُلَّ غَائِمٍ ، وَأَتَمَّلَ بِسَيْفِهِ كُلَّ غَمَامٍ لَوْجِنَةَ الرِّيَاضِ وَأَسْمٍ ، وَأَسْعَدَ بِسَيْفِهِ نَوْفَلًا وَعَبَسَدَ شَمْسٍ بِأَخَوْتَيْهَا لَهَا سَمٌ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ خُلَاصَةَ الْعَرَبِ ، صَلَاةً لَا يُعَدُّ ضَرْبًا لَهَا الضَّرْبَ ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعِيدٌ ، فَإِنَّ الْعَسَاكِرَ الْمَنْصُورَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ : مِنْهُمْ حَاضِرَةٌ أَهْلُ جِدَارٍ ، وَبَادِيَةٌ فِي قَفَّارٍ ، وَقَوْمٌ هُمُ الْمُدُنُ الْمُتَسَدِّدَةُ وَقَوْمٌ عَلَيْهَا أُسُورٌ ، وَهَمُ صَنْفَانٌ : صِنْفٌ لَا تَمَلُّ السِّيُوفَ عَوَاتِقُهُمْ ، وَصِنْفٌ سِيُوفُهُمْ تُحْبَسُ بِهَا مَنَاطِقُهُمْ ، وَالْعَرَبُ أَكْرَمُ [أَهْلُ] الْبَوَادِي ، وَأَعْظَمُ قِبَائِلِهِمْ تَضَرُّمًا كَالْبَرْقِ مُبَارَاةً لِلشَّجْبِ الْغَوَادِي ، قَدْ نَصَبُوا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ ، وَسَرَّحُوا مَعَ أُسْرَابِ الطُّيَافِ سَوَامَهُمْ ، وَوَقَفُوا دُونَ الْمَمَالِكِ الْمَحْرُوسَةِ كَتَائِبَ مَصْفُوفَةٍ ، وَمَوَاكِبَ بِمَا تُعْرَفُ بِهِ الْعَرَبُ مِنَ الشَّجَاعَةِ مَوْصُوفَةٍ ، وَزُبَيْدٍ مِنْ أَخْرِهَا قَبِيلَةٍ ، وَأَكْثَرُهَا فَوَارِسَ : [فَأَمَّا أَحْسَابُهَا] فِكْرِيْمَةٌ وَأَمَّا وَجُوهُهَا بِغَمِيلَةٍ ، شَامِيَّةٌ أَعْرَقَتْ أَنْسَابًا فِي يَمِينِهَا ، وَأَتَهَمَتْ بِسَطْوَةِ اسْتِنَابِهَا مَا تَفْتَحُ فِي الْحَجْرَةِ مِنْ سَوْسِنِهَا ، فَسَا بَيْتٌ بَطَلٌ مِنْهُمْ عَلَى دِمْنٍ ، وَلَا يُعْرَفُ فَارِسٌ إِلَّا إِذَا تَمَلَّى فِي الْخَلِيطَيْنِ مِنْ شَامٍ وَمِنْ يَمِينٍ ، كَمْ فِيهِمْ بِمَوَاقِعِ الطَّعَانِ فَطَنُ ذُو كَيْسٍ ، وَكَمْ صَبَغَ مِنْهُمْ بِالْدمَاءِ رَايَةَ حَمْرَاءَ يَمِينِيٍّ لَا يُنْسَبُ إِلَى قَيْسٍ ، كَمْ كَرَّبَ عَلَى مَعْدِيكِرَبٍ مِنْهُمْ فَارِسٌ ، وَنُسِبَ إِلَى زُبَيْدٍ وَهُوَ خَشِنُ الْمَلَابِسِ ، مِنْهُمْ صَاحِبُ الصَّمْصَامَةِ يَقِي مِثْلَهَا السَّيْفَ فَرْدًا ، وَكَمْ قَتَلَ مِنْ أَقْرَانِهِ الشَّجْعَانَ مِنْ أُيُحِ صَالِحٍ وَبَوَّاهُ فِي الْعَجَاجِ بِيَدَيْهِ لِحْدًا ، وَمِنْ نَجْمِهِمُ الزَّوَاهِرُ السَّرَاهُ ، وَغِيومِهِمُ الْأكْبَرُ السَّرَاهُ ، مَنْ لَمْ يَزَلْ حَوْلَ دِمَشْقَ وَمَا يَلِيهَا مِنْ حَوْرَانَ ، مَنَارَةَ مَنَازِلِ وَأَوْطَانَ ، حَامُوا عَنْ جَنَابِهَا الْمَصْبُونِ ، وَحَامُوا حَوْلَ غُوطَتِهَا تَسْبِيًا بِجَمَائِمِهَا

على الغصون ، وما تلوا بسيفهم أنهارها ، ورماحهم حول دوحات الأيك أشجارها ،
 وأستلاموا بمثل غدرايتها دروعا ، وحكوا بما أطلوا من دماء الأعداء شقائق رؤسها ،
 و بما جروا من حلهم المسهمة سبلا ؛ ولم يزل لهم من البيت التوقلي من يجمع جماعتهم ،
 ويضم تحت راية الدولة الشريفة طاعتهم ؛ يخلف ابن منهم لأبيه أو أخ لأخيه ،
 وينظم كل فرقة مع من يناسبه وينضاف كل كوكب إلى من يؤاخيه .

وكان مجلس الأمير الأجل ، فلان بن فلان الزبيدي - أدام الله عزه - هو بقية
 من سلف من آباءه ، وعرف مثل الأسد القسورة بآبائه ؛ وأتخصر فيه من استحقاق
 هذه الرتبة ميراث أبيه ، وأستغرق جميع ما كان من أمر قومه وإمرتهم يليه .

فرسم بالأمر الشريف - زاده الله تعالى شرفا ، وذخر به لكل سالف خلفا -
 أن يرتب في إمرة قومه من زبيد الناقلين بظاهر دمشق وبلاد حوران المحروس ،
 على عادة أبيه المستقره ، وقاعدته المستمره ؛ إلى آخر وقت ، من غير تنقيص له عن
 نجم سعده في سمة ولا سمت ؛ تقديمه تشمل جميعهم من أعرق وأشام ، وأنجد
 وأتهم ؛ لا يخرج أحد منهم عن حكمه ، ولا ينفرد عن قسمه ؛ لا ممن هو في جدار ،
 ولا ممن هو مضر في قفار ؛ يمشي على ما كان عليه أبوه ، ويقوم فيهم مقامه الذي
 كان عليه هو وأولوه .

ونحن نوصيك بتقوى الله تعالى ، واتباع حكم الشريعة الشريفة ما أقمت على
 بلد أو أزمعت أرتجالا ، وجمع قومك على الطاعة قوسانا وربكنا ورجالا ؛ واتباع
 أوامرها الشريفة وأمر نوابنا الذين هم بإزائهم ، وما اعتزاز من قبلك إلا لما مالوا
 إليه في اعترائهم ؛ والنأهب أنت وقومك لما رسم به في ليل أو نهار ، وحماية حمي
 أتم حوله في صحراء مضرحة أو من وراء جدار ؛ والمطالعة بمن يتنقل من أصحابك

بالوفاء، والوصايا كثيرة ومثلك أنسر ما قال له أمرؤ كفاه، والله تعالى يوفقك لما
يرضاه، ويؤثرُك في كلِّ أمرٍ للعمل بمقتضاه، وسبيل كلِّ واقفٍ عليه العملُ به
بعد الخط الشريف شرفه الله تعالى وأعلاه أعلاه؛ إن شاء الله تعالى.

النيابة الثانية

(من نيابات البلاد الشامية - نيابة حلب . ووظائفها التي يكتبها

من الأبواب السلطانية على نوعين)

النوع الأول

(من بحاضرة حلب، وهم على أصناف)

الصنف الأول

(منهم أرباب السُيوف، وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له تقليد، وهو نائب السلطنة بها؛

وتقليده في قطع الثلثين بـ«الجناب الكريم»)

وهذه نسخة تقليد شريف بديابة السلطنة بحلب، كُتِب به للامير استدمر،

من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهي :

الحمد لله حافظ ثغور الإسلام في أيامنا الزاهرة، بمن يفتقر عن شنب النصر سيقه،
وناظم نطاق الحصون في دولتنا القاهرة، على همم من لم يزل يغزو عدو الدين قبل
طلوع طلائعه طيفه، ونأشر لواء العدل في أسنى ممالكنا بيد من لا يؤمن في الحق قوته

ولا يرهَّب في الحُكْم حَيْفُهُ ، ومدنِحِر [أجر] الرباط في سَيْدِلِه لمن لم يَبِت لَيْلَةً إِلَّا والتأييد
 نَزِيلُهُ والنَّصْر سَمِيرُهُ وَالظَّفَرُ ضَيْقُهُ ؛ الذي جعل الجهاد في أطراف الممالك المحروسة
 سُورًا لعَوَاصِمِهَا ، والصَّعَادَ في مَقَاتِلِ أَعْدَاءِ الدِّينِ شَجَانًا في صُدُورِهَا وَشَجَى في غَلَاصِمِهَا ؛
 وَالسُّيُوفَ الحِدَادَ تُرْهِى بِمِشَارِكْتِهَا لِأَسْمٍ مِنْ بُلَيْتٍ مِنْهُ أَجْسَادُ أَهْلِ الكُفْرِ بِقَاصِمِهَا ،
 وَرُمِيَتْ مِنْهُ أَعْمَارُهُمْ بِقَاصِمِهَا ؛ وَأَرْهَفَ لِهَذَا الأَمْرِ مِنْ أَوْلِيَانَا سَيْفًا تُحْتَلَى الشَّهْبَاءُ
 بِجَوَاهِرِ فِرْنِيدِهِ ، وَتَتَوَقَّعُ الأَعْدَاءُ مَوَاقِعَ فَتَكَاتِهِ قَبْلَ تَأْتِي بَرِّقِهِ مِنْ سُحْبِ غَمْدِهِ ؛
 وَيَعْرِفُ أَهْلُ الكُفْرِ مَضَارِبَهُ الَّتِي لَا تُطَبِّقُ مَقَاتِلَهُمْ حَمْدَهَا ، وَتَنْفَرُقُ عَضْبَ الضَّلَالِ
 فَرَقًا مِنْ مَهَابَتِهِ الَّتِي طَالَمَا أَغَارَتْ عَلَى جِيُوشِهِمُ المَتَعَدَّةَ وَحَدَهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ النَّصْرَ لِأَجْيَادِ مَمَالِكَا عَقُودَا ، وَالكُفْرَ لِلْهَيْبِ صَوَارِمِنَا
 وَقُودَا ، وَالتَّأْيِيدَ مِنْ نَتَائِجِ سُبُوفِنَا الَّتِي تَأْنُفُ أَنْ تُرَى فِي مَضَاجِعِ العُمُودِ رُقُودَا ؛
 وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُعَلِي مَنَارَ الأُهدَى ، وَتُطْفِئُ أَنْوَارَ
 العِدَا ، وَتُحَلِّي أَجْسَادَ أَهْلِ الكُفْرِ مِنْ قُوَى أَرْوَاحِهِمْ فَتَغْدُو كِيدِيَارِهِمُ الَّتِي لَا يُجِيبُ
 فِيهَا إِلَّا الصِّدْقُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَعْلَى اللهُ بِنَاءَ الإِيمَانِ بِتَأْيِيدِهِ ،
 وَأَيْدِنَا فِي الذَّبِّ عَنْ مِلَّتِهِ ، بِكُلِّ وَوَلِيٍّ يَتَلَقَّى رَايَةَ النَّصْرِ بِيَمِينِهِ ، وَأَعَانَنَا عَلَى مَصَالِحِ
 أُمَّتِهِ ، بِكُلِّ سَيْفٍ نَتَأَلَّقَى نَارَ الأَجَلِ مِنْ زَيْدِهِ وَيَتَرَقَّرُقُ مَاءَ الحَيَاةِ مِنْ مَعِينِهِ ؛ صَلَّى اللهُ
 عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ وَسَمَتْ أَسِنَّتُهُمْ مِنْ وَجْهِ الكُفْرِ أَغْفَالًا ، وَكَانَتْ سُبُوفُهُمْ
 لِمَعَاوِلِ أَهْلِ الشَّرْكِ مَفَاتِحَ فَلَمَّا فُتِحَتْ غَدَّتْ لَهَا أَغْفَالًا ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ فَازَ بِمَزِيَّةِ السَّبْقِ
 إِلَى تَصْدِيقِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ الشَّيْطَانُ يُنْكِبُ عَنْ طَرِيقِهِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أَمَرَ بِإِعْمَادِ
 سَيْفِ الأَنْتِصَارِ لِدَمِهِ عَنْ مَرِيْقِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَازَ رُبْتَةَ أَخْتَانِهِ وَصِهْرَهُ دُونَ أُسْرَتِهِ
 الكِرَامِ وَفَرِيْقِهِ ؛ صَلَاةَ دَائِمَةِ الأَخْلُودِ ، مُسْتَمِرَّةَ الإِقَامَةِ فِي التَّهَانِمِ وَالتَّجُودِ ؛ وَسَلَمًا
 تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وبعد، فإن أولى من حليت التقاليد بلائى أوصافه، ومثلت الأقاليم بمواقع
 مهاتمه وإنصافه، ورعت قلوب العدا بطروق خياله قبل خيله، وخاف الكفر
 كل شيء أشبه ظباه من توقد شمس نهاره أو حكى أسنته من تألق نجوم ليله،
 ومد على الممالك من عز ماته سور مصفح بصفاحه، مشرف بأسنة رماحه، سامية
 على منطقة الجوزاء منطقة بروجه، نائية على أمانى العدا مسافة رفته فلا يقدر أمل
 باغ على ارتقائه ولا رجاء طاغ على ولووجه من تمهدت بسداد تدبيره الدول، وشهدت
 بسير محاسنه السير الأول، وتوطدت الممالك على أسنته فحقت أن أعلى الممالك
 ما ينبت على الأسل، وسارت فى الآفاق سمعته فكانت أسرى من الأحلام وأسبق
 من الأوهام وأسير من المشل، وصانت الثغور صوارمه فلم يتم برقها إلا أسير
 أو كبير، أو من إذا رجع إليها بصره أنقلب إليه البصر خاسئاً وهو حبير، وزانت
 الأقاليم معدلته فلا ظلم يغشى ظلامه، ولا جور يخشى المأمه، ولا حق تدهض
 حجه ولا باطل يعلو كلامه، فالبلاد حيث حل بعدله معموره، وبإيائه معموره،
 وسيوف دوى الأقلام وأقلامهم بأوامره فى مصالح البلاد والعباد منية ومأموره.

ولما كان الجنا ب العالى هو الذى عانق الملك الأعز نجاده، والليت الذى لم ينزل
 فى سبيل الله إغارته وإنجاده، والكفى الذى كم له فى جهاد أعداء الله من موقف
 صدق يضل فيه الوهم وتزل فيه القدم، والهيام الذى إن أنكرت أعناق العدا مواقع
 سيوفه «فما بالعهدي من قدم»، والمقدم الذى لا تشكر مشاهدته فى إرغام الكفر ولا
 تكفر، والرعي الذى حمت مهاتمه السواحل نخاف البحر: وهو العدو الأزرق، من
 بأسه الأحمر، على نبي الأصفى، والمقدم الذى كم ضاقت بسرايا شيعته الفجاج، وكم
 أشرفت نجوم أسنته من أفق النصر فى ظلم العجاج، وكم حى العذب الفرات على
 البعد بسيوفه وهى مجاورة للملح الأجاج!!، مع سطوة أنامت الرعايا فى مهاد أمنا،

ورأفة عمّرت البرايا بعاطفة إقبالها ويمّنها، ورفق تكفل لسهل البلاد وحرّتها بإعانة
مُرّنها، وتبجاعة أعدت الجيوش التي قبّله فعدت آحادها ألّوفا، وفنكات عودت
الطير الشيع من وقائعه فباتت على راياته عكّوفا، ومعدلة عمّت من في إبالته فأضحى
الضعيف في الحقّ قويا عنده والقوي في الباطل ضعيفا .

وكانت البلاد الحليّة المحروسة هي المملكة التي لا تجارى شهبأؤها في حلبة نغار،
والرئسة التي لا يؤهل لها من خواص الأولياء الأعزّة إلا من أستخرنا الله تعالى
في تقليد جيد مفآخره بلائى كفالتها نغار؛ فهي سور المالك الذي لا تسوره
الخطوب، وأمّ الثغور التي ما برح يسفر بائسائها عن شنب النصر وجهه الزمن
القطوب؛ وموطن الرباط الذي كل يوم وليلة [فيه] خير من الدنيا وما فيها،
وعقيلة الأقاليم التي تمّ أشجى قلوب الملوك الأكارير صُدودها وأسهر عيون العطاء
الأكاسرة تجافيا؛ بل هي عقد دُرّه حصونه، وروض سيوف الكماة جدائله
ورماح الحماة غصونه؛ وحمى لم تزل عيون عنايتنا بعون الله تحفه وأيدى تأييدنا
بقوة الله تصونه - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نرهف بجمايتها هذا السيف الذي
تسابق الأجل مضاربه، وتبطل الحيل تجاربه، ويتقدّم خبر عزائمه خبرها فلا
يدرى: هل ربح الجنوب أسرى وأسرع أم جنائبه؛ وتبث مهابته أمام سراياه إلى
العدا سرايا رعب تفلّ جمعهم، وتسبق إلى التحرز من بأسه بصرهم وسمّهم؛
وتسفر بكل أفق عن تعتها مغيره، أو كتيبة تجعلها لمعالى النصر الكامنة مثيره .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى - لا زالت أوامره مبسوطه في البسيطة،
وممالكه محوطة بمهايته الشاملة ومعدّته المحيطه - أن تفوض إليه نيابة السلطنة
الشريفة بالمملكة الحليّة: تفويضاً يعودها من عيون العدا بآيات عزائمها، ويعودها

(١) كذا في نسختين ولعل الصواب "من شيعه" الخ .

أجتناء تمر المنى والأمن من ودق صواريخه ؛ وينظم درارى الأيسنة من أجياد
حُصونها في مكان القلائد ، ويجعل كياة أعدائها نخوفه أضعف من الولدان وأجبن
من الولائد ؛ ويجرد إلى مجاورها من همته طلائع تحصرهم في الفضاء المتسع ، وتسُدُّ
عليهم مجال الأرض الفسيحة فيغدو لهم حزنها الحزن الشامل وسهلها السهل المتسع .

فلتقلد هذه الرتبة التي يمثيها تزهى الأجياد ، وبتقليدها يظهر حسن الانتقاء
لجواهر الأولياء والأتقاد ، وبتفويضها إلى مثله يعلم حسن الارتياح لمصالح البلاد
والعباد ؛ وليزد جيوشها المنصورة إرهاباً لعدوهم ، وإرهاقاً لصواريخ الجهاد في رواحهم
وغدوهم ، وإدامة للنفير الذي حبه الله إليهم ، وقوة على مجاورهم من أهل النفاق
الذين يحسبون كل صيحة عليهم ؛ فإنهم فرسان الجلال الذين ألقوا الوقائع ، وأسوار
الفرات الذين عرفوا في الذب عن ملتهم بحفظ الشرائع ، وكشافة الكرب الذين
لا يزال لهم في سائر بلاد العدا سرايا وعلى جميع مطالع ديار الكفر طلائع ؛ وهم
بتقدمته نتضاعف شجاعتهم ، وتزيد استياعتهم وطاعتهم ؛ وليأخذهم بمضاعفة
الأهب وإدامة السعى في حفظ البلاد والذب ، والتشبه بأسود الغابات التي همها
في المسلوب لا السلب ؛ وليهم بكشف أحوال عدو الإسلام ليبرح أمناً على الأطراف
من حيفهم ، متيقظاً لمكائدهم في رحلتى شنائهم وصيفهم ؛ مفاجئاً لهم في كل منزل
بسير يروع سربهم ، ويكدر سربهم ؛ ويجعل روح كل منهم من خوف قدومه
نافرة عن الجسد ، ويسلبهم بتوقع مفاجاته القرار « ولا قرار على زأر من الأسد » ،
ولا تزال قصاده بأسرار قلوب الأعداء مناجيه [ولا تبرح له من أعيان عيونه
بين العدا فرقة ناجيه] وليحتفل بتدريج الحام التي هي رسل أعبته ،

(١) مراده ليق على الدوام أمنا إلخ إلا أن هذه المادة لا تزدي هذا المعنى إلا بسبق النفي . تأمل .

(٢) الزيادة مما يأتي قريباً ليستقيم الكلام .

وإقامة الدياب الذين إذا دعوا همهمة بالسنة النيران لبثهم السنة أسنته ؛ وليمت
قلوب أعدائه بوجل لقائه قبل الأجل ، وليزد في الحزم على ابن مزيد الذي
لم يرفى الأمن إلا في درع مضاعفة « لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل » ؛
وليجعل أحوال الفلاح المحروسة دائما برأى منه ومسمع ، ويؤيدها من ملاحظته
باحتيال لا يدع لشائم برفها وحمول أموالها [مطمعا] فقد استكمل حسن النظر
في مصالحها أجمع ؛ وليقيم منار الشرع الشريف بمعاودة حكامه ، والالتقياد إلى
أحكامه ، والوقوف مع تقضيه وإبرامه :

فليجعل حكم الشريعة المطهرة أمامه وإمامه ، وليقيم أمر الله فيمن اقتاده الشرع
إلى حكمه بخاذب زمامه ؛ وليعظم حملة العلم الذي أعلى الله مناره ، وأفاض على
الأمة أنواره ، وحفظ بهم على الملة سنة نبهم صلى الله عليه وسلم وآثاره ؛ وليكن
لأقدارهم رافعا ، ولضارهم دافعا ؛ ولأوقافهم بجمل الاحتفال عامرا ، وفي مصالحهم
بتحلية الأحوال آمرا ؛ ولينشر لواء العدل الذي أمر الله بنشره ، ويشقعه بالإحسان
الذي هو مالوف من سبحاياه ومعروف من طلاقة بشره ؛ ويمد على الرعايا ظل رافته
الذي يضي في النعم لباسهم ، ويديم الفهم بالرأفة واستئناسهم ؛ ويقيم حكم سياسته
على من لم يستقيم ، ويقف مع رضا الله تعالى في كل أمر : فإذا رحم الله فليرحم
وإذا أنتم فلغير الله لا ينتقم ؛ وليعتن بعمارة البلاد بسط العدل الذي ما احتفى به
ملك إلا صانه ، والرفق الذي لم يكن في شيء إلا زانه ، وتونى الحق الذي من جعله
نصب عينيه وفقه الله له وأعانه . وكذلك أمر الأموال : فإنها ذخيرة الملك وعتاده ،
ومادة الجيش الذي إذا صرفت إلى مصالحهم هممه لم يحش عليه انقطاعه ولا

(١) يشير إلى بيت من قصيدة لمسلم بن الوليد يمدح بها يزيد بن يزيد الشيباني وهو :

تراه في الأمن في درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

نقاده؛ وجميع الوصايا قد ألفنا من سيرته فيها فوق ما نقترح، وخبرنا من مقاصده فيها ما يقول للسان قلمها : قد عرفت ما أومات إليه من مقاصدك فاسترح ؛ وملاكها تقوى الله تعالى ورضاها ، وهو المألوف من عدله وإنصافه ؛ والله تعالى يديمها بتأييده وقد فعل ، ويجعله من أركان الإسلام وأعلام المسلمين وقد جعل ؛ بمنه وكرمه ، والاعتماد إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد شريف بناية حاب أيضا ، كتب بها عن السلطان الملك الناصر «محمد بن قلاوون» للأمر شمس الدين «قراستقر» باعادته إليها . من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله الذي جعل العواصم بإقامة فرض الجهاد في أيامنا الشريفة معتصمه ، والثغور بما تفرغ عنه من شنب النصر في دولتنا القاهرة مبيتسه ، والصوارم المرهفة في أطراف الممالك بأيدي أوليائنا لأزواج من قرب أو بعد عنها من الأعداء مقتسمه ، والحصون المصفحة بصفاحتنا بأعلام النصر معلمة وبسيا الظفر متسمه ؛ معلي قدر من أحسن في مصالح الإسلام عملا ، ورافع ذكر من يبسط إلى عز طاعة الله ورسوله وطاعتنا أملا ، ومجدد سعد من تلبس الأقالم من أوصافه أنخر الحلل إذا خلعت من المحامد على أوصافه حللا ، ومفوض زعامة الجيوش بمواطن الرباط في سبيله إلى من إذا فلتت مقاتل العدا سيوف الخلال كانت عزائمهم من السيوف المرهفة بدلا .

نحمده على نعمه التي جعلت طاعتنا من آكد أسباب العلو ، وخدمتنا من أنجح أبواب الرفعة بحسب المبالغة في الخدمة والعلو ، ونعمنا شاملة للأولياء بما يربى على

طَوَامِجِ الآمَالِ فِي البُعْدِ وَالدُّنُوْبِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً
تُنْزَلُ بِهَا مَوَادُّ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ ، وَتُسْتَجْزَلُ بِهَا ذَخَائِرُ التَّايِيدِ الَّتِي كَمْ أَسْفَرَ عَنْهَا وَجْهُهُ
سَقَرٌ ، وَرُهْفٌ بِهَا سِيُوفُ الْجِهَادِ الَّتِي كَمْ آلَفَتْ مِنْ آمَنٍ وَكَفَّتْ مِنْ كَفْرٍ ، وَنَشْهَدُ
أَنَّ مَجْدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَنْزَلَ سِكِّينَتَهُ عَلَيْهِ ، وَزُوِيَتْ لَهُ الْأَرْضُ فَرَأَى مِنْهَا
مَا يَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِهِ إِلَيْهِ ، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ كُنُوزُ الدُّنْيَا فَأَعْرَضَ عَمَّا وُضِعَ مِنْ مَقَالِيدِهَا
بِيَدَيْهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَتَهَضُّوا بِمَا أَمَرُوا بِهِ
مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَطَاعَةِ أَوْلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ ؛ صَلَاةً دَائِمَةً الظَّلَالِ ، أَمْنَةً
شَمْسٌ دَوَامِيهَا مِنَ الزَّوَالِ ؛ وَسَلْمًا تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مِنْ طَوَّقَتْ أَجْيَادُ الْمَمَالِكِ بِفِرَائِدِ أَوْصَافِهِ ، وَفَوَّقَتْ إِلَى مَقَاتِلِ
العِدَا سِيَاهُمْ مَهَابَتِهِ الَّتِي تَحُولُ مِنْهُمْ بَيْنَ كُلِّ قَلْبٍ وَشِغَاغِهِ ، وَخَصَّتْ بِهِ أُمَّ الثُّغُورِ الَّتِي
دَرَّ لَهَا حَلَبُهَا ، وَمَدَّتْ عَلَيْهَا أَفْيَاءَ النَّصْرِ الْمَمْدُودَةَ ذَوَابِلُهَا وَقُضْبُهَا ، وَأَهْدَى أَرْجَ التَّبْلُجِ
اِفْتِرَاقَهَا وَشَنِبُهَا - مَنْ تَقَوْمُ مَهَابَتِهِ مَقَامَ الْأُلُوفِ ، وَتَجْتَنِي سُمُوعُهُ مِنْ ذَوَابِلِ الْعِزَائِمِ تَمَرِ
النَّصْرِ الْمَالُوفِ ؛ وَيَسْبِقُ خَيْالَهُ سَرَايَا خَيْلِهِ الَّتِي هِيَ أُسْرَى مِنْ هُوَجِ الرِّيَاحِ إِلَى هَزْمِ
الْجُمُوعِ وَتَفْرِيقِ الصُّفُوفِ ، وَتَنْظِمُ أَسِنَّةَ رِمَاحِهِ فِي الْوَعْيِ قُلُوبَ العِدَا نَقْمِ السُّطُورِ
وَتَنْثُرُ صَفَاحَهُ رُءُوسَهُمْ نَثْرَ الحُرُوفِ ؛ وَتُحِيطُ بِنِطَاقِ المَمَالِكِ الْمُتَطَرِّفَةِ صَوَارِمُهُ إِحَاطَةً
الْأَسْوَارِ بِالْحُصُونِ ، وَانْتِمَائِلِ بِالْفُصُونِ ، وَالْهَالَاتِ بِالْأَقْسَارِ ، وَالْجَوَانِحِ بِالْأَسْرَارِ ؛
وَلَا تَبِيْتُ مُلُوكَ العِدَا مِنْهُ إِلَّا عَلَى وَجَلٍ ، وَلَا يَرَى فِي الْأَمْنِ إِلَّا فِي دِرْعِ مُضَاعَفَةٍ
« لَا يَأْمَنُ الدَّهْرَ أَنْ يُدْعَى عَلَى نَجَلٍ » ؛ وَلَا يَخْفَى عَنِ الْمَعِيَتِ مَا يُضْمَرُ الْأَعْدَاءُ مِنْ
الحَرَكَاتِ قَبْلَ إِظْهَارِهَا ، وَلَا يَبْعُدُ عَلَى عَزَمَاتِهِ مَا هِيَ مَلِيَّةٌ بِهِ مِنْ بَدَارِهَا أَعْدَاءَ الدِّينِ

بَدَارِهَا ؛ وَإِذَا جَلَسَ لِنَشْرِ الْمَعْدِلَةِ تَبَرَّأَ الظُّلْمَ مِنْ فِكْرِ [^(١)] البغى والِحْوَرِ عَلَى إِنْسَانٍ ،
وَشَفَعَ مَا تَصَدَّقِي لَهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ .

ولما كان الجناب العالى الفلانى هو الذى مُلِئَتْ قُلُوبُ الْعِدَا بُرْعِيهِ ، وَأَنْطَوَتْ
قُلُوبُ الرعايا على حُبِّهِ ؛ وَتَهَلَّتْ وَجوهُ الْمُتَى فِي سِلْمِهِ وَأَسْتَهَلَّتْ مَحَبَّ الْمُنَايَا فِي حَرِّهِ ،
وَجَمَعَ بَيْنَ حِدَّةِ الْبَاسِ وَطُفِّ التُّقَى إِنْ كَانَ هُوَ الْكَيْمِيُّ الَّذِي شَفَعَ الشَّجَاعَةَ بِالْخُضُوعِ
لِرَبِّهِ ؛ وَحَاطَ مَاوَلِيَهُ مِنَ الْأَقَالِيمِ بِسُورَى بَأْسِهِ وَعَدَلِهِ فَبَاتَ كُلُّ أَحَدٍ وَادِعًا فِي مِهَادِهِ
أَمْنًا فِي سِرِّهِ ؛ وَأَغَارَتْ سَرَايَا مِهَابَتِهِ قَبْلَ طُلُوعِ طَلَائِعِهِ فَأَصْبَحَ كُلُّ مَنْ الْعِدَا أُسِيرَ
الدُّعْرِ قَبْلَ إِمْسَاكِهِ - قَتِيلَ الْخَوْفِ قَبْلَ ضَرْبِهِ ؛ مَعَ أَحْتِفَالِ بَعَارَةِ الْبِلَادِ ، أَعَانَ
السُّحْبَ عَلَى رِيَّهَا ، وَأَشْتَمَلَ عَلَى مِصَالِحِ الْعِبَادِ ، قَامَ فِي تَيْسِيرِ أَرْزَاقِهِمْ مَقَامَ وَتَسْمِيِ الْعِثَامِ
وَوَلِيَّهَا ؛ وَتَيَقَّظَ لِمِصَالِحِ الثُّغُورِ أَنْامَ عَنْهَا عَيُونَ الْخُطُوبِ ، وَإِشْرَاقِ فِي أَفْقِ الْمَوَاكِبِ
كَسَا وَجْهَ الدِّينِ نُورَ الْبِشْرِ وَوَجْهَ الْكُفْرِ ظِلَامَ الْقُطُوبِ .

وكانت المملكة الحليية عقيلة المعاقيل ، وعصمة العواصم ، وواسطة عقود
الممالك ، وسلك فرائد النصر التي كم أضاءت بها إلى الكفر وجوه المسالك ، لا تُدْرِكُ
فِي مِضْمَارِ الْفَخَّارِ شَهْبَاؤُهَا ، وَلَا تُرَى إِلَّا كَمَا تُرَى النجوم في عيون العدا حصباؤها ؛
وَلَهَا مِنَ الْحُصُونِ الْمُصُونَةِ كُلِّ قَلْعَةٍ يَتَهَيَّبُ الطَّيْفُ سُلُوكِ عِقَابِهَا ، وَيَتَقَاصِرُ لَوْحُ
الِحْوَرِ عَنْ مَنَالِ عِقَابِهَا ؛ فَهِيَ عَزِيزَةُ الْمَنَالِ ، إِلَّا عَلَى كَرِيمِ كَفَاءَتِهِ ، بَعِيدَةُ مَجَالِ الْأَمَالِ ،
إِلَّا عَلَى مَا أَلْفَتْ مِنْ إِبَالَةِ كِفَايَتِهِ ؛ سَامِيَةٌ الْأَفْقِ إِلَّا عَلَى شَمْسِهِ ، نَائِيَةٌ الطَّرْفِ
إِلَّا عَلَى مَا عَرَفَتْ مِنْ سُلُوكِهِ فِي أَمْسِهِ ، ظَامِيَةٌ الْغُرُوسِ الَّتِي أَنْشَأَهَا فِي مِصَالِحِهَا
إِلَى مَا اتَّخَذَتْهُ مِنْ سُقْيَا غَرْسِهِ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ تَزِيدَهَا إِشْرَاقًا بِشَمْسِ

(١) بياض بالأصل .

جَلَالِهِ ، وَأَعْتَلَاءَ بَسِيفِهِ الَّذِي رِيَاضُ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِهِ ؛ وَأَنْ نُعِيدَ أَمْرَهَا إِلَى مَنْ
طَلَمَا حَسَنَ عَدْلُهُ بَقَعَتَهَا ، وَحَصَّنَ بَأْسُهُ قَلْعَتَهَا ؛ وَأَطَارَتْ مَهَابَتُهُ سُمْعَتَهَا ، وَأَطَالَتْ
سِيرَتُهُ سُكُونَ رَعَايَاهَا فِي مِهَادِ الْأَمْنِ وَهَجَعَتَهَا ؛ وَأَعَادَ وَجُودَهُ أَحْوَالَ مُجَاوِرِيهَا مِنَ الْعِدَا
إِلَى الْعَدَمِ ، وَأَبَادَ سَيْفَهُ أَرْوَاحَ مُعَانِدِيهَا : فَلَوْ أَنْكَرْتَهُ أَعْنَاقُهُمْ لَمْ يَكُنْ بِالْعَهْدِ
مِنْ قَدَمٍ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ شَمْسُ عَدْلِهِ ، مُشْرِقَةً فِي الْوُجُودِ ، وَغَيْثُ
فَضْلِهِ ، مُسْتَهْلٌ الْجُودِ فِي التَّهَائِمِ وَالنُّجُودِ - أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ تَفْوِضًا
يُجَدِّدُ أَرْتِفَاعَهَا ، وَيُعَمِّرُ وَهَادَهَا وَيَقَاعَهَا ، وَيُؤَيِّدُ أَنْدِفَاعَ مَضَارِّهَا وَأَنْتِفَاعَهَا ؛ وَيُعِيدُ
الْإِشْرَاقَ إِلَى مَطَالِعِهَا ، وَالْأُمُورَ إِلَى مَوَاقِعِهَا مِنْ سَدَادِ التَّدْبِيرِ وَمَوَاضِعِهَا ؛ وَالْإِقْدَامَ
إِلَى جِيُوشِهَا وَأَبْطَالِهَا [وَالشُّجَاعَةَ إِلَى حِمَاتِهَا وَرَجَالِهَا] .

فَلْيَطَّلِعْ فِي أَفُقِ مَوَاطِنِهَا طُلُوعَ نَعْتِهِ الْكَرِيمِ ، وَيُجِرْ فِي جَوَانِبِهَا مَا أَلْفَتَهُ مِنْ مَوَارِدِ
عَدْلِهِ الَّذِي فَارَقَهَا عَمَامُهُ وَأَثْرُسِيْلِهِ مُقِيمٍ ؛ وَيُعَاوِدُ مَصَالِحَ تِلْكَ الْمَلِكَةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ
أُمُورُهَا إِلَّا عَلَيْهِ ، وَيُرَاجِعُ عِصْمَةَ تِلْكَ الْعَقِيلَةِ الَّتِي لَا تَطْمَحُ أَبْصَارُ عَوَاصِمِهَا إِلَّا إِلَيْهِ ،
وَيُلْقِي فِي قُلُوبِ مُجَاوِرِيهَا ذَلِكَ الرَّغْبِ الَّذِي نَعَى إِلَى كُلِّ مِنْهُمْ نَفْسَهُ وَأَسْلَاهُ عَمَّا
فِي يَدَيْهِ ؛ وَيُنَبِّتُ تِلْكَ الْمَهَابَةَ الَّتِي جَعَلَتْ مَنَابِا الْعِدَا بَرَاحَتَهُ يَأْمُرُهَا فِيهِمْ وَيَنْهَاهَا ،
وَيُنْشِرُ فِي الرَعَايَا تِلْكَ الْمَعْدِلَةَ الَّتِي هِيَ كَالشَّمْسِ : لَا تَبْتَغِي بِمَا صَنَعَتْ مَثَلَةً عِنْدَهُمْ
وَلَا جَاهًا ؛ وَلِتَكُنْ أَحْوَالُ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ بِمَرَأَى مِنْهُ عَلَى عَادَتِهِ وَمَسْمَعٍ ، وَيَكْفُفُ
أَطْلَاعَ الْكُفَّارِ عَلَى قَاعَدَتِهِ فَلَا يَحْدُثُ لَهُمْ إِلَى شَيْءٍ بَرَقَ النُّغُورُ مَطْمَاحٌ وَلَا فِي الْعِلْمِ
بَسْنِيهَا مَطْمَعٌ ؛ وَلِيَكُنْ مِنْ أَرْصَادِهِ ، نَهَارُ عَدُوِّ الدِّينِ وَلَيْلُهُ ، وَمِنْ أَمْدَادِهِ ، مَجَازُ الْجِهَادِ
وَحَقِيقَتُهُ فَلَا يَبْرَحُ بَيْتَهُمْ خِيَالَهُ إِذَا لَمْ تُصَبِّحْهُمْ خِيَالُهُ ؛ وَلَا يَبْرَحُ لَهُ مِنْ أَعْيَانِ عِيُونِهِ

بين العدا فرقة ناجية، وطائفة بأسرار قلوب القوم مناجية، لتكون له مقاتلتهم على طول الأبد بآيديه، وتغدو منازلهم خاوية بين سراياه الراححة والغادية. وليتعاهد أحوال الجيوش بإدامة عرضها، وإقامة واجبات القوة وفرضها، وإطالة صيت السمعة المشهورة لكلماتها في طول بلاد العدا وعرضها، وإزاحة أعدائها للركوب، وإزالة عوائق آرتيادها للوثوب، وإعداد العدد التي لها من أيديهم طلوع [في] مقاتل أعدائهم غروب. وليتفقد أحوال الحصون المصونة بسداد ثغورها، وسداد أمورها، وإزاحة أعدار رجالها، وإرهاق همم حمايتها التي تضيق على آمال العدا سعة مجالها، وتوفير ذخائرها، وتعمير بواطنها وظواهرها، وتخصين مسالكها التي يرهب الخيال المتولى إلى العيون سلوك محاربا.

وليعل منار الشرح الشريف بتشييد مناره وإحكامه، وتنفيذه لتفصيا قضاته وأحكام حكمه، والوقوف في كل أمر مع نقضه في ذلك وإبرامه، ورفع أقدار حملة العلم على ما ألقوه من الرفعة والسمو في أيامه. ولتكن وطأة بأسه على أهل الفساد مشتتة، وأوامره متقدمة بوضع الأشياء في مواضعها: فلا توضع الحدة موضع الأناة ولا الأناة موضع الحدة. وليراع عهود الموادعين مهما استقاموا، ويجمع عليهم إن يكفوا أنامل بأسه التي هم في قبضتها رحلوا أو أقاموا، ولتخبر السنة النيران بسبها على اليفاع [والآكام] من قدم لمكيدة أو طعن بمطار الحمام. وجميع ما يتعلق بهذه المرتبة السنية من قواعد فإلى سالف تديره ينسب، ومن سوابق تقريره وتحريره يحسب؛ فهو ابن بجدتها، وفارس بجدتها؛ ومؤئل قواعدها، ومؤثر ما حيد من امتداد عضدها إلى مصالح الإسلام وساعدها؛ فليفعل في ذلك ما يشكره الله والإسلام عليه، ويثبت الحجة عند الله تعالى في إلقاء المقاليد إليه؛ وملاك

الوصايا تقوى الله وهي سجيّة نفسه ، وتمرة ما أجتني في أيام الحياة من غرسه ،
وتسرّ العدل والإحسان فيهما تظهر مزيّة يومه الجميل على أمسه ؛ والله تعالى يجعل
نعمه دائماً الاستقبال ، وتمسه آمنة من الغروب والزوال ؛ والاعتماد :

الطبقة الثانية

(من يكتب له في قطع الثلث بـ«المجلس السامي» وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(نيابة القلعة بها)

وهذه نسخة مرسوم شريف بنيابة قلعة حلب :

الحمد لله معلى قدر من تحلى بالأمانة والصون ، ورافع مكانة من كان فيما عرّض
من العوارض نعم العون ؛ ومؤهل من أرشدنا إليه للاجتيباً حسن الاختبار ، ومبلغ
الإيثار من شكرت عنه محامد الآثار .

نحمده حمد الشاكرين ، ونشكره شكر الحامدين ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة مخلص في اعتقاده ، مبراً من افتراء كل جاحد وإلحاد ؛ ونشهد
أن محمداً عبده ورسوله الذى أرسله بالحق بشيراً ونذيراً ، وأيده بسُلطان منه وطهر [به]
الأرض من دنس الضلال تطهيراً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يزال علم
العالم بها منشوراً ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن العناية بالحصون تُوجب أن لا يُختار لها إلا من هو ملىّ بحفظها ؛
مؤفّر [لها] من حُسن الدبّ غاية حَظها ؛ حسن المرابطة ، مبراً من دنس الأفعال

السَّاقِطَه ؛ ذوقَ قَلْبٍ [قوى] وَقَالِبَ ، وَعَزَمَ مازال لمهمات الأمور أشجع مُغَالِبَ ؛ إذ هو
للمرابطين بها أوثق حُرْزِ حَرِيْزٍ ، وَأَصَوْنُ حِجَابٍ لِمُبَارَاةِ ذَوِي التَّبْرِيزِ ؛ [فتصبح به] مستورا
عوارها ، كاتمة لَأَسْرَارِهَا أسوارها ؛ تخاطب مُنَازِلِهَا من مجانيتها بأبلغ لسان ، وتُسَافِهُ
مَلَاجِيهَا من أنفة أنفها إلا أنه بأعلى مكان .

ولما كانت القلعة الفلانية بهذه المترلة الرفيعه ، والمكانة التي كل مكانة بالنسبة
والإضافة إلى علو مكانها المكانة الوضعية - اخترنا لها وأبتغينا ، وأستوعبنا بالتأهيل
لنيابتها ولم نترك في استيعابنا ولا أبقينا ؛ فلم نجد لولاياتها كفاً إلا من نظمت عقود
هذا التقليد لتقليده ، ورُتلت سور هذه المحامد بمبدئ لسان تقرظه ومعيده ؛ إذ هو
أوثق من يلقى إليه إقليدها ، وأكفاً من ينجز به موعودها ؛ إذ كان المكين ،
والثقة المتحلى إذ كان التحلى مما يزين العاطل المشين ؛ إن ذكر الرأى فهو المتصف
بسدیده ، أو العزم فهو الموسوم بسدیده ؛ أو التثبت فهو من صفة شجاعته ، أو حسن
المظافرة فهو البازل فيها جهده أستطاعته .

ولما كانت هذه المناقب متاقبه ، وهذه المذاهب مذاهبه ؛ رسم بالأمر الشريف
العالى - زاده الله مضاءً ونفاذا ، وأستحواءً وأستحواذا - أن تفوض نيابة السلطنة
بالقلعة الفلانية وما هو منسوب إليها من رُبُضٍ ونواح ، وقوى وضواح ، للجلاس
السامى فلان .

فليرق إلى رتبته المنيّف قدرها ، المهّم سرها وجهرها ؛ وليكن من أمر مصالحها
على بصيره ، ومن تفقد أحوالها على فطنة مازالت منه محبوره ؛ وليأخذ محرزها
من الجند وغيرهم بالملازمة لما عُدق به من الوظائف ، ويتقدم إلى واليها مع
طوافها أول طائف ؛ وليتفقد حواصلها من الذخائر ، وإصلها من التبذير بمن

يرتبه على حفظها من الأَخَارِ؛ ومهما عَرَضَ يُسْرِعُ بالمطالعة بأمره، والإعلام
بِنَفْعِهِ وَضَرِّهِ .

هذه نَبْدَةٌ كَافِيَةٌ لِلوُثُوقِ بِكَفَايَتِهِ، وَالْعِلْمِ بِسَدِيدِ كِفَالَتِهِ ؛ وَاللَّهِ تَعَالَى يَحْسُنُ لَهُ
الإِعَانَةَ، وَيَجْزِلُ لَهُ الصِّيَانَةَ ؛ وَالخَطَّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ :

الوظيفة الثانية

(شدُّ الدَّوَاوِينِ بِحَلْبِ)

وهذه نسخة تَوَقُّعِ بِشَدِّ الدَّوَاوِينِ بِحَلْبِ :

الحمد لله الذي أرهفَ في خِدْمَةِ دَوْلَتِنَا كُلِّ سَيْفٍ يُزْهِى النَّصْرُ بِتَقْلِيدِهِ ، وَيُرْوَى
نَبَأَ الفَتْحِ عَن تَجْرِبَتِهِ فِي مِصَالِحِ الإِسْلَامِ وَتَجْرِيدِهِ ، وَيُرْوَى حَدُّهُ إِذَا قَابَلَهُ عَدُوُّ الدِّينِ
مِن قَلْبِ قَلْبِهِ وَمَوَارِدِ وَرِيدِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمَةِ السَّابِقَةِ حَمْدَ مُتَعَرِّضٍ لِمَزِيدِهِ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَنَنِهِ السَّائِغَةِ شَكَرَ مُسْتَنْزِلِ
مَوَادِّ تَأْبِيدِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُقَرَّرَةً بِتَوْحِيدِهِ ، مُسَرَّةً
مِثْلَ مَا يُظْهِرُ مِنَ الخُضُوعِ لِكِبْرِيَاءِ تَقْدِيسِهِ وَتَمَجِيدِهِ ، مُصِرَّةً عَلَى جِهَادِهِ مِنَ الحَدِّ
فِي آيَاتِهِ بِنَفْسِهِ وَجُنُودِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَنْ دَعَتْ دَعْوَتُهُ
الْأُمَّمَ إِلَى الاعْتِرَافِ بِخَالِقِهَا بَعْدَ جُحُودِهِ ، وَأُنْجِزَ لِأُمَّتِهِ مِنَ الاستِيْلَاءِ عَلَى الكُفْرِ سَابِقَ
وَعُودِهِ ، وَأَمَالَ بِهِ عُمُودَ الشَّرِكِ فَأَهْوَى إِلَى الصَّعِيدِ بَعْدَ صُعُودِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ بَدَّلَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ نِهَابَةَ مَجْهُودِهِ ، وَأَطْفَأَ نَارَ
الْكَفْرِ بَعْدَ وَقُودِهَا بِإِيقَادِ لَهَبِ الجِهَادِ بَعْدَ نَحْمُودِهِ ؛ صَلَاةً تَقْتَرِنُ بِرُكُوعِ الفَرَضِ
وَمُحْجُودِهِ ، وَتَقَامُ أَرْكَانُهَا فِي أَغْوَارِ الوجودِ وَمُجُودِهِ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإن أولى ما أجمَلنا في مصالحه النَّظَر ، وأعمَلنا في آرتياد الأَكْفَاء له بوادر الفِكر ، وأخترنا له من الأولياء من كان معدودا من خواصنا ، محبوا بمزيد تقريبننا ومزيه أختصاصنا ، أمرُ الأموال الديوانية بالمملكة الحليية وتفويض شدِّ دواوينها المعمورة إلى من تُضاعفها رتبته المكيته ، وتزاهته المتينه ؛ وبده التي هي بكال العفة مهسوطه ، وخبرته التي يمثلها يحسن أن تكون مصالح الدولة القاهرة منوطه ؛ ومترتته التي تكف عن الأموال الأَطْعَاع العاديه ، ومهابته التي تكفي الأولياء من ضبط الأعمال بما يروى الآمال الصادية ؛ لأنها مواد الثغور التي ما برحت عن شنب النصر مفتره ، وأمداد الجيوش التي جعل الله لها أبدا على أعدائه الكره ؛ ورياض الجهاد التي تُجتنى منها ثمرات الظفر الغصه ، وكوز الملك التي يُنفق منها في سبيل الله القناطير المُقنطرة من الذهب والفضه .

ولما كان فلاَن هو الذي اخترناه لذلك على علم ، ورجحناه لما أجمع فيه من سرعة يقظة وأناة حلم ؛ وندبناه في مهماتنا الشريفة فكان في كل موطن منها سيفا مرهفا ، وأخترناه فكان في كل ما عدقناه به بين القوى والضعيف مُنصفا ؛ وعلمنا من معرفته ما يستتيرُ الأموال من مكائنها ، ومن نزاهته ما يظهرُ أشتات (؟) المصالح من معادنها ، ومن معدلتيه ما يمتع الرعايا بأجتناء ثمر المنى من إحسان دولتنا القاهرة وأجتلاء محاسنها - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نحلى جيد تلك الرتبة بعقود صفاته الحسنه ، وأن ننبه على حُسن هممه التي ما برحت تُسرى إلى مصالح الدولة القاهرة والعيون وسنه .

فذلك رسم أن يفوض إليه ذلك تفويضا يبسط في مصالح الأموال لسانه ويقرر على مضاعفة ارتفاع الأعمال يومه الحاضر وغده ، ويحسن بسد الخلل

وَتَتَّبِعُ الإِهْمَالَ مُضَدَّرَهُ الْجَمِيلَ وَمَوْرَدَهُ ؛ وَيَجْعَلُ [له] فِي مِصَالِحِهَا الْعَقْدَ وَالْحَلَّ ،
وَالْتَصَرَّفَ النَّافِذَ فِي كُلِّ مَادَقٍّ مِنَ الْأَمْوَالِ الدِّيَوَانِيَةِ وَجَلَّ .

فَلْيَبْأَشِرْ ذَلِكَ بِهَيْمَةٍ عَلِمْنَا فِي الْحَقِّ مَوَاقِعَ سَيِّفِهَا ، وَأَمِنَّا عَلَى الرِّعَايَا بِمَا آتَصَفَتْ بِهِ
مِنَ الْعَدْلِ وَالْمَعْرِفَةِ مِنْ مَوَاقِعَ حَتْفِهَا ، وَأَيَقُظَتِ الْعَيُونَ الطَّامِحَةَ لِسُلُوكِ مَا [لا] يَحِبُّ بِمَا لَمْ
تَزَلْ تَتَّخِذُهُ مِنْ رَوَائِعِ طَيْفِهَا ؛ وَلْيُثْمِرِ الْأَمْوَالُ بِالْجَمْعِ فِي تَحْصِيلِهَا بَيْنَ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ،
وَيَجْعَلْ مَا يَسْتَخْرِجُ مِنْهَا بِرِكَاتِ الْعِقَّةِ وَالرَّفْقِ : (كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ
سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ) . وَلْيَعَفَّ أَثْرَ الْجَاهِلِيَّاتِ وَرَسْمِهَا ، وَيُزِلَّ بِالْكَلِيَّةِ عَنْ تِلْكَ الْمَمَالِكِ الْحَسَنَةِ
وَسَمِّهَا الْقَبِيحِ وَأَسْمِهَا ؛ وَلْيَكُنْ مُهِمُّ الثَّغُورِ هُوَ الْمُهِمُّ الْمَقْدَمَ لَدَيْهِ ، وَالنَّظَرُ فِي كُلِّفِ
الْقِلَاحِ الْمَحْرُوسَةِ هُوَ الْفَرَضُ الْمَتَعَيْنُ أَدَاؤُهُ عَلَيْهِ ، فَيَحْمِلُ إِلَيْهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالغِلَالِ
مَا يُعْمُ حَوَاصِلَهَا الْمَصُونَةَ ، وَيَكْفِي رِجَالَهَا الْفِكْرَ فِي الْمَثُونَةِ ؛ وَيَضَاعِفُ ذَخَائِرَهَا
الَّتِي تُعَدُّ مِنْ أَسْبَابِ تَحْصِينِهَا ، وَيُصْبِحُ بِهِ حَمْلُ عَامِهَا الْوَاحِدِ كِفَايَةً مَا يَسْتَقْبَلُهُ مَعَ
مَوَالِيَةِ الْجُمُودِ مِنْ سِنِينِهَا ؛ وَمَاعِدَا ذَلِكَ مِنَ الْوَصَايَا فَقَدْ أَلْقَيْنَا إِلَى سَمْعِهِ مَا [عليه]
يَعْتَمِدُ ، وَعَرَفْنَاهُ أَنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَوْفَى مَا بِهِ يَسْتَبْدُ وَإِلَيْهِ يَسْتَنْدُ ؛ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ :

الصنف الثاني

(من أرباب الوظائف بحلب - أرباب الوظائف الدينية)

وهم على طبقتين أيضا :

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع الثلث بـ «السامي» بالياء ، ويشتمل على وظائف)

منها - قضاء القضاة . وبها أربعة قضاة : من كل مذهب قاض ، كما في الديار
المصرية والشام . والشافعي منهم هو الذي يولى بالبلاد كما في مصر والشام .

وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الشافعية :

الحمد لله الذي رفع منار الشريعة الشريف وأقامه ، ونور به كل ظلام وأزال به كل ظلامه ، وجعله صراطاً سويّاً للإسلام والسلامه ؛ الذي جعل القضاة أعلاماً ، بهم يهتدى ، ونصّبهم حكّاماً ، بمراشدهم يقتاد ويقتدى ، وأخذ بهم الحق من الباطل حتى لا يعتل في قضية ولا يعتدى ؛ والصلاة على سيدنا محمد الذي أوضح الله به الطريق ، وأبدي به بين الحلال والحرام التفریق ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تكفل لرغبات قائلها بالتحقيق .

وبعد ، فإن أحق ما وجهت الهمم إلى تصريفه وجهاً مسفراً ، وقربت إلى يد الأقطاف من شجرته المباركة غصنا ثمثراً ، وشهدت في الاختيار له والأصطفاء لحظاً ما زال للفكر في مصالح الأمة مسهراً - الشرع الشريف الذي حرس الله به حومة الدين وحمل جانبته ، وحفظ به أقوال الهدى عن المجادلة من المبتدعين وأطرافه من المجاذبه ؛ وكانت حراسته معدوقة باختيار الأئمة الأعلام ، وموقوفة على كل من يطاعن البدع عند الاستفتاء برماح الخط ولبست رماح الخط غير الأعلام ؛ ومصرفة إلى كل منصف في قضاياها حتى لو ترافعت إليه الليالي لأنصفها من الأيام .

ولما كان فلان هو مداول هذه العبارة ، ومرتمى هذه المشاره ، ومرتمق هذه الإشارة ؛ وقد حلّ من المادح في محل صعب المرتقى على متوقله ، وطلع من منازل سعودها في بروج بعيدة الأوج إلا على سير بذرته وتنقله ؛ وطالما حكم فأحكم ؛ وفصل ففصل ؛ وروجع فما رجع وعدل فعدل ؛ وشهدت مراتبه الشريفه بأنه خير من تنولها ميراثاً وأستحقاقاً ، وأجل من كادت تزهو به مطالع النجوم إشراقاً وإشراقاً ؛ وكانت حلب المحروسة مركز دائرة لأيامه ، وسلك جوهر تصريفه الذي

(١) في الأصل «وصلت» ولم تفهم له معنى يناسب .

طلما تقلدت أحسن العقود بنظامه ؛ وقد آفتخرت به آفتخار السماء بسمسها ،
والرؤضة بغرسها ؛ والأفهام بإدراك حسها ، والأيام بما عملته من خير في يومها
وأسلفته في أمسها ؛ وقد أشتاقت إلى قربه شوق النفس إلى تردد النفس ، والليله
إلى طلوع النجم أولا فإلى إضاءة القبس .

فلذلك خرج الأمر الشريف بأن يُجدد له هذا التوقيع بالحكم والقضاء ، بالملكة
الحليّة وأعمالها وبلادها ، على عادته .

فليستخّر الله تعالى وليستصحب من الأحكام ما همته مليّة باستصحابه ،
ويستوعب من أمورها ما توضع المصالح باستيعابه ؛ ويقم بها منار العدل والإحسان ،
وينهض بتدبير ما أقعده منها زمانة الزمان . وعنده من الوصايا المباركة ، ما يستغني به
عن المساهمة فيها والمشاركة ؛ لكن الذكرى النافعة عند مثله نافية ، فإن لم يكن
شعاع هلال بآرقه ؛ وليتق الله ما أستطاع ، ويحسن عن أموال اليتامى الدفاع ،
ويحرس موجود من غاب غيبة يجب حفظ ماله فيها شرعا ، ويقطع سبب من رام
لأسباب الحق قطعا ، ولا يراع لحائف حرمة فإن حرمات الحائفين لا تُرعى ؛ وينظر
في الأوقاف نظرا يحرسها ويصونها ، ويبحث عنها بحثا يظهر به كمينها ؛ والله تعالى
يسدده في أحكامه بمنه وكرمه ! .

قلت : وعلى ذلك تكتب توابع بقية القضاة بها من المذاهب الثلاثة الباقية .

ومنها - وكالة بيت المال المعمور .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، كتب بها لمن لقبه « كمال الدين » وهي :

الحمد لله الذي جعل كمال الدين موجودا ، في اقتران العلم بالعمل ، وصلاح بيت
المال معهودا ، في استناده إلى من ليس له غير رضا الله تعالى وبراءة الذمة أمل ،

وَأَرْتِقَاءَ رُتَبِ الْمُتَّقِينَ مَقْصُورًا عَلَى مَنْ بَارْتِقَاءِ مِثْلِهِ مِنْ أُمَّةِ الْأُمَّةِ تُرْهِى مَنَاصِبُ الدُّوَلِ، وَالْاِكْتِفَاءَ بِالْعُلَمَاءِ مَحْضُورًا فِي الْآرَاءِ الْمَعْصُومَةِ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ مِنَ الْخَلَلِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْهُمْ مُصَالِحَ الْإِسْلَامِ، مُقَدِّمًا لَدِينِنَا، وَاخْتِصَاصَ الْمَرَاتِبِ الدِّينِيَّةِ بِالْأُمَّةِ الْأَعْلَامِ، مُحِبِّبًا إِلَيْنَا؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً رَفَعَ الْجِهَادُ عَمَّهَا، وَأَمْضَى الْأَجْتِهَادَ كَلِمَهَا؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَشْرَقَتْ سَمَاءُ مِلَّتِهِ، مِنْ عُلَمَاءِ أُمَّتِهِ، بِأَضْوَاءِ الْأَهْلَةِ، وَنَطَقَتْ أَحْكَامَ شَرْعِيَّتِهِ، عَلَى أَلْسِنَةِ حَمَلَةِ سُنَّتِهِ، بِأَوْضُوحِ الْأَدِلَّةِ، وَبَزَغَتْ شَمْسُ هِدَايَتِهِ فِي تَهَائِمِ الْوُجُودِ وَتُجُودِهِ فَانْطَوَتْ بِهَا ظُلْمُ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ نَصَحُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَأَثَرُوا رِضَاهَ عَلَى نَفْسِهِمْ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُرَادٌ سِوَى مُرَادِهِ وَلَا سُؤْلٌ غَيْرُ سُؤْلِهِ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ، فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ تَلَقَّاهُ كَرَمًا بَوَجْهِ إِقْبَالِهِ، وَآخِرَتْ لَهُ الْاَوْثَانُ مِنَ الرُّتَبِ مَا صَدَّهُ الْإِنْجَالُ فِي الطَّلِبِ عَنِ تَعَلُّقِهِ بِنَيْلِهِ؛ وَرَأَى إِحْسَانُنَا مَكَانَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فَعَدَّقَ بِهِ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ مَا لَمْ يَتْرُكْهُ أَوْلَى إِلَّا مُوَافَقَةً لَهُ لَا رَغْبَةً عَنْ خِيَالِهِ، وَرَعَى بِرْنَا وَفَادَتَهُ فَاقْتَضَى إِعَادَتَهُ مِنْ مَنَاصِبِهِ إِلَى مَا لَمْ يَزَلْ مُشْرِقَ الْأَفْقِ بِكُلِّ طَلْعَتِهِ وَطَلْعَةِ كَمَالِهِ - مَنْ ظَهَرَتْ لَوَائِعُ فَوَائِدِهِ، وَبَهَرَتْ بِدَائِعِ فَرَائِدِهِ؛ وَتَدَقَّقَتْ بِحَارِ فَضَائِلِهِ، وَتَأَلَّفَتْ أَشْعَةَ دَلَائِلِهِ؛ وَتَوَعَّتْ فُنُونَهُ: فَهِيَ فِي كُلِّ عِلْمٍ آئِنٌ بِجَدَّتِهِ، وَفَارَسٌ بِجَدَّتِهِ، وَحَامِلٌ رَأْيَتِهِ، وَجَوَادٌ مِضَارِهِ الَّذِي تَقِفُ جِيَادُ الْأَفْكَارِ دُونَ غَايَتِهِ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ هَذَا الْبَحْرَ الَّذِي أُشِيرَ إِلَى تَدَقُّقِهِ، وَالْبَدْرَ الَّذِي أُومِيَ إِلَى كَمَالِ مَا تَأَلَّقَ بِهِ مِنْ أَفْقِهِ؛ وَكَانَتْ وَكَالَتْ بَيْتَ الْمَالِ الْمَعْمُورِ بِحَلْبِ الْحُرُوسَةِ مِنَ الْمَنَاصِبِ الَّتِي لَا يَتَعَيَّنُ لَهَا إِلَّا مَنْ تُعَقَّدُ الْخِصَاصُ عَلَيْهِ، وَيُشَارُ بِبَنَانِ الْاِخْتِصَاصِ إِلَيْهِ، وَيُقَطَّعُ

بجميل فهو فيه فيما يوضع من المصالح الإسلامية بيديه ؛ وله في مباشرتها سوايق ،
 وأتأثر [إن] لم تصفها ألسنة الأفلام أوحث بها تلك الأحوال الخالية وهي نواطق -
 اقتضت آراؤنا الشريفة إنعام النظر في الإنعام عليه بمكان ألقه ، ومنصب رقع
 ما أسلفه فيه من جميل السيرة قدره عندنا وأزلقه .

فرسم بالأمر الشريف - لازل بابُه بمال الآمال ، وأفق السعد الذي لو أمه البدر
 لما فارق رتب الكمال - أن يفوض إليه كذا : لما ذكر من أسباب عينته ، وقضائل
 تربت به كما زينته ؛ ووفادة تقاضت له نزل الكرامة ، واقتضت له مواد الإحسان
 وموارده في السرى والإقامة .

فليل هذه الرتبة التي على مثله من الأئمة مدار أمرها ، وبمثل قوته في مصالحها
 يتضاعف در احتلايها ويترادف احتلاب درها ؛ مراعيًا حقوق الأمة فيما جره
 الإرت الشرى إليهم ، مناقشا عن المسلمين فيما قصره مذهبه المذهب من الحقوق
 المالية عليهم ؛ واقفا بالحق فيما ثبت بطريقه المعتبر ، تابعًا لحكم الله فيما يختلف
 سبيله [و] فيما يحزر بالعيان أو يحقق بالخبر ؛ محافظًا على ما يشول إلى بيت المال بلطف
 تدقيقه ، وحسن تحقيقه ، وقبول الدافع بوجهه ودفعه بطريقه ؛ ولا يمنع الحق
 إذا ثبت بشروطه التي أعذر فيها ، ولا يدفع الواجب إذا تعين بأسبابه التي يتقاضاها
 الشرع الشريف وبقضيتها ؛ وهو الوكيل عن الأمة فيما لهم وعليهم ، ومتولى
 المدافعة عنهم فيما يقره الشرع في يديهم ؛ فليؤد عنهم أمانة دينه ، ويحتهد لهم فيما
 وضعناه من أمر هذه الوكالة الشريفة بيمينه ؛ وملاك هذا الأمر الوقوف مع الحق
 الجلى ، والتمسك بالثقوى التي تظهر بها قوة الأيمن وأمانه القوى ؛ والله تعالى يوفقه
 ويسدده .

قلتُ : وفي معنى ما تقدم من قطع الورق والألقاب الحسبة ، ونظر الأوقاف
البحار، وخطابة الجوامع الخليفة ، وبقار التدريس ، وما يجري مجرى ذلك : إذا
كُتِبَ به من الأبواب السلطانية . وإلا فالغالب كتابة ذلك جميعه عن نائب
السلطنة بها .

الطبقة الثانية

(من يكتب له في قطع العادة «بالسامي» بغيراء ، أو «بمجلس القاضي»)

قال في «التتقيف» : وهم من عدا القضاة الأربعة من [أرباب] الوظائف الدينية .
فيدخل في ذلك قضاء العسكر ، وإفتاء دار العدل ، وما يجري مجرى ذلك ، حيث
كُتِبَ من الأبواب السلطانية .

الصنف الثالث

(من أرباب الوظائف بحلب - أرباب الوظائف الديوانية ،

وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع الثالث بـ«السامي» بالياء . وتشتمل على وظائف)

منها - كتابة السر . ويعبر عنها في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية - بصاحب
ديوان المكاتب ، ورُبَّمَا قيل : صاحب ديوان الرسائل . قال في «التتقيف» :
ورُبَّمَا كُتِبَ له في قطع النصف .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك، وهي :

الحمد لله الذي زان الدولة القاهرة، بمن تغدو أسرارها من أمانته في قرار
مكين، وحلأ أيامنا الزاهرة، بمن تبدو مراسمها من بلاغته في عقد ثمين، ومجمل
الكتب السائرة، بمن إذا وشتها براعته وبراغته قيل : هذا هو السحر البياني إن لم
يكن سحر مبین .

نحمده على نعيمه التي خصت الأسرار الشريفة بمن لم يرشها عن كلاله، ونصت
في ترقى مناصب التنفيذ على من يستحقها بأصالة الرأي وقدم الأصاله، ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رقم الإخلاص طروسها، وسقى الإيمان
غروسها، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي آتاه جوامع الكلم، ولوامع الهدى
والحكم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كتب في قلوبهم الإيمان، وكتب
بهم أهل الطغيان، صلاة يشفعها التسليم، ويتبعها التعظيم، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى الرتب بارتداد من تعقد على أولوياته انخاصر، ويعتمد على
أصالته التي ما برحت في الأنصال والاتصاف بها ثابتة الأواصر، ويعتقد في أمانته
التي تأوى بها الأسرار إلى «صخرة أعيان الرجال أنصداعها» ويعتقد بفضائله التي يقل
في كثير من الأكفاء أجتاعها، ويعول فيها على بلاغته، التي أعطت كل مقام حقه
من الإطناب والإيجاز، ويرجع فيها إلى يديته، التي جرت بها سوابق المعالي إلى غاية
الحقيقة في مضار المجاز - رتبة هي خزانة سرنا، وكأنة نهيينا وأمرنا، فلا يتعين
لبوغها إلا من ومن، ولا يعين لتلقيها وترقيها إلا أفراد قل أن يكثر مثلهم في زمن،
ولا يحسن أن تكون إلا في بيت عريق في أنسابها، وثيق في تمكن عمرا أسبابها،
علم بقواعدها التي إذا أشتهت طرق آدابها كان أدرى بها .

ولما كان فلان هو الذي دُكرت أسباب تعينه لهذه الرتبة وتعيينه ، وفُتحت أبواب أولويته بتلقى راية هذا المنصب يمينه ؛ مع أدوات كَلَّتْ مفاخره ، وصفاتٍ جَمَلت مآثره ؛ وكتابة ، إذا جادت أنوارها أرض طرس أخذت زُخرفها ، وإذا حادَتْ أنوارها وجه سماء ودَّت الدَّراري لو حَكَتْ أحرُفها ؛ وبلاغة ، إن أطرت بوصفٍ أغارت الفرائد ، وأعارت دُررها القلائد ، وأتت من رِقة المعاني بما هو أحسن من دُموع التصابي في خُدود الخرائد ؛ وإن أغرت بعدو أعانت على مقاتله السيوف ، ودلَّت على مكائمه الخُوف ؛ وديبانية ، رفعته عند الله وعندنا إلى المكان الأسمى ، وصيانة ، جمعت له من آلائنا وأعتنائنا بين الزيادة والحسنى ؛ وأمانة ، أغنته بجوهرٍ وصفها الأعلى عن التعرُّض إلى العرَض الأذنى ، وبراعة ، اعتضد بها يراعه في بلوغ المقاصد اعتضاد الرِّقص بالمعنى .

فذلك رُسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه كذا فليُشر بتلق هذا الإحسان ، بيد الأستحقاق ، ولتلق عقود هذا الأمتنان ، الذي طالما قد نخره الأعتاق ؛ وليأشر ذلك مباشرة يسر خبرها ويبري خبرها ، ويسنّف الأسماع تأثيرها وأثرها ؛ وليسلِّك فيها من السداد ، ما يؤكِّد حمده ، ومن حسن الأعتاد ، ما يؤيد سعده ؛ والوصايا كثيرة وهو بها خير عليم ، حائزٌ منها أوفر الأجزاء وأوفى التقسيم^(١) ، وملاكها تقوى الله فليجعلها حمده ، وليتخذها في كلِّ الأمور ذخيره ؛ والله تعالى يضاعف له من لدنا إحسانا ، ويرفع له قدرا وشانا ؛ والأعتاد في ذلك على الخطِّ الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه .

ومنها - نظر المملكة الحليَّة القائم مقام الوزير .

(١) في الاصل : وأوفى التصير ، ولا معنى له .



وهذه نسخة توقيع من ذلك : كُتِبَ به لعهد الدين « سعيد بن ريان » بالعود إليها ، وهي :

الحمد لله رافع قدر من جعل عليه اعتمادا ، ومجدد سعيد من غدا في كل ما يُعدَّق به من قواعد النظر الحسن عمادا ، ومسنن حمد من تكفل له جميل التصرف أن لا يُبعد الأيام عليه مرادا ، ومجزل مواد النعم لمن إذا استمطر قلبه في المصالح همت فافتن أفنانا وأينع تثيرا وأتمر سدادا ، وإذا أيقظ نظره في ملاحظة الأعمال استجلى وجوه المصالح انتقاء لما خفى منها وانتقادا .

نحمده على نعمه التي لا تزال النعم بها مُجددة ، والقواعد موطدة ، والكرم مُعادا ، والآية التي جعل لها الشكر أزديانا على الأبد وأزديادا ، ومنينه التي لا يقوم بها ولا باداء فرضها الحمد ولو أن ما في الأرض من شجرة أفلام أو كان البحر مدادا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تألوا همنا آجتادا في إعلاء منارها وجهادا ، ولا تكبو جياد عزائنا ، دون أن تُسكنها من الجاحدين قلوبا ومجربى بها من المنكرين السنة وتقلدها من المشركين أجيادا ، ولا تذبو صوارمنا ، حتى نتخذ لها من ويريد كل معانيد مورا ومن قيم كل نايك أعمادا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أسرى الله به إليه فبلغ في الارتقاء سبعا شدادا ، وأنزل عليه أشرف كتبه بيانا وأعجزها آية وأوصحها إرشادا ، وبعثه إلى الأحمر والأسود فسعد من سعادته إيمانا وشقى من شقى به عنادا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين لم يالفوا في طاعة الله وطاعته مهادا ، صلاة لا تستطيع لها الدهور نقادا ، ولا تملها الأشماع تعدادا وتردادا ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من سما به منصبه الذي عُرف به قديماً، وزُهِيت به رتبته، التي لم يزل فيها لأقنناء الشكر مُستديماً؛ وتحلّت به وظيفته، التي لم يبرح يلبس بها ثوب الثناء قشياً ويحترّبها رداء السعد رقيقاً، وتقاضت له عوارفاً معارفه التي لم يزل عقدها في جيد المراتب السنية نظماً، وتطلع إليه مكانه فكانه بقدم هجرته لم يبرح فيه وإن بعد عنه مقيماً - من لم يزل قلبه بصرفه في أسنى ممالكا الشريفة كاسمه سعيداً، وطرف نظره فيما يليه من المناصب السنية يُريه من المصالح ما كان غائباً ويُدنى إليه من أسباب التدبير ما كان بعيداً؛ فإعمل في مصالح الدولة القاهرة قلباً إلا وأقبلت نحوه وجوه الأموال سافره، ولا لحظ في مهمات وظائفها أمراً إلا وعادته أسباب التشمير النافره، ولا أعترض قلبه بنطقه وفكره إلا وغدت الثلاثة على كل ما فيه عمارة ما يفوض إليه من الأعمال متضافره؛ وذلك لما أجمع فيه من عفة نفسه وكمال معرفته وطهاره يرآعه، وأتصف به من حسن اضطلاعه وجميل اطلاعه، وجيلت عليه طباعه من نزاهة زانت خبرته ومن ينقل مشكورا عن طباعه .

ولما كان فلان هو الذي حنت إليه رتبته وتلقّت إليه منصبه ودعته وظيفته النفيسة إلى نفسها، وأعتدرت بإقبالها إليه في يومها عن سُوزها عنه في أمسيها، وأشتاقت إلى التحلّي بفضائله التي لم تزل تُزهِى بما ألفتها منها على نظرائها من جنسها - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نجعل لها عادتاً ونجدد له من الإحسان بمباشرتها السعيدة إعادته، ونعيد إليه بمباشرة نظره الجميل مسرته التي ألفتها وسعادته .

فلذلك رسم ... - لا زال بره لعاد الدين رافعا، وأمره بالإحسان شافعا - أن يفوض إليه نظر المملكة الحليّة على عادة من تقدمه .

فليأشتر هذه المملكة التي هي من أشهر ممالككم سمعه ، وأئمنها بقعه ؛ وأحسنها
 بلادا ، وأخصبها رباً ووهاداً ، وأكثرها حصوناً شواهيق ، وقلاعاً [سوامى] ^(١) سوامق ،
 وتغوراً لا تشيم ما أقر منها البروق الخوافق ؛ مباشرة تزيد مصالحها على ما عرفته ،
 وتربها من خبرته فوق ما ألفتها ؛ وتدل على ما فيه من كفاءة هذبها التجارب ، وهذبها
 الأنوار الثواقب ، وصرفتها الأفكار المطاعة على الطوالع من المغارب ، وسددها
 إلى الأغراض الجميلة الخلو من الأغراض ، ووقفها على جواهر الصواب عدم
 اعتراض النظر إلى الأعراض ؛ وأراها التوفيق ما تأتي من وجوه التدبير وما تدر ،
 وعرفتها المعرفة الاحتراس من مخالفة الصواب مما تزال من ذلك على حذر ، وفتح
 لها الدرر أرباب التثمير فما لحظت أمراً من الأمور الديوانية إلا وبدت البدر ؛
 ولتكن نعم المصونة المقدم لديه ، والنظر في مصالح القلاع المحروسة هو الغرض
 المنصوص عليه ؛ فليضاعف ذخائرها ، ويتفقد موارد أمورها ومصادرها ؛ وفي معرفته
 بقواعد هذه الوظيفة ما يغني عن الوصايا ، لكن ملاكها تقوى الله ، فليجعلها نبي
 نفسه ، وسمير أنسه ؛ وانخط الشريف



ومنها - نظر الجيش بها .

وهذه نسخة توقيع بنظر الجيش بالمملكة الحليية ، وهي :

الحمد لله الذي جعل أفق السعادة بطلوع شمسه منيرا ، وأقر في رتب العلياء من
 يغدو ناظرها بحسن نظره قريرا ، وحل مفايق المناصب السنية بصدر إذا تعالى

(١) الزيادة مما يأتي بعد نحو عشر صفحات .

اللسان في وصفه كان بنان البيان إليه مُشيرًا ، واختار لأمصاري ممالكنا الشريفة من
إذا فوض إليه نظرها كان ينسبته إلى الإبصار حقيقًا به وجديرًا .

نمجدُه وهو المحمود ، ونشكرُه شكرًا مُشرق السُعود ، ونشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده
لا شريك له شهادةً عذبة الورود ، ونشهدُ أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله الذي أضحَّت به
شيوخُ من الإسلام منشورة البُود ، صلى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه ما أورد عود ،
وأولجَ نهارَ السيف في ليلِ العُمود ، وسلمَ تسليمًا كثيرًا .

وبعدُ ، فإن الله تعالى لما خصَّ كُلَّ مملكةٍ من ممالكنا الشريفة بكثرة الجيوش
والأنصار ، وجعلَ جيوشنا وعساكرنا تُكابرُ عددَ النجوم في كلِّ مِصرٍ من الأمصار ؛
وكانت المملكةُ الشريفةُ الحليَّةُ هي ركنٌ من أركان الإسلام شديد ، وذخرٌ مادعاهم
داعٍ إلا ولبَّاه منهم عددٌ عديد - وجب أن يُختارَ للنظر عليها من الأَكفَاء من سما
في الراسة أصله وزكافرُعه ، فاستحقَّ بما فيه من المعرفة تمييزَ قدره ورفعُه ، وفاقَ
في فضل السيادةِ أبناءَ جنسِه ، وأشرقَت أفلاك المعالي بطلوع شمسه ، وأقرَّ [بنظرة] نظرَ
الجيوش المنصوره ، وسارت الأمثلةُ بما أتفق عليه [فيه] من حُسنِ خِبره وخيره ، وكان
فلان هو الذي طلع في أفق هذا النناء شمسًا منيره ، واختبر بالكفاية والدراية واختبر
لهذا المتَّصب على بصيرته ، وهو الذي له من جميلِ المباشرة في المناصب السنية
ما هو كالشمس لا يُخفى ، والذي أحسنَ النظرَ في الأوقاف المبرورة حتى تَمَّيَّ كُلُّ
منصبٍ جليلٍ أن يكونَ عليه وقفًا ، وهو الذي حوى من الفضائل ما لا يُوجدُ له
نظيرٌ ولا شبيه ، والذي سما إلى رتبة من المعالي ربيعةً وكان ذا الحدِّ النبيه
والأب النبيه .

فلذلك رُسم ... - لا زال يُقرُّ الناظر بِجُوده ، ويُحسِّنُ النظر في أمرِ جُيوشه
وجُنوده - أن يفوض إليه كذا: عالماً بأنه أحقُّ بذلك وأولى، وأن كفايته لا يُستثنى
فيها بيلاً ولا بلولاً؛ وأنَّ السَّدادَ مقترنٌ بحسنِ تصرُّيفه، وعلمه قد أغنى عن تعليمه
بمواقع التَّسديدِ وتوقُّيفه .

فليباشِرْ ذلك بصدرٍ مُنشرح ، وأملٍ مُنفسح ؛ عاملاً بالسُّنة من تقوى الله تعالى
والقرض ، عالماً بأنَّه عند وُصولنا إلى البلاد نأمرُ بعرضِ الجيوش : فليعمل على
ما يبئض وجهه يوم العرض ؛ وليلزم عِدَّة من المباشرين بعمل ما يلزمهم من التَّقريع
والتَّأصيل ، والتَّجريد والتَّزليل ؛ وتحرير الأمثلة والمقابلة عليها، وسُلوكِ الطَّرِيقِ
المُسْتقيم التي لا يتطرَّقُ الدَّم إليها ؛ والملاحظة لأُمور الجيوش المنصورة في قبيل
الإقطاعات وكثيرها ، وجلبيلها وحقيرها ؛ بحيث يكون علمه محيطاً بذلك إحاطة
اللَّيل ، ويشترطُ على من يتعين تزليله ما أستطاع من قُوَّة ومن رباط الخيل ؛
ويقابل الأُمور المضطربة بالإضراب ، ويسلك أحسن المسالك في سيره وسيرته ؛
فإننا فوضنا إليه الجيوش المنصورة من جُندِ المملكة الحليَّة ومن أهل المدينة ومن
حوطهم من الأعراب . والوصايا كثيرة وإن كثرت فعلمها عنده ، وقد ضرب له منها
مثلٌ فليكن على سياقته فيما لم يُذكر في العِدَّة ؛ وأهمُّ الأُمور أن يتمسك من خَشية الله
بالسَّببِ الأقوى ، ويجعل تقوى الله عماده في كلِّ الأُمور : فإنَّ خير الزَّادِ التقوى ؛
والخطُّ الشريفُ أعلاه حجةٌ فيه .

الطبقة الثانية

من يكتب له من أهل المملكة الحليَّة في قطع العادة مفتوحاً بـ«رسم» إمَّا مع
«مجلس القاضي» أو مع «القاضي الأجل» ككتاب الدرَج ومن في رُتبهم ، إن كتب

لأحد منهم من الأبواب السلطانية . وإلا فالغالب استبدادُ نائبِ السُّلْطَنَةِ بِهَا بِالكَتَابَةِ
فِي ذَلِكَ . فَإِنْ كُتِبَ شَيْءٌ مِنْهَا مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، فَيَمِشُ فِيهِ عَلَى نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ
فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْمَمْلَكَةِ الشَّامِيَّةِ الَّتِي قَاعَدْتُهَا دِمَشْقُ .

النوع الثاني

(من أرباب الوظائف بالمملكة الحلبية - من هو خارج)

عن حاضرتها ، وهم على أصناف)

الصف الأول

(أرباب السيوف ، وهم غالبٌ من يكتب لهم عن الأبواب السلطانية)

وقد تقدم أنَّ العادةَ جاريةٌ بِتَسْمِيَةِ مَا يُكْتَبُ لِمَنْ دُونَ أَرْبَابِ النِّيَابَاتِ الْعِظَامِ :
مِنْ دِمَشْقَ ، وَحَلَبَ ، وَطَرَابُلُسَ ، وَحِمَاةَ ، وَصَفَدَ ، وَغَزَّةَ ، وَالكَرَّكَ - مَرَامِيمَ .
وَأَنَّ التَّقَالِيدَ مَخْتَصَةً بِالنُّوَابِ الْعِظَامِ الْمَقْدَمِ ذِكْرَهُمْ . وَلَا يَخْفَى أَنَّ النِّيَابَاتِ الدَّاخِلَةَ
فِي الْمَمْلَكَةِ الْحَلِيبِيَّةِ : مِمَّا هُوَ تَحْتَ أَمْرِ نَائِبِ السُّلْطَنَةِ بِحَلَبَ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ سَائِرِ
الْمَمَالِكِ الشَّامِيَّةِ .

وَبِالْجُمْلَةِ فَأَمْرُهُمْ لَا يَخْرُجُ عَنْ ثَلَاثَةِ أَضْرَبَ : إِمَّا مُقَدِّمَ أَلْفَ ، كَاتِبَ
الْبَيْتِ ، وَنَائِبَ قَلْعَةِ الرُّومِ الْمَعْبُورِ عَنْهَا فِي دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِقَلْعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَنَائِبَ
مَاطِيَةَ ، وَنَائِبَ طَرَسُوسَ ، وَنَائِبَ الْبُلْسْتِيْنَ ، وَنَائِبَ الْبَهْسَنِيِّ ، وَنَائِبَ آيَاسِ الْمَعْبُورِ
عَنْهَا بِالْفَتْوحَاتِ الْجَاهَانِيَّةِ . وَإِمَّا طَبِخَانَاهُ ، كَاتِبَ جَعْبَرَ ، وَنَائِبَ دَرَنْدَةَ وَنَحْوَهُمَا .
وَإِمَّا أَمِيرَ عَشْرَةَ ، كَاتِبَ عَيْنَ تَابَ ، وَنَائِبَ الرَّوْنَدَانَ ، وَنَائِبَ كَرَّكَرَ ، وَنَائِبَ
بَغْرَاسَ ، وَنَائِبَ الشُّغْرُوبَكَاسَ ، وَنَائِبَ الدَّرْبَسَاكَ ، وَنَائِبَ سَرْفَنْدَكَارَ ، وَمَنْ
فِي مَعْنَاهُمْ .

وقد تقدم في الكلام على المكاتبات نقلاً عن "التثقيف" : أن هؤلاء النواب تختلف أحوالهم في الارتفاع والانحطاط : فتارة تكون عادة تلك النيابة أمير طبلخاناه ، ثم يوتى فيها عشرةً وبالعكس . وقد تكون عادتها طبلخاناه فيستقر بها مقدم ألف وبالعكس . والضابط في ذلك أن من يكتب له المرسوم : إن كان مقدم ألف ، كتب مرسومه في قطع النصف بـ «المجلس العالى» . وإن كان طبلخاناه ، كتب له مرسومه في قطع النصف أيضاً بـ «السامى» بالياء . وإن كان أمير عشرة كتب مرسومه في قطع الثلث . فإما ما يكتب في قطع النصف ، فإنه يفتح بـ «الحمد لله» سواء كان صاحبه مقدم ألف أو أمير طبلخاناه .



وهذه نسخة مرسوم شريف بنياية آياس ، وهى المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية ، يستضاء بها في ذلك ، وهى :

الحمد لله الذى جعل من أولياء دولتنا الشريفة كل سيف لا تنبو مضاربه ، وأصطفى لبوادر الفتوحات من أنصارنا من محمد آراؤه وتجاربه ، وأهمننا حسن الاختيار لمن تؤمن فى المحافظة مآربه ، وتعدب فى المخالطة مشاربه ، وحقق آمالنا فى مضاعفة الفتح التى أغنى الرعب فيها عما تدافعه سيوف الإسلام وتجاربه .

نحمده حمداً يضاعف لنا فى التأييد تمكيننا ، ونشكره شكراً يستدعى أن يزيدنا من فضله نصراً عزيزاً وفتحاً مبيناً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تخلص فيها يقيناً من المخاوف يقيناً ، ونزد من نهالها معيناً ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أيدته الله بالملائكة والروح ، وزوى له الأرض فرأى مشارقها ومغاربها وترجو أن يكون ما زواه له مدتحراً لنا من الفتوح ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

الذين هم خير أمة أخرجت للإسلام ، والذين ما زال الإيمان بهم مرفوع الأوية والأعلام ، والذين لم يبرح داعي الضلالة تحت قهر سيوفهم : فإذا أغنى « جرت عليه سيوفها الأحلام » ، صلاة يطيب اللسان منها فيطرب ، ويعرب عن صدق الإخلاص في تكرارها فيعرب ؛ وسلم تسليماً .

أما بعد ، فإن أولى من تستند أمور الممالك لعزيمته ، ويلقى أمر بوادر الفتوحات السعيدة ليمته ، ويعتمد في تدبير أحوال البلاد والعباد على يمين تصرفه ومتمد نهضته . من لم يزل معروفاً سداد رأيه ، مشكوراً في الخدمة الشريفة حسن سعيه ؛ مؤيداً [في] عزيمته ، مظفراً في حزمه ؛ مأمون التأثير ، ميمون التدبير ، كافياً في المهمات ، كافلاً بعلوم الهيمات ، إذا هم ألقى بين عينيه [صادق] عزيمته ، وإذا اعتمد عليه في مهمته تلقاه بهمة وحزمه ؛ وإذا جرد كان هو السيف آتسماً وفعلاً ، وإذا دارت رحي الحرب الزبون فهو الشهم الذي لا يخاف سهماً ولا يهرب نصلاً .

ولما كان ^(١) هو بدر هذا الأفق ، ومقلد هذا العقد ولا يصلح هذا الطوق إلا لهذا العنق ؛ وهو الذي فاق الأولياء أهتاماً ، وراق العيون تقدماً وإقداماً ؛ وأرضى القلوب نصحاً ووفاءً ، وأنضى الهمم احتفالاً للصالح واحتفاءً ؛ طالما جرب محمد عند التجارب ، وجرد فأغنى عن القواضب ؛ وأختبر فاختير ، ونظر في خصائصه فلم يوجد له نظير . اقتضى حسن الرأي الشريف أن نقله فتوحات أنقذها الله تعالى من شرك الشرك ، وأخرجها إلى النور بعد ظلام الإفك ؛ وبشرها أن هذه صحابة نصير يأتى وأبلى إن شاء الله تعالى بعد رذاه ، وأنها مقدمة سعيد تتلو قوله تعالى : (وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه) .

(١) بياض بالأصل والمراد المولى باسمه ولقبه .

فذلك رُسم ... لا زال الفتح في دولته يزهُو بانتظام سلكه، وأيامه الشريفة تسترد مقتصب البلاد من يد الكفر إلى بسطة ملكه وقبضة ملكه، وإحسانه يجي الحصون بسيف يروع العدا ببأسه وفتكه - أن يفوض ... اعتماداً على مضائه الذي لا ينكر مثله للسيف، وركونا إلى هيمته التي تسرى برعها إلى قلوب الأعداء سرى الطيف .

فليباشر النيانة المذكورة : مُعملاً رأيه في تمهيد أحوالها، وتقرير أمورها التي راق الأولياء، وراع الأعداء ما كان من مآلها ؛ مجتهداً في حفظ ما بها من القلاع والحصون، مُبادراً [إلى] كل ما يجي حماها ويصون قائماً بحق القيام في مصالح تقريرها، وأحوال تحريرها، وأمور تمهدها، ومنافع تُسيدها ؛ وحواصل تكفيها، وأسباب مصلحة توافيها بمزيد الاهتمام وتوفيقها ؛ وليكن بأحكام الشرع الشريف مقتدياً، وبأنور العدل والإحسان مهتدياً ؛ وبتقوى الله عز وجل متمسكاً، وبخشية الله متدسكاً؛ وهو يعلم أن هذه الفتوحات [قدي] في حدقة العدو المخذول وتنجباً في حلوقهم، وعلّة في صدورهم وحسرة في قلوبهم .

فليكن دأبه الاجتهاد الذي ليس معه قرار، والتحرز الذي يحلها أو يجيها فيكون عليها بمنزلة سور أو سوار؛ ويصفحها من عزمه بالصفاح، ويجعل عليها من شرفات خزمه ما يكون أحد من أسنة الرماح؛ ثم لا يزال احتياطه محيطاً بها من كل جانب، وتيقظه لأحوالها بمنزلة عين مراقب، واحتفاله الاحتفال الذي بمثله يصاب رداؤها من كل جاذب؛ ثم لا تزال قصاده وكشافة وطلائعه لا يقربهم السرى، ولا يعرفون طعم الكرى؛ يطلعون من أخبار العدا على حقائقها، ويتحيل كل فرقة منهم على معرفة الأحوال بينهم بمكر من تعدد طرقها واتساع طرائقها، لتكون المتجددات عنده بمنزلة ما يراه

في مِرَاة نَظَرِهِ، وَسِرُّ أُمُورِ الْعِدَا لَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُشِيْعَ بَيْنَهُمْ ذِكْرُ خَبْرِهِ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ لَا يَحْتَاجُ مَعَ مَعْرِفَتِهِ إِلَى تَبَيُّرِهِ، وَلَا يَفْتَقِرُ مَعَ حَسَنِ بَصِيرَتِهِ إِلَى تَذَكُّرِهِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ، وَيُعِينُهُ عَلَى مَا وَّلَاهُ؛ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ .

وَأَمَّا مَنْ يَكْتُبُ لَهُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بِـ «مَجْلِسِ الْأَمِيرِ» وَهِيَ الْعَشْرَاتُ [فَقَدْ ذَكَرَ فِي «التَّعْرِيفِ» : أَنَّهُ يَكْتُبُ لَهُمْ مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى ذَلِكَ .

قلت : وقد تقدم في الطبقة السابعة أَنَّ الْكُتُبَاتِ، وَكَرْكِرَ، وَالذَّرْبَسَاكَ، قَدْ تَكُونُ عَشْرَةً أَيْضًا . وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ نِيَابَةُ عَيْنِ تَابِ، وَالرَّوَانِدَانَ، وَالْقَصِيرَ، وَالشُّغْرُوبَكَسَ، إِذَا كَانَتْ عَشْرَةَ . وَنِيَابَةُ دَبْرَكِي إِذَا كَانَتْ عَشْرَةً^(١) [فَيَفْتَحُ فِيهَا «أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ» عَلَى عَادَةِ مَا يَكْتُبُ لِلْعَشْرَاتِ .



وهذه نسخة مرسومة شريف من هذه الرتبة، كُتِبَ بِهِ لِنَائِبِ حَجَرَ شَغْلَانَ مِنْ مَعَامِلَةِ حَلَبَ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي شَيَّدَ الْمَعَاقِلَ الْإِسْلَامِيَّةَ بِأَكْفَانِهَا، وَصَانَ الْحُصُونِ الْمَحْرُوسَةَ بِمِنْ شُكْرَتِ هِمَّتِهِ فِي إِعَادَتِهَا وَإِبْدَانِهَا، وَحَمَى سَرْحَهَا بِمِنْ أَيْقُظِ [فِي] الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ عِيُونَ عَزْمِهِ فَمَا أَلَمْتُ بَعْدَ إِيقَاطِهِ بِإِغْفَانِهَا، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَنْتَضَى سَيُوفَ التَّأْيِيدِ فَأَعَزَّتِ الْهُدَى وَأَذَلَّتِ الْعِدَا حِينَ انْتِضَائِهَا، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا بَدَّتِ النُّجُومُ فِي ظُلُمَائِهَا، وَسَرَّتِ الْغُيُومُ فِي فِضَائِهَا - فَإِنَّ مِنْ شُكْرَتِ هِمِّهِ، وَثَبَّتْ فِي الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ قَدَمَهُ؛ وَأَشْبَهَ عَزْمَهُ فِي مَضَائِهِ صَارَمَهُ، وَأَضْحَتْ

(١) ما بين القوسين المرعيين [وجد ملحقا بهامش نسخة ومؤشرا عليها بالتصحيح فأثبتناه في الصلح عملا بتلك الإشارة .

تُغور تَقْدِيمَهُ بِاسْمِهِ ؛ أَوْلَىٰ بِأَنْ تَرَفَعَ هَذِهِ الدَّوْلَةُ الشَّرِيفَةُ مِنْ مَحَلَّةٍ ، وَتُنَشَّرَ عَلَيْهِ [مِنْ] تَكْرِيمِهَا وَارْفَ ظِلِّهَا ؛ وَتَرْتَضِيَهُ لِقَلَاعِ الْإِسْلَامِ وَتَشْيِدِيهَا ، وَتَجْتَبِيَهُ لَصَوْنِهَا وَتَأْيِيدِيهَا ، وَتَجْعَلُهُ قُوَّةَ عَيْنِهَا وَحِلْيَةَ جِيدِهَا ؛ وَتُمَضِّيَ كَلِمَتَهُ فِي مَصَالِحِهَا ، وَتُعَدِّقَ بِهِ أَسْبَابَ مَنَاجِحِهَا ؛ فَيُصْبِحُ وَقَدْرُهُ مَنَّا إِعْلَاءً وَإِعْلَانًا ، وَيُتَمَسَّى وَهُوَ شُغْلُ بَطَاعَتِنَا الْعَالِيَةِ الشَّانِ ؛ وَشُغْلُ بِالْمَعْقِلِ الَّذِي يُجَرِّزُ بَعْزِمَهُ وَيُصَانُ ، فَلَا جُلَّ ذَلِكَ غَدَاً وَهُوَ مِنْ هَذِهِ النِّيَابَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ شُغْلَانٌ .

وَكَانَ [فُلَانٌ] هُوَ الَّذِي جَادَتْ عَلَيْهِ دَوْلَتُنَا الزَّاهِرَةُ بِسَحَائِبِهَا ، وَأَشْرَقَتْ عَلَى حَظْوِظِهِ سُعُودُ كَوَاكِبِهَا ؛ وَأَسْمَتْ لَهُ قَدْرًا ، وَجَعَلَتْ لَهُ إِمْرَةً وَأَمْرًا ؛ وَصَرَفَتْهُ إِلَى نِيَابَةِ مَعْقِلٍ مَعْدُودٍ مِنْ قَلَاعِ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحُصُونِهَا ، وَمَعَاقِلِهَا الَّتِي عَلَتْ مَحَلًّا فَالْجِبَالُ الشَّمُّ مِنْ دُونِهَا ؛ قَدْ أَصْبَحَ شَاهِقًا فِي مَبْنَاهُ ، مَمْنَعًا فِي مَغْنَاهُ ، مُحْصَنًا بِرِجَالِهِ ، مَصُونًا مِنْ مَاضِيَيْنِ : السَّيْفِ فِي مَضَائِهِ وَالْعَزْمِ فِي أَحْتِفَالِهِ - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُوقِّلَهُ رَتَبَةَ هَذِهِ النِّيَابَةِ ، وَنُنَشِّرَ عَلَيْهِ مِنْ إِحْسَانِنَا تَحَابَهُ .

فَلذَلِكَ رَسْمٌ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ أَنْ يَسْتَقَرَّ

فَلِيُحَلَّ هَذِهِ النِّيَابَةَ الْمُبَارَكَةَ مُظْهِرًا مِنْ عَزْمِهِ مَا يُتَّخَذُ عَوَاقِبُهُ ، وَتَعْلُو مَرَاقِبُهُ ؛ وَتَسْمُو مَرَاتِبُهُ ، وَتَتَوَسَّحُ سُبُلُهُ وَمَذَاهِبُهُ ؛ مُحْصَنًا لَسَرْحِهِ ، مَعَزَّزًا مَوَادِّ تَجْبُحِهِ ؛ مُرَاعِيًا أَحْوَالَ رِجَالِهِ ، الْمُعَدِّينَ مِنْ حِمَايَتِهِ وَأَبْطَالِهِ ؛ حَتَّى يَغْدُوا يَقِظِينَ فِيمَا يَنْدُبُهُمْ إِلَيْهِ وَيَسْتَنْبِضُهُمْ فِيهِ ، مَبَادِرِينَ إِلَى كُلِّ مَا يَحْفَظُ هَذَا الْحِصْنَ وَيَجْمِيهِ ؛ وَمَنْ بِهِذَا الْمَعْقِلِ مِنَ الرَّعِيَةِ فَلْيَرَفُقْ بِضِعْفَائِهِمْ ، وَلْيُعَامِلْهُمْ بِمَا يَسْتَجْلِبُ لَنَا بِهِ صَالِحَ دُعَائِهِمْ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِلَاكُهَا التَّقْوَى ، فَلْيَتَمَسَّكْ بِهَا فِي السَّرِّ وَالنَّجْوَى ؛ وَلْيَغْرِسْهَا فِي كُلِّ

(١) فِي نَسَخَةٍ : مَرْتَبًا وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ .

قول يُبْدِيهِ ، وَفِعْلٌ يَرْتَضِيهِ ، فَإِنَّ غُرُوسَهَا لَا تَدْوَى . وَاللَّهُ يَوْقَهُ لِصَالِحِ الْقَوْلِ
وَالْعَمَلِ ، وَيُضَوِّنُهُ مِنَ الْخَطِّ وَالْخَطَلِ ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ .

قُلْتُ : وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ لَا يَكْتُبُ عَنِ السُّلْطَانِ مَرْسُومٌ بِنْيَابَةٍ فِي قِطْعِ الْعَادَةِ ،
لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا جُنْدِيًّا وَهُوَ دُونَ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ إِذَا يُكْتُبُ عَنِ نَوَابِ
الْمَمَالِكِ .

الصنف الثاني

(مِمَّا هُوَ خَارِجٌ عَنِ حَاضِرَةِ حَلَبٍ - الْوِظَائِفُ الدِّيْنِيَّةُ بِمَعَامِلَتِهَا :

مِنَ الْفِلاَعِ وَغَيْرِهَا)

وَهِيَ فِي الْغَالِبِ إِذَا تَصَدَّرَ الْكِتَابَةُ فِيهَا عَنِ نَائِبِ حَلَبٍ أَوْ قَاضِيهَا ، إِنْ كَانَ
مَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَيْهِ . فَإِنْ صَدَّرَ شَيْءٌ مِنْهَا عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، كَانَ فِي قِطْعِ الْعَادَةِ
مَفْتَحًا بِ«رِسْمٍ» .

وَهَذِهِ نَسْخَةٌ تُوقِعُ مِنْ هَذَا النَّمَطِ يُنْسَجُ عَلَى مِثَالِهِ ، كُتِبَ بِهِ لِقَاضِي قَلْعَةِ
الْمَسَامِينِ ، وَهِيَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ عِنْدَهُ مَوْيِدًا لِلْحُكْمِ ، وَرَأْيُهُ مَسَدَّدًا فِي النَّقْضِ
وَالْإِبْرَامِ ، وَسُلْطَانُهُ يَخْتَارُ لِلنَّاصِبِ الدِّيْنِيَّةِ مَنْ نَطَقَتْ بِشُكْرِهِ أَلْسِنَةُ الْأَنْامِ - أَنْ
يَسْتَقَرَّ فِي كَذَا : لِمَا أَشْتَهَرَ عَنْهُ مِنْ عِلْمٍ وَدِينِ ، وَظَهَرَ مِنْ حُسْنِ سِيرَةٍ آقْتَضَتْ
لَهُ التَّعْيِينَ .

فليباشِر هذه الوظيفة المباركة بالحقِّ حاكما ، وللرفقِ مُلازما ، وللتقوى مداوما ؛
وهو غنى عن الإسهاب في الوصايا ، ملىُّ بسُلوِك تقوى الله في القضايا ؛ والله تعالى
يزيده تأييدا ، ويضاعف له بموادِّ السعادة تجديددا ؛ والعلامة الشريفةُ أعلاه ،
حجةً بمقتضاه .

الصنف الثالث

(مما هو خارج عن حاضرة حلب - الوظائف الديوانية)

وهي إما تصدر في الغالب أيضا عن نائب حلب . فإن كُتب شيءٌ منها عن
الأبواب السلطانية ، كان في قطعِ العادة مفتوحا بـ «رسم بالأمر» .

وهذه نسخةٌ توقِّع من ذلك ، يستضاءُ به فيما يُكتب من هذا النوع ، كُتب بها
بنظر جعبر ، من مُعاملة حلب ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال مُنهل الندى ، مُستهلَّ الجدى ، مُعيدا للإحسان
كما بدا - أن يُعادَ فلانٌ إلى وظيفته : لما ألفت من سيرة له لم تزل تُحمد ، وسِما
خيرٍ منه على مثل الشمس تشهد ؛ ولأمانته التي لم تزل تفتقرُ بها الثغور ، وتُحضرُها
المعاهدُ : تارة في طوقِ النحر وتارة في نُحور البحور ؛ وأصالة أمتد ظلُّها الظليل ،
وعُرف منها في العصرِ حسنُ الأصيل ، وأينعت أكرمَ قرع زكا منبته^(١) في الأرض
المقدَّسة وجوارِ الخليل ؛ وليا أسلف في هذه المباشرة من عمَلِ صالح ، وسدادِ
اعتقادٍ لم يخرج عن تحريرِ تقريرٍ وتقريرِ مصالح ؛ وكتابةٍ رآها الرائي ونقلها الناقل ،
وكفاية حقت عليه مثل العروسِ المجلوبة من عقائلِ المعامل .

(١) في الأصل « منبتها » بالتأنيث .

فليأشُر هذه العروسَ فقد أنقدها سالفَ الخدمِ وأمهرها ، وليتأثر سقياً العروس
التي أنشأها في هذه الجهة ومهرها ، وليسلك مسلكه الذي لم يزل محيماً على رؤوس
القسن ، ومهوماً به طرف الأمن للبقظة الذي لا يعلم به الوسن ؛ محولاً في وظيفته
المبرات ، مستقبلاً للسرّات ، مفتخراً بمباشراته التي تجرى بجارى البحار : تارة الملح
الأجاج وتارة العذب الفرات ؛ وهو أعرف بما يقدمه من أمانة بها يتقدم ، وديانة
يرجى بها استكفاؤه ويحكم ؛ وتقوى الله جماعها فليكن بها متمسكاً ، وبمشاغلها
متمسكاً ؛ والله تعالى يجعل عطاءه موفراً ، وعمله متدفقاً ليرد جعباً جعفرًا .

النيابة الثالثة

(نيابة طرابلس ، ووظائفها التي جرت العادة بالكتابة فيها)

(من الأبواب السلطانية على نوعين)

النوع الأول

(ما هو بمحاضرة طرابلس ، وهو على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف ، وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له تقليد)

وهو نائب السلطنة بها . ومرسومه في قطع الثلثين ، ولقبه « الجنب العالى »
مع الدعاء بمضاعفة النعمة .

(١) الذى ورد فى القاموس وغيره أن النقد بمعنى الاعطاء من باب السلاخ فعمل الحمز من زيادة
ر الناح فنبه .

وهذه نسخة تقليد شريف بنياتها :

الحمد لله الذي جعل لنا التأييد مددا ، والنصر عتادا لا تفقد مع وجوده من
الأولياء أحدا ، والعز وزرا نضم شبيهه مسامع العدا : (فَن يَسْتَمِعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ
شِهَابًا رَصَدًا) . والفتح ذخرا حيث ما نشاء مددنا إليه بقوة الله يدا ، وشددنا عليه
بمؤنته عضدا .

نحمده على نعمه التي جعلت مراتب دولتنا فلكا تُشْرِقُ فِيهِ رُتَبُ الْأَوْلِيَاءِ إِشْرَاقَ
الْبُدُورِ ، وتغور ممالكا أفقا حيثما شامتة العدا ضرب بينهم وبينه من سيوف
مهابتنا بسور ، وفواجح الفتوح النائية دانية من همم أصفياننا فإذا يمموا غرضا
طارث إليه سهامهم بأجنحة النور ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة يرفع الجهاد علمها ، وينصر الإيمان كلمها ؛ ويُرْجَى الْإِيقَانُ إِلَى رِيَاضِ التَّائِيدِ
دِيَمَهَا ، وَيَسْتَنْطِقُ التَّوْحِيدُ بِإِعْلَانِهَا وَإِعْلَانِهَا سَيْفُ أِيَامِنَا الزَّاهِرَةِ وَقَلَمَهَا ؛ وَنَشْهَدُ
أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَسَادِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ، وَنَبِيَّهُ الْمَخْصُوصُ
بِالْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ نَصَرُوا اللَّهَ فَنَصَرَهُمْ ،
وَأَظْهَرُوا دِينَهُ فَأَعَزَّهُمْ وَأَظْهَرَهُمْ ، وَيَسْرُوا لِأَمْنِهِ سَبِيلَ الْمُسْدَى فِهْدَاهُمْ وَالسَّبِيلِ
يَسْرَهُمْ ؛ صَلَاةٌ لَا يَزَالُ الْبَاقِينَ يُقِيمُ دَعْوَتَهَا ، وَالتَّوْحِيدُ يَعِصُمُ مِنَ الْأَنْفِصَامِ عُرْوَتَهَا ؛
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإن أولى من تفر الثغور بإيائيه ، عن شذب النصر ، وترى الحصون
بكفالتة ، من شام من العدا برقها بشرير كالفصر ، وتقس السواحل بمهابتيه ، من جاور
من أهل الكفر بجرها بين الحصن والحصن ، وتمنع عزمانه شواني العدا أن تدب
عقاربها ، أو تتركب الموجع بغير أيامه مراكبها ، أو ينتقل عن ظهر البحر إلى غير

(١) لعله « بغير أمانه » تأمل .

سيوفه أو قيوده مُحارِبها - من لم يزل في نُصرةِ الدينِ لامِعاً كالبرقِ شهابه ، زاحراً كالبحرِ عبابه ، وأصبأ على الشركِ عذابه ؛ ظامياً إلى مواردِ الوردِ يد سيقفه ، سارياً إلى قلوبِ أهلِ الكُفرِ قبلِ جُفونهم طيفه ؛ قائمةً مقامِ شُرفِ الحُصونِ أسنةً رماحه ، غنيّةً بروحِ الثُغورِ عن تصفيحها بالهلمدِ بصفا صفاحه ؛ معِ خبرةٍ بتقدّمة الجيوشِ تُضاعفُ إقدامها ، وتثبتُ في مواطنِ اللقاءِ أقدامها ؛ وتسدّدُ إلى مقاتلِ أهلِ الكُفرِ سهامها ، وتقرّبُ عليها في البرِّ والبحرِ مناهلها وتُبعِدُ مراميها على مَنْ رامها ؛ ومعدّلةٍ للرعايا السُكونِ في مهادِ أمنها ، والرُكُونِ إلى ربّأ إقبالها وهادٍ يُمْنها ؛ فيسرِبُ الرعايا مصُونٌ بعدله ، والعدلُ مكنونٌ بين قولهِ وفِعْلِهِ .

ولما كانَ فلاَنٌ هو اللَّيْثُ الَّذِي يُجْمَى بِهِ غَابُهُ ، وَالنَّيِّرُ الَّذِي يُزْهِى أَفْقُهُ تَأَلَّقَ فِيهِ شِهَابُهُ ؛ وَالهُمَامُ الَّذِي تُعْدِي هِمَمُهُ فُرْسَانَ الْوَعْيِ فُتَعَدُّ أَحَادُهَا بِالْأَلُوفِ ، وَالشُّجَاعُ الَّذِي إِذَا اسْتَعَانَتْ سَوَاعِدُ الشُّجْعَانِ بِسُيُوفِهَا اسْتَعَانَتْ بِقُوَّةِ سَوَاعِدِهِ السُّيُوفُ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نُحَلِّيَ بِهِ جَيْدَ مَمْلَكَةٍ أَنْتَظَمْتُ عَلَى وَشَامِ الْبَحْرِ ، وَأَحَاطَتْ بِمَا فِي ضَمِيرِهِ مِنْ بِلَادِ الْعِدَا إِحَاطَةَ الْقَلَانِدِ بِالْبَحْرِ .

فرسم بالأمر الشريف لا زال أن يفوض إليه كَيْتٌ وَكَيْتٌ : لِمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ مِنْ أَسْبَابِ تَعَيُّنِهِ لِهَذِهِ الرِّثِيَةِ الْمَكِينَةِ ، وَتَحَلِّيِهِ بِمَا وُصِفَ مِنَ الْحَاسِنِ الَّتِي تُزْهِى بِهَا عَقَائِلُ الْحُصُونِ الْمُصُونَةِ .

فَلَيْلِ هَذِهِ النِّيَابَةِ الْجَلِيلَةِ بِعَزْمَةِ مُجَلِّلِ مَوَاكِبِهَا ، وَهِمَّةِ تَكْلِيلِ مَرَاتِبِهَا ؛ وَمَهَابَةِ تَحُوطِ مَمَالِكِهَا ، وَصَرَامَةِ تَوْمَنِ مَسَالِكِهَا ؛ وَمَعْدِلَةِ تَعَمَّرِ رُبُوعِهَا وَرِبَاعِهَا ، وَبِقِظَةِ تَصُونِ حُصُونِهَا وَقِلَاعِهَا ؛ وَشِجَاعَةِ تَسِيرِي إِلَى الْعِدَا سَرَايَا رُعْيِهَا ، وَسَطْوَةِ تَعْدِي السُّيُوفِ فَلَا تَسْتَطِيعُ الْكِبَاةُ الدُّنُوَّ مِنْ قُرْبِهَا ، وَسُمْعَةُ تُرْهَبُ مُجَاوِرِيهِ حَتَّى يُنْخَلِّلَ الْبَحْرُ [أَنَّهُ] مِنْ أَعْوَانِهِ عَلَى حَرِّبِهَا .

ولِيُؤْتِ تَقْدِيمَةَ الْجِيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ حَقَّهَا مِنْ تَدْيِيرِ يَجْمَعُ عَلَى الطَّاعَةِ أَمْرَهَا
وَأَمْرَاءَهَا، وَيَرْفَعُ فِي مَرَاتِبِ الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ عَلَى مَا يَجِبُ أَعْيَانَهَا وَكِبْرَاءَهَا؛ وَيُرْهِبُ
بِإِدَامَةِ الْأَسْتِعْدَادِ قُلُوبَ أَعْدَائِهَا، وَيَرْبُطُ بِأَيْزَاكِهَا شَوَانِي الْبَحْرِ حَتَّى تَعْتَدَّ الرِّبَاطَ
فِي ذَلِكَ مِنَ الْفُرُوضِ الَّتِي يُتَعَبَّدُ بِأَدَائِهَا؛ فَلَا يَلُوحُ قَلْعٌ فِي الْبَحْرِ لِلْعِدَا إِلَّا وَهُوَ يَرْهَبُ
الْوَقُوعَ فِي جِبَالِهَا، وَلَا تَلْحَظُ عَيْنٌ عَدُوَّ سَنَا الْبَرِّ إِلَّا وَهِيَ تَتَوَقَّعُ أَنْ تُكْحَلَ بِنِصَالِهَا؛
وَلِيُقِيمَ مَنَارَ الْعَدْلِ بِنَشْرِ لَوَائِهِ، وَيَعْضُدَّ حَكْمَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِرَجُوعِهِ إِلَى أَوْامِرِهِ
وَأَتْمَانِهِ؛ وَلِيَكْفِيَ يَدَ الظُّلْمِ [عِنهَا] فَلَا تَمْتَدَّ إِلَيْهَا بَنَانٌ، وَلِيَشْفَعَ الْعَدْلَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى
الرَّعِيَّةِ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ؛ وَفِي سِيرَتِهِ الَّتِي جَعَلَتْهُ صَفْوَةَ الْأَخْتِيَارِ، وَنُجْبَةَ
مَا أَوْصَحَّتْهُ الْحَقِيقَةُ مِنَ الْأَخْتِبَارِ؛ مَا يُغْنِي عَنِ الْوَصِيَّةِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الذِّكْرِ الَّتِي
تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَرْفَعُ قَدْرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى؛ فَلْيَجْعَلْهَا أَمَامَ
أَعْيُنِهِ، وَإِمَامَ إِصْدَارِهِ وَإِرَادِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُ مَوَادَّ تَأْيِيدِهِ وَإِسْعَادِهِ؛ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى.

الطبقة الثانية

(من يُكْتَبُ لَهُ مَرْسُومٌ شَرِيفٌ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بِـ «بِالْمَجْلِسِ

السَّامِي» بغير ياء، وتشتمل على وظائف)

منها — شُدُّ الدَّوَابِينِ بِطَرَابُلُسَ .

وهذه نسخةٌ تَوْقِيعُهَا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُجَدِّدِ الرَّتَبِ لِمَنْ نَهَضَ فِيهَا إِخْلَاصَهُ بِمَا يَجِبُ، وَمُؤَلِّي الْمَنِّ لِمَنْ إِذَا
اعْتَمَدَ عَلَيْهِ مِنْ مُهَمَّاتِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ فِي أَمْرِ عَرَفَ مَا يَأْتِي فِيهِ وَمَا يَحْتَنِبُ؛

وَمُوَكَّدِ النَّعِيمِ لَمَّا إِذَا أَرْتَيْدَتِ الْإِكْفَاءَ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ كَانَ خَيْرَةً مَن يُخْتَارُ وَمُجَبَّةً مَن يُنْتَخَبُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي سَرَّتْ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ عَوَارِفُهَا ، وَأَشْتَمَلُ عَلَى الْأَصْفِيَاءِ وَافِرُ ظِلَالِهَا وَوَارِفُهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ تَزَلُّفٌ لَدَيْهِ ، وَتَكُونُ لِقَائِهَا ذَخِيرَةً يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَبْعُوثٍ إِلَى الْأُمَّمِ ، وَأَكْرَمُ مَنْعُوتٍ بِالْفَضْلِ وَالكَرَمِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ وُلُّوا أَمْرَ الْأُمَّةِ فَعَدَلُوا ، وَسَلَكُوا سَبِيلَ سُنَّتِهِ فَمَا مَالُوا عَنْهَا وَلَا عَدَلُوا ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا اخْتِيرَ لَهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ كُلِّ ذِي هِمَّةٍ عَلَيْهِ ، وَعَزْمَةٍ بِمَصَالِحِ مَا يُعَدُّقُ بِهِ مِنْ مُهِمَّاتِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ مَلِيهِ ؛ وَخَيْرَةٌ بِكُلِّ مَا يُرَادُ مِنْهَا وَفِيهِ ، وَيَقْظَةُ تَلَحُّظٍ فِي كُلِّ مَا قَرِبَ وَنَائِيٍّ مِنَ الْمَصَالِحِ الْأُمُورِ الْبَاطِنَةِ وَالْأَحْوَالِ الْخَفِيَّةِ ؛ وَصَرَامَةٌ تُؤَيِّسُ مِنْ أَسْتِلَانَةِ جَانِبِهِ ، وَتَزَاهَةِ تَوْمُنٍ مِنْ إِمَالَةِ رَأْيِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَنْ سَلُوكِ وَاجِبِهِ ؛ وَمَعْرِفَةٌ مُطَّلِعَةٍ ، وَتَهَضُّهُ بِكُلِّ مَا إِنْ حُمِّلَهُ مِنْ أَعْيَابِ الْمُهَمَّاتِ الشَّرِيفَةِ مَضْطَلِعَةٍ - أَمْرُ الْأَمْوَالِ الدِّيَوَانِيَّةِ : فَإِنَّهَا مَعَادِنُ الْأَرْزَاقِ ، وَمَوَادُّ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ وَخَزَائِنُ الدَّوْلَةِ الَّتِي لَوْ مَلَكَتْهَا الْغَائِمُ لَأَمْسَكَتْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ، وَذَخَائِرُ الثَّنُورِ الَّتِي مَوَاقِعُهَا مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ مَوَاقِعُ الشَّجَا فِي الْقُلُوبِ وَالْقَدَى فِي الْأَحْدَاقِ .

وَلَمَّا كَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ هُوَ الَّذِي سَمَّتْ بِهِ هِمْمُهُ ، وَرَبَّحَتْ فِي خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ قَدَمُهُ ، وَتَبَارَى فِي مَصَالِحِ مَا يُعَدُّقُ بِهِ مِنَ الْمُهَمَّاتِ الشَّرِيفَةِ سَيْفُهُ وَقَلَمُهُ ؛ وَكَانَتْ الْمَلِكَةُ الطَّرَابُلُوسِيَّةُ مِنْ أَشْهُرِ مَمْلَكَاتِ بُلْغِيَّةِهَا ، وَأَيْمُنِيهَا بَقَعَهُ ؛ وَأَعْمَرَهَا بِلَادًا ،

وأخصبها رباً ووهاداً؛ وأكثرها حصوناً شواهيق، وقلاعاً سوامي سوامق، وثغوراً لا تسمي ما أقر من ثغورها البروق الخوافق؛ ولها الخواص الكثره، والجهات الغزيره؛ والأموال الوافره، والغلات المتكاثفة المتكاثرة - أقتضت آراؤنا الشريفة أن ترتاد لها من يسد خلل عطائها، ويشد عضد ميدها وميائها؛ وينهض من مصالحها بما يراد من مثيله، ويعيد لها بحسن المباشرة بهجة من فقدته من الأكفاء من قبله .

فلذلك رسم أن يفوض إليه شد الدواوين المعمورة بالمملكة الطرابلسية والحصون المحروسة، على عادة من تقدمه في ذلك .

فليباشر ذلك بعرفة تستخرج الأموال من معادنها، وتشتير كوامن المصالح من مكائنها؛ وتتمر أموال كل معاملة بحسن الاطلاع عليها، وصرف وجه الاعتناء إليها؛ وتفقد أحوال مباشرتها، ومباشرة ما يتجدد من وجوه الأموال فيها؛ وضبط ارتفاعها بعمل تقديره، وحفظ متحصلي ضياعها من ضياعه وصون بذارها عن تبذيره؛ وليجتهد في عمارة البلاد بالرفق الذي ما كان في شيء إلا زانه، والعديل الذي ما أنصف به ملك إلا صانه، والعفة التي ما كانت في امرئ إلا وفقه الله تعالى في مقاصده وأعانه؛ وليقدم تقوى الله بين يديه، ويعتمد على توفيقه فيما اعتمد فيه عليه، إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى ذلك يكتب شد مرا كز البريد ونحوها .

(١) لعله "ماقدته من عمل الأكفاء".

الصنف الثاني

(من الوظائف بطرأئس التي يكتب لأربابها من الأبواب السلطانية -

الوظائف الدينية ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(من يكتب له في قطع الثالث بـ «المجلس السامي» بالياء ، وتشتمل على وظائف)

منها - القضاء . وبها أربعة فضاة من المذاهب الأربعة : من كل مذهب قاض .

وهذه نسخة توفيق بقضاء فضاة الشافعية بها ، يُنسخ على منواله ، وهي :

الحمد لله الذي أعز الدين بعلمائه ، وعصّد الحكم بالمتقين من أوليائه ؛ وأوضح
الرشد للمتقين بمن جعلهم في الهداية كنجوم سمائه ، وجعل لكل من الأئمة من
مطالع الظهور أفقا يهتدى فيه بأنواره ويقتهدى بأنوائه .

نحمده على أن جعل سبهم آجتهدانا في الارتداد للأحكام مصيبا ، وقسم لكل من
أفقى ممالكا من بركة علماء قسيمه الآخر نصيبا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تعصم من الهوى في الحكم لعباده ، وتضم العرا من جاهر فيها
بعناده ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أضاءت أنوار ملته ، فاستشفت العلماء
لوامعها ، ووضحت أنار سنته ، فأحرز أئمة الأمة جوامعها ؛ صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين دعوا إلى الله فأجابوا ، ودعوا إلى الحكم بسنته فأصابوا ؛ صلاة لا تزال
الألسن تقيمها ، والإخلاص يديها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما أدي في الآجتهد جُهدَه ، وبلغ فيه الارتداد حدَه ؛ وأستضيء
فيه بنور التوفيق ، وأستصحب فيه من أستخارة الله خير رفيق - أمر الحكم العزيز

وَتَقْوِيضُهُ إِلَى مَنْ وَسَّعَ اللَّهُ تَعَالَى بِجَمَالِ عِلْمِهِ ، وَسَدَّدَ مَنَاطَ حُكْمِهِ ، وَطَهَّرَ مَرَامَ قَلْبِهِ ، وَنَوَّرَ بَصَرَهُ فِي الْحُكْمِ وَبَصِيرَتَهُ فَأَصْبَحَ فِيهِمَا عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ، فَاجْرَى الْحَقَّ فِي الْبَحْثِ وَالْقِتْيَا عَلَى لِسَانِهِ وَيَمِينِهِ ، وَزَهَّهَ عَنِ إِرَادَةِ الْعِلْمِ لَغَيْرِ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، وَنَبَّهَ عَلَى آبْتِغَاءِ مَا عِنْدَ اللَّهِ بِذَلِكَ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ .

وَمَا خَلَا مَنْصِبُ قَضَاءِ الْقَضَاةِ بَطْرَابُلُسَ الْمَحْرُوسَةِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَهُوَ الْمَنْصِبُ الَّذِي يُضِيءُ بِالْأَيْمَةِ الْأَعْلَامِ أَفْقَهُ ، وَتَلْتَقِي بِالْفَضْلَاءِ الْكِرَامِ طُرُقُهُ ، وَتَحْتَوِي عَلَى أَرْبَابِ الْفُنُونِ الْمَتَعَدَّةِ بِمَجَالِسِهِ ، وَتَزْكُو بِالْقَوَائِدِ الْمَخْتَلِفَةِ مَعَارِسُهُ ، وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي أُشِيرَ إِلَى خِصَائِصِ قَضَائِهِ ، وَنُبِّهَ عَلَى أَنَّ الْأَجْتِهَادَ لِلْأُمَّةِ أَفْضَى إِلَى إِسْنَادِ الْحُكْمِ مِنْهُ إِلَى أَهْلِهِ ، وَأَنَّهُ وَاحِدٌ زَمَانِهِ ، وَعَلَامَةٌ أَوَانِهِ ، وَجَامِعُ الْفَضَائِلِ عَلَى اخْتِلَافِهَا ، وَقَامِعُ الْبِدَعِ عَلَى أَفْتِرَاقِ شُبُهَاتِهَا مِنْهُ وَأَنْتِلَافِهَا ، وَحَاوِي الْفُرُوعِ الَّتِي لَا تَنْتَاهِي ، وَالْمُرَبِّي عَلَى رَبِّ كُلِّ فَضِيلَةٍ لَا يَعْرِفُ غَيْرَهَا وَلَا يَأْتِفُ سِوَاهَا - أَفْتَضَّتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَجْزِمَ مِنْ آرْتِيَادِهِ هَذِهِ الرَّبِّةَ بِهَذَا الرَّأْيِ [السَّدِيدِ] ، وَأَنْ تُقَرَّبَ سُرَاهُ إِلَى هَذَا الْمَنْصِبِ الَّذِي نَادَاهُ بِلِسَانِ الرَّغْبَةِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ إِحْسَانُهُ كَالْبَدْرِ ، يَمَلَأُ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ ، وَيُرِيهِ كَالْبَحْرِ ، يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ الْجَوَاهِرَ وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ السَّحَابَ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَذَا .

فَلِيَطَّلِعَ بِذَلِكَ الْأَفَقَ الَّذِي يَتَرَقَّبُ طَلُوعَهُ رَقَبَةَ أَهْلِةِ الْمَوَاسِمِ ، وَيُسْرِعُ إِلَى تِلْكَ الرَّبِّةِ الَّتِي تَكَادُ تَسْتَطِيعُ انْبَاءَهُ مِنَ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ ، وَيُنَشِّرُهَا قَرَائِدَهُ الَّتِي هِيَ أَحَقُّ

أن تطوى إليها المراحل ، ويقدم بها على الأسماع الظامية لعذب فوائده قدوم الغمام
على الروض الساحل ؛ ويل هذا المنصب الذي هو فيه بين عدل ينشره ، وحق
يظهره ، وباطل يزهقه ، وغالب يرهقه ، ومظلوم يتضره .

وليكن أمر أموال الأيتام المئتم المقدم لديه ، وحديث أوقاف البر من أول وأولى
ما يصرف فكره الجميل إليه ؛ ويتعاهد كشف ذلك بنفسه ، ولا يكتفى في علمه
فعل اليوم باطلاعه عليه بأمره في أمسه ؛ وهو يعلم أن الله يجعله بذلك مشاركا
للوافقين في الأجر المختص بهم والشكر المنسوب إليهم ، خارجا من العهدة في أمر
اليتامى باستعمال الذين يحشون لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ؛ وليقيم
منار الحق على ما يجب وإن سرقوما وساء قوما ، ويقم بالعدل على ما شرع : فإن
« عدل يوم خير للأرض من أن تمطر أربعين يوما » .

وأما ما عدا ذلك من أحوال الحكم وعوائده ، وآداب القضاء وقواعده ، فكل
ذلك من خصائصه يستفاد ، ومن معارفه يستزاد ؛ وملاك ذلك كله تقوى الله
وهي من أظهير حلاه الحسنه ، وأشرف صفاته التي تتداولها الألسنة ؛ فليجعلها
وسيلة تسديده في القول والعمل ، وذخيرة آخرته التي ليس له في غيرها أمل ، ويقلد
العلیٰ فيما حدثته من أسباب ثقته فإن كمال العز في النقل ؛ والله تعالى يمدّه بمواد
تأييده وقد فعل ، ويعمله من أوليائه المتقين وقد جعل ؛ بمنه وكرمه ! ، إن شاء
الله تعالى .

قلت : وعلى ذلك تكتب توابع القضاة الثلاثة الباقين .

ومنها - وكالة بيت المال .

(١) لله « على أمره في أمسه » .



وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهى :

الحمد لله الذى عمّر بيت مال المساميين بسداد وكيّله ، وعموّ تحصيله ومزيده
تمويله ، وتمسكه بالصدق من قبله ، وسلوكه ماتين [من] سبيله ، واعتماده الحق
فى دليله ، ودفعه المضار وجلبه المسار بتحويله .

نحمده على برّه وتفضيله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله تنزه عن
نده ومثيله ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بعثه الله لتمام هذا الدين وتكميله ؛
وأنزل عليه المعجزات فى تنزيله ، وحفظ به الذكر الحكيم من تبديله ، صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه وقبيله ؛ وسلم تسليماً .

وبعد ، فإن بيت المال المعمور هو نظام الإسلام ، وذخر الأمان ، وفيه محصول
المسامين تحت نظر الإمام ، وفيه مادة المجاهدين فى سبيل الله على تطاول الأيام ؛
وإليه تُجَبَّى القناطر المقتطرة من الأموال ، وعنه تصدر المبيعات من الأملاك ما بين
أراض وأبنية ومحال . والويل على ذلك عنا بالملكة الطرابلسية المحروسة هو الذاب
عن حوزته ، القائم بتأمين روعته ، المجتهد فى تمييز رجعتيه ؛ وينبغى أن يكون من
العلماء الأعلام الاثمة ، المعول عليهم فى الأمور المهمة ، البصير بما يترجى به
جانب بيت المال المعمور ويكشف كل عظمه ، العريق فى السيادة التى آقادت إليها
السجايا الجميلة بالأزمه .

ولما كان فلان هو الراقى هضبة [هذه] المائر ، الطالع كوكب مجده السافر ،
المستحق لكل ارتقاء على المنابر ، ويعد سلفاً كريماً نصيراً فى المفانر ، ويمت بيت

بحره زانحاً؛ وله في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه بحثٌ فاق به الأشباهَ
والنظائر، وعنده علمٌ بالمسائل المضروب مثلها السائر - فلذلك رسم
فليأشِر هذه الوظيفة مُحْتَرِزاً في كُلِّ ما يَأْتِيهِ وَيَدْرُهُ، وَيَقْصِدُهُ وَيَحْرَرُهُ، وَيُورِدُهُ
وَيَصْدِرُهُ، وَيَبْدِيهِ وَيَقْدِرُهُ، وَيُخْفِيهِ وَيُظْهِرُهُ، وَيَبْدِيهِ وَيَسْتُرُهُ، وَيَدْنِيهِ وَيُحْضِرُهُ؛
وَيَقْرُرُ جَانِبَ بَيْتِ المَالِ المَعْمُورِ، بما فيه الحِطُّ المَوْفُورُ؛ والغِبطَةُ في كُلِّ الأُمُورِ،
وهو عالمٌ بما فيه صلاحُ الجُمُهورِ؛ ومن رَغِبَ في آتِياعِ أراضِ وَقَرَّاحِ، وَأَيْدِيَةِ
وَأَمْلاكِ وَرِحابِ فِسَاحِ؛ مما هو جَارٍ في مِلْكِ بَيْتِ المَالِ فَلْيُوقِرْ جَانِبَ القِيَمَةِ
عَلَى ما فيه الصَّلاحِ، وهو بِمُحَمَّدِ اللهِ من بَيْتِ الدِّينِ والصَّلاحِ والإِصلاحِ، وهو يُقَوِّى
بِإِسْنادِهِ الأَحاديثَ الصَّحاحِ؛ ومن له حَقٌّ في بَيْتِ المَالِ فَلْيَسْمَعْ دَعْوَى مُدْعِيهِ،
ولا يَصْرِفْ دِرْهَمًا وَلَا شَيْئًا إِلا بِحَقِّ وَاضِحٍ فيما يَثْبِتُهُ فيه، وهو وَكَيْلُ مَأْمُونٍ في تَأْتِيهِ،
وَمَعْنَى الوَكِيلِ الذي يُوكَّلُ إليه الأَمْرُ الذي يَلِيهِ .

والوصايا كثيرةٌ وأجلُّها تَقْوَى اللهُ بِالسَّمْعِ والبَصَرِ واللِّسانِ، فمن تَمَسَّكَ بها من
إِنْسَانٍ فَإِنَّهُ يَفُوزُ بالإِحْسانِ؛ وهو غَنِيُّ عَنِ الوصايا بما فيه مِنَ البَيانِ، واللهُ
يَجْعَلُهُ في كِلَاءَةِ الرَّحْمَنِ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ! . وانحطَّ الشَّريفُ أَعْلَاهُ ، إن
شاء اللهُ تَعَالَى .

قُلْتُ : وقد يُكْتَبُ لوكالَةِ بَيْتِ المَالِ ونحوها بِالإِفْتِتاحِ بِ«أَمَّا بَعْدُ» عَلَى
قَاعِدَةِ أَصْلِ الكِتابَةِ في قِطْعِ الثَلْثِ . والكاتبُ في ذلكِ عَلِيُّ ما يَراهُ بِحَسَبِ ما يَقتَضِيهِ
الحالُ .

المرتبة الثانية

(من توقيع أرباب الوظائف الدينية بطرابلس - من يكتب له
في قطع العادة ، مفتحا بـ «رسم»)

وهذه نسخة توقيع من هذه الرتبة بوظيفة قراءة الحديث النبوي ، على قائله
أفضل الصلاة والسلام ، لمن أسمه « يحيى » يستضاء به في ذلك ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال رَمِيمُ الْفَضْلِ بِأَرْوَاحِ عَنَانِهِ يَحْيَا ، وَأَحَادِيثُ مَنَنْهِ
الْحِسَانِ تَعِيهَا أُذُنٌ وَأَعْيَةٌ مِنْ طَيْبِ السَّمَاعِ لَا تَعْيَا ، وَلَا بَرِحَتْ أَوْلِيَاءُ خِدْمِهِ تُثْنِي
على صدقاته بِالسَّنَةِ الْأَقْلَامِ ، وَتُدِيرُ عَلَى الْأَسْمَاعِ مِنْ رَحِيقِهَا كُثُوسًا مَسْكِيَّةً
الْحَتَامَ - أَنْ يَسْتَقِرَّ فِي كَذَا أَسْتَقْرَارًا تَرِشِفُ الْأَسْمَاعُ ، كُثُوسٌ رَوَايَتُهَا فَلَا تُرْوَى ،
وَرَتَّبَ كِمَالَهُ يَقْضِرُ عَنْ طُلُوعِهَا كُلِّ بَاعِجٍ ، فَمُنَاوَاتُهُ لَا تُتَوَى ؛ وَرُبُوعٌ مَعْرُوفَةٌ لَا تَبِيدُ ،
وَأَيَاتُ صِلَاتِهِ يَنْطِقُ بِتَلَاوتِهَا كُلُّ بَلِغٍ فَبِيدِيٌّ وَيُعِيدُ ؛ لِأَنَّهُ الْعَالِمُ الَّذِي أَحْيَا مِنْ
مَدَارِسِ الْعُلُومِ مَادَّرَسَ ، وَالْفَاضِلُ الَّذِي أَحْيَا بَصَرَ عُلُومِهِ لَيْلَ الْجَهْلِ وَلَا غُرُوبَ :
«فَطَرَةُ الصَّبْحِ تَمْحِي آيَةَ الْغَلَسِ» ؛ وَالكَامِلُ الَّذِي لَا يَسُوبُ كِمَالَهُ نَقِيصَهُ ، وَالْأَمْثَلُ
الَّذِي أَنْتَهُ الْمَعَالَى رَخِيصَهُ ؛ وَالْإِمَامُ الَّذِي تَأْتَمُّ وَرَاءَهُ الْأَفَاضِلُ ، وَتَأَخَّرَ عَصْرُهُ فَنَفَاقُ
الْأَوَائِلِ ؛ مَادَّرَسَ إِلَّا وَجَمَعَ مِنْ فَوَائِدِ «أَبِي حَنِيفَةَ» وَ«أَبْنِ إِدْرِيسَ» ، وَلَا عَرَّسَ
بِأَيْلِ الطَّلَبِ إِلَّا حَمِدَ عِنْدَ إِدْرَاكِ طَلَبِهِ ذَلِكَ التَّعْرِيسَ ؛ وَلَا أَعَادَ الدُّرُوسَ لِلطَّلَبَةِ
إِلَّا وَتَرَشَّحَتْ مِنْهُ بِالْفَوَائِدِ ، وَلَا جَمَعَ مَا فَصَّلَهُ الْعُلَمَاءُ إِلَّا وَأَتَى بِالْجَمْعِ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ
فِي الْقَرَائِدِ .

(١) في الأصل : وقد مرّ وهو محريف واضح .

فليأشِرْ هذه الوظيفة مباشرةً أنوارُ هداها لا تَحْمَدُ ، وليُلازِمها ملازمةً تشكره
 عليها الألسنة وتَحْمَدُ ، وأنت - أدام الله تعالى فوائدهك - لا تحتاج إلى الوصايا إذ
 أنت بها عالم ، وبأسبابها متمسكٌ وبالقيام بها يقظٌ غير نائم ؛ لكن التقوى [أولى]
 بمن عرف الأمور ، وليس سوايغها يُعِدُّ كلَّ محذور ؛ والاعتقاد على الخطِّ
 الشريف أعلاه .

الصنف الثالث

(من الوظائف بطرائس التي يكتب لأربابها من الأبواب السلطانية -
 الوظائف الديوانية ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء ،
 وتشتمل على وظائف)

منها - كتابة السرِّ ، ويعبر عنه في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بـ «صاحب
 ديوان المكاتب» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الأسرار عند الأحرار ، وطوى الصحف على حسنات
 الأبرار ، وأجرى الأفلام ترجماناً للأفكار ، وجعل الحفظة يكتبون الأعمال مع
 تطاول الأعمار ، آناء الليل وأطراف النهار ، وبسط المعاني أرواحاً ، والألفاظ لها
 أشباحاً ، مع التكرار ، وأبجج الصدور بصدور الكتب والإيراد والإصدار .

(١) في القاموس نحدت النار كنصر وسمع .

نحمده على فضله المذرار ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
إقرار ، وعمل بالجوارج بلا إنكار ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المصطفى
من مضر بن نزار ، المخصوص بالمهاجرين والأنصار ، التأوى بأشرف بقعة تزار ،
المشرف كتاب الوحي : فهم يكتبون بما يُمليه عليهم المختار ، وجبريل يُلقي على قلبه
الآيات والأذكار ، عن رب العزة المسبب الأستار ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
ما نفع روض معطار ، وسخ صوب أمطار ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن ملاك الملك الشريف حفظ سره ، والاحتفال بكتبه الشريفة
ولفظها ودرة ، وخطابها ونثره ، وخطها ونشره ، وخطمها وعطره ، وتجهيزها مع الأمان
الثقات الذين تؤمن غائلة أخدمهم في كل أمره ، وما ألقى السر الشريف إلا لأئمة
الأعيان ، وصدر الزمان ، وبلغ كسحبان ، وفصبح كقس في هذا الزمان ، وأصيل
في الأنساب ، وعريق في كرم الأحساب ، وفاضل يعنوه فاضل بيسان ، وينشئ
لفظه الدر والمرجان ، وكاتب السر فلا يفوه بلسان .

ولما كان فلان هو واسطة عقد الأفاضل ، ورأس الرؤساء الأماثل ، وحافظ
السر في السويداء من قلبه ، وناظم الدر في سطور كتبه ، والمورد على مسامعنا
الشريفة من عبارته ألفاظا عذبا ، القائل صوابا ، والمجيد خطابا ، وإذا جهز مهما
شريفًا راعاه بعينه عودا ودهاها ، وإذا استعطف القلوب النافرة عادت الأعداء
أحبابا ، وإذا أردد وأبرق على مازق أغنى عن الجيوش وأبدى عجبًا عجبا ، وإذا
كتب أنبت في القراطيس رياضًا خصبا .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه كذا . فليحل هذا المنصب الشريف
حلول القمر هالته ، وليعد إليه أيام سره وسروره الفاتية ، وليعرب عن أصول تائته ،

وفروغ في منابت الخير نابتة ، ولينفذ المهمات الشريفة أولاً فأولاً من غير أن يعديق
 مهماً بغيره أو يبيته إلى غده ، وليحزر البريد المنصور بيديه غير معتمد فيه على غير
 رشده ، ولا يغيب عن وظيفته طرفه عين بل يكون كالنجم في رصده لمرتبصه ،
 ويؤوص ككاتب الإنشاء لديه ، والمتصرفين بين يديه ، بكم السر فإن ذلك إليه ، فإذا
 أفتى أحد من السر كلمه ، فليزجره وليأمره أن يحفظ لسانه وقلبه ، وليعط كل قضية
 ما تستحقها من تنفيذ كلمه ، والابتداءات والأجوبة فلتكن تغورها بالفاظه متشبهة
 وعقودها بإملائه منظمه ، فأما الابتداء فهو على اقتراحه ، وأما الجواب فهو على
 ما يقتضيه الكتاب الوارد باصطلاحه ، ولا يميل إلا إلى ثقائه ونصاحه ، والكتب
 الملوكية فليوفها مقاصدها ، وليراج عوائدها ، والتقوى فهي الهام [من] أمره ، ويختم
 عطره ، وتسام بذره ، والوصايا فهي كثيرة لديه وفي صدره ، والله تعالى يكفل به
 أوقات عصره ، بمنه وكرمه ! والخط الشريف أعلاه

ومنها - نظر الملكة ، القائمة بها مقام الوزارة .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهي :

الحمد لله مفيض حلال إنعامنا على من أخلص في طاعتنا الشريفة قلبه ولسانه ،
 ومولى فضل آلائنا العظيمة على من أرهف في مصالحها آله عزمه وبنانه ، ومحل
 رتب عليتنا الشريفة بمن أشرق في سماء المعالي بذره وإنسانه ، وأينعت في غصون
 الأمان قطفه وأفاناه .

نحمده حمداً يبلغ [به] أقصى غاية الحمد من تبتسم بجيلى نظره الثغور ، وتعتصم بحميد
 خبره وخبرته الأمور ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُسرق بها

البدور ، ويعتمد عليها في الأيام والدهور ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الهادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، والناسير لواء العدل بسننه الواضح وشرعه القويم ؛ وعلى آله وصحبه الذين آهتدى بهمديهم ذوو البصائر والأبصار ، وآرتدى بأرديتهم المعلمة مقننى الآثار من النظائر ؛ وسلم تسليماً .

وبعد ، فإن أولى من أسندنا إلى نظيره الجميل رتبة عز ما زالت بنو الآمال عليها تحوم ، وعدقنا بتدبيره الجميل منصب سيادة ما برحت الأمانى له تروم ؛ واعتمدنا على هممه العلية فصدق الخبر الخبر ، وركنا إلى حميد رايه فشهد السمع له وأدى النظر .

ولما كان فلان هو الذى رقى في ذروة هذه المعالى ، وانتظم به عقد هذه الآلى ، وحوى بفضيلة البيان واللسان ما لم تدركه المرهفات والعوالى ؛ فما حل ذروة عزه إلا حلاها بنظيره الجميل ، ولا رقى رتبة سيادة إلا وأسفر في ذروتها وجهه صبحه الجميل ، ولا عدق بنظيره كفالة رتبة إلا وكان لها خير كفيل .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال ينتصى للرتب العلية خير منجد ومغير ، ويختار للناصب السنية نعم المولى ونعم النصير - أن يفوض إليه كذا فإنه القوى الأمين ، والمتمسك من تقوى الله تعالى وكفائته بالسبب المتين ، والمستند بجميل كفالتة وحميد ديانتته إلى حصن حصين ، والمستدرى بأصالته الطاهرة وإصابته إلى الجنة الواقية والحرم الأمين .

فليقدم خيرة الله تعالى ويأشركه الجهة المذكورة بعزم لا ينبو ، وهمة لا تحبو ، وتدبير يتضاعف على ممر الأيام ويروبو ، ونظر لا يعزب عن مباشرته مثقال ذرة إلا وهى من خاطره فى قرار مكين ، وضبط لا تمتد إليه يد ملتمس إلا ويجد من مرهفه

ما يُكفِّفَ كَفِّهَا بِالْحَدِّ الْمَتِينِ . وَبِضَاعِيفِ هِمَّتِهِ ، فِي مِصَالِحِ هَذِهِ الْجِهَةِ الَّتِي عَدَقْنَاهَا
نَظْرَهُ السَّعِيدِ ، وَبِوَفْرِ عَزَمَتِهِ ، فَإِنَّ الْخَازِمَ مِنَ الْقِيِّ السَّمْعِ وَهُوَ شَهِيدٌ ، وَالْوَصَايَا
كَثِيرَةٌ وَمِثْلُهُ لَا يُدَلُّ عَلَيْهَا ، وَالتَّنْبِيهَاتُ وَاصِحَّةٌ وَهُوَ - وَفَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَهْدَى مِنْ أَنْ
يُرْشَدَ إِلَيْهَا ؛ وَاللَّهُ يُوَفِّقُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيُصَلِّحُ بِجِبِلِّ تَدْيِيرِهِ وَحَمِيدِ تَأْنِيهِ كُلِّ
خَلَلٍ ، وَالْإِعْتِمَادَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنها - نظر الجيِّش بها :



وهذه نسخة توقيع بها لمن لقبه «شمس الدين» وهي :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطَّلَعَ فِي سَمَاءِ الْمَعَالِي شَمْسًا مُنِيرَةً ، وَأَيْنَعَ غُرُوسَ أَوْلِي الصِّدَارَةِ
بِعَهَادِ نُحْبِ عَوَارِفِهِ الْغَزِيرَةِ ، وَأَبْدَعَ الْإِحْسَانَ إِلَى مَنْ قَدَّمَهُ الْإِخْتِبَارُ وَالْإِخْتِيَارُ
عَلَى بَصِيرَةٍ .

نُحْمَدُهُ عَلَى بَعْمِهِ الَّتِي عَمَّ فَضْلُهَا ، وَمَدَّ عَلَى أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ظِلُّهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُرْفَعُ لَدَيْهِ ، وَتُسَلِّفُ مَا يَجِدُهُ الْمَتَمَسِّكُ
بِهَا يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَنْ بُعِثَ إِلَى الْأُمَّمِ
كَافَّةً ، وَأَكْرَمُ مَنْ غَدَتْ أَمْلَاكُ النَّصْرِ بَابَتِهِ حَافَّةً ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ حَازُوا بِصُحْبَتِهِ الشَّرْفَ ، وَفَازُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ مِنَ الْجَنَانِ بِغُرْفٍ مِنْ
فَوْقِهَا غُرْفٌ .

وبعد ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا عَدَّقَ بِالْأَكْفَاءِ ، وَأَحَقُّ مَا صُرِفَ إِلَيْهِ وَجْهَ الْأَعْتِنَاءِ ،
وَأَجْدَرُ مَا أَوْقَفَ لَهُ طَرْفُ كَافٍ لَا يُلْمُ بِالْإِغْفَاءِ - أَمْرُ الْجِيُوشِ الْمَنْصُورَةِ بِطَرَابُسِ

المحروسة التي لا ينهض بأعباء مصالحتها إلا من عرف بالسداد في قلبه وكمه، وألف منه حسن التصرف فيما يسديه من نزاهته ويظهره من هممه؛ بخبرة مؤكده، وآراء مسنده، ومعرفة أوضاع ترتيبها وأحوالها، وقواعد مقدماتها وأبطالها، وكفاية تفتح رحاب حالها.

ولما كان فلان هو الصدر الملى بوافى الضبط ووافر الأهتمام، والكافي الذي نطقت بكفائته ألسنة الحرصان وأفواه الأقلام، والضابط الذي لا يعجز فهمه عن إحاطة العلم بدوى الآلام.

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال يقدم للراتب، كافيًا مشكورًا، ويرشح للمناصب، صدرًا أصحى بالأمانة مشهورًا - أن يفوض إليه كذا: لأنه الصدر الذي تراحمت ألسنة الثناء عليه، وترادفت بين أيدينا محامدُه ففقرنا العوارف لديه؛ وشكرت عندنا هممه في سداد كل ما يباشره، وذكرت لدينا بالخير سيرته وسرايره.

فليباشر هذه الوظيفة الجليلة متحليًا بين الأنام بعقودها، مُطلعًا شمس نزاهته في فلك سعادتها؛ ناهضًا بأعباء منصبه السعيد، ضابطًا قواعده بكل تحرير تليد؛ متقنًا ديوان الجيوش المنصورة، مُعملاً في ملاحظتها نافذ البصر وحسن البصيرة؛ مُحَرِّرًا أوراق العدة والعدده، باذلاً في ضبط الحلل الأهتمامه وجهده؛ والله تعالى يسعد جدّه، ويحدد سعده؛ والخط الشريف أعلاه... إن شاء الله تعالى.

قلت: وربما كتب مفتتحًا في هذه الرتبة بـ«أما بعد» فإنها أصل ما يكتب في قطع الثلث.

المرتبة الثانية

(من مراتب أرباب الوظائف الديوانية بطرابلس - من يكتب له في قطع

العادة بـ «مجلس القاضي»)

وهو قليل الوقوع . والغالب في ذلك أن يكتب عن نائب السلطنة بها .

وهذه نسخة توقيع من هذه الرتبة بكتابة الدست بطرابلس ، يقاس عليه ما عداه

من ذلك ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال أمره الشريف ، يزيد من بصطفيه شرفاً ، ويره
المنيف ، يفيد من يجتبه تحفاً ، وخيره المطيف ، يجيد لمن يختاره جوداً ، ويسر قلب
من رفعه إلى صدر الدست صعوداً ، فيبونه من جنات العلاء عرفاً - أن يستقر
في كذا : استقراراً تجتبي منه ثمار الخيرات ، وتجلي عليه عروس المسرات ؛ لأنه
الرئيس الذي تمتخر هذه الوظيفة بانتسابها إليه ، وتجميل حللها وألويتها إذا نشرت
عليه ؛ والفاضل الذي ألقته إليه البلاغة زمامها ، والكاامل الذي ملك بيانها ونظامها ؛
والأديب الذي لا يدرك في الآداب ، واللبيب الذي يقصر عنه طول عامة الطلاب ؛
ثم له من كناية حسنة الأساق ، وبلاغة حصل على فضيلها الأنفاق ، وديانة أطلق
فيها لسانه ويده فشكرها الناس على الإطلاق ؛ فهو مستند الرأس ، وأبن من حاز
كل نغار ورأسه ؛ والعلم المشهور علمه ، وصاحب القلم المشكور رقمه ؛ فالمناصب
بارتفاعه إليها مفتخره ، والمراتب بعلائه مستبشره ؛ والأشباع بفضائله مشنفه ،
والأشباع بكلمه مشرفه .

فليباشر هذه الوظيفة ، وليسلك فيها طريق نفسه العفيفة ؛ وليدبج القصص
بأفلامه ، وليبهج التواقيع بما يوقع مبرم فصيح كلامه ؛ وليزين الطروس ، بكتابه ،

وَلْيُنْعِشِ النَّفْسَ ، بِبَلَاغَتِهِ ، وَلِيَجْمَلَ مِنَ الْمُبَاشَرَةِ مَا تُصْبِحُ مِنْهُ مَطَالَعُ شَرَفِهِ
 مُنِيرِهِ ، وَتُحْسِي بِهِ عَيْنُ حُبِّهِ قَرِيرَهُ ، وَالْوَصَايَا فَهِيَ خَطِيبُ مَنَبَرِهَا ، وَلِيَبِّبُ مَوْرِدِهَا
 وَمَصْدَرِهَا ، وَالتَّقْوَى فَيَلْزَمُ فِيهَا شِعَارَهُ ، وَلِيَدَاوِمَ بِهَا عَلِيٌّ مَا يَبْلُغُ بِهِ أَوْطَارَهُ ، وَاللَّهُ
 تَعَالَى يَجْعَلُ سُعُودَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي آزْدِيَادٍ ، وَيَسْهَلُ لَهُ مَا يَرْفَعُ ذِكْرَهُ بَيْنَ الْعِبَادِ ، بِمَنِّهِ
 وَكَرَمِهِ ! . وَالْإِعْتَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(من الوظائف بطرابلس - ما هو خارج عن حاضرتها ،

وهم على ثلاثة أصناف أيضا)

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وقد تقدم أنه ليس بها مقدم ألف سوى نائب السلطنة بها ، وحينئذ فالنابات

بمعاملتها على طبقتين :

الطبقة الأولى

(الطَّبَّخَانَاةُ)

وَمَرَّاسِيهِمْ تُكْتَبُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بِـ«السَّامِي» بِالْيَاءِ ، مَفْتَحَةً بِـ«الْحَمْدُ لِلَّهِ» .

وهذه نسخة مرسوم شريف من ذلك بناية قلعة ، تصلح لنائب الأذقية ،

يُنسج على منوالها ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الحصون الإسلامية في أيامنا الزاهرة ، مصفحة بالصفاح ،
والثغور المصونة في دولتنا القاهرة ، مشرفة بأسننة الرماح ، والمعقل المحروسة مخصوصة
من أوليائنا بمن يعدُّ بأسه لها أوقى الجنين وذبه عنها أقوى السلاح .

نحمده على نعيمه التي عوارفها عميمه ، وطوارفها كالتالدة للزيد مستديمه ، ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنطق الضائر قبل الألسنة بإخلاصها ،
وتشرق القلوب بعموم إحاطتها بها وأختصاصها ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي
أشرفت بنور ملتبه الظلم ، وآرتوت بفور شريعته الأمم ، صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين امتطوا إلى جهاد أعداء الله وأعدائه غارب الهمم ، صلاة سارية
كالرياح هامية كالديم ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى ما عقد عليه في صيانة الحصون الخناصر ، وأعمد على مثله
في كفاية المعقل إذا لم يكن غير تأييد الله وحده السيف ناصر - من هو في حفظ
ما يليه كالصدور التي تصون الأشرار ، والكائم التي تحوط الثمار ، مع اليقظة التي تدود
الطيف أن يلم بجماعة حماه ، والفطنة التي تصد الفكر أن يتخيل فيه ما أشتمل عليه
وحواه ، والأمانة التي ينوي فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعتنا
الشريفة ولكل أمرئ ما نواه .

ولما كان فلان هو السيف الذي تروق تجرِبته ويروع تجريده ، وإذا ورد
في الوغى منهل حرب فشرعه من كل كبي وريده - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نرهب
حده بحفظ أئمتنا الحصون عندنا مكاناً ومكانه ، وأسمى المعقل رفعة وعزة وصيانته .

فرسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه النيابة بقلعة كذا .

فليباشر هذه النبأة السامى قدرها ، الكامل فى أفق الرتب بدرها ، مباشرة تصد
الأفكار ، عن توهيمها ، والأبصار ، عن توشيمها ، والخواطر ، عن تحييل معناها ،
والسرائر ، عن تمثيل صورتها ومعناها .

وليكن لمصالحها متمما ، ولنجوى رجالها متصفحا ، ولأعدار حمايتها مزيحا ،
وللقواطر من أسباب كفايتها مزيحا ، ولمواطنها عامرا ، وبما قل وجل من
مصالحها آمرا ، ولوظائفها مقيما ، وللنظر فى الكبير والصغير من أمورها مديما ،
وخلدتها مضاعفا ، ولكل ما يتعين الاحتفال به من مهماتها واقفا ، وملاك الوصايا
تقوى الله : وهى أول ما يقدمه بين يديه ، وأولى ما ينبغى أن يصرف نظره إليه ،
فليجعل ذلك خلق نفسه ، ومزية يومه على أمسه ، والخير يكون . والخط الشريف
أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية

(العشرات)

ومراسيمهم إن كتبت من الأبواب السلطانية فى قطع الثلث بـ«السامى» بغير
ياء ، مفتوحة بـ«أما بعد» إلا أن الغالب كتابتها عن نائب السلطنة .

وهذه نسخة مرسوم شريف بناية قلعة بلاطنس ، من معاملتها وهى :

أما بعد حمد الله على نعم توالى رفقها ، ووجب شكرها وحمدها ، وعذب لذوى
الآمال وردّها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى رفع به لقرئش مجدها ،
فعلا جدّها ، وعلى آله وصحبه صلاة لا يحصى عددها ولا يحصر حدّها - فإنه لما كان
فلان من قدمت تقادم خدمه ، وتعالى به إلى العلىاء سامى هممه ، وترفع به حسن

ولأنه حتى أعلت الدولة من شأنه ورفعت من علمه ؛ وأستكفته لمصون الحصون ،
وجادت عليه بصوب إحسان روى الأمانى فأصحت نصرة الغصون ؛ وكانت قلعة
فلانة هي القلعة التي شمتت بأنفها على القلاع علواً ، وسامت الجوزاء سموها ؛ فوجب
أن لا يستحفظ عليها وفيها ، إلا من عرف بحسن المحافظة وتوفيقها ؛ وكان المشار
إليه هو عين هذه الأوصاف ، والوارد من حُسن الطاعة المورد الصاف - أقتضى
حسن الرأي الشريف أن تنوّه بذكره ، وترفع من قدره .

ولذلك رسم ... - لا زال ... أن تفوض إليه النيابة بهذه القلعة المحروسة ،
وأن تكون بأوائس صفاته مأنوسه .

فليكن فيما أستحفظ كفواً ، وليورد الرعية من حُسن السيرة صفواً ، وإذا
تعارض حكم الانتقام وكان الذنب دون الحد فليقدم عفواً . وعليه بالعدل ، فإنه
زمام الفصل ؛ والقلعة ورجالها ، وذخايرها وأموالها ، فليمنع النظر في ذلك بكرة
وأصيلاً ، وإجمالاً وتفصيلاً ، وتخصيلاً وتخصيلاً . وعليه بالتمسك بالشريعة المطهرة ،
وأحكامها المحررة ؛ وليردع أهل الفساد ، ويقابل من ظهر منه العناد ، بما يؤمن
المنهج ، ويحدد المباحج ؛ والوصايا كثيرة ، فليكن مما ذكر على بصيره ؛ أعانه الله على
ما أولاه ، ورعاه فيما استرعاه ؛ والخط الشريف أعلاه ، حجة بتمتضاه ؛ والخير يكون
إن شاء الله تعالى .

الصنف الثاني

(مما هو خارج عن حاضرة طرابؤس - الوظائف الدينية ،)

والغالب كتابتها عن نائب السلطنة بطرابؤس . فإن كتب شيء منها عن الأبواب
السلطانية ، كان في قطع العادة «بمجلس القاضي» مفتتحاً بـ «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك بنظر وقف على جامع بمعاملة طرابلس، كتب به لمن لقبه «زين الدين» وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال كريم نظره يستنيب عنه بمصالح بيوت الله تعالى من ترداد بنظره شرفاً وزينا، ويعين لها من الأعيان من شربه خاطراً وتقر به عينا، ويمتحها من إذا باراه مبار وجد بينهما بونا وبيننا، ويقتر لها كل كاف إذا فاه راء بوصف آرائه المموجة عين صوابها ولا يجد عليها عينا - أن يستقر بالنظر على كذا : استقراراً يرى الوقف بنظره على ربه طلاوه، ويجد مباشرة في صحته خلاوه، ويعرب عن استمراره على حسن الثناء، ويجد من نيل ربه أكل وفاء، لأنه الناظر الذي لا يمل إنسانه، من حسن النظر، ولا يكمل لسانه، عن الأمر بالمصالح ولفظه عن إلقاء الدرر، والشريف الذي وجدت محال شرفه من فضل خالاه، والحواد الحائر بجوده قصب السبق على أمثاله، والكامل الذي لا توجد في صفاته تقيصه، والفاضل الذي أنته الفضائل على رعمها رخصه .

فليباشر هذا النظر مباشرة ما تكحل ناظره فيها بالوسن، وليقابلها من جميل سلوكه بكل وجه حسن، وليبدأ أوقاف الجامع المذكور بالعمارة، وليقطع بمديّة أمانته يد من يشن على ماله الغاره، وليأمر أرباب وظائفه باللزوم، وليخصص كلاً منهم من فضله بالعموم، وليتق الله تعالى في القول والعمل، وليجتهد على أن لا يتخلل مباشرته الخلل، والاعتاد على الخط الشريف أعلاه

الصنف الثالث

(مما هو خارج عن حاضرة طرابُلُس - أرباب الوظائف الديوانية)

وقل أن يُكتب فيها شيء عن الأبواب الشريفة السلطانية، وإنَّ الغالب كتابه ما يكتب فيها من نائب السلطنة بطرابُلُس . فإن اتفق كتابه شيء من ذلك عن الأبواب السلطانية ، مَشَى الكَاتِب فيه على تَهَج ما تقدم في الوظائف الدينية : من كتابته في قطع العادة بـ «مجلس القاضي» مفتاحاً بـ «رسم» لا يختلف الحال منه في ذلك إلا في الفرق بين التعلقات الدينية والديوانية . والكاتب الماهر يصرف قلمه في ذلك وفي كل ما يحدث من غيره على وفق ما تقتضيه الحال ، وبالله المستعان .

النيابة الرابعة

(نيابة حماة . ووظائفها التي تُكتب بها من الأبواب السلطانية ،

ما بحاضرتها خاصة ، وهي على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وليس بها منهم إلا نائب السلطنة خاصة . ويكتب له تقليد في قطع الثلثين بـ «الجناب العالي» مع الدعاء بمضاعفة النعمة .

وهذه نسخة تقليد بِنَايَة حماة :

الحمد لله ذي التَّذِيرِ اللَّطِيفِ ، وَالْعَوْنِ الْمُطِيفِ ، وَالْحَيَاةِ الَّتِي تَسْتَوْعِبُ كُلَّ تَصْرِيفٍ وَكُلَّ تَكْلِيفٍ .

نحمدُه بحمادٍ جميلةٍ التَّفْوِيفِ ، حَسَنَةِ التَّأْلِيفِ ، مُكَلِّمَةِ التَّكْوِيفِ ، بَرِيَّةٍ مِنْ
التَّطْفِيفِ ، حَرِيَّةٍ بِكُلِّ شُكْرِ مُنِيفِ ، وَذِكْرِ شَرِيفِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً خَلَصَ تَحْرِيرُهَا عَنْ كُلِّ تَحْرِيفِ ، وَتَزَّهَّ مَقَالُهَا عَنْ تَسْوِيدِ
تَفْنِيدِ أَوْ تَسْوِيفِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَاحِبُ الدِّينِ الْحَنِيفِ ،
وَالْمَبْعُوثِ بِالرَّحْمَةِ وَالتَّخْفِيفِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً مُتَنَاوِبَةً تَتَأَوَّبُ
الصَّرِيرَ وَالصَّرِيفَ ، وَالشَّتَاءَ وَالْمَصِيفَ ، وَسَلَّمَتْ سَلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ شِيمِ الدَّوَلَةِ وَبِحَايَاهَا ، وَأَحْكَامِهَا وَقَضَايَاهَا ، تَقْدِيمَ الْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ ،
وَتَحْتِمَ الْأَهَمِّ مِنَ الرَّأْيِ وَتَحْكِيمَ التَّدْيِيرِ الْأَهَمِّ ، وَفِعْلَ كُلِّ مَا يَحُوطُ الْمَالِكُ وَيَحْفَظُهَا ،
وَيُدْرِكِي الْعْيُونَ مَلَا حَظَّهَا وَيُوقِظُهَا : لِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ مِنْ حُقُوقِهَا ، وَحَظَّرَهُ مِنْ
عُقُوبِهَا ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِاخْتِيَارِ الْأَوْلِيَاءِ لَضَبْطِهَا ، وَالتَّعْوِيلِ عَلَى الْأَمْلِيَاءِ بِالْقِيَامِ
بشَرِطِهَا ، وَالْإِسْتِنَادِ مِنَ الرَّعْمَاءِ إِلَى مَنْ يُوقَى مِنْ الْخِرَاجَةِ وَالْعِيُونَ وَآفِي قِسْطِهَا .

وَلَمَّا كَانَتِ الْمَمْلَكَةُ الْحَمَوِيَّةُ جَدِيرَةً بِالْإِكْتِفَاتِ ، حَقِيقَةً بِالْحَيَاطَةِ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ ،
مُسْتَدْعِيَةً مِنْ جَمِيلِ النَّظَرِ كُلِّ مَا يَحْرُسُ رَبْعَهَا ، وَيُدِيمُ نَفْعَهَا ، وَيُحْفَلُ ضَرَعَهَا ،
وَيَلْمُ شَعْنَهَا وَيَسْعَبُ صَدْعَهَا ، وَيَسْرُ سَمْعَهَا ، وَيُفْعِمُ شِرْعَهَا ، وَيُعْظَمُ شِرْعَهَا ،
وَيَكْتَنِفُهَا أَكْتِنَافُ السُّورِ وَالسَّوَارِ ، وَالْمَهَالَةِ لِلبَدْرِ وَالْأَكْحَامِ لِلثَّامِرِ ، وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ
الْمُنْقَشَعُ بِحَابِ هَذَا الْوَصْفِ عَنْ بَدْرِهِ الْمُنِيرِ ، وَالْمُنْقَلَعُ ضَبَابُ هَذَا التَّفْوِيفِ عَنْ نُورِ
تَمْسِيهِ الْمُتَعَشَّةِ قُوَى كُلِّ نَبْتِ نَضِيرٍ ، وَالَّذِي بِأَهْلِيَّتِهِ لُرْتَبَةِ هَذَا التَّفْوِيفِ مَا خَابَ
الْمُسْتَحِيرُ ، وَلَا نَدِمَ الْمُسْتَشِيرُ ، وَالَّذِي يُفْرِدُهُ آسْتِحْقَاقُهُ بِهَذِهِ الرُّتْبَةِ فَلَا يَقُولُ أَحَدٌ مِنْ
كَبِيرٍ وَلَا صَغِيرٍ أَمْتِنَا لِلرَّاسِمِ الشَّرِيفَةِ فِي حَقِّهِ : « مَنَا أَمِيرٌ وَمَنْكُمُ أَمِيرٌ » - أَقْتَضَى

(١) في القاموس "رجل خراج ولاج كثير الظرف والاحتبال" ولعله المراد هنا .

جميل الرأي المنيف ، أن خرج الأمر الشريف - لا برح يُحسِن التَّعْوِيل ، ويَهْدِي إلى سواء السبيل ، ويمضى مضاء القضاء المنزَّل والسيف الصَّقِيل - أن تقوِّض إليه نيابة السلطنة المعظمة في مملكة كذا وكذا .

فليقدِّم خيرة الله قائلاً وفاعلاً ، ومُقيماً وراحلاً ، ومُوجِّهاً ومواجهاً ومُسَجِّلاً وساجلاً ، وعالمياً وعاملاً ، ومعتمداً على الله في أمره كله . وليكن من هذه المعرفة قريباً ، وعلى كلِّ شيءٍ حتَّى على نفسه رقيباً ، وإذا أتقَى الله كفاه الله الناس ، وإن أتقى الناس لم يُغنوا عنه من الله شيئاً فليقس على هذا القياس ، ويقتبس هذا الاقتباس .

وأما الوصايا فالعساكر المنصورة هم غلب الظفر وظفره ، وبهم يُكشَف من كل عدو سره ، ويُنحَى وطنه ووكزه ، ويضربُ زيده وعمره ، ويبددُ جمعه ، ويُساء صنعه ، ويعمى بصره ويصمُّ سمعه ، وهم أسوارُ تجاه الأسوار ، وأمواجٌ تندفع وتندفق أعظم من أندفاق البحار ، وما منهم إلا من هو عندنا لمن المصطفيين الأخيار ، فأحسِن استجلابَ خواطِرهم ، واستجلابَ بواطنهم وسرائرهم ، واستجلابَ الشائع من طاعتهم في مواردِهم ومصادرِهم ؛ وكن عليهم شفوفاً ، وبهم في غير الطاعة والاستعباد رفوفاً ، وأوجب لهم بالجهاد والاجتهاد حقوقاً ، وأصرف لهم حملاً لأعباء المهام والمهمات مطبقاً ، واستشِرْ منهم ذوى الرأي المصيب ، ومن أحسن التجريب ، ومن تتحقَّق منه النصح من الكهول والشيب ، ممن كلال بغيره منه ما شبَّ فإنَّ المرءَ كثيرُ بأخيه ، وإذا اجتمعت غصونٌ في يدٍ أيد عست^(٢) على قصفه وقصف كلِّ واحدة فواحدة لا يعيه .

(١) في الأصل "السامع مع من" الخ وهو تحريف كما لا يخفى .

(٢) في اللسان "عسى الفصيب يس" . وهو مناسب للقام .

والجهادُ فهو ملائِكُ كُلِّ اسْتِحْوَاءٍ وَاسْتِحْوَادٍ ، وبه يُمَيِّزُ أفعال الكُفَّارِ بالنَّفادِ
وأفعالُ الدِّينِ الحَنِيفِ بالنَّفادِ ؛ وما جعل اللهُ للدِّينِ عَيْنَ عَن دِينِ اللهِ سِوَاهُ ، ولا مُزَجِي
صَوْبِ صَوَابٍ إِلَّا بِإِثَابِهِ ؛ وعلى ذلك جعل اللهُ أَرْزاقَهُمْ ، وهَيَّا لَهُمْ بِهِ إِرْفاقَهُمْ ؛
فليُكْرِمْهُمْ بِأَخْذِ الأُتْبَةِ ، في الأَعْتلاءِ والأَنْصِيابِ في كُلِّ هَضْبَةٍ ، والأَسْتعدادِ رِباطِ
الْحَيْلِ وَكُلِّ قُوَّةٍ .

ومن الوصايا التي ينبغي أنها ترسم في جبهات الفكر [دون توائن] أور كون أن
لا يستحقِر عدواً ، ولا يستهزئ بقلته لا رواحاً ولا غُدواً ، وليكن للاستظهار مستوعباً ،
ولإعمال المكاييد مستوثباً ، وللكشف بعد الكشف مستصحباً ؛ وغير ذلك من
الأُمُور ، التي بها صلاحُ الجُمُهورِ .

والشَّرعُ الشَّريفُ وتنفيذُ أحكامِهِ ، وتقويةُ أيدي حُكَّامِهِ ؛ فهو ميزانُ الإسلامِ
والسَّلامِ ، وقوامُ الصَّلاحِ والأسْتقامِ ، وأخوه المُرتَضِعُ من تَدْيِ الحَقِّ ، العَيْدُ
الذي كم شاق وكثيراً ما دلى أهل الباطل شق ؛ وعمَّ القريبَ والبعيدَ ، والسَّائقِ
والشَّهيدِ ، والمُريدِ والمريدِ ، وكلَّ ذِي ضَعْفٍ مُبِيدٍ ، وكلَّ ذِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ، وكلَّ
مُسْتَشِيرٍ وَمُسْتَرِيدٍ ؛ فإنَّ ذلك إذا شَمِلَ حاط ، وتمَّ به الأرتيادُ والأرتباطُ ، وهَدَى
إلى أقومِ صِراطٍ .

والحدودُ فهي حياةُ النَمُوسِ ، وبها تُزَالُ البُوسُ ، فأقْبَهُها ما لم تُدْرَأْ بالشُّبُهاتِ
الشَّرْعِيَّةِ ، والأُمُورِ المَرْعِيَّةِ .

والأموالُ فهي مَجَلِبَةُ الرِّجالِ ، ومَحَلَّةُ الأَمالِ ؛ وبها يُسَدُّ الأُزُرُ ، وَيَقْوَى
الأسْتِظْهَارُ [و] الظُّهْرُ ، فيُسَدُّ من الذين أمرها بهم معدوق ، ويُقَرَّى أيديهم بكلِّ
طريقٍ في كُلِّ طُرُوقٍ ، بحيث لا يُؤخَذُ إلا الحقُّ ولا يتركُ شَيْءٌ من الحقوقِ .

(١) في الأصل "والاجتهاد" وهو غلط .

والرعية فهم عند والي الأمر ودائع : ينبغي أنها تكون محفوظة ، وبعين الاعتناء
مأخوطة ، فأحسن جوارهم ، وأزل نفارهم ، وأكف عنهم مضارهم ، ولا تعاملهم
إلا بما لا تسأل عنه غذا بين يدي ربك فإنه يراك حين تقوم ، وأعد جواً لذلك
فكل راج مسؤل .

وأما غير ذلك فلا بد أن تطلعك المباشرة على خفايا تغنيك عن المؤامره ، وستتوالى
إليك الأجوبة عند المسافرة في المكاتب الواردة والصادرة ، والله يوفقك في كل
منهج تسلكه وتقتفيه ، ويسددك فيما من ذلك تنتجيه .

قلت : أما سائر أرباب الوظائف بها : كشدّ الدواوين ، وشدّ مراكر البريد
وغيرهما ، فقد جرت العادة أن النائب يستقل بتوليتهما . فإن قدر كتابة شيء من ذلك
لأحد بها ، كتب لمن يكون طبليخاناه في قطع النصف بـ « السامى » بغيرياء ، ولن
يكون عشرة في قطع الثلث بـ « مجلس الأمير » كما في غيرها .

الصنف الثاني

(أرباب الوظائف الدينية ، وهم على مرتبتين)

المرتبة الأولى — من يكتب له في قطع الثلث بـ « السامى بالياء » . وهم قضاة
القضاة الأربعة .

المرتبة الثانية — من يكتب له في قطع العادة : إما في المنصوري ، مفتتحاً
بـ « أما بعد » وإما في الصغير مفتتحاً بـ « رسم » . وعلى ذلك تكتب توابع قضاة
العسكر بها ، ومفتي دار العدل ، والمحاسب ، ووكيل بيت المال ، ووظائف

التدريس والتصدير، ونظر^(١) إن كتب شيء من ذلك عن الأبواب السلطانية،
وإلا فالغالب كتابة ذلك عن النائب بها^(٢).

النيابة الخامسة

(نيابة صَفَد)

قد تقدم في الكلام على المكاتب أنها في رتبة نيابة طرابُلُس وحمّة في المكتبة،
وأنها تُذكر بعد حمّة في المطلقات .

وظائفها التي تولّى من الأبواب السلطانية على ثلاثة أصناف .

الصف الأول

(أرباب السيوف ، وفيه وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(نيابة السلطنة بها ، ويكتب تقليده في قطع الثلثين)

وهذه نسخة تقليد بنيابة السلطنة بصَفَد ، كُتِبَ به لسيف الدين «قطلقتمش»
السلحدار الناصري ، في سابع رمضان سنة عشر وسبعائة ، من إنشاء الشيخ
شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله الذي صان الثغور المحروسة من أوليائنا بسيف لا تنبؤ مضاربه ، وخص
أسنى الممالك المصونة من أصفياينا بعصب لا يقل غرّبه محاربه ، وقدم على زعامة

(١) بياض بالأصل ولعله الأجراس .

(٢) ترك الكلام على الصف الثالث وهم أرباب الوظائف الديوانية كما يؤخذ من نظائره الساجدة واللاحقة .

الجيوش من خواصنا لينا يسكنُ إليه كلُّ أسدٍ من أسدٍ ذائِلَةٌ تُغَالِبُهُ ، حَافِظَ نِطَاقِ
 الْبَحْرِ مِنْ أَبْطَالِ دَوْلَتِنَا بِكُلِّ كَيْمِيٍّ تَصُدُّ الْبَحْرَ مَهَابَتُهُ أَنْ يَسْتَقْتَلَ بِرَاكِبِهِ أَوْ تَسْتَقِرَّ
 عَلَى ظَهْرِهِ مَرَاكِبُهُ ، وَنَاشِرِ لَوَائِ عَدْلِنَا فِي أَقَالِيمِنَا بِمَا يُعْنَى كُلُّ قَطْرٍ [عَنْ] أَنْ
 تَدْفُقَ جَدَاوِلُهُ أَوْ تَسْتَهْلَّ بِهِ سَحَابَتُهُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمَةِ الَّتِي جَعَلَتْ سَيْفَ الْجِهَادِ رَائِدَ أَمْرِنَا ، وَقَائِدَ جِيُوشِنَا إِلَى
 مَوَاقِفِ النَّصْرِ وَعَسَاكِرِنَا ، وَذَائِدَ أَعْدَاءِ الْمَلَّةِ عَنْ أَطْرَافِ مَمَالِكِنَا الَّتِي أُسْبِقُ إِلَيْهَا مِنْ
 رَجْعِ النَّفْسِ فِي الدُّجَى نَالِقُ نَجُومِ ذَوَابِلِنَا ، وَفِي الضُّحَى تَبْلُجُ غُرُورِ صَوَارِمِنَا ؛ وَنَشْهَدُ
 أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَسْتَظِلُّ الْإِيمَانُ ، تَحْتَ لَوَائِنِهَا ، وَتَعْبَقُ
 الْأَكْوَانُ ، بِمَا تَنْطِقُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ مِنْ أَرْوَائِنَا ، وَيُشْرِقُ الْوُجُودُ بِمَا يَسْأَلُ عَلَى
 الْوُجُوهِ مِنْ رُؤَائِنَا ، وَتُجَادِلُ أَعْدَاءَهَا فِي الْآفَاقِ لِرَفْعِ تَلْبَسَةِ مِلَّتِهَا عَلَى الْمَلَلِ وَإِعْلَانِهَا ؛
 وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَشْرَفَ حَمَلَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمَخْصُوصِينَ بِأَسْنَى مَرَاتِبِ الْأَجْتِبَاءِ ، صَلَاةً دَائِمَةً بِدَوَامِ الْأَرْضِ
 وَالسَّمَاءِ ؛ وَسَلَامًا تَسْلِيًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ فُوضَتْ إِلَيْهِ زَعَامَةُ الْجِيُوشِ بِأَسْنَى الْمَمَالِكِ ، وَعُدِقَ بِهِ
 مِنْ تَقَدُّمِ الْعَسَاكِرِ مَا يُرْجَفُ بِمَهَابَتِهِ هُنَاكَ أَرْضَ الْعَدُوِّ هُنَاكَ ؛ وَعُقِدَ بِهِ لِلرَّعَايَا لَوَاءُ
 عَدْلِ تَجَلَّى بِإِشْرَاقِ لَيْلِ الظُّلْمِ الْحَالِكِ ، وَعُوقِلَ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيلِ السَّيْرَةِ فِيمَا تَعَمَّرَ بِهِ الْبِلَادُ
 وَتَأَمَّرَ بِهِنَّ الرِّعَايَا وَتَطْمَئِنُّ بِهِنَّ الْمَسَالِكُ - مِنْ لَمْ يَزَلْ فِي خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ سَيْفًا
 تَرَهَّبَ الْعِدَا حُدَّهُ ، وَيَخَافُ أَهْلَ الْكُفْرِ فَتَكَاتِهِ تَحَقُّقًا أَنْ آجَاهِمُ عِنْدَهُ ، وَيَتَوَقَّعُ
 كُلُّ كَيْمِيٍّ مِنْ عِظَمَاءِ الشَّرِكِ أَنْ رَأْسَهُ سَيَكُونُ غَمْدَهُ ؛ مَعَ سِيَاسَةِ تَشْتَمَلُ عَلَى الرِّعَايَا

(١) ذائِلَةٌ طَوِيلَةٌ الذَّيْلَةُ .

(٢) حَقُّ التَّرْكِيبِ «وَحَفِظَ عَطْفًا عَلَى صَانٍ» ... وَنَشْرَ لَوَاءٍ .

ظلالها الممتدة، وسيرة تضع الأشياء مواضعها فلا تضع الحدة موضع اللين ولا اللين موضع الحدة؛ وتوفّر على عمارة البلاد يعين على ربيها طلل الأنواء والوابل، وبراءة تجعل ما يودع فيها بالبركة والنماء: (كمثل حية أنبتت سبع سنابل).

ولما كان الجناح العالى هو السيف الذى على عاتق الدولة نجاده، والليث الذى لم يزل فى سبيل الله إغارته وإنجاده؛ والغيث الذى يخصب بمعدناته البلد الساحل، والأسد الذى تصد ساكنى البحر مهايته فيحققون أن العطب لا السلامة فى الساحل - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نزيد حدّ عزمه إرهابا، وأن تُرهب العدا بآسه الذى يردّ أحاد ما تقدم عليه من الجيوش آلافا، وأن تُفوض إليه من أمور رعايانا ما اذا أسند إليه يؤسّمهم عدلا وإنصافا.

فلذلك رسم بالأمر الشريف: أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بصفد المحروسة: تفويضا يعلى قدره، ويمضى فى عموم مصالحها وخصوصها نهيها وأمرها، ويُرهب فى حفظ سواحلها وموانئها بيضه وشممه، ويضلي مجاورها من ساكنى الماء من بآسه المتوقد بجمره.

فلتلق هذه النعمة بباع شكره المديد، ويترق هذه المرتبة بمزية أعتارمه التى ليس عليها فيما يعدق به من مصالح الإسلام مزيد؛ وينشربها من عموم معدناته مالا يخص دون قوم قوما، ويعمر بلادها بالعدل: فإن «عدل يوم واحد خير للرض من أن تُمطر أربعين يوما»؛ ويسط فيها من مهايته ما يكف أكف البغاة أن تمتد، ويمنع رضاء أهوية أهلها أن تستد؛ ويؤمن المسالك أن تخاف، والرعايا أن يجار عليهم أو يخاف؛ وليكن من فى تقدمته من الجيوش المنصورة مكلى العدد والعدد،

(١) فى الأصل "رعايا أسند إليه ما" الخ وهو خلط من النسخ.

ظَاهِرِي الْأَمِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْمَجَالِدَةِ وَعَوْنُ الْجَلْدِ ؛ مُزَاحِي الْأَعْدَارِ فِيمَا يُرْسَمُ لَهُمْ بِهِ مِنْ
الرُّكُوبِ ، مُزَالِي الْعَوَائِقِ فِي النَّهْبِ لِمَا هُمْ بِصَدَدِهِ مِنَ الْوُثُوبِ ؛ حَافِظِي مَرَاكِرِهِمْ
حَفِظَ الْعِيُونَ بِأَهْدَائِمَا ، آخِذِي أَخْبَارَ مَا يَشْغَلُ الْبَحْرَ مِنْ قِطْعِ الْعِدَا فِي حَالِ بُعْدِهَا
كحَالِ اقْتِرَابِهَا ؛ بِحَيْثُ لَا يُشِيرُفُ عَلَى الْبَرِّ مِنْ قِطْعِ الْمَخْذُولِينَ إِلَّا أُسِيرُ أَوْ كَسِيرُ
أَوْ مَنْ إِذَا رَجَعَ بَصْرَهُ إِلَى السَّوَاوِحِلِ يَتَقَلَّبُ إِلَيْهِ الْبَصْرُ حَاسِتًا وَهُوَ حَسِيرٌ ؛ وَلِيَكُنَّ
أَهْلُ الْجِبَالِ بِمَهَابَتِهِ كَأَنَّ [هَلْ أَلَسَّهَلُ فِي حُسْنِ أَنْقِيَادِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ ، وَيَصَدَّ عَنْهُمْ
بَسْطُوته بِجَمَالِ الْأَوْهَامِ الْمُتَّصِلَةِ فَلَا تَتَصَرَّفُ إِلَى غَيْرِ مُجَاوِرِيهِمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَوَاقِعُ بِأَسْمِهِمْ
وَتَجَاعَتِهِمْ ؛ وَمِلَاكُ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ : وَهِيَ مِنْ أَحْصَى أَوْصَافِهِ ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ وَهُمَا مِنْ نَتَائِجِ إِنْصَافِهِ ؛ فَلْيَجْعَلْهُمَا عِمْدَتِي حُكْمَهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَاللَّهُ
تَعَالَى يَجْعَلُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ فَعَلَ ؛ وَالْإِعْتَادُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الثانية

(نِيَابَةُ قَلْعَةِ صَفَد)

وهذه نسخة مرسومة شريف نياية قلعة صفد المحروسة ، من إنشاء المقر الشهابي
أبن فضل الله ، كُتِبَ بِهِ لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ «أَزَاقِ النَّاصِرِي» خَامِسَ الْحَرَمِ سَنَةِ
أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّ الْحِصُونَ بِرِفْعَةٍ دُرَاهَا ، وَثَمَعَةٍ مِنْ فِيهَا مِنْ رِجَالِ تَحْمِي
إِهَا ؛ وَتَحَطَّفُ أَبْصَارَ السُّيُوفِ بِسَنَاهَا ، وَتُصِيبُ بِرَمِيهَا حَتَّى قَوْسٌ قُرَّحَ إِذَا رَامَاهَا .
نَحْمَدُهُ حَمْدًا تَبَرُّزُ بِهِ الْمَعَاوِلُ فِي حِلَالِهَا ، وَتَفْخَرُ بِهِ عَقَائِلُ الْقِلَاعِ عَلَى سَوَاهَا ؛
وَتَشْرَفُ بِهِ شُرَفَاتُهَا حَتَّى تَجْرَى الْمَجْرَةُ فِي رُبَاهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَطِيبُ جَنَاهَا ، وَيَطْنِبُ فِي السَّمَاءِ مَرْتَقَاهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا

مجداً عبده ورسوله الذي كتب به للأمة هداها ، وكبت عداها ، وبوأها مقاعداً
للقنات تقصر دونهما النجوم في سراها ؛ صلى الله عليه على آله وصحبه صلاة لا ينقطع
عنهم قرأها ، وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن صدقت صفت ، ووفت ووفت ، وكفت وكفت ، وجاورت البحر
فما غمضت عنه لدايديها عيون ، ولا خيطة لسيوفها بالكرى جفون ؛ ولا وئت
لرماحها عزائم شابت بممها ، ولا آنتشت من السهام نيال تفيض ديمها ؛ ولا أطالت
بجانيقها السكوت إلا لتهدر شقاشقها ، وتهد بها من الجبال شواحقها ؛ وتمول العدا
بما تريهم من التهويل ، وترمي به من كفاتها الحجارة من سجيل .

وهي القلعة التي يضرب المثل بحصانتها ، وبطمين [أهل] الإسلام في إبداع
أموالهم وأهلهم إلى أمانتها ؛ قد أطلت على الكواكب نزولا ، وجردت على منطقة
بروجها من البروق نصولا ؛ وأتعبت الرياح لما حلفت إليها ، وأخانت الهلال حتى
وقف رقيباً عليها ؛ وفيها من جنودنا المؤيدة من يزيدهم بها مددا ، وتطيب قلوبهم
إذا خرجوا لجهاد أعداء الله وخلوا لهم فيها مالا وولدا . وكانت النيابة بهذه القلعة
المحروسة قد كادت تنطق بشكواها ، وتنظم ممن أساء صحتها لما تولأها ؛ وأقنضت
أراؤنا العالية أن تزعج ظلامه ، عن صباحها ، ونقوص خيامه ، عما فرش على الفلك
الشاهقة من بطاحها ؛ وفكرنا فيمن له بالقلاع المحروسة دربة لا يخفى عليه بها سلوك ،
ولا يخاف معه على هذه الدرزة الثينة في سلوك ؛ ممن حمد في دولتنا الشريفة مساء
صباح ، ومن كان في أبوابنا العالية هو الفتاح ؛ ومن له همة بتأط بالثريا مطالها ،
وعزيمة ما ألقضاء إلا قواضيبها ، ومعرفة ما الرشح المثقف إلا تجارها ، وكفاية ما الغر
الزواهر إذا عدت إلا مناقبها .

وكان المجلس السامى - أدام الله عزّه - هو المحقق إلى هذه المرتبة، والمحقق بالأصيل أزديتها المذهب، والمحقق في صفاته الورع، والمنزه عن تدنيس طباعه بالطمع، وله في الأمانة اليد المشكورة، وفي الصيانة ما يمتنع به ذبول السحاب المجروره، ومن التقوى ما قرب عليه المطالب الباطية، ومن الفروسية ما اتخذ كل ذروة صهوة وكل جبل مطية، ومن الاستحقاق ما يسهل له من صدقاتنا الشريفة صفد: وفي اللغة أن الصفد هو العطيّة.

فرسم بالأمر الشريف - شرفه الله وعظمه، وأحكه وحكمه - أن يرتب في النيابة بقلعة صفد المحروسة: على عادة من تقدم وقاعدته في التقرير، وأما كيف يكون اعتماد، فسُنشدته منه بصبح منير.

فقدم تقوى الله في سرك ونجواك، وأقصر على القناعة رجواك^(١)، وأحفظ هذه القلعة من طوايق الليل والنهار، وأعد من قبلك للقتال في قرى محصنة أو من وراء جدار، وأملأ سماءك حرماً شديداً، وشهباً وكثر رجالتها لتبارى بهم النجوم في أمثالها من بروج السماء عديداً، وخذ إلى طاعتنا الشريفة بقلوبهم وهم على ذلك ولكنا نريد أن نزيدهم توكيدا، وتألفهم على موالاتنا حتى لا نجد أنت ولاهم إلى المزيد مزيدا، وتفقد الذخائر والآلات، وتيقظ لما تلجئ إليه الضائقة في أوسع الأوقات، وحصن مبانيها، وحصل فيها من الذخائر فوق ما يكفيها، ومن السلاح ما هو أمتع من أسوارها، وأنفع في أوقات الحاجة مما تكثره الخزان من درهمها ودينارها، من مجانبق كالعقارب شائلة أذنانها، دافعة في صدر الخطب إذا نابها، ترمي بشرر كالقصر، وتنزل من السماء آيات النصر، ومن قيسى: منها ما تدافع بالأرجل مرامي

(١) مراده واقصر رجاءك على القناعة ولكن اضطره السجع فاستعمل مصدرا للرجاء ليس فيما بأيدينا من كتب اللغة فتنبه.

سهامه ، ومنها ما تدور بالأيدى كأس حمامه ؛ ومنها ما يسكت إذا أطلق حتى لا يسمع كلامه ، ومنها ما يترتم إذا غنى بالحمام صوت حمامه ؛ و [من] سائر يستر بها وجهها المصون ، ومناثر يشاهد منها أقرب من يكون أبعد ما يكون ؛ ورهجة تجلى بها في كل ليلة عروسها المنعمه ، ودراجة تحاط بهم من جهاتها الست وحدودها الأربعة ؛ وأقرب نوب الحمام الرسائل فيها تسقط علينا وعليك الأخبار ، ويطوى المدى البعيد في أول ساعة من نهار ؛ وأفتح الباب وأغلقه بشمس ، وأحترز على ما أشتمت عليه من مال ونفس ؛ وبقية الوصايا أنت بها أمس ، والله تعالى يزيل عنك اللبس ؛ والاعتقاد

الصنف الثاني

(أرباب الوظائف الديوانية)

والذين يكتب لهم من الأبواب السلطانية صاحب ديوان الرسائل ، وناظر المال ، وناظر الجيش ، ووكيل بيت المال . وما عدا ذلك فإنه يكتب عن نائبها ، وربما كتب عن الأبواب السلطانية .

الصنف الثالث

([أرباب] الوظائف الدينية ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى : ما يكتب في قطع الثالث بـ «السامى» بالياء ، وهم القضاة الأربعة .

المرتبة الثانية : من يكتب له في قطع العادة ، وتشتمل على قضاء العسكر ، وإفتاء دار العدل ، والحسبة ، ووكالة بيت المال .

الصنف الرابع^(١)

(أرباب الوظائف الديوانية)

والذي يكتب به من الوظائف الديوانية بها - ثلاث وظائف، يُكْتَبُ لكلٍّ منهم في قطع الثلث بـ «السامى» بالياء؛ وهم: صحابة ديوان المكاتب، ونظرة المال، ونظرة الجيش. فإن كُتِبَ لأحد غير هؤلاء، كتب له في قطع العادة.

النيابة السادسة

(نيابة غزوة)

وقد تقدم أنها تارة تكون نيابة، وتارة تكون مقدمة عسكر، ومقدم العسكرها يراجع نائب الشام في أموره. وبكل حال فالوظائف التي تُؤْتَى بها من الأبواب السلطانية على صنفين:

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وليس بها منهم إلا نائب السلطنة إن كانت نيابة، أو مقدم العسكر إن كانت مقدمة عسكر. فكيفما كان فإنه يُكْتَبُ له تقليد في قطع الثامن بـ «الجناب العالى» مع الدعاء بدوام النعمة.

وهذه نسخة تقليد بنياتها: كُتِبَ به للأمير «علم الدين الجاولى» من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهو:

(١) هذا الصنف زائد على ما في التقسيم ومع ذلك هو بمعنى الصنف الثاني وغاية ما في هذا أنه بين فيه لقب وقطع الورق فتنه.

الحمد لله رافع علم الدين في أيامنا الزاهرة، بإقامة فرض الجهاد وإدامته، وجامع
رتب التقدم في دولتنا القاهرة، لمن تفتت الثغور بين تفرق عدله وتآلق صرامته،
وقاطع أطباع المعتدين بمن يتوقد بأسه في ظلال رقيقه توقد البرق في ظل غمامته،
وقامع أعدائه الكافرين بتفويض تقدمه الجيوش بأوامرنا إلى كل ولى يحتنى النصر
ويحتل من أفنان عزماته ووجهة زعامته .

نحمده على نعيمه التي سددت ما يصدُر من الأوامر عنا، وقلّدت الرتب السنية
بتقليدها أعز الأولياء منا منا، وربحت مهمات الثغور لدينا على ما سواها فلا نعدق
أمرها إلا بن تقعد عليه الخناصر نفاسة به وضنا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة لا تزال القلوب بإخلاصها متدينه، والألسنة بإعلانها مترينه،
والأسنة والأعنة متبارين في إقامة دعوتها التي لا تحتاج أنوارها البينة إلى البينة،
ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف مبعوث إلى الأمم، وأكرم منعوته بالفضل
والكرم، وأعز منصور بالرعب الذي أعمدت سيوفه قبل تجريدتها في القمم،
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نهضوا بجهاد أعداء الله وأعدائه على أثبت قدم،
وسروا لفتح ما زوى له من الأرض على جياذ العزائم ونجائب الهمم، وبدلوا نفائسهم
ونفوسهم للدب عن دينه فلم تسترل أقدامهم حمر النعم، ولم يثن إقدامهم بيض
النعم، صلاة لا يمل السامع نداءها، ولا تسأم الألسن إعادتها وإبداها، وسلم
تسلياً كثيراً .

وبعد، فإننا من حين مكّن الله لنا في أرضه، وأنهضنا بمسنون الجهاد وفرضه،
وقلنا سيف نصره الذي انتصاه، وأقامنا لنصرة دينه الذي ارتضاه، لم يزل مهمم
كل تفر مقدما لدينا، وحفظ كل جانب جاور العدو براً وبحراً متعيناً على اعتنائنا

وَمُحِبِّبًا إِلَيْنَا ؛ فَلَا تُرْهِفُ لِإِيَالَةِ الْمَالِكِ إِلَّا مِنْ إِذَا جَرَدَ سَيْفَهُ أَعْمَدَهُ الرَّعْبُ فِي قُلُوبِ
 الْعِدَا ، وَمَنْ إِنْ لَمْ تَسْلُكِ الْبَحْرَ خَيْلَهُ بَتَّ فِي قُلُوبِ سَاكِنِيهِ سَرَايَا مَهَابَةٍ لَا تَرْهَبُ
 مَوْجًا وَلَا تَسْتَبْعِدُ مَدَى ؛ وَمَنْ إِذَا تَقَدَّمَ عَلَى الْجِيُوشِ أَعَادَ آحَادَهَا إِلَى رُتَبِ الْأُلُوفِ ،
 وَجَعَلَ طَلَاتِعَهُمْ رُسُلَ الْحُتُوفِ ؛ وَأَعْدَاهُمْ بِأُسِهِ فَاسْتَقَلُّوا أَعْدَاءَهُمْ وَإِنْ كَثُرُوا ،
 وَأَغْرَاهُمْ بِمَعْنَى النَّكَايَةِ فِي كِتَابِ الْعِدَا : فَكَمْ مِنْ قَلْبٍ بِالرَّمَاحِ قَدْ نَظَمُوا وَتَمَّ مِنْ
 هَامٍ بِالصَّفَاحِ قَدْ نَثَرُوا .

وَلِذَلِكَ لَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي مَازَالَ الدِّينَ يَرْفَعُ عِلْمَهُ ، وَالْإِقْدَامُ وَالرَّأْيُ يَبْتَأَنَّ
 فِي مَقَاتِلِ الْعِدَا كَلُومَهُ وَكَلِمَهُ ، وَالْعَدْلُ وَالْبَأْسُ يَتَوَلَّيَانِ أَحْكَامَهُ فَلَا يُضَيِّيانِ إِلَّا بِالْحَقِّ
 سَيْفَهُ وَقَلَمَهُ ؛ فَكَمْ نَكَسَ رَايَةً عَدُوًّا كَانَتْ مُرْتَفِعَةً ، وَأَبَاحَ عَزْمَهُ وَخَزَمَهُ مَعَاقِلَ
 شِرْكَ كَانَتْ مُتَمْتِعَةً ؛ وَكَمْ زَلَزَلَ ثَبَاتَهُ قَدَمُ كُفْرٍ فَازَالَهَا ، وَهَزَمَ إِقْدَامَهُ جِيُوشَ بَاطِلِ
 تَرْهَبُ الْآسَادُ نِزَالَهَا ؛ فَهُوَ الْعَلْمُ الْقَرْدُ ، وَالْبَطْلُ الَّذِي لِأَوْلِيَانِهِ الْإِقْبَالُ وَالثَّبَاتُ
 وَلَاَعْدَائِهِ الْعَكْسُ وَالطَّرْدُ ؛ وَالْوَلِيُّ الَّذِي لَوْلَا أَحْتِفَالُنَا بِنَكَايَةِ الْعِدَا لَمْ نَسْمَحْ بِمِثْلِهِ ،
 وَالْهَامُ الَّذِي مَا عَدَقْنَا بِهِ أَمْرًا إِلَّا وَقَعَ فِي أَحْسَنِ مَوَاقِعِهِ وَأَسْنَدَ إِلَى أَتَمِّ أَهْلِهِ .

وَكَانَتْ الْبِلَادُ الْغَزَاوِيَّةَ وَالسَّاحِلِيَّةَ وَالْحَبَلِيَّةَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ بِمَنْزِلَةِ السُّورِ الْمَشْرِفِ
 بِالرَّمَاحِ ، الْمَصْفَحِ بِالصَّفَاحِ ؛ مُرْوجُهُ الْهَمَاءُ ، وَقَلْلُهُ الْكِبَاءُ ؛ لَا يَسِيمُ بَرْقَهُ مِنْ سَاكِنِي
 الْبَحْرِ إِلَّا أَسِيرٌ أَوْ كَسِيرٌ ، أَوْ مَنْ إِذَا رَجَعَ إِلَيْهِ طَرَفَهُ يَنْقَابُ إِلَيْهِ الْبَصْرُ خَاسِنًا
 وَهُوَ حَسِيرٌ ؛ وَبِهَا الْجَيْشُ الَّذِي كَمَّ لِسَيْوفِهِ فِي رِقَابِ الْعِدَا مِنْ مَوَاقِعِ ، وَلَسْمَعِيهِ
 فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ إِغَارَةِ تَرَكَّتْهَا مِنَ الْأَمْنِ بِلَاقِعِ ؛ وَبِهَا الْأَرْضُ الْمَقْدَسَةُ ،
 وَالْمَوَاطِنُ الَّتِي هِيَ عَلَى التَّقْوَى مُؤَسَّسَةٌ ؛ وَالْمَعَابِدُ الَّتِي لَا تُعَدُّ أُمُورَهَا إِلَّا بِمِثْلِهِ مِنْ
 أَهْلِ الدِّينِ وَالْوَرَعِ ، وَالْأَعْمَالُ الَّتِي هِيَ أَدْرَى بِمَا يَأْتِي مِنْ مَصَالِحِهَا وَأَدْرَبُ بِمَا

يَدَعُ - أَقْتَصَتْ آرَأُونَا الشَّرِيفَةُ أَنْ تَعْدُقَ بِهِ نِيَابَةَ مُلْكِيهَا ، وَزَيْنَ بِلَالِي مَفَانِحِرِهِ
عُقُودَ سَلِكِيهَا ؛ وَأَنْ نَفُوضَ إِلَيْهِ زَعَامَةَ أَبْطَالِهَا ، وَتَقْدِمَةَ عَسَاكِرِهَا الَّتِي تَلْقَى الْبَحْرَ
بِأَزْحَرٍ مِنْ عُبَايَةِ وَالْأَرْضَ بِأَثْبَتٍ مِنْ جِبَالِهَا ؛ وَأَنْ نَزِيَّ بِحَرْهَا مِنْ مَهَابَتِهِ بِأَهْوَلٍ
مِنْ أَمْوَاجِهِ ، وَأَمْرٍ فِي لَهَوَاتِ سَاكِنِيهِ مِنْ أَجَاجِهِ ؛ لَتَقْدُو عَقَائِلُ أَهْلِهِ ، أَرْقَاءَ سِنِيهِ
الْأَبْيَضِ وَذَابِلِهِ ، وَيَتَبَّرَ الْعُدُوقُ الْأَزْرَقُ مِنْ بَنِي الْأَصْفَرِ ، خَوْفُ بَأْسِهِ الْأَحْمَرِ .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه كَيْتٌ وَكَيْتٌ : تفويضاً يَحَقُّقُ
في مثله رَجَاءَهَا ، وَزَيْنٌ بَعْدَهُ أَرْجَاءَهَا ؛ وَيَصُونُ بِبَأْسِهِ قَاطِنَهَا وَظَاعِنَهَا ، وَيَعْمُرُ
وَيَغْمُرُ بِرَفِيقِهِ وَإِنْصَافِهِ مَسَاكِنَهَا وَسَاكِنَهَا .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الرُّبَيَّةَ الَّتِي يُكَلِّلُ بِهَا سُعُودُهَا ، وَتُجَمَّلُ بِهَا عُقُودُهَا ؛ بِمَبَاشِرَةِ يُحْيِفُ
بِأُسْهَا اللَّيُوثَ فِي أَجْمَاطِهَا ، وَيُعِينُ عَدْلُهَا الْغُيُوثَ عَلَى دَفْعِ أَرْمَاتِهَا ؛ وَيَقْدُو بِهَا الْحَقُّ
مَرْفُوعَ الْعَلَمِ ، مَسْمُوعَ الْكَلِمِ ، مَاضِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، مَمْدُودَ الظِّلِّ عَلَى مَنْ بِهَا
مِنْ أَنْوَاعِ الْأُمَمِ . وَلْيَأْخِذِ الْجِيُوشَ الَّتِي بِهَا مِنْ إِعْدَادِ الْأَهْبَةِ بِمَا يُزِيلُ أَعْدَارَهُمْ
عَنِ الرُّكُوبِ ، وَيُزِيحُ عَوَائِقَهُمْ عَنِ الْوُثُوبِ ؛ وَيَجْعَلُهُمْ أَوَّلَ مُلْتَبِّ لِدَاعِي الْجِهَادِ ،
وَأَسْرَعَ مُجِيبِ لِنْدَاءِ أَلْسِنَةِ السُّيُوفِ الْحِدَادِ ؛ وَيَنْظُمُ أَيْضًا كَهَمَّ عَلَى الْبَحْرِ أَنْتِظَامِ
النُّجُومِ فِي أَفْلَاكِهَا ، وَالشُّدُورِ فِي أَسْلَاحِهَا ، فَلَا تَلُوحُ لِلْأَعْدَاءِ طَرِيدَةٌ إِلَّا طُرِدَتْ ،
وَلَا قِطْعَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ ؛ وَلَا غُرَابٌ إِلَّا حُصَّتْ قَوَادِمُهُ ، وَلَا شَاخِ عِمَارَةٍ إِلَّا وَأُتِيحَ
لَهُ مِنَ اللَّهَازِمِ هَادِمُهُ . وَلْيُعَلِّ مَنَارَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِإِمْضَاءِ أَحْكَامِهِ ، وَمُعَاضِدَةَ
حُكْمِهِ ، وَالْأَقْبَادِ إِلَى أَوَامِرِهِ ، وَالْوُقُوفِ مَعَ مَوَارِدِ نَهْيِهِ وَمَصَادِرِهِ ؛ وَلْتَكُنْ وَطْأَتُهُ
عَلَى أَهْلِ الْعِنَادِ مَشْتَدَّةً ، وَمَعْرِفَتُهُ تَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا : فَلَا تَضَعُ الْحِدَّةَ مَوْضِعَ
الَّذِينَ وَلَا الَّذِينَ مَوْضِعَ الْحِدَّةِ ؛ وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ وَإِنْ بَعُدَ عَنِ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ مَخْصُوصٌ مَنَّا

بمزية قُرْبِهِ ، مَحْتَصٌ بِمَنْزَلَةِ إِخْلَاصِهِ الَّتِي أَصْبَحَ فِيهَا عَلِيٌّ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّهِ ؛ وَجَمِيعُ مَا يَذْكَرُ مِنَ الْوَصَايَا فَهُوَ مِمَّا يُحْكِي مِنْ صِفَاتِهِ الْحَسَنَةِ ، وَأَدْوَاتِهِ الَّتِي مَابَرِحَتْ الْأَفْئَامُ فِي وَصْفِهَا كَالْحَا فِيصِيحَةِ الْأَلْسِنَةِ ؛ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ وَهِيَ فِي خِصَائِصِهِ كَلِمَةٌ إِجْمَاعٌ ، وَحِلْيَةٌ أَبْصَارٍ وَأَسْمَاعٍ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعَلِّي قُدْرَهُ وَقَدْ فَعَلَ ، وَيُؤَيِّدُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ؛ وَالْإِعْتَادُ



وهذه نسخة تقليد بتقدمة العسكر بغزة المحروسة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُبْدِي النِّعَمِ وَمُعِيدِهَا ، وَمُؤَكِّدِ أَسْبَابِهَا بِتَجْدِيدِهَا ، وَمُعَلِّي أَقْدَارِهَا بِمِزَايَا مَزِيدِهَا ؛ الَّذِي زَيْنَ أَعْنَاقَ الْمَمَالِكِ مِنَ السُّيُوفِ بِتَقْلِيدِهَا ، وَبَيَّنَّ مِنْ مِيَامِنِهِ مَا رُذَّتْ إِلَيْهِ بِمُقَالِيدِهَا .

نَحْمَدُهُ بِمُحَامِدِهِ الَّتِي تَفُوتُ الدَّرَارِيَّ فِي تَنْضِيدِهَا ، وَتَفُوقُ الدَّرَرَ فَيَتَمَتُّ مِنْهُ عِقْدٌ فَرِيدٌ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ نَافِعَةٌ لِشَهِيدِهَا ، جَامِعَةٌ لِتَوْحِيدِهَا ، نَافِعَةٌ لِأَهْلِ الْجُحُودِ مِمَّا يُورَدُ الْأَرْضَ بِالدَّمَاءِ مِنْ وَرِيدِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي كَثُرَ الْأُتَمُّ بِأَمْنِهِ فِي عَدِيدِهَا ، وَظَاهَرَ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ بِنِ يَفْلُ بِأَسْ حَدِيدِهَا ، فَيُرْسِلُ مِنْ أَسْنَتِهِ نُجُومًا رُجُومًا لِمُرِيدِهَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً تَنْظَافِرُ بِتَأْيِيدِهَا ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ عَوَائِدِ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ أَنْ تَعُودَ بِإِحْسَانِهَا ، وَتَجُودَ بِثَبُوتِ كُلِّ قَدَمٍ فِي مَكَانِهَا ؛ وَإِذَا وَلَّتْ عَرَفَ سَمْعُهَا عَنْ جِهَةِ عَادَتْ إِلَيْهَا ، أَوْ سَلَبَتْ لَهَا رَوْنَقًا أَعَادَتْ بِهَجَّتِهَا عَلَيْهَا ؛ وَكَانَتْ الْبِلَادُ الْغَزَاوِيَّةُ وَمَا مَعَهَا قَدْ تَمَتَّعَتْ مِنْ قَدَمَاءِ مَلُوكِ

(١) فِي الْأَصْلِ «مَمَالِك» وَهِيَ لَا يَنْبَغُ الْمَقَامُ .

بيتنا الشريف بسيف مشهور، وبطل شام بوارق عزمه في الثغور؛ وهو الذي عم بصييه بلادها سهلاً وجبلاً، وعمر روضها بعذل أغناها أن يسقي ظلّ ظللاً؛ وجمع أمهاتها براً وبحراً، ومنع جانبيها شاماً وميضراً؛ وألف أهلها منه سيرة لولا ما استأثرنا الله به من سره لما أفقدناهم في هذه المدّة حلاوة مذاقها، وسريرة لا نرضى معها بكف الثريا إذا بسطت لأخذ ميثاقها؛ ولم نرفع يده إلا لأمر قضى الله به لأجل موقوف، ومضى منه ما يعلم أنه بمرجوعه القريب لا يفوت؛ لأنّ الشمس تغيّب لتطلع بضوء جديد، والسيف يغمد ثم يتصّى فيقذ القذّ والحيد؛ والعيون تُشهد ثم يعاودها الرقاد، والماء لو لم يفقد في وقت لما وجد لموقعه برد على الأجداد.

فلما بلغ الكتاب أجله، وأخذ حقه من المسألة؛ وانتقل من كان قد استقر فيها إلى جوار ربّه الكريم، وفارق الدنيا وهو على طاعتنا مقيم - أقنضت آراؤنا الشريفة أن يراجع هذه العقيلة كفؤها القديم، وترجع هذه الأرض المقدسة إلى من فارقتها وما عهدته بديم؛ من لم تزل به عقائل المعاقيل تُصان، وخُصُورُ الحصون بمحائل سُيوفه تُزان، ومباسمُ الثغور تُحمى في كلّ ناحية من أسننه بلسان؛ وحمى الثغرين وما بينهما من الفجاج، وجاور البحرين فنع جانبيهما: فهذا عذب فرات وهذا ملح أجاج؛ وله في العدا وقائع زلزلت لمواقعها الألوّف، ومواقف لولا ما نعتت فيها من غربان البين لطلّ على الديار الوقوف؛ وهو الذي مدحت له في بيتنا المنصور المنصوري من الخدمة سوايق، ومحمدت طرائق؛ وكثرت محاسن، وكبرت ميامن؛ ولعت كواكب، وهمعت سخائب؛ وصدحت حمائم، وفُتحت كائم؛ وعزت جيوشنا المؤيدة له بمضارب، وهزّت سيوفاً حداداً وهو بالسيف ضارب.

وكان المجلس العالى - أدام الله تعالى نعمته - هو الذى جُمدت له آثاره، وحسنت أخباره، وعمت مدحه، وتمت منحه؛ فرسمنا بإقراره من هذا المنصب الشريف فى محله، وإعادته إلى صيب وبه، وإقامة أهلها مطمئنين فى عدله، وإقرار عيون من أدرك زمانه بعوده ومن لم يدرك زمانه بما سيرونه من فضله.

فرسم بالأمر الشريف - لازالت ملائس نعمة، تُخلع وتلبس برودها، وعرائس كرمه، تُفارق ثم تُراجع غيدها - أن تفوض إليه أمور غزاة المحروسة وأعمالها وبلايدها، والتقدمة على عساكرها وأجنادها؛ والحكم فى جميع ما هو مضاف إليها من سهل ووعر، وبر وبحر، وسواحل وموانى، وبحرى خيول وشوانى؛ ومن فيها من أهل عمدة، ورعايا وتجار وأعيان فى بلد؛ ومن يتعلق فيها بأسباب، ويعد فى صف كتيبة وكتاب؛ على عادة من تقدم فى ذلك، وعلى ما كان عليه من المسالك.

وسنختصر له الوصايا لأنه بها بصير، وقد تقدم لها على مسامحة تكرير، ورأس الأمور التقوى وهو بها جدير، وتأييد الشرع الشريف فإنه على هدى وكتاب منير، والأطلاع على الأحوال ولا يثبتك مثل خبير.

والعدل فهو العروة الوثقى، والإنصاف حتى لا يجد مستحقاً، والعفاف فإن التطلع لما فى أيدي الناس لا يزيد رزقا، والإنصاف بالذكر الجميل هو الذى يسقى؛ وعرض العسكر المنصور ومن ينضم إليه من عربيه وتُرُكَّانه وأكراده، وكل مكبر فى جباله ومكثير لسواده؛ وأخذهم بالتأهب فى كل حركة وسكون، والتيقظ بهم لكل سيف مشحود وفلك مشحون؛ والاحتراز من قبيل البر والبحر، وإقامة كل يرك فى موضعه كالقلادة فى النحر؛ ولا يعين إقطاعاً إلا لمن يقطع باستحقاقه،

(١) فى الأصل «من إقراره فى» وهو تصحيف إلا أن يكون الأصل فرسمنا مارسمنا من الخ.

وَيَقْمَعُ الْعِدَا بِمَا يَعْرِفُ فِي صَفَحَاتِ الصَّفَاحِ مِنْ أَخْلَاقِهِ ؛ وَلَا يُخَلِّ الْمُبَاشِرِينَ مِنْ عَنَايَةٍ تَمُدُّ إِلَيْهِمْ سَاعِدَ الْمُسَاعَدَةِ ، فَلَا يُخَالُوا فِي الْبِلَادِ بِعَارَةِ تَعُدُّو فِي حُلَاهَا مَائِدَةً ؛ وَلِيَحْفَظَ الطَّرِيقَاتِ حَفْظًا تَكُونُ بِهِ مَمْنُوعَةً ، وَيُمْسِكُ الْمَسَالِكَ فَإِنَّهُ فِي مَفْرَقِ طَرَفَاتِهَا الْمَجْمُوعَةَ ؛ وَلِيَقْدِمَ مُهَمَّاتِ الْبَرِيدِ وَمَا يَنْطِقُ عَلَى جَنَاحِ الْحِمَامِ ، وَلِيَتَّخِذَهُمَا نَصَبَ عَيْنِيهِ فِي الْبَقِيَّةِ وَالْمَنَامِ ؛ فُرْبٌ غَفْلَةٌ لَا يَسْتَدْرِكُ فَائِتَهَا رَكْضٌ ، وَرِسَالَةٌ لَا يَبْلُغُهَا إِلَّا رَسُولٌ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَنْخُرُ يُسَيِّحُ فِي الْأَرْضِ ؛ وَيُرْصِدُ مَا تَرَدُّ بِهِ مَرَامِنَا الْعَالِيَةَ لِيَسَارِعَ إِلَيْهِ مُثْمَلًا ، وَيَطَالِعُنَا بِمَا يَتَجَدَّدُ عِنْدَهُ حَتَّى يَكُونَ لَدِينَا مُثْمَلًا ؛ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ وَاقِفٌ مِنْ بَابِنَا الشَّرِيفِ بِالْمَجَازِ ، وَقُدَّامَ عَيْنِينَا حَقِيقَةً وَإِنْ قِيلَ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ ؛ فَلْيُؤَاخِذْ نَفْسَهُ مُؤَاخَذَةً مِنْ هُوَ بَيْنَ يَدِينَا ، وَيَعْمَلْ بِمَا يُسْرَهُ أَنْ يَقْدِمَ فِيمَا يُعْرَضُ مِنْ أَعْمَالِهِ عَلَيْنَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُهُ حُظُورَةَ لَدِينَا ، وَيُؤَيِّدُ بِهِ الْإِسْلَامَ حَتَّى لَا يَدَعَ عَلَى أَعْدَائِهِ اللَّهِ لِلدِّينِ دِينًا ، وَالْأَعْتَادَ

الصنف الثاني

(الوظائف الديوانية بقرّة)

وبها ثلاث وظائف : يُكْتَبُ لِكُلِّ مِنْهَا فِي قَطْعِ الْعَادَةِ بِ«السامى» بغير ياء .
وهي : كِتَابَةُ الدَّرَجِ الْقَائِمَةِ مَقَامَ كِتَابَةِ السَّرِّ ، وَنَظْرُ الْمَالِ ، وَنَظْرُ الْجَيْشِ . قَالَ فِي «التثقيف» : «أما قاضيها ومحتسبها ووكيل بيت المال بها ، فإنهم نواب عن أرباب هذه الوظائف بالشام ، فلا يكتب لأحد منهم شيء عن المواقف الشريفة . قلت : وما ذكره بناء على أنها تقدمت عسكر . أما إذا كانت نيابة فإن هذه الوظائف يكتب بها عن الأبواب السلطانية . وقد يكتب حينئذ بوكالة بيت

المال والحسبة عن النائب ، ويكون ذلك جميعه في قطع العادة ، مفتحاً بـ «أماً بعد» في المنصوري ، أو بـ «رُسم» في الصغير ، على حسب ما يقتضيه الحال .
على أنه قد حدث بها في الدولة الظاهرية قاض حتى يكتب له من الأبواب السلطانية .

النيابة السابعة

(نيابة الكرك . وأرباب الولايات بها من الأبواب السلطانية على أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وليس بها منهم غير نائب السلطنة ، ويكتب له تقليد في قطع الثلاثين بـ «المجلس العالي» .

وهذه نسخة تقليد نيابة السلطنة بالكرك ، كتب به للأمر «سيف الدين ايتمش» من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي خصّ بغيرائنا معاقِلَ الإسلام وحُصُونَهُ ، وبصّرنا باختيار من نُرتبهُ في كلِّ معقلٍ منها من أمجاد الأُمراء ليحفظه ويصونه ، وجعلها بعنايتنا روضاً تجتلي أبصار الأولياء من بيض صفاحتنا نوره وتجتني من شمر رماحنا عُصُونَهُ ، وعوذها من آيات الحرس بما لا تزال حُمايتها وكُتبتها يروون خبره عن سيفنا المتصني لحفظها ويقصونه .

نحمده على نِعَمِهِ التي أعلت بنا بناء الممالك ، وحاطتها من نبل مهايتنا ، بما لو تسَلَّت بينه الأوهام ضاقت بها المسالك ، وصفحتنا من صفاح عنايتنا ، بما يحول برقه

بينها وبين ما يستر طيف العدا من الظلام الحالك ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعصم من أوى إلى حريم إخلاصها ، وتنجي غدا من غدا من أهل تقربها وأختصاصها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أضاءت ملته ، فلم تخف على ذي بصرة ، وعلت شرعته ، فغدا باع كل ذي باع عن معارضتها ذاق قصر ، وسمت أمته ، فلو جالدها معاد أوبقه الحضر أو جادلها مناو أو ثقه الحصر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانت معاقبتهم صهوات جياهم ، وحضونهم عرصات جلاهم ، وخيامهم ظلال سيوفهم وظلالهم أفياء صعادهم ، صلاة لا يزال الإخلاص لها مقيا ، والإيمان لها مديما ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الحصون الإسلامية بأن تحوط عنايتنا أركانها ، ولتعاهد رعايتنا مكانه ، وتلاحظ مهايتنا أحواله فتخليها ، وتشاهد أوامرنا قواعده فتشيدها بجمل النظر وتعليمها ، وتحول سطواتنا بين آمال الأعداء وتوهمه ، وتوجب مخافة بأسنا أفكار أهل العناد عن تأمل ما في الضمير وتوسمه - حصن انعقد الإجماع على انقطاع قرينه ، وأمتناع نظيره فيما خصه الله به من تحصينه ، فهو فرد الدهر العزيز مثاله ، البعيد مثاله ، المستكنة في ضمائر الأودية الغوامض بقعته ، المستجنة بقلل الجبال الشواحق تقعته ، السائر في أقطار الأرض صيته وسمعته .

ولما كانت قلعة الكرك المحروسة هي هذه العقيلة التي تم ردت آمال الملوك راعمه ، ومنت أهواء النفوس أن تمثلها في الكرى الأجفان الحالمه ، وكان فلان ممن ينهض مثله بحفظ مثلها ، ويعلم أن أماتها التي لا تخجلها الجبال قد أودعت منه إلى كفتها ووضعت كفايتها في أهلها ، فهو سيفنا الذي يحوطها دبابه ، وولينا الذي من طمح بصره إلى أفق حله أحرقه شهابه ، ونشو إيماننا التي تثنى كل لث يقصص

الظفر ظفُره ويُنْبُو بالسيوف نَابُه ، وَغَدَى دَوْلِنَا الَّذِي مَا اعْتَمَدْنَا فِيهِ عَلَى أَمْرٍ إِلَّا
كُرِّمَ بِهِ نُهْوُضُهُ وَحَسُنَ فِيهِ مَنَابُهُ - اقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نُحْصَّهَا بِمَهَابَةِ سَيْفِهِ ،
وَنُحْصَّهَا بِمَا فِيهِ مِنْ قُوَّةٍ فِي الْحَقِّ تَكْفُّ كُلِّ بَاغٍ عَنْ حَيْفِهِ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالَتِ الْحِصُونَ الْمَصُونَةَ تُخْتَالُ مِنْ مَلِكِهِ فِي أَهْبَى
الْحَلِّ ، وَتَعْلُو مَعَاقِلَ الْكُفْرِ بِسُلْطَانِهِ عُلُوِّ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْمَلَلِ - أَنْ تَقْوُضَ إِلَيْهِ
نِيَابَةُ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْكَرْكِ الْحُرُوسِ تَقْوِيضًا يُعْلِي قَدْرَهُ ، وَيُطْلِعُ فِي أَفْقِهَا
بَدْرَهُ ؛ وَيُطْلِقُ فِي مِصَالِحِهَا سَيْفَهُ بِالْحَقِّ وَقَلَمَهُ ، وَيُمِضِي فِي حِمَايَتِهَا أَعْمَالَهُ وَكَلِمَتَهُ ،
وَيَسُدُّ فِي أُمُورِهَا آرَاءَهُ الْمَقْرُونَةَ بِالصَّوَابِ وَهَمَمَهُ .

فَلْيَا شَرُّ هَذِهِ الرُّتَبَةِ الْعَلِيَّةِ صُورَةٌ وَمَعْنَى ، الْمَلِيَّةِ إِذَا طَاوَلَتِ الْكَوَاكِبَ بَانَ
لَا يَعْلَمُ لَهَا أَسْمَى وَأَسْنَى ؛ وَلِيَجْتَهِدَ فِي مِصَالِحِهَا اجْتِهَادًا يُوَالِي لَهُ مِنْ شُكْرِنَا الْمِنَحَ ،
وَيَأْتِي فِيهِ مِنْ مَوَاضِينَا بِالْغَرَضِ الْمُقْتَرَحِ ؛ وَيَزِيدُهَا إِلَى حِصَانَتِهَا حِصَانَةً وَقُوَّةً ،
وَيَزِيدُهَا بِسِيَاسَتِهِ الَّتِي تَغْدُو قُلُوبَ أَهْلِ الْعِينَادِ بِخِنَافَتِهَا مَغْرُورَةً . وَلِيَنْظُرَ فِي مِصَالِحِ رِجَالِهَا
فِي كَوْنِ لُجَمَاتِهِمْ مُقَدِّمًا ، وَلِمُقَدِّمِيهِمْ مُكْرِمًا ؛ وَلِأَعْدَادِهِمْ مُرِيحًا ، وَلِحَوَاطِرِهِمْ بِتَيْسِيرِ
مَقَرَّرَاتِهِمْ مُرِيحًا . وَلِيَكُنْ لِمَنَارِ الشَّرِيعِ الشَّرِيفِ مُعْظَمًا ، وَلِأَحْكَامِهِ فِي كُلِّ عَقْدٍ مُحْكَمًا ؛
وَلِمَا قُرْبَ وَبَعُدَ مِنْ بِلَادِ نِيَابَتِهِ عَامِرًا ، وَلَا تُكْفَّ الْجُورُ عَنْ الرِّعْيَةِ كَافًا : فَلَا يَبْرُحُ
عَنِ الظُّلْمِ نَاهِيًا وَبِالْعَدْلِ آمِرًا ؛ وَمِلَاكُ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ فَيُجْعَلُهَا حِلْيَةً نَفْسِهِ ،
وَنَجْمَ أُنْسِيهِ ، وَوِظِيفَةَ اجْتِهَادِهِ الَّتِي تَظْهَرُ بِهَا مَرِيئَةٌ يَوْمَهُ عَلَى أَمْسِيهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
يَسُدُّهُ فِي أَحْوَالِهِ ، وَيَعْضُدُّهُ فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكِرْمَةٍ ! .

(١) لعله «بأن لا يعلم أسمى منها وأسنى» .



وهذه نسخة تقليد بِنِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ بِالكَرْكِ ، كُتِبَ بِهِ لِلْأَمِيرِ «تَلَكْتَمِرِ النَّاصِرِيِّ»
عِنْدَ مَا كَانَ الْمَقَرَّ الشَّهَابِيُّ أَحْمَدَ وَلَدَ السُّلْطَانَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ بِالكَرْكِ ، وَهُوَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ بِنَا الْمَمَالِكِ مُحَصَّنَةَ الْحُصُونِ ، نَجْمِيَّةً بِكُلِّ سَيْفٍ يَقْطُرُ مِنْ
حَدِّهِ الْمُنُونِ ، مُنْعَةً لَا تَخْطِي إِلَيْهَا الظُّنُونِ ، مُحِجَّةً لَا تَرَاهَا مِنَ النُّجُومِ عِيُونَ ؛ رَافِلَةٌ
مِنَ الْكَوَاكِبِ فِي عَقْدِ تَيْمِينَ ، مَنِيعَةً أَشْبَهتِ السَّمَاءَ وَأَشْتَبَهتِ بِهَا فَاصْبَحَتْ هَذِهِ
الْبُرُوجُ مِنْ هَذِهِ لَا تَبِينُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي رَفَعَتْ الْأَقْدَارَ ، وَشَرَّفَتِ الْمَقْدَارَ ، وَحَلَّتْ فِي مَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ
كُلَّ عَقِيلَةٍ مَا كَانَ مِعْصَمُهَا الْمُتَمَدُّ إِلَى الْهَلَالِ لِتُرِكَ بِغَيْرِ سِوَارٍ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً رَفَعَتْ لِلْحُصُونِ الْعَالِيَةِ رُتْبًا ، وَمَلَأَتْ بِهَا سَمَاوُهَا
حَرَسًا وَشُهْبًا ، وَأَعْلَتْ مَكَانَهَا فَاقْتَبَسَتْ مِنَ الْبَرَقِ نَارًا وَوَرَدَتْ مِنَ السَّحَابِ قُبًا ؛
وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَنْ بَعَثَ وَوَلَاةً عَلَى الْأُمُصَارِ ، وَكُفَاةً عَلَى
الْأَقْطَارِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا صَدَحَتْ الْحَمَائِمُ ، وَسَفَّحَتْ الْغَائِمُ ؛
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ خَيْرَ مَنْ حُمِيَتْ بِهِ الْمَمَالِكُ ، وَحُمِدَتْ - وَفِيهِ الْمِنَّةُ - مِنْهُ الْمَسَالِكُ ،
وَأَرْتَقَتْ هِمَمُهُ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، مَنْ حَصَلَ الْوُثُوقُ بِهِ
فِي أَشْرَفِ مَمْلَكَةِ لَدَيْنَا ، وَأَفْضَلُ مَا يُعْرَضُ فِي دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ مِنْ أَعْمَالِهَا الصَّالِحَةِ
عَلَيْنَا : وَهِيَ الَّتِي قَعَدَتْ مِنَ الْجِبَالِ عَلَى مَفَارِقِهَا ، وَاتَّصَلَتْ مِنَ النُّجُومِ بِعَلَائِقِهَا ؛
وَتَحَدَّرَتْ الْغَائِمُ مِنْ ذُبُوبِهَا ، وَطَفَّتْ عَلَى السَّمَاءِ وَطَافَتْ عَلَى الْكَوَاكِبِ بِفِرَّتِ الْمَجَرَّةُ

من سُيُوطِهَا . وكان الكرك المحروس هو المراد ، ومدينته التي لم يُحْلَقْ مِثْلُهَا في البلاد ،
 وَقَلْعَتُهُ تَشْكِي الرِّيحَ لَهَا طُلُوعَ وَادٍ وَزُورِ وَادٍ ؛ وَهِيَ أَرْضٌ تَمَّتْ بِأَنْهَا لَنَا سَكَنٌ ،
 وَتَمَّتْ مَنَاقِبُهَا بِمَا فِي قُلُوبِنَا مِنْ حُبِّ الْوَطَنِ ؛ وَاسْتَقَرَّتْ لِلْقَامَاتِ الْعَالِيَةِ أَوْلَادِنَا
 - أَعَزَّهُمُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ - فَانْتَقَلَتْ مِنْ يَمِينٍ إِلَى يَسَارٍ ، وَتَقَابَلَتْ بَيْنَ شُمُوشٍ وَأَقْفَارٍ ،
 وَجَادَ بِهَا الْبَحْرُ عَلَى الْأَنْهَارِ .

فَلَمَّا خَلَّتْ نِيَابَةَ السُّلْطَنَةِ الْمَعْظَمَةِ بِهَا عَرَضْنَا عَلَى آرَائِنَا الشَّرِيفَةِ مَنْ تَطْمِئِنُّ بِهِ
 الْقُلُوبُ ، وَيَحْصُلُ الْمَطْلُوبُ ، وَتَجْرِي الْأُمُورُ بِهِ عَلَى الْحُسْنَى فِيمَا يُنُوبُ ؛ وَتُبَارَى
 عِزَائِمُهُ الرِّيحَ بِمَرْمَى كُلِّ مَقْلَةٍ وَهَرَّةٍ جَيِّدٍ ، وَلَا يُسَكُّ فِي أَنَّهُ كُفُوُ هَذِهِ الْعَقِيلَةِ ،
 وَكَافِي هَذِهِ الْكِفَالَةِ الَّتِي مَا هِيَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدَنَا قَلِيلَةٌ ، وَكَافِلُ هَذِهِ الْمَلِكَةِ الَّتِي تَمُّ
 بِهَا بَيِّنَةٌ أَحْسَنُ مِنْ بَيِّنَةٍ وَتَحْمِيلَةٌ أَحْسَنُ مِنْ تَحْمِيلَةٍ ؛ مَنْ كَانَ مِنْ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ مَطَّلَعُهُ ،
 وَبَيْنَ أَيْدِينَا الشَّرِيفَةِ لَا يُجْهَلُ مَوْضِعُهُ ؛ طَالَمَا تَكَلَّمْتُ بِهِ الصَّفُوفَ ، وَتَجَمَّلْتُ بِهِ
 الْوَقُوفَ ، وَحَسُنَ كُلُّ مَوْصُوفٍ ، وَلَمْ تَخْفَ مَحَاسِنُهُ الَّتِي هُوَ بِهَا مَعْرُوفٌ ؛
 كَمْ لَهُ شَيْئَةٌ عَلَيْهِ ، وَهَيْئَةٌ جَائِيَةٌ ، وَتَقْدِمَاتُ إِقْدَامٍ بِكُلِّ نَهَائَةٍ غَايَةِ مَائِيَةٍ ، وَعِزَائِمٌ لَهَا
 بِنَعْتِهِ مَضَاءُ السَّيْفِ وَبِاسْمِهِ قُوَّةُ الْحَدِيدِ وَهِيَ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ مُلْكِيَّةٌ ؛ وَكَانَ الْمَجْلِسُ
 الْعَالِيُّ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - هُوَ لَا يَسَ هَذِهِ الْبُرُودِ الَّتِي رُقِمَتْ ، وَالْعُقُودِ الَّتِي نُظِمَتْ ،
 وَجَامِعَ هَذِهِ الدَّرَرِ الَّتِي قُسِمَتْ ، وَالدَّرَارِي الَّتِي سَمَتْ إِلَى السَّمَاءِ لَمَّا وُسِمَتْ ؛ وَهُوَ
 مِنَ الْمَلَائِكِ فِي الْوَقَارِ ، وَلَهُ حُكْمُ كَلِمَاتِ وَأَسْ يَقَطُّعُ الْأَشْجَارَ ، وَهُوَ مَلِكٌ نِصْفُهُ
 الْآخَرُ مِنْ حَدِيدٍ كَمَا أَنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةٌ نِصْفُهُمْ مِنَ النَّجِّجِ وَنِصْفُهُمْ مِنْ نَارٍ ؛ وَهُوَ الَّذِي
 أَقْتَضَتْ آرَائُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَجْعَلَهُ فِي خِدْمَةِ وَلَدِنَا - أَمْتَعَهُ اللَّهُ بِبِقَائِنَا - نَائِبًا بِهَا ،
 وَقَائِمًا بِحَسَنِ مَنَائِبِهَا ؛ وَالْمُتَصَرِّفَ فِيهَا بَيْنَ أَيْدِيهِ الْكَرِيمَةِ ، وَالْمُتَلَقِّيَ دُونَهُ لِأُمُورِهَا الَّتِي
 قَلَّدْنَا بِهَا عُنُقَهُ أَمَانَةً عَظِيمَةً .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا زال به سيف الدين ماضيا ، ولا برح كل واحد بحكم سيفه في كل تجريد وقلمه في كل تقليد راضيا - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالكرك المحروس وما معه على عادة من تقدمه فيها ، وقاعدته التي يتكفل لها بالإحسان وبكف العُدوان ويكفيها ؛ وكل ما فيها من أمر فهو به منوط ، وكل عمل لها به محوط ، وحكمه في مصالحنا الشريفة في جميع بلادها مبسوط ، وله تطالع الأمور ومنه تصدر المطالعة ؛ وبه تُزال كل ظلامه ، وتُراح كل ملامه ؛ ويؤيد الشرع الشريف ويؤبد حكمه ، ويثري علمه وينشر علمه ؛ وتقام الحدود بحده ، والمهابة بحده . ورجال هذه القلعة به تتألف على طاعتنا الشريفة قلوبهم ، والرعايا يعمهم بالعدل والإحسان وأيسر ما عندنا مَطْلُوبُهُمْ ؛ وهؤلاء هم شيعتنا قبلك ، ورعيئتنا الذين هم لنا ولك ؛ فرفرف عليهم بيميننا ، وحُدِّمهم بسماحك ؛ والمُسارعة إلى امتثال مراسمنا الشريفة هي أول ما نوصيك باعتماده ، وأولى ما يقبَس من نوره ويستمد من أمداه ؛ فلا تُقدِّم شيئا على الانتهاء إلى أمره المطاع ، والعمل في السمع والطاعة باكر له ما يمكن أن يستطاع ؛ وخدمة أولادنا فلا تدع فيها ممكنا ، وأعلم بأن خدمتهم وخدمتنا الشريفة سواء لأنه لا فرق بينهم وبيننا ؛ وهذه القلعة هي التي أودعناها في يمين أمانتك ، وحميناها بسيفك وصنأها بصياتك ؛ فإله الله ! في هذه الوديعه ، وأد الأمانة فإنها نعمت الدريرة ؛ وأحفظها بقوة الله وحفظ بأسوارها المنيعه ، وعليك بالتقوى والتقوى والوقوف عند الشريعة ؛ والله تعالى يزيدك علوا ، ويبغلك مرجوا ؛ والاعتماد

قلت : وربما ولي نيابة الكرك من هو جليل الرتبة رفيع القدر ، من أولاد السلطان أو غيرهم ، فتعظم النيابة بعظمه ، ويرفع قدرها بارتفاع قدره ، وتكون مكاتبته وتقليده فوق ما تقدم ، بحسب ما يقتضيه الحال من «الجناب» أو غيره .

وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالكرك، كُتِبَ بها عن السلطان الملك الناصر «محمد بن قلاوون» لولده الملك الناصر «أحمد» قبل سَلْطَنَتِهِ، وكتب له فيه بـ«الجناب العالی»، من إنشاء الشريف شهاب الدين، وهي :

الحمد لله الذي أسعدنا بوراثته الملك والمالك، وأرشدنا للرأي المصيب في أن
تستيب من نشاء من ذلك، وأيدنا بالعون والصون في حفظ ما هنا ولحظ
ما هناك، وعودنا الإمداد بيمينه المتداول والإيجاد بمنه المتدارك، وسدنا بالفضل
والإسعاف إلى أن نتبع من العدل والإنصاف أنجح السبل وأوضع المسالك، وعضدنا
من دريتنا بكل نجل معرق، ونجم مشرق، يرشق شهابه، في الكرب الحال ويأتق
صوابه، في الخطب الخالك، وأفردنا بالنظر الجميل، والفكر الجليل، إلى أسعد تحويل
تير بمراته في الآفاق الشهب الطوالع وتسير بئسراه في الأقطار الثجب الرواتك^(١).

نحمده ! وكيف لا يتجد العبد المالك !، ونشكره على أن أهانا لإقامة الشما
وإدامة المناسك، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جل في جبروته، عن
مشايه وتعالى في ملكوته، عن مشارك، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي
أنجد جنوده من الملائ الأعلی بالملائك، وأمد بعوته بالنصر والظفر في جميع المواقف
والمعارك، وأيد أمته بولاية ملوك يجلسون في النعم على الأرائك، ويخرسون حمى
الدين بجهادهم وأجتهدهم من كل فأتين وفاتك، صلى الله عليه وعلى آله سفن النجاة
المؤمنين من المخاوف والمنقذين من المهالك، ورضى الله عن أصحابه الذين نظموا
شمل الإيمان، وهزموا جمع البهتان، بكل باتر وفاتك، صلاة ورضوانا يضحى لقاتلها

(١) أي القربيات الخطا .

في اليوم العَبُوسِ الْوَجْهَ الطَّلُقِ وَالنَّغْرَ الضَّاحِكِ ، وَيُنْشَرُ فُحْشَرُ مَعَ النَّيِّينِ وَالصَّدِيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أَوْلِيَاكَ ، مَا أَبْتَهَلَ بِصَالِحِ الدُّعَاءِ ، وَنَاجِحِ الْإِسْتِدْعَاءِ ،
لَا يَأْمَنَّا كُلَّ عَابِدٍ وَنَاسِكَ ، وَعَوَّلَ حُسْنُ آرَائِنَا عَلَى تَقْدِيمِ مَنْ هُوَ لَجْمِيلِ آثَارِنَا سَالِكِ ،
وَأَقْبَلَ بِالْإِقْبَالِ سَنَا شِهَابِهِ الْمُنِيرِ يَجْلُو مَا تُثِيرُ مِنْ لَيْلِ نَقْعِهَا السَّنَائِكِ ، فَخَصِلَ لِلكَرْكِ
وَالشُّوْبِكِ بِهَذَا الْقُدُومِ نَخَارَ مَسِيرِكَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ النُّجُومِ الشُّوَابِكِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرْنَا بِتَوْفِيرِ التَّوْفِيقِ ، وَيَسِّرْنَا مِنَ الْهُدَى إِلَى أَقْوَمِ طَرِيقٍ ؛
وَوَهَبْنَا فِي الْمَلِكِ النَّسَبَ الْعَلِيِّ الْعَرِيقِ ، وَالْحَسَبَ الَّذِي هُوَ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّحْكِيمِ حَقِيقٍ ؛
وَقَلَدْنَا مِنْ عَهْدِ بَيْعَةِ السُّلْطَنَةِ الْمَحْمُودَةِ فِي الْإِفَاقِ تَطْوِيرِيقٍ ، وَلِعَقْدِهِ فِي الْأَعْنَاقِ تَطْوِيرِيقٍ ؛
فَفِيئَانَا مِنْ شَجَرَةِ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ النَّاصِرِيِّ الْمُنْصُورِيِّ كُلِّ غُصْنٍ وَرِيقٍ ، وَهِيَ
لِلْبَرِيَّةِ تَكْرِيماً عَمِيماً بِتَقْدِيمِ مَنْ لَهُ الْمَجْدُ يَتَعَيَّنُ وَبِهِ السُّؤْدُودُ يَلِيقُ ؛ وَأَطْلَعُ فِي أَفْقِ أَعْرَ
الْمَمَالِكِ عَلَيْنَا مِنْ بَيْتِنَا شِهَابٌ عَلَا هُوَ لِلبَدْرِ فِي الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ شَيْبَةٌ وَشَقِيقٌ ، وَأَطْعَنَا
أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَعَامَلَةِ الْوَالِدِ الْبَارِ مَعَامَلَةَ الْوَالِدِ الشَّفِيقِ ؛ وَأَوْدَعْنَا لَدَيْهِ مَا أَوْدَعَهُ
اللَّهُ تَعَالَى لَدَيْنَا : مَمْلَكَةً مَرْتَفَعَةً مَتَسَعَةً لِيَرْتَفِعَ مَحَلُّهُ وَيَتَسَّعَ أَمَلُهُ وَلَا يَضِيقَ ، وَجَمَعْنَا
لَهُ أَطْرَافَهَا لِتَكُونَ لِكَلِمَتِهِ الْعُلْيَا بِهَا الْاجْتِمَاعُ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقِ .

وَمَا كَانَ الْجَنَابَ الْعَالِيَّ ، الْوَالِدِيَّ ، الشَّهَابِيَّ ، سَلِيلَ الْمَمْلُوكِ وَالسُّلْطَانِ ، خَلِيلِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : هُوَ الَّذِي تُسِيرُ رَتَبَ الْكَفَالَةِ بِرَقِيهِ ، وَتَقَرُّ عِيُونَُ الْأَوْلِيَاءِ بِتَعَيُّنِهِ لِإِلْقَاءِ
أَمْرِنَا الْمَطَاعِ وَتَلْقِيهِ ؛ وَتَلْهَجُ الْأَلْسِنَةُ ضَارِعَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَخْلُدَ مُلْكَ بَيْتِهِ
الشَّرِيفِ وَيُثَقِّبَهُ ، وَتَعْرُجُ إِلَى السَّمَوَاتِ دَعَوَاتُ الْأَتْقِيَاءِ أَنْ يُوقِيَهُ اللَّهُ مِمَّا يَتَّقِيهِ ؛
وَتُمْسِكُ فِي هَذَا الْمَقَامِ لِسَانَ الْمَقَالِ عَنْ مَدْحِهِ أَدْبَا ، وَتَتْرِكُ الْإِفْتِخَارَ بِالْمَالِ
وَالْعَدِيدِ إِثَاراً لِثَوَابِ اللَّهِ وَطَلَبَا ؛ وَتُدْرِكُ مَوْعِظَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ قَصْداً وَأَرْبَا :

(وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا) . (١) وببركة هذا القصد يتم لنا فيه المراد، ويعم هذه المملكة النفع بهذا الإفراد؛ فإنها معهود النصر والفتح، ومشهد الوفر والمنح؛ ومضعد العز الذي لما وطننا صرحه تدككك للعدا كل صرح، وتملك للهدي كل سرح؛ ونشقنا بها لقرب المزار من طيب طيبة أعظم نفع، وقد بقينا بجاه الحال بها في تيسير التأيد فكان كالمنح؛ وجرى خلفنا السمع بعد ذلك على عادته في الحكم والصفح، وسرى ذكرنا في الشرق والغرب وللخداة به أطرب صدح، وآتى الله من فضله ملكنا نعيما تجل عن العبد والشرح؛ فيها منشأ دولة الدول ومنها فتح الفتوح، وبإضافته إلينا تفاؤل خير مشهور مأموح؛ كما قيل قبلها كرك نوح، فبتطهير الأرض من الكفار، عزائمنا تغدو وتروح، وبالاستناد بأطول الأعمار، أمارة بادية الوضوح؛ وآثار بركة الأسم الشريف الحمدي تظهر علينا في الحركات والسكات وتلوح، ونغار هذه المملكة المباركة: لأختصاصها بالحرمين الشريفين عليها طلاوة وسعادة وفيها روح؛ وكما قد سلكنا بهذا الولد النبيل، ستة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل، في ولده إسماعيل، عليهما السلام التام في كل بكرة وأصيل؛ حيث فارقه وأفرده، وتفقدته في كل حين وتعهدته؛ حتى شد الله تعالى به عضده ورفع هو وأبوه قواعد البيت وأعانه لما شيدته، فأجمل الله لنا هذا القصد وأحمده، وكل هذا الشروع وأسعده؛ وأجزل [له] من فوائده أوفر هبة وأنجزله من عوائده أصدق عده؛ فأحللناه في هذه المدة بمملكة الكرك فسلك من حسن السجايا أحسن مسلك، وملك قلوب الرعايا وبما وهب من المنح تملك؛ وبسنتنا في التواضع للحق مع الخلق تمسك، وبشيمنا وخلقنا في الجود تخلق فبدل وما أمسك .

(١) التلاوة «وخير أملا» أما وخير عقبا فهو في آية قبلها .

ولما بلغ أشده وأستوى، وبزغ شهابُ علاه الذى هو وبدرُ السماءِ سواها، وحاز
مكارمَ الأخلاقِ وحوى، وفاز سلطاننا فى نجاته بحسن النية: "وَأَمَّا لِكُلِّ أَمْرِيٍّ
مَا نَوَيْتُ" - حكمانه فى هذه النيابة التى ألقها ودربها، وعرف أمورها وجرها،
وأستمال خواطر أهلها وأستجلبها، وأدنى لهم لما دنا منهم الميامن ولما قرَّبها
منهم قرَّبها، وأستحقَّ كفالتها وأستوجبها، وأظهر الله تعالى فيه من الشائِلِ أنجبها،
ومن الخلائق أرحبها، ومن الأعراق أطيبها، ومن العوارف أنسبها، ومن العواطف
أقربها، ومن البسالة أرهفها وأزهبها، ومن الجلالة أحبها إلى القلوب وأعجبها، ومن
السيادة ما أخذت نفسه لها أهبها، ومن الزيادة ما يتعين [له] شكر الله الواهب الذى
وهبها، ومن السعادة ما رفعت الأقدار على مناكِبِ الكواكبِ رتبها، وأطلعت
لجئاته سماءَ العلياء شهبها، ورقَّت على هامةِ الجوزاء منصبها، وأستصجبت من العناية
لهذا البيت مزينةً فرض الله بها له الطاعة وكتبها، فاستخرنا الله تعالى الذى يختار لنا
ويخير، وسألناه التأييد والتيسير، وفوضنا إليه وهو الكفيل لنا بالتدبير، فى كلِّ مبدئٍ
ومصير، واستعنا به وهو نعم النصير، وأقتضى حسنُ الرأى الشريف أن نُسرج
شهابه المنير، وننتج للآولياءِ يمن التائبين بحسن هذا التأثير، وننتج فى ربه سبلاً
تقدمنا إليها كلُّ ذى منبرٍ وسرير، ونُثلج الصدور ونُقِرَّ العيون بسعيد هذا الإصدار
وحميد هذا التقرير.

فذلك رسم بالأمر الشريف - لا برح أمره يصيب السداد فيما إليه يصير،
وخبره يحمل الموافاة فلا لئسنة عن مكافأة ربه تفصير - أن تفوض نيابة السلطنة
الشريفة بالركك المحروس والشوبك للجناب العالى، الولدى، الشهابى، وما ينضم
إلى ذلك وينضاف، من جميع الأقطار والأكفاف، وجمعنا له من هذه المملكة
الأطراف، وجعلنا له على سهلها وجبيلها إشراف، وصرفناه منها فيما هو عن علمه

الكريم غير خاف ؛ نيابةً كامله ، كافلةً شامله ؛ عامه ، تامه ؛ وافره ، سافره ؛ يستلزم طاعته فيها الافتراض ، ونحسم عنه فيها مواد الاعتراض ، وتتقد مراسمه من غير توقف ولا انتقاض ، وتبسط يده البيضاء من غير انقباض ، ويرتفع رأيه من غير انخفاض .

فلتقدر رعية هذه البلاد نعمة هذا التفويض قدرها ، وليسألوا الله أن يوزعهم لحسن هذا التفويض شكرها ، فقد أنشأ لهم يسرها ، وأفاء لهم يرها ، وألقى إليهم جودها وخيرها ، وأبقى عندهم عزها ونصرها . وليتبعوا السبيل القويم ، وليتجمعوا على الطاعة التي تبنى عليهم نعمة العافية وتديم ، وليسمعوا ويطيعوا لما يريد إليهم من المراسيم ، فن لم يستقم كما أمر لا يستمر بهذه البلاد ولا يقيم ؛ والعاقلة لنفسه خصيم ، والجاهل من عدم النعمة وحرم النعيم ؛ وفراستنا تلمح نتائج الخير من هذا التقديم ، وسياستنا تصلح ما قرب منا وما بعد بتعريف أحكام التحكيم ؛ وكيف لا ؟ وهو الكريم بن الكريم بن الكريم ، المؤمل تمام السؤدد قبل أن يُعقد عليه التميم ؛ المشتمل على الخلال الموجبة له الفضل العميم ، المتوصل بمن حركته إلى أن يكون لمثل هذا الملك العظيم ؛ وإلى أمانته استبداع وإلى صيافته تسليم ، المقبل وجهدنا الإقبال فتلو الرجال : (ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم) .

ونحن نأمرك من التقوى بما به من الله أمرنا ، ونبصرك من الهدى بما له هدينا وبصرتنا ، ونبقي لديك من بدائعها ما به خصصنا وأوترنا ؛ ونوصيك أتباعًا للكتاب والسنة ، ونؤتيك من الهداية ما لله في الإرشاد إليه المنه : فقد وعظ ووصى لقمان - عليه السلام - أبنه ، وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن فحقق الله تعالى في نجاحه رجاءه وفي فلاحه ظنه ؛ ونذكر جنابك ، ونرجو أن

تكون ممن تنفعه الذكرى، وتسير شهابك، إلى أفق السعد وتأمل أن تيسر لليسرى،
وتؤمرك فتزيد علم عزك رفعا ولواء مجديك تشرًا، وتأمرك ثقة بحسن أخلاقك،
فيتلو لسان وفائك: (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) . فملك
من أيدته العصم، وأصعدته الهمم، وحمده الأئم، وأرشدته إلى الحكم ماعهده
فكرته من الحكم، وسدده أعراقه وأخلاقه فلا يزد على ما فيه من كرم؛ فلا تذكر
منك ناسيا، ولا تفكر لاهيا، ولا تأمر وتنهى إلا من لم يزل بالمعروف أمرا وعن
المنكر ناهيا .

فاتق الله تعالى: فعلى التقوى مرباك، وراقب الله تعالى: فالمرابطة للولك من
بيتك ملاك، وجد في نصره الحق ولا تآب: فقد أنجد الله تعالى بذلك جدك وأباك،
وأعدل فبالعدل تعمم الدول وأقم منار الشرع، فهو الأصل الذي يرد إليه من القضايا
كل فرع، وبجمله الرحب إذا ضاق الدرع؛ فأيد حاكمه، وشيد معلمه؛ وأكد
الإلزام بأحكامه الألامه .

والأمراء والجنود فهم جناح النجاج، وصفاح الصفاح؛ فاعتمد أحوالهم بالصلاح،
وأرد فيهم ما استطعت الإصلاح . والخيالة والرجالة الذين ينجي بهم مصون الحصون
أن يستباح، فالخط أمورهم بعين فكرك في كل مساء وصباح، فمن نهض في الخدمة
تعيّن من النعمة أن يزد ومن قصر في العزم قضى الخزم أن يراح . والرايا فهم
للإحسان ودائع، وللأمتنان صنائع؛ فاعذب لهم من المعدلة المشارع، وأنصب
لهم من إقامة الحرمة الزواجر والروادع؛ وأخصب لهم من النعمة مربعا يرغب الجراح
ويقرب الطائع . وأهل الذمة فأوهم إلى كنف العدل الواسع، وأحجمهم أن تمتد
إلى أنفسهم يد جان وإلى أموالهم يد طامع، وأقم عليهم بأسا يحل بهم إذا اعتدوا

القواصم والقوارع ، وأدم لهم مهابة تُسدُّ من فساد الدرائع ، وعاوِد آراءنا الشريفة
 وراجع ، وواصل بأنبيائك السارة وأفعالك البارة وتابع ، وبما نتطلع إليه خواطرنا
 العاطفة من مُتجدداتك المباركة أتخف وطالع ، والله تعالى يسئف بحسن سيرتك
 المسامع ، ويشرف بحلول عدلك المحافل والمجامع ، ويوزعك شكر نعمته ويجعل لك
 من عصمته أعظم وازع ، ويمتدك بأيامنا التي فيها الخير الشامل والبر الجامع ،
 ويصون بخلاك الحسنى ما استتعت من أسنى الودائع ، ويزين سماء العلياء
 بجلاك فمنها لك قمرها والنجوم الطوالع ، ويوفق بجمل قصدك إلى أن تأخذ
 من القلوب بالمجامع ، ويحقق في إسعاد جنابك المطالب ويشرق بإسعاد شهابك
 المطالع ، والعلامة

الصف الثاني - أرباب الوظائف الدينية . وبها قاض واحد شافعي ،
 وتوقيع في قطع الثلث بـ «السامى» بالياء .

الصف الثالث - الوظائف الديوانية . وهي ثلاث وظائف ، يكتب لكل
 منها توقيع في قطع العادة . الأولى كتابة الدرج . الثانية نظر المال . الثالثة
 نظر الجيوش .

القسم الثالث

(مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية -

ما يكتب لأرباب الوظائف بالملكة المجازية)

وقد تقدم أنها تشتمل على ثلاث قواعد :

(١) لعله «ما استتعت» .

القاعدة الأولى

(مكة المشرفة ، وبها وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(الإمارة)

وقد تقدم أن إمارتها في بنى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ،
وأنها كانت تُؤلَّى من أبواب الخلافة ببغداد إلى حين أنقراضها ، إلا ما تغلب عليه
الفاطميون أصحاب مِصر في خلال ذلك . ثم استقرت آخرًا من جهة ملوك مِصر
إلى الآن . ويكتب له تقليدٌ في قطع النصف بـ «المجلس العالى» بزيادة ألقاب
تُخصه ، وقد تقدمت ألقابه في أوّل هذا الطّرف .

وهذه نسخةٌ تقليد بإمرة مكة المشرفة : كُتب بها عن الملك الناصر « محمد بن
قلاوون » لأسد الدين « رميثة » بن أبي نُمي ، بإمرة مكة المشرفة ، عوضًا عن أخيه
« عطيفة » عند قتل الأمير الدمرجان دار وولده خليل ، من إنشاء المولى تاج الدين
أبن الباربارى رحمه الله ، في المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبعائة ، وهى :

الحمد لله الحكيم : فالشريف من أتبع أوامره ، العظيم : فالسعيد من أتقى غَضَبه
بأعماله الزاكية ونيّاته الطاهرة ، الكريم : فالفائز من سلك مراضيه في الدنيا ليأمن
في الآخرة ؛ ومن أخاف عا كَف حرم الله وبأديه فقد بَاء بالأفعال الخاسره ، ومن عظّم
شعائر الله فقد رَقَل في حُلّ الإقبال الفآخره .

نحمده على أظافه الباطنية والظاهرة ، ونشكره ونرجوه وما زال يُنحج راجيه ويزيد
شاكركه ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من آخذ الحق ناصره ،

وأودع إخلاصها صمائرَه ؛ ونشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولهُ الذي بعثه اللهُ من الحرمِ
فألفَ القلوبَ النَّافِرَه ، وفتحَ مَكَّةَ فطَهَّرَها من الرُّمْرِ الكافِرَه ، وقال في ذلك اليوم :
« من أغلقَ عليه بابَه فقد آمن » فأمسى أهلُها ونفوسهم بالأمنِ ظافِرَه ؛ صلى اللهُ عليه
وعلى آلِهِ نبيِّ الزهراءِ العِترَةِ الزاهِرَه ، وعلى صحبِهِ النجومِ السافِرَه ؛ وسلمَ تسليماً كثيراً .

أما بعدُ ، فإنَّ الحَكَمَ [بالعدل] شعارُنا ، وباللَّهِ آقِدَاؤُنَا وأقَدَارُنا ؛ وفي الإحسانِ
رَغَبُنَا ، وفي كلِّ عُنُقٍ مِئْتَانَا ؛ نَصَفَحَ وَنَمَحَ ، وَرَمَعَى مِنْ أَمْسَى قَدِيمِ المِجْرَةَ فِي وِلايَتِنَا
وَأُصْبِحَ ؛ وَتَقِيمُ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ لِحَفْظِ ذَلِكَ البَيْتِ الأَصْلَحَ فالأَصْلَحَ ، وَتُقَدِّمُ مِنْ لَمْ
يَزَلْ مَقْدَمًا وَإِلَى صَوْبِ الصَّوَابِ يَجْنَحُ فَيَنْجَحُ ، وَتُنَجِّي مِنَ المِهلَكَةِ مَنْ لَاحَ لَهُ
مَنْهَجُ الخَيْرِ فِلسِلكِهِ فَأَفْلَحُ .

وكانت مَكَّةُ المِعْظَمَةُ هي أمُّ القُرَى ، والبَلَدُ الأَمِينُ المُجَزَّلُ فِيهِ القُرَى ؛ نَسَأَ الإسلامُ
في بَطْحَانِها ، وَحَرَمَها اللهُ فلا يَنْقَرُ صَيْدُها ، ولا يُعْضَدُ شَجَرُها ، ولا تَحِلُّ لِقَطْعُها
إِلَّا لِمُنْشَدٍ تَأَكِيدُ لِنَشْرِيفِها وإِعْلَامِها ؛ وَطَلَعَتْ شَمْسُ النُّبُوَّةِ مِنْ شِعَابِها ، وَغَسَلَتْ
الذُّنُوبُ بِوَيْلِ تَعَابِها ؛ فِيها زَمْزَمٌ وَكَرَّةٌ جَبْرِيلُ ، وَفِيها بَدَأَ الوَحْيُ وَالتَّنْزِيلُ ، وإِلَيْها
أَعْنَقَتِ الرِّكَابُ ففِي كُلِّ أَبْطَحَ لِلطَّيِّ مَسِيرٌ وَمَسِيلٌ ؛ فَكَمْ أُنَى إِلَيْها مِنْ سائِرِ النَّاسِ
سائِرٌ ، وَكَمْ أُنَى إِلَيْها النَّاسُ رِجالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ؛ فالرَّحْمَةُ مُسْتَقَرَّةٌ بَيْنَ نَوَاحِيها
وَالعُيُونُ تَمَلُّ بِأَنْوارِ تلكِ الأَسْتارِ حَتَّى تَجْتَلِيها ، وَالشِّفاهُ تُتَشَرَّفُ بِتَقْيِيلِ ذلكِ الحِجَرِ
الَّذِي يَشْهَدُ لِمَا فِي عَيْدِ وَبِقِيها ؛ فَطُوبَى لِمَنْ تَقِيها ، وَصُحُفاً لِمَنْ أَخافَ وَقَدَّ اللهُ فِيها ؛ وَنَحْنُ
قَدِ بَصَرْنَا اللهُ بِخِدْمَةِ بَيْتِها المَحْرَمِ ، وَحَرَمِها المَعْظَمِ ، وَكَرَّرَ إِلَيْها حِجَّتَنا وَكَرَّمَهُ ؛ فَاللهُ المَحْمَدُ
أَنْ كَرَّرَ حِجَّتَنا وَكَرَّمَهُ ؛ وَمَا بَرِحْنَا تَقِيْمُ فِي إِمَارَتِها مِنَ العِترَةِ النَّبَوِيَّةِ كُلِّ شَرِيفِ النَّسَبِ ،

وكل من يكتسب فيها رضا الله تعالى : وكل أمرئ وما آكتسب ؛ فمن أصلح منهم أقنأه ، ومن حاد عن الطاعة ويحذ النعمة أزلناه ؛ ومن أخاف فيه السبيل لم نجعل له إلى الخير سبيلا ، ومن استقام على الطريقة توكلنا على الله وولينا : وكفى بالله وكيلا .

وكان فلان هو الذى مازالت خواطرننا الشريفة تقدمه على نبي أبيه ، وتختاره أميراً وتجتبيه ؛ وربما سلفت من بيته هنأت صفحنا عنها الصفح الجميل ، وما قابلناهم إلا بما يليق لمجدهم الحسن الحسن الأصيل ؛ والإمرة وإن كانت بيد غيره هذه المدة فما كان فى الحقيقة أميراً عندنا سواه ، لأنه كبير بيته المشكور من سائر الأقواء .

والآن قد اقتضت آراؤنا الشريفة أن نقيمه فى بلده أميراً مفرداً إليه يشار ، وأن نصطفيه ؛ وأنه عندنا لمن المصطفين الأخيار ، وأن نجعل الكلمة واحدة ليأمن التزليل والجار ؛ ومتى تجاذب الأمر كلمتان فسد نظامه ، ومتى أفرد الحكم حسنت أحكامه ؛ ومتى توحد الأمر زال الاختلاف ، وزاد الائتلاف ، وأقبلت أيامه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه إمرة مكة المشرفة ، على عادة والده . فليقلد ما فوضناه إليه من الإمرة والنيابة بمكة المعظمة : شاكراً ما أنعم الله به عليه من مراضينا التى لا نجاة لمن لم ينل منها نصيباً موفوراً ، ولا فوزاً لمن لم يدرك منها حظاً كبيراً ؛ وليشرع فى تمهيد البلاد من إزالة المظلمة ، وليطهرها من كل مجترئ على الله تعالى فى البقعة المحرمة ؛ ولا يقرب من فى قلبه مرض فيعديه ، ولا يرجع لمن فيه شقاق ظاهر فى صفحات وجهه وقتلات فيه ؛ وليعلم أن هذا بلد حرام حرمة الله يوم خلق السموات والأرض ، وصير حج بيته على مستطيعه من الفرض ؛ وجعله للناس معاداً ومعاداً ، وقال صلى الله عليه وسلم يوم

عَرَفَةَ : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ حُرْمَةً يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا » .

فَلْيَمْنَعِ الدَّمَاءَ مِنْ أَنْ تُرَاقَ ، وَالْأَمْوَالَ مِنْ أَنْ تُؤْخَذَ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ ، وَالظُّلْمَ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ حَرَامًا ، وَبَنُو حَسَنٍ أَحَقُّ بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَأَتَقَى اللَّهُ لَتَلْقَاهُ بِالْوَجْهِ الْأَبْيَضِ وَالْعَمَلِ الْأَعْرَرَ ، وَاتَّبِعْ سُنَّةَ جَدِّكَ : فَعَلَى اتِّبَاعِهَا حَثٌّ وَأَمْرٌ ، وَأَلْقَ وَقَدْ آتَى الْبِرَّ وَالْبَحْرَ بِالْحُسْنَى فَهَمَّ أَضْيَافَهُ ، وَأَمَّنَ الْحَجَّ لَيْتَمَ نُسُكُهُ وَطَوَّافُهُ .

هَذَا تَقْلِيدُنَا لِكَأَيِّهَا الشَّرِيفِ : فَطَبَّ نَفْسًا بِمَرَاضِينَا ، وَصَفَحْنَا عَمَّا مَضَى وَمَنْحَنَا الرِّضَا حَقًّا يَقِينًا ، لِأَنَّا نَتَحَقَّقُ أَنَّ الْإِحْسَانَ يَحْرُسُنَا وَيَقِينُنَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد شريف لأمر مكة المشرفة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ، وَنَصَبَ فِيهِ لِلْقَائِمِينَ رُكْنًا ، وَجَعَلَ أَرْضَ الْحَرَمِ لَا تَبِيدُ بَرَكَاتُهَا وَلَا تَفْنَى ، وَجَعَلَ لِشَجَرَةِ النَّسَبِ الْمَهَاشِمِيِّ فِيهَا أَصْلًا شَرِيفًا كَمْ أَخْرَجَ غُصْنَا ، وَآتَى نَبِيَّ الْحَسَنِ فِيهَا إِحْسَانًا مِنْ لَدُنْهُ وَحُسْنًا ، وَأَقَامَ مِنْهُمْ أَمِيرًا فِي ذَلِكَ الْمَحَلِّ الْأَسْنَى .

نَحْمَدُهُ فُرَادَى وَمَعْنَى ، وَنَسْتَعِينُهُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً كَامِلَةً اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى ، وَنَسْتَعِينُهُ أَنْ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي شَهِدَ اللَّهُ بِهِ لِلدِّينِ خَيْرَ مَبْنَى ، وَأَضْحَتِ الصُّلُوعُ عَلَى حَبِيَّتِهِ تُحْنَى ، وَثَمَارُ الْخَيْرِ مَمَائِينَ رَوَّضَتْهُ وَمِنْبَرُهُ تُحْنَى ، وَخَصَّصَهُ اللَّهُ بِالشَّرْعِ الْمُسْتَقِيمِ وَالدِّينِ الْأَهْنَى ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً فِي الصَّدُورِ لَهَا سُكْنَى ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فإن أم القرى ، خير البلاد بلا مراً ، قد جعل الله للناس إليها رحلةً
وسرى ، وهجروا في قُصدهم إليها لذيذ الكرى ، ونصب فيها بيتاً متين العرى ، وأنبغ
فيها بيتاً مأوها يشفي السقيم ويبرئ الورى ، وجعل فيها للشرف بيتاً عالي الذرى ،
فأميرها المطاع ، من أهل بيت النبوة لا يُحيب ولا يُضاع ، ذوهمة تخافها السباع ،
ويرهبها البطل الشجاع ، يعد من الآباء أسلافاً كراما ، كصايح السماء تجلو ظلاما ،
وقد طيب الله مقامهم وأعلى مقامهم حين جاؤوا مقاماً .

ولما كان ... هو شريف العرب ، المعرق في النسب ، الطيب الحسب ،
المحي من آثار آباءه ما ذهب ، الشريف النفس : فلا يلتفت إلى العرض الأذنى
من الرقة وأكد شكره الحرم وأهله ، وأثنى على صفاء سيرته الصفاً وعلى مروءته
المروءة إذ طاب أصله ، قد آقنى في الكرم أباه وجدته ، وأمن سبيل الحاج من جهة
البر ومن جهة البحر من جدته .

فلذلك رسم أن يفوض إليه فليحل البلد الحرام حاكماً وأميراً ،
وليستجلب له من العاكف والباد شاكراً ، وليحسن للطائفين والعاكفين والرُكع
السجود ، وليتبع آثار آباءه أهل الكرم والجود ، وليؤمن الخائف في تلك التهايم
والشجود ، وليردع الخائف عن حيفه فلا يعود ، وليعلم أنه بوادٍ غير ذي زرع ولكن
فيه للبركات ظلٌ ممدود ، وخير مشهود ، وبمكة مولدٍ أشرف مولود ، وجدته الحسن
رضي الله عنه فليكن حسن الفعل فكما ساد يسود ، وليعرب عن الثناء الأبيض عند
ما يمسك بتلك الستور السود ، وليتلق المحمل الشريف في كل عام ، بالاحتفال
والإكرام ، والطاعة التي يبلغ بها المرام ، وليقف مع أمراء الحاج مقياً لحرماتهم
بجميل الاحترام ، وليكف الأشرار من العبيد والموالي ، عن النهب والتخطف لو قد

(١) الوري اسم للقيح يكون في الجوف .

الله الذي قطع السرى بالأيام والليالي ؛ وليلازم خدمة المحمل الشريف على مايناسب شرفه ، حتى يقف بعرفه ، ثم يدفع إلى المزدلفه ، إلى أن يقضى الحج ويرحل من مكة المشرفة ؛ وليكن سياجا على الحجاج ، في تلك النجاج ، حتى لا يفقد أحدهم عقالا ، ولا يحد اختالا ، ويرحلون عن مكة المعظمة من الذنوب خفافا وبمنه يقال . والوصايا كثيرة وهو غني عن أن نطيل له فيها مقالا ، وتقوى الله فمن تمسك بها حسن حالا ، وأتم أهلها كرمكم الله أهلا وآلا ، والله الله في حفظ جانب الصحابة رضى الله عنهم فليردع عن الخوض فيهم جهالا ، والله يجعله مغمورا مسرورا بنعم الله تعالى ، بمنه وكرمه ! .



وهذه وصية لأمير مكة ، أوردها في "التعريف" :

وليعلم أنه قد ولي حيث ولد بمكة في سرة بطحائها ، وأمر عليها ما بين بطن نعامها إلى بحوة روحائها ؛ وأنه قد جعلت له ولاية هذا البيت الذي به تم شرفه ، وعلت عرفه ، وعرف حقه له أبطحه ومعرفه ، إذ كان أولى ولاية هذا الحرم بتعظيم حرمانه ، وسرور جوانبه بما يلوح من البشر على قيماته ؛ ولأنه أحق بنى الزهراء بما أبقته له أبأؤه ، وألقته إليه من حديث قصى جدّه الأفضى أنبأؤه ؛ وهو أجدر من طهر هذا المسجد من أشياء يتره أن يلحق به حش عابها ، وشنعاء هو يعرف كيف يتبعاها «وأهل مكة أعرف بشعابها» .

فليتلق راية هذه الولاية باليمين ، ولينوق ما يتخوف به ذلك البسد الأمين ؛ وليعلم أنه قد أعطى الله عهدَه وهو بين ركن ومقام ، وأنه قد بايع الله : والله عزيز ذو انتقام ؛ وليعمر تلك المواطن ، ويعمر بيرة المسار والقاطن ؛ وليعمل في ذلك

(١) في الأصل «نمرة» والتصحيح من "التعريف" (ص ١٠٤) .

بما يُبْحَثُ عَنْهُ نِجَارُهُ ، وَيَأْمَنُ بِهِ سُكَّانُ ذَلِكَ الْحَرَمِ الَّذِي لَا يُرْوَعُ حَمَامُهُ فَكَيْفَ جَارُهُ ؛ وَلْيُنِصِتْ إِلَى أَسْمِهِ [عَزَّوَجَلَّ] حَيْثُ يُعْلِنُ بِهِ الدَّاعِي عَلَى قُبَّةِ زَمْزَمٍ فِي كُلِّ مَسَاءٍ وَلْيَعْرِفْ حَقَّ هَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَلْيَعَامِلْ مِنْ وُلَى عَلَيْهِمْ بِمَا يَلِيْقُ أَنْ يَعَامَلَ بِهِ مِنْ وَقَفَتْ تَحْتَ مِزَابِ الرَّحْمَةِ ؛ وَقَدْ أَكَّدَ مَوْثِقَهُ وَاللَّهُ اللَّهُ فِي تَقْضِهِ ، وَمَدَّ يَدَهُ عَلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ يَمِينِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ؛ وَلْيَتَبَصَّرْ أَيْنَ هُوَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ آسَأَمَنَهُ عَلَى بَيْتِهِ الَّذِي بَنَاهُ ، وَسَلَّمَهُ إِلَيْهِ بِمَشْعَرِهِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ حَيْفِهِ وَمِنَاهُ ؛ وَإِنَّهُ الْبَيْتُ الْمَقْصُودُ : وَكُلُّ مَنْ تَسَوَّقَ حِمَى لَيْلٍ فَأَمَّا قَصْدَهُ أَوْ لَعَلَّعَ بَلَعْلَعُ فَأَمَّا عَنَاهُ ؛ وَفِي جَمْعِهِ يَجْتَمِعُ كُلُّ شَيْئَةٍ ، وَفِي لَيْلِي مَنَاهُ يَطِيبُ الْمَيْتَ ؛ وَبِحُصْبِهِ تُقَامُ الْمَوَاسِمُ ، وَتَفْتَرُّ الثُّغُورُ الْبَوَاسِمُ ، وَتَهْبُّ مِنْ قَبْلِ نَعْمَانَ الرِّيَّاحُ النَّوَاسِمُ ؛ وَفِي عَقْوَةِ دَارِهِ مَحَطُّ الرِّحَالِ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَمَقَرُّ كُلِّ ذَاتِ عُوْدٍ تُجَذَّبُ بِقَلْعٍ وَعُوْدٍ تُقَادُ بِزِمَامٍ ؛ وَإِلَيْهِ تَضْرِبُ التِّجَارُ الْبَرَارِيَّ وَالْبِحَارُ ، وَتَأْتِيهِ الْوُفُودُ عَلَى كُلِّ قِطَارٍ يُجَدَى مِنْ الْأَقْطَارِ ؛ وَكُلُّ هَؤُلَاءِ إِمَّا يَأْتُونَ فِي ذِمَامِ اللَّهِ بِبَيْتِهِ الَّذِي مَنَ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ، وَإِلَى مَحَلِّ آبِنِ بَنْتِ نَبِيِّهِ الَّذِي يَلْزِمُهُ مِنْ طَرِيقِ بَرِّ الضَّيْفِ مَا أَخَذَ لَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ضَامِنًا .

فَلْيَأْخُذْ بِنِ اطَّاعِ مَنْ عَصَى ، وَلْيَرُدِّعْ كُلَّ مُفْسِدٍ وَلَا سِيَّمَا الْعَبِيدُ فَإِنَّ الْعَبْدَ الْمَفْسِدَ لَا يَزْبُجُهُ إِلَّا الْعَصَا ؛ وَلْيَتَلَقَّ الْجَحَّاجَ بِالرُّحْبِ وَالسَّعَةِ ، فَهَمَّ زُوَّارُهُ وَقَدْ دَعَاهُمْ إِلَى بَيْتِهِ وَإِنَّمَا دَعَاهُمْ إِلَى دَعَاةٍ ؛ وَلْيَتَلَقَّ الْمُحْمِلَ الشَّرِيفَ وَالْعَصَائِبَ الْمَنْصُورَةَ ، وَلْيَخُذْ مِنْ عَلَى الْعَادَةِ الَّتِي هِيَ مِنَ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى مَعْنَى وَمَعْنَى صُورَةٍ ؛ وَلْيَأْخُذْ بِخَوَاطِرِ التِّجَارِ فَإِنَّهُمْ سَبَبُ الرَّفْقِ لِأَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ وَتَوْسِعَةَ مَا لَدَيْهِمْ ، وَالْمُسْتَجَابُ فِيهِمْ دَعْوَةُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - إِذْ قَالَ : ﴿ وَأَجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ ﴾ . وَلَا تُتَحَيَّفْ أَمْوَالَهُمْ بِغَرَامَةٍ يَقْلُ بِهَا الْعَنَمُ ، وَلَا بِظُلَامَةٍ فَإِنَّهُ بِلِزَاءِ هَذَا

(١) يُبْحَثُ يَسْتَخْرِجُ وَنِجَارُهُ أَسْلُهُ .

البيت الذي يردُّ دونه من أراد فيه إلحاداً بظلم ؛ ولينظر كيف حُيس دونه القيل ،
 وليكف عادية من جاوره من الأعراب حتى لا يخاف ابن سبيل ؛ وليقيم شعائر
 الشرع المطهر ، وأوامر أحكامه التي قامت بأبويه : بحكم جدّه سيدنا محمد صلى الله
 عليه وسلم وسيف أبيه حيدر . وليأمر طوائف الأشراف وأشياعهم وسائر أهل
 موالاتهم وأتباعهم بلزوم ما كان عليه صالح السلف وما عليه الإجماع ، وتجنّب ما كانت
 الزيدية زادت فيه وكف الأَطَاع ، وليتق الله فإنه مسئولٌ لديه عما آستره
 وقد أصبح وهو له راع ؛ وإياه أن يتكل على شرف بلده ، فإن الأرض لا تُقدّس
 أحداً ، أو شرف محبّه ، فإن في يوم القيامة لا ينفع ولدٌ والداً ولا والدٌ ولداً .

الوظيفة الثانية

(قضاء مكة ، ويكتب به توقيع في قطع الثلث بـ «السامي» بالياء)

وهذه نسخة توقيع بقضاء مكة المشرفة :

الحمد لله الذي أنفذ الأحكام ، بالبلد الحرام ؛ وأيد كلمة الشرع في بلده
 ومنشئه بين الركن والمقام ، وجعل الإنصاف الجزيل ، حول حجر إسماعيل ؛
 متسق النظام .

نحمده حمداً حسن الدوام ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
 عبد قائم بحقها أحسن القيام ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله السامي من ولد
 سَام ، والذي قام لله حتى ورمت منه الأقدام ؛ وأسرى به من مكة إلى السماء
 مرتين : في اليقظة والمنام ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أئمة الصلاة والصيام ؛
 وسلم تسليماً .

وبعد ، فإن وظيفة القضاء بمكة المعظمة هي أجل منصب بتلك الأباطح ،
وتورها في الجبين لا يمح ، فإن الشرع نسا منها والوحي أنزل فيها فزهيت البطائح ،
وظهرت النصائح ، وأطربت الصوايح ، وأسكتت التوايح ، وغمرت المنائح ،
وأنشرت المصالح ، فمن ولي الحكم بها وعدل فذلك هو العدل الصالح ؛ وكيف لا ؟
وماء زمزم شرابه ، وأستار البيت تسمها أنوابه ، وعلى الله أجره وثوابه ؛ وفي ذلك
الجناب الشريف كرم جنابه ، وإذا دعا الله عند الملتزم جاءه من القبول جوابه .

ولما كان فلان هو فرع الدوحة المنيرة ، ومحصل من العلوم الشرعية المادة
المؤفده ، وله البحوث التي [هي] عن أحسن الفوائد وغرر الفرائد مسفره ؛ ورضى
أهل الحرم ، لما جيل عليه من خير وكرم ، [تمسك] بالعروة الوثقى والقوى الأتقى
فلا جرم .

فذلك رسم ... - لا زال

فليكن في أم القرى ، كالوالد المشفيق على الورى ، وليتمسك من التقوى بأوثق
العرا ، وليخش رب هذا البيت أنه سميع يسمع ويرى ، وقد الله قطعوا إليه
المراحل في السرى ، ليصالحوا كفه المضمخ عنبرا ، وليقض بين الخصوم بالحق فمثله
من درأ الباطل : قد جعله الله جار بيت عالي الذرا ، وفي أرض شرف الله جبالها
وقدس غيرانها فمنها غار ثور وغار حرا ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعبد
في غار حرا ، وأوى إلى غار ثور لما هاجر مؤيدا مظفرا ، والوصايا كثيرة وملاكها
تقوى الله فليتمسك بها من أمام وورا ، والله تعالى يجعل نهاره متورا ، وليله مقمرا ،
بمنه وكرمه ! .

القاعدة الثانية

(المدينة النبوية، وبها ثلاث وظائف)

الوظيفة الأولى

(الإمارة)

والأمر فيها على مامر في إمارة مكة المشرفة .

وقد تقدم أن إمارتها في بني الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ،
ويكتب لها تقليد في قطع النصف بـ «المجلس العالي» أيضا بالقباب مخصوصة ،
وقد تقدم ذكر ألقابه .

وهذه نسخة تقليد شريف بإمارة المدينة النبوية ، كتب به للأمير بدر الدين
«^(١) وددي بن حجاز» من إنشاء المقر الشمهاني بن فضل الله ، سقى الله عهده :

الحمد لله الذي صرف أمرنا في أشرف البقاع ، وشرف قدرنا بملك ما انعقد على
فضله الإجماع ، وعرف أهل طيبة الطيبة كيف طلع البدر عليهم من تينات الوداع ،
وأمتها بودي صغر للتجيب وألا فهو واد متدفق الأجرع .

نحمده على نعيمه التي أغنت مهابط الوحي عن آرتقاب البرد اللعاع ، وأرتقاء النظر
مع بدره المنير إلى كل شمس سافرة القناع ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة محمد من الضلال ما شاع ، ومن البدع ما استطار له في كل أفق شعاع ،
ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أشرف من أنفت به حمية الامتناع ، وألفت

(١) سبق ضبطه مرازا في ج ٤ بالتكبير تبعاً لضبط النسخة والظاهر ما هنا .

بنا سنته أن ترعى لأهلها ولا تراعى، وعصفت ريحها بمن يمالى دينه فقال إلى
الابتداع، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ليس في فضل أحد منهم نراع،
وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن الاهتمام بكل جهة على قدر شرفها، وعلى حسب الدرّة الثمينة كرامة
صَدَفَهَا، وَالِكِامَةُ بِمَرَهَا، وَالْعَمَامَةُ بِمَطْرَهَا، وَالْهَالَةُ بِمَا يَجْلُو الدُّجَى مِنْ قَمَرَهَا،
وَالْمَدِينَةُ الشَّرِيفَةُ النَّبَوِيَّةُ لَوْلَا سَاكِنُهَا مَا عَاجَتْ إِلَيْهَا الرِّكَابُ، وَلَا نَاجَتْ حَدَائِقُهَا
عُرُ السَّحَابِ، وَلَا وَقَفَتْ بِتَأْرُجِ شَدَا الرُّوضَةِ الْغَنَاءِ بِهَا الْجَنَابِ، وَلَا بِكِي مَتِيمٍ
دِمْنِ الْعَقِيقِ بِمِثْلِهِ مِنْ دَمِ ذَائِبٍ، وَلَا هَاجَ إِلَيْهَا الْبَرْقُ مَتَالِقًا، وَلَا هَامَ صَبٌّ فِيهَا
بِظَبْيَاتِ سَاحِجٍ وَالنَّقَا، وَلَكِنَّهَا مَثْوَى النَّبْوَةِ تُرَابُهَا، وَمَهْوَى الرُّسْلِ جَنَابُهَا، وَمَأْوَى
كِتَابِ اللَّهِ الْفَسِيحِ رِحَابُهَا، دَارُ الْهِجْرَةِ الَّتِي تَعَالَتْ شَمْسُ الشَّرِيعَةِ بِأُفُقِهَا، وَتَوَالَتْ
سُحُبُ الْهُدَى مِنْ بَيْنِ أُبْرُقِهَا، وَهِيَ ثَانِيَةُ مَكَّةَ الْمَعْظَمَةِ فِي فَضْلِهَا إِلَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ
فِي تَفْضِيلِهَا عَلَى مَكَّةَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَمِنْهَا أَنْبَعَثَتْ لِلْهُدَى نُورًا كَلَّ نُورٌ وَسُوعًا
كَلَّ قَبَسٌ، وَكَانَتْ لِنَبِيِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُبَى دَارِيهِ، وَأَعْلَى سَمَاءِ
حَوْثٍ ثَلَاثَةَ أَقْصَارٍ مِنْهُ وَمِنْ جَارِيهِ .

ولما كان بها لبعض الولاة من الشيعة مقام، ولم فيها تحامل لا يجوز معه
من الانتقاد إلا الانتقال أو الانتقام، حتى إنه فيما مضى لما أكثر منهم على بغض
الصاحبين - رضی الله عنهم - الإصرار، وأشرأبوا في التظاهر بسبهما إلى هناك
الأستار؛ دب من النار في هذا الحرم الشريف ما تعلق بكل جدار، وأبت لها حمية
الغضب إلا أن يطهر ما سنته أيدي الروافض بالنار؛ فلما اتصل بنا الآن أن منهم
بقايا وجدوا آباءهم على أمه، واقتنوا بهم في مذهب الإمامية بما لا أزاله الله تعالى

ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أولئك الأئمة ؛ وحضر المجلس العالى الأميرى ،
الأصيلى ، الكبيرى العادى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الزعيمى ، المقدمى ، الذخرى ،
الكافى ، الشريفى ، الحسينى ، النسبى ، الأوحدي ، البدرى : عز الإسلام
والمسلمين ، شرف الأُمراء فى العالمين ، نُصرة الغزاة والمجاهدين ؛ جمال العترة
الطاهرة ، جلال الأسرة الزاهرة ؛ طراز العصابة العلوية ، كوكب الدرية الدرية ،
خُلصة البقية النبوية ؛ ظهير الملوك والسلاطين ، نسيب أمير المؤمنين ؛ ودى بن
جماز الحسينى - أدام الله تعالى نعمته - بين أيدينا الشريفة بمحضر قضاة القضاة
الأربعة الحكام ، وتدمم بأن مع طلوع بدره المنير لا تبقى ظلامته ولا ظلام ، وتكفل
لأهل السنة بما أنهدنا الله به عليه ومن حضر ، وتلقى بإظهار فضل الترتيب كما هم
عليه : النبى صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر ثم عمر ، فما اختصهما الله بجواره إلا ليثبت
لها على غيرهما أفضالا ، وليجعل قبورهما فى معرفة أقربهم منه درجة مثالا ؛ لما
تواترت به الأحاديث الشريفة فى فضائلهما مما هو شفاء الصدور ، ووفاء بعهده
إذ يقول : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها
بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور » ؛ فلم يسعنا إلا أن نجعل له منّا تقليدا
يحوي مجده ما حدث من أحداث البدع ، ويحدد من عهد جدّه نبينا صلى الله
عليه وسلم فى معرفة حق أصحابه رضى الله عنهم ما شرع ؛ وثوقا بأنه من بيت كان
أول هذا الدين الحنيف من دله ، ومبدأ هذا الحق الظاهر ماثلته ومثلته فى سلفه
الشريف بأقرب متصله ؛ وأنه هو المورث من الفخار ما ورثه عن آبائه الكرام ،
المحدث عن كرم الحدود بما لا يحقر له جوار أو يخفر ذمام ؛ المشرق من الأسرة
العلوية بدرأ تماما ، المحدث به من الكواكب العلوية ما يظن به (؟) أبا تسمى وأبنا
(؟) الدر المنير .

تسأى المتخَب من آباء صدق أحسن في ديارهم الصنيع ، وحفظ من حسبهم
الكريم ما أوشك أن يضيع ، وأستضاء بلائمة من هدى سلفه السابق ، وهامعة من
تدى ما يرويه السحاب عن الجود والبرق عن المهارق ، تَهتر بمقدمه المدينة سرورا ،
وتفتُر رباها منه بنسب كأن على نسيه من شمس الضحى نورا ، ويتبأسر ما بين
لابتئها بمن يجي حماها ، ويجي محياها ، وتتشوف منه ربا كل نذبة إلى ابن جلاها ،
وطلاج شاياها ، مع ما لا يجحد من أن له فيها من أبيه حق الوراثة ، وأنه لما
كان هذا ثاني المسجدين احتاج إلى ثاني اثنين تعظيما للواحد وفرارا من الثلاثة ،
ليكون هو ومن فيها الآن بمنزلة يدين كئناهما تقبل الأخرى ، وأذنين كئناهما توعى
درا ، وعينين مامنهما إلا ما يدرك أمرا بعيدا ، وفرقدين لا يصلح أن يكون أحدهما
فريدا ، وقرين لا يغلب أحدهما على الآخر في التسمية بالقميرين ، وعميرين وكفى
شرنا أن لا يوجد في الفضل ثالث للعميرين .

فرسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى - زاد الله
به المواطن شرفا ، وزاد به البواطن الشريفة حبا وشغفا - أن يفوض إليه نصف
الإمارة بالمدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، شريكا للأمر سيف
الدين ابن أخيه ، ورسلا معه فيما يليه ، ولكل منهما حق لا يكاد الآخر يخفيه ،
هذا له بر الولد وهذا له حرمة الوالد لأن ابن الأبخ ولد وعم الرجل صنو أبيه ، فنقسم
الإمارة بينهما نصفين ، وتوسم جباه الكتب الصادرة منهما لها بأسمين .

والوصايا تمتد من عنانها ، وتعد من أعيانها ، فأولها تقوى الله فإنها من شعائر
القلوب ، وبشائر الغيوب ، وأما نجاح كل مطلوب ، والاعتصام بالشرعية الشريفة :
فإنها الحبل الممدود ، والحبل الذى تم دونه من عقبة كسود ، والالتقاء إلى مانص عليه

الكتاب والسنة والإجماع ، وقص جناح من مال به الهوى إلى مجاذبة الأَطَاعِ ؛ وتلقى
وفد الله الزائر بما أُلْفِه نزيلُ هذا الحِمَى من كرامة الملتقى ، وتوفى المذممة فإنها دَسُّ
لا يَحْمَدُ مثله نقاءُ هذا النقا ؛ ونعني بالمذممة ما نُسِبَ إلى الروافض من البِدْع التي
لا تُطَهَّرُهَا غُرُّ السحاب ، ولا يَسْتَبِيحُ معها لدخول المسجد الطاهر من قَبَعِ بمقامه
حَوْلِه التيمم بالتراب ؛ ولا يَدْعُ أَحَدًا من هذه الفرقة الضالَّة بعلى ولا يعيره بما
يكون به مثله ، ولا يَسْبُه قلبه في محبة أهل البيت - سلام الله عليهم - بإناء أمتلأ
ماءً ولم تبق فيه فضله .

ولا يظن جاهل منهم أن عليه - كرم الله وجهه - كان على أحد من الصالحين
معاتباً أو عائباً ، أو أنه تأوَّل في خلافتهما معتقداً أن أحداً منهم غاصب ؛ فما تأخر
عن البيعة الأولى قليلاً إلا لا شتغاله بما دهمه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المصائب ، وإلا فقد آتخذ أم ولد من سبي أبي بكر رضي الله عنه لا كما يدعيه
كل كاذب ، وقد تزوج عمر بن الخطاب رضي الله عنه آبنته أم كلثوم وأقام بأمره
الحدود وناب عنه وهو غائب ؛ فيكف من عادية هؤلاء الروافض الأشرار ما سيصلون
في الموافقة بناره ، وسيصلون إلى الموافقة على ما طار من شراره ؛ ولا يدع للإمامية
إماماً يقتدى به منهم قوم شرار ، ولا قاضياً يقضى بينهم : فإنه إنما يقطع لمن قضى
له أو عليه قطعة من نار ؛ ولا عالماً يرفع له علم ، ولا يفتح لهم بفتوى على مذاهبهم
فم ، حتى ولا ما يتحرك به في فم الدواة القلم .

وليطهر هذا المسجد الشريف من دنسهم ، ولينظ ما يجعله أديم مجلدات التصانيف
من نجسهم ؛ وسكان هذا الحرم الشريف ومن أقام عندهم من المجاورين ، أو خالطهم
من زمر المقيمين والسائرين ؛ يحسن لأموالهم الكفالة ، ولا يتعرض لأحد منهم
بما يؤذى نفسه ولا يتاله ؛ فهم في جوار نينا صلى الله عليه وسلم وفي شفاعته ،

وكلُّ منهم تزيُّلٌ حرِّمه ومكثَّرٌ سوادِ جماعته ؛ وحَقُّهم واجبٌ على كلِّ مُسلمٍ فكيف
على حامي ذلك الحِمَى ، بل من له إلى نَسبه الشَّرِيفِ مُتَمَى .

وأصْحَبُ رِفِيقِكَ بالمعروفِ فإنَّكَ مفترقان والسَّعيد من لا يُدْمُ بعدَ فِرَاقِهِ ، ومُسْتَبِقَانِ
إلى كلِّ مَوْرِدٍ لا يُدرى أيُّكُمَا المُجِدُّ في سَبَاقِهِ ؛ ومُتَّفِقَانِ على فِرْدِ أَمْرٍ وأفضَلِكُمَا من
داومِ صاحِبِهِ على إِرْفَاقِهِ ، وصَحْبُهُ على وِفَاقِهِ .

وأما ما للمدينة الشريفة من تَهَائِمٍ ونُجُودٍ مُضَافَةٍ إليها ، ومُسْتَنْظَلَةٍ بِجُدْرانِها أو مُتَقَدِّمَةٍ
في الصَّحراءِ عليها ، فهي ومن فيها : إما أن تُوجَدَ بقلوبهم فهم أعوان ، وإما أن تَتَفَرَّ
فهم أشبهُ شَيْءٍ بالإبل إذا تَفَرَّتْ تعلقَ بذنبِ كلِّ بَعيرٍ شيطانٌ ؛ فأقرُّهُمَا إلى المصلحة
تقريبهم ، وتألِّفُهُمْ بما يَقْرُبُ به بَعِيدُهُمْ وَيَزِدُّهُمُ قُرْبَى قَرِيبُهُمْ ؛ والرُّبُحَانُ التي تَتَقَدُّ
بهم بَحْرَاتُ الأَصْبَاحِ والعَشايا ، وَيَعْتَقِدُ كُلُّ مِنْهُمُ في مَعَاجِهِ إلى المدينة الشريفة أن
تَسَامَ الحَجَّ أن تَقِفَ عليها المَطَايَا ؛ فهم هُجُودٌ سُرِّى ، ووُفُودٌ قِرِّى ، ورُكُودٌ في أفقِ
الرَّحَالِ خَلَعَتْ مُقْلَهُمْ على النجوم الكرى ؛ ومعهم المَحَامِلُ الشريفة التي هي مُلْتَفٌّ
شِعَابِهِمْ ، ومُخْتَفٌّ رِكَابِهِمْ ؛ وهي من أَسْرَتِنَا المرفوعة ، ومَبْرَتِنَا المَشْرُوعِ ؛ فَعَظُمَ شعائرُ
حُرْمَاتِهَا ، وَقَبَّلَ أَمَامَ منابرها المثلثةَ مَرَاكِرَ رَايَاتِهَا ؛ وأَكْرَمَ من جَاءَ في خِفَارَتِهَا ، ومن
جالَ في دُجَى اللَّيْلِ لا يَسْتَضِيءُ إِلَّا بما يَبْدُو من إشارَتِهَا ، وقد أَشْهَدْنَا عَلَيْكَ مَنْ هُوَ
لَكَ يَوْمَ القِيَامَةِ حَاصِمٌ ، وَأَنْتَ وشَأْنُكَ فيما أَنْتَ به عَليمٌ .

وباقى الوصايا أَنْتَ لها مُتَفَطِّنٌ ، وعليها مُتَوَطِّنٌ ، وما يَنْتَفِعُ الشَّرِيفُ بِحَسَبِهِ ،
إِنْ لم يَكُنْ عَمَلُهُ بِحَسَبِهِ ؛ ولا يَرْتَفِعُ بِنَسَبِهِ ، إِنْ لم يَتَجَنَّبِ مَكَانَ نَسَبِهِ ، واللهُ تَعَالَى
يَمْتَعُ بِدَوَامِ شَرْفِهِ ، ولا يَضِيعُ لَهُ أَجْرُ حَالِ عَمَلِهِ الصَّالِحِ وَسَلَفِهِ ؛ وَالْأَعْتَادُ

(١) في الأصل «الأجناح» .



وهذه نسخة تقليد شريف بإمرة المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام :

الحمد لله الفرد بلا شريك ، الواحد لا من أعداد تقتضي التثريك ، المليك الذي يتناهى إليه تقليد كل ملك .

نحمده حمداً يكفل مواهب التملك ، ويحمد عواقب التسليك ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصدع التشكك ، وتصد كل أفك ، وتسد خلل التدریک ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من حى به عريك ، وحى عليه تريك ، وحمل حتى تأتى له التحريرى التحريك ، وتأتى وما فاته على أعدائه النصر الوشيك ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تحلص كالذهب السيك ، وترفع ما شيد وتمنع ماشيك ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فلما كانت المدينة الشريفة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - حرماً لا يُستباح ، وحى ليس إلا لمن آنتهك دم مباح ، وجناباً ما على من حله جناح ، ومهيط وحى لا يمسح بأركانه لغير الملائكة جناح ، ولا يمسك بعصمة من أغضى فيه على قدى ، وسكت لساكنيه على أذى .

ولما اتصل بنا عن الروافض مالا صبر لمسلم يرجو الله واليوم الآخر عليه ، ولا وجه لمن قنع فيها بإخراج يديه ، ولا عذر لمن لقي الله مغضباً لما ينهى إليه ، لامغضباً لما ينال رسول الله صلى الله عليه وسلم من التعرض إلى صاحبيه ، مما تقاضى منا ما يحو ظلامه المتمد ، وظلمه المشتد ، ويدعهم فسواً من آبتدعها ومن آرتد - فمكناً بتقليدنا الشريف من أعطى الله وأعطانا على قوله مؤثفاً ، وجرّد عزائم لا تردّها من

خَدَعَهُمُ الرُّقَى ، وَأَشْهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَنْ حَضَرَ أَنَّهُ لَا يَدْعُ هَذِهِ الْفِرْقَةَ الضَّالَّةَ حَتَّى يَدْعُ
يَتِيمَهَا ، وَيُعِدُّ لِمَقَاتِلِ السُّيُوفِ حَاطِمَهَا : مِمَّا تَضَمَّنَهُ نَصُّ مَا ضَى ذَلِكَ التَّفْلِيدِ ،
وَمَا ضَمَّ ذِكْرُ مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ، وَنَبَّهْنَا عَلَى أَنَّهُ بَدْرٌ لَمْ يَبْقَ
مَعَ طُلُوعِهِ ظُلْمَةٌ وَلَا ظُلَامَةٌ ، وَلَا إِضَاعَةٌ وَلَا إِضَامَةٌ ^(١) ، وَلَا مَا تَجَنَّبُ بِهِ الرُّكَّابُ
تَمَامَ الْحَجِّ فِي مَوَاقِفِهَا ، وَلَا تُشْكِرُ مَا جِهِلَتْ فِي قِيَابِ قُبَاءٍ مِنْ مَعَارِفِهَا ، وَتَرُدُّ أَعْطَانَهَا
وَلَا تَسُوقُهَا إِلَى الْأَبْرِيقِ بَارِقٌ عَلَى أَطْلَالِهِ ، وَلَا يُعْجِبُهَا إِنْ خِيلَ لَهَا فِي النَخِيلِ مَقْبِلٌ
فِي ظِلَالِهِ .

وكان المجلس العالى - أدام الله تعالى نعمته هو المتكفل بتطهير ذلك الحرم
الشريف من ألم كل قول يُفترى ، ولم كل باطل يُلم يقظة أو طيف كرى ، وإزالة
كل سُخٍّ فيها على من أمل قري أم القرى ، وإماتة كل بدعة تُسكب على مثلها العبرات ،
وإماطة كل أذى من طريق منى والجمرات ، ومنع شقاشق شيعية تغلي مرآحتها من
الزفورات ، وقطع كل نجوى يُسأدون بها من وراء الحجرات ، وقلع طائفة لولا إقامة
حدود الله لكفاهم ما يُقطع أجداهم من الحسرات ، وكان بها من أولاد أخيه ، بل
بعضه منه وبعضه من بنى أبيه ، من انتهى عما نتحل به شيم الشريف الشريفه ،
وأنهى إلى ما لا يعنيه ولا يُغنيه في تأخير خليفة وتقديم خليفه ، وأهمل حقوقاً
عواقبها مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم تُخيفه ، وأوهم عقوقاً لأصحابه بل
له لقرله : «دعوا لي أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مدى أحدكم
ولا نصيفه» . وبق يتصل بنا في هذا المعنى ما لا يُقال مما يقال عنهم ، ويصل
أذاهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحبه وقد قال : «إن أهل الدرجات

(١) مراده اضعاء الحق كله أو نقص شيء منه الا أنا لم نجد فيها بأيدنا من كتب اللغة من هذه المادة

فلا رباعياً ليكون هذا مصدراً له ولعله استعمل اللغة العامية ترويحاً للسمع .

العلى ليراهم من تحتهم كما يرون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكرٍ وعمرَ منهم»
 يطلبون في التقديم على من قدمه الله رد فائت ما جرى به القدر، ويضربون صفحا
 عما لا أراده الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله: «لا أدري ما قد بقي لي
 فيكم فاقْتَدُوا باللذنين من بعدي: أبي بكرٍ وعمرَ». مع ما أضيف إلى هذا من
 قوادح نواب، وفوائح أبواب، وحوادث تُزجج مقر النبوة أنبأؤها، وتمتد على مشارق
 الأنواء ظلمأؤها، وتُفسر عوائد الوفود في كرامة زائرهم، وإدامة بشاشة المتقي
 لسائرهم؛ وأمن سيرهم أن يُراع، وشربهم أن يتمثل به لغير برق شعاع، وصمهم
 إلى ذلك الحمى الذي لا يضام زيلُهُ، ولا يُرام في طريق الحجرة سبيلُهُ؛ ولا يضل
 سائر إليه ووجوه سكان الحمى دليلُهُ، ولا يضيع وقد تلقاه من التسم بلبه بلبه،
 ولا يقف وفقة المرئب وضوء الصباح من أيمن النقا قنديلُهُ، ولا يخشى وشعب ذلك
 الحمى شعبه وقبيله قبيله؛ وإراحة ركبهم التي أزعجها حادى السرى، وإمتاعهم
 بقرب الحوار عوضا من دموعهم عما جرى.

فلما لم يبق لمن أشرنا إليه - ممن أعطانا عهد موثقه، وسار لا يريد إلا نقاء نقاه
 وبراءة أبرقه - إلا أن يحط بالمدينة الشريفة ركباه، ويبعد الشكوى مما لاعهد من
 معاهدها اقترابه - أصر من فيها من ذوى قرابته على منعه أن يدخلها إلا بقتال يحل
 معاهد الحرم، ويحل معاهد الحرم؛ ويشعل نارا يضل بها من لم تمتد له يد إليها إلى
 وقود، ويروع من الآلف فيها من يمتد له في غير مراتع غزلان النقا سجاجف قيام
 معقود، وقدم إلى أبوابنا العاليسة من كان فيها مقما، وأنعمنا عليه بإبقاء النصف

(١) مراده أنهم يطلبون في تقديم على رد فائت ما أراده الله من تأخيره عنهما ويتركون أيضا ما ورد
 في الحديث من الأمر بالاعتداء بعده بأبي بكر وعمر. إلا أن العبارة سطت عليها يد النساخ فزادت فيها ما غير
 معناها وشوش معناها. تأمل.

(٢) في الأصل معاهد وهو تصحيف.

ففاتته الكل لما لم يقنع أن يكون قسيما ؛ فأبت حميتنا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم
ولتلك المواطن المعظمة إلا أن تظهرها مما أسببت على سريره أذيالها ، وما أطاقت
على مضضه الأليم احتمالها .

فوسم بالأمر الشريف - لا ؛ ال قدره عاليا ، ويره لا يخل بؤدى ولا يخل مواليا -
أن تفوض إليه إمرة المدينة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام :
مستقلا بأعبائها ، مستقلا سحابه على أرجائها ؛ إمرة تستوعب جميعها ، وتستوعى
لمراسمه رباه ورؤوعها وعاصيها ومطيعها ؛ وتهايمها ونجودها ، وقرينها وبعيدها ؛ وكل
ما يدخل لها في حد ، وينتظم لها في عد ؛ وأهل حاضرتها وباديتها ، وما تقف عليه
من السحب (؟) ركائب رواعيها وغاديتها ؛ ومن تتبسم بهم ثناياها ، وتتسم لهم أرواح
بكرها وعشاياها ؛ ومن يضمهم جناحها المفضل ، ويأمهم وشاخصها المفضل ؛
ويجمعهم جيشها السائر ، ويلفهم في شملة الدجى قمرها الزاهر - تفويضا يدخل فيه كل
شريف ومشروف ، ومجهول ومعروف ؛ ومستوطن من أهلها ، وغريب آتته [به]
إليها مطارح سبيلها ؛ مافيه تأويل ، ولا تعليل ، ولا استثناء ، ولا آثناء ، ولا تخرج منه
الأرض المغبرة ولا الروضة الغناء ؛ لأشبهه فيه لداحض ، ولا حجة لمعارض ؛ يستقل
بها جميعها بدره التمام ، ويره الغمام ، وبجره الذى يابى فريده أن يؤانحى في نظام ؛
وأمره الذى يتلقى به عن الثقة من سادات بيته مقاليد الأحكام ، وتقاليد مايجرى
به القلم ويمضى السيف الحسام ؛ أفرادا له فى التحكيم ، وأنفة لثله من ضرر
التقسيم ، وفرارا من الشركة المشتقة من الشرك : (إِنَّ الشَّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ) . ولاية
تامه ، عامه ؛ كامله ، شامله ؛ لايقى من أهل نجد من لا يدخل فى حكمها ، وينضاف

إلى قسيمها؛ تقابل السوايق في غاياتها، وتقاتل الجخافل تحت راياتها؛ ويعتد مع أهل بدر فيها، ويعتد من حقوقها ما يوفيها .

وقد سبق من الوصايا ما فيه غنى؛ إلا ما لا تخل العوائد به مما يذكرك هنا؛ وقد حوت بحمد الله في جميع طباعك، وجميل أنطباعك؛ من حقّ اعتراك، وصدق أترامك؛ ما هو كالسنا للشمس، والمثني للنفس؛ مما تحسد على شرفه النجوم، وتنافس العلياء ما تعلق به الغيوم .

فكّل بتقوى الله شرفك، وأتبع في الشريعة الشريفة سلفك؛ وكتب الله المنزل، أتم أهل بيت فيكم تنزل، وسنة جدكم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تهمل، وهي مجدكم المؤنل؛ ومعرفة حق من مضى عنكم، وإلا فعن ثقل، ومنكم، وإلا فمن تؤمل؛ وإزالة البدع، وإلا فلا شيء سيوفكم تصقل، و[لماذا] رماحكم تعدل؛ والرافضة وغلاة الشيعة هم دنس من انتهى إلى هذا البيت الشريف بولائه، وسبب وقوف من يقصد الدخول تحت لوائه؛ فهم وإن حسبوا من امداده، ليسوا - وحاشي نوره الساطع - إلا من المكثرين لسواده؛ أرادوا حفظ المودة في القربى فأخلوا، وقصدوا تكثير عددهم فقلوا؛ وأب من هو برى من سوء مذهبهم، أن يتظاهر بالولاء فيعد من أهل البدع بسببهم؛ مع أنهم طمعوا في رضا الله فأخطأهم المطامع، وصحیح أنهم زادوهم عدداً إلا أنها كزيادة الشغيا^(٢) أو كزيادة الأصابع .

فصمم عزمك على ما عاهدت الله عليه من رفع أيدي قضاتهم، ومنعهم هم ومن أتبع خطوات الشيطان في سبيل مرضاتهم؛ وحذرهم مما لا يعود معه على أحد منهم ستر يسبل، ولا يبق بعده لغير السيف حكم يقبل؛ فمن خاض للسلف الصالح يم دم

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٠٧ .

(٢) في القاموس: الشغيا السن المخالفة الخارجة عن نية الأستان .

أُغْرِقَ فِي تِيَّارِهِ ، أَوْ قَدَحَ فِيهِمْ زَنَادَ عِنَادٍ أَحْرَقَ بِنَارِهِ ؛ وَأَلْزِمَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةَ -
 عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ - بِكَلِمَةِ السَّنَةِ فَإِنَّهَا أَوَّلُ مَا رُفِعَتْ بِتِلْكَ الْمَوَاطِنِ
 الْمُعْظَمَةِ أَعْلَامُهَا ، وَسَمِعَتْ فِي تِلْكَ الْحُجْرَةِ الْمَكْرَمَةِ أَحْكَامُهَا ؛ مَعَ تَعْقِيَةِ آثَارِ مَا يَنْشَأُ
 عَلَى هَذِهِ الْبِسْطَةِ مِنَ الْفِتَنِ حَتَّى لَا يَنْعَقِدَ لَهَا نَقْعٌ مُنَارٌ ، وَتَوْطِئَةَ أَكْثَافِ الْحِمَى لِغَلَا
 يَبْقَى بِهِ لِمَبْطَلٍ فِي مَدَارِجِ نَطْقِهِ عَنَارٌ ؛ وَالْوَصِيَّةُ بِسُكَّانِ هَذَا الْحَرَمِ الشَّرِيفِ وَمَنْ يَنْزِلُ
 بِهِ مِنْ تَزِيلٍ ، وَيُحَاوِرُ بِهِ مُسْتَقَرًّا فِي مِهَادٍ إِقَامَةٍ أَوْ مُسْتَوِزًّا عَلَى جَنَاحِ رَجِيلٍ ؛
 وَمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِمْ مِنْ رِكَابٍ ، وَيَأْوِي إِلَيْهِمْ مِنْ رُفْقَةٍ مَالَتْ مِنْ تَسَوَاتِ الْكِرَى بِهِمْ
 رَاقِصَاتُ النَّجَائِبِ ؛ وَمَنْ يَصِلُ مِنْ رُجْبَانِ الْآفَاقِ ، وَإِخْوَانِ نَوَى يَنْشَأُ كَوْنُ إِلَيْهِمْ
 مَرَّ الْفِرَاقِ ؛ وَمَنْ يَتَلَقَّى بِهِمْ مِنْ طَوَائِفِ كُلِّهِمْ فِي بِيوتِ هَذَا الْحَى عَشَاقٍ ، وَأُمَّمِ
 شَتَّى جُمُوعِهِمْ : مِنْ مِصْرٍ وَشَامٍ وَيَمَنَ وَعِرَاقٍ ؛ وَمَا يَصِلُ مَعَهُمْ فِي مَسِيلِ وَقُودِنَا ،
 وَسَبِيلِ جُودِنَا ؛ وَمَحَامِلِنَا الشَّرِيفَةِ الَّتِي يُنْصَبُ لَنَا بِهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ سَرِيرٌ ، وَأَعْلَامِنَا
 الَّتِي مَا سُمِّيَتْ بِالْعُقْبَانِ إِلَّا وَهِيَ إِلَيْهَا مِنَ الْأَشْوَاقِ تَطِيرُ ؛ فَتِي شَعَرَتْ بِمَقْدَمِ رِكَابِهِمْ ،
 أَوْ بَرَقَتْ لَكَ عَوَارِضُ الْأَثْمَارِ مِنْ سَمَاءِ قِيَابِهِمْ ؛ فَبَادِرٌ إِلَى تَلَقِّيهِمْ ، وَقَبْلٌ لَنَا الْأَرْضُ
 فِي آثَارِ مَوَاطِنِهِمْ ، وَقُمْ بِمَا يَجِبُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَطَاعَتِنَا [وَأَخْرَجَ عَنْهُمْ كُلَّ يَدٍ وَلَا تُخْرِجْهُمْ عَنْ جَمَاعَتِنَا] .^(١)

وأهل البادية هم حزبك الجيش اللهم ، وحزبك إذا كان وقودها جثث وهام ؛
 وهم قوم لم يؤدبهم الحضر ، ولا يبيت أحد منهم لأنفته على حذر ؛ فاستجلب
 بمداراتك قلوبهم الأشتات ، وبادر حبال إيلهم النافرة قبل البتات ؛ وترقب مراسمتنا
 المطاعة إذا ذرت لك مشارقها ، وتأهب لجهاد أعداء الله متى لمعت لك من
 الحروب يوارقها ؛ وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولولا أن السيف لا يحتاج إلى حلية

(٢) الزيادة من الوصية الآتية بعد ومن التعريف (ص ١٠٨) .

لأطنا حمائل ما نُمليه عليك؛ فما شهيد للشريف بصحة نسبه، أذكرى من عمله
بحسبه؛ والله تعالى يقوى أسبابك المتينه، ويمتدح العيون بلوامعك المتينه، ويمسك
بك ما طال به إرجاف أهل المدينة؛ والاعتماد



وهذه نسخة تقليد بإمرة المدينة النبوية، وهي :

الحمد لله الذي خصَّ بالنصرة، دار الهجرة، وأطلع للإيمان بحجره، بتلك الحجره،
وطيب طيبة وأودع فيها سليل الأسمه .

نحمده حمداً نؤمن به مكره، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
عبد تمسك بالحج وتمسك بالعمرة، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي شرف الله
قدره، وأنفذ أمره، وأيده في ساعة العسرة، وكان أكرم الناس في العسرة، وأسنخى
العالمين إذ يسقط بالجود راحته فما أسمع عشره، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
صلاة ثبتت شجرتها من الأرض فاتصلت فروعها بالسدره، وسلم تسليماً .

وبعد، فإنَّ المدينة النبوية معدن الهدى والوقار، ومسكن الرضوان والأنوار،
ومهيبط الملائكة الأبرار، ومنزل الوحي في الليل والنهار، ودار الهجرة للنبي المختار،
وتربه مدقنه الزاكي المعطار؛ تُسدُّ الرِّحال إليها من أقاصي الأفطار، ويأتي إليها
الظالمون لأنفسهم بالاستغفار، فيرجعون وقد حُيِّت عنهم الأوزار، فقلوب أهل
الاستيقاق مقيمة في فناء تلك الدار، وإن كانت أجسامهم بعيدة من وراء البحار،
وبها من آل البيت سادة أطهار، وأمرأه كبار، يُتقرب إلى الله بحبهم في الإعلان
والإضمار، ويتوسل بولايتهم في دعوة الأنصار، قد صموا إلى كرم الراحة، وسماعة

الأُنْسُ المُرْتاحَه ؛ شَجَاعَةٌ وِيسَالَه ، وَعَلَوِيَّةٌ فَعَالَه ، وَمَسْكًا بِالْمُرْوَةِ المَعْرُوفَةِ بِشَرْفِ
الأَصَالَه ؛ وَهَمَّ يَتَوَارَثُونَ إِمْرَتَهَا عَنِ آبَاءِ سَادَاتِ ، وَكِرَامِ لَهْمٍ فِي الفَضْلِ عَادَاتِ .
ولما كان فلان هو بَقِيَّةُ الأُسْرَةِ المَتَضَوِّعَةِ ، وَثَمَرَةُ الشَّجَرَةِ المُنْتَفِرِعَةِ ؛ وَالمَخْصُوصِ
بِالْوَصْفِ الذِي رَفَعَهُ ، وَالقَوْلِ الذِي أَتْبَعَهُ حِينَ سَمِعَهُ - مَا زالَ فِي المَدِينَةِ النَبَوِيَّةِ
عَلَى ساكِنِها أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ مَشْكَورَ الطَّرِيقَةِ ، مَحْفُوظَ الوَثِيقَةِ ، مَعْرُوفَ
الحَقِيقَةِ ، مَوْصُوفَ الآثَارِ الحَسَنَةِ بَيْنَ الخَلِيقَةِ ، يَجْتَنِي لِكُلِّ صالِحَةٍ مِنَ تِلْكَ الرُّوضَةِ
الشَّرِيفَةِ المُثْمَرَةَ الوَرِيقَةَ ؛ وَيَتَجَمَّى السَّرْحَ أَنْ يَنْتَهَبَ ، وَيَطْفِئُ نارَ الفِتَنِ فَمَا تَلْتَهَبُ ،
وَيُعْظَمُ المَجاورِينَ وَالوارِدِينَ والقادِمِينَ عَلَى جَمِيِّ سَيِّدِ العِجَمِ وَالعَرَبِ .

فلذلك رسم أن يستقر

فليحل هذا الربع المعمور بالثقي ، وليبأ شر هذه الإمرة الشريفة زادها الله علواً
وآرتقا ؛ وليستعمل السكينة فإنها جميلة اللقا ، وليسلك الأدب مع ساكن النقا ،
وليَعْتَمِدْ عَلَى حُسْنِ اليقين فإنه له وقا ، وقد جاور العقيق فأصبح بقلايده الفاحرة
مطوقا ، وليحكم بالعدل في بليد نسا منه العدل والإنصاف فمئذ أجتَمعا فيه ما أفترقا ؛
وليضن شرفه من الوالوج في فتنه ، وليغمد سيفه ولا يشهره في وقت محنه ؛ ويحقق
الدماء أن تراق ، ويتلق الزوار بالإرفاق ، فإنهم جاءوا من أقاصي الآفاق ، رجالاً وعلى
النياق ، تحثم الصباية والأشواق .

وكلمة الشرح وشعار السنة فليكن معظماً لها باتفاق بغير شقاق ، وشيخ الحرم
الشريف وخدامه ومجاوريه فليكرم محسنهم ويعامله بحسن الأخلاق ، ويتجاوز
عن مسيئتهم يعايب أخلاق ، وحوصل الحرم الشريف المخزونة فيه فلنكن مجيئة من
التبذير في وقت الإنفاق ، وتلك دارهم سكانها الطيبو الاعراق ؛ والتقوى فمن ينتهم

الشَّريف آثارها الإِشراق ، وعليهم نَزَلُ الفُرْقَانُ والتَّجْرِيمُ والِطَّلَاقُ ، فماذا عَسَى
 أَنْ نُوصِيَهُ وهو أهلُ الفَضْلِ على الإِطْلَاقِ ، واللهُ تعالى يُجْعَلُ نِجَارَهُ في الفِخْرِ مُجَلِّبَهُ
 في السَّيَاقِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .



وهذه وصية لأمير المدينة أوردتها في "التعريف" ، وهي :

فَكَلِّ بِتَقْوَى اللَّهِ شَرَفَكَ ، وَأَتَّبِعْ في الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةَ سَلَفَكَ ، وَكُتَابُ اللَّهِ الْمُنَزَّلُ ،
 أْتَمُّ أَهْلِ بَيْتِ فِيكُمْ تَنْزَلُ ، وَسُنَّةُ جَدِّكَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَتَمِّهِمْ ،
 وَهِيَ مُجَدِّكُمْ الْمُؤْتَلُ ، وَمَعْرِفَةُ حَقِّ مَنْ مَضَى ، عَمَّكُمْ ، وَالْإِفْعَمَنَّ تُنْفَلُ ، وَمِنْكُمْ ، وَإِلَّا فَمَنْ
 تُؤْمَلُ ، وَإِزَالَةُ الْبِدْعِ وَإِلَّا فَلَا تُشَى شَيْءٌ سِيُوفِكُمْ تُصَقَّلُ ، وَلِذَا رِمَا حُكْمُ تُعَدَّلُ ،
 وَالرَّافِضَةُ وَغَلَاةُ الشَّيْبَةِ هُمْ دَنَسٌ مِنْ أَنْتَى إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ بَوْلَانِهِ ، وَسَبَبُ
 وَقُوفٍ مِنْ يَقْصِدُ الدُّخُولَ تَحْتَ لَوَائِهِ ، فَهَمْ وَإِنْ حُسِبُوا مِنْ أَمْدَادِهِ ، لَيْسُوا -
 وَحَاشَى نوره الساطع - إِلَّا مِنَ الْمَكْتَبَرِينَ لَسَوَادِهِ ، أَرَادُوا حِفْظَ الْمَوَدَّةِ فِي الْقَرْبَى
 فَأَخْلَوْا ، وَقَصَدُوا تَكْثِيرَ عَدَدِهِمْ فَقَلُّوا ، وَأَنْفٍ مَنْ هُوَ بَرِيءٌ مِنْ سُوءِ مَذْهَبِهِمْ ، أَنْ
 يَتَظَاهَرَ بِالْوَلَاةِ فَيُعَدَّ فِي أَهْلِ الْبِدْعِ بِسَبَبِهِمْ ، مَعَ أَنَّهُمْ طَمِعُوا فِي رِضَا اللَّهِ فَأَخْطَأَتْهُمْ
 الْمَطَامِعُ ، وَصَحِيحٌ أَنَّهُمْ زَادَهُمْ عَدَدًا إِلَّا أَنَّهَا كَرِيادَةٌ [الشَّغْيَاءُ أَوْ كَرِيادَةٌ] الْأَصْبَاعِ .

فَصَعَّمَ عَزَمَكَ عَلَى مَا عَاهَدْتَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ رَفْعِ أَيْدِي قُضَاتِهِمْ ، وَمَتَعَهُمْ مِنْ اتِّبَاعِ
 خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فِي سَبِيلِ مَرَضَاتِهِمْ ، وَحَدَّرَهُمْ مِمَّا لَا يَعُودُ مَعَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ سِتْرٌ
 يُسْبَلُ ، وَلَا يَبْقَى مَعَهُ لَغَيْرِ السَّيْفِ حُكْمٌ يَقْبَلُ ، فَمَنْ خَاضَ لِلسَّلَفِ الصَّالِحِ يَمَّ ذَمُّ أَنْغْرَقَ
 فِي تَيَّارِهِ ، أَوْ قَدَحَ فِيهِمْ زِيَادَ عِنَادِ أُحْرِقَ بِنَارِهِ ، وَأَنْزِمَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةَ النَّبَوِيَّةَ

(١) الزيادة من "التعريف" : (ص ١٠٧) ومن التقليد الذي سبقه الظن (ص ٢٥٢) .

بكلمة السنة فإنها أول ما رُفِعَتْ بتلك المواطنِ المعظمةِ أعلامها ، وسمعت في تلك
 الحجرة المكرمة أحكامها ، مع تعفية [آثار] ما ينشأ على هذه السدعة من الفتن حتى
 لا ينعقد لها نفعٌ مثار ، وتوطئة أحناف [ذلك] الحى لئلا يبقى به لمبطل في مدارج نطقه
 عثار ، والوصية بسكان هذا الحرم الشريف على الحال به أفضل الصلاة والسلام
 ومن يتزل به من نزيل ، ويجاور به مستقراً في مهاد إقامة أو مستوفراً على جناح
 رحيل ؛ ومن يهوى إليهم من ركائب ، ويأوى إليهم من رفقة مالت من نشوات الكرى
 بهم راقصات النجائب ؛ ومن يصل من رُجبان الآفاق ، وإخوان نوى يتشاكون
 إليهم مرّ الفراق ؛ ومن يتلاقى بها من طوائف كلهم في بيوت هذا الحى عشاق ،
 وأمم شتى جموعهم من مضير وشام [ويمن] ^(١) وعراق ؛ وما يصل معهم في مسيل
 وفودنا ، وسبيل جودنا ؛ ومحاملنا الشريفة التي ينصب لنا بها في كل أرض سرير ،
 وأعلامنا التي ما سُميت بالعقبان إلا وهى إليها من الأشواق تطير .

فمتى شعرت بمقدم ركائبهم ، أو برقت [لك] عوارض الأفسار من سماء قبائهم ؛
 فبادر إلى تلقائهم ، وقبل لنا الأرض في آثار مواطيمهم ، وقم بما يجب في طاعة الله
 وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعتنا ، وأخرج عنهم كل يد ولا تخبرجهم
 عن جماعتنا .

وأهل البادية هم حزبك الجيش اللهم ، وحربك إذا كان وقودها جثث وهام ؛
 وهم قوم لم يؤدبهم الحصر ، ولا يبيت أحد منهم لأنفته على حذر ؛ فاستجلب
 بمداراتك قلوبهم الأشتات ، وبادر حبال إليهم النافرة قبل الأنيات ؛ وترقب
 مراسمتنا المطاعة إذا ذرت لك مشارقها ، وتأهب لجهاد أعداء الله متى لمعت لك

(١) الزيادة من التعريف (ص ١٠٨) .

من الحُرُوبِ بَوَارِقُهَا ؛ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ ، وَلَوْلَا أَنَّ السَّيْفَ لَا يَحْتَاجُ
إِلَى حِلْيَةٍ لِأَطْلَانَا حَمَائِلَ مَا تُمْلِيهِ عَلَيْكَ ؛ فَمَا شَهِدَ لِلشَّرِيفِ بِصِحَّةِ نَسَبِهِ ، أَزْكَى مِنْ
عَمَلِهِ بِحَسَبِهِ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يُقَوِّى أَسْبَابَكَ الْمَتِينَةَ ، وَيُمْتِعُ الْعِيُونَ بِلَوَامِعِكَ الْمُبِينَةَ ،
وَيُمْسِكُ بِكَ مَا طَالَ بِهِ إِرْجَافُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ .

الوظيفة الثانية

(القضاء)

وكان في الزمن القديم بها قاض واحد شافعي ، ثم استقرت بها قاضيان آخران :
حنفي ومالكي ، يكتب لكلّ منهم توقيع في قطع الثلث بـ «السامى» بالياء .
وهذه نسخة تقليد بقضاء الشافعية بالمدينة النبوية :

الحمد لله الذى جعل الشرع الشريف دافق السيول ، وفي طيبة له الأصول ؛
ومنها نشأ وتفرع فله في البسيطة عموم وشمول ، وكل قطر به مشمول ، وكل ربع به
مأهول ، وتأكد به المعلوم وتبدد به المجهول ، وزالت الشرائع كلها وهو إلى آخر
الدهور لا يزول .

نحمده وحمده يطول ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عمرت
[بها] أطول ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أشرف رسول ، وأكرم مأمول ،
وأفضل مسئول ، ومهتد من سيوف الله مسئول ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
الطيبى الفروع والأصول ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن الشرع الشريف معدنه في أرض توى خير الرسل فيها ، ومنشأه
في بلد ملائكة الله تحميها ؛ فلا بلى أفضية الناس إلا من طالت ذوائب علمه ،

وأشرفت نواقب فهمه ؛ وبيئت على الأصول قواعد حكمه ، وتحلى بالورع فتجلى
في سماء النجاة كنجمه .

ولما كان فلان هو الذي جذبته السعادة إلى مقرها ، وخطبته المغفرة إلى موطن
برها ، وأهله الأقدار إلى جوار نبي هو خاتم الأنبياء وفاتح أمرها ؛ وأصبح للحكم
في المدينة ، مستحقا لما فيه من سكينته ، وتحصيل للعلم ومن حصل العلم
كان الله معينه .

فذلك رسم أن يستقر

فلبيا شر منصبا جليلا في محل جليل ، ولعلم أن سائر الأمصار تغطيه وتحسده
وما لمنصيه من مثيل ؛ أين يوجد سواه في كل سبيل ؟ من قاض هو بسيد المرسلين
تزيل ، ومن يضح ويمنى جارا للمستجير في المحشر الطويل .

فاحكم بين ناس طيبة بورع وتأصيل ، وتحرير في تحرير وتحليل ، واتق الله في كل
فعل وقيل ، واستقم على الحق حذار أن تميل ، فصاحب الشرع أنت منه قريب
والنبي من الله قريب وحبيب وخليل ، وما ذا عسى أن نوصيه وهو بحمد الله تعالى
كالنهار لا يحتاج إلى دليل .

وأما الخطابة : فارق درج منبرها ، وشنف الأسماع من ألفاظك بدرها ؛ وحرر
ما تقوله من المواعظ فإن صاحب العظات يسمعك ، وتواضع لله فإن الله يرفعك ؛
وهذا المرقى فقد قام فيه النبي الأُمى سيد الثقلين ، ومن بعده الخليفةان قرنا العين ،
ومن بعدهما عثمان ذو النورين ، وعلي رضي الله عنه أبو الحسنين ؛ فاخشع ، عند
المطلع ؛ وأصدع ، بما ينفع ؛ وأنظر لما تقوله فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم

هناك يسمع، وقاضي المدينة وخطيبها يرجو أن ليس للشيطان فيه مطمع، والله تعالى يحوز له الخير ويجمع؛ بمنه وكرمه ! .

الوظيفة الثالثة

(مشيخة الحرم الشريف)

وقد جرت العادة أن يكون له خادمٌ من الخَصِيانِ المعبر عنهم بالطواشيء، يُعين لذلك من الأبواب السلطانية، ويكتب له توقيعٌ في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء مفتوحاً بـ «الحمد لله» .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك :

الحمد لله الذي شرف بخدمة سيد الرسل الأقدار، وفضل بالتأهل للدخول في عداد كرمه بخدمته من آختره لذلك من المهاجرين والأنصار، وجعل الاختصاص بجواره حرمه أفضل غاية تهجر بلوغها الأوطان والأوطار، وعجل لمن حل بمسجده الشريف تبوأ أشرف روضة تردها البصائر وترودها الأبصار .

نحمده على نعيمه التي أكملها خدمة نبيه الكريم، وأفضلها التوفر على مصالح مجاوري قبر رسوله الهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، وأكملها الانتظام في سلك خدمة حرمه [لأنها] بمنزلة واسطة العقد الكريم النظيم؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منزلقة لديه، مقربة إليه، مدخرة ليوم العرض عليه، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف نبي بعث إلى الأسود والأحمر، وأكرم من أنار ليل الشرك بالشرع الأقر؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين نقرت الحبيشة بهجرتهم الأولى، ونجا النجاشي بما آخذ عندهم من السابقة الحسنة واليد الطولى، وأولى

يَا لَهُمْ مِنَ السَّبْقِ إِلَى خِدْمَةِ أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ
أَفْضَلُ مَا يُؤْتَى؛ صَلَاةٌ لَا يَزَالُ شَهَابُهَا مُرْسِدًا، وَذِكْرُهَا فِي الْأَفَاقِ مُغِيرًا وَمُنْجِدًا؛
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنَّ أَوْلَى مَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ مَنْ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ ، وَأَفْضَلُ عَلَيْهِ مِنْ
مَلَائِسِ كَرَمِهِ ، وَشَرَفِ قَدْرِهِ بِأَنْ أَهْلَهُ لَخِدْمَةِ سَيِّدِ الرُّسُلِ بِلِمْشِيخَةِ حَرَمِهِ ؛ وَخَصَّهُ
بِرُتْبَةٍ هِيَ أَسْنَى الرُّتَبِ الْفَائِحَةِ ، وَأَجْمَعُ الوِظَائِفِ لِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ - مِنْ رَجْعِهِ
لِذَلِكَ دِينِهِ الْمَتِينِ ، وَوَرَعِهِ الْمَكِينِ ، وَزُهْدِهِ الَّذِي بَلَغَ بِهِ إِلَى هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي سَيَكُونُ
بِهَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُتَقَرِّبِينَ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي ادْرَكَ مِنْ خِدْمَةِ سَيِّدِ الرُّسُلِ غَايَةَ سُؤْلِهِ ، وَزَكَتْ عِنْدَ
اللَّهِ هِجْرَتُهُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؛ وَسَلَكَ فِي طَرِيقِ خِدْمَتِهِ الشَّرِيفَةِ
أَحْسَنَ السُّلُوكِ ، وَأَتَمَّتْ بِهِ السَّعَادَةُ إِلَى خِدْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِيُعْرَضَ بِجَوْهَرِهَا الْأَعْلَى عَنْ عَرَضِ خِدْمَةِ الْمُلُوكِ ؛ وَفَازَ مِنْ مُجَاوَرَةِ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ
بِمَا عَظُمَتْ عَلَيْهِ [بِهِ] الْمَنَّةُ ، وَحَلَّ بِهِ مِمَّا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ
الْحَنَّةِ ؛ وَأَقَامَ فِي مَقَامِ جَبْرِئِيلَ ، وَمَهَيِّطِ الْوَحْيِ وَالْتَسْرِيلِ ؛ يَتَفَيَّأُ ظِلَالِ الرَّحْمَةِ
الْوَارِفَةِ ، وَيَتَهَيَّأُ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ بِالْعَارِفَةِ بَعْدَ الْعَارِفِ - تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُحَلَّى
بِعُقُودِ مَشِيخَةِ ذَلِكَ الْحَرَمِ ، وَالْمَتَوَلَّى لِمَصَالِحِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الَّتِي لَهُ فِي التَّقَدُّمِ عَلَيْهِمْ
أَثْبَتُ قَسَدَمَ .

فرسم بالأمر الشريف لا زال أن تفوض إليه المشيخة على خدام
الحرم الشريف النبوي: للعلم بأنه العامل الورع ، والكافل الذي يعرف أدب تلك

(١) لعله "من اعتمد عليه من" الخ .

(٢) في الأصل "إليه" .

الوظيفة : من خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم - على ما شريح ، والزاهد الذي آثر جوار نبيه على ما سواه ، والخاشع الذي نوى بخدمته الدخول في زمرة من خدمه في حياته : « ولكل أمرئ ما نواه » .

فليستقر في هذه الوظيفة الكريمة قائماً بأدائها ، مشرفاً بها نفسه التي تسببت من خدمته الشريفة بأهدائها ، سالكاً في ذلك ما يجب ، محافظاً على قواعد الورع في كل ما يأتي وما يتجنب ، قاصداً بذلك وجه الله الذي لا يحب لراج أملاً ، ولا يضع أجر من أحسن عملاً ، ملزماً كلاً من طائفة الخدام بما يقربه عند الله زلفى ، ويضاعف الحسنة الواحدة سبعين ضعفاً ، هادياً من ضل في قوانين الخدمة إلى سواء السبيل ، مبدياً لهم من آداب سلوكه ما يغدو لهم منه أوضح هاد وأنور دليل ، وفيه من آداب دينه ما يغني عن تكرار الوصايا ، وتجديد القضايا ، والله تعالى يسدده في القول والعمل ، ويوفقه لخدمة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد فعل ، بمنه وكرمه .

القاعدة الثالثة الينبع

(وبها وظيفة واحدة ، وهي النيابة)

وقد تقدم أن نيابتها في نبي الحسن ، من بني قتادة أيضا . وعدل بها عن لفظ الإمارة إلى لفظ النيابة تصغيراً لشأنها عن مكة والمدينة . ويكتب لنائبها مرسوم شريف في قطع الثلث « بالمجلس السامي » بغيرياء .

وهذه نسخة مرسوم شريف بنبابة الينبع ، كتب به « لمخدم بن عقيل » في عاشر رجب الفرد سنة أربع وثلاثين وسبعائة ، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، وهو :

الحمد لله الذى أتم لدولتنا الشريفة أنعمًا، وأحسن فى تقديم شريف كل قوم
تقدمًا ، وأمضى فى كف الأعداء رُحماً سَمَّهَرِيًّا وسيفًا مُخَدَّمًا .

نحمده حمدًا يكثر عدد القطر إذا همى ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة تؤمن بالإدمان عليها مُنَجِّدًا ومُتَمِّمًا ؛ ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذى
شرف من إليه آتمى ، وعلى نسيه الشريف آرتى ، وبجواره المنيع آحمى ؛ صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه الذين طلَّعوا فى صباح كل نهار شمسًا وفى عشيَّة كل ليل
أنجما ؛ وسلم تسليمًا .

وبعد ، فإن أولى من أعدنا له سعادة جدّه ، وعدنا إلى عوائده الحسنى لأبيه
وجده ؛ ورعت صدقاتنا الشريفة له قصده الجميل ، وشرفه الذى سما به من أصله
إلى النجم قرع لا ينال طويل ؛ وأقرت عينه بسكينة ، واستقرت به مراسمنا العالية
فى مسكينة ؛ وأغنته عنايتنا الشريفة عن انتظار كل نجم سعادة يطلع ، وبعثت إليه كل
خير إلى وطنه وهو « يتبع » ؛ منزلة نسبة الصميم ، والحسب الذى يمسك به فى قومه
كل كريم ؛ والشرف الذى أنارت كواكبُه ، والوصف الذى ينظم الدرر ناقبه ^(١) .

ولما كان المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، الشريف ، الحسيب ،
النسيب ، الأوحد ، العضد ، النصير ، الأصيل ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، زين
الأنام ، شرف الأمراء الأشراف ، نخر العترة الطاهرة ، جمال الأسرة الزاهرة ،
نسيب الخلافة ، عضد الملوك والسلاطين « مخدّم بن عقيل » أيدى الله تعالى - هو
الذى تقدمت إليه كل إشارة ، وحسنت به كل شاره ، وتعجلت له بمراضينا
الشريفة من مخلق الشفق كل بشاره ؛ وحصل فى التبليغ ما حصل من الاعتداء ،
وأمّدت الأيدي به إلى ما كان لججاج بيت الله من وديعه ، وظن أنه لا يشيع خبره

(١) لم يذكر خبر الإبن وهو معلوم من نظائره وكثيرا ما ورد كذلك ونهنا عليه .

في البيداء ، مخالف الواجب وتعدى الشريعة ، فاقتضت آراؤنا الشريفة تفويضها إلى العارف منها بما يجب ، العالم من طريق سلفه الصالح بما يأتي فيها ويحْتَنَبُ ؛ العايل في طاعتنا الشريفة بما هو به وبمثله من أهل الشرف يليق ، الماشي في خدمتنا الشريفة وفي خدمة الوفود إلى بيت الله الحرام على الطريق .

فُرسم بالأمر الشريف - أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرفه - أن تُفَوِّضَ إليه النيابة بالينبج على عادة من تقدمه وقاعدته إلى آخر وقت :

فليقدم تقوى الله في كل ما تقدم ، ويقف مع حكم الشرع الشريف فإنه المهتم المقدم ، وليستوص بالنجاح خيراً فإنهم وقد الله وهو عليه سيقدم ، وليؤمن الطريق فإنه بين حرمين : بيت الله ومسجد رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وليحفظ أمانة الله فيما يخلى ويخلف عنده المجاح كتب الله سلامتهم من وداعه ، وليأخذ بقلوب الجلابة فإنهم في توسيعهم على أهل الحرمين كالمصدقين وإن كانوا تجاراً بيضاً ؛ وليوصل من تأخر من أبناء السبيل إلى مأمئهم ، وليخص بالعدل أهل بلده ليستقرؤا آمين في موطنهم ، والرفق فهو الذي بخله يزبن ، وبخله يستحسن ، والتأني في معرفة الحق من الباطل فإن به الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الباطل يبين ؛ ولزوم الطاعة ، التي أوجها الله لنا على عباده وتدب إليها ، وملازمة الجماعة ، التي يكفيه من بركاتها أن يد الله عليها ؛ وإقامة الخدمة فيما قبله من البلاد ، وكل حاضر وباد ، وكل من كاد أو كاد ، أو تعرض لعناد العباد ؛ فمن أقدم على محذور ، أو تقدم إلى محذور ، أو ارتكب في الخلاف أمراً من الأمور ؛ بخره بالبغي إلى مصرعه ، وحرك السيف لمضجعه ، ودع الرمح الذي اعتقله للشقاق يبيكي للإشفاق عليه بأدمعه ؛ وقد رأيت كيف

(١) مراده «ردية» ولكن اضطره السجع الى موافقة اللفظة العامة . فنه .

طَرِيقَتُنَا الْمُثَلَّى، وَسِيرَتُنَا الَّتِي لَا تَجِدُ لَهَا مِثْلًا؛ فَاسْلُكْ هَذِهِ الْمَحْجَةَ، وَحَسْبُكَ أَنْ تُتَّخَذَ
بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ حُجَّةٌ؛ وَفِي هَذَا عَنِ بَقِيَّةِ الْوَصَايَا غَنَى، وَاللَّهُ يُزِيلُ عَنْكَ الْخَوْفَ
فِي الْخَيْفِ وَيُبَلِّغُكَ الْمُنَى فِي مَنَى؛ وَالْأَعْتَادُ

القسم الرابع^(١)

(مما يُكْتَبُ مِنَ الْوَلَايَاتِ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ

بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ - مَا يَقَعُ عَلَى سَبِيلِ النُّدُورِ، وَهُوَ الَّذِي يَقَعُ فِي حِينِ

مِنَ الْأَحْيَانِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْبِقَ لَهُ نَظِيرٌ)

قَالَ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ الْحَلَبِيُّ فِي "حُسْنِ التَّوَسُّلِ": وَيَحْتَاجُ الْكَاتِبُ فِيهِ

إِلَى حُسْنِ التَّصَرُّفِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ .

[فَمِنْ ذَلِكَ] مَا يُكْتَبُ بِهِ لِلنِّيَابَةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْمَمْلُوكَةِ إِذَا رَغِبَ فِيهَا مُتَوَلِّيًا .

وَهَذِهِ نَسْخَةٌ تَقْلِيدُ شَرِيفٍ مِنْ ذَلِكَ، كَتَبَ بِهِ الْمَوْلَى الْفَاضِلُ شَهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ

الْحَلَبِيُّ لِمَمْلَكَةِ سَيْسٍ، بِإِقْرَارِهِ عَلَى مَا هُوَ قَاطِعُ النَّهْرِ مِنْ بِلَادِهِ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّ أَيَّامَنَا الزَّاهِرَةَ، بِاصْطِنَاعِ مُلُوكِ الْمَلَلِ، وَفَضَّلَ دَوْلَتَنَا

الْقَاهِرَةَ، بِإِجَابَةِ مَنْ سَأَلَ بَعْضَ مَا أحرَزَتْهُ لَهَا الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ؛ وَجَعَلَ مِنْ خِصَائِصِ

مُلْكِنَا إِطْلَاقَ الْمَمَالِكِ وَإِعْطَاءَ الدُّوَلِ، وَالْمَنَّ بِالنَّفُوسِ الَّتِي جَعَلَهَا النَّصْرُ لَنَا مِنْ جُمْلَةِ

الْخَوْلِ؛ وَأَغْرَى عَوَاطِفَنَا بِتَحْقِيقِ رَجَاءِ مَنْ مَدَّ إِلَيْنَا عَوَارِفِنَا كَفِّ الْأَمَلِ، وَأَفَاضَ

بِمَوَاهِبِ نِعْمَاتِنَا، عَلَى مَنْ أَنَابَ إِلَى الطَّاعَةِ حُلَّ الْأَمْنِ بَعْدَ الْوَجَلِ؛ وَأَتَرَعَ بِالْآثِنَا،

(١) تَقَدَّمَ لَهُ تَفْسِيحُهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ فَقَطُّ كَمَا وَرَدَ فِي الصَّفْحَةِ ١٣٤ مِنْ ج ١١ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ فَيَكُونُ

هَذَا زَائِدًا عَلَى الْأَقْسَامِ .

لمن تَمَسَّكَ بَوْلَانِيَا ، أَرْوَاحَ رَعَايَاهُ مِنْ قَبْضَةِ الْأَجَلِ ، وَجَعَلَ بَرْدَ الْعَفْوِ عَنْهُ وَعَنْهُمْ بِالطَّاعَةِ نَتِيجَةً مَا أَذَاقَهُمُ الْعِصْيَانُ مِنْ حَرَارَةِ الْغَضَبِ : إِذْ «رُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ» .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ عَفْوَنَا مِمَّنْ رَجَاهُ قَرِيبًا ، وَكَرَمَنَا لِمَنْ دَعَاهُ بِإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ مُجِيبًا ، وَرَبَّنَا لِمَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ مَثِيبًا بِوَجْهِ الْأَمَلِ مُنِيبًا ، وَبَأَسْنَا مَصِيبًا لِمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ فِي التَّمَسُّكِ بِمِرْحَمِنَا نَصِيبًا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَعْصِمُ دَمَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِذِمَامِهَا ، وَتَحْتِمُ مَوَادَّ مَنْ عَانَدَهَا بِانْتِقَامِ حُسَامِهَا ، وَتَقْصِمُ عُرَا الْأَعْنَاقِ مِمَّنْ أَطْعَمَهُ الْغُرُورُ فِي أَنْفِصَالِ أَحْكَامِهَا وَأَنْفِصَامِهَا ، وَتَقْصِمُ مَنْ قَصَدَ إِطْفَاءَ مَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ مِنْ نُورِهَا وَأَقْتِطَاعَ مَا قَضَاهُ مِنْ دَوَامِهَا ، وَتَجْعَلُ كَلِمَةً حَمَلَتْهَا هِيَ الْعُلْيَا وَلَا تَزَالُ أَعْنَاقُ جَاهِدِيهَا فِي قَبْضَةِ أَوْلِيَائِهَا وَتَحْتَ أَقْدَمِهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ ، الْمُنْعَوْتُ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، الْمَخْصُوصُ مَعَ عَمُومِ الْمَعْجِزَاتِ بِحَمْسٍ : مِنْهَا الرَّعْبُ الَّذِي كَانَ يَتَقَدَّمُهُ إِلَى مَنْ قَصَدَهُ وَيَسْبِقُهُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ إِلَى مَنْ أَمَّهُ ، الْمَنْصُوصُ فِي الْكُتُبِ الْمُحْكَمَةِ عَلَى جِهَادِ أُمَّتِهِ الَّذِينَ لَا حَيَاةَ لِمَنْ لَمْ يَتَمَسَّكْ مِنْ طَاعَتِهِمْ بِذِمَّتِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ فَتَحُوا بِدَعْوَتِهِ الْمَمَالِكَ ، وَأَوْصَحُوا بِشَرْعَتِهِ إِلَى اللَّهِ الْمَسَالِكَ ، وَجَلَوْا بِنُورِ سُنَّتِهِ عَنْ وَجْهِ الزَّمَنِ كُلِّ حَالٍ حَالِكٍ ، وَأَوْرَدُوا مِنْ كَفْرِ رَبِّهِ وَرُسُلِهِ مَوَارِدَ الْمَمَالِكِ ، وَوَثِقُوا بِمَا وَعَدَ اللَّهُ نَبِيَّهُ حِينَ زَوَى لَهُ ذَلِكَ ؛ صَلَاةً لَا تَزَالُ الْأَرْضُ لَهَا مَسْجِدًا ، وَلَا يَبْرُحُ ذِكْرُهَا مُغْبِرًا فِي الْآفَاقِ وَمُنْجِدًا ؛ مَا اسْتَفْتَحَتْ أَلْسِنَةُ الْأَسِنَّةِ النَّصْرَ بِإِقَامَتِهَا ، وَأَبَادَتْ أَعْدَاءَهَا بِاسْتِدَامَتِهَا ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّهُ لَمَّا آتَانَا اللَّهُ مُلْكَ الْبَسِيطَةِ ، وَجَعَلَ دَعْوَتَنَا بِأَعْنَةِ مَمَالِكِ الْأَقْفَارِ مُجِيطَةً ؛ وَمَكَّنَ لَنَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَنْهَضَنَا مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ بِالسُّنَّةِ وَالْفَرَضِ ،

وجعل كل يوم تُعرض فيه جيوشنا من أمثلة يوم العرض ؛ وأظلتنا بوادر الفتح ، وأظلت على الأعداء سُيوفنا التي هي على من كفر بالله وكفر النعمة دعوة نوح ؛ وأيدنا بالملكمة والروح ، على من جعل الواحد سبحانه ثلاثة : فانتصر بالأب والأبن والروح ؛ وألقت إلينا ملوك الأقطار السلام ، وبذلت كرائم بلادها وتلاذدها رغبة في الالتجاء إلى ظل أعلى من الأعلام ؛ وتوسل من كان منهم يُظهر الغلظة بالذلة والخضوع ، وتوصل من كان منهم يُبدي القوة بالإخلاص الذي رآوه لهم أقوى الجن وأوقى الدروع - عاهدنا الله تعالى أن لا نرد منهم آملا ، ولا نصد عن مشاريع كرمنا ناهلا ؛ ولا نُحيب من إحساننا راجيا ، ولا نُحلي عن ظل ربنا لاجيا ؛ علمنا أن ذلك شكر للقدرة التي جعلها الله لنا على ذلك الآمل ، ووثوقا بأنه حيث كان في قبضتنا متى نشاء نجع عليه الأنايل ؛ اللهم إلا أن يكون ذلك اللاجئ للغل مسرا ، وعلى عداوة الإسلام مصرا ؛ فيكون هو الجاني على نفسه ، والجاني على موضع رنسه ، والمفرط في مصلحة يومه وغده بتذكير عداوة أمسه .

ولما كان من تقدم بالملكة الفلانية قد زين له الشيطان أعماله ، وعقد بجبال الغرور آماله ؛ وحسن له التمسك بالنار الذين هم بمهايتنا محصورون في ديارهم ، مأسورون في جبال إدبارهم ؛ عاجزون عن حفظ ما لديهم ، قاصرون عن ضبط ما استلبته سرايا المنصورة من يديهم ؛ ليس منهم إلا من له عند سُيوفنا نار ، ولها في عنقه آثار ، ومن يعلم أنه لا بد له عندنا من خطتي خسف : إما القتل أو الإسار .

وحين تمادى المذكور في غيه ، وحمله الغرور على ركوب جواد بغيه ، أمرنا جيوشنا المنصورة بغاست خلال تلك الممالك ، ودأست حوافر خيلها ما هنالك ، وساوت في عموم القتل والأسر بين العبد والحُر والمملوك والمالك ؛ وألحقت روايتي

جِبَالِهِم بِالصَّعِيدِ ، وَجَعَلَتْ حُمَاتِهِمْ كَرُزُوعٍ فَلَاتِهِمْ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ، فَأَسْلَمَهُم
الشَّيْطَانُ وَمَرَّةً ، وَتَرَكَهُمْ وَقَرًا ، وَمَا كَرَّهُمْ وَمَا كَرَّ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ مَوْعِدَهُمُ السَّاعَةُ وَالسَّاعَةُ
أَدَهَىٰ وَامْرَأَةً ، وَأَخْلَفَهُمْ مَا ضَمَّنَ لَهُمُ مِنَ الْعَوْنِ ، وَقَالَ لَهُمْ : (إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي
أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ) .

وكان الملك فلان ممن تدبر طرق النجاة فلم ير إليها سوى الطاعة سييلا ، وتأمل
أسباب النجاح فلم يجد عليها غير صدق الانتماء دليلا ؛ فأبصر بالخدمة موضع رشدته ،
وأدرك بسعيه نافر سعيه ؛ وأراه الإقبال كيف شئت قدمه في الملك الذي زلت عنه
قدم من سلف ، وأظهر له الإشفاق على رعاياه مصارع من أوردته سوء تدبير أخيه
موارد التلّف ؛ وعرفه التمسك بإحساننا كيف آحتوت يده على ما لم يبق غضبنا في يد
أخيه منه إلا الأسيء والأسف ؛ وحسنت له الثقة بكرمنا كيف يُجمل الطلب ،
وعلمته الطاعة كيف يستنزل عوارفنا عن بعض ما غلبت عليه سيوفنا : وإنما الدنيا
لمن غلب ؛ وأنتهي إلينا فصار من خديم أيامنا ، وصنائع إنعامنا ، وقطع علائقته من
غيرنا ؛ فلجأ منا إلى ركن شديد ، وظلّ مديد ، ونصر عتيد ؛ وحرّم تأوى الملة إليه ،
وكرم تقرر نضارته ناظره ، وإحسان يمتعه بما أقره عطاؤنا في يديه ، وامتنان يضع
عنه إصره والألال التي كانت عليه - أقتضى إحساننا أن نُغضى له عن بعض
ما حلت جيوشنا ذراه ، وحلت سبطوات عساكرنا عراه ، وأضعفت عزمات
سرايانا قواه ، ونشرت طلائع جنودنا ما كان ستره صفحنا عنهم من عورات
بلادهم وطواه ؛ وأن نخوله بعض ما وردت خيولنا مناهله ، ووطئت جيادنا غاربه
وكاهله ، وسلكت كجائنا فلكت دارسه وأهله ؛ وأن يبقى ملك هذا البيت الذي
مضى سلفه في الطاعة عليه ، ويستمر ملك الأرمن الذي أجمل السعى في مصالحه

بيديه ؛ لَتَيْمَنَ رعاياه به ، ويعلموا أنهم آمنوا على أرواحهم وأولادهم بسببه ، عن طوية مخلصه ونفس مطيعة ، ولا تخشى عليه يدُ جائره ، ولا سريةً في طلب الغيرة سائره ؛ ولا تطرق ككاسه أسدُ جيوش مفترسه ، ولا سباع نهاب مُحْتَلِسه ؛ بل تستمرُّ يلاذه المذكورة في ذمام رعايتنا ، وحضانة عنايتنا ؛ وكنف إحساننا ، ووديعه برنا وأمتناننا ؛ لا تطمح إليها عينُ معاند ، ولا يمتدُّ إليها إلا ساعدُ مساعد وعَضُدُ معاضد .

فليقابل هذه النعمة بشكر الله الذي هداه إلى الطاعة ، وصانَ بإخلاص ولائه نفسه ونفائس بلاده من الإضاعة ؛ وليقرن ذلك بإضفاء موارد المودة ، وإضفاء ملابس الطاعة التي لا تزادُ بحسن الوفاء إلا جدّه ؛ واستمرار المناصحة في السر والعلن ، واجتناب الخادعة ما ظهر منها وما بطن ؛ وأداء الأمانة فيما استقرَّ معه الحلف عليه ، ومباينة ما يخشى أن يتوجه بسببه وجهُ عتب إليه ؛ واستدامة هذه النعمة بحفظ أسبابها ، واستقامة أحوال هذه المنة برفض موجبات الكدر واجتنابها ، وإخلاص الية التي لا تُعتبر ظواهر الأحوال الصالحة إلا بها .



ومن ذلك ما يكتب به لحكم رمة البندق

قد جرت العادة أنه إذا كان للسلطان عناية برمي البندق ، أقام لرماته حاكماً من الأمراء الذين لهم عناية برمي البندق .

وهذه نسخة توقيع من ذلك :

الحمد لله الذي خصَّ بأماننا الزاهرة ، باستكمال المحاسن في كلِّ مرام ، وجعل [من] أولياء دولتنا القاهرة ، من أصاب من كلِّ مرعى بعيد شاكلة الصواب حتى أصبح

حاشا فيه بين كل رام ، وجمع نحواصنا من أشنات المفاسخ ما إذا برزوا فيه للرياضة ليلا [أغنت] قسيهم عن الأهلة ورجومها عن رجوم الظلام ، وسدد مقاصد أصفائنا في كل أمر فاشغلوا بمسرة سرا ولا وكانت من أقوى أسباب الثمرين على خوض الغمرات العظام ، واقبحام الحرب اللهم ، واشتغال جلابيب الدجى في مصالح الإسلام .

نحمده على نعمة الوسام ، وأياديه الجسام ، وآلائه التي ما برحت بها تغور المساز دائمة الأيتسام ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعصم من الزلل ، وتؤمن من الزبغ والخلل ، وتلبس المتمسك بها من أنوار الجلالة أبهى الخلل ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المتزه عن الهوى ، المخصوص بالوحي الذي علمه شديد القوى ، الدال على اعتبار الأعمال بصحة القصد بقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى » . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين وفق الإخلاص مساعيهم ، ووفر الإيمان دواعيهم ؛ صلاة دائمة الاتصال ، مستمرة الإقامة بالقدوة والأصال ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنه لما كان رمي البندق من أحسن ما هنت به الحكمة ، في حال سائرها ، ومن أهبج ما جفقت به الرماة ، حياة نفوسها وعزة عزيمتها ؛ على ما فيه من أطراح الراحة وأجتنابها ، وأستدعاء الرياضة وأجتنابها ؛ وخوض الظلمات في الظلام ، وتوخي الإصابة في غمرات الدجى التي تخفى فيها المقاتل على حدق السهام ، وأرتقاب ظفر ، يسفر عنه وجهه سفر ، ومهاجمة خطر ، تفضي إلى بلوغ وطر - وله شرائط تفتضي التقدم بين أربابه ، وقواعد لا يخالفها من كان مبرزا في أصحابه ؛ وأدوات

(١) في الأصل « في مخالفتها » ولا معنى له . تأمل .

كالم ، لأبد للتحلى بهذه الرتبة منها ، وحسن خلال ، تُهدر أعمال من بعد عليه مرأها
وقصرت مساعيه عنها ؛ وعوائد معلومة ، بين أرباب هذا الشأن وكبرائه ، ومقاصد
مفهومة ، فيما يتميز به المصيب الحاذق على نظرائه .

ولما كان الجنب العالى الفلانى ممن يشار إليه فى هذه الرتبة ببنان الترتيج ،
ويرجع إلى أقواله فيما اقتضى التعديل فيما بين أربابها والتجريح ؛ ويعمل فيها
بإشارته الخالصة من الهوى والأغراض ، ويعول فيها على قدم معرفته الميزة بين
أقدار الرماة مع تساوى إصابة الأغراض ؛ لاحتوائه على غايات الكمال فيها ، وسبقه
منها إلى مقامات حسان لا يعطيها حقها [الا] مثله ولا يوقها - اقتضى رأينا الشريف
أن نعدق به أحكامها ، ونرد إلى أمره ونهيه كبراءها وحكامها .

فرسم بالأمر الشريف أن يكون حاكما فى البندق لما يتعين من اختصاصها
بجنايه ، ويتبين من أولويته بالحكم فى هذا الفن على سائر أربابه .

قليل ذلك حاكما بشروطه اللازمة بين أهله ، المعتبرة بها خلال الكمال فى قول كل
أحد منهم وفعله ؛ الميزة بين تفاوت الرماة بحسب كيفية الرمي وإتقانه ، المرجحة
فى كثرة الطير بإمكانه له فى وقت البروز ومكانه ؛ المهذرة ما يجب بين أهل هذا
الفن إهداره ، المثبتة ما يتعين فى كمال الأدوات إثباته فى قدم الكبراء وإقراره ؛ ويعمل
فى ذلك جميعه بما تقتضيه معرفته المجمع فى فنه عليها ، ويتقدم فيه بما تدله عليه
خبرته التى ما برح وجه الاختيار مصروفا إليها ؛ والله تعالى يسدده فى القول والعمل ،
ويبلغه مراتب الرفعة فى خلاله الجميلة وقد فعل ؛ والخير يكون ، إن شاء الله تعالى .

قلت : وربما كان المرسوم المكتتب لمن هو دون من تقدم من أمير عشرة
أو من فى معناه ، فيفتح بـ «أما بعد» ويكمل على نحو ما تقدم .

وهذه نسخة ثانية لحاكم البندق، مفتوحة بـ «أما بعد» وهي :

أما بعد حمد الله الذي لا معقب لحكمه ، ولا يعزب شيء عن علمه ، ولا فنوط
من رحمته وسعة حاميه ، ملهم أهل محاربة أعداء دينه بالرياضة لها في أيام سلمه ،
ومنجز وعود السعود لمن كان النجم مبدأ همته ، والصدق حلة سجيته ، والعز حلية
أسمه ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي هدى الله بنور مده العادلة من تردى
في ظلمات ظلمه ، ورفع منار النبوة بما خصه به من آفتاح التقدم في رتبها
وختمه ؛ وعلى آله وصحبه الذين سرى كل منهم إلى غاية الكمال على نجائب همته
وجياد عزمه - فإن أولى من رعيته له أسباب قدمه وتقدمه ، وفُتحت له أبواب
حكيمه في رتبته وتحكمه ؛ وأعيد إلى مكانته التي رقاها باستحقاقه قديما ، ورفع إلى
منزله التي لم يزل بقواعدها خيرا وبأوضاعها عليا - من ارتقى في رتبته إلى نجم أفضها ،
واقضى في مناهجه بدليل مسالكها وطرقها ؛ فأتى في مصالحها بيوت الإصابة من
أبوابها ، ونقل فيها أوضاع الإجابة عن كان أدرى بها ؛ وتقدم فيها تقدم هجرته
وسبق قدمه ، وبلغ في مقاماتها الغاية بين وثبات ساعده وثبات قدمه ؛ وجمع من
أشتات الطير ما أفرق في غيره ، وحوى من السبق إلى أنواعها ما حكم بسعد تجمه
ويمن طيره ؛ فكم ليلة أسفر فيما أبرزوه عن صباح جناحه ، وكم طائر زاحم النسر ين
بقواده أصبح لديه محمولا بجناحه ؛ وكم أنزلت أهلة قيسه الطير على حكمها ، وكم
حكمت بنادقه في رجوم الطير الملقاة إلى السماء أقباض نجمها ؛ وكم أبصر مقاتل
الطير وهي من الليل في ظلمات بعضها فوق بعض ، وكم اشتغل من الطير الواجب
بنذب رمي لم يسغله من إعداد الأهبة للجهاد عن الفرض ؛ حتى كاد النسر الطائر
إذا توهم أن الهلال قوسه يغدو كاخيه واقعا ، والمرزم الحلق في الأفق يمسى لإشارة

بنادقه الضمّ متبعا ؛ حتى أصبح وهو الكبير في فنه بأداب التعريف ، وأضحى وهو
الخبير بنوعه بطريق النقل والتوقيف .

ولمّا كان فلانٌ هو كبير هذا الفن وخبيره ، ومقدّم هذا النوع الذى لم يزل
بجلائه عظيم كلِّ عصر وأميره ؛ وقديم هذا المرمى الذى جُلُّ المراد به الحدُّ لا اللعب ،
وأليف هذا المرام الذى ينشط إليه اللاعب ويستروح إليه التعب - أقتضى الرأى
الشريف أن نجعله حاكما في هذه الرتبة الجليسة بما علم أو علم منها ، فأصلا بين
أهلها بمعرفته التى ما برحت يؤخذ بها في قواعدها وينقل عنها - فرسم بالأمر
الشريف أن يكون حاكما في البندق .

فليستقر في هذه الرتبة التى تلقاها ، يمين كفايته ويمنه ، وأرتقاها ، بتفرده في نوعه
وتقدمه في فنه ؛ وليعتمد الإنصاف في أحكام قواعدها ، وإجراء أمر أربابها على
أحوالها المعروفة وعوائدها . وينافس المعروفين بها على التحلّى بأدائها ، والمتمسك
من المروءة والأخوة بأفضل أهدائها ؛ ويُنصف بينهم فيما يعتدُّ به من واجبها ،
ويُلزم الداخِل فيها بالمشى على المألوف من طرُقها والمعروف من مراتبها ؛ ولا يحكم
في التقديم والتأخير بهوى نفسه ، ولا يقبل من لم يتحرر الصدق في يومه أنه قيل منه
في أمسه ؛ فإن استدامة شروطها أمان من السقوط عن درجتها ، وإذا حكمت
نفوس أهلها الصدق في أقوالها وأفعالها فقد خرجت من خطِّ حرجها ؛ وليرع لذوى
التقدم فيها قدم هجرتهم ، وأشتهار سيرتهم الحسنة بين أسرهم ؛ وقد حُر من أوصافه
الحسنة ، وسابق رتبته التى لم تكن عين العناية عنها وسنه ؛ ما اقتضى استقرار رتبته
على مكاتها ومكانها ، وأكتفى له من مهبوط الوصايا بعنوانها ؛ فليتبى الله في قوله
وعمله ، ويعمل الاعتماد على توفيقه غاية أمّله ؛ والخير يكون : إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك ما يكتَبُ به في إلباس الفتوة .

إعلم أنَّ طائفةً كبيرةً من الناس يذهبون إلى إلباس لباس الفتوة، وقيمون لذلك شروطاً وأدباً جاريةً بينهم . ينسبون ذلك في الأصل إلى أنه مأخوذٌ عن الإمام عليٍّ كرم الله وجهه .

والطريقُ الجارى عليه أمرهم الآن أنه إذا أراد أحدهم أخذَ الطريق عن كبيرٍ من كبراء هذه الطائفة، اجتمع من أهلها من تيسر جمعُه، وتقدم ذلك الكبير فيلبس ذلك^(١) ثياباً، ثم يجعل في كوز أو نحو ماءً ويخلطُ به بعض ملح، ويقوم كلُّ منهم فيشربُ من ذلك الماء وينسبه إلى كبيره . وربما اعتنى بذلك بعض المملوك . وقد جرت العادة في ذلك أنه إذا ألبس السلطان واحداً من الأمراء أن يكتبَ له بذلك توقيعاً .

وهذه نسخة توقيع بفتوة، من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، وهو :
الحمد لله الذي جعل أنساب الفتوة، متصلةً بأشرف أسباب النبوة، وأفضل من أمدته منه بكلِّ حيل وقوة، وأسعد من سما فكان علياً على كلِّ من سام علوه .
نحمدُه حمداً تغدو الأفواه به مملؤه، ونشكره على مواهبه آيات الشكر المتلوه؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من جعل إلى منهج التوحيد رَوَاحه وُعْدوه، ونشهد أن محمداً عبده وسوله الذي شدَّ الله أزره بخير من أفتى وفتى فنال كلُّ فتوى من الفتيان به شرف الأبوَّة والبُنُوَّة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نصرُوا وليه وخذلُوا عدوه، صلاةً موصلةً إلى نيل الأمانى المرجوه .

(١) بياض بالأصول، ولعله : المرید أرنحوه .

وبعد، فإن خير من اتصل به رجاء الرجال الأجواد، وطوى البيد إلى تحصيل مرامه كل طود من الأطواد، وأماط به عن مكارم الأخلاق لئلا يفسد كل جود وأمتطى ظهر خير جواد، وأستمسك من ملابس الشرف بما يؤمن ويؤمل وما يشد به من كل خير لباس التقوى، وما تؤيد به عزيمته فتقوى؛ وما يتقيد به على رؤوس الأحزاب، وما ينزل به عليه أحسن آية من هذا الكتاب - من أشهر بالشجاعة التي تقدم بها على قومه، وحمد أممها في يومه؛ وبالشهادة التي لها ما للسهام من تنويق، ولزرق الأئمة من تحذيق؛ ولبيض الصفاح من حدة متون، وللسمهرية من أزدحام إذا أزدحمت المتون؛ ومن صدق العزيمة، ما يشهد به كرم الشيمه؛ ومن شدة الباس، ما يجتمع [به] على طاعته كثير من الناس؛ ومن صدق اللهجة واللسان، ما أتصف عفافه منهما بأشرف ما يتصف به الإنسان؛ ومن طهارة النفس ما يتنافس على مثله المتنافسون، ويستضيء بأنواره القائسون، ويرفل في حلل نعمائه اللائسون؛ و[كان] من الذين أبانوا عن حسن الطاعة وأبوابها، وإذا دعوا إلى استنفار جهاد وأجتهاد لبوا وأجابوا؛ والذين لا يلوون ألسنتهم عن الصدق، ولا يولون وجوههم عن الحق؛ والذين لا يقعدهم عن بلوغ الأوطار مع إيمانهم حب الأوطان، وإذا نفذوا في حرب حرب الأعداء لا يتفدون إلا بسطان .

ولما كان فلان ذو المفاجر، والمآثر؛ أمير الفتيان، مُميز الإخوان والأعيان؛ هو صاحب هذا المخيل المعقود، والممدوح بهذا المقال المحمود، والمنوخ بهذا المقام المشهود؛ والثناء الذي سرباله بما سربله أثواب العزة والفخار، والاعتناء الذي استخير الله في أصطفائه واختياره في ذلك نغار - آقتضى حسن الرأي الشريف - كرم الله أنصاره، وأعلى مناره - أن يُجيب وسائل من وقف في هذا القصد وبقفة سائل، لينال بذلك كل إحسان وإحسان كل نائل؛ ودعا إلى الكريم العام بالإنعام،

والدعاء لسُلطان يُدعى له ويدعو كلُّ الأنام ، فقال : أسأَلُ اللهَ وأسأَلُ سُلطانَ الأرض ، مَلِكَ البِيسِطَةِ إمامَ العَصْرِ ، رَافِعَ لواءِ النِّصْرِ ، ناصِرَ المِلَّةِ المَحْمَدِيَّةِ ، مُجِيَّ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ ، فَاتِحَ البِلادِ والقِلاعِ والأَمصارِ ، قاهِرَ الكُفَّارِ مُبيدَ الفِرْجِجِ والأَرَمِنِ والتَّيارِ ؛ سُلطانَ الرِّمانِ ، حُسروانَ إِيْرانِ ، شاهِنشاهَ القانِ ؛ سُلطانَ العالَمِ وارثَ المُلْكِ ، سُلطانَ العَرَبِ والعَجَمِ والتُّركِ ؛ الذي آتَهيُ إليه عن أميرِ المؤمنين الإمامِ الأَقوابِ ، المِغوارِ ، عليِّ بنِ أبي طالِبِ ذِي الفَخارِ ، شَرَفَ الفُتُوَّةِ وآتصالِ الأَنْسابِ .

قلتُ : هذا ما وَقَفْتُ عليه من نُسخةِ هذا التَّوْقِيعِ . وقد ذَكَرَ الشَّيْخُ شِهابُ الدِّينِ محمودُ الحَلِّيُّ في كتابِهِ "حَسَنَ التَّوَسُّلِ" نُسخةً تَقْلِيدَ أنْشاهِ في الفُتُوَّةِ ، أسْقَطَ مِنْهُ أوَّلَ انْخُطْبَةِ وَهُوَ : - وَابْتَدَأَ مِنْهُ بِقَوْلِهِ :

نَحْمَدُهُ عَلَيَّ ما مَنَحنا مِنْ نِعَمِ شَيْءٍ ، وَوَهَبنا مِنْ عِلْمٍ وَحِلْمٍ غَدَونا بِهَما أَشْرَفَ مِنْ أَقْبَى ، وَأَنا نانا مَلِكِ خِلالِ الشَّرَفِ الَّذِي لا يَنْبَغِي لغيرِ ما آخَتَصنا بِهِ مِنَ الكِمالِ وَلا يَتَأَنَّيْ ، وَخَصَّصنا بِهِ مِنْ رَفَعِ أَهْلِ الطَّاعَةِ إِلى سَماءِ النِّعَمِ يَتَبَوَّؤْنَ مِنْ جِنانِ الكَرَمِ حَيْثُ شاءُوا : وَغَيرَهُمْ لا تُفْتَحُ لَهُمُ أَبوابُ السَّماءِ وَلا يَدْخُلونَ الجَنَّةَ حَتَّى ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شَهادَةً مِنْ آتَمِّيْ في نِخارِ أُبوَّةِ التَّقِيِّ إِلى حَسَبِ عَلِيِّ ، وَآتَهيُ في باوَةِ البُنُوَّةِ إِلى سَبَبِ قَوِيٍّ وَنَسَبِ زَكِيٍّ ، وَآرْتَدِي حُلَّ الوَقارِ بِواسِطَةِ الفُتُوَّةِ عَنِ خَيْرِ وِصِيِّ عَنِ أَشْرَفِ نَبِيِّ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ عَهدًا عَبْدُهُ وَرِسالُهُ الَّذِي نُورِ شَرِيعَتِهِ جَلِيٌّ ، وَجاءَ شِفاعَتِهِ مَلِيٌّ ، وَبَسِيفِهِ وَبِهِ حازَ النِّصْرَ مِنْ آتَمِّيْ وَفاءَ إِليه : فلا سِيفَ إِلاَّ دُوَّ الفَقارِ وَلا قَتِيَّ إِلاَّ عَلِيٌّ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أوَّلِيَّ مِنْ لَبِيٍّ إِحْسانًا نِداءً وَدَّهَ ، وَرَبِّي آمِنانًا نِتاحَ وَلائِهِ الموروثِ عَنِ أَبِيهِ وَجَدِّهِ ، وَرِقاَهُ كَرَمًا إِلى رُتَبَةِ عِلاءٍ يَقِفُ جِوادُ الأَمَلِ عَنِ بُلُوغِها عِنْدَ حَدِّهِ ؛

وَتَلَقَّتْ كَرَامُنَا وَفَدَّ قَصْدِهِ بِالْتَرْحِيبِ ، وَأَنْزَلَتْ جَارَ رَجَائِهِ مِنْ مَصْرِ نَصْرِهَا بِالْحَرَمِ
الْأَمِينِ وَالرَّبْعِ الْخَلِيبِ ، وَأَدْنَتْ لَأَمَلِهِ مَا نَأَى مِنَ الْأَغْرَاضِ حَتَّى بَلَغَهُ بِفَضْلِهَا سَهْمُ
أَجْتِهَادِهِ الْمُصِيبِ ، وَأَعَدَّتْ لَهُ مِنْ حُلَلِ الْجَلَالَةِ مَا هُوَ أَمْبِيٌّ مِنْ رِدَائِ السَّمَاءِ الَّذِي
تَزْدَادُ عَلَى الْأَيْدِ جِدَّةُ بُرْدِهِ الْقَشِيبِ ، وَخَصَّصَتْهُ لِأَبْنَاءِ الْمَجْدِ بِأَجَلِ بِنُوءَةٍ جَعَلَتْ لَهُ
فِي إِرْثِ خِلَالِ الشَّرْفِ أَوْفَرَ حَظًّا وَأَوْفَى نَصِيبًا - مِنْ سَمْتِ مَنَابِرِ الْمَجْدِ بِذِكْرِهِ ،
وَأَبْتَسَمَتْ أُسْرَةَ الْمَجْدِ بِشُكْرِ أَوْصَافِهِ وَوَصِفِ شُكْرِهِ ، وَأَخْتَالَتْ مَوَادَّ الثَّنَاءِ بِمَحْسَنِ
خِلَالِهِ ، وَأَخْتَارَتْ كَوَاكِبَ السَّنَاءِ إِقْبَالَ طَوْلِعِهِ بِطَوْلَعِ إِقْبَالِهِ ، وَتَمَسَّكَ مِنْ طَاعَتِنَا
بِأَمْثَلِ أَسْبَابِ الْهُدَى ، وَأَعْتَصَمَ بِعُرْوَةِ بِنُوءَةِ الْأَبْنَاءِ فَأَوْطَاهُ التَّوْتُقُ بِهَا رِقَابَ الْعِدَا ،
وَأَنْصَفَ بِمَحَاسِنِ الشِّيمِ فِي مَوَدَّتِنَا فَاضْحَى فِي السَّنِّ كَهْلَ الْحِلْمِ يَهْتَرُ لِلنَّدَى ، وَأَتَمَّى
لِنَا فَأَصْبَحَ لِنَا مَلِكًا مَقْرَبًا ، وَأَوْجِبَ مِنْ حُقُوقِ الطَّاعَةِ عَلَيْنَا مَا أَمْسَى بِهِ لِنَا
- مَعَ جَلَالَةِ الْأَبْنَاءِ - أَبْنَا وَغَدُونَا لَهُ - مَعَ شَرَفِ الْآبَاءِ - فِي نَسَبِ الْفَخْرِ الْعَرِيقِ أَبَا ،
وَنَشَأَ فِي مَهَادِ الْمُلْكِ فَمَا بِهِ لِلْعِلْمِ وَالْعَلَمِ ، بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، وَبِالْبَأْسِ وَالْكَرَمِ ، وَأَعْتَرَى
إِلَى أُبُوَّةِ حُنُونَا بِبِنُوءَةِ رَجَائِهِ قَسْبَهُ بَعْدَ أَيَّامِنَا : « وَمَنْ يُسْبِئِ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ » ، وَتَحَلَّى
بِصَدْقِ الْوَلَاءِ وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَطْلُبُ فِي سِرِّهِذَا النَّسَبِ وَيُعْتَبِرُ ، وَتَحَلَّى لِنَكَايَةِ عَدُوِّ
الْإِسْلَامِ بِلُطْفِ مُكَايَدَةِ : السِّيُوفِ تُجْزُ الرِّقَابِ « وَتَعْجِزُ عَمَّا تَنَالُ الْإِبْرَ » .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي زَانَ بِمَوَالِئِنَا عُقُودَ مَجْدِهِ ، وَزَادَ فِي طَاعَتِنَا عَلَى مَا وَرِثَ
مِنْ مَكَارِمِ أَبِيهِ وَجَدَّهُ ، وَزَانَ الْمُلُوكِ فِي إِقْبَالِ شَبَابِهِ ، وَصَانَ مُلْكَ أَبِيهِ عَنْ عَوَارِضِ
أَوْصَابِهِ بِاتِّبَاعِ مَا أَوْصَى بِهِ ، وَأَنْفَتَ صَوَارِمُهُ أَنْ تَكُونَ لَغَيْرِ جِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ مُعَدَّةً ،
وَعَزَائِمُهُ أَنْ تَتَّخِذَ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّهُ أَوْلِيَاءَ تُلْقَى إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ، وَسِهَامُهُ أَنْ تُسَدَّدَ
[الـ] إِلَى مَقَاتِلِ الْعِدَا ، وَأَسْتَهْ أَنْ يُبَيَّلَ لَهَا مِنْ غَيْرِ مَنَاهِلِ صُدُورِ الْكُفْرِ صَدَى ؛
مَعَ أَجْتِمَاعِ خِلَالِ الشَّرْفِ لِشَرَفِ خِلَالِهِ ، وَأَفْتِرَاقِ أَسْبَابِ السَّرَارِ عَنْ هَالَةِ كَمَالِهِ ؛

وَسْؤَالِهِ مَا لَيْسَ لغيره أَنْ يَمُدَّ إِلَيْهِ يَدًا ، وَأَتَمَّاسِيهِ مِنْ كَرَمِنَا الْعَمِيمِ أَجَلًا مَا نَحَلَّ وَالِدٌ
 وَلِدًا ؛ وَأَنَّهُ وَقَفَ عَلَى قَدَمِ الرَّجَاءِ الثَّابِتِ ، وَمَتَّ بِقَدَمِ غُرُوسِ الْوَلَاءِ الَّتِي أَصْلَهَا
 فِي رَوْضِ الْمَوْدَّةِ نَائِبٌ ؛ وَقَالَ : أَسْأَلُ اللَّهَ وَأَسْأَلُ سُلْطَانَ الْأَرْضِ ، الْقَائِمَ لِجِهَادِ
 أَعْدَاءِ اللَّهِ بِالسُّنَّةِ وَالْقُرْضِ ، فَاتِحَ الْأَمْصَارِ ، الَّذِي لَمْ تَزَلْ سَيْوفُهُ تُهَاجِرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 عَنْ مَحْمُودِهَا إِلَى أَنْ صَارَ لَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ أَنْصَارٌ ؛ الَّذِي كَرَّمَ اللَّهُ شَرَفَ الْفُتُوَّةِ
 بِاتِّمَائِهَا إِلَيْهِ ، وَأَعْلَى قَدْرَ بِنُورِ الْمُرُوءَةِ بِاتِّصَالِهَا بِهِ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ عَنْ أَبِي أَوَّابٍ
 عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ؛ وَأُورَثَهُ مِنْ خُلُقِهِ الْكَرَمَ
 وَالْبَأْسَ فَتَحَلَّى مِنْهُ بِأَجَلٍ مُوَافٍ مُوَافِقٍ ، وَمَنْحَهُ يَحْفَظُ الْعَهْدَ مِنْ خِصَائِصِهِ مَا عَاهَدَ بِهِ
 إِلَيْهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ مِنْ أَنَّهُ مَا يُجِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ ؛ أَعَزَّ اللَّهُ سُلْطَانَهُ ،
 وَأَوْطَأَ جِيَادَهُ مَعَاقِلَ الْكُفْرِ وَأَوْطَانَهُ ؛ أَنْ يَتَقَبَّلَ قَصِيدِي بِقَبُولِ حَسَنِ ، وَيُقْبَلَ
 بِوَجْهِ كَرَمِهِ عَلَى أَمَلِي الَّذِي لَمْ يَقْعُدْ بِهِ عَنْ فُرُوضِ الطَّاعَاتِ وَسُنَنِهَا وَسَنِّ ؛ وَيَنْظِمَنِي
 فِي سَلَكِ عَقُودِ الْفُتُوَّةِ مُلْتَمِزًا بِأَسْبَابِهَا ، مُقْتَدِيًا بِطَاعَتِهَا الَّتِي هِيَ أَكْمَلُ أَنْسَابِهَا ؛ مَتَّصِفًا
 بِمَوَالِيَتِهَا الَّتِي لَا يَثْبُتُ لَهَا حُكْمٌ إِلَّا بِهَا ، آتِيًا بِشُرُوطِ خِدْمَتِهِ الَّتِي مِنْ لَمْ يَأْتِ بِهَا عَلَى
 مَا يَجِبُ فَمَا آتَى الْبُيُوتِ مِنْ أَبْوَابِهَا .

فَاسْتَخَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى فِي عَقْدِ لُؤَاءِ هَذَا الْفَخَّارِ لِجَدِّهِ نَخَّارٍ ، وَنَظْمِنَاهُ لِعَقْدِ هَذَا الْمَقَامِ
 الْكَرِيمِ وَاسْطَةً لِمِثْلِهِ كَانَ يَزِينُهَا الْأَدَّارُ .

فُرْسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ جُودَهُ يُعَلِّي الْجُدُودَ ، وَيُوطِّدُ لِأَبْنَاءِ مَلُوكِ الزَّمَنِ
 مِنْ رُتَبِ الشَّرَفِ فَوْقَ مَا وَطَّدَتِ الْآبَاءُ وَالْجُدُودُ - أَنْ نِصَلَ سَبَبَهُ بِهَذَا السَّبَبِ
 الْكَرِيمِ ، وَنَعْقِدَ حَسَبَهُ فِي الْفُتُوَّةِ بِأَوَانِحِ هَذَا الْحَسَبِ الصَّمِيمِ ، وَنَعْدِقَ نَسَبَهُ بِأَصَالَةِ
 هَذِهِ الْأَبُوتِ الَّتِي هِيَ إِلَّا عَنِ مِثْلِهِ عَقِيمٍ ، وَيُقَاصِّ عَلَيْهِ شِعَارُ هَذَا الْخُلُقِ الْمَتَّصِلِ عَنِ
 أَكْرَمِ وَصِيِّ بْنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِ : ﴿ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

فليحل هذه الهضبة التي أخذت من مرافق العز بالمعقل، ويحل هذه الرتبة التي دون بلوغها من نوع الفراقد ألف راقد؛ ويحجر رداء الفخر على أهداب الكواكب، ويؤاحم بواكب مجده النجوم على ورود نهر الحجر بالمناكب؛ وليصل شرف هذه النسبة من جهته بمن رآه أهلاً لذلك، وليفت في الفتوة بما علم من مذهبنا الذي انتهى فيه منا إلى مالك؛ وليطل على ملوك الأقطار، بهذه الرتبة التي تفانى الرجال على حبها، ويصل على صروف الأقدار، بهذه العناية التي جعلته - وهي جليلة حزب الله - من حزبها؛ وليصل سر هذا الفضل العميم بإيداعه إلى أهله، وأنزاعه ممن لم يره أهلاً لحمله.

قلت : وما تقدم مما يكتب عن الأبواب الشريفة السلطانية بالديار المصرية والممالك الشامية ، لأرباب السيوف وأرباب الأقلام وغيرهم : من التقاليد ، والتفاويض ، والتواقيع ، والمراسيم : المكبرة والمصغرة ، ليس هو على سبيل الاستيعاب ، بل على سبيل التمثيل والتذكير ، لينسج على منواله ، وينهج على نهجه . فإن استيفاء ما يكتب في ذلك مما يسق ، ويقف القصدُ دونه . بل لا بد من حوادث تحدث لم يسبق لها مثال يقتضى أثره . فيحتاج الكاتب إلى حسن التصرف في إيراد ما يلائم ذلك ويناسبه . وكل كاتب ينفق من كسبه ، على قدر سعته ، والله تعالى هو الموفق إلى نهج الصواب ، والهادى إلى طريق الحق في الأمور كلها ، بمنه وكرمه .

الفصل الثالث

من الباب الرابع من المقالة الخامسة

(فما يكتب من الولايات عن نواب السلطنة؛ وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في مقدمات هذه الولايات، ويتعلق بها مقاصد)

المقصد الأول

(في بيان من تصدر عنه الولايات: من نواب السلطنة)

إعلم أن نواب السلطنة بالديار المصرية لا تصدر عنهم ولاية في جليل ولا حقيق، بل التولية والعزل منوطان بالسلطان، والكاتب في ذلك معدوقه به، سواء في ذلك النائب الكافل، ونائب الإسكندرية، ونائب الوجهين: القبلي والبحري، إلا ما يكتب عليه النائب الكافل من القصاص في صغائر الولايات: من نظر الأوقاف وغيرها، ثم تعين ويكتب بها تواقع سلطانية.

أما نواب السلطنة بالممالك الشامية: وهم نائب السلطنة بالشام، ونائب السلطنة بحلب، ونائب السلطنة بطرابلس، ونائب السلطنة بجماعة، ونائب السلطنة بصفد، ونائب السلطنة بغزة، إذا كانت نيابة لا تقدمه عسكر.^(١)

(١) يظهر أن هنا سقطا ولعله «فصدر عنهم الولاية» أخذا مما تقدم.

المقصد الثاني

(في بيان الولايات التي تصدر عن نواب السلطنة بالممالك الشامية)

قد تقدم في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية بالممالك الشامية ، أن نواب هذه الممالك يَسْتَبْدُونَ بِتَوَلِيَةِ وِلاَةِ الأَعْمَالِ ، وقد يَسْتَبْدُونَ أَيْضاً بِتَوَلِيَةِ صِغارِ النَّوَابِ ، كالفِلاحِ والبُدانِ التي تكون نيايتها إمرة عَشْرَةٍ . ورُبَّمَا اسْتَبَدُّوا بِتَوَلِيَةِ بعضِ النِّيَابَاتِ التي تكون نيايتها إمرة طَبْلَخاناه ، إلا أن تَوَلِيَةَ العَشْرَاتِ عن النَّوَابِ أَكْثَرُ ، وتَوَلِيَةَ الطَبْلَخاناه عن السُّلْطَانِ أَكْثَرُ . أمَّا النِّيَابَاتِ التي تكون نيايتها تَقْدِيمَةَ أَلْفٍ ، فإنَّها مَخْتَصَّةٌ بِالسُّلْطَانِ . والنِّيَابَاتُ التي يكون مُتَوَلِّيها جُنْدِيًّا أو مَقْدَمَ حَلَقَةٍ فإنَّها مَخْتَصَّةٌ بِالنَّوَابِ . وأنَّ تَوَلِيَةَ أَكْبَرِ أَرْبابِ الأَقْلَامِ : ككاتبِ السَّرِّ ، والوزيرِ بِالشَّامِ ، حيث جعلت وزارةٌ ، وناظرِ النَّظَارِ ، حيث جعلت نَظْرًا ، وأصحابِ دواوينِ المَكاتِبِ ، ونَظَارِ المَالِ بِسائرِ الممالك ، ونَظَارِ الجَيْشِ ، وقُضَاةِ القُضَاةِ بِها - فإنَّ التَوَلِيَةَ في ذلك تَخْتَصُّ بِالسُّلْطَانِ دونِ النَّوَابِ . وما عدا ذلك يُوَلَّى فِيهِ السُّلْطَانُ تارةً ، والنَّوَابُ أُخْرَى . ورُبَّمَا حَصَلَتِ الوِلايَةُ فِي بعضِ ذلك من بعضِ النَّوَابِ ثم يُكْتَبُ مِنَ الأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَةِ بِالحَمَلِ عَلَيْهَا ، على ما تقدم بَسَطُ القولِ فِيهِ هُنَاكَ ، فليُراجَعْ مِنْهُ .

المقصود الثالث

[في افتتاحات التواقيع والمراسيم بتلك الولايات]

تقدم في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية أنه يراعى فيها براءة الأستهلال في الافتتاح وأن الافتتاح فيها بـ «المحمد لله» أعلى من الافتتاح بـ «أما بعد» والافتتاح بـ «أما بعد» أعلى من الافتتاح بـ «رسم بالأمر الشريف» وأن لفظ «أما بعد» أعلى من لفظ «وبعد» وأنه يراعى في الولايات وصف المتولى والولاية، ويؤتى لكل أحد من ذلك بما يناسبه من صفات المدح، ثم يقال: «ولما كان فلان هو المشار إليه بالصفات المتقدمة، اقتضى حسن الرأى أن يستقر في كذا ونحو ذلك». ثم يؤتى من الوصايا بما يناسب مقام الولاية والمتولى لها، ثم يؤتى بالاختتام: من المشيئة والتاريخ، والحمدلة، والتصلية، والحسبلة.

والأمر فيما يكتب عن التواب جار على هذا المنهج إلا في أمور قليلة:

منها - أن جميع ما يكتب عن التواب بالشام يقال فيه «توقيع» ولا يقال فيه «تقليد» ولا «تفويض» وربما قيل «مرسوم» في أمور خاصة.

ومنها - أن التوقيع يوصف بـ «الكريم» لا بـ «الشريف» فيقال: «توقيع كريم» أن يستقر فلان في كذا» أو «مرسوم كريم لفلان بكذا» بخلاف ما يكتب عن الأبواب السلطانية، فإنه يوصف بكونه «شريفًا» فيقال: «تقليد شريف» و«تفويض شريف» و«مرسوم شريف» و«توقيع شريف» على ما تقدم ذكره.

ومنها - أن الكاتب يأتي بنون الجمع [جاريا] في ذلك على من تصدر عنه الولاية، كما أن الولايات عن الأبواب السلطانية [يجرى فيها على] العادة في الكتابة

(١) ذكر هذا في المخالف سهو فانه موافق لما يكتب عن السلطان أو الملك كما لا يخفى. (٢) يباض بالأصل.

عن الملوك . وكأنتهم راعوا في ذلك أن المكتوب عنه هو السلطان في الحقيقة ،
وفعل النائب كأنه فعله نفسه ، كما يقال : هزَم الأمير الجيش ، وفتح السلطانُ
المدينة ، والذي هزَم وفتح إنما هم جنده لا هو في نفس الأمر .

ومنها - أنه إذا أفتح التوقيع بـ «رسم بالأمر» - لا يوصف بـ «الشريف» بل
بـ «العالى» على ما تقدم . فيقال : «رسم بالأمر العالى ، المولوى ، السلطانى ،
الملكى ، الفلانى الفلانى» . وكذلك إذا أُتى بذكر «رسم» بعد الافتتاح بـ «الحمد لله
وأما بعد» فإنه يقال فيه : «العالى» دون «الشريف» .

قلتُ : هذا ما كان الأمر عليه في الزمن المتقدم كما أشار إليه المقر الشهابيُّ
أبن فضل الله في «التعريف» . ثم استقر الحال على وَصِف الأمر بـ «الشريف»
فيقال : «رسم بالأمر الشريف العالى» إلى آخره ، كما يكتب عن السلطان .
ومنها - أنه يقال في آخر التوقيع : «والاعتمادُ على الخط الكرم أعلاه» ولا يقال :
«على الخط الشريف» ، كما في السلطان .

ومنها - أنه لا يذكر في تواريخ التواب مستند كتابتها ، كما يكتب فيما يكتب
عن السلطان .

المقصد الرابع

(في بيان الالتساب)

قد تقدم في المقالة الثالثة ، في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب
السلطانية أن أعلى ما يكتب لأرباب السيوف «المقر الكرم» ثم «الجناب
الكريم» ثم «الجناب العالى» ثم «المجلس العالى» ثم «المجلس السامى» بالياء ، ثم
«المجلس السامى» بغير ياء ، ثم «مجلس الأمير» ثم «الأمير» .

وأن أعلى ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية : « الجنب العالى » ثم « المجلس العالى » ثم « المجلس السامى » بالياء ، ثم « المجلس السامى » بغير ياء ، ثم « مجلس القاضى » ثم « القاضى » .

وأن أعلى ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية : « المجلس العالى » . ثم أستقر أعلى ما يكتب لهم : « الجنب العالى » و « المجلس العالى » بعده ، ثم « السامى » بالياء ، ثم « السامى » بغير ياء ، ثم « مجلس القاضى » ثم « القاضى » على ما تقدم فى أرباب الوظائف الديوانية ، إلا فيما يقع الاختلاف فيه من الألقاب والتعوت الخاصة بكل منهما .

وأن أعلى ما يكتب لأرباب الوظائف السوفية : « المجلس العالى » ثم « المجلس السامى » بالياء ، ثم « المجلس السامى » بغير ياء ، ثم « مجلس الشيخ » ثم « الشيخ » .

وأنه يكتب لأرباب الوظائف العادية : « المجلس السامى ، الصدر الأجل » أو « مجلس الصدر » أو « الصدر » .

وأنه يكتب لزعماء أهل الذمة ألقابهم المتعارفة . فيكتب لرئيس اليهود : « الرئيس » ولبطاركة النصارى : « البطرک » ونحو ذلك .

فأما ما يكتب عن نواب الشام ، فعلى أصناف ، كما تقدم فى الألقاب التى تكتب عن الأبواب السلطانية ، مع اختلاف فى بعض الألقاب بزيادة ونقص ، وعلو وهبوط .

الصنف الأول

(أرباب السيوف، ولألقابهم مراتب)

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبذلك يكتب للطبقة الأولى من مقدمى الألواف بالشام، وحلب، وطرابلس، وإذا ولى أحد منهم نظراً وقف، أو نحو ذلك . أما غير هذه الممالك الثلاث، فقد تقدم أنه ليس فى شىء منها مقدمة ألف، ويقال فيه عندهم : « المقر الشريف، العالى، المولوى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، العونى، الغياثى، الزعيمى، الظهيرى، المخدومى، الفلانى، عز الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء فى العالمين، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، عون الأمة، كهف الملّة، ظهير الملوك والسلاطين، فلان الفلانى : أعز الله تعالى أنصاره » .

المرتبة الثانية — المقر الكريم . وبذلك يكتب للطبقة الثانية من مقدمى الألواف، ويقال فيه : « المقر الكريم، العالى، المولوى » . بنحو الألقاب المتقدمة .

المرتبة الثالثة — المقر العالى . وبه يكتب للطبقة الثالثة من مقدمى الألواف، ويقال فيه : « المقر العالى، المولوى » بنحو الألقاب المتقدمة أيضاً [كما^(١) يكتب لتقيب الأشراف بحلب، وهى : « المقر العالى، الأميرى، الكبيرى، النقيبى، الحسبى، النسبى، العريقى، الأصيلى، الفاضلى، العلامى، العارفى، المحجى، القدوى، الناسكى، الزاهدى، العابدى، الفلانى، جلال الإسلام والمسلمين، جمال الفضلاء البارعين، نحر الأمراء الحاكمين، زين العترة الطاهرة، شرف الأسرة

(١) بياض بالأصول .

الفائز، حجة العصابة الهاشمية، قُدوة الطائفة العلوية، نُجبة الفرقة الناجية الحسنية، شرف أولى مراتب، تقيب ذوى المناقب، ملاذ الطلاب الداعين، بركة الملوك والسلاطين، فلان: أسبغ الله عليه ظلاله» .

المرتبة الرابعة — الجنب الكريم . وبه يُكتب للأمرء الطباخانا، ويُقال فيه: «الجنب الكريم، العالى، المولى، الأمير، الكبير، العضدى، النصيرى، المجاهدى، المؤيدى، الذخرى، الظهيرى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأمرء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، ظهير الملوك والسلاطين، فلان: أعز الله تعالى نصرته» .

المرتبة الخامسة — الجنب العالى . وبه يُكتب لأمرء العشرينات، ويُقال فيه: «الجنب العالى، الأمير، الكبير، الذخرى، النصيرى، المجاهدى، المؤيدى، الأوحدي، الأكلى، الظهيرى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأمرء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، ظهير الملوك والسلاطين، فلان أدام الله تعالى نعمته» .

المرتبة السادسة — المجلس العالى . وبه يُكتب لأمرء العشرات، ويُقال فيه: «المجلس العالى، الأمير، الكبير، الأجل، المجاهدى، العضدى، النصيرى، الهامى، الأوحدي، الذخرى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأمرء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، عضد الملوك والسلاطين، فلان: أدام الله تعالى رفعتة» .

المرتبة السابعة — المجلس السامى بالياء . وبه يُكتب لمقدمي الحلقة، وأعيان جند الحلقة، ويُقال فيه: «المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير،

المجاهدى، الأعزى، الأخصى، الأكلى، الأوحدى، الفلانى، مجد الأمراء،
زين الأكابر، ذخر المجاهدين، فلان : أدام الله توفيقه .

المرتبة الثامنة — المجلس السامى بغيرياء . وبه يكتب للطبقة الثانية من
جند الحلقة ، ويقال فيه : « المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازى ،
المجاهد ، المرتضى ، المختار ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، زين الأمراء ،
نحر المجاهدين ، عمدة الملوك والسلاطين ، فلان : أعزه الله تعالى » .

المرتبة التاسعة — مجلس الأمير . وبه يكتب للطبقة الثالثة من جند الحلقة ،
ويقال فيه : « مجلس الأمير ، الكبير » . يتحو ألقاب السامى بغيرياء .

المرتبة العاشرة — الأمير . وبه يكتب لجند الأمراء ونحوهم ، ويقال فيه :
« الأمير الأجل » .

الصنف الثانى

(من أرباب الولايات بالممالك الشامية — أرباب الوظائف

الديوانية ، وفيهم مراتب)

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبه يكتب لكاتب السر بالشام ، وصاحب
ديوان الرسائل بحلب ، ومن فى معناهما .

وهذه ألقاب كتب بها لكاتب السر بدمشق بولاية مشيخة الشيوخ ، ويبلغ فيها
جد المبالغة ، إلا أنها ليست حسنة التأليف ، ولا رائقة الترتيب ؛ وهى : « المقر
الشريف ، العالى ، المولوى ، القاضوى ، الكبيرى ، العالمى ، العالمى ، العلامى ،
الإمامى ، الفريدى ، المفيدى ، القدوى ، الحجى ، الأجل ، الحبرى ، المحققى ،

المُدَقِّقِي، الزَاهِدِي، العَارِفِي، الخَاشِعِي، النَّاسِكِي، المُسَلِّكِي، العَابِدِي، المُرْشِدِي،
 الرَّبَّانِي، الْوَرَعِي، الْمَهْدِي، الْمَشِيدِي، الْمُشِيرِي، السَّفِيرِي، الْيَمِينِي، الْمَلَّذِي،
 الشَّيْخِي، الْفَلَانِي، جَلَالُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الْأَكَابِرِ وَالرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ،
 عَوْنُ الْأُمَّةِ، صَلاَحُ الْمِلَّةِ، جَمَالُ الْمُلْكَةِ، نِظَامُ الدَّوْلَةِ، عِزُّ الْمُلْكِ، لِسَانُ الْمَمْلَكِ،
 زَيْنُ الْأَوْلِيَاءِ، مُظْهِرُ أَنْبَاءِ الشَّرِيعَةِ وَنَاصِرُهَا، مُؤَيِّدُ الْحَقِّ وَالْمُعِينُ عَلَى إِظْهَارِهِ،
 قَامِعُ الْبِدْعِ وَمُخَفِّي أَهْلِهَا، رُحْلَةُ الْحِفَاطِ، عِلْمُ الْمُفَسِّرِينَ، حُجَّةُ الطَّالِبِينَ، سَيْفُ
 الْمُنَاطِرِينَ، قُدْوَةُ الْعِبَادِ وَالرُّهَادِ، مَلْجَأُ الصَّلْحَاءِ وَالْعَارِفِينَ، حَسَنَةُ الْأَيَّامِ، فَرْدُ
 الزَّمَانِ، غُرَّةُ وَجْهِ الْأَوَانِ، شَيْخُ الْمَشَائِخِ، مُفِيدُ كُلِّ غَادٍ وَرَائِحِ، مُوَصِّلُ السَّالِكِينَ،
 مَرْبِي الْأَتْقِيَاءِ وَالْمُرِيدِينَ، كَثْرُ السَّالِكِينَ وَالْمُرْشِدِينَ، مُمَهِّدُ الدُّوَلِ، مُشِيدُ الْمَمَالِكِ،
 جُمْلُ الْأَمْصَارِ، مَدَبِّرُ أُمُورِ سُلْطَانِهِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، مُجَهِّدُ نَفْسِهِ فِي رِضَا مَوْلَاهِ،
 مُعِينُ الْخَلَائِقِ عَلَى حُقُوقِهِمْ، مُنْذِلُ حِزْبِ الشَّيْطَانِ، مَلَأُ الْبُلْغَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ،
 خُلَاصَةُ سَلَفِ الْقَوْمِ الْمُبَارِكِينَ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَانُ
 الْفَلَانِي: أَسْبَغَ اللَّهُ تَعَالَى ظِلَالَهُ.»

المرتبة الثانية — المقرُّ الكريم. وبه يُكْتَبُ للطبقة الثانية من أرباب الوظائف
 الديوانية. ويقال فيه: «المقرُّ الكريم، العالی، المولوی، القاضوی». بنحو الألقاب
 السابقة مع «المقرُّ الشريف».

المرتبة الثالثة — الجناب الكريم. وبه يُكْتَبُ للطبقة الثالثة من أرباب الوظائف
 الديوانية. وهذه ألقابٌ كُتِبَ بها لبعض الكُتَّابِ بِكَتَابَةِ الْإِنْشَاءِ وَالْجَيْشِ بِحَلَبَ،
 وهي: «الجناب الكريم، العالی، المولوی، القضاة، الكبير، العالی، الفاضل،
 البارعي، الكامل، الماجدي، الأوحدی، الأثيری، الأثيلي، الأصيلي، القوامی،

النظامى، الفلانى، ضياء الإسلام والمسلمين، أوجد الفضلاء فى العالمين، خالصة الملوك والسلاطين، فلان : ضاعف الله تعالى نعمته .

المرتبة الرابعة — الجنب العالى . وبه يكتب لكتاب الدست ونحوهم . وهذه ألقاب كتب بها لبعض كتاب الدست بالشام، وهى : «الجنب العالى، القضائى، الكبرى، العالمى، الفاضلى، الأكلى، البارعى، الأوحدى، القوامى، النظامى، المفوهى، الرئيسى، الماجدى، الفلانى، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الرؤساء فى العالمين، أوجد الفضلاء الماجدين، قُدوة البلغاء، جمال الكتاب، زين المنتشين، خالصة الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى نعمته .»

المرتبة الخامسة — المجلس العالى . وهذه ألقاب كتب بها لكتاب درج بالشام جليل القدر، وهى : «المجلس العالى، القضائى، الأجلى، الكبرى، العالمى، الفاضلى، البارعى، الكاملى، الرئيسى، الأوحدى، الأثيرى، الأصيلى، العريقى، الفلانى، مجد الإسلام، شرف الرؤساء فى الأنام، حجة البلغاء، قُدوة الفضلاء، أوجد الأئمة، زين الكتاب، رضى الدولة، صفوة الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله علوه .»

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالياء . وهذه ألقاب كتب بها لبعض كتاب دمشق بنظر الرباع وهى : «المجلس السامى، القضائى، الأجلى، الكبرى، الرئيسى، الأوحدى، الأكلى، الماجدى، الأثيرى، الأئبلى، الأصيلى، الفلانى، مجد الإسلام، شرف الرؤساء، أوجد الفضلاء، صفوة الملوك والسلاطين، أدام الله تعالى علوه .»

المرتبة السابعة — المجلس السامى بغير ياء . وهذه ألقاب كتب بها لكتاب درج بالشام، وهى : «المجلس السامى، القاضى، الأجل، الكبير، الفاضل، الأوحى،

الأثير، الرئيس، البليغ، الأصيل، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الرؤساء، أوجد الفضلاء، زين الأعيان، نحر الصدور، تجل الأكارم، سيل العلماء، صفوة الملوك والسلطين، فلان : أدام الله تعالى رفعتة .

المرتبة الثامنة — مجلس القاضى . وهى : « مجلس القاضى ، الاجل ، الكبير »
والباقي من نسبة ألقاب السامى بغيرياء .

المرتبة التاسعة — القاضى . ويقال فيها : « القاضى ، الاجل » . وربما زيد على ذلك قليلا ، كما تقدم فى السلطانيات .

الصنف الثالث

(من أرباب الولايات بالملك الشامية — أرباب الوظائف

الدينية ، وفيه مراتب)

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبذلك يكتب لقضاة القضاة ومن فى معانهم .
وهذه ألقاب كتب بها لقاضى القضاة المالكى بدمشق بتصدير ، وهى : « المقر الشريف ، العالى ، المولى ، القضاى ، الكبيرى ، الإمامى ، العالمى ، العلامى ، الفريدى ، المفيدى ، الخاشعى ، الناسكى ، الرحلى ، القدوى ، الملاذى ، العابدى ، المحققى ، المسدقى ، المحسنى ، الحاكمى ، الفلانى ، جلال الإسلام والمسلمين ، سيد العلماء فى العالمين ، قدوة البارعين ، سيد المناظرين ، لسان المتكلمين ، ملاذ الطالبين ، كثر المتفهمين ، إمام الأئمة ، حجة الأمة ، ناصر الشريعة ، فرد الزمان ، أوجد الوقت والأوان ، رحمة القاصدين ، حكم الملوك والسلطين ، فلان : أسبغ الله ظلاله » .

المرتبة الثانية — المقرُّ الكريم . وبه يُكتب لمن دونه من هذه الرتبة .

وهذه ألقاب كُتِبَ بها لقاضى القضاة بحلب بوظيفة دينية ، وهى : « المقرُّ الكريم ، العالى ، المولوى ، القاضوى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، الأصيلى ، العريقى ، القوامى ، النظامى ، الإمامى ، العلامى ، القدوى ، المفيدى ، الشيخى ، الركنى ، الصحاحى ، الحاكمى ، المحسنى ، الفلانى ، فلان الإسلام والمسلمين ، شرف الفضلاء فى العالمين ، قدوة العلماء العاملين ، لسان المتكلمين ، برهان المناظرين ، صدر المدرسين ، رحلة الطالبين ، بقية السلف الكرام الدارجين ، بركة الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، فلان : أعز الله تعالى أحكامه » .

المرتبة الثالثة — الجناب الكريم . وهذه ألقاب كُتِبَ بها لبعض المشايخ بتدريس بالشام ، وهى : « الجناب الكريم ، العالى ، المولوى ، القضاى ، الكبيرى ، العالمى ، الفاضلى ، المفيدى ، الفريدى ، المحققى ، المدققى ، الأوحدى ، الأكلى ، الفلانى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء فى العالمين ، جمال الفضلاء المدرسين ، خالصة الملوك والسلاطين ، فلان : أسبغ الله تعالى ظله » .

المرتبة الرابعة — الجناب العالى . وهذه ألقاب من ذلك كُتِبَ بها لقاض من قضاة العسكر بالشام ، وهى : « الجناب العالى ، القضاى ، الكبيرى ، العالمى ، الفاضلى ، الرئيسى ، الأكلى ، الإمامى ، العلامى ، المفيدى ، المحققى ، الفريدى ، البارعى ، المدققى ، الأوحدى ، القدوى ، الخبرى ، الحافظى ، الأصيلى ، الأثيرى ، الناسكى ، الورعى ، العلامى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء العاملين ، زين الحكام فى العالمين ، حجة المذهب ، إمام البغاء ، مفتى المسلمين ، مفيد الطالبين ، قطب الزهاد ، ملاذ العباد ، خالصة الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله تعالى نعمته » .

المرتبة الخامسة — المجلس العالى . وهى : « المجلس العالى ، القضاىء ، الأجلء ، الكبرىء ، العالمىء ، الفاضلىء ، الكاملىء ، الرئىسىء ، الأوحدىء ، الأئبرىء ، الأئبلىء ، الأصبلىء ، العربىء ، الفلانىء ، مجد الإسلام ، شرف الرؤساء فى الأنام ، حجة الفضلاء ، صدر المدرسين ، مرتضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله تعالى علوه » .

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالياء . وهى : « المجلس السامىء ، القضاىء ، العالمىء ، الفاضلىء ، الكاملىء ، الأوحدىء ، الأصبلىء ، العربىء ، المحققىء ، الفلانىء ، مجد الإسلام والمسامين ، أوحء الفضلاء فى العالمين ، صدر المدرسين ، أوحء المفيدين ، مرتضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله سعادته » .

المرتبة السابعة — المجلس السامى بغيرياء . وهى : « المجلس السامىء ، القاضىء ، الأجلء ، الكبرىء ، الأحدء ، المرتضىء ، الأكلء ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، زين الفضلاء ، أوحء العلماء ، رضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله عزه » .

المرتبة الثامنة — مجلس القاضى . وهى : « مجلس القاضىء ، الأجلء » بتحو الألقاب المذكورة فى « السامى » بغيرياء .

المرتبة التاسعة — القاضى . وهى : « القاضىء الأجلء » على ما تقدم .

الصنف الرابع

(من أرباب الولايات بالممالك الشامىة - مشايخ الصوفىة)

ولم أقف على شىء من ألقاب ما كتب من هذا الباب . سوى [ما كتب] فى مشيخة الشيوخ بالشام لكاتب السرء ، وقد تقدم ذكره فى أول الألقاب الدبوانىة

هناك . وألقاب الجناب العالی فیما كُتِبَ به فی مشیخة الزاویة الأیمنیة بدمشق ، وهی :
 « الجنابُ العالی ، الشیخُ ، العالی ، العالمُ العَلَمی ، الأوحدی ، القُدوی ،
 العایدی ، الزاهدی ، الورعی ، الناسکی ، الخاشعی ، المسلمکی ، المرقی ، الربانی ،
 الأصبلی ، الفلانی ، مجدُ الإسلام ، حسنةُ الأيام ، قُدوةُ الزهاد ، ملاذُ العباد ، جمالُ
 الورعین ، مَرَبِّ المریدین ، أوحدُ السالکین ، خلفُ الأولیاء ، بركةُ السلاطین ،
 فلانٌ : أعاد الله تعالى من بركته » .

ومن هذا يُؤخذ ما حدث كتابته مما هو فوق ذلك أو دونه .

الصنف الخامس

(من أرباب الولايات بالممالك الشامیة - أمراء العُربان)

ولم أقف على شيء مما كُتِبَ به من ألقابهم ، سوى ألقاب « السامی » بغير یاء
 لبعض أمراء بنی مهدي ، وهی : « المجلسُ السامی ، الأميرُ ، الأجلُ ، الكبيرُ ،
 المجاهدُ ، الأصبلی ، العریقُ ، الأوحدُ ، فلانُ الدین ، مجدُ الإسلام ، بهاءُ الأنام ،
 شرفُ العُربان ، زینُ القبائل ، عمدةُ الملوك والسلاطین ، فلانٌ : أعزّه الله
 تعالى » . وعليه يُقاس ما عساه يُكُتِب من هذا النمط .

الصنف السادس

(من أرباب الولايات بالممالك الشامیة - أربابُ الوظائف)

العادیة ، كَرَأسةُ الطَّبِّ ونحوها)

وألقاب رئیس الطَّبِّ : « المجلسُ العالی ، القضائی » على نحو ما تقدم
 فی الدیوانیات .

الصنف السابع

(من أرباب الولايات بالنيابات الشامية - زعماء أهل الذمة)

وهي راسة اليهود، وبَطْرِكِيَّة النَّصَارَى .

أما رئيس اليهود، فالذي رأيتُه لهم من ألقابه في عهد قديم، كتبه ابن الزكي في الدولة الأيوبية . قال في ألقابه: «الرئيس، الأوحُد، الأجل، الأعز، الأخص، الكبير، شرف الداووديين، فلان» .

وأما بَطْرَك النَّصَارَى، فرأيتُ لهم فيه طريقتين :

الطريقة الأولى: «البَطْرَكُ المَحْتَشِمُ، المَبْجَلُ، فلان، العالمُ بأُمُورِ دينه، المُعَلِّمُ أهل ملته، دُحْر المِلَّةِ المَسِيحِيَّةِ، كبيرُ الطائفة العيسويَّة، المشكورُ بعقله عند الملوك والسلاطين، وفقه الله تعالى» .

الطريقة الثانية: «مجلسُ التَّسْيِسِ، الجليل، الرُّوحَانِيّ، الخطير، المتبتل، ابن المطران، النَّاصِب، الخاشع، المَبْجَل، قُدُوةُ دين النَّصْرَانِيَّةِ، نَحْرُ المِلَّةِ العيسويَّة، عماد بني المَعْمُودِيَّةِ، جمالُ الطائفة الفلانية، صَفْوَةُ الملوك والسلاطين، فلان: أدام الله تعالى بهجته» .

المقصد الخامس

(في بيان مقادير قطع الورق المستعمل فيما يكتب)

عن نواب الممالك الشامية)

قد تقدم في المقالة الثالثة، في الكلام على مقادير قطع الورق، أن الورق المستعمل في دواوين الممالك الشامية على ثلاثة مقادير: قطع الطلحية الشامية الكاملة، وهو

في عَرْضِ الطَّلْحِيَّةِ المعبر عنها بالفَرْخَةُ وطُولِهَا . وقطع نصفَ الجَمَوِيِّ ، وهو في نصفِ عَرْضِ الطَّلْحِيَّةِ التي في قَطْعِ الجَمَوِيِّ وطُولِهَا ، ورُبَّمَا نقصتْ في الطول . وقَطَعِ العادة ، وهو على نَحْوِ من قَطْعِ العادةِ البلدي . وقد تقدّم ذكره .

فما كان منها في طولِ الشاميِّ الكاملِ كُتِبَ بقلمِ الثلث . وما كان في قَطْعِ نِصْفِ الجَمَوِيِّ كُتِبَ بقلمِ التوقيعات . وما كان في قَطْعِ العادةِ كُتِبَ بقلمِ الرِّقَاعِ . ثم ما كان في قَطْعِ الطَّلْحِيَّةِ ، أفتتح ما يكتب فيه بـ «الحمد لله» . وما كان في قَطْعِ نِصْفِ الجَمَوِيِّ ، أفتتح ما يكتب فيه بـ «أما بعد حمد الله» . وما كان في قطعِ العادة ، أفتتح ما يكتب فيه بـ «رسم بالأمر الشريف» سواء في ذلك عِلَتِ الألقابُ أو انْحَطَّتْ ، حتّى إنه رُبَّمَا كُتِبَ بـ «المقر» في قَطْعِ العادة ، اعتباراً بحالِ الوظيفَةِ .

المقصود السادس

(في بيان ما يكتب في طُرَّةِ التواقيع)

اعلم أنّ التواقيعَ بالممالكِ الشاميّةِ عادتْهم في العلامةِ كتابة اسمِ النائبِ ، كما أنّ السلطانَ فيما يكتب عنه من الولاية يكتب في العلامة اسمه . وحينئذٍ فيحتاجُ الكاتبُ إلى أن يكتبَ في أعلى الدَّرَجِ في الوسطِ ما صورته : « الاسم الكريم » ثم يكتبَ من أوّلِ عَرْضِ الدَّرَجِ ما صورته : « توقيع كريم باستقرار المقر الشريف أو الكريم ، أو الجناب الكريم أو العالى ، أو المجلس العالى أو السامى ، أو مجلس الأمير أو القاضى ، أو الشيخ ، ونحو ذلك ، في كذا وكذا إلى آخره » . فإن كان فيه معلومٌ كتبَ آخرًا : « بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور ، أو الشاهد به كتاب الوقف » ونحو ذلك ثم يكتب : « حسب ما رسم به على ما شرح فيه » . ولفظ :

«حَسَبَ مَارُسَمَ بِهِ» مِمَّا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ كُتَّابِهِمْ ، بِخِلَافِ مَا يَكْتُبُ بِهِ مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

وهذه طُرَّةُ تَوْقِيعِ بِنِقَابَةِ الْأَشْرَافِ بِجَلْبِ المَحْرُوسَةِ ، كُتِبَ بِهِ لِلشَّرِيفِ « غِيَاثِ الدِّينِ اأَحْمَدِ » بِنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ المَعْرُوفِ بِابْنِ المَدُوحِ ، وَهِيَ :

تَوْقِيعُ كَرِيمٌ بِاسْتِقْرَارِ المَقْتَرِ العَالِي ، الأَمِيرِيِّ ، الكَبِيرِيِّ ، الشَّرِيفِيِّ ، النَّقِيبِيِّ ، الحُسَيْنِيِّ ، الأَصِيلِيِّ ، العِزِّيِّ ، بَرَكَةِ المَلُوكِ وَالسُّلْطَانِينَ ، أحمَدُ ابْنُ المَقْتَرِ العَالِي ، الشَّرِيفِيِّ ، النَّقِيبِيِّ ، الشَّهَابِيِّ ، أحمَدُ الحُسَيْنِيِّ ، أَسْبَغُ اللهُ ظِلَالَهُمَا ، فِي وَظِيفَةِ نِقَابَةِ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ ، وَنَظَرِ أَوْقَافِهَا ، وَالحِكْمِ فِي طَوَائِفِهِمْ عَلَى آخْتِلَافِهِمْ أَجْمَعِينَ ، عِوَضًا عَنِ وَالِدِهِ المِشَارِ إِلَيْهِ بِرِضَاهِ ، عَلَى عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقَرِّ قَاعِدَتِهِ ، وَتَعَالِيمِهِ المِستَمَرَّةِ إِلَى آخِرِ وَقْتِ ، حَسَبَ مَارُسَمَ بِهِ بِمَقْتَضَى الخَطِّ الكَرِيمِ ، عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ .



وهذه نسخة طُرَّةِ تَوْقِيعِ بِكَشْفِ الصَّفِيقَةِ القَبْلِيَّةِ بِالشَّامِ ، مِمَّا كُتِبَ بِهِ لـ«غُرْسِ الدِّينِ خَلِيلِ النَّاصِرِيِّ» وَهِيَ :

تَوْقِيعُ كَرِيمٌ بِأَنِ يَسْتَقَرُّ الجَنَابُ الكَرِيمُ ، العَالِي ، المَوْلَوِيُّ ، الأَمِيرِيُّ ، الكَبِيرِيُّ ، الغُرْسِيُّ ، ظَهيرِ المَلُوكِ وَالسُّلْطَانِينَ ، خَلِيلِ النَّاصِرِيِّ ، أَدَامَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ ، فِي كَشْفِ البِلَادِ القَبْلِيَّةِ المَحْرُوسَةِ بِالشَّامِ المَحْرُوسِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَهُ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقَرِّ قَاعِدَتِهِ ، حَسَبَ مَارُسَمَ بِهِ ، عَلَى مَا شَرَحَ فِيهِ .



وهذه نسخة طُرَّةِ تَوْقِيعِ بِالمِهْمَنْدَارِيَّةِ بِالشَّامِ المَحْرُوسِ ، كُتِبَ بِهِ لـ«غُرْسِ الدِّينِ خَلِيلِ الطَّنَاحِيِّ» وَهِيَ :

توقيع كريم باستقرار الجناب العالى، الأميرى، الكبيرى، الغرمى، عضد الملوك والسلاطين، خليل الطناحى، أدام الله تعالى نعمته، فى وظيفة المهندارية الثانية بالشام المحروس، عوضاً عن حسام الدين حسن بن صاروجا، بحكم شعورها عنه، لما آتفق من الغضب الشريف عليه، وأعتقاله بالقلعة المنصورة بحلب المحروسة، على أجمال عادة، وأكل قاعدة، حسب ما رسم به، على ما شرح فيه .



وهذه نسخة طرة توقيع بتصدير الجامع الأموى بالشام، كتبت به للقاضى «ناصر الدين» بن أبى الطيب كاتب السرى بالشام، وهى :

توقيع كريم بأن يستقر المقر الشريف، الناصرى، محمد بن أبى الطيب العمري، العثمانى، الشافعى، صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالمملكة الشريفة الشامية المحروسة، عظم الله تعالى شأنه، فى وظيفة التصدير بالجامع الأموى المعمور بذكر الله تعالى، عوضاً عن القاضى صدر الدين عبد الرحمن الكفرى الشافعى، بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى، بماله من المعلوم الذى يشهد به ديوان الوقف المبرور، حسب ما رسم به، على ما شرح فيه .



وهذه نسخة طرة توقيع بإعادة مشيخة الشيوخ بالشام إلى القاضى «ناصر الدين ابن أبى الطيب» المذكور أعلاه، وهى :

توقيع كريم بأن تفوض إلى المقر الشريف العالى، المولوى، القاضى، الناصرى، محمد بن أبى الطيب العمري، العثمانى الشافعى، صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالمملكة الشريفة الشامية المحروسة، أعاد الله تعالى من بركاته، وأسبغ

ظلاله ، مشيخة الشيوخ بالشام المحروس ، وظيفته التي خرجت عنه ، المرسوم الآن
إعادتها إليه ، عوضاً عن هي بيده ، بعلومه في النظر والمشيخة ، الشاهد بهما ديوان
الوقف المبرور ، إلى آخر وقت ، على أجل العوائد ، وأجل القواعد ، حسب ما رسم
به ، على ما شرح فيه .



وهذه طرة توقيع بالتمل على النزول والتقرير الشرعي ، بالزاوية الأمينية ، بالقدس ،
كتب به للشيخ « برهان الدين الموصلي » وهي :

توقيع كريم بأن يحمل الجناح العالي ، الشيخي ، البرهاني ، إبراهيم ابن سيدنا
المرحوم الشيخ القطب ، تقي الدين أبي بكر الموصلي ، رضى الله عنه وأعاد من
بركاتهما ، في وظيفتي النظر والمشيخة ، بالزاوية الأمينية بالقدس الشريف ، على حكم
النزول الشرعي ، واستمرار ذلك بمقتضاهما ، ومنع المنازع بغير حكم الشرع الشريف ،
حسب ما رسم به ، على ما شرح فيه .



وهذه طرة مرسوم بربع مقدمة إمرة بنى مهدي ، كتب به لـ « عيسى بن
حناس » وهي :

مرسوم كريم بأن يستقر المجلس السامي ، الأمير ، شرف الدين ، عيسى بن
حناس (؟) ، أعزّه الله تعالى ، في ربع مقدمة بنى مهدي ، على عادة من تقدمه ، حملاً
على ما بيده من التوقيع الكريم ، على ما شرح فيه .



وهذه طرة توقيع ببطركية النصاري الملكية بالشام ، كتب به لـ « دأود
الخورى » وهي :

توقيع كريم بان يستقر البطريرك ، المحتشم ، المبعجل ، داود الخورى ، المشكور بعقله لدى الملوك والسلاطين ، وفقه الله تعالى ، بطريك المملكة الشريفة الشامية المحروسة ، حسب ما اختاره أهل ملته المقيمون بالشام المحروس ، ورغبوا فيه ، وكتبوا خطوطهم به ، وسألونا تقريره دون غيره ، حسب ما رسم به ، على ما شرح فيه .

المقصود السابع

(في بيان كيفية ترتيب هذه التواقيع)

قد جرت عادة كتاب هذه النيات أن تكتب الطرة بأعلى الدرج كما تقدم . ثم يترك وصلان بياضاً بما في ذلك من وصل الطرة ، ثم تكتب البسملة في أول الوصل الثالث ، ثم يكتب تحت البسملة على سمت الجلالة : « المللكى القلائى » ثم يخلى بيت العلامة نحو سنة أصابع معترضة ، ثم يكتب السطر الثانى ويوافق كتابة السطر ، ويكون ما بينهما بقدر أصبعين ، والباقي على نحو ما تقدم في السلطانيات .

الطرف الثانى

(في نسخ التواقيع المكتوبة عن نواب السلطنة بالممالك الشامية)

قد تقدم في المقالة الثانية أن بالبلاد الشامية سبع نيات : دمشق ، وحلب ، وطرابلس ، وحماء ، وصفد ، وغزة إن كانت نيابة ، والكرك . وأن اعلاها دمشق ، ثم حلب ، ثم طرابلس . وفي معنى طرابلس حماة وصفد .

وقد اقتصر في نسخ التواقيع على ما يكتب في ثلاث نيات [تقديمها]^(١)

على ما عداها .

(١) بياض بالأصل .

النيابة الأولى الشام

(والتواقيع التي تُكتب بها على خمسة أصناف)

الصنف الأول

(ما يُكتب بوظائف أرباب السيوف ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ماهو بحاضرة دمشق ، وهو على مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتح بـ « الحمد لله » وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بولاية دمشق :

الحمد لله الذي جعل هذه الأيام الزاهرة تنقل أولياء آلائه الشريفة إلى أعلى
المراتب ، وتُجزل لهم من مننه الجمّة المواهب ، وتضاعف لهم النعمة بكرمها الذي إذا
انهمل كان كالغيث السّاكب .

نحمده على أن جعل نظرنا يلمح أهل الهمم ويراقب ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة يبلغ قائلها ببركتها المنى والمآرب ، وتهون عليه كل
المصاعب ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أظهر الله بيعته الحق
في المشارق والمغارب ، وأنار به ظلم الغياهب ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين
شيدوا منار الإسلام وأقاموه بالسيوف القواضب ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن المناصب بتوليها ، والمعالي بمعلها ، والعقود ليست بمن تحليه بل بمن يحليها ؛ وأطيب البقاع جناباً ما طاب أرجاً وثماراً ، وخرّ خلاه كل نهر « يروع حصاه حاليّة العذارى » ورغمت معاطف غصونه سلاف النسيم فتراها سكارى ، وتمتدّ ظلال الغصون فيخال أنها على وجنات الأثمار عذارا .

ولما كانت دمشق المحروسة لها هذه الصفات ، وعلى صفاتها تهبّ نسائم [هذه] السائمات ، لم يتصف غيرها بهذه الصفه ، [ولا اتفق أولو الأبواب إلا على محاسنها المختلفة] وكان الجنب الكريم هو من أعيان الدولة وأماثلهم ، ووجوه رؤسائهم وأفاضلهم ؛ وله في طاعتها استرسال الأمان من سوء مواطن المخاوف ، ووصل في ولائها القديم بالحديث والتألد بالطارف ؛ وتولى مهمات الخدم فأبان في جميعها عن مضاء عزمه ، وكان من حُسن آثاره فيها ما شهر غفلها بوسمه ؛ فمن ناواه من أقرانه أربى عليه وزاد ، ومن باراه من أنظاره أنسى ذكراه أو كاد .
فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقرّ في ولاية مدينة دمشق المحروسة .

فلباشر هذه الولاية : عاملاً بتقوى الله تعالى التي أمر بها في مُحكم الكتاب ، حيث يقول : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾ . وليشمل كافة الرعايا بالحفظ والرعاية ، ويُجزل حظهم من الملاحظة والعناية ؛ وليساو في الحق بين ضعيفهم وقويهم ، وفقيرهم وغنيهم ؛ وليلزم أتباعه بحفظ الشوارع والحارات ، وحراستها في جميع الأزمنة والأوقات ؛ مع مواصلة التطواف كل ليلة بنفسه في أوفى عده ، وأظهر عده ، منتهياً في ذلك وفيما يجاريه إلى ما يشهد باجتهاده ، ويعرب عن سداذه ، ويُعلم منه صواب قصده وأعتاده ، وبذل مناصحته في إصداره وإيراده ؛ والله تعالى يعينه على ما ولاه ، ويحفظ عليه ما نوله وأولاه ؛ بمنه وكرمه .

(١) الزيادة مما تقدم في الصف الثالث في توابع أرباب الوظائف في حاضرة دمشق ليستقيم الكلام .



وهذه نسخة تَوْقِيعِ بِنَظَرِ الْجَامِعِ الْأَمَوِيِّ، لصاحب سَيْفٍ: كُتِبَ بِهِ فِي الدَّوْلَةِ
الظَّاهِرِيَّةِ « بَرَقُوقِ » لِنَاصِرِ الدِّينِ « مُحَمَّدِ » ابْنِ الْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ، عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ الْحَاجِبِ، عِنْدَ مُصَاهَرَتِهِ الْأَمِيرِ بَطَا الدُّوَادَارِ، وَهِيَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدَّمَ أَعْظَمَ الْأَمْرَاءِ لِيَعْمَّ مَوَاطِنَ الذِّكْرِ بِنَظَرِهِ السَّعِيدِ، وَأَقَامَ لِتَعْظِيمِ
بُيُوتِ أَدْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ، [أَمِيرًا] فِي الْأَكْتِسَابِ لِلْأَجُورِ أَسْرَعَ مِنَ الْبَرِيدِ، وَأَطْرَبَ
الْمَسَامِعِ بِسِيرَتِهِ فِي أَحْسَنِ مَعْبِدٍ جَلِيَّتْ فِيهِ عَرُوسٌ مَهْرُهَا كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى وَالنُّورُ مِنَ
زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ وَمَرَّتِي عَلَيْهِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ .^(١)

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ أَحَلَّ نَاصِرَ الدِّينِ بِجَمَالِهِ الْأَسْنَى أَشْرَفَ الْمَرَاتِبِ، وَبَوَّأَهُ الْمَحَلَّ الرَّفِيعَ
الَّذِي بَلَغَ بِهِ الْأُمَّةَ الْمَحْمُودِيَّةَ الْمَأْرَبِ، وَسَارَ خَبْرُ سِيرَتِهِ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، وَبَلَغَ
بِمُشَارَفَةِ نَظَرِهِ السَّعِيدِ الشَّاهِدَ وَالغَائِبِ؛ حَمْدًا نَزَعَهُ عَلَى النَّسْرِ الطَّائِرِ، وَنَمْتَلُ بِقَوْلِ
الْقَائِلِ: كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي
خَلَقَ الْعِبَادَ لِعِبَادَتِهِ، وَفَضَّلَ بَعْضَ الْمَسَاجِدِ عَلَى بَعْضٍ لِمَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ مِنْ إِرَادَتِهِ؛
وَنَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا خَيْرَ الْخَلَائِقِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي سَنَّ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَعَمَّرَ
الْمَسَاجِدَ بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا، وَلَا زُمُوا الْمَسَاجِدَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَحَضُّوا عَلَى الْجَمَاعَةِ
إِلَى يَوْمٍ تَكُونُ الْجِبَالُ فِيهِ كَثِيبًا مَهِيلًا؛ وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ، فَلَمَّا كَانَ جَامِعُ دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ رَافِعَ الْمَسَاجِدَ، وَمَوْطِنَ كُلِّ رَاكِعٍ
وَسَاجِدٍ؛ وَتَقَصَّدَهُ الْأُمَّمُ مِنَ الْأَقْطَارِ، وَلَمْ يَخُلْ مِنَ الْعِبَادَةِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَرَوَاتِبُ
حُكَّامِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِ، وَالْعُلَمَاءُ الْأَعْلَامُ تَبَّتْ فِيهِ الْعُلُومُ وَتَأَوَّى إِلَيْهِ؛ وَغَالِبُ الْمَسَاجِدِ

(١) فِي الْأَصْلِ «وَمَرْبِيَّةٌ» وَلَمْ تَقْهَمْ مَعْنَاهُ .

إلى سِمَاطٍ وَفِيهِ مُضَافَةٌ، وَخَطَابَتُهُ تُضَاهِي مَرْتَبَةَ الْخِلَافَةِ؛ وَهُوَ أَجَلُّ عَجَائِبِ الدُّنْيَا الَّتِي وُضِعَتْ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ، وَبِهِ يَفْتَخِرُ أَهْلُ الْهُدَى عَلَى أَهْلِ الضَّلَالِ - تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ النَّاطِرُ فِي أَمْرِهِ مَنْ عَظُمَ قَدْرًا، وَطَابَ ذِكْرًا؛ وَفَتَحَ لَوْفِهِ بَابَ الزِّيَادَةِ عَلَى مُضَى السَّاعَاتِ، وَجَمَعَ أَمْوَالَهُ بَعْدَ الشَّنَاتِ؛ وَوَصَلَ الْحُقُوقَ لِأَرْبَابِهَا الَّذِينَ كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرًا، وَلَمْ يُضِعْ مِنْ مَالِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ صَدَقَهُ فَيَوْمَهُ يَوْمٌ عَسَرَ؛ وَعَمَّ جَمِيعَ الْمَسَاجِدِ الْمَضَافَةِ إِلَيْهِ بِالْفَرَشِ وَالتَّنْوِيرِ، وَبَدَأَ الْأَيْمَةَ وَالْمُؤَذِّنِينَ وَالْخَدَمَةَ بَعْدَ الْعِمَارَةِ عَلَى الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ.

وَكَانَ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ - ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ - هُوَ الَّذِي يَقُومُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَحْسَنَ مَقَامًا، وَيَصْلِحُ لَهُ فِي مَصْلَحَتِهِ الْكَلَامُ.

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي، الْمَوْلَوِيُّ، السُّلْطَانِيُّ، الْمَلِكِيُّ، الظَّاهِرِيُّ، السَّيْفِيُّ - لِأَزَالِ هَذَا الدِّينِ الْقِيَمَ قَائِمًا بِمُحَمَّدِهِ، وَالْمَسَاجِدُ الْمَعْمُورَةُ [مَعْمُورَةٌ] بِإِكْرَامِ مَسْجِدِهِ - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْجَنَابُ النَّاصِرِيُّ الْمَشَارِئُ إِلَيْهِ فِي النَّظَرِ السَّعِيدِ عَلَى الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ الْمَعْمُورِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَوْقَافِهِ الْمَبْرُورَةِ، عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ، وَأَجْمَلِ الْقَوَاعِدِ؛ بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ دِيْوَانُ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ، إِلَى آخِرِ وَقْتِ.

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ: لِمَا يُعْرَفُ مِنْ فِعَالِهِ الْحَسَنَةِ، وَخِبْرَتِهِ الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا مِنَ الْمَحَارِبِ الْأَقْوَامُ وَمِنَ الْأَقْلَامِ الْأَلْسِنَةُ؛ وَلِمَا حَازَهُ مِنْ فَضِيلَتِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ، وَأَعْمَالِ الَّتِي بَدَتْ لِنَهْدِي بِهَا كُنُوزٌ لَا تَأْرِي عَلَى عِلْمٍ؛ وَوَيْعَمَّرَ مَا دَثَرَ مِنَ الْأَوْقَافِ وَلِيُوصَلَ الْحُقُوقَ إِلَى أَرْبَابِهَا، وَلِيَسُدَّعِ الْأَمْوَالَ إِلَى مَنْ هُوَ أَوْلَى بِهَا؛ وَيَكْفِيَ كَفَّ الظُّلْمِ وَيُسَبِّغِ الْمَسْتَحِقَّ الْمَآرِبِ، وَيُجْجِبِ الْخَوَنَةَ عَنِ التَّوَصُّلِ إِلَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ يَجِدُهُ فَهُوَ بِحَدِّهِ حَاجِبٌ؛ وَلْيَبْدَأْ بِالْعِمَارَةِ وَالْفَرَشِ وَالتَّنْوِيرِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَأَرْبَابِ الصَّلَاةِ

وَالصَّلَاتِ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهِيَ بِهَا أُذْرَى ، وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكُهَا وَلَا زَالَ يُفَيْدُهَا كَمَا يَعْلَمُ الشَّجَاعَةَ زَيْدًا وَعُمَرَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ أَبَدًا لِلدِّينِ نَاصِرًا ، وَيُصَلِّحُ عَمَلَهُ أَوَّلًا وَآخِرًا ، وَالْإِعْتِمَادُ فِي مَعْنَاهُ ، عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .

المرتبة الثانية

(ما يفتتح به «أما بعد حمد الله» وفيها وظائف)

وهذه نسخة توقيع ... الزكاة ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهي :
 (١)
 أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ مُسْعِدٍ مِنْ زَكَاةِ عَمَلِهِ ، وَوَفَاءُ وَعَدِّ الْخَيْرِ أَمَلِهِ ، وَمُصْعِدٍ مِنْ وَقْتِ
 فِي تَدْبِيرِ الْوُظَائِفِ تَفَاصِيلُ أَمْرِهِ وَوَفَّرَتْ فِي تَثْمِيرِ الْأَمْوَالِ جُمْلُهُ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ
 عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي أَمَرْنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وَشَفَعْنَا جَانِبَ الدِّينِ الْقِيمِ
 مِنَ الشُّكَاةِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ الْقَوْمِ سَائِرُهُمْ ، وَتَرَكْنَا - وَإِنَّمَا
 يَتْرَكُنَا لِنَفْسِهِ - مُنْجِدُهُمْ وَعَاثِرُهُمْ - فَإِنَّ أَحَقَّ الْوُظَائِفِ أَنْ يُنْدَبَ لِحِمَايَتِهَا الْحُسَامُ ،
 وَيَتَرْتَّبَ لِكِفَايَتِهَا مَنْ تَحَلَّتْ بِالْحَمَامِدِ شِمِيمَةُ الْحُسَامِ - وَظِيفَةُ الزَّكَاةِ الَّتِي وَصَلَتْ سَبَبَ
 مَكَانِهَا بِإِمَّاكِنِهَا ، وَبُنِيَتْ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ عَلَى أَحَدِ أَرْكَانِهَا ، وَمُدِحَّتْ الْمَمْلُوكَةُ بِمَعَالِي
 الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ الْمُنْتَظَمَةِ مِنْ دِيَوَانِهَا .

وَمَا كَانَ فَلَانٌ مِمَّنْ زَكَتْ صِفَاتُهُ ، وَسَمَّتْ بِالْجَمِيلِ سِمَاتُهُ ، وَوَصَحَّتْ كِفَايَتُهُ
 وَدَرَايَتُهُ ، وَصَلَحَتْ حِمَايَتُهُ الْحُسَامِيَّةُ وَوَقَايَتُهُ ، وَكَانَ الْيَمْنُ فِي قَبْضَةِ مَضَائِهِ ، وَتَجْرِيدُهُ
 وَأَنْبِيَاةُ ، وَكَانَ نَفُودُ أَمْرِهِ وَأَقْفًا عِنْدَ حُدُودِهِ وَقَعًا عَلَى وَفْقِ آرْتِضَائِهِ - تَعَيَّنَ أَنْ يُوَصَلَ
 سَبَبُ الشَّدِّ بِأَسْبَابِهِ ، وَيُرْجَعَ إِلَيْهِ فِي الزَّكَاةِ الْمُسْتَحَقِّ نِصَابُهَا حَتَّى يُقَالَ : رَجَعَ الْحَقُّ
 بِالْحُسَامِ إِلَى نِصَابِهِ .

(١) بياض بالأصل ولعله : بتولية وظيفة الزكاة الخ .

فلذلك رُسِمَ أن يرتب علماً بأنه الكافي الذي إذا شدَّ سَدًا، وإذا قصر رأيه على الصُّنْعِ الجَمِيلِ مَدًّا، والخَبِيرِ الذي إذا جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ كَانَ مَشْكُورًا ، وإذا فَرَّقَهُ فِي مُسْتَحِقِّيهِ كَانَ خِلَافَ الْغَيْرِ بِالْخَيْرِ مَذْكُورًا ، وَالنَّاهِيصُ الذي مَا تَبَرَّمَ بِمَضَائِقِ الْمُهَمَّاتِ وَلَا شَكَاهَا ، وَالْمَهِيْبُ الذي قَدْ أَمِنَ مَنْ سَارَ بِالْبِضَاعَةِ إِلَيْهِ وَقَدْ أَفْلَحَ مِنْ زَكَّاهَا .

فَلْيَسْتَقِرَّ فِي هَذِهِ الْجِهَةِ اسْتِقْرَارًا يَزِيدُ مَكَانَهُ وَإِمَكَانَهُ ، وَيُتِمَّرُ عَمَلَهُ وَدِيْوَانَهُ ، وَيُوَصَّلُ كُلَّ ذِي حَقٍّ إِلَى حَقِّهِ فَإِنَّمَا بُسِطَتْ أَيْدِي وِلَاةِ الْأُمُورِ لِيَبْسُطَ عَدْلَهُ مُتَوَلِّيًا وَإِحْسَانَهُ . وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْعُمْدَةُ : فَلْيُحَقِّقْ بِاعْتَادِهَا فِيهِ طُنُونَ الرَّاجِحِينَ ، وَلْيَسْتَعِنْ بِهَا عَلَى رِضَا الْمُسْتَنْهَضِينَ لَهُ وَعَلَى رِضَا الْمُحْتَاجِينَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُلْهِمُهُ الْخَيْرَ فِي ذَوِي الصَّادِرِ وَالْوَارِدِ حَتَّى يَكُونُوا إِلَى خَيْرٍ «لَا جِئِينَ» خَيْرَ لَاجِئِينَ .



وهذه نسخة توقيع بَسَدِ الحَوَطَاتِ بِدِمَشْقٍ . كُتِبَ بِهِ لِشَرَفِ الدِّينِ يَحْيَى بْنِ العَفِيفِ ، [باجرائه] عَلَى عَادَتِهِ ، وَحَمَلَهُ عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ التَّوْقِيعِ الشَّرِيفِ ، وَهِيَ :
أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي سَهَّلَ الْخَيْرَاتِ بِأَسْبَابِهَا ، وَأَقْرَفَ فِي الْوِظَائِفِ السَّنِيَّةِ كُفَاةَ أَرْبَابِهَا ، وَكَلَّلَ أَدْوَاتِ مِنْ حَنْكَتِهِ التَّجَارِبُ فِي الْمُبَاشَرَاتِ حَتَّى دَخَلَ الْمَنَاصِبَ الْعَلِيَّةَ مِنْ أَبْوَابِهَا ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الْأَتَمِّينَ الْأَكْمِينَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي جَاءَ بِرِشْدِ الشَّرِيعَةِ وَصَوَابِهَا ، وَعَرَّفَ بِحَسَنِ الصَّنِيعَةِ وَثَوَابِهَا ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَعِزَّتِهِ الطَّاهِرِينَ - فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ لَفَّتْنَا إِلَيْهِ جَيْدَ الْإِحْسَانِ ، وَأَلْقَيْنَا إِلَيْهِ طَرْفَ التَّكْرِيمِ فَلَبِغَ الْأَمَانِي وَالْأَمَانَ ، وَلَحَطَّانَاهُ بَعَيْنِ عِنَايَتِنَا فَنَالَ مِنْ فَضْلِنَا مَا أَتَجَمَّلُ الْغَيْثَ الْهَتَّانَ ؛ وَمَنْتَحَاهُ مِنْ رَبَّنَا مَا شَرَحَ لَهُ صَدْرًا ، وَأَسْتَصْحَبْنَا لَهُ مَا أَلْفَهُ مِنْ كَرَمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُ بَعْدَ

عُسْرُ يُسْرًا؛ وَأَيْقُنَا حَظَّهُ وَقَدْ كَادَ أَنْ يَغْفَى، وَأُطْلَعْنَا كَوَكَبَ سَعْدِهِ بَعْدَ أَنْ كَادَ يَغْفَى - مِنْ أَلْفَتْ مُهِمَاتُنَا مِنْهُ الْهِمَمَ الْعَلِيَّةَ، وَسَلَكَ بَيْنَ أَيْدِينَا الْمَسَالِكَ الْمَرْضِيَّةَ، وَأُثْمِنَ عَلَى أَمْوَالِ الْحَوَاطِطِ الدِّيَوَانِيَّةِ فَنَمَتَ بِحُسْنِ أَمَانَتِهِ، وَشَكَرَتِ الدَّوْلَةُ جَمِيلَ تَدْبِيرِهِ وَدِرَايَتِهِ .

وكان المجلس العالي فلان - أدام الله عزه - هو الذي أخبر عنه الوصف بما أثبتته العيان ، وأظهر الاختبار منه حسن السيرة والسريرة والسجايا الحسان .

فلذلك رسم بالأمر العالي - أعلاه الله تعالى ، وضاعف إحسانه على أهل الهمم وإلى - أن يستمر المشار إليه في شد الحوطات الديوانية بدمشق المحروسة ، على عادته ، ومستقر قاعدته ، وحمله على ما بيده من التوقيع الشريف المستمر حركه .

فليأثر هذه الوظيفة على أجمل عوائده ، وليعد إليها على أكل قواعده ؛ إلا أن التذكرة بتقوى الله تعالى لأبد من آقباس ضياها ، والتنبية على سلوك سبيل هداها ؛ فلتكن قاعدة أملة ، وخاتمة عمليه . والاعتاد في معناه ، على الخط الكريم أعلاه ؛ إن شاء الله تعالى .

المرتبة الثالثة

(من تواقع وظائف أرباب السيوف بدمشق - ما يفتح به «رسم

بالأمر العالي» وفيه وظائف)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

نسخة توقيع بشد مراكز البريد ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كتب بها لمن لقبه «بدر الدين» في سنة ثلاث وأربعين وسبعائة ، وهي :

رُسم بالأمر العالى - لا زالت البرد سائرة بأوامر عدله المديد ، وهو امر جوده
المجيد ، وسواثر الأخبار عن بأسه ونده المروى سندهما عن ثابت ويزيد ، ولا يرحح
جوامع عطايه وقضايه : هذه فاتحة لمصالح الآمال باب الزيادة وهذه فاتحة لمصالح
الإسلام باب البريد - أن يستقر المجلس على عادته الأولى ، وقاعدته التى ما برحت
قدم مساعيه فيها المقدمة ويد أمانته الطولى ؛ علمًا بكفائه التى شهدت بها حتى
انحليل المسائل خرسًا فأفصحت ، المواصلات سعيًا فأنجحت ، الموريات قدحًا
إلا أن السنة الأحوال فى شهادتها ما قدحت ، المغيرات على السرى صبحًا ما دار عليها
شفق العشى فأغبت ، حتى دار عليها شفق الفجر فأصطبحت . ومراكز الطرق
التى حتمها مهابتة فكأنها مراكز الأسل ، ومراكز السبل ، كل واحد منها وما حمل
وكل حدب وما نسل ؛ وأعتادًا على سداد عزمه الذى وافق خبره الخبر ، ورشاد سعيه
الذى كل أوقاته من وجوه الإجابة ووجوه الجهاد غرر ؛ وركونًا إلى أنه الكافي
فما يعتمده ويراه ، السارى فى المهمات لا يمل وهيات أن يمل البدر من سراه ؛ كم
أعان الإسلام على ما آتخذ من قوة ومن رباط الخيل ، وكم جاد على الجهاد على الغيث^(١)
حتى سارت بين يديه كالسيل ، وكم حفظ عليها قوتها وقوتها فبعد ما كانت تموت
بالعدد صارت تعيش بالكيل .

فلباشر ما عول فيه عليه ، وأعيد من حقه وإن كان خرج عنه إليه ، وليطلق يد
أمره ونهيه بما يسره أن يقدمه بين يديه ؛ حريصًا على أن تنطق هذه الدواب
الخرس غدًا بثنائه ، مجريًا لقوائمها وللإقامة بها على عادة إجرائه ؛ متخيرًا لها كل
حسن الإمرة والسياسة عند رحيلها وقدمها ، ومن إذا عرضت عليه بالعشى
الضافات الجياد طفق مسحا ولكن بإمطة الأذى عن جسومها ؛ موسعا عليها من

(١) لعله زائد من قلم النسخ .

المباني والأحوال كل مَضِيق ، أمراً بما يحتاج إليه نوعها البديع من صناعتى ترشيح وتطبيق ؛ مستأمناً من الأيدي من يردُّ عنها الأيدي الضائمه ، ومن يساوى بينها فى الأقوات حتى لا تكون كما قال الأول : « خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمٍ » ؛ متحرراً فى تكيفيتها أجمَل الطرق والطرائق ، مستجلباً صنوف العليق فلا تنقطع من بره العلائق ؛ والله تعالى يمدُّ بعونه ورشده ، ويعملُ عزمه سابقاً إلى التوفيق « سبق الجواد إذا استولى على أمده » ؛ بمنه وكرمه .



وهذه نسخة توقيع بنقابة النقباء ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضاً ، كُتِبَ بها لشهاب الدين « بولاقى » عوضاً عن أبيه ، فى سنة أربع وثمانمائة ، وهى :

رُسم بالأمر العالى - لازال بإنعامه يُسفرُ عن وجه الأملِ نقابه ، ويحفظُ لكافى الخِدمة أعقابه ، ويأوى باستمرار النعمِ أذوار الزمان وأحقابه ، ويُطلعُ فى آفاق دَوْلته شهاب كلِّ عزيمٍ تحمدهُ عساكرُه المنصورةُ ارتقاءه وارتقابه - أن يرتب المجلس السامى ، الأمير : علماً بأوصافه الحسنه ، وأوضاعه التى لا يحتاج الحكم بفضلاها إلى إقامة بينه ، وكفائه التى تنطق بها ألسنة الأحوال المؤمنة وقلوب العساكر المؤمنه ، وهيمته التى إذا وقفتِ المواقف على الأعداء عرفته أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وتصديقاً لدلالة عزيمه الواعد ، وتحققاً لحماية شهابه الواقد ، ورؤكونا إلى قيامه مقام أبيه رحمه الله فى الخِدمة حتى كان لم يفقده من الجيش فأقد ؛ وأنه لدرجات الاستحقاق راقى ، وأنه العوض عن أب لاقى منيته وكل أمرى لاقى المنية وابن لاقى ؛ وأنه كُف هذه المنزلة كما حكم الرأى وأقتضى ، وكما شهيد(؟) لغزته بغير الفوائد وكيف لا وهو ابن النقيب المرتضى ! .

فَلْيَتَلَقَّ بِشِهَابِهِ الْمُضِيِّ هَذَا الْمَطَّلَعِ الْأَسْنَى، وَلْيَقُمْ فِي هَذِهِ الْوَضِيفَةِ عَلَى قَدَمِ الْخِدْمَةِ
 صُورَةً وَمَعْنَى؛ مُقَدِّمًا عَلَى النَّبَاءِ تَقْدِيمَ إِمَامِهِمْ، مُعَلِّمًا لِحُدُودِ الْإِسْلَامِ مَعْلُومَ مَقَامِهِمْ؛
 مَالًا بِإِتْقَانٍ مَعْرِفَةَ الْحِلِيِّ سَمِعَ مَنْ اسْتَمَلَاهُ، مُحَظِّيًا لِلْجُنْدِيِّ مُعِينًا لَهُ عَلَى حُصُولِ الْخَيْرِ
 حَتَّى يَشْكُرَهُ شُكْرًا مِنْ أَطْعَمَهُ وَحَلَّاهُ؛ نَاطِمًا لِلْوَاكِبِ عَقْدَ مُجْتَمَعِهَا الثَّمِينِ، مُصَاحِبًا لَهَا
 صُحْبَةً يُثْقَى بِهَا عَلَيْهِ وَحَسْبُهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ؛ مُرْتَبًا لَهَا أَحْسَنَ تَرْتِيبٍ،
 مُنْقَبًا عَنْ مَحَاسِنِ تَجَمُّلِهَا: فَإِنَّ أَسْمَ النَّقِيبِ مُشْتَقٌّ مِنَ التَّنْقِيبِ. وَلْيُكَاتِرْ حَمَلَةَ
 السُّيُوفِ فَإِنَّهُ حَامِلٌ سَيْفٍ وَعَصَا، وَإِنَّهُ بِهِذِهِ مُخَلَّصٌ حَقُوقَ مَنْ أَطَاعَ وَبِهَذَا مُوَيِّقٌ
 نَفْسَ مَنْ عَصَى؛ وَلْيَحْرِضْ عَلَى أَنْ يَقُومَ بِوَعْدِ الْأَجْتِهَادِ الْمُتَجَزَّءِ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ
 سَيْفَ تَحْرِيطِضِ عَلَى بَرَحِ الْأَعْدَاءِ مُجَهِّزًا، وَعَلَى أَنْ يَحْصُلَ فِي مَوَاطِنِ الْجِهَادِ عَلَى
 الْأَجْرَيْنِ: أَجْرِ الْمُقَاتِلِ وَأَجْرِ الْمُجَهِّزِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجِدُّ فِي الْخَيْرِ طَرَائِقَهُ، وَيُوَيِّدُ عَزْمَهُ
 الْجَيْشِيَّ حَتَّى تَلْهَجَ بِشُكْرِهِ أَلْسِنَةُ الْأَعْلَامِ الْخَافِقَةِ؛ وَالْأَعْتَادُ



وهذه نسخة توقيع بَسَدِّ خَزَائِنِ السَّلَاحِ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ أَيْضًا، وَهِيَ:

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ أَسِنَّةُ نَجُومِ السَّعْدِ مِنْ سِلَاحِهِ، وَصَوَّاعِقُهَا مِنْ
 أَعْوَانِ صِفَاحِهِ، وَسِمَاكُهَا الرَّايْحُ مِنْ أَنْصَارِ رِمَاحِهِ؛ وَلَا بَرَحَ يُعْمَلُ مَعَادِنَ الْأَرْضِ
 حَتَّى يَقْنَى ذَهَبُهَا وَحَدِيدُهَا عَلَى يَدَيْ بَأْسِهِ وَسَمَّاحِهِ - أَنْ يَرْتَبَّ لِأَنَّهُ النَّاهِضُ
 الَّذِي تَتَرَيْنَ الْوُضَائِفَ بِسَمِّتِهِ وَبِأَسْمِهِ، وَتَتَعَيَّنُ الْمَصَالِحُ وَالْمَنَاجِحُ بِعَزْمِهِ وَحَزْمِهِ؛
 وَالْمُسَدَّدُ مِنْ آرَائِهِ سِهَامًا، وَالْمُجَرَّدُ مِنْ أَهْتَامِهِ كُلِّ مَاضِي الْحَدِّ إِذَا كَانَ بَعْضُ الْأَهْتَامِ
 كَهَامًا؛ وَالْوَقْفِيُّ فِي شَدِّ الْجِهَاتِ قَوْلًا وَعَمَلًا، وَالْمَلِيُّ بِجَمَلِ السَّلَاحِ وَاسْتِعْمَالِهِ عَلَى رَغْمِ
 الْقَائِلِ: «أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السَّلَاحَ وَلَا»؛ وَالْخَبِيرُ بِمَحَاسِنِ الْأَقْتِرَاحِ، وَالكَافِيُّ وَلَا

عَجَبَ إِذَا سَلَّمَتْ لَهُ دَوُوَ الْوِظَانِ وَأَلْقَتْ عَلَيْهِ السَّلَاحَ ! ؛ ذُو الْعَزْمِ الْأَشَدُّ، وَالرَّأْيِ الْأَسَدُ ، وَالذِّكْرِ الَّذِي إِذَا تَنَاوَلَ بَعْضَ الْأَسْلِحَةِ وَأَتَسَبَّتْ شَجَاعَتُهُ رَأَيْتَ الْقَوْسَ فِي يَدِ عَطَارِدٍ فِي بَيْتِ الْأَسَدِ .

فَلْيُبَايِشْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ بِعَزْمٍ أَقْطَعَ مِنْ حُسَامٍ ، وَأَمَانَةٍ أَقْوَمَ مِنْ أَلْيَفٍ وَصِيَانَةٍ أَحْصَنَ مِنْ لَامٍ ؛ مُعْتَبِرًا لِأَحْوَالِهَا ، مُقَرَّرًا لِمَطَالِبِ مَالِهَا مِنْ مَالِهَا ؛ مُوَفِّرًا مِنْ أَسْلِحَتِهَا الَّتِي تَتَوَفَّرُ بِهَا مِنَ الْخَيْرِ سَهَامُهُ ، مُنْصَفًا لِصُنَاعِهَا الَّذِينَ يُجْمَدُ عِنْدَ اسْتِعْمَالِهِمْ صَنِيْعُهُ وَأَهْتِيَامُهُ ؛ مُكَثِّرًا لِحَزَائِنِهَا مِنْ ذَخَائِرِ الْعُدَدِ ، مُجَهِّزًا لَجِيُوشِ الْإِسْلَامِ مِنْ مَادَّةِ عَمَلِهَا بِأَنْفَعِ مَدَدٍ : مِنْ قِسِيٍّ تَقْضِي أَهْلَهَا بِقَطْعِ أَعْمَارِ الْعِدَا ، وَسُيُوفٍ صَقِيلَةٍ إِذَا نَادَتْ دِيَارَ النَّاكِثِينَ أَجَابَتْ النَّدَا ؛ وَدُرُوجٍ تَمْوِجُ غُدْرَانِهَا إِلَّا أَنَّهَا فِي مَهَالِكِ الْحَرْبِ لَا تُعَوَّرُ ، وَرِمَاحٍ أَطْرَدَتْ كَعُوبِهَا فَكَلَّهَا عَلَى عُدُوِّ الْإِسْلَامِ كَعَبٍّ مَدْقُورٍ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُدُلُّ عَلَى عَزْمِهِ الْحَمِيدِ ، وَيَقْضِي لِلنَّعْمَةِ عَلَيْهِ بِالْمَزِيدِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَّقِفُ عَزْمَهُ ، وَيُوفِّرُ مِنَ السَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ سَهْمَهُ .



وهذه نسخة توقيع بشدة الجوالى ، من إنشاء ابن نباتة أيضا ، وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت سعاد أوامره واضحة الأذلة ، نافذة الحكم على كل مله ، قائمة لخصب البلاد بالعدل مقام السحب المستهله - أن يرتب فلان في شد الجوالى بدمشق المحروسة : لما ظهر من تجابته ، واشتهر من حزمه ومهابته ؛ وبدا من همه العوالى ، وعزائمه التي تجلو صدا هم بالجوالى ، وإذا قيل لحاسده : له ولايته إمرة الخيل قال : والجوى لي ، وأنه الكافي الذي إذا استنهض كانت عزائمه شابه ، ونفحات ذكره الجميل هابه ؛ وتجل الهمام الذي أشهد على كفاءته النهار وعلى

تَعْبُدُهُ اللَّيْلُ ، وَأَعَدَّ لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ؛ وَأَنَّ مَرَبَاهَ جَمِيلٌ ، وَمَنْشَاهُ فِي مَنَازِلِ الْخَيْرِ دَلِيلٌ .

فَلْيُبَاشِرْ هَذِهِ الْوُضُفَةَ الْمُبَارَكَةَ بِعَزْمٍ يَمْتَرُ مَا لَهَا ، وَيَقْرُرْ عَلَى السَّدَادِ أَحْوَالَهَا ؛ وَيَسْتَخْلِصِ الْحَقَّ مِنْ أَهْلِ الْإِعْتِقَادِ الْبَاطِلِ ، وَيَسْتَخْرِجِ الْوَفْرَ مِنْ أَهْلِ الْجَلْدِ الْمَاطِلِ ؛ فَلَا نَصْرَانِيًّا إِلَّا وَهُوَ يَتَضَرَّعُ تَحْتَ الزَّرْقَاءِ مِنْ بَاسِهِ ، وَلَا يَهُودِيًّا إِلَّا وَهُوَ يَشْكُو الصَّفْرَاءِ فِي رَأْسِهِ ، وَلَا سَامِرِيًّا إِلَّا وَالنَّارُ الْجَمْرَاءُ مُطَلَّةٌ عَلَى أَنْفَاسِهِ ، حَتَّى تَكُونَ أَوْصَافُ شِدَّةِ مَثَلُوهُ ، وَعَزَائِمُهُ فِي الْجَوَالِي مَجْلُوهٌ ؛ وَهَمَمُهُ جَارِيَةٌ عَلَى لِيْلَانِهَا وَمَأْلُوفِيهَا ، مُجَزَّئَةً لِأَقْلَامِ الْحِسَابِ وَالدَّرَاهِمِ عَلَى حُرُوفِهَا ؛ صَحِيحَةٌ الْوَزْنَ غَيْرَ مَنُوهٍ ، أَخَذَةَ الدِّينَارَ مِنْ وَازِنِهِ وَهُوَ كَالْمَأْخُودِ مِنْهُ مَصْكُوكٌ ؛ شَدًّا تَتَعَقَّدُ عَلَى اخْتِيَارِهِ الْخُنَاصِرَ ، وَكَمَا أَنَّ لِلْإِسْلَامِ مِنْهُ قُوَّةٌ فَلْيَكُنْ لِلْوَظَائِفِ الدِّينِيَّةِ مِنْهُ نَاصِرٌ .

الضرب الثاني

(من يكتب له عن نائب السلطنة بالشام من أرباب

السيوف... من هو بأعمال دمشق، ومواضعهم على ثلاث مراتب أيضا)

المرتبة الأولى

(ما يُفْتَتَحُ بِـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ» وَفِيهَا وَظَائِفٌ)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

نسخةٌ تُوقِعُ بِبَيَابَةِ بَعْلَبَكْ كُتِبَ بِهَا لِرُكْنِ الدِّينِ «عَمْرُ بْنُ الطَّاحَنِ» وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَّلَ بِمَجَاسِنِ زِينِهِ مِنْ اسْتِحْقَاقِ الصُّعُودِ إِلَى أَعْلَى الْمَنَازِلِ ، وَجَعَلَ تَجَمُّعَ سَعْدِهِ بَارْتِقَانَهُ إِلَى سَمَاءِ الْمَنَاصِبِ طَالِعًا غَيْرَ آفِلٍ ، وَصَانَ بَعْقَلِهِ الرَّاجِحِ أَحْصَنَ الْمَعَاقِلِ .

نجمده على إحسانه الواصل ، وغيث جوده الذي هو على الدوام هاطل ؛ حمداً ينطق بمدح معدته كل لسان قائل ، ويزيد خيره على كل عام قابل ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي ألحق جياذ الأواخر بالأوائل ، وجعل أجمل الأمراء يقوق البذور الكوامل ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي جعله لديه أعظم الوسائل ، وتلازم هو وجبريل في علو المنازل ، والتقدم في المحافل ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه سادات العشاير والقبائل ، والمجاهدين في سبيل الله بالبيض البواتر والسمر الدوايل ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فلما كانت بعلبك المحروسة من أعز بلاد الإسلام ، وأهيج مدن الشام - تعين أن تُعين لها حاكماً ديناً خبيراً ، أميناً أميراً ؛ شجاعاً مهتاباً ، بطلاً برمجاً وسيفه في صدور الأعداء ورقابهم طعناً ضراباً ؛ وكان الجناب الكريم فلان : - ضاعف الله تعالى نعمته ، وحرس من الغير مهجته - من بيت كان على التقوى أساسه ، وعدت لدفع المضلات أناسه ، وأشتهرت همته فلا يرد لهم سهم ولا يطاق بأسه ؛ طالما نفوا عن الدين الحنيفي حبت الكفر بعد ما تمكنت أدناسه ، وتتمروا عن ساعد الاجتهاد فحى بسيفهم ضلال الشرك وأرجاسه ؛ وهو أعزه الله تعالى ممن شجى بشجاعته ، خلوق الكائب ، ووفى بعهده وحسن سياسته ، حقوق المناصب ؛ وقام في خدمة الدولة الشريفة أحسن قيام ، وهدبته بمرورها الليالي والأيام ؛ وتأهل لحلول الرتب العلية ، وتعين لأرتقاء المراتب السنية ؛ فأردنا أن نخبره فيما نؤليه ، ونخبر عزمه فيما نؤليه .

فلذلك رُسم بالأمر العالی - لا زال أمره مستمراً بالإحسان ، مجزلاً لذوى الاستحقاق عوارف النعم الحسان - أن يستقر الجناب الكريم المشار إليه - ضاعف

(١) في الأصل «مهابا» ولم يحن من هذه المادة فعل رباعى بهذا المعنى بل الوارد هابه وأهتابه .

الله تعالى نعمته - في نيابة السلطنة الشريفة ببعلك المحروسة والبقاعين المعمورين، على عادة من تقدمه في ذلك، ومستقر قاعدته، بالمعلوم الذي يشهد به الديوان المعمور، إلى آخر وقت .

فليباشر هذه النيابة الشريفة بخاطر منفسح حاضر، وقلب منشرح على الخيرات مشارب، وليخذ الشرع الشريف إماما، وليتوخأوامره ونواحيه نقضا وإبراما، وليقف عند حدوده المشروعة، ولا يتعداها ومن يتعد حدود الله فيده من الإيمان مزووعه، ولين جانبه للرعية، وليحملهم من العدل والإنصاف على المحجة الواضحة الجلية، فإنهم الرعية الضعفاء الصالحون الذين أنعم الله عليهم بتفويض أمورهم إليه، وليعرفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم من ولي من [أمور] أمتي شيئا فرفق بهم فأرفق به ومن شق عليهم فاشقق عليه»؛ وليعمر البلاد، وليجمع أهل الفساد، وليهدد البقاع، وليحى موات الضياع، وليقيم على القلعة المنصورة الحرس، ولا يفئل عن حفظها بمعرفته التي أكثرت له من السعادة سببا، والله تعالى يبلغه من إحساننا أربا، ويصحح له من فضلنا طلبا، ويحرسه بسورتي فاطر وسبأ، والاعتقاد في معناه، على الخط الكريم أعلاه .



وهذه نسخة توقيع بكشف البلاد القبلية، كتب به لغرس الدين خليل الناصري في الدولة الظاهرية «برقوق» وهي:

الحمد لله الذي جرد من أولياء هذه الدولة الشريفة سيوقا تحميم مواد الفساد، وتبيد أهل الزيف والعناد، ونعم ببايسها وبعدها البلاد . حمدا مستمرا على الآباد،

(١) في الأصل: العلماء، والتصحيح من الرسالة الآتية بعد .

(٢) الزيادة من الرسالة الآتية بعد .

مُرَوِّدًا غَرَسَهَا النَّافِعَ وَنِعْمَ الزَّادُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ رَبُّ الْعِبَادِ ، الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَالْمُجَازِي لَهَا بِمَا عَمَلَتْ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا خَيْرَ الْخَلَائِقِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بَآغِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَقْصَى الْمُرَادِ ، وَفَضَّلَهُ عَلَى الْخَلَائِقِ : الْآلَافِ وَالْمِئِينَ وَالْعَشْرَاتِ وَالْآحَادِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ فَتَحُوا الْبِلَادَ ، بِسُيُوفِهِمُ الْحِمَادَ ، وَمَزَقَتْ رِمَاحُهُمْ مِنْ مَحَالِفِي دِينِهِمُ الْقَوِيمِ الْقُلُوبَ وَالْأَجَادَ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ .

وبعد ، فلما كانت المملكةُ القَبَلِيَّةُ جُلَّ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ ، وَبِهَا أَرْزَاقُ الْعَسَاكِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَطَرِيقُ الْحَاجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَزِيَارَةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، وَإِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، الَّتِي هِيَ عَلَى الْخَيْرَاتِ مُؤَسَّسَةٌ ، وَإِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَمَرَّ النَّجَّارُ قَاصِدِينَ الدِّيَارِ الْمُصْرِيَّةِ ، وَمَنَازِلَ الْعُرَبَانِ ، وَمَوَاطِنَ الْعَشْرَانِ - وَجِبَ أَنْ يُفَوِّضَ حُكْمَهَا إِلَى مَنْ عُرِفَ بِالشَّهَامَةِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَالْيَقَظَةِ الَّتِي لَا يُغْفَلُ بِهَا عَنْ مَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ سَاعَةً ، مِنْ أُمَرَاءِ غَرَسَهُ وَمَا يَفُوهُ ، وَأَيْسَعَ بِالْمُرُوءَةِ وَالْفُتُوَّةِ ، وَتَقَدَّمَ فِي الْكَمَالِ عَلَى زَيْدٍ وَعَمْرٍو ، وَأَضْرَمَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ نَارًا أَحْرَمَ مِنَ الْجَمْرِ .

وَكَانَ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - هُوَ الْمَشْهُورُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ، وَالْمَنْعُوتُ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ وَحُسْنِ الْأَدْوَاتِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ إِحْسَانُهُ يُثْمَرُ غَرَسًا ، وَجُودُهُ يُسْرُ نَفْسًا - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْجَنَابُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي كَشْفِ الْبِلَادِ الْقَبَلِيَّةِ الْحُرُوسَةِ عَلَى مَنَوَالٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَعَادَتِهِ ، وَحُدُودِهِ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقَرِّ قَاعِدَتِهِ .

(١) لم يرد هذا الجمعُ فبأيدينا من كتب اللغة ولعله ارتكب القياس في اللغة فجعله كَرغيفٍ ورغفانٍ وقطعانٍ .

فليأشِرْ ذلك بهِمَّتِه العَلِيَّة ، وشجَاعَتِه الأَحْزَمِيَّة ، ونَفْسِه الأَبِيَّة ، وليُبَيِّضْ وَجْهَه
 في هَذِه التَّوْبَةِ حَتَّى يَطْرَبَ النَّاسَ بِالنُّوْبَةِ الخَلِيلِيَّة ، وليَعْدِلْ فِي الكَبِيرِ والصَّغِيرِ ،
 وليَقْمَعَ رُءُوسَ عَشِيرٍ آتَخَدُوا رَأْسَهُم مَوْتَى : فَلْيُنَسِّسِ المَوْتَى وَلِيُنَسِّسِ العَشِيرِ ، وليُدْفَعْ
 أَدَى العَرَبِ ، وليُحَدِّرْهُم شَرًّا أَقْرَبَ ، وليُكْثِرِ الرُّكُوبَ إِلَى المَعَامِلَاتِ ، وَلَا يَخْشَ
 مِنْ كَثْرَةِ الحَرَكَاتِ ، وليَعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ، وليَتَّخِذِ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ إِمَامًا ،
 وليَتَوَخَّ أَوْامِرَه وَنَوَاهِيَه تَقْضَا وَإِبْرَامًا ، وليَقِفْ عِنْدَ حُدُودِهِ المَشْرُوعَه ، وَلَا يَتَعَدَّهَا :
 وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَيُدِّهِ مِنَ الإِيمَانِ مَنزُوعَه ، وَلِيُنْجِ جَانِبَه لِلرَّعِيَّةِ ، وَلِيُحْمِلْهُمُ مِنَ
 العَدْلِ وَالإِنصَافِ عَلَى المَحْجَةِ الوَاضِحَةِ الخَلِيَّةِ ، فَإِنَّهُمُ الرِّعِيَّةُ الضَّعْفَاءُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ
 عَلَيْهِم بِتَقْوِيضِ أُمُورِهِمْ إِلَيْهِ ، وَلِيَعْتَمِدُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ مِنْ
 وَلِيٍّ مِنْ أُمُورِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَّقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِم فَاشْقُقْ عَلَيْهِ » ، وَالوَصَايَا
 كَثِيرَةٌ وَتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ نِظَامُهَا وَقَوَامُهَا ، وَأَتَّبِعْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيَادَهَا وَزِمَامُهَا ، وَالإِعْتِمَادُ فِي مَعْنَاهُ ، عَلَى الخَطِّ الكَرِيمِ أَعْلَاهُ .



وحذره نسخة توقيع بكشف الرملة ، كُتِبَ بِهِ لِأَبِي بَكْرٍ « أمير علم » ، فِي الدَّوْلَةِ
 الظَّاهِرِيَّةِ « برقوق » وَهِيَ :

الحمد لله الذي قلد أجياد المجاهدين ، سَيْفَ نَفْسِهِ ، وَأَكَّدَ بعِزَّتِهِم أَهْلَ اليَقِينِ ،
 حِمَايَةَ حَوَازَةِ الإِسْلَامِ وَصِيَانَةَ تَغْرِهِ ، وَجَعَلَ أَلْسِنَةَ المُرَائِبِينَ فِي فَمِ الثَّغْرِ زِينًا إِذَا
 أَرْدَانُ بَغْزَةَ بَدْرِهِ ، وَأَنْزَلَ بِأَعْدَاءِ الدِّينِ قَوَائِحَ نِقْمِهِ وَقَوَارِعَ قَهْرِهِ .

أحمدُه أَنْ حَمَى بِأَوْلِي النَّجْدَةِ وَالبَّاسِ لِلسَّالِمِينَ حَمَى ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا هَمَّعَ مِنْ صَيِّبِ
 نِعْمَائِهِ وَهَمَى ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً اتَّخَذَهَا عِنْدَ اللهِ

ذُنُخْرًا ، وَأَرْجُو بِهَا فِي الْعُقْبَىٰ أَجْرًا ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي آيَدَ يَدَهُ
بِالسَّيْفِ وَأَمَدَّهُ أَيْدَا ، وَعَلَىٰ آلِهِ الَّذِينَ حَلَّىٰ بِهِمُ لِلْإِسْلَامِ جِيدًا ، وَصَحَّبَهُ الَّذِينَ جَلَّ
بِوَارِقِ صِفَاحِهِمْ ، وَخَوَارِقِ رِمَاحِهِمْ ؛ غَمَمَ الْمَجَالَ ، وَغَمَمَ الْقِتَالَ ؛ فَلَمْ يُهْمِلِ الْأَعْدَاءَ
وَلَمْ يُهْمِلْهُمْ رُؤْيَدًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَىٰ مَنْ جُعِلَ فِي تَحْرِ الْبَحْرِ هُمَامًا صَارِمًا ، وَأَشَدَّ مَنْ قَاطَعَ أَعْدَاءَ
الدين وصارمًا ؛ مَنْ نُضْرِبُ بِشِجَاعَتِهِ الْأَمْثَالَ ، وَيُورِدُ فِي صُدُورِ الْأَبْطَالِ صَمَّ
الأسل النَّهَالَ ؛ وَيُعْجِي حِمَى الثَّغْرِ فَلَا يَدْعُ عَدُوًّا وَلَا يَرْهَبُ نَهْبًا ، وَيَرْقَى رِقَابَ الْكُفْرِ
فِيؤْمِنُونَ وَإِنْ كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا .

ولما كان الجَنَابُ الْكَرِيمُ فَلَانٌ - أَدَامَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ - هُوَ الَّذِي أَخْلَصَ
فِي الطَّاعَةِ ، وَنَصَحَ سُلْطَانَهُ حَسَبَ الطَّاقَةِ وَالْإِسْتِطَاعَةِ - رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ
الْعَالِي - لِأَزَالِ سَيْفِ عَدْلِهِ مَاضِيًا ، وَكُلُّ بِحُكْمِهِ رَاضِيًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْجَنَابُ الْمَشَارُ
إِلَيْهِ كَاشِفًا بِالرَّمْلَةِ الْمَعْمُورَةِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ .

فَلْيُبَايِئْ ذَلِكَ مُعَمَّرًا تِلْكَ الْبِسَالِدَ بَعْدَلِهِ ، مُجْتَهِدًا عَلَى إِيصَالِ الْحَقِّ إِلَى أَهْلِهِ ؛
وَلْيَتَّخِذِ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ إِمَامًا ، وَلْيَتَوَخَّ أَوْامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ تَقْضَاً وَإِبْرَامًا ؛ وَلْيَقِفْ عِنْدَ
حُدُودِهِ الْمَشْرُوعَةِ ، وَلَا يَتَعَدَّهَا : وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَيُدْهِمُ مِنَ بَرِّ الْإِيمَانِ مَتْرُوعَةً ؛
وَلْيَلِينْ جَانِبَهُ لِلرَّعِيَّةِ ، وَلْيَحْمِلْهُمْ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ عَلَى الْحُجَّةِ الْوَاضِحَةِ الْجَلِيلَةِ ؛
[فَلْيَنْهَمْ الرِّعِيَّةَ الضَّعْفَاءَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِتَقْوِيهِمْ أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ] ^(٢) وَلْيَعْتَمِدْ فِيهِمْ قَوْلَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اللَّهُمَّ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ أُمُورِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَّقْ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ
وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ» . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَأَهْمُهَا التَّقْوَى فَلْيَلِزَمْ عَلَيْهَا فَلْيَنْهَأْ

(١) وَقَفَ عَلَيْهِ بَلُغَةُ رُبْعَةٍ .

(٢) الزِّيَادَةُ مَأْخُودَةٌ مِمَّا تَقَدَّمَ .

تحفظه ، وبالسيادة والسعادة تلحظه ؛ والله تعالى يكفل توفيقه ، ويسهل إلى نجاح المقاصد طريقته ؛ والاعتماد في معناه ، على الخط الكريم أعلاه .

قلت : ومن تأمل وصايا هذه التواقيع الثلاثة المتقدمة الذكر ، علم ما كان عليه كتاب الزمان ، من آتراح الفقرات من توقيع ، وترصيعها في توقيع آخر ، من غير تغيير لفظ في أكثرها .

المرتبة الثانية

(من تواقيع أرباب السيوف ممن بأعمال دمشق - مايفتح بـ «أما

بعد حمد الله » وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بنبابة بعلبك لمن دون من تقدم في المرتبة الأولى ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن ثباتة ، كتب به لمن لقبه «ناصر الدين» : وهي

أما بعد حمد الله الذي لم يُخلِ مملكة إسلامية من قوة ولا ناصر ، ولم يُخلِ أمرها على ذي عزيم قاصر ، ولم يُخلِ وجهها إلا بمن نسي به القديم وشهد له المعاصر ، ولم يُلقِ مقاليدها إلا لمن وصح برأيه الإيهام وثبتت بفضلها الشهادة وعقدت على ذكره الخناصر . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي شيد معالم الدين وأركانها ، وجدد مكان الحق وإمكانه ؛ وعلى آله وصحبه الذين تابعوا في الخلق عدله وإحسانه ، وشايعوا في النصر نصره وسنانه ؛ ما استناب الودق في سقيا الرياض غدرانها ، وخلع على الغصون خلعاً خطر فيها الزهر بأحكامه وعقد من الثمر تيجانه - فإن شرف الأماكن بساكنيها ، وجسوم الديار بنفوس قاطنيها ؛ والمنازل بكواكبها ، والمناصب

بَنَصِيْبِهَا مِنَ الْكِفَاءَةِ وَنَائِبِهَا ؛ وَإِنَّ مَدِيْنَةَ بَعْلَبَكَّ عِلْمٌ فِي الْمَدَائِنِ مَرْفُوعُ الْحِطَّةِ ، وَجِسْمٌ
 مِنْ جُسُومِ الدِّيَارِ قَدْ آتَاهُ اللهُ بَسْطَهُ ؛ يُنْبِئُهُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهِيَ بِالْمَلِكِ قَدِيْمَةٌ
 الْاِخْتِصَاصُ ، وَمُبْتَنَى الْجَنِّ الْمُنْسُوبَةُ عُقُودُهَا الْعَلِيَّةُ وَالذَّرِّيَّةُ إِلَى كُلِّ بِنَاءٍ وَغَوَاصُ ؛
 وَشَامُ الشَّامِ الْمُعْجِبِ ، وَرَوْضَةُ نَدَاهُ الْمُعْشَبِ ؛ وَثَبِيَّةٌ تَغْرَهُ الْبَاسِمَ ، وَعَرَفُ أَعْرَاقِ
 حِيَاهِ النَّاسِمِ ؛ وَمَأْوَى صُلْحَانِهِ أَحْيَاءٌ بَيْنَ أَوْطَانِهَا ، وَأَمْوَاتًا بَيْنَ صَفِيْحِ لُبْنَانِهَا ؛
 لَوْ عَرِضَتْ الْبِلَادُ مُعْجَبًا لَقِيلَ لَسَحَابِهَا : يَا كَثِيْرَ الْمَنَنِ ، وَلَوْ صُوِّرَتْ أَنَابِيٌّ لَقِيلَ
 لِإِنْسَانِهَا : يَا طَيِّبَ النَّجْرِ وَاللَّبَنِ ؛ لَا يُنْمَعُ مَاعُونُهَا ، وَلَا يَنْقَطِعُ عَوْنُهَا عَنِ الْبِلَادِ وَمَا
 أَدْرَاكُ مَاعُونَتِهَا ؛ وَلَا تَلِيْقُ مِنَ النَّوَابِ إِلَّا بِكُلِّ سِرَى الْعَزْمِ وَالْهِمَمِ ، عَلَيَّ الْآرَاءِ
 فِي الْمَلِيْمَةِ الْمُذْهِمَةِ ؛ نَاجِحَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، صَالِحًا لِأَنْ يُنْبِئَ عَلَيَّ نِيَابَتَهُ الْبَعْلَبَكِّيَّةَ صَالِحُو
 الْمَدِيْنَةِ وَالْجَبَلِ ؛ مُكَمَّلَ لِسُلُوكِ الْحَقِّ الْأَنْجَبِيِّ وَالْعَزْمِ الْأَنْجَدِ ، مُؤَهَّلَ لِارْتِقَاءِ الرَّتَبِ
 الَّتِي تَمَاحَدْنَا وَلَهَا الْأَمْجَدُ .

وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ جُمْلَةٌ هَذَا التَّفْصِيْلِ ، وَجَمَالَ هَذَا التَّفْصِيْلِ ؛ وَكُفَّ هَذِهِ
 الْعَقِيْلَةَ ، وَسَعَدَتْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي مَدَّتْ بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ ذِرَاعَهُ وَنَظَّمَتْ مِنَ الْبِنَاءِ
 إِكْمَالَهُ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيْفِ - لَا زَالَتِ الْمَمَالِكُ بِحَاسِنِ أَيَّامِهِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ،
 وَالْبِلَادُ ذَاتِ الْخِصْبِ السَّنِيِّ لَا ذَاتَ السَّنَةِ الْجَمَادِ - أَنْ يَرْتَبَ فِي نِيَابَةِ بَعْلَبَكَّ
 الْمَحْرُوسَةِ : مُجَدِّدًا بِهَمَّتِهِ الْعَالِيَةِ عُلُوَّ صَرْحِهَا ، وَحِمَايَةَ سَرْحِهَا ؛ وَرِعَايَةَ جَبَلِهَا وَسَفْحِهَا ،
 مُوْرِيًّا فِي مَصَالِحِهَا زِنَادَ فِكْرِهِ الَّتِي لَا تَمْتَكِنُ أَقْوَالُ الْعُدَاةِ مِنْ قَدْحِهَا ؛ مُصَرِّفًا أَوْامِرَهُ
 كَيْفَ شَاءَتْ ، مُنْصِفًا لِلْأَحْوَالِ الْمُنَوَّطَةِ بِرِعَايَتِهِ إِنْ دَنَّتْ أَوْ تَنَاءَتْ ؛ بِاسِطًا لِعَدْلِ
 قَلَمِهِ عَلَى الْمُجِيْدِيْنَ ، وَسَطَوَاتِ سَيْفِهِ عَلَى الْمُعْتَدِيْنَ ، وَأَزْعًا بِمَهَابَتِهِ مَنْ جَاوَرَ جِبَالَ

(١) لَعَلَّه "التي إذا خلت من ماجد تناوها" الخ .

العَمَل من الضَّالِّين ، (فَعَسَى أَوْلَتْكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) وَلِيَتَّبِعُوا مِنْهَا مَعْقِلًا
يَجْمَعُهُ الْمُنَاصِرُ وَالْمُهَاجِرُ ، وَلِيَحْطَ مِنْهَا نَعْرًا مَسَاوِيكُهُ الْأَسْلُ وَالْمَسْعَى إِلَيْهِ عَلَى الْمَحَاجِرِ ؛
وَلِيُجْرِ أُمُورَ الدِّيْوَانِ عَلَى سَنَنِ التَّمْيِيرِ وَالتَّثْمِيرِ ، وَلِيَدَبِّرَ الْأَوْقَافَ الْمَبْرُورَةَ بِحَسَنِ
التَّدْيِيرِ ، وَلِيَشَارِكَ أَهْلَهَا فِي الْأَجْرِ الْأَوَّلِ بِالْأَجْرِ الْأَخِيرِ ؛ وَالْأَسْوَارُ هِيَ وَقُلُوبُ الرِّجَالِ
مَنْ أَمَّهُ مَا يُعَمَّرُهُ ، وَوُفُورُ الْحَوَاصِلِ وَالسَّلَاحِ مِمَّا لِلْوَلِيِّ وَلِقَاءِ الْعَدُوِّ يَدْنِيهِ ، وَتَقْوَى
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّا لَا يَزَالُ لِسَانُهُ يَسْتَحْلِي الْقَوْلَ فِيهِ فَيُكْرَهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِإِعَانَتِهِ
وَلُطْفِهِ ، وَيُكْفِيهِ مَا أَمَّهُ مِنَ الْأُمُورِ فَمَا كُنِيَ مَنْ لَمْ يَكْفِهِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية الولاية بالشام المحروس لمن لقبه «عز الدين» من إنشاء
الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا ، وهي :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِلْوَلَاةِ فِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ عِزًّا يَتَّجَدُّ ، وَعِزًّا مَا يَتَشَدَّدُ ،
وَعِلَالًا يَتَعَدَّى إِذَا حَكَمَ وَزِيدًا لَا يَتَعَدَّدُ ، وَكَافِيًّا لِوَلَاةٍ يَتَلَدَّدُ الْوَاصِفُ بِذِكْرِ
أَهْتَامِهِ الَّذِي إِذَا أَهَمَّ لَا يَتَلَدَّدُ ، وَإِذَا أَعْتَبَ عِزُّهُ وَحَزْمُهُ فَهَذَا فَضْلٌ يَتَّجَدُّ ، وَهَذَا
وَصْفٌ لَا يَتَّجَدَّدُ . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الْعِزِّ
الْمُؤَبَّدِ ، وَالْعِزْمُ الْمُؤَيَّدُ ، مَا كَتَبَ قَلَمُ الْغَيْثِ الْجَائِدِ عَلَى طَرَسِ الرُّوضِ بِخَوْدٍ - فَإِنَّهُ
لَمَّا كَانَتِ الْوَلَاةُ فِي خِدْمَةِ الْبِلَادِ جَيْشًا يَحْمُونَ سَرْحَهَا ، وَيُعْمَرُونَ صَرْحَهَا ، وَيُحْصِبُونَ
بِالْعَدْلِ قَبْلَ الْعِمَارَةِ سَفْحَهَا ؛ وَيَحْكُمُونَ فِي رِعَايَاهَا ، وَيَمَكِّنُونَ فِي قَضَايَاهَا ، وَيَقْرَعُونَ
تُغُورَهَا وَيَقْرَعُونَ ثَنَايَاهَا - تَعَيَّنَ أَنْ نَقْدَمَ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ الْمَذْكُورِ أَمِيرًا يَقَرَّرُ
أَمْرَهَا ، وَيُنَسِّقُ مِنْ مَيْمَنَتِهِ وَمَيْسَرَتِهِ يَمْنَهَا وَيُسْرَهَا ؛ وَيُجَرِّدُ مِنَ الرَّأْيِ سِلَاحَهُ ،
وَيُسْرِ قَلْبَهُ بِالتَّدْيِيرِ وَيَرِي شُجْرَةَ جَنَاحِهِ .

(١) كذا في الاصل بالاهمال ولعل سوابه «وفعلا اذا حكم لايتعدى ورأيا لايتعدد» .

وكان المجلس السامي هو الأمير الدال عليه هذه الإمارة ، المعنى بهذه الشارة
والإشارة ، المستحق بشريف نفسه مدارج الارتقاء ، ومباهج الانتقاد والانتقاء ؛
المسبل أذبال مقاربه أى إسبال ، المرقوم بأسمه ورسمه على أرجاء الولايات : «عز
يدوم وإقبال» ؛ المقيم من أمانته ومهانته بين حرزَيْن ، الشهم الذى لا يدل وهو من
نعتة ومُنْتَسِيهِ بين عزَيْن ؛ الصمصام الذى تُسْرُ [به] يدُ من ارتضاه وانتضاه ،
والماشى على الحق الظاهر حتى يقال : أهذا وإلى الولاية أم قاضى القضاء ؟ .

فذلك رسم بالأمر الشريف - شرفه الله وعظمه - أن يستقر اعتماداً
على شهامته التى يمثلها تمهد البلاد ، وكفاءته التى توضح بالخيرات السنية السنة
الجماد ؛ وصرامته التى تشد على أيدى الولاية فيردون الحقوق من أيدى الأغصاب ،
ودرايته التى ينسبون إليها فينشدون :

وكأ كالمهام إذا أصابت * مرامها قرامها أصاب^(١) .

فليأثر هذه الرتبة بكفها : من العزم العالى ، والقدر العالى ؛ والمعذلة التى تترك
منها الأحوال باوثق العرا ، وتلو سيرتها المرفقة : (وما كُأ مهلكى القرى) .
مراعياً لجميع الأحوال ، مُمْتَرّاً لمربع الأموال ؛ وآلياً على ولاية إن شكوا فى صنع الله
فما لهم من الله من وال ، ماشياً من تقوى الله تعالى فى كل أمرٍ على أقوى وأقوم
منوال ؛ والله تعالى يُخِصِب البلاد بغمام رأيه الصيب ، ويُطِيب الأماكن المنبئة
بمثله : « وكل مكان يُنبت العز طيب » .



وهذه نسخة توقيع بولاية اللقاء والصلت ، من إنشاء ابن نباتة ، وهى :

(١) الرواية : أصابا بالف الإطلاق ، وحذفت هنا لمراعاة الفاصلة .

أما بعد حمد الله مضعف النعمة ، ومُرادف رتب الإحسان لمن أخلص
 في الخدمه ، ومُجدد منازل العز لمن طلعت كواكب أهتمامه في آفاق الأمور المهمة ،
 وموقد كيد سهام الخيبر المقتسمه ، لمن سدّد في شرف الأغراض رأيه بل سهمه .
 والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي هادي الأمم ، وعلى آله وصحبه حمّة
 الدين من العوارض الملمة ، صلاة تكون بين أرواحهم الزكية مودة ورحمة - فإن
 أحق الأولياء بمزيد الآلاء المتصلة ، وتجديد النعم المقيسة وتقديم المساعي التي
 لا تلبس حلل الفخار إلا مُكتملة - من وصّحت في صفات الفضل آياته ، وتقابلت
 في حاتّي التذير سطاؤه وأنائه ، وروى غلة البلد الخائف ففاض على المعتدين
 جداول سيفه وجرت بالدم قنائه ، وقام على قدم الاجتهاد ، وقسم بين جفنه وجفن
 سيفه السهاد .

ولما كان المجلس هو المقصود بهذه الحكاية ، والمشهود له في طلق هذه
 الغاية ، والعالى بهمه على ذوى الأرتقاء ، والوالى الذى إذا ركب الولاية لأشهر
 ذكرى كان من بينهم فارس البقاء ، والنهض بتتمير الأموال عمّام رأيه الصيب ،
 والطيب بسياسته محل الولاية : « وكل مكان يُنبت العزّ طيب » - تعين أن تزيد
 منصبه إذا تزايدت المناصب ، وأن تستمر مرتبته إذا مرت لذهابها المراتب ،
 وأن يستعمل في استمرارها عليه ، وأن يكون في إعراب الدولة القاهرة مضافاً
 ومضافاً إليه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - أعلى الله تعالى أبداً عماده ، وجعل لولاية أيامه
 الحسنى وزياًه - أن يستمر على ولاية البقاء على عادته ، وأن تُضاف إليه ولاية
 الصلّات^(١) : جمعا له بين الأختين حلالا ، والدّروتين متالا ، والرّائتين نهوضاً بهما

(١) لم يذكرها القاموس ولا ياقوت وفي تقويم البلدان هي بلدة وقلعة من جند الأردن .

وَأَسْتِقْلَالًا ، وَعِلْمًا بِوَفَاءِ عَزْمِهِ الَّذِي أَمَرَ أَمْرَهُ ، وَرَفْعًا لِقَدْرِهِ الَّذِي حَسُنَ أَنْ يَقُولَ
لِمَنْصِبِ الْبَلْقَاءِ : « لَنَا الْأَبْلُقُ الْفَرْدُ الَّذِي سَارَ ذِكْرُهُ » ، وَتَيْمَنًا بِغَرَّةِ الصَّلَاتِ فَإِنَّ
الصَّلَاتَ هُوَ الْجَبِينُ الْوَاضِحُ بِشْرِهِ ؛ وَكَيْفَ لَا ؟ وَهُوَ الْكَافِي الَّذِي جَمَعَ مَالَ
الْجِهَاتِ فَأَوْعَى ، وَقَسَمَ فُنُونََ الْمَصَالِحِ جِنْسًا وَنَوْعًا ، وَحَسَمَ أَدْوَاءَهَا بِجُسَامِ رِفْقِهِ
كَرْهًا وَطَوْعًا .

فَلْيَبَاشِرْ بِالْعِزِّ وَالْإِيمَنِ جِهَتَيْهِ ، وَلْيَأْخُذْهُمَا بِكَلْتَا يَدَيْهِ ، وَلْيَفِضْ وَجْهَ عَزْمِهِ فِي أَرْضِ
الدَّوْلَةِ حَتَّى يَكُونَ شَبَهَ الْبَلْقَاءِ الْإِلَازِمِ لِإِحْدَى وَلَا يَتِيَهُ ؛ مُحَصَّنًا بِسِيَاكِي سَيْفِهِ وَقَلْبِهِ فَنِعْمَ
الْبَلْدَتَانِ ، مُتَمَرًّا بِسَدَادِ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَمِنْ دُونِهِمَا جَتَانٌ ؛ مُؤَفِّيًا لِلْحَقُوقِ ، مُعْفِيًا لِاعْتِرَافِ
النِّعْمَةِ مِنَ الْعَتُوقِ ، رَاقِيًا بِهَمَّتِهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - إِلَى رُتَبٍ لَوْ رَامَهَا نَجْمُ الْأَفْقِ
لِعَاقَةِ الْعَيْتُوقِ ، عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِتَقْوَى اللَّهِ
مَعْدُوقٌ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوضِّحُ لِرَأْيِهِ أَجْمَلَ الطَّرَائِقِ ، وَيُتَّحِجُّ عَلَى الْبَلْقَاءِ وَغَيْرِهَا سَعْيَهُ
السَّائِقِ ، وَفِكْرَهُ السَّابِقِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .



وهذه نسخة توقيع بولاية نابلس ، من إنشاء ابن نباتة أيضا ، وهي :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى مَا هُنَا مِنَ الْمَوَاهِبِ ، وَهِيَ مِنْ عَلِيِّ الْمَرَاتِبِ ، وَأُنْجِزَ مِنْ
وَعُودِ السُّعُودِ بَعْدَ مَطَالِ الْمَطَالِبِ ، وَزَيْنٍ مِنْ سَمَاءِ الْوِظَائِفِ عِنْدَ إِزْهَائِهَا بِزِينَةِ
الْكُوكَبِ ، وَعَمَّرَ مِنْ صُدُورِ الْوَلَاةِ وَالْوَلَايَةِ بَعْلِي تَنْثِي عَلَيْهِ الرَّعِيَّةُ « وَلَوْ سَكُنُوا
أَثْنَتَ عَلَيْهِ الْحَقَائِبِ » . وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي جَرَدَ لِنَصْرِ
الْإِيمَانِ حَذَّ الْقَاضِبِ ، وَحَزَبِهِ الْغَالِبِ ، وَنَدَبَ لِإِحْيَاءِ الْحَقِّ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا هَمَّتْ
بِهِ النُّوَادِبُ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَمَاتِ جَمَالُ الْكُتُبِ كَمَا كَانُوا فِي الْحَيَاةِ

جمال الكائب؛ صلاة تتعطر بنفحاتها الصبا وتتقطر من خلف سراها الجنائب - فإن عقائل الولايات أولى بخطبة أكتفاها، ورغبة السراة من ذوى أصطفاها، ونسبة من يقوم للأمر المعللة بقانونها وشفاها .

ولما كانت بلد نابلس المحروسة من أعلى عقائل البلاد قدرا، وأمرها الجهات أمرا، وأسرى الولايات محلا وذكرا، وأوفى النواحي من زمان بنى أيوب على تكاليف الملك صبرا، وأزده القاع التي لو رآها الملك المصيرى لما استغنى غوطة الشام بشبرين من شبرا؛ بلد أعارته الحمامة طوقها وحملت الناء فوق طوقه، ونجم نبات واديسا الزهر حتى تساوى النجان من تحته ومن فوقه - تعين أن يختار لولايتها من تعين ولاؤه، وتمكن فى الرتب علاؤه، وتبين فى مصالح الولايات احتفاله وأحتفاؤه، وشهر وفأؤه بالخدمة فلا شرف بسعى إلا له منه شينه ورأؤه وفأؤه؛ من شهدت السواحل الشامية فى مباشرته أنه أجرى منها المال بحرا، وأفاض الوصف درا، وشهدت الزكاة - وديوانها المادح - أنه أفلح من زكاها خبرا وخبرا .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يرتب فلان علما بأنه الأوحد الذى جمع الأوصاف المتقدمه، وأسمع من المحامد نديجة لها من كلاً قوله وفعله مقدمه؛ وأطلع فى آفاق الوظائف كنجوم الجوزاء الثلاثة رأيه وسيفه وقلمه، وأطلع على محاسن التدبير فكان فى رعايا بلده ممن تواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة؛ وأنه الكافى الذى إذا ولي تمر، وإذا صال على المفسدين دمر، وإذا شامت المهمات بارق عزيم، أسبل وإذا سامت قواه شمر؛ وأنه الأمين إذا تصرف، والمأمون إذا تعرف، والشجاع إذا تحصنت البلاد بنسبه الحصنى: فسواء فى شمول الأمن ما توسط منها وما تطرف .

فليباشر هذه الولاية المباركة بعزم يوضح بشرها، وينجح أمرها، ويقم فى خطبة علاه عدرها؛ وحزم يثمر مالها وغلالها، وينقع غلتها ويضع أغلالها؛ وبأس يدع

المُفْسِدَ من سَيْفِهِ أَوْ قَيْدِهِ فِي طَوْقٍ أَوْ حِجْلِ ، وَيَذُرُّ السَّارِقَ وَالْمَارِقَ يُسِيرُ بِلا كَفِّ
وَيَسْعَى بِلا رِجْلِ ، مُشِيدًا لِنَوَاحِيهَا بِالترَّغِيبِ وَالتَّرْهيبِ عَلَى أَوْثِقِ الْمَبَانِي ، مُصَالِحًا
بَيْنَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ حَتَّى لَا يَضُرَّ قَوْلُ الْقَائِلِ : «رَفِيقُكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانِي» ، مُتَفَقِّدًا
مِنَ الْأَحْوَالِ كُلِّ جَلِيلٍ وَحَقِيرٍ ، نَاهِضًا فِي تَلَقِّي الْمَهْمَاتِ عَلَى قَدَمِ التَّقَدُّمِ بِالْعَزْمِ
الْأَثِيرِ ، جَاعِلًا مَن لَدَى مَحَبَّةِ عَمَلِهِ لِصَلَاحِ الْعَشِيرَةِ نِعْمَ الْعَشِيرِ ، عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ
تَعَالَى فِي كُلِّ أَمْرٍ وَإِلَيْهَا بِالْحَدِيثِ يُشِيرُ .

✦
✦

وهذه نسخة توقيع بشد الدواوين بغزة ، من إنشاء ابن نباتة ، كُتِبَ بِهِ
لـ«معلاء الدين بن الحصني» المقدم ذكره في التوقيع قبله ، وهي :

أما بعد حمد الله على كلِّ نعمة جلت ، ونعمة في أهلها حلت وحلت ، ورتبة
بانتساب كافيها وباسمه تحصنت على الحقيقة وتعلت ، والصلاة والسلام على سيدنا
محمد خير من ساءت عليه الأئسنة وصلت ، وسلت به سيوف النضر وصلت ، صلاة
دائمة ما أمليت على الأسماع فملت ، ولا قابلتها وجوه الملائكة إلا تهلت ولا تحب
الرضوان إلا أنهلت - فإن منزلة يستقى [من] المهمات الدولة خبرها ، ويستبدعي من جاني
مصر والشام سبرها ، ويحمد إليها من ناحيتي الساحل والجبل سراها وسيرها ، وتلك
وظيفة شد الدواوين المعمورة بغزة المحروسة التي تلتقط من ساحل بحرها درر الخير
المقتبل ، وتقول المهمات الشريفة لسراة استنهاضها : ياسارية الجبل - حقيقة
أن يتخير لها من الشاكرين من يحمدهم وجهده ، ومن السابقين إلى المقاصد من
يحسن - كما يقال - تقريبه وشده ، ومن شكرت في الولايات آلاؤه ، ومن إذا علا
نظر رأيه في المصالح قيل : دام علاؤه ، ومن إذا دبر جهة قالت بلسان الحال :
لقد زاد في المصالح حسنا ، ولقد تحصنت بانتساب ذكره فلا عدمت منه حسنا .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر لما عُرف من حزمه وعزمه ، ولما جُتد في مقدمات القدر من رفيعه وفي إعلاء المهّمات من جزيمه ؛ ولما عُهد من هميمه في جهات دبرها ، وفي ولايات تمرها ؛ وفي وظائف شدّها : أما على العتاة فشَدّها وأما على المُستحقين فيسرّها ؛ ولما أشتهر من ذكره الذي لا يرح عليًا ، ولما ظهر من درايته التي جعلت كوكب سعده وسعبه دريًّا ، ولما بهر من تميزه الذي إذا هزّ عصاه بيدٍ تساقط على المقاصد رطبًا جنيًّا .

فليأشر هذه الوظيفة المباركة مباشرةً تبيض لها وجهًا وعرضًا ، وإذا أثنى عليه المُثني تبرعًا كافاه حتى يكون قرضًا ؛ مجتهدًا في تثير الأموال والغلال ، ضابطًا لأموال الديوان حتى لا يشكو الخلة ولا الاختلال ؛ قائمًا بحقوق الخدمه ، مُستريدًا - بشكر الأقوال والأفعال - لما يربح له من أقسام النعمه ، عليًا على كل حال إذا وفّت الفكر قدره وإذا ذكر اللسان اسمه .

المرتبة الثالثة

(من توابع أرباب السيوف بأعمال دمشق ما يفتح «رسم» وفيها وظائف)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بناية قلعة القدس ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نبأته ، كُتب بها لشرف الدين «موسى الرزادى» وهى :

رُسم - لا زالت ولاة أيامه عالية الشرف ، سامية المستشرف آوية من جنات خير الدنيا والآخرة إلى عُرف من فوقها عُرف - أن يستقر المجلس السامى علمًا باهتمامه الوفى ، وأعتزاه المتيقظ إذا نام حدّ المشرفى ؛ وأستنادًا إلى رأيه الذى

يقول نَجْمَةُ الطَّلَعِ: «مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالتَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي» !! ؛ وإرشادِ سَعِيهِ إِلَى أَنْ
أَتَّخَذَ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ دَارًا ، وَمِنْ حَرَمِهِ الشَّرِيفِ جَارًا ، وَأَتَّقَادِ ذَهْنِهِ وَشَجَاعَتِهِ
اللَّذِينَ آتَسَ بِهِمَا مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ؛ وَكَيْفَ لَا ؟ وَقَدْ قَالَتْ هِمَّتُهُ : يَا مُوسَى
أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ، وَأَخْرِجْ يَدَكَ الْبَيْضَاءَ فِي النَّيَابَةِ تَكُنْ أَحَقَّ مِنْ أَعْتَرَفَ بِهَا الْإِحْسَانَ
وَأَعْتَرَفَ .

فَلْيَبْأِشْرُ مَا فُوضَ إِلَيْهِ مُبَاشَرَةً يعلُو بِهَا شَرَفُ اسْمِهِ وَمَسْمَاهُ ، وَيَبْأِدُو لِلاخْتِيارِ
وَالاخْتِبارِ فَضْلَ التَّقَدُّمِ الَّذِى إِذَا بَدَأَ لَهُ كِفَاةً ؛ وَلِيُجَرِّبَهُذِهِ الرُّتْبَةَ رَأْيًا حَسَنَ الْإِحْكَامِ ،
وَلِيُؤَاطِبَ عَلَى حِفْظِ هَذِهِ القَلْعَةِ الَّتِى فُتِحَ بِهَا عَلَيْهِ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ فُتُوحِ الْإِسْلَامِ ؛
وَلِيُؤَمِّدَ عَلَيْهَا مِنْ كِفَايَتِهِ سُورًا حَوْلَ سُورِهَا ، وَلِيَتَفَقَّدَ رِجَالَهَا وَعُدَدَهَا تَفَقَّدَ الشُّهْبَ
فِي دَيْجُورِهَا ، وَلِيُرَدَّ عَنْهَا بَعْزِمَهُ الرَّدَادَى عُيُونَ الْأَعَادَى الزُّرْقَ حَتَّى لَا يَرَاعَ فِي أَرْضِ
الْحَرَمِ وَلَا حِمَامَاتُ طُيُورِهَا . وَلِيَشْكُرَ نِعْمَةَ أَوْتَاهُ إِلَى هَذِهِ الْمَنَازِلِ الطَّاهِرَةِ ، وَلِيَقْرَبَ لِيَدِ
أَمَلِهِ طَلَبَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَلِيُقَدِّمَ مِنَ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ الَّتِى عَنْ أَصْلِهَا تَتَفَرَّغُ
نِعْمَةُ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ ، حَتَّى يَجْعَلَ لَهُ فِي الْوَادِىِ الْمُقَدَّسِ رَبْعًا مَأْنُوسًا ، وَجَمْعًا
مَحْرُوسًا ، وَأَحَادِيثَ حَسَنَةً تَقُولُ لِمُسْتَمِعِ مِثْلِهَا فِي الْآفَاقِ : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى) .
وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِإِعَانَتِهِ ، وَيُلْهِمُهُ شُكْرَ مَا رَزَقَ مِنْ فَضْلِ مَكَانِهِ وَمَكَانَتِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ !



وهذه نسخة توقيع نبياية قلعة صرخند لمن لقبه «جمال الدين» وهى :

رُسم بالأمر - لا زال يَخَيْرُ لِقِلاَعِهِ النَّائِبَ وَيَخَيِّرُ^(١) مِنَ النَّائِبَةِ ، وَيُمِدُّهَا بِسَحَابِ بَرِّهِ
وَفِكْرِهِ الصَّائِبِ ، وَيَنْدُبُ لِحُدْمَتِهَا كُلَّ سَيْفٍ يُرِضَى النَّادِبَ وَيُقِيمُ عَلَى غَيْرِهَا النَّادِبَةَ -

(١) أى يتنحى .

أن يُرتَّب مجلس الأمير ... لأنه الكافي الذي تُسرَّ الحصون بأمثاله، وتبتسم شرفات القلاع لإقباله، وتشرح منازلها بتثقل نجوم الهداية من أفعاله وأقواله؛ والمليُّ بأداء الخدمه، والمرشح لما هو أوفى وأوفر من الأمور المهمه .

فليباشر نيابة هذه القلعة القديم أثرها، والشهير خيرها وخبرها؛ بعزيمة سيف قاطعه، وحادثة بأس ذائعه، ومهابة ذكرٍ لشياطين النفاق عنها رادعه؛ فإنها من بناء المردة: فليرد عنها آفة جنسها، وليحط برقى عزائمها حول نفاستها ونفسيها؛ وليجر أمرها على السدد، وليبينها بلزومه المهدي أوثق مما بناها أولئك بالصفاح والعمد، وليرض الآثار السلمانية بسلمان بيت الملازمة على طول الأبد، وليجتهد فيما هو بصدده حتى تدمر بتدمر جوانح الحسدة بالكمد؛ مكثراً بذكرى مهابته لعددها، موفراً لعددها، مستوجباً لاستجلاب الإنعام عليه باستجلاب مددها .



وهذه نسخة توقيع نيابة قلعة الصببية، وهي :

رسم بالأمر العالى - لا زال إحسانه يعيد إلى الحصون ناصرها وزينها، ويُعيد أصحاب الهمم صوتها، ويحرسها بن إذا نظر فيها وحماتها كان عونها وعينها - أن يستقر المجلس السامى الأميرى لما ألقته هذه القلعة المنصورة من تمصينه وتحسينه، وعرفته من ترتيبه في عمارتها وترزينه؛ ولأنه الأدرى بالمصالح العائد نفعها، والأدرب بمنهجها الحميد وقعتها؛ الذى باشرها من قبل فأحسن السلوك، ونصح هذه الدولة القاهرة فائتلى على سيرته ملوك الحصون وحصون الملوك .

فليعد إلى هذا المعقل المنيع عود الماء إلى مشاربه، وليسر في أرجاء أبراجها مسير القمر بين كواكبه؛ وليتمقذ أمور رجالها المستخدمين، وليستجاب قلوب

حَفَظَتْهَا الْأَقْدَمِينَ؛ مُتَحَاشِيًا مِنْ رَأْيِ الْقَاصِرِ النَّبِيِّ، قَائِمًا بِالْمُهَيَّمَاتِ الَّتِي تُرَاحِمُ مِنْهُ
بِشَيْخِ لَا تُرَاحِمُ بِصَبِيٍّ؛ مُقِيًّا عَلَى رَفْعِ الْأَدْعِيَةِ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ، مُسْتَرِيدًا بِالشُّكْرِ
لِنِعْمِ اللَّهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، مُجْتَمِدًا مُعْتَمِدًا عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي جَعَلَتْ لَهُ مَكَانًا
مَكِينًا فِي الدُّنْيَا وَطَرِيقًا سَهْلًا إِلَى الْآخِرَةِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجْحِقُ قَصْدَهُ، وَيَتَقَبَّلُ جِهَادَهُ
وَجُهْدَهُ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ! .

قُلْتُ : هَذَا كَانَ شَأْنَهَا حِينَ كَانَ يُوَلَّى بِهَا مَقْدَمُ حَلْفَةِ أَوْ جُنْدِيٍّ مِنَ الشَّامِ .
لَكِنْ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَالِكِ الشَّامِيَّةِ فِي الْمَقَابِلَةِ الثَّلَاثَةِ أَنَّهَا اسْتَقَرَّتْ
فِي الدَّوْلَةِ النَّاصِرِيَّةِ «فَرَج» فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَثَمَانِيَةَ [وَلَايَةِ] ^(١) .

وَحِينَئِذٍ فَتَكُونُ وَلَايَتَاهَا مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ . فَإِنْ عَادَتْ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ
أَوَّلًا، عَادَ الْحُكْمُ كَذَلِكَ .



وهذه نسخة توقيع بناية قلعة حمص ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ،
وهي :

رسم بالأمر - لا زال يندب لخدمة قلاعه كل سيف محتر، ومجرب عبرت عليه
العبر، ومؤد لفرائض الخدمة : إما بقيام عند الصبا وإما بقعود عند الكبر - أن
يرتب فلان في بناية قلعة حمص المنصورة إجابة لسؤاله فيما سأله : من التوفر على
مواصلة الصلوات ، ورفع الدعوات ، وجمع ثوابي الجهاد والخلاوات ؛ وتقضى باقى
العمر وأدعا ، متنسكا طائعا ؛ إذا بكى بجواره حتى النهى العاصى رقى عليه فما يعدم
منه بسكا .

(١) بياض بالأصل والتصحيح من بقية الكلام وما تقدم .

فليباشر نيابة هذه القلعة العليّ خبرها وخبرها، الملى سمعها ومنظرها، المطة
على مراكر الرماح المشهوره، ومهابّ الرياح : إماما بغيث السهام مُمطرًا وإماما بسهام
الغيث ممطوره، المجاورة لسيف الله «خالد» فهي بإعرابِ المجاورة منصورة غير
مكسورة، معتبرا لأحوالها، مُستدعيًا لما تحتاج إليه من عددها وعدد رجالها،
محصنا باستدعاء السلاح وسلاح الأذعية الحديدين بأمتالها .



وهذه نسخة توقيع نبياة قلعة جعبر، قبل أن تُنقل إلى حلب، وهى :

رُسم بالأمر الشريف - أعلى الله تعالى فى سماء الملك كواكبهُ ، ونصر فى أقطار
الأرض كُتبه وكُتابه ، وصرف بأوامره العالیه كلّ نائب وفرق بها كلّ نائيه -
أن يُرتب علمًا بأنه الكافي الذى تُعقد على هيمته الخناصر، ويُثني
على تقديم عزائم القديم والمعاصر ، وتقوى الجهات وتُصر باسمه بعد أن كانت
بغير قوّة ولا ناصر، وأعمادا على كفاءته النافعه، وشهامته الرائقة الرائعه ، ودرايته
التي تُضىء بها القلعة وتُسمو حتى يقول الاستيقان : ما هذه شمس^(١) هذه شمس
طالعهُ .

فليباشر هذه القلعة القديم أثرها ، الحميد خبرها وخبرها ، المصغر تصغير التحبيب
والتحسين أسمها ومنظرها ، المنفرد سمها بذيل الآفاق فتمسك بسحبها ، المنشدة^(٢)
لأرتقاب نهضة حال من علم ابن منصور بها ، راقيا صرحها ، راعيا بالمصالح

(١) كذا فى الأصل وصوابه شمسة .

(٢) هذا الوصف يناسب قلعة الصيبه فانها هى المصغرة .

(٣) فى الأصل «تمسك» .

سَرَّحَهَا ؛ مُجْتَهِدًا فِيهَا يَقْضِي لَقْدَرَهُ بِالرَّفْعِ ، وَلِرَأْدِ أَمَلِهِ بِخِصْبِ النَّجْعِ ، جَاعِلًا هَذِهِ
الْمَنْزِلَةَ أَوَّلَ دَرَجَاتِهِ : وَحَسْبُهُ بِمَنْزِلَةٍ يَكُونُ أَوَّلَ دَرَجَاتِهَا قُبَّةَ قَلْعِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَدِّدُ
عَزْمَهُ وَحَزْمَهُ ، وَيُجَمِّدُ فِي الْكِفَاةِ خَبْرَهُ كَمَا أَحْمَدُ فِيهِمْ أَسْمَهُ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .



وهذه نسخة توقيع بناية مغارة زلأيا، من إنشاء ابن نباتة، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يزيد قلاع الإسلام علاء في السمة والأسم ، وفي القوة
والحسب ، وفي اعتناء يجمع لعقليتها بين الحسن والقسم - أن يرتب مجلس الأمير
لقيامه بواجب الخدمه ، وملازمة قرائضها المهمة ؛ وعزيمته الوافية في النفس ، الزائد
وصفها على الأتمس ، العلى نسبها وحسبها : فتارة إلى العلى وتارة إلى الشمس .

فليباشر هذه القلعة التي علّت بنفسها محلاً وسكناً ، وقال ساكن مغارها لسانى
أثنين من حزمه وعزمه : (لا تحزن إن الله معنا) ؛ وأستعلى نينتها فأنشد :
"أنا ابن جلا وطلاع الثنايا" ، ونادى بقعتها : هذا عزمى وحزمى لا يقال ولا يازلأيا ؛
مجتهداً في سداد أمورها ، وتخصيها بالمهابة القائمة مقام سورها ؛ مستجاباً ما يحتاج
إليه وما يرتب من عده ، ملازماً لزوم الخمس لأوقات مباشرتها لا يوصف بالزوال
بل بطول المده .



وهذه نسخة توقيع بولاية القدس ، من إنشاء ابن نباتة ، وهي :

رُسم بالأمر لا زال يشمل بظله وفضله ، ويحمل بإحسانه وعدله ،
ويُنقل شمس الولاية من البرج الظاهر إلى مثله - أن ينقل فلان من كذا إلى ولاية

القدس الشريف : علماً بكفايته التي تقدّمت ، وشهامته التي تحكّمت ، وإمامته التي سَلِمَت فيما سَلَمَت ؛ وهِمَّتِهِ التي وَصَحَتْ شَمْسًا فلا تُنْفَس ، وقالت لِقِيَامِهِ في المصالح :
 ﴿ أَخْلَعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ﴾ .

فليباشِرْ هذه الولاية مباشرةً تَمَحُّو بِضِيَاءِ شَمْسِهِ ظُلْمًا وظَلَامًا ، وتقولُ لِنَارِ الحوادثِ في المَشَاهِدِ الجَلِيلَةِ : ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا ﴾ ؛ مُجْتَهِدًا فيما هو بِصَدَدِهِ ، عَارِفًا بِوَجُوهِ المصالحِ حَتَّى يَكُونَ السُّكُنُ أَعْرَفَ بِشَمْسِ بَلَدِهِ ؛ نَاهِضًا بِأُمُورِ الدِّيوانِ جَلِيلًا وَخَفِيًّا ، وَعَبءِ المِهْمَاتِ حَافِلَهَا وَخَفِيًّا ؛ مُسْتَرِيدًا بِالشُّكْرِ لِمَبَادِي النِّعَمِ ، قَائِلًا فِي مَحَلِّ البَلَدَيْنِ المُبَارَكَيْنِ : مَا سَرْتُ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ .



وهذه نسخة توقيع بولاية غزّة ، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يُنْشِئُ في رِياضِ الإِحْسَانِ غَرَسًا ، وَيُحَقِّقُ في آسْتِحْقَاقِ الكُفَاةِ حَدَسًا ، وَيُقَدِّمُ من لا تَزَالُ الوِلايَاتُ تُحَمَّدُ له يَوْمًا وتَذْكَرُ لِقَوْمِهِ أَمْسًا - أن يُرْتَبَ لِمَا عُرِفَ من عَزَمِهِ الذي جَرَدَ منه الأَخْتِيَارِ والأَخْتِيارِ جَمِيلًا ، وَكَيْلِ شَخِصِهِ الذي آخَذَهُ التَّوْفِيقُ فلم يَقُلْ : ﴿ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴾ ؛ وَأَعْتَمَدَهُ الذي يُصْبِحُ في المِحامِدِ وَيُمْسِي ، وَيَنافِسُ مَرَبَاهُ فهذا يقول : تَمَرَى وهذا يقول : غَرَسِي .

فليباشِرْ هذه الولاية بعزيم مقتبل الشَّيْبَةِ ، وَحَزْمٍ لا يُقَعِدُ الرَأْيَ المَحِيلُ تَجْرِيدَهُ في المصالحِ وَتَجْرِيئِهِ ؛ وَتَفَعُّعِ المِهْمَاتِ وَرَدِّعِ لِلْفُسْدِ مُحَمَّدُ مَوَارِدِهِ وَمَصَادِرِهِ ، وَذِكْرِهِ حَسَنٍ تُلْقِطُ من ساحلِ الشَّامِ جَواهِرُهُ ؛ مُسْتَرِيدًا لِمَا رَخَّخَ له من درجات

الأمر المهممة ، مُتَزَّهِ العَرِضِ عن كُلِّ لَائِمَةٍ مُرَبِّحًا تَقْوَى اللهِ تَعَالَى فِي كُلِّ مَلَمَةٍ ؛
واللهُ تَعَالَى يُجِدُّ فِي الخِدْمَةِ آثارَهُ ، وَيُعِزُّ فِي وِلَايَةِ حَرْبِهِ السَّافَةَ إِذَا هَانَتِ الحَرْبُ
عَلَى النَّظَارَةِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية لُد ، لمن أسمه «نجم الدين أيوب» وهي :

رُسم بالأمر - لا زالت نُجُومُ أوامِرِهِ سَعِيدَةً ، وَظِلَالُ عَوَارِفِهِ مَدِيدَةً ، وَمَنَازِلُ
الوَلَايَاتِ حَامِدَةً لِمَنْ يُقَدِّمُهُ وَطَوَالِعُ أَفْقِهَا حَمِيدَةً - أَنْ يُرْتَّبَ أَعْتَادًا عَلَى
كَفَائَتِهِ الَّتِي تُسَيِّدُ لَهَا مَجْدًا ، وَتُعَقِّبُ مَسْعَاهُ حَمْدًا ، وَتَكْنِي مِنْ هَذِهِ الجِهَةِ وَأَهْلِهَا بَلَدًا
وَقَوْمًا لُدًّا : لِمَا أَحْتَوَى عَلَيْهِ مِنْ مُوجِبَاتِ الأَصْطِنَاعِ وَدَوَائِعِهِ ، وَفَاتَ بِاسْتِقْلَالِهِ
أَمَدَ مُسَاجِلِهِ وَمُنَاوِيهِ ؛ وَأَشْتَمَلَ عَلَى الخِلَالِ الَّتِي قَضَتْ بِتَقْدِيمِهِ ، والأَفْعَالِ الَّتِي
أَسْتَدَعَتِ المَبَالِغَةَ فِي تَفْخِيمِهِ وَتَكْرِيمِهِ ؛ وَسَلَّمَ مِنَ الخَالِصَةِ مَا يُوجِبُ الأَسْتِحْقَاقَ
وَالأَسْتِجَابَ ، وَيُوصِلُ حَمِيدَ مَسْعَاهُ إِلَى بُلُوغِ الآمَالِ وَإِدْرَاكِ الحَاقِبِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الوَلَايَةَ : عَامِلًا بِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى فِيمَا يُبِيرُهُ وَيُعَلِّنُهُ ، مُعْتَمِدًا فِيهَا
غَايَةَ مَا يَسْتَطِيعُهُ المَكْلُفُ وَنِهَايَةَ مَا يُمْكِنُهُ ؛ وَلْيَسَوِّبِ القَوِيَّ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الوَلَايَةِ
وَالضَّعِيفَ ، وَلَا يَجْعَلْ فِي الخِطِّ فَرْقًا بَيْنَ المَشْرُوفِ وَالمَشْرُوفِ ؛ وَيُمَدِّدْ عَلَى كَافَتِهِمْ
رِوَاقَ السُّكُونِ وَالأَمْنَةِ ، وَلْيُجْرِّمِ فِي المَعْدِلَةِ عَلَى العَادَةِ الجَمِيلَةِ الحَسَنَةَ ؛ وَلْيَأْخُذْ
فِي الأُمُورِ الدِّيَوَانِيَّةِ بِالأَجْتِهَادِ مُرَاعِيًا فِي ذَلِكَ حَالَ العِمَارَةِ ، آتِيًا مِنَ الإِحْسَانِ
إِلَى الرِّعْيَةِ مَا يَكُونُ لِلعَدْلِ شَارَهُ ؛ وَاقِفًا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِالمَطْلُوبِ ، صَابِرًا عَلَى تَكَالِيفِ
المُهَمَّاتِ وَلَا يُنْكِرُ الصَّبْرَ لِأَيُّوبِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية بيسان ، لمن لقبه « شهاب الدين » من إنشاء ابن
نبأته ، وهي :

رُسم بالأمر - لا زالت شُهْبُ أوقاته سَعِيدِهِ ، وَتُحِبُّ هَبَاتِهِ سَاحِبَةَ الْجُودِ
مَدِيدِهِ ، وَبِحُورِ نَعْمَانِهِ الْحَقِيقِيَّةِ كِبُحُورِ الْأَعَارِيضِ الْمَجَازِيَّةِ : كَامِلَةٌ مُنْشِرِحَةٌ مَدِيدِهِ -
أَنْ يَسْتَقَرَّ أَعْتَادًا عَلَى عَزْمِهِ الْمُنِيرِ شَهَابُهُ ، الْكَثِيرِ تَوَقُّدِهِ فِي أَوْقَاتِ الْمَهْمَاتِ
وَالْتِهَابُهُ ، وَاسْتِنَادًا إِلَى كِفَائَتِهِ الَّتِي يَشْهَدُ بِهَا وَلَاؤُهُ فِي الْخِدْمَةِ وَوِلَايَتِهِ ، وَشَهَامَتِهِ
الَّتِي يُجَزِّمُ بِهَا فِي الْأَمْرِ رَأْيَهُ وَتَرْفَعُ فِي الْخِدْمَةِ وَوِلَايَتِهِ وَمَهَابَتُهُ ؛ وَعِلْمًا بِسِيَاسَتِهِ
الَّتِي يَقْمَعُ بِهَا أَهْلَ الْفَسَادِ ، وَتَكَادُ تَفْخَرُ بِبِسَانٍ بِفَضْلِهَا كَمَا نَخَرْتُ بِ« فَاضِلِّهَا »
عَلَى الْبِلَادِ .

فَلْيَقُمْ فِي وَظِيفَتِهِ عَلَى قَدَمِ اجْتِهَادِهِ ، وَكَرَمِ ارْتِيَادِهِ وَأَعْتِيَادِهِ ؛ شَافِيًا لِأَحْوَالِ أَهْلِ
نَاحِيَتِهِ مِنَ الْوَصْبِ ، مُتَمَرِّغًا الْعِلَالَ وَالْأَمْوَالَ بِعَزْمٍ قَدْ أَرْتَفَعَ وَأَنْتَصَبَ ؛ ظَاهِرًا
فِي الْخِدْمَةِ بِجَهْدِهِ ، مُلْتَمِنًا لِحَدِيدِ مَنْ عَصَى عَلَيْهِ فِي عَمَلِهِ كَمَا أَوْرَثَهُ دَاوُدُهُ ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يُوَفِّقُهُ .



وهذه نسخة توقيع بولاية صيدا ، لمن لقبه « شجاع الدين » بـ « المجلس العالى »
وهي :

رسم بالأمر العالى - أنفذه الله فى الأقطار ، ونجم بولائه أيام الأوطان والأوطار ،
وأجرى بسكركه سفن الركائب وركائب السفن إذا سفت وإذا طار - ان يستقر
فلان : ركوناً إلى عزمه وحرمة ، وسكوناً إلى آهتامة الذى حكم فيه الاختيار

يَعْلَمُهُ ، وَعَلِمَا أَنَّ لَلْوِلَايَاتِ بِهِ الْإِتِّفَاعَ ، وَلِخُصُوصِهَا الْإِمْتِنَاعَ وَالْأَرْتِفَاعَ ؛ وَأَنَّهُ إِذَا
وَلِيَ رَعَى وَإِذَا أَقْوَى كَانَ أَعْصَمَ رَاعَ ، وَإِذَا فَكَّرَ فِي الرَّأْيِ وَوَقَّبَ فِي الْمُهَيِّمِ كَانَ
نَعْمَ الشُّجَاعَ .

فِي بِلَادِهَا وَوَلَايَةِ عَمَلِهِ نَاهِضًا بِأَعْبَانِهِ ، رَافِعًا بِالْعَدْلِ لِأَرْجَائِهِ وَرَجَائِهِ ، حَرِيصًا عَلَى
طَيْبِ الْأَخْبَارِ الْمُنْتَشِرَةِ مِنْ كَأْفُورِ صُبْحِهِ وَمِسْكِ مَسَائِهِ . وَلِيَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ بَرِّهِ وَبَحْرِهِ ،
وَيَتَقَيَّظَ لِذَلِكَ الْبَرِّ وَجَهْرِهِ ، وَذَلِكَ الْبَحْرِ وَسِرِّهِ ؛ حَتَّى يَتَحَدَّثَ الْبَحْرُ عَنْ عَزْمِهِ
وَلَا حَرَجَ ، وَيَسِيرُ ذِكْرُهُ كَنَسِيمِ الرَّوِضِ لِأَضَائِعِ الصَّنْعِ وَلَكِنْ صَائِعِ الْأَرْجِ ؛ وَيَعْتَمِدُ
مِصَالِحَ النَّوَاحِي وَسُكَّانِهَا ، وَالْأَمْوَالَ وَدِيَوَانِهَا ، وَالْجِهَاتِ وَضُمَانِهَا ، وَتُجُومِ التَّنْقِيسِطَاتِ
فِي الْبَلَدَةِ وَتَحْرِيرِ مِيزَانِهَا ، وَيَجْمَعُ بَيْنَ اللَّيْنِ وَالشَّدَّةِ بِسِيَاسَةٍ لَا يَخْرُجُ بِهَا الرَّأْيُ عَنْ
إِبَانِهَا ، وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْعِمْدَةُ فَعَلَيْهَا يَعْتَمِدُ ، وَعَلَى رُكْنِهَا يَسْتَنْدُ ؛ حَتَّى تَجْعَلَ
لَهُ عَلَى الْمِصَالِحِ أَيْدًا ، وَحَتَّى تَتَنَبَّأَ نَحْوَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ عَمْرًا وَزَيْدًا ، وَحَتَّى تَجْعَلَ لَهُ بِأَسَا
فِي الْأَعْدَاءِ يَكِيدُ كَيْدًا ، وَحُسْنِ ذِكْرِ فِي الْبَلَدِ يَصِيدُ «صَيْدًا» .



وهذه نسخة توقيع بولاية قاقون، من إنشاء ابن نباتة، وهي :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يَنْدُبُ لِمِصَالِحِ الْوِلَايَاتِ سُيُوفًا ، وَيَقْدَمُ ظَنًّا فِي الْكُفَاةِ
يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُوفِي ، وَيُدْنِي مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِنْعَامِ وَالْإِرْغَامِ لِأَيْدِي الْمُجْتَبِينَ قُطُوفًا - أَنْ
يَسْتَقِرَّ أَعْتَادًا عَلَى هِمَّتِهِ الشَّائِدَةِ ، وَدِرَايَتِهِ السَّائِدَةِ ، وَأَمَانَتِهِ الشَّاهِدَةِ ،
وَصِفَاتِ عَزْمِهِ الَّتِي هِيَ فِي الْوِلَايَاتِ «مَعْنٌ» وَهِيَ «زَائِدَةٌ» ؛ مُجْتَهِدًا عَلَى أَنْ يُثْمَرَ عَمَلُ
وِلَايَتِهِ فَتَرَكُو أَعْمَالَهُ ، وَتَرَدُّ عَلَيْهِ الْمُهَيِّمَاتُ فَتَلْقَاهَا بِالْكَفَاءَةِ أَعْمَالُهُ الْمَعْرُوفَةُ وَأَقْوَالُهُ ،
وَتَشْهَدُ مِنْهُ الْأَحْوَالُ مَعْنَى بِلْ مَعَانِي يَثْبُتُ بِهَا فِي الْأَذْهَانِ قَبُولُهُ وَإِقْبَالُهُ .

(١) أقوى . نزل بالقفر أعصم - أمنع وأحفظ لرعيته من الاعتيال .



وهذه نسخة توقيع بولاية صرخد، من إنشائه، لمن لقبه «جمال الدين» وهي :

رُسم بالأمر أعلاه الله تعالى ، وبلغ بأيامه الرتب وأهلها آمالا ، وزان الولايات بما يُنتج من مُقدمة فعله وقوله جمالا - أن يُرتب مجلس الأمير لأنه الكافي الذي عرفت في المهمات همته ، وألفت عزيمته ، وأديرت أوصافه عقارا صرخديّة ولا عجب أن سرت بالنواحي خدمته ، والنهض الذي وقى الولاية حقها ، وأدى الأمانة وسلك طرقها ، وأطلع في سماء الولايات شهب رأيه فخمى وزان ألقها .

فلبيا شرهذه الولاية بعزم سنى ، وحزم سرى ، ومهابة تأخذ للضعيف من القوى ، وديانة تمشي من الكفاءة والأمانة على صراط سوى ، مئرا للمال والغلال ، راقبا لحلل الذكر بحسن الخلال ، محسنا لذكر ولايته حتى يجمع لها بالوصف والنعت بين الحسن والجمال ، وإياه والجن عن المهمات فما كل جن صرخدى محمود العاقبة والمآل .



وهذه نسخة توقيع بولاية سلمية ، من إنشائه ، كتب به لـ «شهاب الدين المجازى» وهي :

رُسم - لا زال يُطلع شهب الولاة مشرقه ، ويُنشئ سُحب الإحسان مُقدقه ، ولا برحت أفلام علائمه كالغصون بأحسن ثمرات الدوح مُثمرة مورقه - أن يُرتب علما أنه النهض الذي إذا ولي كفى ، وإذا طب الولاية المعتلة بتقديم المعرفة شفى ؛ ورُكونا إلى عزمه الذى أبى لشهايه أن يحمده ، وكفاءته التى

قَضَتْ لَأَسْمَةَ بِالْعُودِ : فَإِنَّ الْعُودَ أَحْمَدُ ، وَأَعْتَادًا عَلَى سِيرَتِهِ الْحَسَنَةِ السَّمْعَةَ ، الْحَقِيقَةَ بِالرَّفْعَةِ ، وَعَلَى سَطْوَتِهِ بِالْمُفْسِدِينَ الَّتِي حَسَنَتْ أَنْ يُقَالَ فِيهِ : « لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافُ بِالْبِشْرِ وَقَعَهُ » .^(١)

فَلْيَبْأِشِرْ هَذِهِ الْوَلَايَةَ بِعَزْمِهِ الْمُتَوَالِي ، وَأَجْتِهَادِ رَأْيِهِ الَّذِي يُطْرِبُ بَارِقَهُ الْمُتَعَالِي ؛ جَارِيًا عَلَى عَادَةِ سَدَدِهِ ، مُجْتَهِدًا فِيهَا هُوَ بَصَدَدِهِ ؛ مُسَدَّدًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، مَانِعًا لِناحِيَّتِهِ الْأَعْرَابِيَّةِ مِنْ تَطَرُّقِ الْخَلَلِ وَتَطَرُّفِ الْجَلَلِ ؛ مُصَالِحًا بِالْتَدْبِيرِ عَمَلٍ مَا يَشْهَدُ بِعَزَائِمِهِ الْوَفِيِّ ، وَهَمِيمِهِ الْجَلِيلَةِ الْجَلِيَّةِ ، وَإِذَا سَأَلَ عَنْ شِدَّةِ الْوَلَاةِ وَاحِدًا قِيلَ : سَلْ مِيَّةً عَنْ سَامِيَّةٍ .



وهذه نسخة توقيع بَشَدِّ مُتَحَصِّلِ قُفَامَةٍ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، وَهِيَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - بِسَطِّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْأُمَمِ مَهَابَتَهُ وَظِلَّهُ ، وَبَأْسِهِ وَفَضْلَهُ ، وَوَجْهَهُ إِلَيْهِ أَمَالَ الْخَلْقَ مِنْ كُلِّ قِبَلِهِ ، وَأَعْلَى آرَاءَهُ الَّتِي يُقَالُ لَعَدْلُهَا : « لَقَدْ جُدَّتْ حَتَّى جُرَتْ فِي كُلِّ مَلَّةٍ » - أَنْ يُرْتَّبَ مِضَافًا لِمَا بِيَدِهِ ، وَأَسْتِنَادًا إِلَى صَبِيحِ خَبَرِهِ فِي الْكِفَاءَةِ وَعُلُوِّ سَدَدِهِ ، وَأَرْتِيادًا لِهَمِيمِهِ الَّتِي إِنْ رَوَاهَا مُسْلِمٌ عَنْ طَوَّعِهِ رَوَاهَا نَصْرَانِيٌّ عَنْ تَجَلُّدِهِ ؛ وَسُكُونًا إِلَى حَرَكَتِهِ الَّتِي تُحْصِلُ مَالًا ، وَتَصِلُ إِلَى مَالٍ ؛ وَتُسْتَخْرِجُ الْوَفَرَ مِنْ مَكْنِهِ ، وَتَأْخُذُ الْحَقَّ [مِنْ] قُدَامِ يَدَيْ الْمَائِلِ وَمِنْ خَائِفِ أُذُنِهِ ؛ وَعِلْمًا أَنَّ مَا لَمْ يَحْصُلْ قُفَامَةً مِثْلَ عَزْمِهِ الْمُخْتَارِ ، وَرِفْقِهِ الَّذِي يَسْتَنْزِلُ دَرَّ الْقَصْدِ الْمُدْرَارِ ، وَأَجْتِهَادِهِ الَّذِي زَرَعَهُ الْمُسْتَنْهَضُونَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ .

فَلْيَبْأِشِرْ هَذِهِ الْوَضِيفَةَ بِشِدَّةٍ وَلِينٍ يَجْعَلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي مَوْضِعِهِ وَمَقَامِهِ ، وَحَقِّ مُنِيرٍ يَجْعَلُ سَبْتَ نُورِ كُلِّ لِيَالِيهِ وَأَيَامِهِ ؛ وَأَمَانَةٍ مُدِلِّهِ ، وَكِفَاءَةٍ مُظِلِّهِ ؛ وَصِيَانَةٍ

(١) صدر بيت للأخطل وتمامه «إلى الله منها المشتكى والمعول» و«الجحاف أسم رجل والبشر أسم جبل»

تُوجِبُ مَزِيدَ الْخَيْرِ إِذَا لَهُ ، وَمَهَابَةَ إِذَا أُدْخِلَتْ مُسْتَخْرَجَ فِيمَا مَصْلَحَتُهُ وَجَعَلَتْ
 أَعَزَّةَ أَهْلِهَا أَذْلَهُ ؛ لَا يَنْبِي هِمَمَهُ النَّفْسِيَّةَ ، وَلَا يَنْتَفِتْ - كَمَا يُقَالُ - لِتَبْخِيرِ الْكَنْيَسَةِ ؛
 بَلْ يَسْتَعْمَلُ فِرَاسَةً تَرُوعُ مِنْ حَمَلٍ عَنْ أَدَاءِ الْحَقِّ بُهْتَانًا ، وَمُنَاقَشَةَ تَكْشِفُ عَنْ
 جِبَالِ التَّجَلُّدِ أَكْثَانًا ، وَرَأْفَةً مَعَ ذَلِكَ بِالظَّاهِرِيِّ الْعَجْزِ : ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيْسِينَ
 وَرُهْبَانًا ، وَمَتَابَعَةً لِلضَّرَائِبِ الْقَدِيمَةِ لَا يُصْرَفُ عَنْهَا ، وَأَسْتَخْلَاصَ مَا عَلَى الرَّأْسِ حَتَّى
 يُقَالُ : « لَيْسَ تَحْتَ الزَّرْقَاءِ أَخْضَعُ مِنْهَا » ؛ عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ أَهْلَ مَعَامِلَتِهِ
 أَهْلُ ذِمَّتِهِ ، مُجْتَهِدًا فِي اسْتِحْقَاقِ مَا يَتَرَشَّعُ لَهُ مِنْ وِلَايَاتِ الْأُمُورِ الْمُهَمَّةِ .

الصنف الثاني

(مما يكتب لأرباب الوظائف بدمشق - تواقع أرباب
 الوظائف الدينية، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب لمن هو بحاضرة دمشق، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتح بـ «الحمد لله»)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

تَوَقِّعٌ بِنَظَرِ الْحِسْبَةِ بِالشَّامِ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «نُورِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْفَرَجِ»
 بـ «الجناب الكريم» وهو :

الحمد لله الذي جعل مقام الأولياء علياً ، ورقى بهم إلى طور العناية فأشرق نورهم سنيّاً ، ووقفهم للأمر بالمعروف فلم يزل غيثُ الندى بهم وليّاً ، وزند سبيل الرّشاد والحكمة وريّاً .

نحمده حمداً كثيراً طيباً زكياً ، ونشكره شكراً لا يزال غصنه بالزيادة جنيّاً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نكرّها بكرة وعشياً ، ونسلك بها صراطاً سويّاً ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده الذي اختاره صفيّاً ، وقربه نجياً ، ورسوله الذي قام به الحق وأصبح به الباطل خفيّاً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة ينال بها المؤمن يوم العطش رياءً ، ويجوز بها في جنة المأوى حللاً وحليّاً ، وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد ، فإن أولى ما يلزم الفكر [فيه] ويتعين ، ويتمّ التّجحّ بحسن النظر فيه ويتبين - أمر الحسبة الشريفة : فإنها المنصب الذي به صلاح أحوال الرعية ، وقوام إقامة الحدود الشرعية ، تسلك العامة لمستوليه سبل صنائعه ذللاً ، وتكسو باقتانها أنواع بضائعها حللاً ، ويتنفع بمعرفته الأمر والمأمور ، وتخطط المعاش عن غشيان الغش من حرمة بسور ، وتطمئن القلوب بإصلاح المطاعم وتتهنى ، وتقول الألسنة : شكراً لمن سنّ هذه السنة الشريفة وسنّها ، وردع ذوى الغش عن غوايتهم : فمن غشنا ليس منا ، لا سيما بدمشق فإنها شامة البلاد المحروسة ، وموطن البركة الماثورة والبهجة المانوسة ، بلد شاع ذكرها في المغرب والمشرق ، وإن محاسنها لن تقاس بغيرها : والجامع الفارق .

وكان فلان ممن تحلّى من عقود المحامد بجواهرها ، وأرتدى من حلال المآثر بمفانحها ، وعرف بالتهضة والعفاف ، وأنصف بجميل المعرفة والإنصاف ، وحسنت سيرته في أحكامه ، وحمدت قواعد تعدده ونصارة نظامه .^(١)

(١) لعله "تمهده" .

فلذلك رُسم بالأمر العالى - لا زال يُولى جَمِيلاً ، وُيولَى فى الوظائف السَّنيَّة جَلِيلاً - أن يستقرَّ المشارُ إليه فى نظرِ الحِسبة الشريفةِ بالشَّام المحروسِ ، على عادة من تقدَّمه فى ذلك ، والقاعدة المستمزة ، بالمعلوم المستمتر للوظيفة المذكورة ، إلى آخر وقت : وضعاً للشئ فى محلِّه ، وتفويضاً لجميل النظرِ إلى أهله .

فليأشُرْ ذلك أمراً بالمعروفِ وناهياً عن المنكرِ ، سالِكاً من حُسن الطريقة ما يُحمد به ويُشكره ، ويُسره حين تُسلى سُورُ محاسِنه وتُذكر به متفقدًا أحوالَ العامة ومعايشها فى كلِّ آن ، ملتفتاً فى أمر ما يُكأل أو يُوزن إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الزَّوْزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ . مُشعراً عن ساعده فى الإجراء على العوائد المُستحبة ، مُحترزاً فيما يأمر به : فإنَّ الله تعالى لا يُخفى عليه مثقالُ حَبَّة ، وليُنظر فى الدقيق والجليل ، والكثير والقليل ، وليستكثر الأخبار ، وليستعلم الأسعار ، ولا يغفل عن تعاهد السُّوقِ آناء الليل وأطرافِ النهار ، وليلاحظ أمر السُّكَّةِ السلطانية بإصلاح العيار ، وضبط أحوالِ النقود بمقدار ، وليقيم من خدمته رقيباً على من آتهم فى صنعته أو استرأب . وليبالغ فى النظر فى أمر المآكل والمشارب فإنَّ أكثر الداء من الطعام والشراب ، وليزجر بتأديبه من آفترى ، أو تلقى الرُّبجان أو غداً فى الأقوات مُحكراً ، وليعلم أنه قد أمر هذه الوظيفة المباركة : فليختر من يستنيب ، وليبصر كيف يسلك برعايته من حكم عليه فما يلفظ من قوبٍ إلَّا لدهيه رقيب ، والوصايا كثيرة وأصلها التقوى التى هى أجل ما يقتنى المؤمن ويكتسب ، وأجدر بالزيادة : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ . والله تعالى يُديم علاه ، ويتولاه فيما تولاه .



وهذه نسخة توقيع بنظر الجامع الأموي، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة،
كُتِبَ به للقاضي «عماد الدين بن الشيرازي» في الدولة الصالحية «صالح بن الناصر
محمد» بـ«الجناب الكريم» وهي :

الحمد لله الذي أذن لبيوته أن تُرْفَعَ فرقع عمادها، وأعاد أحسنها إلى نظر من صرّف
أمورها بما حسن وصرّفها عما دهي، وأحيا الآثار الأموية حتى غدت كالمشيمية
تدعو أجوادها وشجّادها، وأنجز وعد أهلها بمن أشارت إلى مباشرته أعلام أعلام
المنابر بالأصابع ونصت المآذن أجيادها .

نحمده على ما هبنا من الفوائد، وهنأ من العوائد؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة يقوم بها الخطابُ شاهداً ويقوم بها الخطباءُ في المشاهد، ونشهد
أن محمداً عبده ورسوله الذي أوتى الجوامع من الكلم وجعلت له الأرض من
المساجد؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عمروا بيوت العبادات بهدأته،
وظهروا في مجال الجمع ومجال الجموع تحت رأيته؛ صلاة متصلة السير كالسبل،
مُسَبَّلة الغمام كالذيل، وإضحة كدع الخلق لدلوك الشمس فإحقة كفتيت المسك
إلى غسق الليل .

وبعد، فإن أولى الأمور الدينية بتقديم الأهتمام، وتقرير الاعتناء إلى الاعتزام؛
وتسمير ساعد الرأي وزهراته على الأكام - أمر تكون إقامة الصلوات أحد
أركانها، وتذيير المصالح مشيراً إلى علوّ شأنه، وأرزاق العلماء والصلحاء تُستدر من
هطاله وهنائه .

وكان الجامع الأموي بدمشق المحروسة لهذه الأركان بمنزلة الأسس الراسخ تمكينه ،
والفرع الشامخ في وجه السحاب عرينه ؛ وبينة زمان بنى أمية الذين عفا شرف
مفاجرهم وما عفا شرفه ونفره ، ووكر الإسلام الذي مضى لبدا أمثاله وما بقي إلا نسر
السماء ونسره ؛ ذو المرأى الشارح والفضل المشروح ، والحسن الذي إن تفعالى
في وصف الجوامع قوم قيل : باب الزيادة مفتوح ؛ تفخر به دمشق وحق
لها على كل مضير أن تفخر ، وتبعث نظرات حسنه الفخر من حملة فصوص
الترخيم إلى الأسود والأحمر ؛ يحمّد المجاور به مغناه وغناه ، ويسع أرباب العلم
والمقاصد نأديه ونأده ، ويطلع المسك سطور مياهه المتجمدة فأقول ما يقرأ من
تنبيهه عزيمه باب المياه ؛ وقد عهد أن يتولى نظره كل سني المفاخر ، سرى
المآثر ؛ كريم الفرع والأصل ، ماضى العزم كالنصل ، حائز من أقلامه أمد العلاء
وقصب الخصل .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال وجه الفضل بدولته الشريفة وإسخا ،
وميزان العدل والإحسان راجحا ، ولا زال في كنف من من به على الدين والدنيا
وآناهما صالحا - أن يفوض إلى فلان نظر الجامع الأموي المذكور : لما عرف
من أنه الرئيس الذي ماساد سدى ، والكامل الذي إذا انس [سار] نار فكرته وجد على
النار هدى ؛ وأنه باشر نظر هذا الجامع قديما بجملة ، ورصد سنه فكملة ، وأستشهد
في محضر ديوانه على التزاهة أقلامه المعدلة ، وتديبه المعدلة ؛ وكثر أوقافه وكانت
قد أضحلت ، وشيد عمارة وكانت قد استقلت ، وملا حواصله وكانت أقلام
المكتسبة تُنشد : «أسأئله أي المواطن حلت» ؛ وبما ألفت هذا الجامع المعمور من
عواطفه ، وعرف من عوارفه ، وشهد من جلوسه لمصالح وقفه أحسن الله مكافأة
جالسه وواقفه ؛ فأثبت في صدر المحافل أن الله تعالى قد رزقه من الفضل جسيما ،

وَكَتَبَ لَهُ مِنْ شَرَفِ الْأَكْتِسَابِ وَالْإِتْسَابِ حَدِيثًا وَقَدِيمًا ، وَأُلْقَى إِلَى يَدِهِ قَلَمٌ كِفَاءً وَأَمَانَةً كَانَ كَرْمُهَا لِلْأَمَلِينَ حَصِينًا وَكَانَ قَلَمُهَا لِلْحَائِسِينَ خَصِيصًا ، كَمْ وَقَرَّ بِهِ الْمَصَالِحَ قَوِّيًا ، وَكَمْ جَمَعَ بِرِيئَتِهِ الْمَحَاوِلَةَ مَا لَا يَخُوزُ بِهِ مِنْ جُنْدِ الدُّعَاءِ صَفًّا ، كَمْ سَرَّ بِمَنَاقِبِهِ سَرَاةً سَلَفٍ مَامْنِهِمْ إِلَّا جَوَادٌ لَا يَرْضَى فِي سَبْقِ الْمَكَارِمِ بِحَاتِمِهِ ، وَكَاتِبٌ يَكْبُرُ عَنْ قَوْلِ الْوَأَصِفِ : إِنَّ يَأْفُوتَا فِي فَصِّ خَاتِمِهِ ، وَرَبِّيسٌ هُوَ أَجَلٌ مَا أَهْدَتْ شِيرَازُ إِلَى دِمَشْقَ مِنْ عَلِيٍّ طَرَارِزِ الْفَضْلِ وَعَالِمِهِ .

فَلْيَا شَرُّ مَا فُوضَ إِلَيْهِ بَعَزِمٌ لِأَثْقَلِ مَضَارِبِهِ ، وَرَأْيٌ لِأَتَأْفَلُ كَوَاكِبُهُ ، وَمَعْدِنٌ وَفَاءٌ بِالْمَنْصِبِ لَا تَبْرَحُ لِحُنَاةِ الْخِيَانَةِ مَهَالِكُهُ وَلِحُنَاةِ الْإِنْسَانِ مَطَالِبُهُ ، نَاطِرًا فِي حُسْنِ وَظِيفَتِهَا بِأَجْتِهَادٍ لَا يَمَلُّ مِنَ النَّظَرِ ، مُتَمَرًّا لِأَوْقَافِهَا بِغَضَنِ قَلَمِهِ الَّذِي لَا يَنْكُرُ لِأَصْلِهِ الصَّائِبِ أَطْيَابُ الثَّمَرِ ، مُلَاحِظًا لِمَبَانِي هَذَا الْجَامِعِ بِسَعَادَتِهِ : وَإِنَّ السَّعَادَةَ لِلنَّحِظِ الْحَجَرِ ، صَارِقًا لِدَوَى الْأَسْتِحْقَاقِ مُسْتَحَقَّهُمْ كَمَا عَهَدُوا مِنْ إِمَامِ بَرَاعَتِهِ الْمُتَنْظِرِ ، مُجْتَهِدًا عَلَى أَنْ يُرْضَى الْوِظِيفَةُ وَالْقَوْمُ ، مُعِينًا عَدُوِّي أَنَامِلِهِ الْخَمْسَ عَلَى عَدِيدِهَا مِنْ فَرِيضَةِ اللَّيْلَةِ وَالْيَوْمِ ، حَالِمًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَحْيَا هَذَا الدِّيْوَانَ فَإِنَّهُ كَمَا عَلِمَ أَصْلُ فِي بَابِهِ ، أَمْرًا بِمَا يَقْتَرِحُ لِنِظَامِ هَذَا الدِّيْوَانِ وَكُتَابِهِ ، مُتَقَدِّمًا حَالٍ مِنْ إِذَا عَمَّرَ دَوَاةً فِي وَقْفٍ كَانَتْ سَبَبًا لِعُمْرَانِهِ أَوْ سَبَبًا - وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ تَعَالَى - لِحَرَآيِهِ ، مُطَالِبًا مَنْ ظَنَّ أَنَّ حِسَابَهُ يُهْمَلُ فِي دَهْرٍ هَذِهِ الْمُبَاشِرَةِ «فَكَانَ حِسَابُ الدَّهْرِ غَيْرَ حِسَابِهِ» ، مُتَخَيِّرًا مِنَ الْكُفَاةِ كُلِّ مَا تُورِ الْفِضِيلَةَ ، وَمِنَ الْأَمْنَاءِ كُلِّ مَأْمُونِ الرَّذِيلَةَ ، وَمِنَ الْقَوَامِ كُلِّ مَنْ لَا يَقْعُدُ عَنِ الْوَأَجِبِ ، وَمِنَ الْوَقَادِينَ كُلِّ مَنْ لَا يُعَابُ بِطُولِ الْفَتِيلَةِ ، جَاعِلًا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ مَا يَأْتِي وَيَذُرُّ سَائِقَهُ إِلَى الْقَوْزِ وَدَلِيلَهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُمِدُّهُ بِالسَّدَادِ ، وَيَصِلُ مَفَاحِرَهُ بِالسَّنَدِ وَيَحْرُسُ شَرَفَ بَيْتِهِ مِنَ السَّنَادِ ، وَيَجْعَلُ كُلَّ مَنْصِبٍ كَرِيمٍ بِاسْمِهِ وَقَلَمِهِ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : «رَفِيعَ الْعِمَادِ طَوِيلَ النَّجَادِ» .



وهذه نسخة توقيع بنظر مدرسة الشيخ أبي عمر، من إنشاء ابن نبأته، كتب به للقاضي «تقي الدين» بالجناب العالی، وهي :

الحمد لله الذي عمّر عهد التقي بتقيّه ، وأقرّ نظره بمشاهدة أبيض العريض تقيّه ، وأخصب منازل الأولياء بمن ينوب تميمه وتديره عن الغيث مناب وليّه ، ومن إذا شهد مقام الزهاد بمعروفه شهد سداد العزم بسريّه .

نحمده على جلي اللطيف وخفيّه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وإني الحق وفيّه ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده أكرم بعده ونبيه ، ورسوله وصفيّه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة يمزج أرجحها كأفور صباح النهار بمسك عشيه .

وبعد ، نغير النظر ما كان به الثواب مأمولا ، والعمل مقبولا ، والآخرة لناهض فيه خيرا من الأولى ، وتخير الأكتفاء لمناصبه الدينية سببا لخير الدارين موصولا .

ولما كانت المدرسة الصالحية بجبل الصالحية المعروفة بالشيخ العارف أبي عمر: رضى الله عنه وأرضاه، وسقى سبل الغيث آثاره الطاهرة وثرأه، مما يتعين في مصالحها حسن النظر، ويتبين في القيام بأمرها فضل الآراء والفكر؛ إذ هي زاوية الخير النافعة، ومدرسة الذكر الجامع، وعش القران المترنمة أطيأره بخفقان القلوب الخاشعة؛ وصفة الفقراء الذين لا يسألون الناس إلحافا، والأصفياء من الطمع الذين لا يتقاضون الدهر إنصافا وإن صافى؛ ومركض سوابق الأعمال والأقوال، ومقر

القرء والقراءة على ممر الليالي الطوال، ومعدن التلاوة المأثور غناؤها في ذلك الجبل وماكل المعادن ولاكل الجبال؛ والبنية لله وتحتاج من ينظر بنور الله في وقفها، ويحفظ مسالك جمعها وصرفيها، ويمى حال درهمها بتدبيره الوافي: فربما أبقته الأحوال منه على نصفها .

وكان فلان ممن لحظ أمورها على بعيد فشغف الملتحوظ باللاحظ، وحفظها على نأي فكأنما روت بالإجازة عن الحافظ؛ وأدار عليها من رشفات قلعه نغمة الساقى، وأنهلها شربة مضي بها ما مضى من تعدد المال: وفي الجرائد باق يطلب الباقي؛ وسأل أهلها بعد ذلك ملازمته للنظر فلزموا، ورفعوا قصصهم في طلبه لهذه الوظيفة فجزموا؛ وكيف لا؟ وهو نعم الناظر والإنسان، وفي مصالح القول والعمل ذو اليدين واللسان، وذو العزائم التي تقيدت في حبه الرتب: «ومن وجد الإحسان»؛ والمتقدم فعله ورأيه في العاجل والآجل، والمأمون الذي يعزى إلى عقيلة نسبة الرشيد ولا تجب أن يعزى المأمون إلى مرآجل^(١)، كم جرت السنة الأوقاف بأوصافه، وكم روى الجامع الصحيح خبراً عن مسلم عفا فيه، وكم جدد لبنائه زحرفاً بعد ما كاد نادب الرسوم يقف على أحقافه؛ كم وفر على الأيتام ميراث وفرها، وكم قال اختيار الملوك الباقية: «لاشكرنك ماحييت» فقال ماضي الملوك ذوى الأوقاف: «ولتشكرنك أعظمى في قبرها» - فافتضى الرأي أن يجاب في طلبه المهتم سؤال القوم، وأن يتصل أمس الإقبال باليوم؛ وأن تبلغ هذه الوظيفة أملها فيه بعد ما مضت عليها من الدهر ملاؤه، وهذه المدرسة التي لولا تداركه لكانت كما قال الخزاعي: «مدارس آيات خلّت من تلاوه» .

(١) يشير إلى المأمون بن هرون الرشيد العباسي وأمه مرآجل .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف - لازل يرعى مصالح المؤمنين - أن يفوض إليه النظر على هذه المدرسة المعمورة، وأوقافها المبرورة؛ إجابة لسؤال من فيها من جماعة الفقهاء ورغبتهم فيه، وأرتقايتهم لعزيمه الذي إذا نظر حالها الأول تلا فيه تلا فيه؛ على أن يتبع في أمرها شرط الواقف برأي غير قاعد، وإن كان لا يزيد فيها على أربعمائة نفر إلا أن يزيد ربع الوقف وهو - إن شاء الله - ببركته وهمنته زائد.

فليباشر ما فوض إليه مباشرة من إذا بدأ أعاد، وإذا دعي لمثل هذا الحال الضعيف طب وعاد؛ مثمرا لمالها - على عادة غضن قلبه الأخضر - أتمارا، مستخلصا للبوافي من أربابها التي تنهب العين وتدعي لقراتها أنكسارا؛ قائلا في حال هذه المدرسة بالعطف، مساويا في المواساة بين فقراؤها عند الميزان والصرف، نازلا بنور بشره ووده بينهم منازل القلب والطرف؛ مجهزا بجيش عسرتهم فإنهم جمع للتلاوة والصلوات، متطلعا لخبرهم فإنهم أجناد صوف الأبخار وسلاحهم الدعوات؛ وتقوى الله تعالى مشتق منها اسمه فلتكن شقيقة نفسه في الخلوات؛ والله تعالى يحفظ عليه حظا نفيسا، وقدرا للنجوم جليسا، ويحيى به ميت الوظائف حتى يقال: أسليان أنت أم عيسى؟ .



وهذه نسخة توقيع بخطابه الجامع الأموي، من إنشاء ابن نباتة، كُتِبَ به باستمرار القاضي تاج الدين «الجناب العالی» وهي:

الحمد لله الذي رفع للناس راسا باستقرار تاجها، وجمع لصدور الحارِبِ شملا بعوائد آبتهاجها، وزين مواقع النعم بالتكرار كما تزان لآلي النظام بازدياجها، وبين مطالع الفرج بعد النعم: وما الدهر إلا ليل عممة ثم صبح أنفراجها .

نحمدُه على مَعَادِ الآمالِ ومَعَاجِهَا ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له
 شهادةً تَمْشِي البصائرُ إلى الحقِّ بِسِرَاجِهَا ، ونشهدُ أنَّ مَجدًا عبدهُ ورسولهُ القائمُ على
 المنابرِ لمداواةِ الفُؤومِ وعِلاجِهَا ، ومُدَاراةِ الخُصومِ ومِجَاجِهَا ، القائلُ له تَأْدِيبُ رَبِّهِ :
 ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ آيَةُ تَبْسِرِي الفِطْنُ على مِنْهَاجِهَا ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله
 وصَحْبِهِ بِجُورِ النِّعَمِ والتَّقَمِّ عَديهَا وَأُجَاجِهَا ، وبُدُورِ مَسَاجِدِ التَّقَى ومَشَاهِدِ الوَعَى عند
 نِجَاجِ لَيْلِهَا وَلَيْلِ نِجَاجِهَا ، صَلَاةِ كِصَلَاتِهِمْ أَمَنَةً من خِذَاجِهَا ، مَا مَدَّتْ نَفْحَاتُ
 الرُّوضِ إلى مَخَالِطَةِ سِيرِهِمْ يَدَ أَحْتِجَاجِهَا ، وَمَا رَجَّتْ مَعَالِيهِمُ التُّجُومَ حُسْنَ بَكَاسِ
 الثُّرَيَّا شَرَفَ أَمْتِرَاجِهَا .

وبعدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاسْتِقْرَارِ مَنَاصِبِ الدِّينِ العَرِيقَةَ ، وَأَسْتِمْرَارِ عُلُوِّ
 الدَّرَجَاتِ : إِمَامًا من المراتبِ مَجَازًا وإِمَامًا من المنابرِ حَقِيقَةً ؛ وَأَسْتِمْرَارِ الوِظَائِفِ بِعِيَادَةِ
 فَضْلِهِ وَلَا سِيَّمَا أَعْوَادِ الخَطَابَةِ ، وَأَسْتِيبَارِهَا بِلَفْظِهِ وَلَا سِيَّمَا إِذَا سُلِّمَتِ الرَّايَةُ
 العَبَاسِيَّةُ من نُطْقِهِ لِعَرَابِهِ - من دَرَجٍ من عُشِّ فُرُوعِهَا خَافِقًا عَلَيْهِ جَنَاحًا عَامِيَّةً ،
 وَصَدِيدًا إلى عَرَشِهَا مُقْبَلَةً بِنَظَرَاتِ الجُفُونِ المِثْمَامِيَّةِ آثَارَ قَدَمِيهِ ؛ وَأَعْرَقَ نَسَبُهُ
 فِي مَوْطِنِ مَكَانِهَا المِكِينِ ، وَبَلَغَ مَقَامَهُ مَقَامَ سَلْفِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الطَّلُوعِ بِأَفْقِهَا المِئِينِ ،
 وَقَالَ أَسْتِحْقَاقُ مِيرَاثِهِ : ” وَمَاذَا تَدْرِي الخُطْبَاءُ مَنِّي ” * ” وَقَدْ جَاوَزْتُ ” بِمَقَامِ السَّلَفِ
 ” حَدَّ الأَرْبَعِينَ ” ؛ وَمَنْ إِذَا سَمِعَتْ خُطَابَتَهُ قَالَ الخُفْلُ : لَأَفُضُّ فُوهَ ، وَلَا عُدِمَ البَيْتُ
 وَلَا بَنُوهُ ، وَمَنْ إِذَا طَلَعَ دَرَجَ المِنْبَرِ قَالَ المِثْمَامِيُّونَ لِسَنَائِهِ : أَهْلَ البَدْرِ؟ قِيلَ لَهُمْ :
 أَخُوهُ ؛ وَمَنْ إِذَا قَامَ فَرِيدًا عَدَّ بِأَلْفٍ من فَرَائِدِ الرِّجَالِ تُتَقَطَّمُ ، وَإِذَا أَقْبَلَ فِي سَوَادِ
 طَبَاسَانِهِ وَاحِدًا قِيلَ : جَاءَ السَّوَادُ الأَعْظَمُ .

(١) الرواية الشعراء وهو تزييت لسحيم الرياحي .

ولما كان فلان^(١) هو معنى هذه الإشارة ، وخصوى هذه العبارة ، وصدر هذا التصدير : ومن سواه أحق بصفات الصدارة ؟ ، ومن إذا ضرب المثل بالخطابة النبائية في حلب قال لخطابته بدمشق : «إياك أعني فاسمعي يا جاره» ؛ ومن نسا في محل نغار طيب المعاقيد ، ومن وضع رجله على المنابر ومد عزمه إلى الفراقد ؛ ومن شمر في أوائل عمره إلى العلياء وحيدا وخلف دونهما من أنداده ألف راقد ؛ ومن إذا صعد للخطابة أنشد الحفدة :

ولما رأيت الناس دون محله • تيقنت أن الدهر للناس ناقد

وكانت خطابة الجامع الأموي المعمور بذكر الله تعالى بدمشق المحروسة هو الذي كل بنان إلى حسنه يُشير، وكل ذي مذهب إذا عين تصنيف وضعه قال هذا فقيه المحاسن هو الجامع الكبير ؛ ميزابه (؟) المسلم لرشده، المعلم بطرازي نسبه ورشده، المقدم ليد نصرته سيف خطابه لا يخرج بيد الاستحقاق عن حده ؛ تكاد المنابر تعود للنشأة الأولى طربا لسجع بيانه ، يُسهب ويقول الناس لئنه لا اختصر ، ويؤدون لو ليس كل يوم سواد أهيته وزيد فيه منهم سواد القلب والبصر ؛ وعارضه من العظاء الكفاة من نوى بدلا فابى حنوا الدولة إلا عطفوا ، ونازله وارد من القضاء ولكن أنزل الله عليه مع القضاء لطفًا .

ولذلك رسم بالأمر الشريف أن يستقر على عادته في خطابة الجامع المذكور ، وما يتعلق بذلك : من تدريس وتصدير ، وتقرير وتقدير ، وتأثيل وتأثير ؛ ومحكوم بالنفويض إليه ومحكم ، ومرسوم لا يُغير عليه ما رسم به وما رسم ؛ وأن يمنع دليل

(١) الكلام هنا غير مستقيم ولعل الصواب «ولما كان فلان هو معنى الخ وكان الجامع الأموي هو الذي الخ تعين أنه المسلم ليد .

الاعتراض ويُدفع ، ويُكفَّ حتى تتصل العناية بهذا البيت الذي هو من بيوت أذن الله أن ترفع ، وحتى يعلم أن قوماً أحسنوا صحبة الدول فسعدوا ، ونهبوا عهود الخدمة لأعقابهم وهجدوا ، وحتى يقول هذا النجل الظافر بعد أبائه وأخيه : كَيْتَ أَشْيَاخِي بِيَدْرِ شَهْدُوا .

فليعد حديث منصبه القديم ، وليقم إلى تصنيف الأسماع من تير لفظه بأهبي من العقد النظيم ، وليفك أسرى القلوب برواتب إشارته : فإنه «الفاضل عبد الرحيم» ؛ وليبسك العيون بوغظه وإن أقرها بمشاهدته ، وليحرص على نحر الدولة الشريفة به كما نحر سيف الدولة بأبن نبأته .

ووصايا هذه الرتبة متشعبة وهو على كل حال أدرى بها ، وما استقرت على قبض سيوفها يده إلا ورجعت الحقوق إلى نصابها ؛ وكذلك ما هو معدوق بوظائفه : من مدارس علوم ، ومجالس نظير طالما نظر في كتبها وهو الصحيح نظرة في النجوم - لا يحتاج فيها إلى مطالعة الوصايا فإنه من كل أبوابها دخل ، ولا يمر بها على أذنه فم المبلغ فإنها من فمه أحلى ، ومن تسويغ فمه أحل ؛ ولكن التذكار بتقوى الله تعالى فيما يأتي ويذر أس جليل ، ووجه تفاضل وجوه الألفاظ من ذكره على لفظ جميل ، والألفاظ الخطيب المتقى إذا وصلت من القلب إلى القلب وقت برى الغليل ؛ والله تعالى يمدّه بالطفاه ، ويحريه على عوائد إسعاده وإسعافه ، ويروي بصواب كليم الأسماع وبصوب الغمام عهود أسلافه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة المسرورية بدمشق ، من إنشاء الشيخ صلاح الدين الصفدي ، كتب به للشيخ « تقي الدين السبكي » بـ «المقر الكريم» وهي :

الحمد لله الذي جعل تقي الدين علياً، وأوجده فرداً في هذا الملا فكان بكل علم ملياً، وأظهر فضله الجليل فكان كالصباح جلياً .

نحمده على نعمه التي تكاثرت فأشجبت الغائم، وتوفرت الألسنة على حمده فتعلمت أنبجاعها الحمايم، وتأثرت بمواقفها الأحوال فأنحلت زهر الخمايل في الكمايم . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا شبهة تُعكّر ما صفاً من جلتها، ولا ريبة تُوعر ما تسهل من محجتها، ولا ظلمة باطل تُكدر ما أثار من حجتها . ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي جمعت فيه مكارم الأخلاق، وتفردت بزايا منها أنه حبيب الخلاق، وشارك الأنبياء في معجزاتهم وزاد عليهم بما أُتيح له من خميس لم يعطهن غيره منهم على الإطلاق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تفقهوا في الدين، وحازوا الأجور لما جروا إلى جز الغلاصم من الملحدين، وأنزلوا لما نزلوا أبطال الباطل والمعتلين من المعتدين؛ صلاة يفوح نسيم رياها المتأرجح، ويلوح ويسيم نحياها المتضرج؛ ما فرج العلماء مضايق الجدال في الدروس، وقبلت نغور الأفلام وجنات الطروس؛ وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد، فإن المدارس - عمرها الله تعالى بالعلماء - لو أقيمت شروط، ولأهلها همم أنزلها بالنجوم منوط؛ يفوضون بحور البحوث في طلب الآلي، ويقطعون ظلل الظلام بالسهر في حب المعالي؛ سيما المدرسة المسرورية: فإن واقفها - أتابه الله تعالى - شرط في المدرس بها شروطاً قل من يقلها، أو يتحلى بعقودها أو يحلها؛ وكان مفرقها قد تحلى بتاج تجوهر، ومغلقها قد ضم منه فاضلاً تمهدت به قواعد المذهب لما تمهر؛ فأعرض عنها، ونفض يده منها؛ رغبة في الإقبال على شأنه، وأقطاعاً إلى مالك الأمر وديانته؛ نخلاً ربعتها من أنسه، وكادت تكون طلالاً بعد درسه .

وكان فلانٌ - أسبغ الله ظله - قد وافق بعض ما فيه شرط الواقف ، وشهد
 بنشر علومه البادية والعامية ، وطاف بكمبسة قوائمه كل طائف ، ينصرف عنه
 باللطائف ؛ أما "التفسير" فإنه فيه آية ، وأما "الحديث" فإنه الرحلة في الرواية
 والدراية ؛ وأما "الأصول" فإنه زار به «الرازي» حتى آخنفي ، وأما "الفقه" فلو شاء
 أملى في كل مسألة منه مصنفًا ؛ وأما "الخلاف" فقد وقع الاتفاق على أنه شيخ
 المذاهب ، وأما "العربية" «الفارسي» يعترف له فيها بالغرائب ؛ إلى غير ذلك من
 العلوم التي هو لها حامل الرأي ، وله بالتدقيق فيها أتم عناية ، وإذا كان أهل كل علم
 في المبادئ كان هو في الغاية .

فذلك رسم بالأمر العالي - أعلاه الله تعالى - أن يفوض إليه كذا وكذا : وضعا
 للشيء في محله ، ومنعاً لتاريخ ولاية غيره أن يقبأ في غير مستهله ؛ فالآن أمسى
 الواقف مسرورا على الحقيقه ، والآن جرى الخلاف فيها على أحسن طريقه ؛ وهو -
 أسبغ الله تعالى ظله - أجل خطرا من أن يذكر بشيء من الوصايا ، وأعظم قدرا
 من أن تدل المعية على نكبتها الخفايا ؛ لأنه بركة الإسلام ، وعلامة الأعلام ،
 وأوحد المجتهدين والسلام ؛ والله تعالى يمتع المسلمين ببقائه ، ويعلى درجات أرتقائه ؛
 وانخط الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجة في ثبوت العمل بمقتضاه ؛ إن شاء
 الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الناصرية الجوانية ، من إنشاء الصالح
 الصفدي أيضا ، كتب به للقاضي ناصر الدين «محمد بن يعقوب» كاتب السر يومئذ
 بالشام ، حين عاد إلى تدرسه بها بعد انفصاله عنه ، به «المقر الكريم» وهي :

الحمد لله الذى بدأ النعم وأعادها ، وأفاء المنن وأفادها ، وزان المناصب السنية
 بمن يليها وزادها ، وشاد عماد المعالى بأزبابها وصانها عماداً دهنياً .

نحمده على نعمه التى بدأت بالمعروف وتمت ، وخصصت بالإحسان وعممت ،
 وبرأت من النقائص وسأمت ، وفلت بالأطراف الخفية صوارم الحوادث وثلمت .
 ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تضىء بها الحناديس ، وتركو
 بأنوائها منابت الإيمان والمغارس ، وتسمو بأفتنائها إلى علبين النفوس النفايس ،
 ويرغم المؤمنون بإعلامها من الكفار المعاطس ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله
 الذى تم للناس مكارم الأخلاق ، وأحجل بحود كفه الفياض صوب الغيث الدفاق ،
 وفضح البدر اللياح فى الدجى بنور جبينه البراق ، وتقدم النبين والمرسلين فى حلبة
 الشرف على جواد فضله السباق ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أعلى من نصبوا
 للهدى أعلاماً ، وأرقى من أصبح العلم لفضيلهم الباهر رقماً ، وأحلى من كان الزمان
 بوجودهم وجودهم للعفاة أحلاماً ، وأقوى من كان الإيمان بهم إذا استنجد على
 الكفر أقراماً ؛ صلاة لا ينقد لها أمد ، ولا يفتى لها مدد ، ما شب بارقاً ونهد ،
 وشفى الغمام طرف زهير من الرمى ؛ وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن مدارس العلم الشريف لها الذكر الخالد ، والشرف الطارف والتأيد ؛
 بها تبتين فوارس الخلال فى مضائق الخدال ، وتتجلى بدور الكلام فى مطالع الكمال ،
 وتبدو شمس الجلال فيما لها من قسيح المجال ؛ والمدرسة الناصرية - أتاب الله تعالى
 واقفها - هى الواسطة فى عقودها ، والذرة الثمينة بلا كفى لها بين قيم تقودها ؛
 قد تدبج فيها البناء ، وتأرجع عليها البناء ، وتخرج عنها الحسن فإن له بها مزيد
 أعتناء .

وكان المقر الفلاني قد نفض يده من عنائها ، ورفض عن اختيار بهاء جنانها ؛ ونحى طلبته عن محاورتها ، ورمى أميته من مجاورتها ؛ فساء من بها من أهل العلم فرأفه ، وأوحشهم وجهه الذي أنجبل البُردور رونقه والبحر أندفاقه ، وفقدوا مكارمه التي ماسم « السمعاني » بمثلها ولا وصلت إلى « الصولي » ولا ضمتها أوراؤه .

فذلك رسم بالأمر العالی أن يعاد إلى تدريسها : لأن العود أمدح وأحمد ، والرجوع إلى الحق أسعف وأسعد .

فلباشر ما فوض إليه مباشرة ألفت من كمال أدواته ، وعرفت من جمال ذاته ؛ نائراً أعلام علومه المتنوعه ، وقضائله التي تقصر عن الثناء عليها أنفاس الرياض المتصوغة ؛ فلو عاصره « ابن عطية » أمسك عنه في تفسيره ، أو « صاحب الكشاف » لغطى رأسه من تصديره ؛ أو « الرافعي » لأصبحت رأيه رأيه في الفقه خافضة رافعه ، أو « النووي » رحمه الله لاستعار منه زهرات روضته اليانعة ؛ أو « الأيمدي » لما امتدت له معه في أصوله خطوه ، أو « ابن الحاجب » لما كان له مع ابن الحاجب خطوه ؛ أو « ابن يعيش » لما ذكره في النحو فكان فقيداً ، أو « ابن مالك » لأسمى « تشبيهه » تعقيداً ؛ أو « الشبلي » لعلم أنه ما شب له في التصريف مثل شبيله ، أو « ابن عربي » لأعرب عن عجمية وما تمسك صوفي بجبله ، إلى غير ذلك من إنشاء إنشاء ساد فيه العبدین : « عبد الحميد » و « عبد الرحيم » ، ونظم كما نظماً إلى رشفه طافت علينا قوافيه بكأس مزاجها من تسنيم ، وعلى الجملة فتفصيل معارفه يضيق عن فضها فضاء هذا التوقيع الكريم ، وسرد محاسنه لا تتسع له حواش . هذا البرد الرقيم ؛ ولكن أشارت أمثلة القلم منها إلى نبذه ، وعلمنا أن القلوب تستأق إلى أوصافه فقلدنا لها من ذلك فلذه .

(١) لعله « عن تفسيره » .

وأما الوصايا فبئس الله لا يدرك بئسئى منها ، ولا يقال له : دَع هذه الودعة وهذه الدرّة صنّها ؛ لأنّ الأمر والنهى له فى ذلك ، وإذا أطلع بدور وصية صوّاً أحوال الدياجى الحوَالِك ؛ ولكن تقوى الله عز وجل ذكرها فى كلّ توقيع طرازه المعلم ، ونكته التى طودها لا يثمل وحدها لا يثلم ، فليكن مستصحب حاليها الحالى ، مستصعب فراقها الذى يهونه البال البالى ؛ والله تعالى لا يخلّ رُبوع العلم من أنسه ، ويعمل سعده فى غد زائداً كما زاد فى يومه على أمسه ، والخط الكريم أعلاه ، حجة فى ثبوت العمل بمقتضاه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة النورية ، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة ، كتب به لقاضى القضاة «نجم الدين الحنفى» بزول والده عنها بـ«الحناب الكريم» وهى :

الحمد لله الذى ائتمى أهلة العلم فأبدرت ، وفروعه فأثمرت ، ونجومه فاستقلت
مطالعها النورية وتورّت ، ولآله فى بحار اللفظ والفضل فجوهرت ، وأنهاره التى
أخذت فى المدّ ماخذ تلك البحار فاسترحبت وأستبحرت .

نحمده على نعمه التى قرّت وقرّت ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة إذا حصّلها اليقين وفرت ، وإذا نصلها الإخلاص مضت فى أوداج الباطل
وفرت ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الحاكم فى فصل الأفضية لما شجرت ،
والناظم دُرر الإيمان حتى زهت فى أعناق العقائد وزهرت ، صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه فئمة الحق التى ظهرت وطهرت ، وعصاية الإسلام التى سرت خلفها

(١) مستعار من نصل السيف والرمح والسهم ركب فيه النصال وهو حديد .

سرايا الدين نهجرت في الله ونصرت، صلاة طيبة تحلوا إذا تكررت، وتحيية باقية
تشرق شمسها إذا الشمس كورت، وتعبق نفات نثرها إذا الصحف نثرت .

أما بعد، فإن منازل العلم من خير ما أتى الآباء للأعقاب، وأكل ما ذر لعنبا
الأبناء على مدى الأحقاب، وأعدل ما شهد بلسان حاله المتمثل أن وكر العقاب
لابن العقاب، وكانت المدرسة النورية الكبرى بدمشق المحروسة هي الواسطة
والمدرس دُرر، والصبح وأوطان العلم غرر، ومترلة الحكم الأمتع، ويث القضاء
الذي أذن الله لصدريه أن يرفع، ومكان ذى اليد الماضى سيف حكمه إذا قرعت
العصا لذى الإصبع، وذات العباد التي أذخرها لنجليه، وأعد فضلها في العباد والبلاد
لفضله، وكان ذلك قد نزل لولده فلان عن الحكم على هذا الحكم، ونطق بمزية
الاستحقاق وقلوب بعض الأعداء صم بكم، ورغب - أجله الله - فيا يرغب فيه
من الأقطاع ذو السن العالى، والقدر العالى، وأنظم تقليده الشريف فكان أجود
حلية على أحسن جيد حالي، ثم التوقيع بتدريس هذه المدرسة التي رزكت في أهل
الفضل شهيدها، ونظرها الذى خلف في حكمه ولي عهد من عن أبيه: فله أمين هذه
الخلافة ورشيدها .

ولذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إلى فلان تدريس المدرسة النورية
ونظرها: لاستحقاقه لها بسفعة منصب الحكم العزيز، ومنشأ الفضل الحرير،
ووجيز التزول المكتتب، وقبول هبة والده الذى يعتاد أن يهب الجليل لمن يهب،
وتشريفه بإنعامها النفيس، وإجلالها بها على مرتبة حكم وبساط نظر وسجادة
تدريس، وعلمها بأن نجم ذلك النير أولى بهذه المنازل، وشبل ذلك الأسد أحق

(١) لعله «وكان ذلك الامام الموصوف» أى والد نجم الدين .

(٢) نص أهل اللغة على أن السن بمعنى العمر مؤنثة .

بهذا الغاب المائل؛ وأنه كوكب هذا المذهب المنير، وإمام جامعته المعروفين : كبير
وصغير؛ وصاحب شبيبة العزم المقتبل ، والرأي الموفى على قياس الأمل ؛ وتجنيس
الجود والإجاده ، وتكميل بحري العلم والبر واجتهاد الزيادة ؛ وأنه ممن آتاه الله رفعة
في القدر والاسم ، وزاده بسطة في العلم والجسم ؛ وأحكم يديه علمه فما تستوقف
الاسماع رويته ، وأعلاه وعظمه فما هو النجم الذي تستصغر الأبصار رؤيته .

فليباشر تدريس هذه المدرسة ونظرها بعزمه الباهر وصفا ، التالي بلسان الحمد :
(وإبراهيم الذي وفي)؛ جارياً على أعراق نسبه المشهور، فائض اللفظ والفضل فإنه
بحر من البحور؛ مظهرًا من مباحثه التي تقلد العقول بأهلي مما تقلد النحور، مهديًا
من رأيه ومن بركة الواقف - رضى الله عنه - بئور على نور، والله تعالى يزِينُ بجمه
أفق السيادة، ويزيدُ فيما وهبه من الفضل إن كان التمام يقبل زياده .



توقيع بتدريس المدرسة الريحية الحنفية، من إنشاء ابن نباتة ، كتب به
للقاضى «عماد الدين الحنفى» بـ«الحناب الكريم» وهو :

الحمد لله الذى جعل مدارس العلم بذات عمادها ، وصاحب نفلها واجتهادها ؛
ومُنشِر عهدها ومُنشئ عهادها ، وواصل مناسبتها التي لو آذناها دونه زيد لكنت
دعوى زيادها ، ومُنصِح فتاويها على منبر قلم أهرعُوده ونفح وأطرب : فهايك
بثلاثة أعوادها ! .

نحمده على نعمة التى قضى الحمد بأزديادها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تُعدّها النفس لمعادها ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله هادى الأمة

إلى سبيل رشادها ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بِحَارِ الْعِلْمِ وَأَطْوَادِهَا ، مَا قَامَتْ
الطُّرُوسُ وَالسُّطُورُ لِعُيُونِ الْأَلْفَاظِ مَقَامِ بِيَاضِهَا وَسَوَادِهَا .

أَيُّهَا بَعْدُ ، فَإِنَّ لِمَذَاهِبِ الْعِلْمِ رِجَالًا يَوْصَحُونَ طُرُقَهَا ، وَيَمْدُونَ فِي الْمُبَاحِثِ طَلْقَهَا ،
وَيَعْمَرُونَ مَدَارِسَهَا : فَيَالَهَا مِنْ ذَاتِ دُرُوسٍ يَكُونُ الْعُمَرَانُ مُعْتَلِقَهَا وَمُعْتَبِقَهَا ! .

ولما كانت المدرسة الرِّيحَانِيَّة بِدِمَشْقٍ فِي أَيْدِي الْعُلَمَاءِ نُحْبَةً رِيحَانِيَّةً ، وَشَقِيْقَةً
نَفْسٍ نَعْمَانِيَّةً ؛ مَاهُوْلَةً الْمَنَازِلِ وَالْمَنَازِلِ بِكُلِّ ذِي فَضْلِ جَلِيٍّ ، وَعِلْمٍ مَلِيٍّ ؛ وَوَصِيفٍ
كَرِيمٍ ، وَنَفْسٍ نَفِيسٍ يَتَلَقَّاهُ مِنْهَا رَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ؛ وَخَلَّتِ الْآنَ مِنْ إِمَامٍ
كُرِّمَتْ خِلَالُهُ ، وَعَظُمَتْ خِصَالُهُ ، وَمَضَى وَتَمَضَى وَمَا يَبْقَى إِلَّا اللهُ جَلَّ عَنْ الْحَوَادِثِ
جَلَالُهُ - فَتَعَيَّنَ أَنَّ تَخْتَارَ لِتَدْرِيسِ مَكَانِهَا مِنْ يَفْتَخِرُ بِهِ الْمَكَانُ وَالزَّمَانُ ، وَيَنْشِيدُ
بِزِيَادَةِ عِلْمِهِ لِصَاحِبِ مَذْهَبِهَا أَعْضَافٌ مَا شَادَهُ زِيَادَ اللَّعْنَانِ ؛ مِنْ شَيْدِ الشَّرِيعَةِ
الشَّرِيفَةِ مَقَالُهُ وَمَقَامُهُ ، وَعِلَاقِ عِمَادِهِ إِلَى عُقُودِ الشُّهْبِ فَلَهُ مَرَادُهُ وَمَرَامُهُ ، مِنْ
لَوْ عَاصِرِهِ «أَبْنِ الْحُسَيْنِ» لِحَسَنِ أَنْ يَعْتَرِفَ بِقَدْرِهِ الْجَلِيلِ ، وَقَالَ عِنْدَ مَحَاضِرَةِ بَحْثِهِ
كَمَا قَالَ «أَبُو يُوْسُفٍ» : فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ؛ وَأَسْتِرَادٌ «شَمْسِ الشَّرِيعَةِ» فَكَيْفَ «السَّرَاجِ»
مِنْ لَمَعِهِ الْبَرِيقِ ، وَقَالَ «أَبْنِ السَّاعَاتِي» : مَا رَأَيْتُ أَرْفَعُ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ دَرَجَةً
وَلَا أَبْدَعُ مِنْ هَذَا الذَّهْنِ دَقِيقَةً .

ولذلك رُسمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ عَالِيًا بِأَمْرِهِ كُلِّ عِمَادٍ ، زَاهِيًا بِجَاهِدِ مَلِكِهِ
كُلِّ نَاطِقٍ وَجَمَادٍ ، أَنْ يَقْوِضَ لِفُلَانٍ لِأَنَّهُ الْمَعْنَى بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَوْصَافِ
الْحُلُوءِ إِذَا تَكَرَّرَتْ ، وَالْمَقْصُودُ بِالْفَظَائِطِ إِذَا تَعَنَّنَتْ الْأَفْهَامُ وَتَيَسَّرَتْ ؛ وَالْمَعْوَدَةُ فَرَايِدُ
مُبَاحِثِهِ الْمَفْرَقَةُ بِ «إِذَا الْكَوَاكِبُ آتَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ جَحَّرَتْ» ؛ وَإِمَامُ الْمَذْهَبِ
الْحَنَفِيِّ وَالْحُكْمِ الْأَخْنَفِيِّ ، وَحَصَاةُ الْقَلْبِ الَّتِي تَنْسِفُ بِإِشَارَتِهَا جِبَالَ «النَّسْفِيِّ» ،
وَلِسَانُ النَّظَرِ الَّذِي أَشْرَفَ عَلَى بُعْدِهِ فَأَخْتَفَى فِي قُرْبِهِ الْمَشْرِفِيُّ ؛ وَصَاحِبُ التُّنُونِ وَمَا

وَسَقَتْ ، وَأَفْنَانِ الْحُكْمِ وَالْحِكْمِ وَمَا بَسَقَتْ ، وَنُعُوتِ الْفَضْلِ وَالْفَضَائِلِ وَمَا عَطَفَتْ
من البيان وَنَسَقَتْ .

فَلْيَتَوَلَّ تَدْرِيسَ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْمَعْمُورَةِ مُؤَيَّدَ الْوَلَايَةِ ، مُجَدِّدَ الْبَدَايَةِ لِحَنِيفِيَّتِهَا
وَالنَّهَايَةِ ، سَاجِدًا قَلَمُ الْفُتُوَى وَالْفُتُوَى كَمَا تَلَا كَرَمُهُ وَكَلِمَةُ آيَةٍ بَعْدَ آيَةٍ ، مُنْفِقًا مِنْ
أَلْفَاظِهِ حَتَّى يَسْتَعْنِي عَنْ "الْكُتْرَ" وَصَاحِبِهِ ، وَيُرَدِّدُ فَرَعَ الْمَقَالِ عَلَى الْأَصْلِ وَطَالِبِهِ ،
وَيُعْرِضُ عَنْ أَعَارِيضِ "الْبَسِيطِ" ، وَيُغْرِقُ فِي أَفْكَارِ وَارِدِهِ "المَحِيطِ" . وَبِمَدِّ سِمَاطِ
الْعِلْمِ الَّذِي وَفَى بَعْدَ «الْقُدُورِيِّ» وَمَا خَانَ ، وَتَفَخَّرَ بِقَاضِيهَا أَعْظَمُ مَدِينَةٍ فَمَا يَضُرُّهَا -
فَقَدْ « قَاضِي خَانَ » ، وَتَتَذَكَّرُ الْمَقْدَمِيَّةُ مِنْ طَلَبَتِهِ فَوَائِدَ الْحَلَقَةِ ، وَيَنْتَقِلُ الْجَنَابُ
الْكَرِيمُ مِنْ تَقْدِيمَتِهَا إِلَى مَا هُوَ أَوْفَى فِي الْغَرَضِ وَأَوْفَرُ فِي النَّقْهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُ رُتَبَ
الْعِلْمِ بِهِ سُرُورًا ، وَيَجْعَلُ لَهُ بِاسْتِطْلَاعِهَا كِتَابَ حَكِيمٍ وَحَكِيمٍ يَلْقَاهُ مَنشُورًا .



وهذه نسخة توقيع بتصدير بالجامع الأموي ، كُتِبَ بِهِ لِقَاضِي الْقَضَاةِ «عِلْمُ الدِّينِ
أَبْنُ الْقَفْصِيِّ» قَاضِي قَضَاةِ دِمَشْقَ بـ «المَقَرَّ الشَّرِيفِ» وَهِيَ مِنْ تَأْفِيفِ كِتَابِ
الزَّمَانِ . عَلَى أَنَّهَا بِالْمَدْرَسِ أَلْيَقُ مِنْهَا بِالْمَصْدَرِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْلَى عِلْمِ أُمَّةِ الدِّينِ إِلَى أَعْلَى الْعُرْفِ ، وَمَيَّرَهُمُ بِالْعِلْمِ الشَّرِيفِ الَّذِي
يَسْمُو شَرَفُهُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ، وَأَوْصَحَ بِهِمْ مَنهَجَ الْحَقِّ الْقَوِيمِ فَعَلَّا بِإِرْشَادِهِمْ سَبِيلُ
الْهُدَى وَأَنْكَشَفَ .

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَفَاضَ مِنْ نِعَمِهِ الْمَتَوَاتِرَةِ كُلِّ حِينٍ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى إِحْبَاءِ مَعَاهِدِ
الْمَعَايِدِ بَيْنَ حَدِّمَا حَدُّوا الْأَوْلِيَاءَ الْمُتَّقِينَ ، حَمْدًا يُظْهِرُ الْآيَاتِ الْحَمْدِيَّةَ وَالْبِرَاهِينَ ،
وَيَبْسُطُ ظِلَّ مَنْ هُوَ عَنِ الْحَقِّ لَا يَمِينُ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَيَعْلَمُ عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أُوتِيَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ لِشَيْبَةَ : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا فَكَانُوا أُمَّةً مُسْلِمِينَ ، وَالْعُمْدَةُ عَلَى أَقْوَامِهِمُ الَّتِي نَقَلُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، عَلَى تَوَالِي الْأَيَّامِ وَالْجُمُعِ وَالْأَشْهُرِ وَالسِّنِينَ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَتْ أَعْلَامُ الْعُلَمَاءِ فِي الْآفَاقِ مَنَشُورَةً ، وَرُبُوعُ الْفَوَائِدِ بِطَرِيقَتِهِمُ الْمُثَلَّى مَعْمُورَةً ، وَصُدُورُ الْمَعَايِدِ الشَّرِيفَةِ مَحْتَاجَةً إِلَى صِلَتِهَا بِكُفَّيْهَا الْفَرْدِ مَسْرُورَةً ؛ وَكَانَ فُلَانٌ - أَسْبِغِ اللَّهُ تَعَالَى ظِلَالَهُ ، وَضَاعِفِ جَلَالَهُ - هُوَ الَّذِي مَلَأَتْ مُبَاشَرَتُهُ الْعُيُونَ وَالْأَسْمَاعَ ، وَأَنْعَقَدَتْ عَلَى تَفَرُّدِهِ فِي عَصْرِهِ كَلِمَةُ الْإِجْمَاعِ ، وَأَشْتَهَرَ ذِكْرُهُ بِالْجَيْلِ بِأَنْوَاعِ الْمَكْرَمَاتِ وَأَطَاعَهُ مِنْ مُشْكَلِ الْمَذْهَبِ مَا هُوَ عَلَى غَيْرِهِ شَدِيدُ الْإِمْتِنَاعِ ؛ وَأَضَحَّتْ فِضَائِلُهُ « الْمَدَوْنَةَ » وَلَفِظُهُ الْجَلَّابَ ، وَكَتَفَهُ « الْمَوْطَأَ » لِلطَّلَبَةِ يُفْنِيهِمْ عَنْ مَعَايِدِ « عَبْدِ الْوَهَّابِ » ؛ وَعَزِيْمَتُهُ لَا يُلْحِقُ غُبَارَهَا فِي الْمَعَارِكِ ، وَلَا يَظُنُّ خُدَامُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْأَدْبِيَّةِ إِلَّا أُمَّ مَالِكٍ وَأَبْنَ مَالِكٍ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ يَجْمَعُ لَنْ بَرَعَ فِي الْعُلُومِ مِنْ أَلْوَانِ الْمَنَاصِبِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَيَرْفَعُ قَدْرَ النَّوْمِ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ عَلَى التَّقْوَى مُؤْتَلِفَةٌ - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي وَظِيفَةِ التَّصْدِيرِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بِدِمَشْقِ الْمَحْرُوسَةِ - عَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذِكْرِهِ - عَوَضًا عَنْ فُلَانٍ بِحُكْمِ نَزْوَلِهِ عَنْهُ بِرِضَاهُ ، حَمَلًا عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ التَّرْوِيلِ الشَّرْعِيِّ ، بِالْمَعْلُومِ الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ دِيْوَانُ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ ، عَلَى أَجْمَلِ عَادِهِ ، وَصَرَفَهُ إِلَيْهِ مَهْنَةً مَيْسَرًا أَسْوَةَ أَمْثَالِهِ .

فَلْيَبِاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيفَةَ عَلَى عَادَةِ مُبَاشَرَاتِهِ الَّتِي حُفَّتْ بِالْعُلُومِ ، وَأَفْتَحَتْ بِجُسْنِ الْمَنْطُوقِ الدَّالِّ عَلَى الْمَعْنَى الْمَفْهُومِ ؛ وَيُنَدِّ مَوَائِدَ عِلْمِهِ الْمَحْتَوِيَّةَ عَلَى أَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ ،

وليُبين ما يخفى على الطلبة بأوضح الدلائل؛ وليؤدّ الفوائد الواصلة إلى الأذهان على أحسن أسلوب، وليقرّر الأصول التي أمتدت فروعها بقواعد السنة المحمدية وفي ثمرها الحني تقوية القلوب؛ وليكرّم منهم من يضح فضله لديه وبين، وليبسّط همهم بقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». وليوضح طريق إرشاده ليسهل سلوكها عليهم، وليجعل وفود فوائده في كلّ وقت وإصلة إليهم، وليتبّع «إمام دار الهجرة» في مذهبه المذهب، وليخلّد من صفاته الجميلة ما يذهب الزمان ولا يذهب؛ وليسمح للفقهاء بمواصلة فضله الأعم، فإنه أن يهدى به واحد خير من حمر النعم.

والوصايا كثيرة ومنه يطلب بيانها، وبه تقوى أسبابها ويعلو بنائها؛ ولكن الذكري تنفع المؤمنين، ويظهر [بها] سرّ خبرهم ويستبين؛ وتقوى الله تعالى هي العروة الوثقى، والخصلة التي بها يعظم كل واحد ويرقى؛ فليواظب عليها، وليصرف وجه العناية إليها؛ والله تعالى المستول أن يجعل علم علمه دائماً في الآفاق منشوراً، وذكره الطيب على ألسنة الخلائق كلّ أوان مذكورا.

المرتبة الثانية

(من تواقع أرباب الوظائف الدينية بحاضرة دمشق -

ما يفتتح بـ «أما بعد حمد الله» وفيها عدّة وظائف)

وهذه نسخ تواقع من ذلك .

توقيع بقضاء العسكر بدمشق، كتب به للقاضي شمس الدين «محمد الإخنائي»

الشافعي، بـ «بالجناب العالی» وهو :

أما بعد حمد الله تعالى مضاعف النعمة، ومُرادف رتب الإحسان لمن أخلص في خدمته، ومُجدد منازل السعد لمن أطلعت كواكب أهتامه في آفاق الأمور المهمة؛ والصلاة والسلام الأتمين الأتمين على سيدنا محمد وآله الذي بشر بنصر هذه الأمة، ووعد بأن سيكشف به غمام كل غممه، وأنه يتجاوز عن أهلها بشفاعته وكيف لا؟ وقد أرسل للعالمين رحمته، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تجزل لقائلها نصيبه من الأجر وتوفر قسمه - فإن أحق الأولياء من تأكدت له أسباب السعادة، وكافأناه بالحسنى وزيادته، وبلغناه من إقبالنا غاية مآربه ومطالبه؛ وعرفت منه العلوم التي لا يسك فيها، والنباهة التي لا يقدر أحد من أقرانه يوقها؛ والخبرة الوافية الوافية، والديانة الباطنة والظاهرة؛ وسار بعلمه المثل، وسلك مسلك الأولياء في العلم والعمل؛ واعتبرت أحواله التي توجب التقديم، واختبرت فعاله التي ضاعفت له مزيد التكريم.

وكان فلان - أدام الله تعالى نعمته - هو الذي اتقن العلوم بحثاً وتهذيباً، وبرهن عن المسائل الشرعية بأفهام تزيدها إلى الطالبين تقريباً؛ وأوضح عويص مشكلاتها، وصحح من أسن العرب لغاتها.

فلذلك رُسم بالأمر العالی - لا زالت تسمه بالعناية مشرقه، وأنواء فضائل أوليائه مُعَدَّقَه - أن يستقر فلان في وظيفة قضاء العساكر المنصورة الشامية: حملاً على ما بيده من التزول الشرعي، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته، ومعلومه الذي يشهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت. فهو الحاكم الذي لم يزل للعساكر المنصورة نعم الصاحب، والمورد على سمعهم من الأحكام الشرعية ما يقتدى به الحاضر والغائب؛ والقائم بأعباء العساكر المنصورة، والحافظ لنظام الملك الشريف على أحسن صورته.

فليأثر هذه الوظيفة المباركة وليحل في قضاء العساكر المنصورة بطاعته السنية ،
وليفصل بينهم في الأسفار كل قضية ، ويعرفهم طرق القواعد الشرعية ، وليحترز
في كل ما يأتيه ويذرّه ، ويقصده ويحذره ، ويورده ويصدره .

والوصايا كثيرة ومنه تستفاد ، وإليه يرجع أمرها ويعاد ، ولكن لا بد للقلم
من المرح في ميدان التذكار ، والتنبيه على منهاج التقوى التي هي أجمل شعار ،
والله تعالى يمنحه من إحساننا جزيل العطاء والإيثار ، ويسمعه من أبناء كرمنا كل
آونة أطيب الأخبار ، بمنه وكرمه ! .



توقيع بنظر جامع يلغا الجياوى ، كتب به للا مير جمال الدين « يوسف شاه »
العمرى الظاهرى بـ « بالجناب الكريم » وهو :

أما بعد حمد الله الذى أظهر جمال الأتقياء في كل مشهّد وجامع ، وقدمه بما أولاه
على كل ساجد ورايع ، وخصه من فضله بما قصرت عنه الآمال والمطامع ؛
والصلاة والسلام الأتمين الأكلين على سيدنا محمد عبده ورسوله مؤلى الخير الواسع ،
والإحسان المتتابع ، ومن أحيا جود جوده النفوس وسر القلوب وأطرب ذكرك
عظاته المسامح ، وعلى آله وصحبه النجوم الطوالع ، والذين أودعهم العلم الذى آناه
لإقامة دينه من لا تخيب لديه الودائع ؛ والتشريف و [الإكرام] ، والتبجيل
والإعظام - فإن أولى من رعيننا له حق الخدم ، ووقوفه في الطاعة الشريفة على
أثبت قدم ؛ من قام بما لم يقم به غيره ، وحسنت سيرته وسيره .

وكان فلان أدام الله تعالى نعمته ، وحرس من الغير مهجته ؛ ممن جمل الممالك
ودبرها ، وضبط أموال الأوقاف وحررها ؛ وأرتفع على الرؤوس ، وحصل أموال

الأوقاف التي فطر تحصيلها أجداد الخوثة وسر من مستحقيها النفوس - تعين أن نعرف له مقدارَه الذي لا يخفى، ونوفيه بعض حقه فإنه الذي بالإحسان قد أوفى .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يُقبل على فضل وليه ، وبضايف له الرُّ المستمطر من غيث جوده ووليه - أن يستقر فلان في كذا ، على عادة من تقدمه في ذلك ومستقر قاعدته ، بالمعلوم الشاهد به ديوان الوقف المبرور إلى آخر وقت .

فليأشر هذه الأوقاف ، وليسلك فيها طرق العدل والإنصاف ، وليتبع شرط واقفها - رحمه الله تعالى - المجمع على صحته من غير خلاف ؛ وليحى ما تسعت وتخرَّب في الجامع المشار إليه وأوقافه بعين بصيرته ، وليتم بالمعروف من معرفته ؛ وهو أعزه الله تعالى أولى من بشره ، وعمر دائره ، وأحرى من تحرى مباره ومآثره ؛ وميز أوقافه ، وتدارك بتلافيه تلافه . وهو غنى عن شرح الوصايا فإنها من آدابه تُعرف ، ومن بحر أدواته تُعرف ؛ وملاكها تقوى الله تعالى الرؤوف ، فليكن على مستحقي هذا الوقف عطوف ؛ والله تعالى يُجزل له أجرا ، ويجعل له ما يفعله من الخير ذخرًا .



توقيع بنظر تربة أرغون شاه ، كُتب به « لقبا السيفى بوطا ، بـ بالجناب العالى »

وهو :

أما بعد حمد الله الذى بلغ الأولياء من مبراته الأمل والإرادة ، وألقى مقاليد الأمور إلى من استحق بحسن مباحثته الزيادة ، والصلاة والسلام الأتمين الأكلين على سيدنا محمد عبده ورسوله صاحب إواء الحمد والنصر ، ومن جاءت آيات تفضيله كفلق الصبح وجملت محاسنه كل عصر ؛ وعلى آله وصحبه الذين نصره فنصرهم

الله ، وحجبه بأنفسهم عن البأس ولم يحجبه عن الناس لخص جناحه لمولاه ؛
والتشريف والتكريم ، والتبجيل والتعظيم .

ولما كان فلانٌ - أدام الله تعالى نعمته - هو المعروف بالأوصاف الجميلة ،
والمتموت بالنعوت التي أتت في وصفه بكل فضيلة .

فلذلك رسم بالأمر العالى - لازال إحسانه عمياً ، وفضله لذوى الاستحقاق أبداً
مقيماً - أن يستقر فلانٌ في كذا ، على عادة من تقدمه في ذلك ومستمرة قاعدته ،
بالمعلوم الذى يشهد به دبران الوقف المبرور إلى آخر وقت .

فلباشر ذلك بهيمته العلية ، ونفيسه الأبية ، والوصايا كثيرة وأهمها التقوى :
فليلازم عليها فإنها تحفظه ، وبالسيادة تأخذه ، والله تعالى بكل توفيقه ، ويمهل
إلى نجاح المقاصد طريقه ، بحمد وآله ! .



توقيع بتدريس الجامع الأموى عوداً إليه ، من إنشاء جمال الدين بن نباتة ،
كتب به للقاضى «نحر الدين المصرى» وهو :

أما بعد محمد الله معيد الحق إلى نصابه ، والغيث إلى مصابه ، والليت - وإن
غاب - إلى مستقر غايه ، وشرف المكان إلى من هو أحق وأولى به ، وبحر العلوم
إلى دوائر محافيه فى الدروس وإلى قوى أسبابه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الذى هاجر فرجع بغيره وإياه ، وطلع من ثنيات الوداع طلوع البدر المشرق
فى أنشاء نصابه ، وعلى آله وصحبه الشائمين سبل صويه السالكين سبل صوايه ،
ما قطف من غصون أقلام العلماء تمرر «البيان والتبيين» متشابهاً وغير متشابه -

فَإِنَّ شَرَفَ الْكَوَاكِبِ فِي سِيرِهَا وَرُجُوعِهَا ، وَنُمُوَّ تَسْعُلِهَا مَا بَيْنَ قَتْرَةٍ مَغِيْبِهَا
وَطُلُوعِهَا ؛ لَا سِيَّامَا الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ يُهْتَدَى بِأَنْوَارِهِمْ ، وَيُقْتَدَى بِأَنْوَارِهِمْ ، وَمَصَابِيحُ الْحَقِّ
الَّتِي تُقَدِّحُ وَلَا يُقَدِّحُ فِي أَزِيدَةِ أَفْكَارِهِمْ .

وكان من قُصِدَ بهذا التلويح ذكره ، وعُرف من هذا المعنى المفهوم نغره ؛ قد
حُمد بحال التصدير بالجامع الأموي ما ذكره من سلف أعيانه ، وقام بوجود الدليل
على وجود ماضي برهانه ، وجادل لسانه وقلم يده عن الشريعة : وغيره من العي
لا من يده ولا من لسانه ؛ ثم هجر مكانه هجرة على العذر بخوله ، وهاجر إلى حرم الله
تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم هجرة مقبولة ؛ ورأى بعض الصبيان التقدم إلى
رتبة الشيخ فقالت : إليك عني ، فأنا من مخطوبات الأكارف أنا منك ولا أنت
مني ؛ ثم حضر إلى محله الكريم من غاب ، ورجع إلى مستقره الأمثل به : وما كل
حمزة أسد الله فليسكن في ذلك الغاب .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت صلات مراسمه جميلة العوائد ، جليسة
الفوائد ؛ وأقلامها أغصانها ممدود بها الرزق فهي على الوصفين موائد - أن يستمر
على عادته في كذا وكذا ، وإبطال ما كُتِبَ به لغيره : عملاً باختيار الحاضر ، واختيار
نظر الناظر ؛ وعلمها بأن هذه المرتبة لمن له إتقان عقلها ونقلها ، وتلاوة في موضع
الوقف : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) .

فقولا للمنع : ما كل عز بدائم ، ولا كل ذى طلب بكمال الوجوب قائم ؛ ومن
أين لهذه الرتبة مثل هذا الكُفء الذي آشتهر نغره ، وزهت به على الأمتصار شامه
ومصره ؟ ؛ وهذا الإمام ، وكل مضاه مؤموم ، وهذا المقدم ، تحت علم العلم وكل
مباه مهزوم ؛ وهذا الثابت وكل نِدُّ مُشَرَّد ، وهذا الكامل وكل ضد مُبَرَّد .

فليستمر على عادته الجميلة مجتهداً لزمانه ومكانه ، مكملاً في وشائع العلم ما ينبغي
« ابن الصَّبَّاح » من ألوانه ؛ ما لي كما حرره « الشَّافِعِي » ، جازماً بفعل مانصبه
« الرَّافِعِي » ، سامياً عن وفاء الواصف : فسواء في ذكره إسراف بيان أو إسراف عي ؛
شاملاً للطلبة المعتادين بعطفه ، مقابلاً للمستفتين بطائفه وأطفه ؛ باحثاً عن دُرر
الجدال بفكره إذا بحث قلم بعض المجادلين عن حفته بظلفه ، داعياً لهذا الملك
الصالحى فإن دُعا العالم الصالح سور من بين يديه ومن خلفه ؛ والله تعالى يُجزيه
على خير العوائد ، ويمتد باقبال النعم الزوائد ؛ بمنه وكرمه ! .



توقيع بتدريس المدرسة الدماغية بدمشق ، من إنشاء ابن نباتة ، كتب به للقاضي
جمال الدين « أبو الطيب ، الحسن بن علي » الشافعي ، وهو :

أما بعد حمد الله رافع مُنادى العلم بمُقرده ، وببنتِ التقي بقافية سُودده ، ونظم
المفاز من إذا قيل : « أبو الطيب » أضغى الحفل لمنشده ، ومشهد الفضل بإمامه :
وحسبك من يكون « الحسن بن علي » إمام مشهده ؛ والصلاة والسلام على سيدنا
محمد عبده ورسوله سيد الخلق وسنده ، وعلى آله وصحبه السائرين في العلم والحلم على
جده ، ما تحب نسيم الروض برده وأقتر لعس السحاب عن نغز برده - فإن للعلم
أبناء ينشئون في ظلاله ، ويسكنون في حلاله ، ويفترقون للخلق بين حرام المشته
وحلاله ، ويجمعون وجه الزمان : فلا عديم الزمان منهم جمال وجهه ولا وجه جماله ؛
ترتيف شفاة المدارس من كلهم كل عذب المساع ، ونسأفه منهم كل ذي فضل
ما هو عند البلاغ ببلاغ ، ونشاهد ما خُصوا به من الشرف والرأسة فلا عجب أن
محلهم منهما محل الدماغ ! .

وكانت المدرسة الشافعية الدماغية بدمشق المحروسة رأساً في مدارس العلم، وهامة في أعضاء منازل ذوى الحكم والحلم؛ لا تسمو همتها إلا بكل سامي العمامة، هامي الفضل كالقمامة، ساجع اللفظ إلا أنه أبهى وأزهى من طوق الحمامة، كائد للملحد مكريم للطالب ولا كئيد لابن الخطيب ولا كرامه - واسطة بين العادلة والأشرافية تليق بمن يكون عقده كلامه المثنى، ونظامه الأيمن، وبيانه المنشد "أجارة يتيتنا" يعنى بيت النسب وبيت المسكن .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازال يحدد لوجوه العلم جمالا، ولوجوب الحمد نوالا، ولوجود الفضل كرما ما قال قط ولا نوى: لا - أن يفوض إلى فلان - أيد الله مجده، وحرس لسلامة أباه وأغنى بالسعادة جده - تدريس المدرسة الدماغية المذكورة: لأنه جمال العلم المعقودة على خطبته الآمال، المعدوفة بمقدمات فضله وقضله نتائج الأقوال الصالحة والأعمال؛ المحبوبة إلى الله وخالق سيماء وشيمه ولا نكر: فإن الله جميل يحب الجمال؛ ولأنه العالم الذى إذا قال لم يترك مقالا لفائل، وإذا شرح على قياسه أتى بما لم تستطعه الأوائل؛ وإذا جرى العلماء كاد «إمام الحرمين» يقول: أنا المصلى وأنت السابق، «والغزالي»: من لى أن أنسج على منوال هذا اللفظ الرائق؟؛ «وآبن دقيق العيد»: لبت لى من هذه الدقائق بلغه؟، و«آبن الصباغ»: هذا الذى صبغه الله من المهيد عالما! ومن أحسن من الله صبغه؟؛ ولأنه العالم الذى أحيأ ذكر «آبن نقطة» بعد مادارت عليه الدوائر، وأغنى وحده دمشق عمن أتى فى النسب «بمساركر»، ولأنه فى البيان ذو الانتقاد والانتقاء، والعربى الذى إن كان لرقاب الفضلاء «آبن مالك» فإن قرينه «أبو البقاء»؛ والكامل حسبا، ومثل جيده المنقود لا يهرج، والواصل نسبا، ومثل قرعه بعد أصله: «واته أوس آحرون ونخرج» .

فليباشر هذا التدريس بعزائم سيريه ، ومباحث تستنار منها معارف القول التبريه ،
وطرائف لا تحبس بدمشق على تقداتها المصريه ، ولينصر مذهب الإمام الشافعي
رضي الله عنه فإن قومه الأنصار ، وليخفص جناحه للطلبة فطالما خفصت الملائكة
أجبحتها ليصير فلا تحجب أن صار ! ، وليقد وأفديه وهو قاعد أضعاف ما أفادهم صاحب
المكان وهو واقف ، وتقوى الله عز وجل أولى ما طالع في سيره وجهه من "عوارف
المعارف" والله تعالى يمدّه بإسعاده ولطفه ، ويحوطه بمعقبات من بين يديه ومن
خلفه ، ويضيء ببارق كلمه الصيب ، ويضطرب أسماع الطلبة بالطيب من معاني
« أبي الطيب » .



توقيع بتدريس المدرسة الركنية الحنيفة بظاهر دمشق ، كتب به للقاضي
بدر الدين « محمد بن أبي المنصور » الحنفي بـ «المقر العالی» وهو :

أما بعد حمد الله الذي أطلع بدر الدين مشرقاً في منازل السعود ، وحرس سماء
مجدّه فلا يطيق من رام جنبها الاستطراق إليها ولا الصعود ؛ وجعل ركنه الشديد
في أيامنا الزاهرة المشيد وظله الممدود ؛ والصلاة والسلام الأتمين الأكلين على
سيدنا محمد ذى الحوض المورود ، والكرم والجود ؛ وعلى آله وصحبه نجوم الهدى
وأعيان الوجود ، ما أورد عود ، وحمدت عقبى الصدور والورود ؛ صلاة دائمة
إلى اليوم الموعود - فإن أعلام الهدى لم تزل منشورة بمعالم العلماء ، وأقطار الأرض
ما برحت مشرقة بمن تستغفر لهم الحيات في البحر والملائكة في السماء ، وطول
الأرض إلى فضائلهم أشد اضطراباً وأحوج إلى القرب إليهم والانتفاء ؛ وكان فلان -
أدام الله تعالى تأييده - من بيت شهدت الأيام مقارحه ، وحمد الأنام أوائله وأواخره ،

وأصحت عيون الزمان إلى ما آثره ناظره، وغصونُ الفنون بفرائده ناضره، وأوصافه الجليلة للأبصار والبصائر باهره، وأصناف الفضايل من إملائه واردة صادرة .

فلذلك رُسم بالأمر العالی - زاده الله تعالى على العلماء إقبالا، وضاعف إحسانه إليهم ووالى - أن يستمرَّ المشارُ إليه فيما هو مستمرٌّ فيه : من تدريس المدرسة الركنية الحنفيّة، بظاهر دمشق المحروسة، حملاً على ما بيده من الولاية الشرعية والتوقيع الشريف: رعايةً بلخانيه وتوفيرا، وإجابة لقصده الجميل وتوفيرا، واستمراراً بالأحق وتوفيرا .

فلبيا شر ذلك مباشرة ألفت منه، وأشتهر وصفها الزكي عنه؛ ولبوّخ للطلبة سُبُل الهداية، ولبوّصأهم من مقاصدهم الجميلة إلى الغاية؛ وليسلك طريقة والده، فإنها الطريقة المثلى، وليتحل من جواهر فرائده، فإنها أعلى قيمة وأعلى، وتُمثل على الأسماع فضائله التي لا تُمل حين تُملى .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الخاتونية البرانية الحنفيّة بدمشق، كُتب بها للشيخ صدر الدين «علي بن الآدمي» الحنفيّ بـ«الجناب الكريم». وكأنه في الأصل لمن لقبه . «بدر الدين» لأنَّ البدر هو المناسب لهذا الأفتتاح؛ فنقله بعض جهلة الكُتاب إلى «صدر الدين» كما تراه . وهذه نسخته :

أما بعد حمد الله الذي زان أهل العلم الشريف بصدر أخفى نُوره الشموس، وأعلاه - لِمَا حازه من الشرف الأعلی - على الرؤوس، وجعل كل قلب يأوى إلى تبيان بيانه يوم الدروس؛ والصلاة والسلام الأتمين الأتمين على سيدنا محمد الذي أذهب الله ببركته عن هذه الأمة كل مكر وبؤس، وخصهم في الدنيا بطيب

الحياة وفي الآخرة بسرور النفوس، وعلى آله وصحبه صلاة مُمِيرة الغُروس - فإنَّ أولى من تتصرف إليه الهمم، من تبدو دلائل علمه كنور لانا على علم؛ وتسير فضائله في الآفاق سير الشُّموس والأقمار، وتبرز إذا بيديها صدره من حجب وأستار.

وكان فلان - ضاعف الله تعالى نعمته، وحرس من الغير مهجته - هو الذي أُشير إلى ما حواه صدره الكريم من الفضائل، واشتهر في دروسه بإقامة الحجج وإيضاح الدلائل؛ وبرع في العلوم الدينية، وفاق أبناء عصره في الصناعة الأدبية؛ وأنفق كثره على الطلاب، فأصبح "عمدة المحذنين" وأمسى "مختار الأصحاب"، «أبو يعلى» ينزل ببابه، و«أبن عقيل» يرتد على أعقابه؛ و«أبن الحاجب» يرفع على عينه، و«الرازي» يدخر كسبه لوفاء دينه؛ و«أبن بطة» يطير من مواقع سهامه، و«مقاتل» مجروح بحد كلامه؛ و«أبن قدامة» متأخر عن مجاراته، و«الأنرم» يحرس عند سماع عباراته.

فلذلك رسم بالأمر العالی - لازل يجمع لمن برع في العلوم من ألوان المناصب المختلفة، ويرفع قدر القوم الذين قلوبهم على التقوى مؤتلفه - أن يستمر الجنب الكريم المشار إليه بالمدرسة الخاتونية البرانية الحنفيه، حملاً على ما بيده من التزول الشرعي والولاية الشرعية: لأنه الخلاصة التي صفت من الأقدار، والعدة ليوم الحدال إذا ولئ غيره الأذبار؛ والمختار الذي جنت المناصب السنية إلى اختياره دون من سواه، رغبة فيما آذخره من الفضائل وحواه؛ "بدايته" "نهاية الطلاب"، وعلومه "محفة الأصحاب"؛ إن حدث "فابن معين" بصحة نقله يحيى، أو فسر "مجاهد" عن مجاراته يعيا؛ و«الزنجشري» يبعد عن الجوار، و«البغوي» يتغنى الوقوف على الآثار؛ و«سيويه» عند ما يتخو يقصد "التسهيل" من لفظه المغرب المعرب، و«أبن عصفور» يكاد يطير طرباً لما يبيديه من "المرقص المطرب"؛

و « أبو يوسف » أصبح بَصْحَبِهِ مَنْصُورًا ، و « محمد بن الحسن » أضحى برفعته
مَسْرُورًا ؛ هو في القَدْر « علي » وفي الطريقة « محمود » وفي العلوم « محمد » ،
وفي النطق والحركة « سعيد » وفي النظر « أسعد » ؛ وفي النضارة « النعمان »
و « طاوس » يتعلَّى جزءًا من كمالِ خِصَالِهِ ، و « الحسن » يقتدى بحسنِ فعَالِهِ ؛ نَسَا
في العِفَّةِ والصِّيَانَةِ ، وكَفَلَهُ التَّوْفِيقُ وزَانَتْهُ الأَمَانَةُ ؛ فهو بَحْرُ العُلُومِ ، ومُسْتَخْلِصُ
دُرِّهَا المَكْتُونِ ومُظْهِرُ سِرِّهَا المَكْتُومِ ؛ لو رآه « الإمام » لُقَّاسُ عِلْمِهِ بِالشَّمْسِ
المُنِيرَةِ ، ولو عاصر الأَصْحَابَ لَعَدَّتْ أَعْيُنُهُمْ بِهِ قَرِيرَةً .

فليباشرْ هَاتَيْنِ الوَظِيفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ آكْتَسَبَا بِهِ بعد نُورِ الشَّمْسِ جَلَالًا ، ولْيُلْقِ عُلُومَهُ
الَّتِي يَقُولُ القَائِلُ عند سَمَاعِهَا : هَكَذَا هَكَذَا وإِلَّا فلا لَأَ ؛ ولْيُعَلِّمِ الطَّلَبَةَ إِذَا أَدْهَشْتَهُمْ
كثْرَةُ عُلُومِهِ أَنْتَ فوقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَليمٌ ، ولْيَتَكَرَّمْ عَلَيْهِمُ بِكثْرَةِ الإِفَادَةِ فَإِنَّ عَلِيًّا هو
الكَريمُ ؛ ولْيَفُقْ في مَبَاشِرَةِ النَّظَرِ كُلِّ مَثِيلٍ ونَظِيرٍ ، ولا يُنْبِئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ؛ ولْيَجْتَهِدْ على
عِمَارَةِ معَاهِدِهَا بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى ، وأداءِ الوَظَائِفِ بِحُسْنِ مَلاحِظَتِهِ ؛ ليزداد عند الخَلِيقَةِ
جَلَالًا ؛ وفيه - بِمَجْدِ اللهِ - مَا يُغْنِي عن تَأْكِيدِ الوَصَايَا ، وَيُعِينُ على السَّدَادِ وفَصْلِ
القَضَايَا ؛ وكيفَ لا؟ وهو الخَيْرُ بِمَا يَأْتِي وَيَدْرُ ، وَالصِّدْرُ الَّذِي لا يَعدُو الصَّوَابَ
في وِرْدٍ ولا صَدْرٍ ؛ واللهُ تَعَالَى يَسِّرُ القُلُوبَ بَعُلُومِ رَاتِيهِ ، وَيَقْرُ العُيُونَ بِأَبْلُوغِ مَقاصِدِهِ
ومآرِيهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .



توقيع بخطابة جامع جراح ، من إنشاء ابن نباتة ، كُتِبَ بِهِ لـ « شرف الدين بن
عمرون » بـ « المجلس العالي » وهو :

أما بعد حمد الله الذي قسم للنابر شرقاً يتجدد ، وعظماً من الفصحاء يتأكد ؛ وعلماً
مرفوعاً لا يتعدى وعلماً منصوباً لا يتعدد ؛ والصلاة والسلام على سيد الثقلين

وصاحب القبلتين محمد ، وعلى آله وصحبه القانتين القانتين الرُكَّع السَّجِدَ ، ما عَظَّم
خَطِيبٌ ومُجَدِّدٌ ، وبدا في حِلْيَةِ سِيَادَةِ وَأَهْبِيَةِ خَطَابَةٍ وهو على الحالين مُسَوِّدٌ - فَإِنَّ
لَصَهَوَاتِ المنابرِ فُرْسَانَا ، ولِصُدُورِ المحارِبِ أَعْيَانَا ، ولِعُيُونِ المشاهِدِ أَنَامِيَّ يَرَاعِي
منها الأستحقاقَ لكلِّ عَيْنٍ إنسانا .

ولما كان جامعُ جراحِ المعمورِ بِذِكْرِ الله تعالى مما أُسِّسَ على التَّقْوَى ، ووسم
بأهلِ الزُّهْدِ سِمَةً إِذَا ضَعَفَتِ السَّمَاتُ تَهَوَّى ؛ بجمع الصَّلَحَاءِ من كُلِّ نَاحِيَةٍ ، ومُتَّجِعِ
الْفُقَرَاءِ : فِينِمْ الجامِعُ لهم وَيُعْمِتُ الزَّأْوِيَةَ ! ؛ ومَفْرَعِ العُظْمَاءِ عندِ أَسْتِدْفَاعِ حَرْبِ
وَكَرْبِ ، ومَطَّلَعِ نُورِ الهُدَاةِ الذي أَغْرَبَ فاطِعَ نُجُومِهِمْ من الغَرْبِ - تَعَيَّنَ أَنَّ
نُخْتَارَ لَهُ الخُطْبَاءَ والأئِمَّةَ ، وَنَتَخِبَ لِمُنْصِبِهِ من أفاضلِ الأُمَّةِ ؛ وتَنَاسَبَ حُضَارَ مِنْبَرِهِ
بصاحبِ علومهم وأعلامهم وإمامهم ، المسرورين به يوم يَأْتِي كُلُّ أَناسٍ بِإِمَامِهِمْ .
فُرْسَمَ بالأمر - لا زالت أَعْوَادُ المنايِرِ بِذِكْرِهِ أَرَجَهُ ، وأعلامها كالأئِسِنَةِ بِمُجَدِّدِهِ
لِهَبِّهِ - أن يَفُوضَ لفلان عِلْمًا بِأَسْتِحْقَاقِ شَرَفِهِ لهذه الرُّتْبَةِ ، وصُعودِ
هذه الذَّرْوَةِ والمُضْبِئَةِ ؛ ولأنَّه الأوَّلُ بِدرجاتِ الرُّتْبِ النَّفَاسِ ، والأجْدَرُ بِجَنَى فروعها
المَوَائِسِ ؛ والإمامُ على الحالين إِذَا قامتِ صُفُوفُ المساجِدِ وَإِذَا قَعَدَتِ صُفُوفُ
المدارسِ ، والعَرَبِيُّ الذي إِذَا رَقَى ذِرْوَةَ مِنْبَرٍ أُطْلِقَتْ عَلَيْهِ لفظَةُ فَارِسِ ؛ والوَرِعُ
الذي آثَرَفِي مناصبه الباقية على الفانِيَةِ ، ومَنابِرِ الحُكْمِ المُضْيِئَةِ على مراتبِ الحُكْمِ
الماضيهِ ؛ وعلى مجالِسِ الدَّعَاوَى مجالِسِ الدَّعَوَاتِ ، وعلى مَقَامِ الصَّلَاتِ مَقَامِ
الصلواتِ ؛ وعلى القَضَاءِ الفَرْضِ ، وعلى الرَّجْبَةِ ولو كَفَّحِصَ القِطَاةَ من الأَرْضِ ؛
وعلى عَرَضِ الدُّنْيَا القليلِ جَوْهَرَ الفَضْلِ الكَثِيرِ ، وعلى "كِتَابِ أَدبِ القَاضِي"
"كِتَابِ الجامعِ الصَّغِيرِ" .

(١) لعله وعلى الرجة المحل الأرق ولو الخ

فليباشِر هذه الوظيفة المباركة : خطيباً تدرأ مواعظه الخُطوب ، وأعظاً من قلبٍ
تقى تصلُّ هدايا تقاه إلى القلوب ؛ فصيحاً تكاد المناير تهترطرباً ببيانهِ ، نجيحاً تكاد
أجنحة أعلامها تطير فرحاً بمكانهِ ؛ شاملاً بنفحات فضله النوايسم ، كاملاً ! لو تقدم
زمانهُ لم يقل : « فلا الكرج الدنيا ولا الناس قاسم » ؛ والله تعالى يسدّد أقواله
وأفعاله ، ويرفع على المنابر والرُتب والمراتب مقامه ومقاله ، ويمتعه بهذه الرتبة التي
أشبهت معنى في الخلافة : « فلم يكن يصلح إلّا لها ولم تكن تصلح إلّا له » .

المرتبة الثالثة

(من توابع أرباب الوظائف الدينية بحاضرة دمشق -

ما يفتح بـ «رسم بالأمر» وفيها وظائف)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بالتدريس بالجامع الأموي والإفتاء به ، من إنشاء الشيخ جمال الدين
أبن نباتة ، كتب بها للشيخ «نجر الدين المصري» «استمراراً» بـ «المجلس العالي» وهي :
رسم بالأمر الشريف - لا زال لدولته الفخر على الإطلاق ، والمن على الأعناق ،
والكرم لطالبي الإرفاد والإرفاق ، والتكريم والتقديم لدوي التأهيل والاستحقاق ؛
ولا يرحى النعم الثابتة للساجدين بمدحه المطرب قائمة مقام الأطواق - أن يستقر
فلان نفع الله ببقائه ، ورفع عيون الأنجم لدرجات آرتقائه ؛ : لفوائده
التي شملت الوري ، وعلت الدرا ، وجمدت الأفهام عند صباحها السرى ، وقعد بها
مسبل ذيل الحياء وسار بذكره من لا يسير مشمراً ؛ ومزلتبه التي نصبت للهدى
علمًا ، وأفاظه التي أعربت عن بدائع بهرت فما فتح بمثلها العلماء فما ؛ وأستباطه

الذى يقول للأول : قال وقلتم ، وأقام وزُتم ، واحتياطه الذى يقول للسائلين :
 أهبطوا من أنتساب حلقته مضراً فإن لكم ما سألتكم ، وأنه الفاضل الذى ما استنار
 بعلمه فتى فتاه ، والنافع الذى ما استطب بكلماته سقيم ذهن فلما تحركت شفتاه
 شفتاه ، كم جلس للأشغال فتى أنفَس المارة عن أشغالها ! ، ونصر العلم فى حلقته
 المجنّدة فكان من أمرائها المنصور ولم يكن للأنداد من رجالها ! ، كم سلم لبيان بحته
 الحقيقى والمجازى ! ، وكم سطر لمنظرته المحمدية مع أهل الزنج سير ومغازى ! ،
 وكم خلص دينار فهمه المصرى على النقد فهيات أن يروز مثله «الرازى» ! ، كم فخرت
 مضراً بانتسابه ! ، ودمشق بسقيا سخابه ! ، وكم قال الرازى : لیت لی هذا الفخر
 فأروى فى الأول بفتى خطيبه وفى الآخر بفتى خطابه .

فليستمر - نفع الله به - على وظيفته الماثوره ، وحلقته التى نصبت على مصايد
 كلماته المشهوره ، ومائدة علمه المنصوبة وذبول منافعها فى الآفاق مجروره ،
 وليواظب على جلوسه بالجامع المشرح المشروح ، ودرسه المتضمن فتح أبواب العلوم
 وغيره كما يقال : على المفتوح ، سالكا من نهج الإفادة مسالكه ، مكثراً بأجنحة فتاويه
 الطيارة ما يسطر لديه من أجنحة الملائكة ، متصرفاً على عادة عبادته فى مواطن العلم
 والعمل ، مستنيداً فى جلسته إلى سارية يقول لها وقاره وحامه : يا سارية الجبل
 الجبل ، داعياً لهذه الدولة الشريفة : فإن دعاء العالم مثله طائر لآفاق القبول من
 أوكار القبل ، والله تعالى يمدّه بعونه ولطفه ، ويحوط مجالس علمه بالملائكة المقرئين
 من بين يديه ومن خلفه ، بمنه وكرمه ! .



وهذه نسخة توقيع بتدريس مدرسة القضاة ، من إنشاء ابن نبأته ، كتب به
 لفخر الدين «أحمد بن الفصيح» الحنفى المقرئ بـ «المجلس السامى» وهى :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال يقدّم من العلماء أنخرفهم ذكراً، وأحمدهم أمراً،
وأفصحهم نسب فضائل وفضائل نسب يقول الاستحقاق : كلاهما وتمرا - أن
يرتب فلان ... : لما شُهر من علومه السنيّة، وفوائده السريّة ؛ ووجوه فضائله
الحسنة ، وعيون كلماته المتبقة إذا كانت بعض العيون مستوسنة ؛ ولأنه غريب
في الوصف والمكان ، وصاحب علم لا يكاد يوجد له شقيق وإن كان منسوباً إلى
« النعمان » ؛ وإمام قراءات ثبتت له فيها على « أبي علي » الحجّة ، وتوصّحت ببيان
الحجّة ؛ وتعين محله الأثير ، وروى الطالب من علمه عن « نافع » ومن ذهنه
في الفوائد عن « ابن كثير » ؛ وأنه نخر الحنيفة القائم في السمعة مقام « رازيها » ،
المطلّ بمنسّر قلبه على المعاني إطلال بازياها ؛ « الأكل » الذي له من علوم صدره
خزانه ، « الصدر » الذي كل صدر يشهد له بعلو مكانه .

فليأشر تدريس هذه المدرسة المباركة : حقيقة يجلس صدرها ، خليقاً بتجديد
شرفها وذكراها ؛ مظهرًا للخبيا النكت في زواياها ، جديراً بأن يكون في خفايا
المسائل ابن جلاها وطلّاع ثناياها ؛ يملأ بيان بحوثه فكر الواعي وسمعه ، ويسير
بنان قلم فتيانه ما يتجدد له من رفعة ، ويسط إدلال الطلبة حتى يأكلوا في القصاعية
معه في القصة ؛ والله تعالى يسره من مدارس الحنيفة بهذه البدايه ، ويقره بما
يتجدد من وظائفها التالية : (وما يُريهم من آية) بمنه وكرمه ! .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الطرخانية ، من إنشاء ابن نباتة ، كُتب به
للقاضي جمال الدين « يوسف الحنفي » بزوي من والده ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لازالت مواطن العلم مكملةً بذكره ، مبيجةً بأمره ،
 مؤهلةً لكل يوسفى الجمال يذكر عزيز شامه عزيز مضره - أن يستقر فلان في كذا ،
 بحكم ما قرره مجلس الحكم العزيز الشافعى ، ونعم المالك لمذهب شافع ، وأتباعاً لما
 حرره الجناب الشريف التقوى ذو النسب الصحابى الذى كل أمره لأمره تابع ،
 وعملاً بما رآه رأيه الكريم الذى إذا كان الجمال شافعاً كان هو للجمال شافع ، وإذا
 أنشأ من أبناء العلماء فروعاً [لا] تميل عليهم الأيام ميله ، وإذا وقفت في طريقهم
 الأنداد قال اقتصار نسبه الأنصارى : يابى الله ذلك وبنو قبيلة ، وقبولاً لتزول^(٢)
 هذا الولد الذى أعرقت في آفاق العلم مطالعه ، وإقبالاً على هذا الولد الذى نجحت
 في استحقاق التقديم مطامعه ، وعلماً بنجابه هذا الفاضل الذى طاب أصلاً وفرعاً ،
 وقدم نفسه ووالده وترّاً وشفعاً ، وهذا البادى الشيبى الذى يأمر بفضائله على
 الشيب وينهى ، وهذا الواضح الدلالة على مفاخر قومه : حَبْدَا الدَعْوَى وَبَيْتَهَا
 منها ، وهذا النجيب الذى قدمه أبوه منجبا ، وذكاؤه معجبا ، وقلمه في الأوراق
 معشبا ، وأشتغاله : إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت من محفوظات كُتبت
 ما يقارب أحد عشر كوكبا ، وإذا درس كان لطلبته ملاذا ، وإذا عانده معانداً قال
 برفع همته : يوسف أعرض عن هذا ، وإذا قرأ كتب فصاحت أذهل ذوى
 الألباب ، وإذا فتح لتفسير كتاب الله فاتحة ، عوداً بفضل : (ألم ذلك الكتاب)
 وإذا روى الأحاديث أطربت حقيقته السماع ، وإذا أخذ في دقائق النقل والعقل
 علم وعقل أن الفكرة صناع .

(١) في القاموس «أهله لذلك رآه له أهلا» .

(٢) هي قبيلة بنت كاهل أم الأوس والخزرج .

فليباشر هذه المدرسة المباركة ببيان عربي وإن كان نسبها طرخانياً، وعلم روضي لا يعرف العلماء شقيقه وإن كان مذهبه نعمانياً؛ ومباحث تذكى نار قريحته : فكم طبع لأنداده من أصحاب «التدويري» قدرا ، ولزوم دريس يسر أباه بمذهبه : فإنه القاضي «أبو يوسف» خبراً في الحقيقة وخبراً؛ والله تعالى يصون شيبته المقبلة من طوارق الحدثان، وينفع بعلوم بيته التي من شك منها في الحق فكأنه من الحدثان.



وهذه نسخة توقيع بتصدير بالجامع الأموي، من إنشاء ابن نباتة، كُتِبَ به لـ«شمس الدين بن الخطيب» وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت نعمة ظاهرة الفضل كالشمس ، طاهرة
الوضوح من دنس اللبس ، وأفرة الثمؤ فيومها قاصر عن الغد زائد على الأمس - أن
يرتب فلان في كذا ويرتب له كذا على المصالح ، فكم للسامين في جامع علمه مصالح ،
وفي منافع قصده مناوح ؛ وفي فوائده نصيب ، وفي طرق هده معالم : ولا تنكر
«المعلم» لابن الخطيب ؛ ليتناول هذا الراتب المستقر من أحل الجهات وأجلها ،
وتكون شمسه المباركة خير شمس تجرى لمستقر لها ؛ عوضاً عما نزل عنه من تدريس
الحلقة المدوقية بصاحب حمص وتصديراً بالجامع الأموي ييسط به أنواره
الشمسية ، ويتقل اسمه إلى إمرة العلم بدمشق عوضاً عن الحلقة المحصية ؛
فليعتمد ما رسم به ، ولا يتحول عما قضى العدل والإحسان بموجبيه .

الضرب الثاني

(من توابع أرباب الوظائف الدينية بالشام -

ما يكتب به لمن هو بأعمال دمشق ، وهو على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(ما يُفتح بـ «أما بعد حمد الله» وفيها وظائف)

توقيع بتدريس المدرسة النورية بدمشق^(١) ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ،

كتب به للقاضي زين الدين «عمر البلقاني» بـ «المجلس العالی» وهو :

أما بعد حمد الله الذي جعل لأوجوه العلم زيناً وأى زين ، وأقرلاً ما كنها عيناً
 بمن يكون التنبيه على فضل مكانته فرض عين ، ونشر أحاديثها بمن إذا حدث عن يد
 تمكنه في العقل والنقل قيل : صدق «ذو اليدين» ، وأحيا مذاهبها بمن إذا عقدت
 الخناصر على أمثاله العلماء كان أول العقد وثاني الغيث وثالث «العمرين» ؛
 والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي أوضح تبين الهدى وسنه ،
 وأرهف شبا الحق وسنه ، وعلى آله وصحبه الذين منهم «علي» مفتاح مدينة العلم
 و«عمر» سراج أهل الجنة ، ما جرت أقلام العلم والجود في هذه الأيام الصالحة
 طلقة العنان مطلقه الأئمة - فإن أولى العلماء بمدارس علم لا خلت ، ومجالس
 فهم عزت بأهلها فلا تعزلت ، ومشاهد عقل ونقل لا عقلت ألسنتها بعد مستحقيها
 ولا أنتقلت - من أضاءت مشكاتها النورية بمصابيح كليمه ، وفصح كائنها النورية
 عن زهرات الهدى بقطرات قلمه ، وتذكرت بأوقاته الأخيرة عهد أهلها من هداة
 الاسلام وأوقات ذى سآمه .

(١) صوابه بمحض ، كما يؤخذ من التوقيع .

ولمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الْمَقْصُودَ بِخِلَاصَةِ هَذَا الْمَعْنَى، وَالْمُدْوَدَ إِلَيْهِ نَظَرُ هَذَا الْوَصْفِ الْأُسْنَى؛ وَالْعَالَمَ الَّذِي تَشَبَّثَ بِأَسْبَابِ مَحَاسِنِهِ بَلَدُ «الْحَرَمَيْنِ»، وَالسَّابِقَ وَإِنْ خَلَا وَقْتَهُ الطَّاهِرُ خَلْفَ وَقْتِ «إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ»؛ كَمَا أَجْتَنَى ثَمَرَ الْفَوَائِدِ مِنْ أَصْلٍ وَقَرَعَ!، وَكَمْ بَاتَ قَلْمُهُ مِنْ وَرَقِ قَنَاطِيهِ وَإِسْكَاتِ مُنَاوِيهِ بَيْنَ وَصْلِ وَقَطْعِ!؛ كَمَا صَدَقَ بَرَقُ بَدِيهِتِهِ الْأَفْكَارِ حِينَ شَامَتْ!، وَكَمْ نَبَّهَتْ عِنْدَ لَيَالِي الْمُشْكِلاتِ «عمر» ثُمَّ نَامَتْ!؛ وَكَمْ تَهَادَتَ نَظَرَهُ كُتُبُ الْعِلْمِ حَتَّى قَالَ «كِتَابِ الْأَثَمِ»: نِعْمَ الْوَلَدُ النَّجِيبُ، وَقَالَ «كِتَابِ الرُّوضَةِ»: نِعْمَ أَخُو الْغَائِثِ الصَّائِبِ عَلَى رِيَاضِ الْقَوْلِ الْمُصِيبِ؛ وَقَالَ «الشَّامِلِ» مِنْ فَضْلِهِ: هَذَا لَطْلِبْتَهُ «نَهَايَةَ الْمَطْلَبِ»، وَقَالَ «التَّنْبِيهِ» عَلَى مَحَاسِنِهِ: لَيْتَ «النَّابِغَةَ» رَأَى فَدَرَى أَى الرِّجَالِ «المُهَدَّبِ» وَكَانَتْ الْمَدْرَسَةُ الشَّهِيدِيَّةُ النُّورِيَّةُ بِمَحْضِ الْمَحْرُوسَةِ قَدْ شَهِدَتْ مَعَ مَنْ شَهِدَ بِفَضْلِهِ، وَسَعِدَتْ بِبُئْسَلِهِ؛ وَوُسِّمَتْ بِعَلَمِ عَالِمِهِ، وَسَمَّتْ سُمُو الشُّمْبَاءِ: هَذِهِ بِمَقَرِّ تَدْرِيسِهِ وَهَذِهِ بِمَجْلَسِ حِكْمِهِ؛ ثُمَّ زَارَ دِمَشْقَ زُورَةً تَشَوَّقَتْ [إِلَيْهِ] بَعْدَهَا تِلْكَ الْمَشَاهِدَ، وَتَشَوَّقَتْ إِلَى الْعُودِ هَاتِيكَ الْمَعَاهِدَ؛ وَقَضَى الْوَفَاءُ أَنْ يُعَادَ إِلَيْهَا أَحْسَنَ إِعَادَةٍ، وَأَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْأَمَاكِنِ الشَّهِيدِيَّةِ الشَّاهِدَةِ بِرَبِّهِ فَتَكُونَ مِنْهُ عَادَةً وَمِنْهَا شَهَادَةً، وَأَقْتَضَى الْأَسْتِحْقَاقُ أَنْ يَرُدَّهَا بِالْمَعْلُومِ الْمُسْتَقَرِّ وَزِيَادَةَ وَأَحْسَنُ مَا وَرَدَ الْبَحْرُ فِي الزِّيَادَةِ.

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - أَعْلَاهُ اللَّهُ وَشَرَّفَهُ، وَحَلَّى بِسِيرِهِ الصَّالِحَةِ سَمْعَ الدَّهْرِ وَشَتَّفَهُ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فَلَانٌ فِي تَدْرِيسِ الْمَدْرَسَةِ النُّورِيَّةِ بِمَحْضِ الْمَحْرُوسَةِ عَلَى

(١) يشير الى بيت بشار بن ممدح عمر بن العلاء أحد عمال المهدي .

إذا أيقظتك حروب العدا * فنبه لها عمراً ثم نم

وبعد

فلا ينام على غسرة * ولا يشرب الماء إلا بدم

عادته ، وعلى نهج إفاءته وإفادته ؛ بالمعلوم المقرر له يجلس الحكم العزيز الشافعي
بدمشق المحروسة : رعاية لتلك المعاهد النورية التي تتأرجح بها الآصال والبكر ، وأنوار
القبول القائلة لو فدها الطارق : «عليك سلام الله يا عمر» .

فليعد إلى هذه الوظيفة عود الحلي إلى العاطل ، وليقبل على رتبته المرتبة إقبال
الغيث على الماحل ، وليقل بلسان تقديمه لمعانيده : إن كان أعجبكم عامكم فعودوا إلى
محص في قابل ؛ ولينصربقاعها الخصبية بجلاد جداله فإنها من أول جند الإسلام ،
وليقيم الآن في هذه الأوقات الشامية فإنه بركة الوقت والبركة في الشام ؛ مُمْتَرًا من
أفلام علومه أزكى الغروس ، مظهرًا من مباحثه النفائس مبهجًا من طلبته النفوس ،
عامرًا لمعاهدها بدروسه : وياغيبًا لمعاهد تعمّر بالدروس ؛ ذاكرًا للوصايا الحسنة
التي لا تقص عليه فهو أخبر بها ، والتي من أولها وأولها تقوى الله تعالى وهي
بأفعاله أمسك من تفاعيل العروض بسببها ؛ والله تعالى يعضده في رحلته ومقامه ،
ويتمتع الرتب تارة يجالس دروسه وتارة يجالس أحكامه ، ويروي صدق مضر
والشام من موارد علمه : هذه بأوفى من نبأها وهذا بأوفر من غمامه .

المرتبة الثانية

(من توابع أرباب الوظائف الدينية بأعمال دمشق -

ما يفتح بـ«رسم بالأمر» ، وفيها وظائف)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بحسبة بعلبك : من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كتب بها

لـ«شهاب الدين بن أبي النور» ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت تُهَبُّ أوامره عالية السنن والسَّناء، وفيَّة لذوي الاستحقاق بمزيد الاعتناء والأغْتناء ، جليَّة البرِّ بمن شهد بحُسنِ حِسْبته حتى لسانُ الميزان وفمُ الكيلِ وشَفَّةُ الإناء - أن يستمرَّ فلانٌ ... لِما ذكر من أوصافه التي ضاعفت فيه الرَّغْبَه ، وحالفت به سُمُو الرُّتبَه ، وشهدت بها حِسْبته تلو الشُّهود : وحسبُك من آجتمعت على فضله شهادة القرض وشهادة الحِسْبَه ؛ ولما صحَّ من كفاءته وتجرُّبه ، ووضَّح في هذه الوظيفة من تدرُّبه التي تدرى به ؛ ولما تعيَّن من استمرارِ شهابه في المنزلة التي تكتسب من أضوائه وتكتسب ، وهذه الرتبة التي تعلق بمعرفته : وكفاه أنه يرزق من حيث يحسب ومن حيث لا يحسب ! ؛ وأنه فيها ذو الرأي الزائد ، والنفع الوارد ، والشهاب الذي نورُه هداه في وجه المرید وأثرُه كحِسْبته في وجه المارد ؛ وأنه وليها ولاية لا تزال تُذكر وتُشكر ، وعرف بوفائها وكان أوفى من أمرٍ معروف أو نهي عن منكر ؛ وأنه قام حقَّ القيام حتى قال البلد : رعى الله زمانك ، وأجتهد حتى قال الاعتبار للميزان : لا تُذكر الزرع ولا تُحرك به لسانك .

فليستمرَّ في حِسْبته المباركة استمراراً يستحلى ذكره ، ويُستجلى في الأممِ شهابه وفي السَّمة بدره ، وليحسب في نفع المسلمين حِسْبَةً يحسبُ بها عند الملكة ثناءه وعند الملائكة أجره ؛ سالكا على نهج العزم الجميل ، جاعلاً أولَ نظره من أقوات الرعية في الدقيق والجليل ؛ مُستبيناً لما آتتس من غشِّ المطاعم والمشارب فلم يستين ، حاكماً - ولا سيمياً في قاعات بعلبك - برأي يفرق بين الماء واللبن ؛ حائناً على بيع الماكلي بخبرة من ماب بصيره ، حريصاً على أن لا يُنشد لسانُ الداخيل فيه « ومن لم يمت بالسيف مات بغيره » ؛ دافعاً ضرر المجترى البائع عن المشتري المسكين ، ذكياً فيما يدرك فيدفع بسكين ويذبح متناوله بغير سكين ؛ قاضياً بالحق في كلِّ ما يشتري

وبباع، متكئاً في أنواع الملابس وغيرها بالباع والذراع؛ وأزناً بالعدل في كل مؤزون
ومكئول، رادعاً لكل عمال مداهن في كل مدهون ومعمول، حاملاً على الحال
المستقيم كل حى لديه وكل من هو على آلة حذاء محمول؛ ومن زاد في الإضرار فليمنع
زائده، ومن زاد في الاشتطاط وتجبير الشراء فليقطع بالنكال زائده؛ ومن دس
في الأثرية فلا يلبث أن يغلظ التأديب وأن يريقه، ومن سقى الضعفاء منها كما يقال:
سقية فليسقه من السوط ما يكاد ينثر جسمه على الحقيقة؛ ومن عانى صناعة
ليس له فيها يد فليزيمه بما بسط في إفساده اليدين، ومن حكم في صناعة الطب بما لم
يسغ في المسائل فليصرفه منها بحنى حنين؛ ومن تورد في معاملته فليرده بالتقهر إلى
صالح مرده، ومن عدا وعتا فليعامله بما يخرج من الترح لا من الفرح من جلده؛
مقدماً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا جزع، مستعيناً بالديوان فيما أهم؛
فإن الله يزج بالسلطان ما لا يزج؛ مجتهداً فيما يزيد تقدم سعيه المشكور، وصنعه
المبرور، منيراً لآفاق منصبه وكيف لا وهو الشهاب بن أبي النور؟؛ وتقوى
الله تعالى هي السبيل الأقوم فليكن لها منهاجا، وليواظب على طريقة الحق: فكم
شر عنها حاد وكم خير منها جا!



توقيع بنظر السبيل بدرج الحجاز، بالركب الشامي، من إنشاء ابن نباتة، كُتب به
للقاضي «قطب الدين السبكي» وهو:

رسم بالأمر - لا زال يُقر بالوظائف الدينية من يُجِبُّها ويُجِبُّه، ومن يتوارد على
ذِكْره بادي الشكر وركبته، ومن إذا بدت مطالع الخير فهو نيره وإذا دار فللك الشاء
فهو قُطْبُه - أن يستمر... .. : لما ذكر من وصفه الجميل، وأستحقاقه الذي دل عليه

البرهانُ في محفِّله وبرهنَ في موكبه الدليل ؛ وديانته التي هي لمباني الأوصاف الرفيعة
 أساس ، وكفاءته التي لها من نفسه نصٌّ ومن نفس قومه قياس ؛ ومرباه في بيت
 تقى صحَّت تجارب معدنه على السبك ، و [دلت] مناقبه على استحقاق الرتب التي يقول
 بشيرها : قفا نبسم ! ويقول حاسدها : قفا نبك ؛ ولما تقدّم من تشوّفه لهذه
 العزّمة الناجحه ، وتشوّفه من هذه المبرّة الشريفة الصالحية بسلوك تلك الفجاج
 الصالحه ؛ ولأنّ الضعف عاقه عن الماضى فأطلقته الآن هذه القوّه ، وجعلت له
 بأوفى القادرين على الحسنات والإحسان أسوه ، ومكّته في هذه الشقّة الطويلة
 على سحب أذيال المعروف من منزل الكسوة إلى منازل ذات الكسوه .

فليباشر هذه الوظيفة المبرورة بعزم يُبهر من الوجد ما كنهه ، وحزم يُبهر من المدح
 المشكور كامنّه ، وسمعة على السنة التذكار يمضى وتبقى حتى تكاد تكون للكواكب
 السبعة تامنه ؛ متصرفاً في الإرفاد والإرفاق ، بأراء يؤيد الله [بها] الذين هم رفاق
 وأى رفاق ؛ متفقا في سبيل الله على يده أعدل إنفاق ، حاميا عدله من لقطه نفاق ؛
 مُحصبا بإنعام الدولة الشريفة في القفر الماحل ، حاملا لمتقطع على أنهض وأبرك
 الرواحل ؛ مواصلا لنقل الأزواد إقامته ومسيره ، وبالماء والشراب الطيبين الطهورين
 ضعيفه وفقيره ، وبأنواع الأدوية والعقاقير التي تهم متتابع الركب [و] عقيره ، وتجبر
 على الخالين كسيره ، وبوفاء جميع المستحقين تالياً عن لسان الدولة الشريفة :
 ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ داعيا بخلود ملكها في تلك المشاهد
 التي هي بقبول مصاعد الدعوات وتزول مواعد البركات جديره ؛ والله تعالى يتقبل
 دعاءه وسعيه ، ويحسن كلاءته ورعيه ، بمنه وكرمه ! .

(١) يريد مكيه ولكنه اضطره السجع الى موافقة العامة .

الصنف الثالث

(من التواقيع التي تكتب لأرباب الوظائف بدمشق - ما يكتب لأرباب
الوظائف الديوانية، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب لمن بحاضرة دمشق منهم ، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتح بـ «الحمد لله» وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بكتابة الدست بدمشق ، كتب به لنجاح الدين « عبد الوهاب »
ابن المنجا التنوخي ، عوضاً عن شمس الدين « محمد بن حميد » بالوفاة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل تاج الأولياء أيما حلّ حلّى المراتب وزانها ، وغدا على التحقيق
كفأها ووزانها ، وألبسها من براعته وبراعته عقوداً ترزُر دُررها وجمانها ، ومنح
دستها العلى من ألفاظها المجيدة بيانها ، وزادها بأصاليه نخاراً يستصحب وقتها
وزمانها ، وأرتقى ذروتها التي طالما زاد بالمعالي أركانها ، فتبواً بمزيد المجد مكانها .

نحمده على نعمه التي أجزلت إحسانها ، وأجملت أمتنانها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة تشهد القلوب إيمانها ، ويدبحر القائل إلى يوم المخاف
أمانها ، ويتبؤأ بها في الدار الآخرة من يخلص فيها جنانه جنانه ؛ ونشهد أن سيدنا
محمداً عبده ورسوله الذي أظهر الله تعالى به الشريعة المطهرة وأبانها ، وشرف هذه
الأمة ورفع على جميع الأمم شأنها ، وبعثه رحمة إلى كافة الخلق فأقام بمعجزاته دليل

الهداية وبرهانها ، وأطفا بنور إرشاده سرر الضلالة ونيرانها ، وأحمد بدينه القويم
وصراطه المستقيم معتقدات [طوائف] الشرك وأديانها ، صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين ما منهم إلا من نزه نفسه النفيسة وصانها ، وسلك في خدمته وصحبه
الطريقة المثلى فأحسن إسرار أموره وإعلانها ، صلاة دائمة باقية تحمد بالأجور
أقترانها ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من جددنا رفعة تاجه ، وسددنا قوله في مجلس عدل ينشر فيه
بكلمة الحق ما أنطوى من أدرجه ، وحددنا له محل سفارة يلحظ فيه حوائج السائل
فيغنيه عن إلحاحه وبلحاجه - من هو في السؤدد عريق ، ولسانه في الفضائل
طليق ، وفلمه حلل الطروس بما يفوق زهر الرياض وهو لها شقيق ، وكان فلان
هو الذي علا تاجه مفرق الرأسه ، وجلا وصفه صور المحاسن والنفاسه .

فُرسم بالأمر العالی - لا زال يولي جميلا ، ويوتى المناصب الجليلة جليلا - أن
يستقر المشار إليه في وظيفة توقيع الدست الشريف بالشام المحروس ، عوضاً عن فلان
بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت .
فأبشركم ذلك مباشرة تُشكر مدى الزمان ، وتُحمد كل وقت وأوان ، وتُملأ بالأجور
لنا صُحفاً بما يُؤدبه عنا من خير وإحسان ، والوصايا كثيرة وأهمها التقوى ، فليلازم
عليها في السر والنجوى ، والله تعالى يحرسه ويرعاه ، ويتولاه فيمن تولاه ،
والاعتماد



[وهذه نسخة] توقيع بنظر الخاص ، من إنشاء ابن نباتة ، كتب به للقاضي

«بهاء الدين بن ريان» ، وهي :

الحمد لله معلى رتب الأعيان ، ومبغى أحبباء السيادة على ممر الأحيان ، ومبغى
 "بهاء" المناصب ، بمن فضله الواضح والصبح سيبان ، ومُنشى ثمرات المناقب ،
 فى منابت أهلها حيث الفرع بأسق والأصل "ريان" .

نحمده على أن يسر البيت المعلى بحسنه ، وأيقظ جفن الآمال من وسنه ؛ ونشهد
 أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجمع لنا من خيرى الدنيا والآخرة كرم
 المطالبين ، وشرف المنصبين ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المشرق فضله
 على أهل المشرقين والمغربين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أصبح الثناء عليهم
 وقفا ، وأشتال الذكر عليهم عطفًا ، صلاة تضيء آفاق القبول بشمعة صبح لا تقط
 ولا تطفى ؛ وسلم .

أما بعد ، فإن للمناصب الدينية نسبة بيوت أهل الديانة ، ونخاص الرتب تعلقًا
 بالخاص من ذوى الكفاءة والأمانة ؛ والمنازل بكواكبها المتألقة ، والحدائق بمغاريسها
 المتألقة ، ونفوس الديار بسكان معاهدها المتشوفة المتشوفة .

ولما كان الخاص الشريف والوقف المنصورى لوجه المناصب الشامية بمنزلة
 حسن الشامتين ، ولرائد الخصب من جهتي الدنيا والآخرة محل نفع الغامتين ؛ هذا
 على صنيع البر الممدود مقصور ، وهذا لسحاب الخير سفاوح لأبهر جهة لـ «امنصور» ؛
 يعلمو هذا بالناظر فى دقائقه إلى أعلى الدرج ، ويتلو هذا بلسان ميزانه المنفق على
 المارستان : (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
 حرج) - لا يلىق الجمع بين رتبتيهما إلا لمن يجمع بسعته فضل الدارين ، ومن يجيد
 بنان قلمه الحلبي حلب ضرعهما الدارين ؛ ومن نشأ فى بيت سعادة أذن الله لقدره
 أن يرفع ، وأقلام بيته أن تنفع ، ولحاسن ذويه أن تشفع بجمالها إلى قلوب الأتولياء
 فتشفع ؛ ومن يسر برواية فضله وبرؤيته السمع والعين ، ومن يفترض شرفه وشرف

لإخائه حُبَّ «الحسن» و«الحسين» ؛ ومن تَبَهَّجُ جوانحُ المحارِبِ بَتَعْبُدِهِ ، وتَهَجُّ
السَّنَةُ مصابيحُ المساجدِ بالنَّسَاءِ على تَرْدِدِهِ وتَوَدُّدِهِ ، وتَسْتَبِقُ جِيَادُ عِزِّهِ : فَيَدِينَا
الكُمَيْتُ في الشَّهَاءِ تَابِعُ أَدِيهِ إِذَا بَابَنَ أَدَهْمَ رَسِيلُ تَرْهُدِهِ ؛ ومن تَقُولُ مَنَاصِبُ
حَلَبٍ : لَلَّهِ دَرُّهَا تِ الْمَقْتَبِلِ ! ؛ ومن يَنْشُدُ ثَبَاتُ وَقَارِهِ مَعَ لَطَافَةِ خُلُقِهِ : «يَا حَبْدَا جَبَلُ
الرِّيَانِ مِنْ جَبَلٍ» ! ؛ ومن تَتَفَحُّ أَخْبَارُهُ مَنَافِخَ الْأَزْهَارِ ، ومن يَشْهَدُ بِفَضْلِهِ جَيْشُ
الْحَرَابِ فِي اللَّيْلِ وَبِمِشْرِتِهِ جَيْشُ الْحَرْبِ فِي النَّهَارِ ؛ ومن تَأْسَى بِلَدَّةٍ فَارَقَهَا فِرَاقَ الْعَيْنِ
لِلْوَسَنِ ، ومن يَرَوِي صَامِتُ دِمَشْقٍ وَغَيْرَهَا مِنْ تَدْبِيرِهِ عَنِ «عَامِرٍ» وَعَنِ «حَسَنِ» .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ مِنْ أَلْقَابِهِ الشَّرِيفَةِ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعِمَادُ
الدَّاعِينَ لِدَوْلَتِهِ الْفَاهِرَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ - أَنْ يَفُوضَ لِلْجَنَابِ الْعَالِي فَإِنَّهُ الْمَعْنَى بِهَذِهِ
الْأَوْصَافِ الْمَتَقَدِّمَةِ ، وَالْمَقْصُودُ بِإِفَاضَةِ حَالِهَا الْمُعَلَّمَةِ ؛ وَالْمَوْصُوفُ الَّذِي يَحْلُو وَصْفُهُ
إِذَا كُرِّرَ ، وَيَسْتَعِيدُ الْأَوْصَافَ وَالْأَسْمَاعَ إِذَا حُرِّرَ ، وَالْأَحَقُّ بِرِثْبَةِ عِزِّ فِي النُّظَارِ
مَضَى وَأُنْبِي شَأْنَهُ ، وَمَكَانَ نَظَرٍ إِنْ لَمْ يُقْسَلِ الدَّعَاءُ الْيَوْمَ : أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ ! قَالَ :
أَدَامَ اللَّهُ بَهَاءَهُ ؛ وَاللَّائِقُ بِتَقْرِيرِ مَنْصِبٍ تَقْصُرُ دُونَهُ الْمَطَامِعُ ، وَتَصْدِيرِ دِيْوَانٍ إِنْ
أَنْتَقَطَعَتْ رِوَايَتُهُ عَنِ «حَمْزَةَ» فَقَدْ أَتَّصَلَتْ رِوَايَتُهُ عَنِ «نَافِعٍ» .

فَلْيَبِاشِرْ هَذَيْنِ الْمَنْصِبِينَ الْمُنْجِبِينَ ، مَجْتَهِدًا فِي مَصَالِحِ الْخَاصِّ الشَّرِيفِ ، وَالْوَقْفِ
الَّذِي لَا تَحْتَاجُ هِمَّتَهُ فِيهِ إِلَى تَوْقِيفٍ ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ خَيْرُ الْخَاصِّ عَامَا ، وَأَمْرُ الْوَقْفِ
تَامَا ؛ وَرِيعُهُمَا بِالْبَرَكَاتِ خَيْرٌ مَحْفُوفٍ ، وَالْمَنْصُورِيُّ مِنْ جِهَةِ الْمَعَاضِدَةِ قَدْ أَضْحَىٰ وَهُوَ
بِالْعُضْدَيْنِ مَوْصُوفٍ .

وَالْوَصَايَا مُتَعَدِّدَةٌ وَهُوَ أَدْرَىٰ وَأَدْرَبُ بِهَا ، وَتَقْوَىٰ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَوْلَىٰ وَصِيَّةٌ تَمَسَّكَ
المرءُ بِسَبَبِهَا ، وَشَكَرَ النِّعْمَةَ أَدْلَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّهِ هِمَمِ الرِّجَالِ وَعَلَىٰ فَضْلِ مُهَدِّبِهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَىٰ
يَسُدُّ قَلَمَهُ ، وَيَثْبُتُ فِي مَطَالِعِ الْعِزِّ قَدَمَهُ ؛ بِمَنَّةٍ وَكِرْمَةٍ ! .



توقيع بنظر الخزانة العالسة، من إنشاء ابن نباتة، كتب به للقاضي «تقي الدين
ابن أبي الطيب» بـ«الجناب العالی» وهو :

الحمد لله الذي له خزائن السموات والأرض، وبِحِكمته يهب منها ما يشاء لمن يشاء
رضى المعاند أم لم يرض، وبعفته فضلت مراتب أهل التقي على الرتب كما فضل على
النافلة القرض، وبعنايته بنيت بيوت أهل السيادة على الطول وبقي صالح عملهم
إلى العرض، وهداياته سما إلى أعلى الخزائن من تفرضا أوصاف قلبه وقلم أبيه
أحسن القرض .

نحمده على ما منح من خزائن فضله، ونشكره والشكر ضامن المزيدي لأهله؛ ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يدحرها الإنسان لئبته وقوله وفعله،
ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي جمع بفضله وفرق ببذله، وأعطى ما لم تنطو
ضمائر الأكياس في صدور الخزائن على مثله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
السالكين سنن فضيلته وفضله، التابعين في الكرم والبأس قياس بيانه ونص نصليه؛
ما أطلعت خزانة الوسمي آثار نقي الغيث كالدرهم، وخلعت على الدنيا خلع الروض
مقلنسة بمستدير الظلال مزرورة بمعقود الكائم؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن الرتب ذخائر قوم في خزائن الاختيار، وأخير أهل تركو نقود شيمهم
على محك الاعتناء والاعتبار، وفروع خلف تظهر مظاهر نصوصها الزكية سابعة الظل
رائقة الزهر فائقة الثمار؛ إذا احتيج منهم إلى ذخيرة نفعت، وإلى أخير وقت أربى
على عزائم الأول وما صنعت، وإلى فروع شجرة سرت محامدها الضائعة؛ لا مما
ضاعت بل مما تَصَوَّعت .

ولما كانت رتبة نظير الخزانة العالية بدمشق المحروسة أحقّ بمن هذا وصفه ،
وهذا نعته في مقدمة الذكر الجميل وهذا إليه عطفه ؛ إذ هي مرتبة العلياء ومكانها ،
وزهرة سماء الملكة وميزانها ؛ ومنشأ غيوث صلاتها الهامره ، ومنبت رياض
خالعها الزاهره ؛ وأفق السعادة ومطلع نجمها المنير ، وجنة أولياء الدولة ولباسهم فيها
حرير ؛ ومعنى شرف الأكتساء والأكتساب ، وماوى الفاضل - والحمد لله - الذى
يحفظها التحصيل بحساب ويعطيها الجود بغير حساب .

وكان الجناب ... (١) ... ممن تضم أعطافه أنوار السعادة ، وتحنف أطرافه و ... (١) ...
السيادة ، وتنتقل جلسته : إما من تنفيذ الديوان لمرتبة وإما من تدريس العلم
لسجاده ؛ ذو الفضل والفضائل حسن التجنيس والتطيق ، والكتابة : من حساب
وإنشاء زاكية النثر على التعليق ؛ ونفحات البر من نفحات العيش أجود ، والشبية
فيها النهى فكانه كما قال البحرى : نسب أسود ؛ والهيم التي حاولت متال الشهب
المتنعة ولات حين مناص ، والكلمة التي لو عاين « البصرى » فرائد تحرها لقال :
كل هذه درة الغواص ، والعزائم التي رامت المناصب فما قبلت من خراتها سوى
الرفيع وما رصبت من ديوانها سوى الخاص ؛ كم نهبت منه المقاصد (٢) « عمر »
ثم نامت ! ، وكم اجلسته كواكب اليمن في صدر محفل ثم قامت ! ؛ كم حوى من
الحمد سنيا ، وملا الرباع خيرا وفيا ! ، وقبض الله للفقراء والأيتام حنانا من لدنه
وزكاة وكان تقيا .

(١) بياض بالأصل في المرضعين .

(٢) أخذه من بيت بشار :

إذا أيقظتك حروب العدا * فبسه لها عمرا ثم نم

يريد عمر بن العلاء أحد عمال المهدي وكان على طبرستان .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا بريح صالح الدهر كالزهر ، مالك نفوس
الأولياء والأعداء : هاتيك بالإيناع وهاتيك بالقهر - أن يفوض إليه نظر الخزانة
العالية مضافاً إلى ما بيده من نظر الخاص الشريف : لأن مثله لا يُصرف عن وظيفة
بسنه تعترف ، ومن نداءه تعترف ، وأن اجتماع العدل والمعرفة قاض بأن «عمر»
لا ينصرف ؛ وأن الخاص لخاص الأولياء أمس مكانه ، وأن الخزانة أنسب بمن
عرف بالصيانة ؛ وأن خزائن الأرض وهي مصر لو نطق نظيرها لقال : ليس لي مثل
هذه الخزانة ؛ وأن عين الأعيان أولى بالنظر ، وأن الأنظار لا بل الصحابة أحق
بـ«عمر» ؛ لما علم من سيرته النقية ، وسريته التقيه ، وصفاته التي يمتد فيها نفس
القول حتى ينقطع وفي الأوصاف بعد يقية وبقية .

فليأثر ما فوض إليه من أعلى المراتب المنجيات ، والوظائف المعجبات المعشبات ،
والجهات التي مالها كنبته الطيب : والطيبون للطيبات ؛ مستجداً من نظر هذه
الخزانة توب سعه الحديد ، مغملاً في مصارف الذهب والفضة بصر آرائه الحديد ؛
منبها لها عزمة العمري ونعم من ينبه ، مشبها في الكفاءة أباه المرحوم وما ظلم من
أشبهه ؛ مقررًا من أحوالها أحسن مقرر ، محرراً من أمورها أولى ما أعتمد والخزانة
أولى بالمحرر ؛ حافظاً لما لها بقلم التحصيل حتى ينفذ قلم الإطلاق ، صائناً لو فرها حتى
ينفقه الكرم خشية الإمساك بعد ما أمسكه الصون خشية الإنفاق ؛ مستدعيًا من
أصنافها كل ما تنوع وتصنف ، وتوشع وتفوف ، مثنياً كل ما خلع من ديوانها العزيز
وتخلف ؛ مؤلفاً للكساوى^(١) في رحلة كل صيف وشتوه ، مواصلاً للأعمال من دمشق
على كل حال من جهة الكسوة ؛ منبها لإنعامها بقلم الإطلاق التام ، متلقفاً بعصا قلمه
في يده البيضاء ما تأفك عصا الأقلام ، حريصاً على أن يكون بأبها في الكرم كما يقال :

(١) لم يرد هذا الجمع فيما بأيدينا من كتب اللغة . والظاهر أنه جرى العامة في استعماله .

«سَهْلُ الْحِجَابِ مُؤَدَّبُ الْخُدَّامِ» ؛ عاملاً بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي بِهَا يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُنْتَهَى ، وَيُلْبَسُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ رِدَاءُ الْخَيْرِ الْمَعْلَمِ ، غَنِيًّا عَنْ تَبَيِّنِ بَقَايَا الْوَصَايَا الَّتِي هُوَ فِيهَا بَحْرٌ ، وَأَبْنُ بَحْرِ بِحَابٍ «البيان والتبيين» ، أَعْلَمُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِفَضْلِهِ ، وَيَحْفَظُهُ عَلَيْهِ الْفَضْلُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْلِهِ ؛ وَيَمَلَأُ أَمَالَهُ بِغَامِ الْخَيْرِ الصَّيِّبِ . وَيُدِيمُ سَعَادَةَ بَيْتِهِ الَّذِي لَا يَرْفَعُ الشُّكْرَ لِطَبِيبِهِ إِلَّا الْكَلِمَ الطَّيِّبَ .

المرتبة الثانية

(من تواقيع أرباب الوظائف الديوانية بحاضرة دمشق - مايفتتح : «أما بعد حمد الله»)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

[نسخة] توقيع بنظر الأشرى ونظر الأسيار، كتب بها لدوادار الأمير «سودون الطرنطاي» كافي الشام، وإن كانت هي في الأصل ديوانية أو دينية، وهي :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي خَصَّ أَوْلِيَاءَهُ بِفَضْلِهِ الْوَافِرِ، وَعَمَّهُمْ بِحُسْنِ نَظَرِهِ فَأَشْرَقَ صُبْحُ صَبَاحِهِمُ السَّافِرِ، وَأَنْتَضَى مِنْ عَزَائِمِهِمْ لِنُصْرَةِ الدِّينِ سَيْفًا يَسُرُّ الْمُؤْمِنَ وَيَغِيظُ الْكَافِرَ، وَأَجْتَبَى مِنَ الْكُفَّاءِ مَنْ يَشْسِدُ مَعَاقِلَ الْإِسْلَامِ بِفَضْلِهِ الْمُتَظَاوِرِ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ الْأَتَمِّينَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَضَاءَ بَرَسَاتِهِ الْوُجُودَ ، وَخَصَّصَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصِّفَاتِ الْفَائِقَةِ وَالْمَأْتَرِ الْحَسَنَةِ وَالْجُودِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ حَرَسُوا الْمِلَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ مِنْ جِهَادِهِمْ بِأَمْنِ سُوْرٍ، وَأَوْهَنُوا جَانِبَ الْكُفْرِ وَأَنْقَدُوا الْأَسِيرَ وَجَبَرُوا الْمَكْسُورَ ؛ صَلَاةً دَائِمَةً مَدَى الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ ، مُغَلِّبَةً لِلْأَوْلِيَاءِ عِلْمَ النَّصْرِ الْمُنْشُورِ - فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ عَدَقْنَا بِهِ الْمَنَاصِبَ السَّنِيَّةَ ، وَفَوَّضْنَا إِلَيْهِ جَلِيلَ الْوُظَائِفِ الدِّيْنِيَّةِ ؛

وَنُظْنَا بِهِ فَكَ رَقَبَةِ الْمُسْلِمِ مِنْ أَسْرِهِ ، وَخَلَّاصَهُ مِنْ عُدُوهِ الَّذِي لَا يَرِيّ لِمُسْكَنَتِهِ
وَلَا يَرِيّ لِكَسْرِهِ ؛ وَأَجْرَيْنَا قَلَمَهُ بِبَدَلِ الْفِدَاءِ ، وَجَعَلْنَا مِدَادَهُ دِرْيَاقًا لِمَرِيضِ الْأَسِيرِ
الَّذِي يَعِدُّ أَلْفَ دَاءٍ ، وَأَقْنَاهُ لِلْعَائِي مِنْ شَرِّكَ الشَّرِّكَ مُنْقِذًا ، وَلِلدَّافِعِ فِي بَيْدَاءِ الْعِدَا
بُحْسِنَ إِعَانَتِهِ مُنْجِدًا ، وَاللَّاسُورِ الْمُتَمَنِّعَةِ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ مُتَفَقِّدًا - مِنْ أَصْحَى فَضْلُهُ
ظَاهِرًا ، وَجَلَالُهُ بَاهِرًا ، وَخِلَالُهُ مَوْصُوفَةٌ بِالْمَحَاسِنِ أَوَّلًا وَآخِرًا .

وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي بَهَرَتْ مَا تُرَى الْأَبْصَارَ وَمَلَأَتْ الْأَشْمَاعَ ، وَأَنْعَقَدَتْ عَلَى
تَفَرُّدِهِ فِي عَصْرِهِ بِالْمَفَاحِرِ كَلِمَةُ الْإِبْجَاعِ ، وَسَارَتْ الرُّبَاكُ بِذِكْرِهِ الَّذِي طَابَ وَجُودُهُ
الَّذِي شَاعَ ؛ وَصَفَتْ سِرِّيْرَتُهُ ، فَأَصْحَى بِجَمِيلِ الْإِعْلَانِ ، وَحُدِثَ سِفَارَتُهُ ، فَكَانَتْ
عَاقِبَةُ كُلِّ صَنْعٍ بِرِكَتِهَا أَنْ لَانَ .

فَلذَلِكَ رُئِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لِأَزَالِ يُؤَيِّ بِجَمِيلًا ، وَيُؤَيِّ فِي الْوِظَانِ جَلِيلًا -
أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي وَظِيفَتِي نَظَرِ الْأَمْرِ وَالْأَسْوَارِ بِدِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى
أَجْمَلِ عَادَةٍ ، وَأَكْلِ قَاعِدَةٍ ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ دِيْوَانَ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ إِلَى آخِرِ
وَقْتٍ : وَضَعًا لِلشَّيْءِ فِي مَحَلِّهِ ، وَتَقْوِيًّا لِجَمِيلِ النَّظَرِ إِلَى أَهْلِهِ .

فَلْيَبْشُرْ ذَلِكَ مَبَاشِرَةً تَسُرُّ النَّفُوسَ ، وَتَزِيدُهَا الْغِلَالَ وَتَزَكُو بِهَا الْغُرُوسَ ؛ وَلْيُجِرِ
أَحْوَالَ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ عَلَى مَقْتَضَى شَرْطِ الْوَاقِفِ وَالشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَلْيَتَصَرَّفْ
فِي تَحْصِيلِ الْمَالِ وَإِنْفَاقِهِ أَحْسَنَ تَصْرِيفٍ ؛ وَلْيُجْتَهِدْ عَلَى تَحْلِيصِ الْمَأْسُورِ ، وَإِعَانَتِهِ
مَنْ ضُرِبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ بِسُورٍ ؛ وَيُسَارِعْ إِلَى تَشْيِيدِ الْأَسْوَارِ الْمُتَمَنِّعَةِ ، وَإِتْقَانِ تَحْصِينِهَا :
لِيَتَضَاعَفَ لِمَنْ حَوَتْهُ مَنَّا الْأَمْنُ وَالِدَعَةُ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِلَاكُهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى
وَسُلُوكُ صِرَاطِ الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمِ : فَلْيُؤَاظِبْ عَلَيْهَا ، وَلْيُصَرِّفْ وَجْهَ عِنَايَتِهِ إِلَيْهَا ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يُدِيمُ عُلاَّهُ ، وَيَتَوَلَّاهُ فِيمَا تَوَلَّاهُ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .



تَوْقِيعٌ بِصَحَابَةِ دِيْوَانِ الْأَسْرَى ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي شَرَفِ
الدِّينِ «سَالِمِ بْنِ الْقَلَائِصِيِّ» ، وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَدَّدَ بِطَالِعِ الشَّرْفِ قَوَاعِدَ بَيْتِ السِّيَادَةِ ، وَمَشَاهِدَ حَوَكِ
السَّعَادَةِ ، وَمَصَاعِدَ دُرِّ الْأَقْلَامِ الَّتِي قَسَمَتْ مَجَانِي قَصَبِهَا لِلْإِفَاءَةِ وَالْإِفَادَةِ ، وَمَعَاهِدَ
الْقَوْمِ الَّذِينَ سَلَكَوا مَسَالِكَ سَلَفِهِمُ الْحُسْنَى : وَلَوْ كَانَ التَّمَامُ يَقْبَلُ هُنَا مَزِيدًا قِيلَ :
وَزِيَادَةً . وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي شَدَّ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ أَزْرَ الْحَقِّ وَشَادَهُ ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الْأَقْدَارِ الْمُسْتَرَادَةِ الْمُسْتَجَادَةِ ، مَا أَتَّصَلَ بِحَدِيثِ الْفَضْلِ سَنَدُهُ
وَأَمِنْ بَيْتِ التَّقْوَى سِنَادَهُ - فَإِنَّ الْبُيُوتَ الْمُتَنَزِّهَةَ نَخَارُهَا ، الْمَأْمُونَةَ مِنْ عَرْوِضِ الْأَيَّامِ
زِحَافُهَا وَأَنْكِسَارُهَا ؛ أَوْلَى بِأَنْ تُنْتَخَبَ لَهُمُ الْمَنَاصِبُ كَمَا تُنْتَخَبُ لِلْبُيُوتِ الْمَعَانِي ،
وَتُسْتَقْرَى الْوُظَايِفُ الْعَالِيَةُ كَمَا تُسْتَقْرَى الْمَوَاضِعُ كَلِمَهَا الْمَبَانِي ؛ وَتُنْتَخَرُ لِنَجْلِ الْأَصْحَابِ (؟)
بَيْنَهُمْ كُلِّ جِهَةٍ مَأْمُونَةُ الصَّحَابَةِ ، مَوْقُورَةُ السَّحَابَةِ ، مَجْرُورَةُ ذَيْلِ الْخَيْرَاتِ السَّحَابَةِ ؛
مَصُونَةُ عَنْ غَيْرِ الْأَكْفَاءِ كَمَا يُصَانُ لِلْجِهَاتِ حُجُبًا ، لِائْتِقَانِهِ بِالْأَفْضَلِ لِأَنَّ الْأَوْقَافَ
الْأَسْرَى بِالْفَاضِلِ نَسَبًا .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَرْتَبَ فِي كَذَا : عَلِمًا بِأَنَّهُ الرَّئِيسُ الَّذِي إِذَا وُلِيَ
وُظِيفَةً كَفَّاهَا ، وَإِذَا وَعَدَهَا بِصَلَاحِ التَّدْبِيرِ وَقَاهَا وَقَاهَا ، وَإِذَا وَصَلَ نَسَبَهَا بِنَسَبِهِ
كَانَ مِنْ إِخْوَانِ صَفَائِهَا لَا مِنْ إِخْوَانِ صَفَاهَا ؛ وَالخَبِيرُ الَّذِي آسَتْوَضِعَ بِئِمْنِ الرَّأْيِ
مَذَاهِبِهِ وَمَسَالِكِهِ ، وَالْعَالِمُ الَّذِي إِذَا مَشَى الْأُمُورَ بِسَطِّ جَنَاحِ الرَّفِيقِ وَإِذَا مَشَى بِسَطِّ
لَهُ أَجْنَحَتَهَا الْمَلَائِكَةِ ؛ وَالْجَلِيلُ الَّذِي إِذَا نَظَرَ ذَهْنُهُ فِي الْمَشْكَلاتِ دَقَّقَ ، وَالْكَاتِبُ
الَّذِي تَعَيَّنَتْ أَقْلَامُ عَلَيْهِ وَكَفَاءَتُهُ إِلَّا أَنْ كَلَّمَهَا فِي الْفَضْلِ مُحَقِّقٌ ؛ هَذَا وَخَطُّ عِذارِهِ
مَا كَتَبَ فِي الْخُلْدِ حَوَاشِيهِ ، وَلَيْلُ صِبَاهِهِ مَا اكْتَمَلَ ! فَكَيْفَ إِذَا أَطْلَعَتْ كَوَاكِبُ

المسيب دياجييه؛ وكيف لا؟ وأبوه - أعلى الله تعالى جده - صاحب الجيد الأصيل،
والفضل الأصيل، ووكيل السلطنة الذي إذا تأملت محاسنه قالت: حسبنا الله
ونعم الوكيل.

فليأشر هذه الوظيفة برأي يسهل - بمشيئة الله - عسيرها، ويفك - بعون الله -
أسيرها؛ وأجتهاد سني يحسن قلبه في الأمور مسرى، وأعتاد سرى لا يرى ديوان
أسرى منه أسرى؛ مشيها أباه في عدله ومن أشبه أباه فما ظلم، وتوقد رأيه لدى
طود حلم وعلم «فيا لك من نار على علم!»؛ حتى يأمن ديوان مباشرته من ظلم الظالم،
ويُسعل ذكاه حتى يقال: عجبا للسعل نارا وهو سالم!؛ ويثمر مال الجهة بتدبيره،
ويشترك لفظ إطلاق الديوان في ماله وأسيره، وتنتقل الأسرى من ركوب الأدهم
إلى ركوب الشهب والحجر من دراهمه ودنانيره؛ ويحمد على الإطلاق، وينفق خشية
الإمساك إذا أمسك [غيره] خشية الإنفاق؛ ويمشي بتقوى الله - عز وجل - في الطريق
اللاجب، وينسب إلى ديوانه وقومه فيقال: صاحب طالما أنتسب من سلفه
لصاحب؛ والله تعالى ينجح لكواكب رأيه مسيرا، ويخبر به من ضعف الحال كسيرا،
ويكفي سادات بيته الذين «يُطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا».

المرتبة الثالثة

(من تواقع أرباب الوظائف الديوانية بحاضرة دمشق -

ما يُفتتح بـ «رسم بالأمر الشريف»)

وهذه نسخ تواقع من ذلك:

نسخة توقيع من إنشاء ابن نباته، كُتب به للقاضي

«علاء الدين بن شرف الدين بن الشهاب محمود» عند موت أبيه وهو صغير، وهي:

(١) بياض في الأصل ولعله «توقيع بكتابة السر».

رُسم بالأمر الشريف - لا زال يجبر بيرة مُصاب الأبناء بآبائهم ، ويسرهم بما
يتجدد في كواكب الشرف من علائهم ، ويعتق قلوبهم من إسار الحزن حتى ينشؤوا
من الصغر على أنساب عقيمتهم وولائهم - أن يستقر اعتماداً على نجائته الشاهده ،
وتحليل همته السائده ؛ وأستناداً إلى أصالته التي لا يُبدى قرعها إلا زكي الثمر ،
ولا يهدى بحرهما إلا أنفس الدرر ، ولا يخلف أفعها إلا كبيراً تستصغر الأبصار
رؤيته : والذنب للطرف لا للكوكب في الصغر ؛ وعلماً أنه من أسرة شهائية لا يهدى
في الإنشاء إلا بنورهم ، ولا يُسدت بالعجائب إلا عن بحورهم ؛ ولا يُثبت أفلام
البلاغة إلا عُشبهم ، ولا تُعشب روضات الصحائف إلا سُحبهم ، ولا تُثبت أفلاك
الكتابة إلا كُتبهم ؛ صغيروهم في صدور الإنشاء كبير ، وملقن آيات فضائهم يروى
أعداد الفوائد عن « ابن كثير » ، وعليهم بعد « أبي بكر » تقول المحامد لسلفه
وخلفه : منّا أميرٌ ومنكم أمير ؛ وأنه اليوم لا سيف إلا « ذو الفقار » من أذهانهم ،
ولا قتي إلا « علي » من ولدانهم ؛ وأن فرخ البط ساجح ، وسعد القوم لانداد ذابح ؛
وخواتم صُحف الجمع الظاهر أشبه بالفواتح ، والبلاغة في الدنيا كنوز والأفلام
في أيديهم مفاتيح ؛ وأن الكلام حليته وسمته ^(١) ، وأنه إذا خدم دولةً بعد محلفه قيل
للذاهب : لقد أوحشنا وجهه وللقادم : لقد آسننا خدمته .

فليأخذ في هذه الوظيفة بقوة كتابه ، وليتناول باليمن واليمين قلم جدّه كما تناول
رأية مجده عمّابه ؛ وليتقلد بقلاند هذه النعم عقيب ما نزع التمام ، وليجهد في إمرار
كلمه الحلو الذي أول سمائه فطر ثم صوب الغائم ؛ مجوداً خطه ولفظه حتى تناسب
عقده ، ناشئاً على كتم السر حتى كأن الفؤاد قبره والجنب لحده ؛ مهتدياً بالعلم الشهابي
في رآخيه الأكبر فإنه من بوارق المزن ، مبتدياً مع أخيه الآخر السرور إذ نزع

(١) في الأصل هكذا "رأى الكلام عليهم" .

عنهما لباسهما من الحزن ؛ والله تعالى يزيد في فضله ، ويؤتم عليه النعمة كما أتمها على
أبيه من قبله ، ويفقهه في السيادة حتى يحسن في الفخار ردة الفرع إلى أصله .



توقيع بنظر مطابخ السكر ، من إنشاء ابن نباتة ، كُتِبَ به للقاضي « شرف الدين
ابن عمرون » وهو :

رُسم ... لا زالت سمة المناصب في دولته الشريفة مشرفة ، وأقلام الكفاة
مُصرفة ، وألفاظ الشكر ثابتة عند ذوي الاستحقاق ومُصنفة ، والنعماء المنصفة
لأمثالهم حلوة المذاقين من نوح ومن صفة - أن يستقر ... لما عُرف من
شيمه المُستجاده ، وهيمه المُستراده ، وكفاءته اللائق بها حُسن النظر الثابت بفضائها
رقم الشهادة ، وأصاليته التي نهض أوقها بمهمات الدول فلوراها معاوية - رضى الله
عنه - لقال : يا عمرون أنت عمرو وزياده ؛ وليا ألف من مباشرته المنيقة خبرا
وخبرا ، وأنظاره السامية إلى معالي الأمور نظرا ؛ ووظائفه التي لا يكاد يبلغ العشر
منها ذوو الهمم العلية ، وجهاته التي عُرف بها سلفه وخلفه فلا غرو أن ليس عمامة
مفانحه بيضاء وسكريه .

فليباشر هذه الوظيفة الحلوة معنى ومدافا ، الحليسة عقدا ونطاقا ، المحسوبة على
مطالع الشرف ووفقا وآفاقا ؛ جاعلا شكر النعمة من أوفى وأوفى مزاياه ، وصانف الهمة
من أولى وأول وصاياها ؛ حافظا للطابخ وإن كان عادة آباؤه بذلك ، مدتحرا للوفان
وإن كانت سمة قراهم إزالتها ونقلها ؛ حريصا على أن لا يجعل لأيدي الأقالم الخاتمة
مطمعا ، وعلى أن ينشد كل يوم للتبذير لا للتبذير .

* [لنا] الحفقات الغريمتين في الضحى *

مُحَرَّرًا لِحَسَابِ دِرْهَمِهَا وَمَجْمُولًا ، وَمَصْرُوفِهَا وَمَحْصُولِهَا ، مُحْتَرَزًا عَلَى مُبَاشَرَتِهِ
 مِنَ الْخَلَلِ فِي هَذَيْنِ الْمَكَانَيْنِ ، حَذْرًا مِنْ كِفَّتِهَا وَقَبَائِنِهَا فَإِنَّهَا تَتَكَلَّمُ فِي الْحَمْدِ أَوْ فِي الذَّمِّ
 بِلِسَانَيْنِ ، بَلْ تُعَيِّنُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِحَمْدِهِ الْمُقَرَّرِ ، وَتُكْرِرُ الْأَحَادِيثَ الْحَلُوهَ عَنْهُ فَمَنْ
 عِنْدَهَا نَجَحَ حَدِيثُ الْحُلُوهِ الْمَكْرَرِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُبَدِّدُ مَسَاعِيَهُ بِالنَّجْحِ الْوَفِيِّ ، وَيُلْهِمُ هِمَّتَهُ
 أَنْ تُنْشِدَ : « مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي ! » .



تَوْقِيعُ بِنَظَرِ دَارِ الطَّرَازِ ، مِنْ إِنْشَاءِ آيَاتِ نُبَاتَةٍ ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالَتِ سَيْرِهِ بِمَرْقُومِ الْمُحَامِدِ مُطَرَّزَهُ ، وَدَوَّلْتُهُ بِمَحَاسِنِ التَّائِيدِ وَالتَّائِيدِ
 مُعَزَّزَهُ ، وَنِعْمَهُ وَنِعْمَهُ : هَذِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ مُجَهَّزَةٌ وَهَذِهِ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ مُجَهَّزَةٌ - أَنْ يَرْتَبَ
 فَلَانُ : لِكِتَابَتِهِ الَّتِي رَقِبَتِ الطُّرُوسَ ، وَطَرَزَتِ بِالظُّلَمَاءِ أُرْدِيَةَ الشُّمُوسِ ، وَأُمُتْرَتْ
 أَقْلَامُهُ بِمَحَاسِنِ التَّنْذِيرِ فَكَانَتْ فِي جِهَاتِ الدُّوَلِ نِعْمَ الْغُرُوسِ ، وَحِسَابِهِ الَّذِي نَاقَشَ
 وَنَقَشَ ، وَرَقَمَ الْأَوْرَاقَ وَرَقَشَ ، وَأَعْتَرَاهِ الَّذِي عَلَّمَ رَشْدًا ، وَسَلَكَ طَرِيقًا فِي الْخِدْمَةِ
 جَدْدًا ، وَقَوِيَ أَسْمُهُ وَتَكَاثَرَتْ أَوْصَافُهُ فَمَا كَانَ مِنْ أُنْدَادِهِ أَضْعَفَ نَاصِرًا وَأَقْلَّ عَدَدًا ،
 وَأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي إِذَا قُدِّمَ نَهَضَ ، وَإِذَا سَدَّدَ سَهْمَ قَلَمِهِ أَصَابَ الْغَرَضَ ، وَالسَّامِي
 إِلَى سَمَاءِ رُبِّيهِ بِالْقَلْبِ وَالطَّرْفِ ، وَالْمُنْتَزِعُ لِقَلَمِهِ الْحُرِّ مِنْ أَنْ يَسْتَعْبِدَ عَلَى حَرْفٍ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوَضِيفَةَ بِكَفَاءَةٍ عَلَيْهَا الْمُعْوَلُ ، وَأَقْلَامِ إِذَا تَمَشَّتْ فِي دَارِ الطَّرَازِ عَلَى
 الْوَرَقِ قِيلَ : « شَمُّ الْأُنُوفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ » ، مُسْتَدْعِيًا لِأَصْنَافِهَا وَمَالِهَا ، عَادِلًا
 فِي قِسْمَةِ رَجَائِهَا وَرِجَالِهَا ، مُعْمِلًا رَاحَتَهُ بِالْقَلَمِ فَإِنَّ كِتَابَتَهَا مُتَّبِعَهُ ، مُهْتَدِيًا فِي طُرُقِ
 حِسَابِهَا فَإِنَّهَا طَرُقٌ مُتَشَعِّبَةٌ ، مَاشِيًا عَلَى نَهْجِ الْأَحْتِرَازِ ، سَاعِيًا إِلَى الرُّتَبِ بِإِرْهَافِ
 عَزِيمِ كَالسَّيْفِ الْجُرَّازِ ، سَعِيدِ السَّعْيِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - حَتَّى يَقُولَ سَنَاءُ الْمَلِكِ

المُسْتَهْضُ له : هذا القاضي السَّعِيدُ وَهَذِهِ دَارُ الطَّرَازِ ؛ وَاللَّهِ تَعَالَى يَوْفِقُهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ، وَيُؤَيِّدُ مَسَاعِيَ قَلَمِهِ الَّذِي تَنْسِجُ أَقْلَامُ الكُفَاةِ عَلَى مَنْوَالِهِ .



• تَوْقِيعُ بِنظَرِ الرَّبَاعِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ صَلَاحِ الدِّينِ الصَّفَّادِيِّ ، بِاسْمِ الْقَاضِي نَجْمِ الدِّينِ «أَحْمَدُ بْنُ نَجْمِ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الطَّيِّبِ» ، وَهُوَ :

رُئِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لِأَزَالِ نَجْمِ أَوْلِيَانِهِ يَتَّقِدُ نُورًا ، وَخَاطِرُ أَوْلِيَانِهِ يَتَّحِدُ بِالْأَمَالِ
سُرُورًا - أَنْ يَرْتَبَّ الْمَجْلِسَ السَّامِيَ الْقَضَائِي - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى عُلُوَّهُ - فِي نَظَرِ الرَّبَاعِ
الدِّيَوَانِيَّةِ ، وَمَبَاشِرَةِ الْإِيْتَامِ - حَرَسَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ ، بِالْمَعْلُومِ
الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ الدِّيَوَانَ الْمَعْمُورَ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ : لِأَنَّهُ النَّجْمُ الَّذِي بَرَّغَ فِي أَفْقِ
الرَّأْسِ ، وَجَمَلُ مَا آثَرَهُ قَبِيلُهُ وَأَنَاسَهُ ؛ وَالْأَصِيلُ الَّذِي شَادَ الْفَضْلُ مَجْدَهُ ، وَأَحْكَمُ
الْفَخْرِ عَقْدَهُ ؛ وَالرَّئِيسُ الَّذِي يَصْدُقُ التَّفَرُّسُ فِي شَمَائِلِهِ ، وَيَحْكُمُ الظَّنَّ الصَّابِ
فِي أَثْنَاءِ مَخَالِيهِ .

فَلْيَبَاشِرْ ذَلِكَ مَبَاشِرَةً هِيَ مَعْرُوفَةٌ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ ، مَا أَوْفَى مِنْ كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ :
فَانَّهُمْ لَا لَتَوْفِيهِمْ وَلَا لَيْتَ ؛ مُعْتَمِدًا عَلَى سُلُوكِ طَرِيقَةِ أَخِيهِ وَأَبِيهِ ، مُجْتَهِدًا عَلَى آتْبَاعِ
أَعْتَادِهِمَا فِي تَوَخُّيهِ الصَّوَابِ أَوْ تَأْبِيهِ ؛ حَتَّى يَقَالَ : هَذَا صِنُوكَ ذَلِكَ الْغَضَنُ النَّاصِرُ ،
وَهَذَا سِبُلُ ذَلِكَ اللَّيْلِ الْخَادِرِ ؛ وَتُصْبِحُ الرَّبَاعُ بِحُسْنِ نَظَرِهِ آهَلَةً بِالْأَهْلِ ، كَامِلَةً
بِالْحَاسِنِ الَّتِي تُنْمِى الْأَقْفَارُ مِنْهَا مُسْتَهْلَةٌ ؛ وَتَعُودُ الْإِيْتَامُ بِمَشَارَفَتِهِ كَانَّهُمْ لَمْ يَفْقِدُوا رِ
وَالدِّهْمَ ، وَلَمْ يَحْتَاجُوا مَعَ تَدْيِيرِهِ إِلَى مُسَاعِدِهِمْ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَأَهْمُهَا تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ فَإِنَّهَا الْحِصْنُ الْأَوْقَى ، وَالْمَعْقِلُ الْمُنْبَعُ الْمَرْقَى ؛ فَلْيَتَّخِذْهَا لَعَيْنَيْهِ نُصْبًا ، وَلْيَشْغَلْ

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَلَعَلَّه : آلَانَهُ .

بها صَمِيرَه حَتَّى يَكُونَ بِهَا صَبَاً ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُنَمِّي غُصْنَه النَّاصِرَ ، وَيُقَرِّبُ بِكَلِمَةِ الْقَلْبِ
وَالنَّاطِرِ ! وَالخَطُّ الْكَرِيمُ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ فِي ثُبُوتِ الْعَمَلِ بِمَا أَقْتَضَاهُ ؛
وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ! .



تَوْفِيعٌ بِاسْتِيفَاءِ الْمَقَابِلَةِ وَأَسْتِيفَاءِ الْجَنَاحِ ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالَةِ الْمَنَاقِبِ فِي دَوَائِمِهِ الشَّرِيفَةِ شَمْسِيَّةِ الْأَنْوَارِ ، قُرَشِيَّةِ الْفَخَّارِ ،
مُشْتَقَّةِ الْحَامِدِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْآثَارِ ، مُحْصَلَةً بِأَقْلَامِ الْيَمِينِ مَا يَسُدُّهُ الْكِرَامُ مِنْ أَقْسَامِ
الْيَسَارِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... حَسَبَ الْأَسْتِحْقَاقِ الْمَقْتَضَى ، وَالْأَخْتِيَارِ الْمُرْتَضَى ؛ وَعَيْنِ
الرَّأْيِ الَّذِي مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّأْيِ حَاجِبٌ ، وَتَقَدُّمِ السُّنَنِ الْقَدِيمَةِ فَإِنَّ التَّقْدِيمَ لِقُرَيْشٍ
وَاجِبٌ ؛ وَلِأَنَّ الصِّفَاتِ الشَّمْسِيَّةَ أَوْلَى بِشَرْفِ آفَاقِهَا ، وَمَنَازِلِ إِشْرَافِهَا وَإِشْرَاقِهَا ،
وَمَطَالَعِ سَعِيدِهَا الْمُتَزَهِّةِ عَنِ اللَّبْسِ ، وَجَلَالِ قَلَمِهَا الْعُطَارِدِيِّ فِي يَدِ الشَّمْسِ ؛
وَلِأَنَّ الْمَشَارَإِلِيهِ أَحَقُّ بِمَصَاعِدِ الْمُتَرْتِقِينَ ، وَلِأَنَّهُ تَرَبَّى فِي بَيْتِ الثَّقَلَيْنِ فَكَانَ اللَّهُ مَعَهُ
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ .

فَلْيَبَاشِرْهَا تَيْنِ الْوُضُوعَيْنِ عَلَى الْعَادَةِ الْمَعْرُوفَةِ بَعَزْمِهِ السَّيِّدِ ، وَمَدَّاتِ قَلَمِهِ الَّتِي
بَحَرَهَا فِي السَّعْيِ بَسِيطُ وَظَلُّهَا فِي النَّفْعِ مَدِيدٌ ؛ وَلِيَتَمَثَّلَ بِدِيَوَانِ مُقَابَلَةِ فَرِيدًا لَا يَرْهَبُ
مُثَالَهُ ، وَلِيَجْزُرَ أَحْوَالَهَا بِضَبْطِهِ حَتَّى يَجْمَعَ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ ؛ وَلِيُمِدَّ الْجِيُوشَ الْمَنْصُورَةَ
مِنْ أَوْرَاقِهِ بِأَعْلَامِهِ ، وَمِنْ قَصَبَاتِ السَّبْقِ بِرِمَاحِ تُعْرَفُ بِأَقْلَامِهِ ؛ وَلِيَسْتَرْفِعَ مِنْ
الْحُسْبَانَاتِ مَا يَمْحُو بِإِضْحَاحِهِ وَتَكْمِيلِهِ مِنْ مُقَدِّمَاتِ ظُلْمٍ وَإِظْلَامٍ ، وَلِيَجْمَعَ بَيْنَ ضَرَرِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُمِدُّ قُرَشِيَّتَهُ بِأَنْصَارٍ مِنَ الْعَزْمِ ، وَتَابِعِينَ
بِإِحْسَانٍ مِنْ نَوَافِدِ نَوَافِلِ الْحَزْمِ .



تَوْفِيعٌ بَصْحَابَةُ دِيْوَانِ الْأَسْوَاقِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ ، وَهُوَ :
رُسم بِالْأَمْرِ - لَزَالَتْ أَسْوَاقُ نِعْمَةٍ قَائِمَةٍ ، وَأَجْلَابُ كَرَمِهِ دَائِمَةٌ ، وَلَا يَرِحَتْ
الْمَنَاصِبُ مُكَمَّلَةً بِكِفَاةِ أَيَّامِهِ الَّذِينَ يُحَقِّقُونَ ظُنُونَهَا السَّامِيَةَ وَيَرَعُونَ أَحْوَالَهَا
السَّائِمَةَ - أَنْ يَرْتَبَ فُلَانٌ : عِلْمًا بِكِتَابَتِهِ الَّتِي وَصَّيَتْ الدَّفَاتِرَ أَحْسَنَ سِمَةٍ ،
وَأَسْتَبَقَتْ إِلَى صُنْعِ الْخَيْرِ الْمُسَوِّمَةِ ، وَكِفَاةً تَهِيَ الَّتِي لَا تَرَالُ تَنَمُّو لَدَيْهِ وَتَنَمِّي ، وَيَرَاعِيهِ
الَّتِي إِذَا سُئِلَ عَنْهَا السُّوقُ قَالَ : هِيَ عَصَايَ أَوَّكَّأَ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي ؛ وَدِرَائِيهِ
الَّتِي تُعِينُ الْمَمْلُوكَةَ عَلَى الْمِيرِ ، وَيَسْتَهْدُ تَيْمَنُهَا أَنَّ الْحَيْسَلَ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرِ ؛ وَتُحَقِّقُ فِيهِ
الظَّنَّ وَالْأَمَلَ ، وَتَحْوِطُ السُّوقَ عَنِ الْخَائِنِ حَتَّى يَقُولَ : لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلَ ؛
وَأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي إِنْ قَالَ أَوْ فَعَلَ كَانَ مُسَدَّدًا ، وَإِنْ ضَبَطَ دِيْوَانَ الشَّدِّ السَّعِيدِ كَانَ
عَلَى الزَّائِعِينَ مِنَ الْكُتُبَةِ حَرَقًا مُشَدَّدًا .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيفَةَ الْمُبَارَكَةَ مُتَمَكِّنًا الْأَسْبَابَ ، مَالِكًا الْحَزْمَ وَالرَّفْقَ حَتَّى تَكْتُمُ
لَدَيْهِ الْجَلَّابَ ؛ مُعِينًا لِيَتَّيَسَّرَ الْمَالُ عَلَى الْإِنْفَاقِ ، قَائِمًا بِمُحَقِّقِ ذَوِي الْأَسْتِحْقَاقِ ،
عَالِمًا أَنَّهُ [مَتَوَلَى] أَكْثَرَ جِهَاتِ الْخَيْرِ الْمُطَّلَقِ فَلْيَكُنْ بِهَا مَشْكُورًا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، مُجْتَهِدًا
فِي رِضَا الْمَطَالِبِينَ حَتَّى يَدْبُعُوا سَنَنَ الْمُرْسَلِينَ فِي هَذِهِ [الصَّفَةِ] يَا كُنُودَ الطَّعَامِ وَيَمَشُونَ
فِي الْأَسْوَاقِ ؛ مُوَظِّبًا عَلَى الدِّيْوَانِ الَّذِي هُوَ بَصْحَابَتِهِ مَعْدُودٌ ، سَالِكًا سُبُلَ الصِّيَانَةِ
وَالْكَفَاءَةِ فَكَلَاهُمَا نِعْمَ السَّبِيلَ الْمَطْرُوقَ ، مُحْتَرِّزًا مِنْ ذِي خِيَانَةٍ إِنْ غَفَلَ عَنْهُ طَفِيقَ
مَسْحًا بِالسُّوقِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوفِّقُ عِزَّائِمَهُ الَّتِي هِيَ أَشْهَرُ مِنْ عِلْمٍ ، وَهِمَّتَهُ الَّتِي قَاسَمَتْ
« أبا الطَّيِّبِ » : « وَالْحَيْلُ تَسْتَهْدُ وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ » .



نسخة توقيع بشهادة الخزانة العالية ، من إنشاء ابن نبأته ، كُتِبَ به لجمال الدين «عبد الله بن العماد الشيرازي» وهي :

رَسِمَ بالأمر الشريف - لا زالت سِمَةُ المناصب في دَوْلته بأسماء الكُفَاةِ مُجَمَّلَةً ،
وخلعُ المفاخرِ على بُيوتِ السيادةِ مُكَمَّلَةً ، ونِزائِنُ المُلْكِ بينَ تَقِيضَيْنِ من جنسٍ واحدٍ :
فبينما هي بأقلام الكُفَاةِ مُحَفَظَةٌ إذا هي بأقلام الكُفَاةِ مُبَدَّلَةٌ - أن يستقر المجلس
السامى ... : علما بحجاسينه التي وصحَّ بحماها ، وتفسَّح في العلياء مجالها ، ونجح
في منابيت الفضل أصلها ، وشرف بكواكب الثمين اتصالتها ؛ ومعالیه التي تهلَّل بها
وجهُ الأصالة ، وكل بنت الرأسة والحلاله ، ومسايعه التي استوفى بها أجناس
الفضل وتوريتها فما أخذها عن كلال ولا ورثها عن كلاله ؛ وسيرته التي تطوى
نخار الأقران حين تُنشر ، وهيمته التي أنشدت السعادة فرعها الكريم : «مباديك
في العلياء غاية معشر» ؛ ومكاته من بيت السيادة الرفيع عماده ، البديع سنده المنيع
سيناده ، المديد من تلقاء الحجر طنبه الثابتة من حيز النجوم أوتاده ؛ وأنه تجل السراة
الذين أخذوا من الفضل في كل واد ، وأستشهدوا على مناقبهم كل عدو وكل واد ؛
وحملوا من صناعاتهم رايات عباسية سارت بها رماح أقلامهم تحت أبداع سواد ،
وملأوا قديم الأوطان بشرف الأخير : فسواء على شيراز محاسن «ابن العميد»
ومحاسن «ابن العماد» ؛ وتبينت مناقبهم بهذا النجل السعيد طرق المراتب كيف
تُسلك ، وإحراز المناصب كيف يكون لها يد أرباب البيوت أملك ، ودرجات
الوظائف كيف تُسرُّ الوالد بالولد حتى يقول : لا أبالي هي اليوم لي أم لك ؟ ؛
كم أستنهض والده لجليل فكفى ، وبحملي قضيد فوفى ؛ وأوقات علت حتى أضحى

إلى علاه تَنَسَّب ، ومناصِبَ رُزِقَ - بتقواه فيها - من حيثُ يَحْتَسِب ومن حيثُ لا يَحْتَسِب ؛ وجاء هذا الولدُ ذخيْرَ والده فحَسُنَتْ لِحِزَانِهِ الذَّخِيْرَةُ ، وَعُصِدَتْ الْأَوَّلَةُ من السيادة بالأخيرة .

فلباشر هذه الوظيفة مباشرة هي أعلى منها وأشرف سيره ؛ مُجْتَهِدًا فيما يَبِيضُ وَجْهَهُ عَلَيْهِ وَنَسَبِهِ ، عَارِفًا قَدْرَ هَذِهِ الرَّتْبَةِ من أوائل رُتَبِهِ ، مَتَّقِظًا الْأَفْكَارَ وَالطَّرْفَ ، متأرجح المعرفة إذا ذكروا العرف ، زانجًا تير شهادته على التعليق فلا يُتَّقَدُ عَلَيْهِ في مُتَحَصِّلٍ وَلَا صَرَفٍ ؛ حَتَّى تَقُولَ الْحِزَانَةُ : نِعْمَ الْعِزْمُ الشَّاهِدُ ! وَحَتَّى يَشْهَدَ بِوَفَاءِ فَضْلِهِ الْمَضْمُونُ ، وَحَتَّى يَعْلَمَ بِأَمَانَتِهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ هُوَ « الْمَأْمُونُ » ؛ وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى في الوصايا أول وأولى ما تَمَسَّكَ بِهِ ، وَأَسْتَقَامَ عَلَى شَرَفِ مَذْهَبِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسُرُّ الْإِسْلَامَ بِتَنْبِيهِ قَدْرِهِ وَيُقِرُّ الْأَوْصَافَ بِمَهْدِيهِ ! .



تَوْقِيعُ بِشَهَادَةِ الْأُسْوَارِ ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يَمُدُّ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ عِنَايَتِهِ سُورًا ، وَيُمَدِّدُ لِلْأَوْلِيَاءِ بِرَأْيِ مَيْسُورًا ، وَيُسْعِدُهُمْ بِكُلِّ تَوْقِيعٍ يَكُونُ بِالْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا - أَنْ يَرْتَبَ الْمَجْلِسُ : عَلِمًا بِعِزْمِهِ السَّاهِدِ ، وَحِزْمِهِ الشَّاهِدِ ؛ وَكِفَايَتِهِ وَأَمَانَتِهِ الَّتِي مَا كَانَ وَصْفُهَا حَدِيثًا يُفْتَرَى ، وَنَظَرًا لِحَالِهِ وَحَالِ الْأُسْوَارِ : فَيَالِهَا شَهَادَةٌ كَانَ أَصْلُهَا نَظْرًا .

فلباشر هذه الرتبة المباركة كما عهد منه مباشرة حسنة الآثار ، مُشْرِقَةً الْأَنْوَارَ ، جَاعِلَةً بِلَيْكِ الْعَمَائِرِ حَلِيَّةً لِدِمَشْقَ : فَبَيْنَا هِيَ سُورٌ إِذَا هِيَ سِوَارٌ ؛ ضَائِعًا لِمَتَحَصِّلِهَا وَمَصْرُوفًا ، مَحْرَرًا لَوْقْفِهَا مُحْتَرِّمًا مِنْ وَقُوفِهَا ، جَارِيًا عَلَى جَمِيلِ عَادَتِهِ ، زَانِجًا بِكْرَمِ اللَّهِ

تعالى على التوفيق ببر شهادته ؛ حتى تشهد هذه الوظيفة بهيمته المتمكنة الأسباب ،
ويضرب بين المدينة وبين من كادها بسور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ؛
والله تعالى يسدده في كل أمر ، ويحفظ همته وبركته «ليوم كريهة وسداد نغر» .



توقيع بمشاركة خزان السلاح ، لمن لقبه «جمال الدين إبراهيم» وهو :

رُسم بالأمر العالى - أعلى الله تعالى أعلام حمده ، وجعل أحكام المقادير من
جنده ، ولا زالت أفلاك الشهب من خزان سلاح سعده - أن يرتب ... : حملاً
على حكم النزول الشرعى ، والطلوع إلى رتب الاستحقاق المرعى ؛ وعلمًا بكفايته
التي بلغت آمالا ، وجعلت للوظائف بذكره جمالا ، وممرت بقلبه للجبهات مالا ،
وأوصلته على رغم الأنداد لما لا ؛ وأعتادا على أمانته التي أعدها مالا ، وأكتفى
بها سلاح عزمه نفاذا ؛ وصيانته التي طالما اعترض [لها] عرض الدنيا فقالت :
يا إبراهيم اعرض عن هذا ؛ واستنادا إلى نسايت في بيت علب في المناصب أعلامه ،
وصدقت في المراتب حُلومه وأحلامه ، وتناست الآن تصرفاته السعيدة : فإما في تدبير
الجوش وإما في تغيير السلاح أعلامه .

فليأشر هذه الوظيفة المباركة بعزم بادي النجا والنجاح ، وقلم على حالي وظيفته
وهيمته ماضى عزم السلاح ؛ مقررًا لعمليها ومعمولها ، ضابطًا لواصلها ومحمولها ؛ حتى
يذهب لسان سيفها بشكره ، وتطلع أهلة قسيها بميامن ذكوه ، وتكون كعوب رماحها
كلها كعب مبارك بمباشرته وبشيره ؛ والله تعالى يسد قلمه في وظيفته تسديد
سهامها ، ويوفر له من أنصبا المرائد وسهامها .

(١) هو مصدر نجانًا بالمد وقد يقصر ،



قلتُ : وهذا توقيعٌ بوظيفةٍ بكتابة ديوانيةٍ لسامريٍّ ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو :

رُسِمَ بالأمر - لا زال قلمُ أوامره الفِضَى - يُظهِرُ ثَمَرَهُ ، مُسَمِّعًا حَدِيثَ الإِنْعَامِ الشَّامِلِ حَتَّى سَمَرَهُ - أَنْ يَرْتَبَ فُلَانٌ فِي كَذَا : عِلْمًا بِكِفَايَتِهِ الَّتِي يُعَدِّرُ بِهَا فِي قَوْمِهِ عَلَى سُلُوكِ النَّبِيِّ ، وَحَدِيقِ حِسَابِهِ الَّذِي هُوَ أَلَدُّ مِنَ السَّلْوَى الْمُجْتَنِبَةِ وَمُجْتَنِبِهِ ؛ وَقَرِيحَتِهِ الَّتِي إِذَا آخْتَارَهَا آخْتِيَارَ قَوْمِ مُوسَى فَازَ مِنَ الْعَمَلِ بِمَطْلُوبِهِ ، وَإِذَا قِيلَ : يَا سَامِرِيُّ مَا قَدَّمَكَ عَلَى الْقَرْنَاءِ فِي الْحِسَابِ ؟ قَالَ : بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ؛ وَأَمَانَتِهِ الَّتِي حَاطَتْ حَيَاطَةَ الصَّعْدَةِ السَّمْرَاءِ ، وَرَفَعَتْ رَأْيَتَهُ عَلَى الأَنْدَادِ قَائِلَةً : مَا حَاطَ البَيْضَاءُ وَالصَّفْرَاءُ كَصَاحِبِ الحَمْرَاءِ ! ؛ وَأَعْتَادًا عَلَى كِتَابَتِهِ الَّتِي شَهِدَتْ بِهَا مِنْ حُسْبَانَاتِهِ الأَسْفَارِ المُبَيَّنَّةِ ، وَإِقْرَاءِ لِمَصْنَعَاتِهِ الَّتِي تَحَرَّتِ الفِكْرَ حَتَّى قِيلَ : هَذَا مِنْ شَعْبِ القَرَائِينَ وَالكَهَنَةِ .

فليباشر هذا الاستيفاء لأوفى منه مترقياً ، ولكلمات الاختيار متلقياً ؛ ناهضاً بالخدمه ، مجتهداً باعترامه الإسرائيلي ذكر النعمه ، عارفاً قدر الإنعام الذي رعى وشمل كل ذمه ؛ سالكاً من الاجتهاد في خدمه حسابيه كل طريقه ، غائظاً للمفسد من أهل ملته ؛ فيعبدون العجل مجازاً وحقيقه ؛ مجتهداً في استئزال المن لا المنع ، موعوداً آلاف الحواصل بعشر كلمات رآتية منه في السمع ، مُعَلِّقًا عَلَى جَمِيعِهَا هَيْكَلًا مِنْ أَمَانَتِهِ فَهُوَ أَدْرَى فِي المَيْكَلِ بِشَرَطِ الْجَمْعِ ؛ صَائِبًا لِنَفْسِهِ مِنْ عُدْوَانِ الخِيَانَةِ حَتَّى لَا يَعْدُو فِي سَبْتٍ وَلَا فِي أَحَدٍ ، مُنْتَزِعًا عَنْ أَكْلِ الْمَسَالِ مَعَ الخَوْنَةِ حَتَّى يُقَالَ : نَعَمَ السَّامِرِيُّ الَّذِي لَا يَأْكُلُ مَعَ أَحَدٍ .

الضرب الثاني

(من الوظائف الديوانية بالشام - ما هو خارج عن حاضرة دمشق .
وغالب ما يكتب فيها من التواقيع مفتوح بـ «رُسم»)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بنظر غزرة، وهي :

رُسم بالأمر - لازال النَّصْرُ المَكْرَرُ، يَحْلُو بِذِكْرِهِ، وَالسَّعْدُ المَقْتَرُ، يَحْلُو وَجْهَ الأَمَالِ
بذَهْرِهِ، وَلَا بَرَحَ سِرَاجِ اِلْحَدَمِ مُضِيًّا عِنْدَ لِيَالِي نَهْيِهِ الحَالِكِ وَأَمْرِهِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ
فَلَانٌ... : لِمَا عُرِفَ فِي المَنَاصِبِ مِنْ نُهْوِضِهِ الذِي رَاقَ وَرَاجَ، وَفِي المِهْمَاتِ
مِنْ رَأْيِهِ الذِي يَمْتَشِي أَحْوَالَ الجِهَاتِ المَسْتَقِيمَةِ بِسِرَاجٍ، وَلِمَا شُهِرَ لَهُ فِي الأَنْظَارِ
الْمُتَعَدِّدَةِ مِنْ تَلَوِّ الهِمَمِ، وَفِي الوِظَانِ المُرْتَدِّدَةِ مِنَ العَزَمَاتِ الَّتِي يَقُولُ السَّدَادُ :
نَبَّهَ [لَهَا] عُمْرًا ثُمَّ نَمَّ، وَلِمَا وُصِفَ مِنْ أَمَانَتِهِ وَدِرَائَتِهِ وَهَمَا المَرَادِ [تَان] مِنْ مِثْلِهِ،
وَرَأْسَةَ خَلْقِهِ وَخَلْقِهِ المُشِيدِينَ عَنِ حُسْنِ الثَّنَاءِ وَسَهْلِهِ، وَأَتَارِهِ الحَمِيدَةِ المُنْقَلَاتِ
وَكَيْفَ لَا؟ وَهُوَ المُنْتَسِبُ إِلَى سَلِيفِ يَحْمَدَ لِسَانِ الإِسْلَامِ أَثَرِ عَقْلِهِ وَنَقْلِهِ .

فَلْيَا شَرُّ هَذِهِ الوِظَانَةِ المَبَارَكَةِ عَلَى العَادَةِ مَبَاشِرَةً يُحْمَدُ أَثَرُهَا، وَيُسْنَدُ عَنِ صَحِيحِ
عِزْمِهِ خُبْرَهَا وَخَبْرَهَا، وَيُورِقُ بَغْضُونِ الأَقْلَامِ وَرَقِ حِسَابِهَا وَيُرُوقُ نَمْرُهَا؛ مُجْتَهِدًا
فَهُوَ مِنْ نَسْلِ المَجْتَهِدِينَ فِي عَوَائِدِ التَّحْصِينِ وَالتَّحْصِيلِ، وَالتَّائِبِينَ وَالتَّائِبِلِ، مَلِيًّا بِهَا
يَجْبُرُ كَسْرَ هَذِهِ البِلَادِ بِالصَّبْحَةِ وَيَأْسُو جُرْحَهَا بَعْدَ التَّعْدِيلِ، حَرِيصًا عَلَى أَنْ يُجْحَى -
بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَدْيِيرِهِ - عَمَلُهَا الذِي لَمْ يُبْقِ المَوْتُ مِنْ دَمَائِهِ غَيْرَ القَلِيلِ؛ سَالِكًا

(١) أنظر حاشية ٢ ص ٣٨٨ من هذا الجزء .

من التَّزَاهَةِ وَالصِّيَانَةِ طَرِيقَتَهُ الْمُثَلِّ، وَمِنَ الْكَفَاءَةِ وَالْأَمَانَةِ عَادَتُهُ الَّتِي تَرْفَعُ دَرَجَتَهُ -
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ - إِنْ مَا هُوَ أَعْلَى وَأَعْلَى؛ مُسْتَرْفِعًا لِلْحَسَابِ وَلِقَدْرِهِ فِي الْخِدْمَةِ، شَاكِرًا :
 فَإِنَّ الشُّكْرَ صَمِيمٌ لِأَزْدِيَادِ النِّعْمَةِ بَعْدَ النِّعْمَةِ، سِرَاجًا وَهَاجَ الذِّكَاةِ عَلَى الْمَنَارِ وَلَا ظُلْمَ
 مَعَ وُجُودِهِ وَلَا ظُلْمَهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعَلِّي قَدْرَهُ ، وَلَا يُظْفِي ذِكْرَهُ .



تَوَقُّعٌ بِصَحَابَةِ دِيْوَانِ الْحَرَمَيْنِ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، لِمَنْ لَقِبَهُ « شَمْسِ
 الدِّينِ » وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ أَوَامِرُهُ نَافِذَةً فِي الْآفَاقِ ، عَاطِفَةً عَطْفَ النَّسَقِ عَلَى دَوِي
 الْإِسْتِحْقَاقِ ، مُطْلِعَةً شَمْسَ التَّقَى وَالْعِلْمِ فِي مَنَازِلِ الْإِشْرَاقِ - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَجْلِسُ ... :
 عَالِمًا بِاسْتِحْقَاقِهِ لِمَا هُوَ أَكْثَرُ وَأَكْبَرُ ، وَأَوْفَى وَأَوْفَرُ ، وَإِطْلَاعًا لَشَمْسِهِ وَإِنْ أَعْتَرَضَهَا
 غَمٌّ غَمِيمٌ فِي مَطَالَعِ شَرْفِهَا الْأَنْوَارِ ؛ وَإِعْلَامًا بِأَنَّهُ غَمِيمٌ يَزُورُ وَيُزُولُ ، وَنَقْصٌ لَا يُقِيمُ
 إِلَّا كَمَا يَذْهَبُ عَارِضٌ مِنْ أَفْوَلِ ؛ وَأَعْتَادًا عَلَى مَا عُرِفَ مِنْ وِفَاءِ صَحَابَتِهِ ، وَأَلْفٍ مِنْ
 سِنَاءِ دِرَائَتِهِ وَدَرَابَتِهِ ، وَوُصِفَ مِنْ أَيَّامِ دِيُونَتِهِ ^(١) بَعْدَ أَيَّامِ حُكْمِهِ بَعْدَ أَيَّامِ خَطَايَتِهِ ! ؛
 وَأَسْتِنَادًا إِلَى نَشَاتِهِ فِي بَيْتِ الْعِلْمِ الْمُسْتَفَادِ ، وَالْحُكْمِ الْمُسْتَجَادِ ، وَالْفَضْلِ الْمُسْتَرَادِ ،
 وَتَرْبِيَةِ الْوَالِدِ الَّذِي كَانَ الْإِخْتِيَارَ يَحْلِفُ بِالْفَخْرِ أَنَّهُ مَا يَرَى أَظْهَرَ مِنْ ذَاتِ الْعِمَادِ .

فَلْيَبَاشِرْ صَحَابَةَ دِيْوَانِ هَدْيَيْنِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ بِأَمَلٍ مَبْسُوطٍ ، وَحَالٍ بَيْنَمَا هُوَ
 مَنَحُوسٌ حَظٌّ إِذَا هُوَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مَغْبُوطٌ ؛ وَأَجْتِمَاعٍ مَضْمُونٍ بِلَدْوَاهِ فَضْلُ
 الزِّيَادَةِ ، وَسَيَّرَ لَا يَزَالُ بِشَمْسِهِ حَتَّى تَجْرِيَ لِمُسْتَقَرِّهَا مِنْ مَنَازِلِ السَّعَادَةِ ، وَمُبَاشَرَةٍ
 لِأَوْقَافِهَا تُعَانُ وَتُعَادُ أَجْمَلُ إِعَانَةٍ وَأَكْلَ إِعَادَةٍ ، وَصَحَابَتِهِ يَتَنَوَّعُ فِي نَفْعِهَا وَيَتَعَيَّنُ حَتَّى
 تَكُونَ [مِنْهُ] عَادَةٌ وَمِنْهَا شَهَادَةٌ .

أَيَّامُ كَانَ بِدِيْوَانِهِ . وَهُوَ لَفْظٌ مُخَفَّفٌ لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ .



تَوْقِيعٌ بنظر الشُّعْرَا وبانياس، من إنشاء ابن نُبَاتَةَ، لمن لقبه «صَدْرَ الدِّينِ» وأسمه «أحمد» بِالْعَوْدِ، وهو :

رُسم بالأمر - لا زالت صُدُور الكُفَاة مُنْشِرِحَةً في أَيَّامِهِ ، مُنْشِرِحَةَ الآمال
في إنعامه ، ولا بَرَحَ عَوْدُهُ أحمد إلى المناصب في ظلال سُيوفه وأقلامه .

ومنه : فليباشر هذه الوظيفة الشاكرة له أولاً وآخراً ، وليجتهد فيما يزيد من
الأعتناء والأغناء باطنًا وظاهرًا ، وليستردُّ بَشُكْرِهِ من النعمة فما أخلف وعدُّ المزيِّد
شاكراً ، وليحرض على أن يُرى أبداً في المراتب صَدْرًا ولا يُرى عن وُروُد الإحسان
صَادِرًا .



تَوْقِيعٌ بنظر حِمَصٍ ، من إنشاء ابن نُبَاتَةَ ، كُتِبَ به لابن البَدْرِ نَاطِرٍ حِمَصٍ
بِالنُّزُولِ من أبيه عند ما أَسَنُّ ، وهو :

رُسم بالأمر - لا زال حَسَنُ النَّظَرِ من مَوَاهِبِهِ ، وَيَمِينُ الظَّفَرِ من مَرَاكِبِهِ ، وَسَقَى
البلاد صَوْبَ العَدْلِ من سَحَائِبِهِ ، ولا بَرَحَ سَنَا البَدْرِ من خَدَمِهِ فإذا أَحَسَّ بالسَّرَارِ
ألقى الخَدْمَةَ إلى أَزْهِرِ كَوَاكِبِهِ - أن يَسْتَقِرَّ المَجْلِسُ ... : لِمَا عُلِمَ من رَأْيِهِ الأَسَدِ ،
وعزَمَهُ الأَسَدِ ، ومَرَبِّي والده حتى يبين عِظَمُ الهِنَاءِ بالشَّبِيلِ عند ما وهنَّ عِظَمُ الأَسَدِ ؛
ورُكُونًا إلى نَجَابَتِهِ التي سَمَّتْ أَصْلًا وفِرْعًا ، وقَدِمَتْ غِنَاءً ونَفْعًا ، وتَبَسَّمَتْ كِائِمٌ
أصلها المُسْتَأْنَفَةُ حيثُ كَادَ الزَمَانُ يَنْعَى منه يَنْعَا ؛ وأَسْتَدَادًا إلى أن الصَّنَاعَةَ شَابَهُ ،
وَسَمَاتِ التَّمَكِينِ هَابَهُ ؛ وإلى أن أَغْصَانَ العِزَائِمِ نَصَرَهُ ، وإلى أن مع القُدْرَةِ قُدْرَهُ ،
وإلى أن كَوَكَبَ العِزِّ في المَنْزِلَةِ قد خَلَفَ بَدْرَهُ ؛ وأَعْتَادًا على سِهَامِ تَفْقِيدِهِ الصَّابِيَةَ ،

وأحكام هممه الواجبه ، وأقلام يده التي تُحسِنُ إخراج الأمل فيه وكيف لا ؟ وهى الحاسبة الكاتبة .

فليأشر هذا النظر المفوض إليه سامياً نظره ، زايقاً فى الخدمة خبره وخبره ، شاكراً هذا الإنعام الذى برأياه وأسعد جدّه ومزیدُ الإنعام مضمونُ المزید لمن شكره ؛ عالمًا أن هذه الملكة المحمّدية من أقدم ذخائر الأيام ، وأكرم ما أفاء الله من غنيمتها وظلّها على جُندِ الإسلام ، وأنها من مراكز الرّماح كما شهير فليمدّها من تديره برماح الأقلام ؛ وليواطّب بحسِن نظره على تقرير أحوالها ، وتقريب آمالها ، وتأثير المصالح فى أعمالها ، ولا يخصّ أمرها فى التّصديق فكفى ما حمصتها الأيام على تعاقب أحوالها ؛ بل يجتهد فى إزاحة أعذارها بسداد الرّأى الراجح ، وإشاعة الذّكر الحسّن مع كلّ غايد ورائح ، ورفع الأيدي بالأدعية الصالحة فى تلك المشاهد للملك «الظاهر» فى هذا الوقت والملك «الصالح» ؛ حتى يشهد سيفُ الله «خالد» بمضاهى سيفِ حرّمه وعزّمه ، وحتى يتوقّف من غرض الخير والحمد نصيبُ سهمه ، وتقوى الله تعالى أوّل الوصايا وآخرها فلتكن أبداً فى همّة فهمه .



توقيع بنظر الرّحبة ، من إنشاء ابن نباتة لمن لقبه «تاج الدين» وهو :

رُسم بالأمر - لا زال ملىء السحاب ، بسقيا الآمال الواردة ، مملوء الرّحاب ، بكفاة الأعمال السائده ، مخدوم الممالك والأيام بأقلام الدواوين الحاسبة وأقلام الدواوين الحامده - أن يستقر : لكفاءته التى وافق خبرها الخبر ، ونشر ذكرها نشر الخبر ، وصناعة حسابيه التى لو عاش «أبو القاسم المعزى» لم يكن له فيها قسيما ،

(١) لعل هذه الكلمة زائدة من قلم الناصح .

ولو عاصرها «أبن الجراح» بقسده وإقدامه لا نقلب عنها جريح الفكر هزيمًا ؛
بل لو نأواه الشديد الماعز لُدَّحَجَ بغير سكين ، والتَّاج الطويل لرجع عن هذا التَّاج
الطائل رُجوعَ المسكين .

فلباشر ما فوض من هذه الوظيفة إليه ، ونبه الاختبار فيها نظره الجميل وناظره ؛
جاريًا على عوائد هممه الوثيقه ، ماشيًا على أنجح طريق من آرائه وأوضح طريقه ،
نازلًا منزلة العين من هذه الجهة التي لو صوّرت بشرًا لكان ناظرها على الحقيقه ؛
مفرجًا لمضايقتها حتى تكون كما يقال رحبه ، مُقتِحًا من حُرُون أحوالها العقبه
وما أدراك ما العقبه؟ ؛ فكَّ من رقاب السفار المعوقين رقبه ؛ وأطمأ أرباب
الاستحقاقات في يوم ذي مسعبه ، وساعف بتيسير المعلوم كل كاتب ذي متربه ؛
حريصًا على أن يُغني الديوان بوفره ، وتُغني حداة التجار بشكره ، وعلى أن يقوم
رجال الاستخدام في المهمات بنصره ؛ وعلى أن تُساق بفضي قلبه الأموال أحسن
سوق ، وعلى أن يكون لأهل الرحبه من إحسانه «مالك» ومن جدوى تديره
«طوق» ؛ والله تعالى يوضح في المصالح منهاجه ، ويعلّي على رؤوس الأوصاف تاجه .



توقيع بنظر جعب قبل أن تُنقل إلى عمل حلب ، من إنشاء ابن نباته ، كُتب به
«لحبة الله بن النفيس» ، وهو :

رسم بالأمر - لا زالت المناصب في دولته الشريفة تستقبل هبة الله بشكرها ،
وتناجح الذكر النفيس بمقدمات نشرها وبشرها - أن يرتب ... : لكفاءته
التي آشهرت ، وأمانته التي طهرت فظهرت ، ومباشرته التي ضاهت نجوم السماء
إذا زهرت ، ونجوم الأرض إذا أزهرت ؛ وأنه الذي جرب عزمه فزكا على

التَّجْرِبِ ، وَرَقَى فِي مَطَالَعِ التَّنْدْرِيجِ وَالتَّنْدْرِيبِ ، وَنَصَّ حَدِيثُ اجْتِهَادِهِ الْمُقَرَّبِ فَكَانَ سَابِقًا عَلَى النَّصِّ وَالتَّنْقِيرِ ؛ وَأَنَّ هَذِهِ الْبُقْعَةُ الْمُبَارَكَةُ مِنْ أَطَابِ النَّارِ يُخْ خَبَرَهَا ، وَقَصَّ سِيرَهَا ، وَحَمِدَ صَاحِبَهَا الْعَقِيلِيَّ مِنْ قَدِيمِ أَرْهَا ، وَعَرَفَ بَرَكَتَهَا لَمَّا آسْتَسْقَى بِهَا مِنَ السَّمَاءِ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ الْحَيَوَانَ مَطَرَهَا .

فَلْيَبْشُرْ هَذَا النَّغْرَ الْمَحْرُوسَ بِكِفَاءَةِ بِاسْمِهِ ، وَعَزْمِيَّةَ كَالْحُسَامِ لِأَذْوَاءِ الْأُمُورِ حَاسِمِهِ ؛ وَرَأْيِي لِلنَّجَاحِ حَسَنِ الْأَسْتِصْحَابِ ، وَتَمْتِيرُ كَمَا مَلَأَ الرَّحْبَةَ فَلَيْمَلَأُ بِمِضَاعَفَتِهِ الرَّحَابَ ؛ مُؤَفَّرًا الْعَدَدَ لِلْحَوَاصِلِ وَحَوَاصِلِ الْعِدَادِ ، فَاتِحًا لِأَفْوَاهِ الْقُفُولِ بِذِكْرِ الْجَمِيلِ فِي التَّهَامِ وَالنَّبْجَادِ ، مَا شِئًا فِيمَا يَأْتِي وَيَذَرُ عَلَى سَدَادِ الطَّرُقِ وَطُرُقِ السَّدَادِ .



تَوْقِيعُ بِنَظَرِ الْبِقَاعِ ، مِنْ إِنْشَاءِ آبِنِ نُبَاتَةِ ، وَهُوَ :

رُؤْمٌ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ يُهَيِّئُ لِلْكَفَاةِ رِزْقًا ، وَيُهَيِّئُ لِتَجْدِيدِ الْمَنَاصِبِ مُسْتَحَقًّا ، وَلَا بَرِحَتْ الْبِقَاعُ بِأَيَّامِهِ الْكَرِيمَةِ تَسْعَدُ كَمَا تَسْعَدُ الرَّجَالُ وَلَا تَشْقَى - أَنْ يَرْتَبَّ ... حَسَبَ مَا تَضَمَّنَتْهُ مَكْتَابَةُ الْجَنَابِ الْفَلَائِي : مُنْبَهًا عَلَى قَدْرِ هَذَا النَّاطِرِ الْمُهْتَدِبِ وَصَفِّهِ ، الْمُرْتَبَّ عَلَى نَحْوِ النَّوَاءِ نَعْتُهُ وَعَظْفُهُ ؛ الْمَشْهُورِ بِمَبَاشَرَتِهِ أَنْتِفَاعِ الْوِظَائِفِ وَأَرْتِفَاعِهَا ، الشَّاهِدِ بِكِفَاءَتِهِ وَأَمَانَتِهِ مَسَالِكِ الْأَعْمَالِ وَبِقَاعِهَا ؛ وَأَعْتَادًا عَلَى مَبَاشَرَتِهِ الزَّكِيهِ ، وَكِتَابَتِهِ الَّتِي لَا يُدَاهِنُهَا الْمُدَاهِنُونَ وَهِيَ نِعْمُ الْبَعْلَبَكِيَّةِ ^(١) .

فَلْيَبْشُرْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ الْمَتَمِّمَةَ بِمَطَالَعِ رَشْدِهِ ، وَمَطَالِبِ سَدِّهِ ، عَالِمًا أَنَّ الْبِقَاعَ كَالرَّجَالِ تَسْعَدُ وَتَشْقَى : فَلْيَكُنْ سَعْدُهَا عَلَى قَلْبِهِ وَيَدِهِ ؛ مُجْتَهِدًا فِيمَا يُبَيِّضُ وَجْهَ

(١) نسبة الى بعلبك عند من يجعله اسما واحدا ويمتعه من الصرف فأما من يضيف الأول الى الثاني ويجرى الأول بوجوه الاعراب فالنسبة عنده بعلبك .

شَاكِرِهِ، حَرِيصًا عَلَى أَزْدِيَادِ الصِّفَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِي عَقْدِ حِسَابِ الْعَمَلِ مَحَلَّ بِنَانِهِ
بِفَعْلِهِ الْآنَ مَحَلَّ نَظَرِهِ ؛ مُتَمَرًّا لِأَوْلَادِ النُّوَاحِي وَغَلَايِلِهَا ، وَاضِعًا عَنْ أَرْبَابِ
الْإِسْتِحْقَاقَاتِ مَا عَلَيْهَا مِنْ سُوءِ التَّنْدِيرِ : مَنْ إِصْرُهَا وَأَغْلَالِهَا ؛ مُحْتَاطًا لِنَفْسِهِ
فِي الْحَوَاطِ حَتَّى لَا يُذَكَّرَ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَلَا يُعْرَفَ قَلَمُهُ إِلَّا بِمَيْرٍ؛ نَاثِرًا حَبَّ حُبِّهِ حَتَّى
تَهْوِي إِلَيْهِ أَلْفَاظُ النَّشَاءِ هَوِيَّ الطَّيْرِ، جَاعِلًا تَقْوَى اللَّهِ مَقْصَدَهُ : فَإِنَّهَا السَّبِيلُ إِلَى فَوْزِ
الدَّارِينَ لَا غَيْرَ .

الصنف الرابع

(مما يكتب لأرباب الوظائف بالشام - توقيح مشايخ الخوائق ،

وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما هو بحاضرة دمشق ، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتح بـ «الحمد لله»)

وهو توقيح شيخ الشيوخ بدمشق : وهي مَشِيخَةُ الخانقاه الصلاحية المعروفة
بالشميصاتية . وقد تقدم أنها يكتب بها أيضا من الأبواب السلطانية . ثم هي تُفرد
تارة عن كتابة السَّر بالشام ، وتارة تُضَافُ إليها .

توقيح بمَشِيخَةِ الشيوخ بالشام ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كُتِبَ بِهِ
للشيخ «علاء الدين علي» مفردة عن كتابة السَّر ، وهو :

الحمد لله الذي جعل شرف أوليائه عليا، وفضلَه الجليل جليا، واتصالَ علامهم
كاتصال كوكب الشرف بإيلاء الخيرات مليا، وحاضرَ أفقهم كغائبه إذا سطرت
دعواته وأستمطرت هباته كان على كلال الحالين وليا .

نحمدُه على توالى النعم الأنيقه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة تستمر بأصلها فروع الحقيقه ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أجدر الخلق
بكرم الخلقه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكوا بهداه أحسن طريق
وسلكوا في أحسن طريقه ، صلاة دائمة لا تزال بها عقائد الإخلاص موقفة وألسنة
الذكر طليقة ، وتحيية إذا بدت في حضرة الأذكار كانت للأعين من النور نهاره
وكانت للأبصار من القدر شقيقه .

أما بعد ، فإن أولى المراتب الدينية بتقديم العناية ، وتفخيم الرعاية ، وتكريم التولية
ولا سيما إذا كانت منتسبة إلى أهل الولاية - مرتبة مشيخة الشيوخ التي يجمع عباد الله
الصالحين نطاقها ، ويضمهم رواقها ، وتطلعهم مطالع كواكب الهدى آفاقها المنيرة
وأوقافها .

ولما خلت الآن هذه الرتبة بالشام المحروس من شيخ تدور هذه الطائفة على
قطبه ، وتجتمع على مائدة قرباته وقربه ، وتمشي على قدميه وتناجي صلاح أحوالها
عن قلبه - تعين أن نختار لها من كملت بالله أداته ، وصفت في مشاهد الحق
ذاته ، وزكت في علمي الإبانة والأمانة شهادته المفصحة ومشاهداته ، وأجمع الناس
على فوائد تسليكه وأسلاك قلبه حيث بدت في وجوه الحسن حسناته ، ووجوه
الشام شاماته ؛ لما شهر من معرفته وعرفانه ، ولما دعى له ببقاء نوح ليا فاض

في العلم من طوفانه ؛ وليا قام في الأذهان من طبقة قدره الموصوف ، ولما سار من رسالة أخباره فإذا قالت الآثار : « هذا السرى » قال الإيثار : « وفضله معروف » .

فليأثر هذه المشيخة المباركة بصدر السالكين رحيب ، ويرى للسائلين مجيب ، وفضل يقول الرائد والمريد بدار إقامته : قفا نيك من ذكرى منزل وحيب ، وبشرى يملآن عين المجتبي ويد المجتدي ، وعطف ولطف إذا قال الذّاكر لمن مضى : راح ماليكي ! قال المعارين : وجاء سيدي ؛ وليراع أمور الخوانق الشامية ما غاب منها وما حضر ، وما سمع منها وما نظر ، ولئهدب قلوب ساكنيها حتى يعود كإخوان الصفاء من المودة قوم كانوا إخوان الصفا من الحجر ، قائما بحقوق الرتبة قيام مثله من أئمة العلم والعمل ، داعيا لهذه الدولة العادلة فإنه أفضى دواعي الأمل ، معربا - لأن العربية من علومه - عن الإيضاح غنيا عن تفصيل الجمل ؛ وهو المسلك فما يحتاج لتسليك درر الوصايا ، المحبوة لمثل هذه الروايات المبرورة : فنعيم الروايات المحبوة بنعم الحبايا ؛ والله تعالى يعيد على الأمة بركته ، ويمتعهم باستسقاء الغوث : إما بسطها عند بره ! وإما بسطها عند دعواته .



وهذه نسخة توقيع بمشيخة الشيوخ بالشام أيضا ، مضافة إلى كتابة السربة ، كتب بها للقاضي ناصر الدين « محمد بن أبي الطيب » كاتب السر بالشام بـ « الملقر الشريف » وهي :

الحمد لله الذي شرح صدور أوليائه بمعرفة الحق وأتباعه ، وجعلهم خواصه الذين غدوا من أتباع الحبيب وأشياعه ، ورفق ذكركم على رؤوس الأشهاد وآواهم إلى مقام الأئس في محل القرب بالتسليك المحمدي الذي أوصل إليه مزیده بانقطاعه ، وخصهم

ببركات من حصّهم على الأعمال الصالحة بتّصيده الجميل وعلمه العزيز وأنّضاعه ،
ومنتحهم بمن أوضّح لهم الطّريق المستقيم بإبدائه الحقّ وإبذار إبداعه ، وغدّاهم بالحكمة
فدّشّوا بالمعرفة وصار لهم العقل السليم بالتّحفظ من الأهوية الرّديّة فسأمت لهم الطّيبة
على قانون الصّحة بحسن تركيبه وأوضاعه ، وأفاض عليهم من بحر علمه ما نالوا به الرّشد
فصاروا أولياءً بلازمة أوراده ومتابعة أوزاعه .

نعمده على ما ألهنا من وّضغ الشّيء في محله ، وإيصال الحقّ إلى أهله ، وإجابة
سؤال الفقراء وإعانتهم بمن أغناهم عن السؤال بفضائله وفضله ؛ حمداً يعيد كسّاف
الكرب على مرّيديه وطّيبته ، ويرفع مقام من قام بشعار الدين بتعظيم قدره وعلوّ
درجته ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي من تقرب منه ذرّاعاً ،
تقرب منه باعاً ، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة وإذا تقرب إليه عبده بالنوافل
أحبّه ، (وعنده مفايح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البرّ والبحر وما تسقط من
ورقة إلا يعلمها ولا حبه) . ونشهد أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أضاءت
الأكوان من نور هديه فأهتدت به أصحاب المعارف المسامون لموجدهم الأمر
والإرادة ، ومن هو روح الوجود الذي أحيا كلّ موجود وسلك طريق سنّته
الموصّلة إلى عالم الغيب والشّهاده ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين صفت
قلوبهم من الأكدار وإلى التقوى سبّقوا ، وصدقوا في المحبة فاستحقوا ثناء مولاهم :
(من المؤمنين رجال صدقوا) ؛ فمنهم من شمت من فيه رائحة كيد مشويّة من
خشية الله ، ومنهم من حدّث بما شاهده ببصره وبصيرته على البعد ورآه ؛ ومنهم
من أحيا ليله واستحيّت منه ملائكة السماء ، ومنهم من أتخذة أخا إذ هو باب
مدينة العلم وركن العلماء ؛ صلاة دائمة تطيب أوقات الحجبين ، وتطرب بسماعها
قلوب المتقين أهل اليقين ؛ وسلّم تسليماً .

أما بعد، فإنَّ أَوْلَى مَنْ قَدَّمناه، إلى أهل الصلاح، ورفعناه، إلى محلِّ القُربِ وروح الأرواح، وحكَّناه، على أهل الخير، ومكَّناه في حُزْبِ الله الذي غَلَبَ لما اجتهدوا على إخراج حُزْبِ الشَّيْطَانِ من قلوبهم وزحفوا على قراره بِجَيْشِ التَّقْوَى وَسِمْتَهُمُ الزُّهْدُ وحُسنُ السَّيْرِ؛ وولَّيناه أجلَّ المناصب الذي تَجْتَمِعُ فيه قلوبُ الأُولياءِ على الطَّاعه، وأحللناه أرفعَ المراتبِ الذي خطبه منهم خيارُ الجَمْعِ بِلُحْوَةِ عُرُوسِ الجَمالِ في الخَلْوَةِ بعقد ميثاقِ سُنَّةِ المحبَّةِ وشهادة قلوبِ الجماعه - من جملة صورة ومعنى، وأفخر به أجاد ومثني؛ وباشره على أحسن الوجوه، وبلغ كلاً من مُريدِهِ وطَلَبَتِهِ من فضائله وفضلِهِ ما يُؤمِّلُهُ ويرجوه؛ ومدَّ موائدَ علومه المحتوية على أنواع الفضائل المُغذِّية للقلوب، وجلس في حُلِيِّ الرِّضا فكسا القومَ الذين لا يَسْقَى بهم الجَلِيسُ ملايسَ التَّقْوَى المُطهَّرة من العيوب؛ وظهر في محفلِهِم للهِدَايَةِ كالبُذُرِ وهم حولَه هالَه، وكان دليلاً لهم إلى الحقِّ فعدوا بتسليكه من مشايخ الرِّساله؛ وجاهد في بيان معاني القرآن العظيم حتى قيلَ لَمَّا فَسَّرَه: هذا «مُجاهِد»، وأستدلَّ على تزيهه من تكلم به - سبحانه - عن التشبيه والتعليل «وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه واحد»، ونقل الحديثَ المحمديَّ الذي هو «مَوْطَأٌ» لتفهم «الغريب» منه وميز «صحيحه» لكلِّ «مُسلمٍ» فأطرب بسجاعة الوُفُودِ، وأفاد العباد «تتبه الغافلين» فقاموا في الخِدْمَةِ فأصبحوا تعرفُهُم بسِيَّاهُم: (سِيَّاهُم في وجوهِهِم من أثرِ السُّجُودِ)؛ وخفَّضَ جَنَاحَه الذي عبَّره الشَّعْرى العبورَ والنسرَ الطائرَ، وسار إحسانه إلى طوائف الفقراء فصار مثلاً فحَبَّذَا «المنلُ السَّائر».

وكان فلانٌ - أعاد الله تعالى من بركاته وأسبغَ ظلاله - هو الذي أقامه اللهُ تعالى لهذه الطائفة المباركة مرَّةً بعد مرَّة، ودُكرت صفاته الجميلة فكان مثله للعيون قُرَّة؛

وَأَتَصَفَّ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي مَلَأَتْ الْأَفْوَاهَ وَالْمَسَامِعَ كَمَا مَلَأَتْ مِرْءَانَهُ الْمُقَلَّ، وَحَصَلَ
 الْبِشْرُ بِمَعْرُوفِهِ الَّذِي تَتَّبَعَهُ السَّرِيُّ أَبُو يَزِيدَ بَخْرِيُّ عَلَى عَادَةِ الْقَوْمِ الْكِرَامِ وَوَصَلَ بِهِ
 وَنَبَعَتْ عِنَاصِرُ فِضَائِلِهِ فَكَانَتْ شَرَابَ الَّذِينَ صَفَّتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ كَدِّهَا، وَأَمْطَرَتْ
 سَحَابَ عُلُومِهِ الْإِلَهِيَّةِ الدَّازِعَةَ مِنْ سَمَاءِ الْحَقِيقَةِ فَسَالَتْ أَوْدِيَةً بَقَدْرِهَا، وَظَهَرَتْ لَمْعَةُ
 أَنْوَارِ شَمْسِ مَعَارِفِهِ عِنْدَ التَّجَلِّيِّ عَلَى الْمُرِيدِ، وَسَاقَ نُفُوسَ الْقَائِمِينَ لِمَا عَزَّ مَطْلِبُهُمْ
 بِأَصْلِهِ الَّذِي شَرَحَ طَلَّاسِمَ قَلْبِ الْفَائِي بِذِكْرِ الْبَاقِي فَفَرَّقُوا فِي بَحَارِ الْمَحَبَّةِ (وَجَاءَتْ كُلُّ
 نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ يَرْفَعُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ إِلَى أَعْلَى مَقَامٍ ،
 وَيُنْبِي لَهُمْ فِي جَنَّاتِ الْقُرْبِ قُصُورَ الرِّضَا: (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا) وَمَزِيدُهُمُ الْإِكْرَامَ -
 أَنْ تُفَوِّضَ إِلَيْهِ مَشِيخَةَ الشُّيُوخِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ : وَظَيْفَتُهُ الَّتِي خَرَجَتْ عَنْهُ ،
 الْمَرْسُومُ الْآنَ إِعَادَتُهَا عَلَيْهِ ، عَوْضًا عَنْ كَانَتْ بِيَدِهِ ، بِمَعْلُومِي النَّظَرِ وَالْمَشِيخَةِ الشَّاهِدِ
 بِهِمَا دِيْوَانَ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ، وَأَكْلِ الْقَوَاعِدِ ؛
 تَفْوِيضًا نَظْمَتْ بِالْقَبُولِ عُقُودَهُ ، وَدَامَتْ فِي دَارِ السَّعَادَةِ سُعُودَهُ ، وَفِي دَرَجِ الْمَعَالِي
 صُعُودُهُ .

فَلْيَتَلَقَّ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ ، وَلْيَتَّبِعِ الْفُقَرَاءَ مِنْ أَقْبَالِهِ الْجَمَّ الَّذِي أَلْجَمَ عُدُوَّهُ الْمُنَى وَالسُّؤْلَ ؛
 وَلْيُعَامِلِ الْمُرِيدِينَ بِالسَّفَقَةِ الْمَعْرُوفَةِ مِنْ رَحْمَةِ دِينِهِ وَإِفْضَالِهِ ، وَلْيَشْمَلْ كُلًّا مِنْهُمْ
 بِعِنَايَتِهِ وَلُطْفِهِ فَإِنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَشْفَقُهُمْ عَلَى عِيَالِهِ ؛ وَلْيَأْمُرْهُمْ بِمُلَازِمَةِ
 إِقَامَةِ الصَّلَاةِ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ ، وَإِذَا مَالُوا - وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ تَعَالَى - يَوْمًا
 إِلَى مُنَافَسَةِ بَيْنِهِمْ فَلْيَقُلْ : اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا تَمِيلُوا كُلَّ
 الْمَيْلِ ؛ وَلْيَفْسَحْ لَهُمْ حَرَمَ الْخَيْرِ الَّذِي وَقَفُوا فِيهِ نُجَاهَ قَصْرِ تَعْبُدِهِ الَّذِي عَلَا بِالْجَوْهَرِ

الْقَرْدِ وَقُوَّةِ الْإِحْلَاصِ ، وَلِيُدْخِلَهُمْ مِنْهُ جَنَّةَ إِقْبَالِ فَوَائِدِهِ الَّتِي فِيهَا مِنْ أُنْبُكَارِ مَعَانِيهِ
حُورٍ مَقْصُورَاتٍ فِي خِيَامٍ أَدَانِهِ لَمْ يَطْمِئِنُّنَّ أَنْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ وَأَعْجَزَ قَصْرُهُ الْعَالِي
وَجَوْهَرُهُ الْعَالِي كُلُّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ ؛ وَلِيَجْعَلَهُمْ لَهُ عَلَى جَبَلِ أَعْتَادِهِ وَمُرُورَةٍ مُرُورَةٍ
إِخْوَانَ الصَّفَا ، وَلِيُقِيمَهُمْ فِي رُكْنِ مَقَامِ الْمُنَاجَاةِ إِذَا زَمَزَمَ مُطْرِبُ حَيِّمٍ تَلْقَاءَ أَهْلِ
الْوَفَا ؛ وَلِيَقْدِمَ السَّابِقِينَ بِمَعْرِفَةِ حَقِّهِمْ وَنَجْدَتِهِمْ بِالْوَرَعِ الَّذِي يَغْلِبُونَ بِهِ الشَّيْطَانَ
فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ، وَلِيُسَدِّدُوا قُلُوبَهُمُ الْمُرَضَى بِشَرَابِ الْمَحَبَّةِ وَتَرْكِيبِ أَذْوِيَةِ
الْأَمْتَلَاءِ مِنَ الدُّنْيَا لِيَعْتَدُوا وَقْتَ السَّحْرِ [بِحَدِيثِ] [هَلْ مِنْ تَائِبٍ] وَلَا يَسْقِيهِمْ كَاسَاتِ
تَضَعُفُ عَنْهَا قُوَّتُهُمْ حَتَّى يُنْقَوُوا مِنْ بَرْدَةِ الْهَوَى الْمُضِرَّةِ وَيَغْتَسِلُوا بِحَارِّ مَجَارِي دُمُوعِ
الْخُشُوعِ وَيَلْبَسُوا جَدِيدَ مَلَابِيسِ التَّقَى وَيَغْدُوا مِنَ الْحَبَائِبِ . وَمِنْهُ تُعْرَفُ الْوَصَايَا ،
وَعَنْهُ تُثَقَّلُ الْمَزَايَا ، وَكَرُمُ الْأَخْلَاقِ وَالسَّجَايَا ؛ وَلِيَأْمُرَ السَّالِكِينَ بِمَدَاوِمَةِ الْأَعْمَالِ
الَّتِي قَامَتْ بِحُسْنِ الْعَقَائِدِ وَأَسْتَقَلَّتْ ، وَلِيَحْضُضَ الْمُرِيدِينَ أَوَائِلَ التَّسْلِيكِ عَلَى ذَلِكَ
فَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَذْوُمُهَا وَإِنْ قَلَّتْ ؛ وَلِيَعْرِفَهُمُ الْمَحَبَّةَ بِذِكْرِ اللَّهِ لَثَلًا
يُقَوْمُوا عَلَى قَدَمِ الْهَيْبَامِ ، وَلِيَبَيِّنَ لَهُمُ الْمَعْنَى إِذَا لَمْ يَعْرِفُوا الْمَعْنَى لِيَقْطَعُوا الْهَوَاجِرَ فِي طَلَبِ
الصَّيَامِ ؛ وَلِيَفَرِّقَ بَيْنَ الْوَارِدَاتِ بِمَلَازِمَةِ الْأُورَادِ لَثَلًا يَقَعُوا مِنَ الْأَشْتِبَاءِ فِي حَيْرِهِ ،
وَلِيَأْمُرَهُمْ بِادِّخَارِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ لِتَكُونَ التَّقْوَى لِقُلُوبِهِمْ قُوَّتًا وَالرُّهْدُ مِيرَةً ؛ وَلِيَقْمَعَ
أَهْلَ السَّدْعِ ، وَلِيَرْفَعَ مَنْ أَتَّضَعَ ؛ وَلِيَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ أَوْقَافِهِمْ بِجَمِيعِ الْخَوَافِقِ وَالرُّبُطِ
وَالزُّوَايَا بِالْجَمِيلِ مِنَ النَّظَرِ ، وَلِيَزِيدَ فِي الْأَجُورِ بِمَا يُؤَثِّرُ فِيهَا نَظَرُهُ الَّذِي مَازَالَ لَهُمْ مِنْهُ أَوْفَرُ
نَصِيبٍ خَبْدًا الْعَيْنِ وَالْأَثَرِ ، وَالْوَصَايَا وَإِنْ كَثُرَتْ فَهِيَ مُفِيدُهَا وَعِنْدَهُ مَنبَعُهَا ، وَتَقْوَى
اللَّهِ الَّذِي هُوَ شَيْخُهَا وَمُرِيدُهَا فِي بَيْتِهِ الْمُبَارَكِ حَلَاوَةَ دَوَّقِهَا وَجَمْعُهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
يَكْتُمُوهُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِآيَاتِهِ الْبَيِّنَاتِ ، وَيَرْفَعُهَا وَيُرْقِيهِهَا إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ .

المرتبة الثانية

(من تواقع مشايخ الأمكنة بحاضرة دمشق - ما يفتح به «أما بعد

حمد الله» وفيها وظائف)

نسخة توقيع بمشيخة إقراء القرآن ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ،
كتب به للشيخ شهاب الدين «أحمد بن النقيب» بـ «المجلس العالى» وهى :

أما بعد حمد الله رافع شهب الهدى أعلما، وجاعل رتب أفضلها أعلى ما ، ومحل
أحمدها من مدارس الآيات منازل بدر إذا محامق من هذا أسما أثبت من سمو هذا قرأ
تماما، ومُسكِنه من مواطن الذكر جنات قوم بارتقائهم وبقاء ذكركم خالدين فيها
حسنت مستقرا ومقاما، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أرفع من آخذ القرآن إماما،
وأرفع من عقد استحقاق النبوة على حمده خنصرا وجلا الحق بهداه إبهاما، وعلى آله
وصحبه أرفع من ليس بسردي الآيات درعا وأقسم من بركتها بهما - فإن وظيفة
يكون القرآن الكريم، ربيع فصلها وفضلها، ورثبة يكون الذكر الحكيم، مداوى قلوب
جنفها، ومشيخة يكون مرید الآيات البينات وإرد زوايا أهلها - لأحق أن يتغير لها
الأكفاء من ذوى الفضل الأثير، والأدلاء على أشرف نتائج الهداية من ذوى الحليم
الساكن والعزم المثير .

ولما كانت مشيخة إقراء القرآن بالترتبة المعروفة بأمر الصالح بدمشق المحروسة :
هى كما يقال : أم العلم وأبوه، وأخوه وحموه، وصاحبته وأهل الكتاب والسنة بنوه،
وخلت الآن من شيخ [كان] يحى حماها، وتقسيم الخلوات والآيات من بركته وتلاوته
بـ «الشمس وصحها والقمر إذا تلاها» وكان فلان هو الذخيرة المخبوءة لهذا الأمر ،
وذو السيرة المحبوبة بهذا الشرف العمر، وصاحب القراءة والبيان الذى لا يعوز زمان

طَلَبْتَهُ [أبو] عُمَرُ وَلَا أَبُو عَمْرٍو، وَالْجَامِعُ لِعُلُومِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِجَمْعِ سَلَامَةٍ فِي فَنِّهِ، وَصِحَّةٍ فِي شَرَفِ ذِهْنِهِ، وَجَوَازِ أَمْرِ يَشْهَدُ أَنَّ الْبَحْرَ يَخْرُجُ [لَدَى] الْمَشْكَلاتِ مِنْ صَدْرِهِ وَيَدْخُلُ عِنْدَ عَقْدِ الْحَبَا فِي رُذْنِهِ، وَالْقَارِيُّ الَّذِي إِذَا قَالَ مُبِينًا قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، وَالتَّالِي الَّذِي إِذَا قَصَرَ أَوْ مَدَّ، مَدَّ إِلَى سَمَوَاتِ الْعُلَى بِأَسْبَابِ، وَالْمُشِيرُ إِلَى عِلْمِهِ الْمَرْسُومِ بِمُصَحِّفِهِ فَلَا عِدَمَ إِشَارَتِهِ وَمَرْسُومَهُ أَوْلُو الْأَبْوابِ، وَالْمُجَلِّيُّ وَإِنْ سَمَّاهُ الْعُرْفُ تَالِيًا، وَالْمُنْتَقَبُ عَنِ غَوَامِضِ التَّفْسِيرِ: وَ «أَبْنُ النَّقِيبِ» أَوْلَى بِسِنْدِ التَّفْسِيرِ عَالِيًا، وَالْإِمَامُ السُّنِّيُّ وَإِنْ سَمَّاهُ الشَّرْعُ الْإِمَامَ الْحَاكِمَ دَهْرًا وَأَقَامَ لَهُ فِي أَفْقِ كُلِّ فَضْلٍ دَاعِيًا، وَالسَّامِيُّ الَّذِي يَسْلُكُ بِفَخْرِهِ عَلَى «الْعِرَاقِيِّ» أَوْضَحَ مَحَجَّهُ، وَالْعَرَبِيُّ الَّذِي مَا «لِلْفَارِسِيِّ» دَخُولٌ فِي بَابِ تَيْقِنِهِ وَإِنْ جَاءَ بِحُجَّةٍ، وَذُو الرِّوَايَاتِ الْمُرُوبَةِ سَخَائِهِ، وَخَلْفُ الْعُلَمَاءِ الْأَبْيَضُ فَمَا «خَلْفُ الْأَحْمَرِ» مِمَّا يُقَارِبُهُ، وَلَا «تَعَلَّبُ» مِمَّا تَضِحُّ لَدَيْهِ تَعَالِيَهُ، وَلَا «أَبْنُ خُرُوفٍ» مِمَّا يُدَانِيهِ وَهُوَ «الَلَيْثُ» وَمِنَ الْأَقْلَامِ مَخَالِبُهُ، وَبَقِيَّةُ السَّادَةِ الْقُرَّاءِ الْمُنَشَّدُ قَوْلَ الْحَمَائِيِّ .

وَأَتَى مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ * إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ!
بُدُورُ سَمَاءٍ، كَلَّمَا غَابَ كَوَكَبٌ، * بَدَا كَوَكَبٌ، تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ!

تَعَيَّنَ أَنْ يُخَطَّبَ لِهَذِهِ الْمَشِيخَةِ خُطْبَةَ الْفَتَى لِاقْتِبَالِ مَجْدِهِ وَالشَّيْخِ لِتَوْفِيرِهِ، وَيُطَلَّبَ لِهَذِهِ الرِّبَةِ طَلَبًا يَقْضِي الْأَمْلُ فِيهِ بِعِنْوَانِ تَيْسِيرِهِ .

فَرَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَسْتَقَرَّ... : وَضَعًا لِلْأَشْيَاءِ فِي مَحَلِّهَا، وَرَفْعًا لِأَقْدَارِ الْأَفْاضِلِ إِلَى أَعْلَى رُتَبِ الْفَضْلِ وَأَجَلِّهَا، وَعِلْمًا بِمَقْدَارِ هَذَا الْعَالَمِ السَّابِقِ فِي أَفْقِ الْهُدَى شَهَابًا، الْمُدَقِّقَ عَلَى رِيَاضِ الْعِلْمِ سَخَابًا، النَّاقِلَ إِلَى مَجَالِسِ الْأَشْتِغَالِ خُطًّا يَقُولُ لَهَا الْمُؤْمِنُ بِالْإِكْرَامِ وَالْكَافِرُ بِالْإِرْغَامِ: (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) .

(١) هو حفص بن عمر الدُّورِيُّ .

فليأشُرْهـ. هذه الوظيفة مباشرة مثله من ذوى الأناة والإفادَة ، وكُفَاةِ المناصب الذين على سَعِيهِمِ الحُسْنَى وعلى الدَّوْلَةِ تَصُلُّ الزِّيَادَةُ ؛ وَلَيْسَلُكُ في الأشغال عادة نُطْقُهُ الأَحْسَنُ ، وَلِيَعَامِلَ طَلَبَتَهُ في المباحث بغير ما أَلْفُوا من الخلق الأَخْشَنُ ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ قد جُمِعَ بين ربه وتُرْبَةِ الأُمَّ كى تَقَرَّرَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنُ ؛ فَلْيَسْرَهَا بِنَبْلِهِ ، وَلْيَبْرَهَا بِفَضْلِهِ ؛ وَلْيُوَفِّرِ السَّعَى إِلَيْهَا كُلِّ وَفِيَةِ في المَسِيرِ ، وَلْيُقَسِّرْ أَحْلَامَ أُمَمِهَا فِيهِ فَمِنْ مُفْرَدَاتِ علومه التَّفْسِيرِ ؛ وَلِيُحْسِنَ لِنِلا مَدَنَتِهِ اجْتَمَعَ ، وَلِيَحْمِ حَمِي رَوَايَاتِهِمْ من الخَطَا وَلَا يَعْجَبُ أَنْ يُحْمِيَ حَمِي السَّبْعِ ؛ تَالِيَا كَلَامَ رَبِّهِ كَمَا أَنْزَلَ وَحَسَبِهِ ، دَاعِيَا بِذَسَبِ قِرَاءَتِهِ إِلَى ابْنِ كَتَيْبٍ فَعَبْدًا نَسَبُهُ المَبَارَكُ وَكَعْبُهُ ؛ فَاصْبَا بِمَنْظَرِ تَخَيُّصِهِ أَشْخَاصَ أَمْثَالِهِ الأَوَّلِ بَعْدَ مَا ضَمَّهُمْ صَفِيحَ اللَّحْدِ وَتُرْبَهُ ، حَتَّى يَمِيسَ «الِكِسَائِيُّ» فِي بُرْدِ مَسْرَّتِهِ الفَاخِرِ ، وَيَفْتَحَ عِيُونَ «حَمْرَةَ» عَلَى زَهْرَاتِ رَوْضِ عَيْقِ المَبَاخِرِ ، وَيَتَرَنَّمُ وَرَشَاكُ «وَرِش» فِي الأَوْرَاقِ عَلَى بَحْرِ الزَّأخِرِ ؛ وَيُظْهِرُ بِفَضْلِهِ ذِكْرَ «الشَّاطِطِي» فَيَكُونُ «القَاضِي الفَاضِلُ» رَحِمَهُ اللهُ قَدْ أَظْهَرَ فِي الزَّمَنِ الأَوَّلِ و«التَّاضِي الفَاضِلُ» أَجَلَهُ اللهُ قَدْ أَظْهَرَ فِي الزَّمَنِ الآخِرِ ، وَتَقْوَى اللهُ تَعَالَى كَمَا عَلِمَ خِتَامُ الوَصَايَا البِيضِ فَلْيَتَنَاوَلْ مِسْكَهَا الَّذِي هُوَ بِشَدَا المِسْكِ سَاخِرٌ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَنْفَعُ بِعِلْمِهِ صَدْرَهُ الَّذِي مَا ضَاقَ عَنِ السُّؤَالِ قَلْبُهُ ، وَيَمْتَعُ بِعُلُوِّ قَدْرِهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ هُوَ لِفَضْلِ الثَّنَاءِ فَمَنْ لَهُ .

المرتبة الثالثة

(من تواقيع مشايخ الأماكن بحاضرة دمشق - ما يُفْتَحُ بِ«رُسْمِ بالأمر»)

تَوَقِيعٌ بِمَشِيخَةِ الجَوَالِيْقِيَّةِ ، من إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بنِ نُبَاتَةَ ؛ وَهُوَ :

رُسْمٌ بِالأَمْرِ - لا زَالِ حُسْنِ اعْتِقَادِهِ يَسْتَنْزِلُ النَّصْرَ فَيُنْصَرُ ، وَيَسْتَبْصِرُ مَطَالِعَ القَوَازِ فَيُبْصِرُ ، وَيَسْتَجِلِبُ الأَدْعِيَةَ الصَّالِحَةَ مِنْ كُلِّ زَاهِدٍ إِذَا حَامَ فِي أَفْقِ العِبَادَةِ

حَلَقَ وَمَا قَصَّرَ - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... : حَمَلًا عَلَى الْوَصِيَّةِ التَّامَّةِ الْحَكْمِ وَالْأَسَاسِ ، وَعِلْمًا
بَأَنَّهُ مِمَّنْ حَلَّ فِي مَشِيخَتِهِ لِبَاسُ بَلَّاسٍ ^(١) ، وَزَعَّ فِي الرَّهْدِ عَمَّا عُدَّ زِينَةً فِي النَّاسِ ؛
وَسَرَّحَ شَعْرَهُ حَقِيقَةَ التَّسْرِيحِ فَأَطْلَقَهُ ، وَمَحَا رِقَّ سَوَادِهِ وَبَيَّضَهُ فَأَعْتَقَهُ ؛ وَلَا زَمَ
طَرِيقَ مَشَايخِهِ فَمَا ، وَشَكَرَ الْحَالَ بِفِعْلِ فِي مَنِيَّتِ كُلِّ شَعْرَةٍ لِسَانًا لِلشُّكْرِ وَفَمَا ؛ وَسَرَّ
طَائِفَةً وَرَدُّوا عَلَى آثَارِهِ مَنَاهِلَ الْوَفَا ، وَصَفَّتْ قُلُوبُهُمْ وَوَجَّهَتْهُمْ فَدَارَتْ عَلَيْهِمْ
كُتُوسُ إِخْوَانِ الصَّفَا ؛ حَتَّى مَشَوْا إِلَى مَطَالِبِ الْخَيْرِ مَشَى الرَّخَاخِ ، وَفَاحَرُوا أَقْوَامًا
دَنَسُوا عِزَّةَ رُتَبِهِمْ فَلَوْلَا أَدْبُهُمْ لَأَنْسَدُوهُمْ : «عُقُولُ مُرْدٍ وَلِحَى أَشْيَاخٍ» .

فَيُتِمُّ فِي مَشِيخَتِهِ قِيَامًا يُجَيِّ الْقَوْمَ بِأَنْفَاسِهِ ، وَيُجِجُهُمْ بِكَرَامَةِ الْكَشْفِ مِنْ قَلْبِهِ
وَتَكْرِيمِ الْكَشْفِ مِنْ رَأْسِهِ ؛ سَالِكًا بِهِمْ فِي طَرَائِقِ الْخَيْرِ مُسْتَبْشِرِينَ ، أَمْرًا بِتَقْصِيرِ
الْمَلَابِسِ وَرَعًا حَتَّى يَدْخُلَ بِهِمْ إِلَى النَّسْكِ مُحَلِّقِينَ وَمُقَصِّرِينَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَنْفَعُ بِهِ ،
وَيُنْفِي حَالَهُ بِمُدْهَبٍ مُدْهَبِهِ .

الضرب الثاني

(من تواقع مَشِيخَةَ الْأَمَاكِنِ - مَا هُوَ بِأَعْمَالِ دِمَشْقَ ، وَفِيهِ مَرْتَبَةٌ

وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ الْإِفْتِتَاحُ بِ«رَسْمِ»)

وَهَذِهِ نَسْخُ تَوَاقِيْعِ مِنْ ذَلِكَ :

نَسْخَةُ تَوَاقِيْعِ بِمَشِيخَةِ الْحَرَمِ الْخَلِيلِيِّ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ ،
كُتِبَ بِهِ لِلشَّيْخِ «شَمْسِ الدِّينِ بْنِ الْبِرْهَانَ» الْجَعْفَرِيِّ بِ«الْمَجْلِسِ» وَهِيَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَبَسَطَ عَدْلَهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ الْوَاِصْفُ
وَلَوْ تَعَالَى ، وَسَمَّرَى لِأَوْلِيَاءِ بَنِي الْأَوْلِيَاءِ بِرَّهَ الَّذِي نَسَّيْنِ بِسُنَّةِ الْغَيْثِ ثُمَّ تَوَالَى - أَنْ

(١) الْبَلَّاسُ كَسْبَابِ الْمَشْحِ فَارِسِيٍّ مَعْرَبٍ .

يستقر - أدام الله تعالى بركته الأنتفاع ، وباقتداء سلفه الأرتفاع ، وأعاد من بركات بيته الذي قام البرهان بفضله وقال بوضوح شمسه الإجماع - في مشيخة حرم سيدنا الخليل صلوات الله عليه وسلامه ، على عادته القديمة المقدمه ، ومستقر قاعدته المعلومة المعلمه ؛ بعد إبطال ما كتب به لغيره فإن هذا الولي أولى ، ولأن الحق معه وباع الحق أطول على المعنيين إطالة ^(١) وطولاً ؛ وضاعاً للشئ في محله الفانح ، وحملاً على ما بيده من تواقيع شريفة توارث بركتها ملوك البسيطة في الأزل والآخر ؛ وعلماً أنه بقية العلم المشيد ، والزهد العتيد ؛ وخليفة السلف الصالح وما منهم إلا من هو « أمين » العزم « رشيد » ، وأنه الشيخ وكل من عرفه في بقائه ولفائه مرديد ، والقائم بالمقام الخليلي - صلوات الله تعالى على ساكنه - مقاماً مجتبي ، والمنتسب إلى خدمة الحرم الإبراهيمي متحدوما صلى الله عليه ونسباً ؛ والقديم الهجرة فلا تركه الأوطان ولا تهجره ، والمقيم بالبلد الخليلي على إقامة الخير : فما ضره أن العدو يشكوه إذا كان « الخليل » يشكره ؛ وقد سبقت له مباشرات في هذا الحرم الشريف فكان عزها تماماً ، وشكرها لازماً ، وكانت على الصادين والواردين كذلك النار النبوية برداً وسلاماً .

فليعد إلى مباشرة وظائفه المذكورة في التواقيع الشريفة التي بيده ، وليكن يومه في الفضل زائداً على أمسه مقصراً عن غده ؛ بثناء يتلقى أضياف أبي الأضياف ، بألف أحوال الداخلين إليه شتاءً وصيفاً وإن لم تكن رحلة إيلاف ، جارياً في بركة التدبير والشمير على عادته وعادة سلفه فنعم الخلف ونعم الأسلاف ؛ مواظباً على عادة تقواه ورفع الأدعية لهذه الدولة الشريفه ، جاعلاً ذلك منه أول وأخير كل وظيفة ؛ والله تعالى ينفع ببركات سلفه وبه ، ويكافئ عن الأضياف بسط راحته بالخيرات وفضل تبعه .

(١) الأنسب « طولاً وطولاً » .



تَوْقِيعٌ بِمَشِيخَةِ الزَاوِيَةِ الْأَمِينِيَّةِ بِالْقُدْسِ وَنَظَرِهَا، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «بِرَهَانَ الدِّينِ»
أَبْنِ الْمَوْصِلِيِّ بِ«الْجَنَابِ الْعَالِي» وَهُوَ :

رُسْمٌ ... - لِأَزَالِ يُجْرَى الْأَوْلِيَاءُ فِي مَقَاصِدِهِمْ عَلَى أَجْمَلِ عَادَةٍ، وَيُخْتَارُ مِنْهُمْ لِمَوَاطِنِ
الْخَيْرِ مَنْ يَرَعَاهَا بِنَظَرٍ يُتَمَرَّ لَهَا السَّعَادَةُ - أَنْ يُحْمَلَ فَلَانٌ فِي وَظِيفَتِي النَّظَرِ وَالْمَشِيخَةِ
بِالزَاوِيَةِ الْأَمِينِيَّةِ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، عَلَى حَكْمِ الْأَزُولِ وَالتَّقْرِيرِ الشَّرْعِيِّ الْمُسْتَمَرِّ
حُكْمُهُمَا إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، وَأَسْتَمَرَّاهُ فِي الْوِظِيفَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ بِمُقْتَضَاهُمَا ، وَمَنْعِ
الْمُنَازَعِ بِغَيْرِ حَكْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ .

فَلْيَبَاشِرْ ذَلِكَ بِمَا يُقْتَدَى بِهِ مِنْ تَسْلِيكِهِ وَتَأْدِيبِهِ ، وَتَسْرِعْ رَغْبَتَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ
وَمِنْ عَنَايَةِ تَهْدِيئِهِ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ لَا تُقَالُ لِمِثْلِهِ إِذْ هُوَ مُعَامَلٌهَا ، وَتَقْوَى اللَّهِ
سُبْحَانَهُ أَهْمٌهَا وَأَعْظَمُهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَرشِدَنَا إِلَيْهَا ، وَأَنْ يَجْعَلَ فِي كُلِّ
الْأُمُورِ أَعْتَادَنَا عَلَيْهَا ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .

الصنف الخامس

(مَّا يُكْتَبُ لِأَرْبَابِ الْوِظَائِفِ بِالشَّامِ - تَوَاقِيعِ الْعُرَبَانِ)

وَالَّذِي وَقَفَتْ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مَرَسُومٌ مَكْتُوبٌ بِرُبْعِ تَقْدِيمَةِ بَنِي مَهْدِيِّ بِ«الْمَجْلِسِ
السَّامِيِّ» بِغَيْرِ يَأْ، كُتِبَ بِهِ لـ«مُوسَى بْنِ حَنَاسٍ» مَفْتَتِحًا بِ«أَمَّا بَعْدُ» وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي جَمَعَ عَلَى الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَبَسَطَ عَلَى ذَوِي
الْإِخْلَاصِ ... (١) ... الطَّلِيلَةَ ، وَالشَّهَادَةَ بِأَنَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

(١) بِيَاضٍ فِي الْأَصْلِ وَلَعَلَّهُ «ظِلَالُ نَعْمَةِ الطَّلِيلَةِ» .

شهادة أتخذها للتوحيد دليلاً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي
 أتخذهُ اللهُ تعالى حبيبَهُ وخَلِيصَهُ ، وآتاهُ الدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ وَالْوَسِيلَةَ ، وعلى آله وصحبه
 صلاةً مباركةً أصيَلَهُ - فإن الأولى لتركية القوم تُرعى ، وذات الإخلاص ينجح له
 كلُّ مَسْعَى ، والجدير بالنعم من يُجيبُ بالطاعة حين يُدعى ؛ مَنْ سَلَكَ في الخِدْمَةِ
 الشريفة مسلك الأَسلاف ، وتجنَّب ما يُفِضِي إلى الشقاق والخلاف ؛ فعند ذلك
 رَفَعْنَا مَرَاتِبَهُ ، وضاعفنا مواهبه ، وأنزنا بالإقبال الشريف كواكبه ، وأجملنا مكاسبه ؛
 وبسَطْنَا في رُبْعِ تَقْدِيمَةِ بنى مَهْدَى كلامه ، ونَقَدْنَا أمره على طائفتِهِ : قَوْلَهُ وإبرامه ، مَنْ
 أضحى مشكوراً من كلِّ جانب ، مُجْتَهِداً في المصالح وبلوغ المآرب ؛ مَنْ عُرِفَ بالأمانة
 فسلكها ، وأشتهر بالصيانة فلكها ؛ وحاز أوصافاً حسنة ، وسيرةً نطقَتْ بها
 الأئسنه ؛ وكان فلانٌ هو الذي أضحى على عُربانه مقدماً ، ومن أكارهم معظماً .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازلَّتْ مَراسِمُهُ الشريفةُ عاليةً نافذةً ، وأوامرُهُ
 بصلية الأرزاق عائدة - أن يستقر... على عادته وقاعدته : حملاً على ما بيده من
 التوقيع الكريم .

فليباشر هذه الإمرة مع شركائه مباشرةً حسنة ، وليسير فيها سيراً تشكره عليه
 الأئسنه ؛ وليظهر السداد ، وليبدل الطاعة والاجتهاد ؛ وليسلِّك المسالك الحسنة ،
 والله تعالى يجعله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ؛ والوصايا كثيرةٌ
 وملاكها تقوى الله تعالى ، والله تعالى يجعل إحساننا إليه يتوالى .

قلتُ : وقد تقدّم أنه يكتب بإمرة بنى مَهْدَى من الأبواب السلطانية أيضاً .
 على أن هذا التوقيع من التواقيع الملققة ، ليس فيه مطابقة للتواقيع ، وليس برائق
 اللفظ ، ولا مؤرق المعنى .

(١) هذا الكلام كما به عليه المؤلف بعد غير منسجم بل غير مستقيم .

الصنف السادس

(مما يكتب لأرباب الوظائف بالشام - تواقع زعماء

أهل الذمة : من اليهود والنصارى)

وهذه نسخة توقيع لبطرك النصارى مفتوحاً بـ «أماماً بعد» كتب به للبطرك
«ميخائيل» وهي :

أماماً بعد حمد الله الذي جعلنا نَسْمَلُ كُلَّ طائفةٍ بمزيد الإحسان، وتُقْبِضُ من
دولتنا الشريفة على كلِّ بلاٍ أطمئناناً لكلِّ مِلَّةٍ وأماناً، وتُقِرُّ عليهم من آخثاروه
وتُرَاعِيهم بمزايا الفضل والامتنان؛ والشهادة بأنه الله الذي لا إله إلا هو الواحد
الذي ليس في وحدانيته قولان، والقرء المتره عن الجوهرة والأقنوم والوالد والولد
والحلول والحدثان، [شهادة] أظهر إقرارها اللسان، وعملت بها الجوارح والأركان؛
والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث إلى كافة الملل والإنس والجان،
الذي بشر به عيسى وآمن به موسى وأُنزل عموم رسالته في التوراة والإنجيل والزبور
والفرقان، فصَحَّ النُّقْلُ بنبوته وآدم في الماء والطين وأُوضِعَ ذلك البرهان، وعلى آله
وصحبه الذين سادوا بإخلاص الوحدانية، وشادوا أركان الملة المحمدية، وأعزوا
الإيمان وأذلوا الطغيان، صلاة ينفتح طيبها، ويقصح خطيبها، ويقرح بها الرحمن -
فإن أولى من أقمناه بطريكا على طائفة النصارى الملكية، على ما يقتضيه دين
النصرانية والملة العيسوية؛ حاجكاً لهم في أمورهم، مفضحاً عما كمن في صدورهم -
من هو أهل لهذه البطريكية، وعارف بالملة المسيحية؛ أخذها لها أهل طائفته، لما
يعلمون من خبرته ومعرفته، وكفايته ودربته؛ ونُدب إلى ولاية يستحقها
على أبناء جنسه، ورغب في سلوكه لها مع إطابة نفسه، مع ماله من معرفة سرته

أخبارها ، وظهرت بين النصارى آثارها ؛ وكان فلانٌ - أدام الله تعالى بهجته - هو من النصارى المَلِكِيَّةِ بالمعرفة مذكور ، وسيره بينهم مشكور ، القائم فيهم بالسيرة الحسنه ، والسالك في مذاهبهم سيرا تشكره عليها الأيسنه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال إحسانه العميم لكل طائفة شاملا ، ويره الجسيم لسائر الملك بالفضل متواصلا - أن يستقر بطركا على النصارى المَلِكِيَّةِ بالشام وأعماله ، على عادة من تقدمه في ذلك ، وتقوية يده على أهل ملته ، من تقادم السنين بحكم رضاهم ، ومنع من يعارضه في ذلك : حملا على ما بيده من التوقيع الكريم المستمر حكمه إلى آخر وقت .

فليأثر هذه البطركية مباشرة بمجودة العواقب ، مشكورة لما تحلت به من جميل المناقب ؛ ولحكم بينهم بمقتضى مذهبه ، ويسر فيهم سيرا جميلا ليحصل لهم غاية قصده ومأربه ؛ ولينظر في أحوالهم الرحمه ، ويعمل في تعلقاتهم بصدق القصد والهمه ؛ وليسلك الطرق الواضحة الخلية ، وليتخلق بالأخلاق المرضية ، وليفصل بينهم بحكم مذهبه في موارثهم وأنكحتهم ، وليعتمد الزهد في أموالهم ومتعتهم ؛ حتى يكون كل كبير منهم وصغير ممثلا لأمره ، واقفا عندما يقدم به إليه في سره وجهه ؛ متصبين لإقامة حرمة ، وتنفيذ أمره وكلمته ؛ وليحسن النظر فيمن عنده من الرهبان ، وليرفق بذوى الحاجات والضعفاء : من النساء والصبيان ، والأساقفة والمطارنة والقسيسين زيادة الإحسان ؛ إحسانا جاريا في المساء والصباح ، والغدو والرواح .

فليمتثلوا أمره بالطاعة والإذعان ، وليجيبوا نهيته من غير خلاف ولا توان ؛ ولا يمكن النصارى في الكنائس من دق الناقوس ، ورفع أصواتهم بالصجيج ولا سيما عند أوقات الأذان لإقامة الناموس ؛ وليتقدم إلى جميع النصارى بأن كلا منهم يلزم

زيه، وما جاءت به الشروط العمريّة - عمر بن الخطاب رضِيَ اللهُ عنه - لتكون أحوالهم في جميع البلاد مرعيّة؛ وليخشَ عالم الخفّيات، وليستعمل الأناة والصبر في جميع الحالات؛ والوصايا كثيرة وهو بها عارف، والله تعالى يلهمه الرشد والمعارف.

قلت: وهذا التوقيع فيه ألفاظ ومعانٍ غير مستحسنة، وألفاظ ومعانٍ منكرة، أخشها قوله: مُفصّحاً عما كنّ في صدورهم. فإنه لا يعلم ما تخفى الصدور وتكنه إلا الله تعالى.

واعلم أنه ربما أفتح توقيع البطريرك عندهم بـ «رسم بالأمر».



توقيع لبطريرك النصارى بالشام أيضاً، كتب به للبطريرك «داود الخسوري»
بـ «البطريرك المحتشم» وهو:

رسم بالأمر - لا زال يعزّ بالالتجاء إلى حرمة من يأوى إليه، ويقصد عدله من أهل الملل ويعتمد عليه - أن يستقر فلان - وفقه الله تعالى - بطريرك الملكيّة، بالملكة الشريفة الشامية المحروسة، حسب ما اختاره أهل ملّته المقيمون بالشام المحروس ورغبوا فيه، وكتبوا خطوطهم به، وسألوا تقريره في ذلك دون غيره؛ إذ هو كبير أهل ملّته، والحاكم عليهم ما امتد في مدته؛ وإليه مرجعهم في التحريم والتحليل، وفي الحكم بينهم بما أنزل الله تعالى في التوراة ولم ينسخ في الإنجيل؛ وشريعته مبنية على المسامحة والاحتفال، والصبر على الأذى وعدم الأكرات [به] والاحتفال.

نخذ نفسك في الأول بهذه الآداب، وأعلم بأن لك في المدخل إلى شريعتك طريقاً إلى الباب؛ فتخلق من الأخلاق بكل جميل، ولا تستكثر من متاع الدنيا

فإنه قليل ، وقدم المصالحة بين المتحاكمين إليك قبل الفصل البتَّ فإنَّ الصلح كما قيل : سيّد الأحكام ، وهو قاعدة دينك المسيحي ولم تخالف فيه المحمدية الغراء دين الإسلام ، ونظف صدور إخوانك من الغلِّ ولا تقنع بما ينظفه ماء المعمودية من الأجسام ، وإليك الأمر في البيع ، وأنت رأس جماعتك والكلُّ لك تبع ، وإياك أن تتخذها لك تجارةً مريحه ، أو تقتطع بها مال نصراني تقربه فإنه ما يكون قد قرّبه إلى المدبِّح وإنما ذبحه ، وكذلك الديارا والقلائي ، [يتعين عليه أن يتفقد فيها كل أمر في] الأيام والليالي ، وليجتهد في إجراء أمورها على ما فيه رقع الشبهات ، وليعلم أنهم إنما أعتروا فيها للتعبّد فلا يدعها تتخذ متزهات ، فهم إنما أحدثوا هذه الرهبانية للتقلُّل في هذه الدنيا والتعطف عن الفروج ، وحبسوا فيها أنفسهم حتى إن أكثرهم إذا دخل إليها ما يعود يبقَى له خروج ، فليحدّزهم من عملها مضيّدةً للال ، أو خلوةً له وليكن بالنساء حراماً ويكون إنما تزه عن الحلال ، وإياه ثم إياه أن يؤوى إليه من الغرباء القادمين عليه من يريب ، أو يكتم عن الإنهاء إلينا مشكلاً أمرٍ ورد عليه من بعيد أو قريب ، ثم الحدّز الحدّز من إخفاء كتاب يرد [إليه] من أحد من الملوک ، ثم الحدّز الحدّز من الكتابة إليهم أو المشى على مثل هذا السلوك ، وليتجنّب البحر وإياه من أفتحامه فإنه يفرق ، أو تلقى ما يلقبه إليه جناح غراب منه فإنه بالبين يتنعق ، والتقوى مأمور بها أهل كلِّ ملّة ، وكلُّ موافقٍ ومخالفٍ في القبلة ، فليكن عمله بها وفي الكفاية ما يُغني عن التصريح ، وفيها رضا الله تعالى وبها أمر المسيح .



توقيع براسة اليهود بالشام ، مفتوحاً بـ «برسم» من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة ، وهو :

رُسم بالأمر - لا زال جُوده في كلِّ مله ، وعمام كرمه على الخلق كأنه ظله ،
 وذيامُ نعمه يُبلغ المسلم والذمي من الاستحقاق محله ، أن يستقر الحكيم ... (١) ...

ومنه : - وأن يعاملهم على ما ألقوه من الأحكام ، ويُنيّف صاحب حقهم
 من مُطلبهم : حتى لا يعدّوا أحد في سبب ولا في سائر الأيام ، ويُهدّب وحشيّ
 جاهلهم بآيناسه ، ويعالج سقم كاهلهم حتى تطلع الصفراء من رأسه .

فليقم مقاماً في هذه الطائفة القديمه ، وليعبّر من أسفار عبرانية عن عوائد قضاياهم
 التنظيمه ؛ مفرحاً بمعرفته كلِّ حرّان ، جامعاً كلَّ شعبي على عدلٍ عنده وإحسان ؛
 شاكراً لظلال النعمه ، عارفاً بالعوارف التي ترعى يمينها كلَّ ذمه .

النيابة الثانية

(من الولايات التي يكتب عن نوابها بالولايات - نيابة حلب)

وهي على نحو من نمط دمشق فيما يكتب عن نائبيها . فيكتب عن نائبيها أيضاً
 بالتوقيع لأرباب الوظائف بحاضرة حلب وأعمالها : من أرباب السيوف ، وأرباب
 الأقلام الدنية ، وأرباب الأقلام الديوانية ، ومشايخ الأماكين وغيرهم ، مرتبة على
 المراتب الثلاث : من الأفتتاح بـ «الحمد لله» ، والأفتتاح بـ «أما بعد حمد الله» ،
 والأفتتاح بـ «رسم بالأمر» .

وهذه نسخ توقيع مما كتب به لأرباب السيوف بحاضرة حاب وأعمالها ،
 يُستضاء بها في ذلك :

(١) بياض بالأصول .

تَوْفِيعٌ بِنِقَابَةِ الْأَشْرَافِ ، كُتِبَ بِهِ لِلشَّرِيفِ عِزِّ الدِّينِ «أحمد بن أحمد الحسيني»
بـ «المقر العالی» وهو :

أما بعد حمد الله الذي خلّد السيادة في بيوت الشريف أحمد تخليد ، وقلّد تقاليد
السعادة ، لأهل الإفادة ، أسعد تقليد ، وجدّد الرفادة ، لحرم العبادة ، بعز العصابة
المحمدية أكد تجديد ، والصلاة والسلام على سيد الخلق الذي عقد العهدين لأمتيه ،
بالتقنين : من كتاب الله وعثرته ، وسرّ النفوس المؤمنة هداها بكل أبي من أسرته ، وأقر
العيون المراقبة بكل سرى من أهل بيته تبرق أنوار النبوة من أسرته ، وعلى آله حبل
النجاة لتمسك ، وسبل الهداة لتتنسك ، وصحبه نجوم الهدى ، ورجوم العدا ، وأمة
الخير لمن بهم أقندي ؛ صلاة وسلاما ، يتعاقبان دواما ، ويتلازمان على الألسنة مدى
المدى لزاما ؛ ما حلا بعين وطف ، وما علا علوى ذرا شرف - فإن أهم ما اعتنى
به ولاة أمور الإسلام ، وأعم ما أفتنى منه رعاة أجور الحكام - رعاية مصالح أهل
البيت ، واتباز الفرصة في موالاتهم حتى لا يقال لقواتها : ليت ؛ وتعظيم ما عظم الله
تعالى من حقوقهم ، وتكريم ما كرم رسوله من رهم واجتناب عقوبهم ، وتقديم
أحقهم بالتقديم لاحق سباقهم إلى غايات الغلوات وسبوقهم ؛ والتعبد بالتعبد
والاجتهاد في نفعهم ، ونصب النفوس للنصب لتجر ذبول الفخر بموالاتهم ،
وإعلائهم على الرؤوس ورفعهم ؛ اختيارا لرأى من زاد في العناية بالعتر الطاهرة
وأزبى ، وأتمارا بقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾
خصوصا بنقابة الأشراف ، والنظر فيما لهم من الأوقاف ؛ فهي شاملة جمعهم ، وجامعة
شمليهم ، وواصله نفعهم ، ونافعة كلهم ؛ وبفضل مباشرها تُسبغ عليهم النعمة ،
وُستدر بركة إجماعهم عليه تُحبب الرّحمه ؛ وبكفالاته تُجمع المنّة لمراتبهم وأحسابهم ،
وبإياليته تُدفع الظنّة عن مناقبهم وأنسابهم ؛ وهو القائم عن ولاة الأمور من خدمهم

بفروض الكفاية، والدائم الدأب لمرآة أدبهم لتحسن لهم الرعايه، فوجب الاحتفال
 باختيار من يحلّي هذا المنصب الشريف، وتعين الأتھال في أمتياز من يسبغ عليه
 هذا الظلّ الوريث، ممن قدم في هذه السيادة بيته، وأرتفع بخفض العيش لقرآيته
 بعفافه وديانته صيته؛ وتزّه عن كل ما يسين وتبرا، واكتسى حلل الفخار العلية
 ومن أعراض الدنيا الدنيّة تعزى .

وكان فلان بن فلان - أسبغ الله تعالى ظلالهم، وضاعف بمعالى الشرف
 جلالهم - ممن حاز في هذه الخلال المنازع، وجاز نهاية هذه الخصال بلا منازع،
 وورد من حياض المناقب الجميلة أعذب المشارع؛ ودرى المراقى إلى المجد ودرّب،
 وبلغت نفوس محبيه من مخايل سُعوده الأرب، وقوّت عيون أقاربه بما حصل له
 من القرب؛ ونسأ في حجر السعادة، وأرتضع لبان الإفاده، ولحقّ بالسابقين الأولين
 من أهل بيته في الزهاده، وتبذل بالإخلاص فظهرت على وجهه أنوار العباده؛
 وأنقطع على العمل، وبلغ من العلوم الأمل: قووم تشبث بالجمرة وهو شامة
 في شامه المنسوب :

ورث السيادة كإبراً عن كابر! * كالريح أنبوب على أنبوب.

أصل نخار سما، وفرع نجار تما، وغيث فضيل همى؛ أثبت في أعلى المعالي قدما،
 وناسب قدره سعيه كزما؛ وجلت صفات محاسنه اللائقه، وحلت الأفواه مدايح
 سبحاياه الرائقه، وتمت الألسن وما ملّت ما تملى عنه بالخير كل ناطقه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازلّت أوامره يبرآل مولاته ماضيه، ونواهيه
 بقهر أهل معاداته قاضيه - أن يستقر... .. أستقراراً يقر عين العلاء، ويسر نفوس
 أهل الولا؛ ويضع الأشياء في محلها، ويسند الأمور إلى أهلها؛ ويستجلب الأذعيه،

ويحمل بالولاء الجميل أُلويَه ؛ ويشرح خواطر الأشراف ويطيب نفوسهم ، ويرفع
بعد سُجودِ الشكر بالدعاء رُؤوسهم .

فليأشُرْ هذه الوظيفة مباشرة يقفوها آثار بيته الطاهر ، بعزم كريم : لكلِّ مُصلح
بالخير غامر ، ولكلِّ مُفسدٍ بالضير قاهر ؛ وحزمٍ حلِيمٍ : لكلِّ حقٍّ ناصر ، ولكلِّ
كثيرٍ جابر ؛ وليُصلِّ بالبرِّ رحمة ، ولينزِلْ للضعيف كلمة ؛ وليُقمْ بأعباء هذه الوظيفة
قيامَ عمه الشريف وأبيه ، وليصم عن أموال الأوقاف صياماً يقربه الله تعالى به
ويحتنيه ؛ ليحمد ، هذا المنصبُ الجليل ، في بيته الأصيل ، عوده على أحمد ؛
ولينفع قرابته بتتمير أموالهم ، ولينفع النهضة بالمعرفة في تثير غلالهم ؛ : لتدبر بركته
أخلاف أرزاقهم ، وتقر خواطرهم بمضاعفة أرزاقهم وإطلاقهم ؛ ويخصب
في جنابه مرعاهم ، ويقرب في بابه مسعاهم ؛ وتتطرق بشكره ألسنتهم الشريفة ، وتتطرق
على صُحْبته ظلالُ بيوتهم الوريفة ؛ وليعتبر ويختبر أشغالهم ولينمغ شبانهم من الاحتراف
بحرف الأدياء ، وليأمر الآباء بتعهد تربية الأبناء ؛ وليأمرهم من العمل بما يناسب
معاليهم ، وليجبرهم بتديره السديد جبراً يميزهم بحسن السمات من أوليائهم : وكلنا
من مواليتهم .

والوصايا كثيرة ، وعين علومه بتعدادها بصيره ؛ وتقوى الله تعالى لا يهمل النص
عليها ، والإشارة بحسن البيان وحسن البنان إليها ؛ فلتكن ركن استيناده ، ورأس
مال اعتماده ؛ والله تعالى يديمه في صعود درج السعود مدة حياته ، ويجمع له خيري
الدنيا والآخرة برفع درجاته .



وهذه نسخة توقيع بنقابة الجيوش بحلب ، كُتِبَ به لـ «ناصر الدين بن ايتبك»
بـ «السامي» بغير ياء ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال أمره الشريف يُعَصِّدُ الجيوش بأعضدِ ناصر،
وُريشُدُ أولياء الخدمة إلى ارتقاء رُتب المعالي فكلُّ إنسانٍ عن إدراك محلِّها قاصر -
أن يستقرَّ فلانٌ - أدام الله توفيقه، وجعل اليمن والسعد قريته ورقيقته - ... استقرَّ أراماً
يُظهر مالم يخف من نهضته وكفايته، ويُنشهر معلن سرِّ يقظته ودرايته؛ لأنه الفارسُ
الذي أعزَّ كلَّ راجلٍ بشجاعته، وأتمَّارسُ الذي خَبَرَ الوقائع بحُسنِ دُرَيْتِه ودراية
صِنَاعَتِه؛ والدارِفُ الذي أتصف بالخبرة وحُسن الصَّفه، وعُرفَ في أموره بالعدل
والمعرفة؛ والهَامُ الذي علَّتْ همته فوق كلِّ همٍّ، وكشف بجزيل مروءته من
الكُرْبَاتِ كلَّ عُثمَّة؛ وسار في الجيوش سيرة والده، فشهِد كلُّ بما حواه من طَارِفِ
الفضل وتألَّده .

فليباشِرْ ذلك : سائرًا في الجنود أحسن سيره، مُراقِبًا الله تعالى فيما يُبديهِ من القول
والفعل والعلانية والسريه؛ مُلازمًا ما يلزمه من حقوق هذه الوظيفة، قائمًا بما يجب
من أداء الخدمة الشريفة؛ وليتفدَّ ما يُؤمر به من الأوامر، عالِمًا بما يتعيَّن من
حقوق المأمور والأمر؛ [وليجتهد] في جمع العساكر وإعلامهم بالمهمَّات، وليتفكِّد
أحوال الجنود في سائر الأوقات؛ وليُسفِرِ النَّقَابَ عن الوجوه بالحليَّة يوم العَرْض،
وليُسبِلِ حِجَابَ السِّتْرِ على من أدركه العجزُ عن أداء الفرض؛ والوصايا كثيرةٌ لا تحتاج
إلى التعداد، وتقوى الله تعالى هي العمدة في كلِّ الأمور وعليها الاعتماد .



توقيعُ بالمهمندارية بحلب، كُتب به لـ «غرس الدين الطناحي» بـ «الجناب
العالي» وهو :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت عزائمُه تنسُدُ للمهمَّات من غُرست برياض
وليَّه أدواحُ الهمم فزكا غرسا، وتقرر لها من شاب نوده في إفادة الوفود فأجاب

فَصَدًّا وَأَطَابَ نَفْسًا ، وَلَا بَرِحَتْ عَنَّا تَه تَشْمَلُ مِنْ أَوْلِيَاءِ خِدْمَتِهَا كُلِّ شَهْمٍ إِذَا سَلَّ
 عَضْبًا أَزَالَ نَفْسًا وَأَسَالَ نَفْسًا ، وَتَعَيَّنَ مِنْ أَعْيَانِهِمْ كُلِّ جَمِيلٍ يَوَدُّ الْمُنَافِسُ
 لَوْ شَاهَدَهُ وَلَا تَجَسُّ يَدُ الرُّقِيِّ مِنْهُ نَفْسًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ لِأَنَّهُ ذُو الْحِمَمِ الَّتِي
 لَا تُلْحَقُ جِيَادُهَا ، وَلَا تُسْبِقُ جَوْدَةَ جِيَادِهَا ^(١) ؛ لِأَمْتِهِ لِيَصْغَارَ هِمَمُهُ فَأَنَّى تُدْرِكُ
 بِكَارِهَا ، وَلَا تُدْرِكُ سَوَائِقَهُ فَأَنَّى تُقْتَنِي أُنَارَهَا ؛ لَهُ قَدَمٌ إِقْدَامٍ فِي الثَّرَى لَا يَزَالُ رَامِيخًا ،
 وَهَامَةٌ هِمَّةٌ لَمْ يَزَلْ شَرَفُهَا عَلَى الثَّرَى بَادِحًا ؛ وَلِأَنَّهُ الْفَارِسُ الَّذِي تُفَرَسَتْ فِي مَخَالِيهِ
 الشَّجَاعَةُ ، وَتَبْضَعُ الشَّهَامَةُ فِي الْحُرُوبِ فَكَانَتْ أَرْبَعُ بِيضَاعِهِ ؛ كَمْ أَزْرَتْ شُمْرُ رِمَاحِهِ
 يَهَيْفُ الْقُدُودَ ، وَأَنْجَلَتْ بِيضُ صِفَاحِهِ كُلَّ حَوْدٍ أَمْلُودٍ ؛ وَكَمْ جَرَّدَتْ مِنْ مُطَرِّبَاتِ
 قَيْبِهِ الْأَوْتَارُ فَرَاقَصَتِ الرُّؤُوسَ ، وَشَرِبَتِ الرِّمَاحُ نَحْرَ الدِّمَاءِ فَعَرَبَدَتْ عَلَى النَّفُوسِ :
 لَهُ هِمٌّ تَعَلُّو السَّحَابَ رِفْعَةً ، * وَكَمْ جَادَ مِنْهَا بِالنَّفَائِسِ وَالنَّفْسِ !
 وَتُجْنِي نِمَارَ الْفَضْلِ مِنْ دَوْجِ غَرَسِهِ ! * وَلَا غَرَوَ أَنْ تُجْنِي الثَّمَارُ مِنَ الْغَرَسِ !
 فُلْيَا شَرَّ هَذِهِ الْوَضِيفَةِ مَبَاشِرَةً تُحْمَدُهُ فِيهَا الْوَرَادُ ، وَتَشْكُرُهُ بِالْقَصْدِ أُنْسَةَ الْقُصَادِ ،
 وَتَذْكُرُهُ الْبَرِيدِيَّةُ بِالْخَيْرِ فِي كُلِّ وَادٍ ؛ وَلِيُهَيِّئَ لَهُمْ [مِنَ الْقُرَى مَا يَهَيِّئُهُ] ^(٢) الْمَضِيفُ ،
 وَيَحْصُلَ لَهُمُ التَّالِدُ مِنْهُ وَالطَّرِيفُ ، وَلِيَتَلَقَّهُمْ بِوَجْهِ الْإِقْبَالِ ، وَلِيَبْدَأَهُمْ بِالْخَيْرِ لِيَحْسُنَ
 لَهُ الْمَالُ ، وَلِيَجْعَلَ التَّقْوَى إِمَامَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ ، وَلِيَتَّصِفَ بِالْإِنْصَافِ فَهُوَ
 أَحْمَدُ الْأَوْصَافِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .



تَوْقِيعٌ بِتَقْدِيمَةِ الْبَرِيدِيَّةِ بِحَلَبَ ، كُتِبَ بِهِ لِعِمَادِ الدِّينِ « إِبْرَاهِيمَ » بِ« الْمَجْلِسِ
 الْعَالِيِ » وَهُوَ :

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ مُشِيرًا إِلَيْهِ بِعَلَامَةِ التَّوَقُّفِ وَلَا تَوْقُفَ لِأَنَّ الْأَوَّلَى جَمْعٌ جَيِّدٌ تَقْبِضُ الرِّدَى . وَالثَّانِيَةُ
 جَمْعُ جَوَادٍ لِلْفَرَسِ الرَّاقِعِ السَّابِقِ .
 (٢) ذِكْرُ الْقَدَمِ وَهِيَ أَيْضًا مَجَارَاةٌ لِلْعَامَةِ . (٣) زِيَادَةٌ تَطْلُبُهَا صِحَّةُ الْمَعْنَى .

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت عِنَايَتُهُ الكريمة تُقدِّمُ إلى الرَّبِّ العَلِيَّةِ من بَحَا
 أُسِّ إقْدَامِهِ من المَرْوَةِ على أَشْرَفِ عِمَادٍ ، وَتُعَيِّنُ لِلْمِهْمَاتِ الشَّرِيفَةِ من أَمْتَطَى من
 جِيَادِ العَزْمِ أُسْبِقَ جَوَادٍ ، وَتَنْدُبُ لها من أوليَاءِ خَدَمِهِ كُلَّ نَدْبٍ لم يَزَلْ سَاعِدُ سَعْدِهِ
 مَبِينًا على السَّدَادِ ، وَتُضْعِدُ إلى أَفْقِهَا من ذَوِي الشَّمَامَةِ من فَاقَتْ بِمَيْسِنِهِ الصَّعَادِ -
 أن يَسْتَقَرَّ ... : لِأَنَّهُ ذُو الهِمَمِ التي سَامَى بها التَّرَاقِدُ ، وَالكُفَّءُ الذي نَشِطَ
 إلى القيامِ بالعَزَائِمِ إذا قَعَدَ عنها من ذَوِي الهِمَمِ أَلْفُ رَاقِدٍ ؛ وَالمُقَدِّمُ الذي قَدَّمَهُ
 الإِقْدَامُ على قَضَاءِ الأُمُورِ المُضْطَلاتِ ، وَحَلَّى أَجْيَادَ ذَوِي المَارَبِ إِذْ حَلَّ لَهمُ منها
 بَيْنَ عَزَمِهِ المُشْكَلاتِ ؛ مَاعِلًا جَوَادَ بَرِيدٍ إِلاَّ وَسَابِقَ الطَّرْفِ بل الطَّرْفِ إلى المَرادِ ،
 وَلَا نَدْبٍ إلى مُهِمِّ لَلحَكْمِ فِيهِ نَيْلًا لِأَمَلٍ إِلاَّ قَدَحَ من رَأْيِهِ فِي قَضَائِهِ أَوْ رَى زِنَادَ ؛
 وَالفَارَسُ الذي تَمَايَلَتْ بِكَفِّهِ العَوَامِلُ مُجْجِبًا فَانجَلَّتِ الأَغْصَانُ ، وَحَلَّتْ إِذْ حَلَّتْ
 بِقُلوْبِ الأَعْدَاءِ وَإِنْ كَانَتْ من المُرَّانِ ؛ وَالشَّمَهُمُ الذي سَبَقَ السَّمَمَ إلى العَرَضِ ،
 وَالشُّجَاعُ الذي ما أَعْرَضَ عن مُحَارَبَةِ الأَقْرَانِ : فَصَفَى جَوْهَرَ شِجَاعَتِهِ من العَرَضِ ؛
 وَالبَقِظُ الذي لم يَكُنْ يَنَاطِرُهُ إنْسَانٌ ، وَلَا أَنْطَبَقَ على أَسِيافِهِ المُسْمَدَةِ بِمَيْسِنِهِ أَجْفَانُ .
 فليَبَاثِرْ هذِهِ التَّقْدِيمَةَ مَبَاشِرَةً يَشْهَدُ الحَاسِدُ لَهَا فِيهَا بِالتَّقْدِيمِ ، وَيقْرُ الحَاحِدُ أَنَّهُ أَهْدَى
 لِمَا أُسْدَى إِلَيْهِ إلى صِرَاطِ عَزْمٍ مُسْتَقِيمٍ ؛ وَلِيَطِرْ إلى قَضَاءِ المِهْمَاتِ الشَّرِيفَةِ بِأَجْحَةِ
 السَّدَادِ ، وَليَمْتِطِ من جَوَادِ الجَوَادِ أُسْبِقَ جَوَادَ ؛ وَليَسَوِّبِينِ البَرِيدِيَّةِ فِي الأَشْغَالِ ، وَليَقْبِلِ
 عَلَيْهِمَ فِيما يرومونه من حُسْنِ السَّفَارَةِ بِوَجْهِ الإِقْبَالِ ؛ وَليَسَلِّكْ سَنَنَ الصِّدْقِ وَالتَّقْوَى
 وَليَجْعَلْهُمَا لَهَا أَحْسَنَ سُنَّةٍ ، وَليَلْبَسْ سَوَابِغَ الإِنْصَافِ فَإِنَّهَا من سَهَامِ الخَلَلِ جُنَّةٌ .



نسخة توقيع بناية عيذاب، كُتِبَ به لناصر الدين «محمد بن شعبان» بد المجلس
 العالی «عوضاً عن كان بها، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال إحسانه العميم، يرفع لناصر الدين قدرا، وأمتنائه
الجسيم، ينقذ له في حفظ الممالك المنصورة أمرا، ويؤلى أمر الرعية من حسنت
سيرته سرا وجهرا - أن يستقر... .. : لأنه شهم شهم عرفانه مصيب، وفارس
ربيع خبره وخبره خصيب؛ له مناقب جليله؛ وسيرة محمودة جميلة؛ تنقل في المراتب
تنقل البدر في صعوده، وأرتقى ذروة السيادة آرتقاء الكوكب في منازل صعوده؛
ما باشر مباشرة إلا ونشرت له بها أعلام شكره، ولا علا منزلة إلا تليت بها سور حمده
وذكره؛ لم يزل متبعا للحق في أحكامه، سائكا سبل الصواب في تقضيه وإبرامه؛
فتح له إقبالنا الكريم بابه، فلذلك قدّم على غيره في هذه النباه .

فلبيا شرها مقتنيا آثار العفاف، مرتديا أودية العدل والإنصاف؛ مقيما منار
الشرع الشريف، منصقا من القوى الضعيف؛ والله تعالى يوفقه للصواب فيما
تولاه، وانخط الكريم شاهد أعلاه .

قلت : وعلى نيابة عينتاب هذه يقاس ما في منهاها من نيايات العشرات، فيجري
الحكم في تواقعها كذلك . أما الطبلخانات فقد تقدم أن الأصل أنه لا يؤلى فيها
إلا من الأبواب السلطانية .



وهذه نسخة مرسوم بإمارة الركب الحلبي المتوجه إلى الحجاز الشريف، كتب به
لشهاب الدين « أحمد بن الطنبغا » بـ « الجنباب الكريم » . والبياض فيه وصل
واحد، وهي :

رُسم بالأمر العالى - لا زال يمنح وقد الله تعالى بمن لم يزل شهاب هيمه في أفق
الصيانة منيرا، ويسند أمرهم إلى كل نذير لا يزال على الحق ظاهرا وعلى ذوى الباطل

ظهيراً - أن يستقر فلان من أعيان الموالى الأُمراء الطبلخانات بحلب المحروسة -
 أعز الله تعالى نصرته - أميراً على ركب الحاج الحلبى فى هذا العام المقبل ، على أجمال
 العوائد ، وأكمل القواعد ، حسب ما رسم به . استقراراً يحمده الوفاء عند صباح هيممه
 السرى ، ويبلغ بهم قري الغفران بأمر القري ؛ وينال به طيب العيش بطيبة وطابه ،
 ويدرك بجياد فضله آراهه ؛ ويمتخ به زيارة سيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام ،
 ويفوق به سهم إصابته من البشر إلى مرامى المرام ؛ ويشهد به بين قبره ومنبره روضة
 من رياض الجنة ، ويلبس به سوايق القبول لتكون له من سهام الذنوب أوقى جنه ؛
 ويرتدى [به] برود التقى حين يترع محرمات الإحرام ، ويقبل به على ذكر الله تعالى
 فى الوهاد واليقاع والآكام ، ويستقبل به حرم بيت الله الحرام ، ويشب له
 الهنا حين دخوله المسجد من باب بنى شيبه ، ويتعاطى به أسباب التوبة ، لينال
 من العفو من الله الكريم سببه ؛ ولا يقتصر به عن التطاول إلى الدعاء إلى الله تعالى
 لتعمه الرحمة بفضله وطوله ، ويدخل به حرماً آمناً يحفظ الناس من حوله ،
 ويفتح به إلى المقام باباً من الأمن إلى يوم القيامة مقيم ، ويدكر بوقوفه بعرفات
 ووقوفه (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) .

فليأشر هذه الإمرة المباركة مباشرة يتقط منها لهجر المنام ، وليصرف وجهه
 سهامه إليها فى المسير والمقام ؛ وليتفق على الحاج من كنوز معدلته ، وليجعل القيام
 بمصالحهم من أكبر همته ؛ وليسع بالصفاء فى حراستهم من أهيل الفساد ، وليعتد
 صونهم من ذوى العناد ؛ وليعاملهم بالإرفاد والإرفاق ، وليقطع من بينهم شقة
 الشقاق ؛ وليجعل تقوى الله إمامه فى القول والعمل .



وهذه نسخ تواقع لأرباب الوظائف الدينية بحلب :

توقيع بقضاء القضاة، كتب به لقاضي القضاة جمال الدين «إبراهيم بن أبي جرادة»
قاضي قضاة حلب المحروسة الشهير؛ «أبن العديم» من إنشاء ... الحنفي بالمقتر
الكريم» وهو .

الحمد لله الذي رفع مراتب المناصب العلية وكساها من ملابس أهلها حلل الجمال،
وجمع ثملها فأقترت بإلفها آقران النيرين: شمس الضحى وبيت الكمال، ورفع عنها
يد المتناول والمتناول فأصبح رقم طرازها الموثى منتسجا على أحسن منوال، وقطع
الأطماع عن إدراك شأوها فلا يصل إليها إلا كل خيل من الرجال .

نحمده على نعمة التي أعترف من أعترف من بجرها الوافر بالخير الكامل والفضل
المديد، وأقترف من أقترف ثمار جودها جميل النوال المفيد، وجزيل الإحسان
العديد؛ حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده، ويعم بالإنعام الشامل نائله ومزیده؛
وتشكره على مننه التي يقصر لسان الإطناب عن حصرها وتعدادها، وتعجز بنات
الفكر عن إدراك وصفها وتردادها، شكريا ينال به العبد رضا المعبود، ويبلغ به من
مقاصد الكرم والجود غاية المقصود؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
ولا ضد، ولا والد له ولا ولد ولا ند؛ شهادة تبص وجه قائمها عند العرض،
وينطق بها لسان التوحيد يوم تبدل الأرض غير الأرض؛ ونشهد أن سيدنا محمدا
عبده ورسوله الذي أظهر الله به الحق وأعلنه، وبهر بحقائق معجزاته العقول فاعترف

كُلُّ بَصِيحَةٍ مَا عَرَفَهُ وَبَيَّنَّهُ ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ نَصَرَ اللهُ بِهِمُ
الإِسْلَامَ وَأَبَدَ أَحْكَامَهُ ، وَأَحْكَمَ بِهِمْ مَبَانِيَ الإِيْمَانِ الْمُنِيرَةَ وَأَيَّدَ إِحْكَامَهُ ؛ صَلَاةً تَتَعَطَّرُ
بِنَفَحَاتِ عَرَفِهَا أَرْجَاءُ الْمَدَارِسِ ، وَيُنَادِي لِسَانُ فَضْلِهَا لِرَأَيْدِ فَرَائِدِ الْمَعَالِي عَلَى طُولِ
الْمَدَارِسِ ^(١) . وَسَلَّمَ وَمَجَّدَ وَكَرَّمَ ، وَشَرَّفَ وَيَجَلَّ وَعَظَّمَ .

وبعد : فإنَّ أَوْلَىَّ مِنْ لِحْظَتِهِ عَيْنُ الْعِنَايَةِ وَالْقَبُولِ ، وَأَجْدَرُ مِنْ بَلِّغٍ مِنْ مَقَاصِدِ
الْمَنَاصِبِ الْعَلِيَّةِ غَايَةَ الْقَصْدِ وَالسُّؤْلِ ؛ وَأَعَزُّ مِنْ رَقِيٍّ ذُرَا الْمَعَالِي وَأَرْتَقِيٍّ ، وَأَجَلُّ مَنْ
وُصِفَ بِالْأَوْصَافِ الْجَمِيلَةِ وَنُعِتَ بِالذِّيَابَةِ وَالتُّقَى - مَنْ سَارَتْ سِيرَةُ فَضْلِهِ فِي الْآفَاقِ ،
وَدَلَّ عَلَى صَفَاءِ السَّرِيرَةِ مِنْهُ حُسْنُ الْأَخْلَاقِ ؛ وَأَشْتَهَرَ بِالْعُلُومِ الْجَزِيلَةِ ، وَالْمَنَاقِبِ
الْجَلِيلَةِ ، وَعُرِفَ فِي الْإِنصَافِ بِالْأَوْصَافِ الْمَحْمُودَةِ وَالْحِصَالِ الْجَمِيلَةِ ؛ وَأُظْهِرَ مِنْ
الْعُلُومِ الشَّرِيفَةِ ، مَا حَيَّرَ الْعُقُولَ ، وَحَقَّقَ مِنَ الْمَسَائِلِ اللَّطِيفَةِ ، مَا جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ الْمُنْقُولِ
وَالْمَعْقُولِ ؛ وَدَقَّقَ الْمُبَاحِثَ حَتَّى اعْتَرَفَ بِفَضْلِهِ الْخَاصِّ وَالْعَامِ ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ
وَالْمُجَازِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِعَارَةٍ إِذَا تَسَبَّه الْأَخْصَامُ ؛ وَحَكَّمَ بِمَا أَرَاهُ اللهُ فَاحْكَامَهُ
مَرْضِيَّةً ، وَقَضَايَاهُ فِي الْجُمْلَةِ قَدْ أَتَتْهُ فَهِيَ مُقَدَّمَةٌ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ ؛ وَتَابَرَ عَلَى إِلْقَاءِ
الدَّرُوسِ فِي وَقْتِهَا وَأَوَانِهَا ، وَقَرَّرَ كُلَّ مَسْأَلَةٍ فِي مَحَلِّهَا وَمَكَانِهَا ؛ وَأَفَادَ طُلَّابَ الْعِلْمِ
الشَّرِيفِ مِنْ فَوَائِدِهِ الْجَمَّةِ ، وَكَشَفَ لَهُمْ عَنْ غَوَامِضِ الْمُبَاحِثِ بِجَلَالِ عَنِ الْقُلُوبِ
كُلِّ نَعْمَةٍ ؛ وَجَالَ فِي مِيَادِينِ الدَّرُوسِ خَيْرَ الْأَبْطَالِ ، وَحَازَ قَصَبَ السَّبْقِ فِي حَلْبَةِ
اللِّقَاءِ فَرَدَّ مُتَاسِقًا كُلَّ بَطَّالٍ ؛ وَنَظَرَ فِي أُمُورِ الْأَوْقَافِ بِمَا أَرَاهُ اللهُ فَأَتَمَّنَ بِمُحْسِنِ
النَّظَرِ وَجَهَ ضَبْطِهَا ، وَأَجْرَى أُمُورَ الْوَاقِفِينَ عَلَى الْقَوَاعِدِ الْمَرْضِيَّةِ فَوَافِقِ الْمَشْرُوطِ
فِي شَرْطِهَا ؛ وَجَمَعَ مَا تَفَرَّقَ مِنْ شَمَلِهَا فَأَجْمَلَ وَفَصَّلَ ، وَحَفِظَ أُمُومَهَا فَخَصَّلَ

(١) مراده ارس من رسايسو .

وأصل ؛ فهو الحاكم المشهور بالعدل والمعرفة ، والناظر الذي حمدت الأمور
تصرفه ؛ والإمام الذي أتم الأنام بأقواله وأفعاله ، والعالم الذي يحمّد الطالب إليه
شد رحاله ؛ والمدرس الذي أفاد بفقهِه المفيد النافع ، وترقّع في البداية والنهاية
فهو المختار في المنافع ؛ وسلك منهاج الهداية ، فنال من العلوم الغاية ؛ فبدائع
ألفاظه لعقائد الدين منظومه ، وكثر عرفانه عزيز المطلب ومحاسنه المشتملة على
الكلام معلومه .

ولما كان فلان - أعز الله تعالى أحكامه ، وقرن بالتوفيق والسداد نقضه
وإبرامه ؛ هو المشار إليه بالأوصاف والتعوت ، والمعول عليه إذا نطق بالفضائل
والحاضرون سكوت ؛ والمشكور أثر بيته المشهور ، والمنشور علم عامه من السنة
والشهور ؛ ياله من بيت لم يزل معموراً بالتقوى والصلاح ، تحياً بأسلحة أهله : فمن
أحكامهم السيوف ومن أقلامهم الرماح ؛ فهو العديم المثل وبيته العديم ، وحرّم
فضيل يحج إليه الراحل والمقيم ؛ فاستحق أن تقابل مقاصده بالإقبال ، ويقابل
بما يؤمله مقابلة مثله ولا كسائر الأمثال .

فذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت مراسمه المطاعة تقر الحق في يد مستحقه ،
وترد الأمر إلى وليه ومالك رقه ؛ وتسوق هدى الإحسان إلى محله ، وتضع
الاستحقاق في يد مستحقه والحق وضع الشيء في محله - أن يستقر بحكم
ظهور الحق بيده المباركة ، وخفاء الباطل الذي ليس له في الحق مشاركة ؛ استقراراً
مباركاً مميّوناً ، بالخير والسعد مقروناً ؛ لأنه الأحق بأمر وظائفه ، والطائف حول
حرّمها المنوع طائفه ؛ وأولى من عقلت عليه عقيلته ، وردت إليه فريده ؛ وبأشر
بنفسه الكريمة ما عهد إليه سلفه ، وأنفرد به فلا يناهه - إن شاء الله - إلا خلفه ؛

طلبا ألفت منه الأوقاف من الشفقة والخير ، وحفظ جهاتها المحمية عن تطاول يد الغير ، ونعم بحسن نظره من المدارس كل دارس ، وفازت منه الدروس بالعالم العاريف والبطل المارس .

فليباشر ذلك على ما تقدم له من حسن المباشرة ، وليجتهد - على عوائده - في تحصيل ريعه مثاراً على الأجور أشد مثابره ، وليصرف أموال الأوقاف في مصارفها ، بعد العبارة والتتمير المبدئين في شرط وأقفها ، وليسو - على مقتضى معدلته - بين القوي والضعيف ، والشاب الصغير والشيخ النجيف ، على قدر تفاوتهم في العلم الشريف ، وليطلق لسانه في إلقاء الدروس على عادته ، ويجهد للشتغين طريق الفهم لينالوا القصد من إفادته ، وهو بحمد الله تعالى أولى من أدى الأمور على الوجه المستقيم ، ووقى المناصب حقها فإن الوفاء جدير بـ «إبراهيم»^(١) .

والوصايا كثيرة وإليه مرجوعها ، ومن يحار علمه ودينه المتين ينبوعها ، والله تعالى يؤيد به المناصب ، ويرفع بعلو رتبته المراتب .



نسخة توقيع بخطابة جامع ، كتب به لقاضي القضاة «كمال الدين عمر» ابن قاضي القضاة جمال الدين إبراهيم بن أبي جرادة الحنفى ، الشهير بابن العديم «المقر الشريف» وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت عنايته ترقى في منازل المجدي من تتائل بفضله بهجة وكالا ، وتدل جياها لفرسان الفضائل فتجيد لهم في ميدان البلاغة مجالا ،

(١) بشير ال قوله تعالى : (وإبراهيم النبي رقى) .

وُسِّلَمَ رَأَيْتَهَا [إلى من صدق بارق سعده ، ووهب من العلم^(١)] ملكا لا ينبغي لأحدٍ من بعده - أن يستقر... .. لأنه الإمام الذي [لو] تقدّم عصره لكان أحد أئمة الاجتهاد، والعارف الذي بلغ بولايته مُريدُ الفضل غاية المراد، والعالم الذي وجدت أخبار علومه نسبة يطابقها في الخارج صالح العمل ، وآتبع سنن الكتاب والسنة فلم يتخلل طريقته المثلى خلل ؛ والمحقق الذي وجد إلى كونه الحقيقة أكمل مجاز ، والمفوّه الذي بلغ من البلاغة في كلام البشر حدّ الإعجاز ؛ إن خطب سنّف بدرر مواعظه الأسماع ، وشرف بغير فرائده الأسماع ؛ وأهترت أعواد المنابر طرباً لكلمه الطيب ، وروى أوام القلوب سخ فضله الصيب ؛ وإن قرأ في مجراه أقر بفضلِه الجمع الجامع ، وأستقلّ « ابن كثير » حين وجد « الكسائي » عارياً مما لديه وقضله الجم أكل « نافع » :

خَطِيبٌ إِذَا الصَّادِي تَصَدَّى لِفَضْلِهِ : * لِيُرَوِّى ، فَأَنْوَأُ الْعُلُومَ تُغِيثُهُ !

وَإِنِّي رَوِّى لِبُجْلَاسِ أَخْبَارِ أَحْمَدٍ ، * نَخِيرُ جَلِيسَ لَا يَمْلُ حَدِيثُهُ !

وهو الكامل الذي أدرك درجات الكمال في البداية فأمين في النهاية وهو قاض من النقص ، وسارت عيس الطلاب إلى حضرته الكريمة وأخذة ولكن بالنص ؛ والصاحب الذي استصحب يسار العقاة باليمين ، وأزال ظن قاصده في ربه شامل باليقين ؛ ثم أطلق بأفلامه المفسدة مكرمة بصلة الأرزاق ، ونسخ بمحقق فضله رفاع الأول بالعطاء على الإطلاق ؛ ولو نظر الملكان : هاروت وماروت ماملكه من

(١) الزيادة يقتضها المقام .

(٢) الأوام بالضم العطش .

كاتبته السَّاحِرَةَ لِأَفْرَا أَنَّهُ السَّحْرُ الْحَلَالُ ، وَلَوْ قَابَلَهُ «أَبْنُ هَلَالٍ» لَأَتَّخَسَفَ بَدْرُ فَضْلِهِ
عند الكمال :

فَفِي كَفِّهِ الْأَقْلَامُ تَهَزُّ بِالْقَنَّا ، * وَتَحْتِى سَطَاهَا الْأَسْدُ فِي غَابِ غَابِهَا !
يُرْوَعُ سَيْوَفَ الْهِنْدِ وَرَى يُرَاعِهِ ، * وَقَدْ طَارَ مِنْ خَوْفِ حَدِيدِ دُبَابِهَا !

فليباشِرْ هذه الخطابة مباشرة ترشّف منها كُتُوسَ كَلِمَةِ الْأَسْمَاعِ ، وَلِيكْشِفْ لَهَا
عَنْ وُجُوهِ فَضَائِلِهِ الْقِنَاعَ ، وَلِيَنْشُرْ عَلَيْهِمْ مِنْ دُرَرِ بِلَاغَتِهِ مَا تَلْتَقِطُهُ أَفْوَاهُ الْمَسَامِعِ ،
وَلِيَنْشُرْ مِنْ طَيِّ لِسَانِهِ عِلْمَ عَالِمِهِ الَّذِي لَا يَقَاسُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ أَبِي اللَّهِ وَالْفَارِقُ الْجَامِعُ ؛
وَلِيُطْرِبَ بِمَوَاصِلِ أُسْبُجَاعِهِ الْقَاطِعَةَ بِفَضَائِلِهِ الْمَكْمَلَةَ ، وَلِيُظْهِرَ مَا جَمَعَهُ مِنْ مَحَاسِنِهِ الَّتِي
هِيَ الْجَمْعُ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ ؛ وَلِيُتَّفِقَ عَلَى الْجَمْعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ كُنُوزِ
الْفَضَائِلِ ، وَلِيُبَلِّغَهُمْ مِنْ بِلَاغَتِهِ الَّتِي أَنْحَلَتْ ذِكْرَ «قُسٍّ» وَ«سَجْبَانٍ وَأَيْلٍ» ؛ وَأَنْتَ
- أَسْبَغَ اللَّهُ تَعَالَى ظِلَالَكَ - مَعِدُنُ الْفَضَائِلِ فَأَتَى تَهْدِي إِلَيْكَ الْوَصَايَا ؛ وَالْمُتَّصِفُ
بِصِفَاتِ الْكَمَالِ فَكَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ الْمَزَايَا ؛ وَلَكِنَّ الْوَصِيَّةَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ
شِعَارِ الْإِسْلَامِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُكَ غُرَّةً فِي جَبْهَةِ الْأَيَّامِ .



وهذه نسخة توقيع بتدريس بالجامع المذكور ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي عِلَاءِ الدِّينِ
«عَلِيٍّ الصَّرْحَدِيِّ» الشَّافِعِيِّ ، نَائِبِ الْحَكْمِ الْعَزِيزِ بِحَلَبَ بِ«الْمَقَرَّ الْعَالِي» وَهِيَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ صِدْقَاتُهُ تَمْنَحُ دُرُوسَ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ بَعْلَى الْعُلُومِ ، وَتَتَدَبَّرُ
لَهَا مِنْ ذَوَى الْأَجْتِهَادِ مِنْ سَائِرِ بَهْمِيَةِ الْبُرْقِ وَسَائِرِ النُّجُومِ ، وَتُقَرَّرُ لِلطَّلَبَةِ مِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ «دَرِي» بِشَدِيدِ الْبَاءِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

أولى العناية من حَقِّقِ الفضائل وأطلع على سيرها المكتوم، وتُدِيرُ عليهم من مشرب فوائده ما يُخالُ أنه الرِّحِيقُ المَحْتُومُ - أن يستقرَّ فلانٌ استقرَّ أَرَأَيْتَ به عينُ الطلاب، وتَمَحُّجُ من صَوْبِ فَضْلِهِ عَيْنُ الصَّوَابِ؛ وَيُشِيدُ به دَارِسُ الدَّرُوسِ، وَيَطْلَعُ به في سماءِ الفضائلِ نُورُ شَمْسِ نُبُوِّهِ؛ وَتُنَشِّرُ به أَعْلَامُ العُلُومِ من طَيِّبِ الأَلْسِنَةِ، وَيُذْهِبُ من كُلِّ الطَّلَبَةِ في تحصيلِ العِلْمِ الشَّرِيفِ وَسَنَهُ؛ لِأَنَّهُ الحَبْرُ الَّذِي شَهِدَتْ بِفَضْلِهِ الأَسْفَارُ، وَرَحَلَتْ إلى فوائده الجَمَّةِ السُّقَّارُ؛ وَالبَحْرُ الَّذِي جَرَتْ سُنْفُنُ الأَذْهَانِ به فلم تُدْرِكْ غَايَةَ قَرَارِهِ، وَعَجَزَتْ الأَمْثَالُ عن خَوْضِ تَيَّارِهِ؛ وَالعَالِمُ الَّذِي أَقْرَبَ بَعْلَمَهُ الأَعْلَامُ، وَشَهِدَتْ بِإِحْكَامِ أَحْكَامِهِ الأحْكَامُ؛ مَا بَرَزَ في مَوْطِنِ بَحْثِ إِلا وَبَرَزَ على الأَقْرَانِ، وَلا جَارَاهُ مُجْتَهِدٌ إِلا وَكَانَا كَفَرَسَى رِهَانِ، وَلا نَطَقَ بِمَنْطِقِ إِلا وَانْتَجَتْ مُقَدِّمَاتُ هِمَمِهِ العَلِيَّةِ وَاجْتِهَادُهُ عَلَى فَضْلِهِ أَكْمَلَ بُرْهَانَ، وَلا أَجْرَى جِيَادِ عُلُومِهِ إلى غَايَةِ إِلا مُطْلَقَةَ العِنَانِ، وَلا رَأَى من أَخْبَرَ عن فَضْلِهِ إِلا تَمَثَّلَ له: لَيْسَ الحَبْرُ كَالعِيَانِ؛ إِنْ تَصَدَّرَ لِلْفَوَائِدِ أَلْتَقَطْتَ الأَسْمَاعُ دُرَّ عَالِمِهِ النَفِيسِ، وَإِنْ دَرَسَ تَخَالُ الطَّلَبَةُ أَنَّهُ «أَبْنُ إِدْرِيسِ»؛ فَهُوَ طَوْدٌ فَضِيلٌ لِأَيْسَامِي عُلُومًا وَرَفَعَهُ، وَلا يَنْبُو مُنَاوَاتِهِ مُنَاوِيٌّ وَلَوْ كَانَ «أَبْنُ رَفَعَةَ»:

إِمَامٌ غَدَاً لِلسَّالِكِينَ مُسَلِّكًا، * عَلِيمٌ، وَكَمِ أَوْلَى الفَضَائِلِ مَنْ وُلِيَ!

عَلَا فَاسَالِ البَحْرَ من فَيْضِ عَالِمِهِ! * وَذَلِكَ سَيْلٌ جَاءَ بِالفَضْلِ من عَلَى!

فَلْيَبْشِرْ هَذَا التَّدْرِيسَ المَبَارَكَ مَبَاشَرَةً يُثَبِّتُ بِهَا فَوَائِدَهُ، وَيَنْشُرُ بِهَا فَرَائِدَهُ؛ وَيُطْرِبُ الطُّلَّابَ بِطَرِيفِ العِلْمِ وَتَالِدِهِ، وَيَجْمَعُ لَهُمُ من صِلَةِ الفَضْلِ وَعَائِدِهِ؛ وَلا يَلْزِمُ المَبَاشَرَةَ مَلَاذِمَةً لا يَنْفِكُ عَنْهَا أَيَّامَ الدَّرُوسِ، وَلِيُنْزِلَ القُلُوبَ بِمَصَابِيحِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَيُسِّرَ النَفُوسَ .

وأنت - أمتع الله بفوائدهك - من نُورِكَ الوصايا تُقتبس ، ولم آتس الطالبُ نارَ
فضلاً فأتى منها بأنورِ قَبَسٍ ؛ والله تعالى يُبقيك للعلوم كثرًا لا تُفنى مواهبه ، ويُديمك
للطلاب بحرًا لا تنقضي عجائبه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس بالجامع المذكور لحنفي ، كُتِبَ به للشيخ شمس الدين
«محمد القرمي» الحنفي ، بـ«الجناب العالی» ، وهي :

رُسم بالأمر - لا زالت عنايته الكريمة تُطليح شمس الدين للهداية في أفق المدارس ،
وُتسِّد بالعلماء الأعلام من رُبوعها كلِّ دارِسٍ ؛ وتمنحُ الفقهاء بمن إذا تصدَّى
للإفادة جادت نفسه بالدرر النفايس ، وتندب لها من أولي البلاغة من إذا ألفت
فضلاً ووجدت عُصون أعلامه في روضات الطروس أحسن موائس - أن يستقرَّ
فلانٌ : استقرارًا يُجَلُّ به الدروس بالفوائد ، وتمنحُ الطلبة منها بالصلة والعائِد ؛ ويمدُّ
لهم من موادِّ العلوم أشرف موائد ، ويُورِدُهم من مَناهلها أعذب مَوارِد ؛ لأنه شمس
العلوم ومِصباحها ، وقمر ليل المُشكلات وصباحها ؛ وساعدُ الفتاوى الطائِرة بفضائله
في الآفاق وجناحها ، وروحُ كُشوس العلوم وراحها ؛ وطليعةُ الحقائق وعنوانها ،
وعينُ الدقائق وإنسانها ؛ والإمامُ الذي أتمَّ به الطلابُ فاستحقَّ الإمامه ، والعالمُ
الذي اجتهد على فضل العلوم فاستوجب أن يُنعتَ بالعلامة ؛ والفاضلُ الذي
ضبطت أقاله : للأطلاع على سرِّها المكتوم ، فأخصَّ فعلُ عامه المتعدى باللزوم
لأنصافه بالعموم ؛ كم أنقطت من دُروسه الجواهر ، وتمثل لأبكار فوائده : كم تركَ
الأول للآخر ؛ قابلته الأسفار عن وجوه فوائدها بالإسفار ، وأظهرت لذكاء دكانه
ما صمته أحشأؤها من الإضمار ؛ فهو المختار لهذا التدريس : إذ درر فوائده منظومه ،
والمُجْتَبَى للإفادة بسُلوكة طُرُق الهداية إلى دقائقها المكتومة ؛ وكم استنارت الطلبة

من سَمَرِ فَضْلِهِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ نَالِثَ الْقَمَرَيْنِ، وَجَمَعَ فِي صَدْرِهِ بِجَرَى الْمَقُولِ
وَالْمَعْقُولِ حَتَّى قِيلَ: هَذَا «تَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ»:

هُوَ الْبَحْرُ، إِلَّا أَنْ فِيهِ عَجَائِبُ، * وَوَأَفْرَ فَضِيلٍ لَيْسَ يُوجَدُ فِي الْبَحْرِ!

بَلَاغَتُهُ السَّحْرُ الْحَلَالُ، وَإِنَّمَا * بَدِيعُ مَعَانِيهَا يَجِلُّ عَنِ السَّحْرِ!

فَلْيَبْأِشِرْ هَذَا التَّدْرِيسَ نَائِرًا دُرَّرَ فَرَائِدُهُ، نَائِشِرًا غُرَّرَ فَوَائِدُهُ؛ جَانِدًا بِيَّيَادِ فَضَائِلِهِ
السَّابِقَةَ إِلَى الْغَايَاتِ، عَائِدًا بِصَلَاتِ حَقَائِقِهِ لِنُكُلِ اللَّطَلْبَةِ بِهِ الْمَسْرَاتِ؛ وَبِلِإِزْمِ أَيَّامِ
الدَّرُوسِ مَا أَسْدَى إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةِ، وَلِيَرْتَقِ مِنْ دَرَجِ التَّقْوَى لِعُرْفِ الْمَعَارِفِ
الشَّرِيفَةِ.



وهذه نسخة توقيع بإمامية وتصدير بجامع منكلي بغا الشمسى بجلب ، كُتِبَ بِهِ
للشيخ شمس الدين «محمد الإمام» ، ب«الجناب العالى» ، وهى :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ صِدْقَاتُهُ الْعَمِيمَةُ تُطْلِعُ شَمْسَ الدِّينِ فِي أَفْقِ الْمَعَالِي، وَتَرْفَعُ
مِنْ أَوْلِيَائِهِ خِدْمَةَ مَنْ جِيدَهُ بِالْفَضِيلِ حَالِي؛ وَتَمْنَحُ بِرَّهَا مَنْ أَعْرَبَتْ عَنْ لَحْنِهِ الطَّيِّبِ
وَتَسْتَنْفَتُ مِنْ فِيهِ بِاللَّيْلِ، وَتَسْفَحُ غَيْثَ جُودِهَا عَلَى مَنْ أَجْمَعَ عَلَى طِيبِ مُسَامَرَتِهِ
وَرَفَعَ أَدْعِيَتِهِ الْأَسْمَاعُ وَاللِّبَالِي - أَنْ يَسْتَقِرَّ فَلَانُ - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى ضِيَاءَ شَمْسِهِ، وَبَنَى لَهُ
رَبْعَ السَّعْدِ مِنْ جُودِهِ عَلَى أَسْسِهِ - ... لَأَنَّهُ الْإِمَامُ الَّذِي شَهِدَتْ بِحُسْنِ قِرَاءَتِهِ
الْمَحَارِيبَ، وَالْآتِي مِنْ فَضِيلِ فَضَائِلِهِ بِالْأَغَارِيبِ؛ وَالْفَاضِلُ الَّذِي سَلَكَ طُرُقَ الْفَضَائِلِ
أَحْسَنَ سُلُوكٍ، وَشَهِدَ بِسَبْقِ جِيَادِ جُودِهِ فِي حَلْبَةِ الْأَخْتِبَارِ كُلِّ حَتَّى الْمُلُوكِ؛ وَالْكَامِلُ
الَّذِي كَمَلَتْ أَوْصَافُهُ الْمَحْمُودَةَ فَا مِنْ النِّقَاصِ، وَأَخْتَصَّ بِجَمِيلِ الشِّيمِ وَحُسْنِ الْخِصَائِصِ؛
مَا أُمَّ إِلَّا وَشَهِدَ بِفَضْلِهِ كُلِّ مَأْمُومٍ، وَأَفْزَوْا أَنْ أَسْمَاعَهُمْ أَرْتَسَفَتْ رَحِيقَ فَضَائِلِهِ مِنْ

كأسيها المختوم ؛ وما سامر الخواص إلا وشهد العوام بحسن صفاته ، ولا حدث إلا
وكانت الملوك من روايته .

فلباشير هذه الوظائف المباركة مباشرة تقرُّ بها النواظر ، وتجتمع الألسنة على أنه
أكرم إنسان وخير ناظر ؛ ولتصدّر لإلقاء الفوائد ، وليكسب الأسماع من علمه
بالطريف والتألد ؛ ولتداول معلومه أوان الوجود والاستحقاق ، هنياً ميسراً من غير
تقييد على الإطلاق ؛ وليتق الله فيما أسدى إليه من ذلك ، وليسلك من سنن التقوى
- بقدّم الصدق - أحسن المسالك .



وهذه نسخ توابع لأرباب الأقلام الديوانية بحلب وما معها :

توقيع بكتابة الدست بحلب ، كتب به لـ «بهاء الدين بن الفرفور» ونظر بيت
المال بحلب ، بـ «الجناب العالى» ، وهو :

رُسم بالأمر - لا زال يتّظّم عقود الإحسان فى أجياد أوليائه ، ويُجزّل لهم بوافر
نظيره وفى عطايه ، ويُجىرى بهاء الدين على أحسن نظام فيُنجزّ له عدّة وقاينه - أن
يستقر استقراراً يباع به وجوه الآمال ، ويكسو الدواوين ملايس البهائم
والكمال ، ويزيدها رفعة بما يفضله من ذلك الجمال ؛ لأنه الفاضل الذى إذا
قصد المعاني أصاب ، وإذا سُئِلَ عن كلّ معنى لطيف أجاد وأجاب ؛ والفصيح
الذى إذا تكلم أجزل وأوجز ، وأسكت كلّ ذى لسن بفصاحته وأعجزه ؛ والبلغ الذى
أبداع فى مكاتباته بمنثورِه ومنظومِه ، والليب الذى أطلع من أزهار كليمه المسموعة
فى رياض الطروس ما يُنجزّل الرّوض إذا افتخرت بمشؤمِه ؛ والكاتب الذى قطع
بمعرفة الأقلام ، والحاسب الذى عُقدت على خبرته خناصر الأنام ؛ والأديب الذى

جمع بين قلم الإنشاء الشريف (؟)، وحاز ما في ذلك من تآليد وطريف؛ فله دره من كاتيب زين الطروس بحسن كتابته، وجمل الألفاظ والمعاني بجمل درايته وقصاحته. فنباشر ما عُدق به من ذلك مباشرة مقرونه بالسداد، مشكورة المساعي والاعتماد؛ مظهرًا براعة يراعه، باسطًا يد إبداعه الجميل وإبداعه؛ مفوفًا حواشي القصص بتوقيعاته، مؤشياً برود الطروس بترصيعاته وتوشيعاته؛ ناظرًا على اعتماد مصالح بيت المال المعمور، وتخصيل حواصليه على الوجه المشهور والطريق المشكور؛ غاملاً بتقوى الله عز وجل في ضبط مصالح ديوان الجيوش المنصوره، سالكاً من حسن الاعتماد طرقاً على السداد والتوفيق مقصوره؛ والوصايا كثيرة وتقوى الله تعالى عمادها، فليجعلها عمده فيما يتم به للنفس المطمئنة مرادها؛ وليتناول معلومه المستقر لذلك أوان وجوبه، والله تعالى يبلغه غاية قصده ومطلوبه.



توقيع بصحابة ديوان الأموال بحلب، من إنشاء ابن الشهاب محمود، كتب به للقاضي شمس الدين «محمد بن محمد»، أحد كتّاب الدست بحلب، بد المجلس العالي، وهو:

رسم بالأمر - لازالت صدقائه العيمة تثر نفوسا، وتطلع في حالات الوظائف السنية عوض الشمس شموسا؛ ونسقى غرس نعمائها الهبات الهنية فترهى أغصاناً يانعة وغروسا - أن يستقر... : لأنه الأوحّد الكامل، والرئيس الفاضل؛ ولأنه حاز قصب السبق في المباشرات، والمناصب الجليلة والمراتب السنيات؛ طالما بذل جهده في خدمة الدول، وسلك بجمل مباشرته طريق السلف وسبيل الأول؛ فادرك بحسن سيرته ويمن طريقته نهاية السؤل وغاية الأمل، وأتى الأمور على

قَدِيرٌ وَلَا يُقَالُ : عَلَى عَجَلٍ ؛ وَلِأَنَّهُ الْأَمِينُ فِي صَنْعَةِ الْإِنشَاءِ ، وَالتَّابِعُ فِي فَتْنَةِ فُنُونِ
 الْأَدْبَاءِ ؛ إِنْ رَقِمَ الطُّرُوسَ طَرَزَ ، وَإِنْ بَارَزَ الْأَقْرَانَ فِي مَوَاطِنِ الْإِفْتِخَارِ بَرَزَ ؛ وَإِنْ
 بَسَطَ الْجَرَائِدَ ، تَغَارَ مِنْ حُسْنِهَا الْخَرَائِدَ ؛ طَالَمَا نَطَقَ بِالْحِكْمِ ، وَأَشْتَهَرَ بِمِنْ أَسْحَابِهِ
 مِثْلَ أَشْتِهَارِ النَّارِ عَلَى عِلْمٍ ؛ نَظَمَ الْمُحَاسِنَ فِي نَثْرِ الْبَدِيعِ ، وَجَمَعَ بَيْنَ الْأَضْدَادِ فِيمَا يُبْدِيهِ
 مِنَ الْإِنشَاءِ وَيُخَلِّيه مِنَ التَّنْصِيعِ ؛ قَدِمَتْ هِجْرَتُهُ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَأَقْتَضَى مِنْ
 زَهْرِ الصَّدَقَاتِ الشَّرِيفَةِ أَحْسَنَ مَنَاصِبَ وَأَجْمَلَ وظيفه ؛ وَتَحَلَّى جَيْدَهُ بِالْقَلَائِدِ ،
 وَحَصَلَ بِسَعْيِهِ بِمَجْمُوعِ الْفَرَائِدِ ، فَعَادَتْ عَلَيْهِ الصَّدَقَاتُ الشَّرِيفَةُ بِأَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ؛ قَدْ
 اسْتَحَقَّ التَّقْدِيمَ ، وَاسْتَوْجَبَ مِنَ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةِ نِهَآيَةَ التَّكْرِيمِ .

فَلْيَا شَرُّ هَذِهِ الْوُضُفَةِ مَبَآشِرَةً حَسَنَةً الْآثَارِ ، جَمِيلَةً الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ ؛ نَاطِقًا بِقَلَمِهِ
 الْحِسَابَ عَلَى أَنْوَاعِهِ ، مُحْكِمًا لَهُ عَلَى سِدَادِ أَوْضَاعِهِ ؛ وَلِيُطْلِعَ شَمْسَهُ فِي سَمَاءِ هَذِهِ الْوُضُفَةِ ،
 وَلِيَجْنِ مِنْ رَوْضِهَا الْأَرِيضَ كُلَّ يَانِعَةٍ لَطِيفَةٍ ؛ وَلِيَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ بَوَادِرُ خَيْرٍ سَرَّتْ إِلَيْهِ ،
 وَسَوَائِعُ نِعَمٍ خُلِعَتْ عَلَيْهِ ؛ وَأَنَّ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةَ لَا بُدَّ أَنْ تُؤَلِّهَ بَعْدَ ذَلِكَ بِرَأْيِ ،
 وَتَرَادَفَ عَلَيْهِ تَتْرَى ؛ وَتُعَلِّى لَهُ بَيْنَ رِفَاقِهِ الْمَرْفُوقِينَ قَدْرًا ؛ وَمِثْلُهُ لَا يُبْنَى عَلَى وَصِيَّةِ ،
 لَا دَانِيَّةٍ وَلَا قَصِيَّةِ ؛ لَكِنِ التَّقْوَى لَا بُدَّ مِنْهَا ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُغْفَلَ عَنْهَا ؛ فَلْيَجْعَلْهَا
 أَعْتَادَهُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، وَلِيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَهُ الْمَقْرَّرَ لَهُ عَلَى الْوُضُفَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي غُرَرِ
 الشُّهُورِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَضَاعِفُ لَهُ بِمِضَاعِفَةِ الصَّدَقَاتِ عَلَيْهِ أَوْقَاتَ السُّرُورِ ، وَيَقِيهِ
 بِلُطْفِهِ كُلَّ مَحْذُورٍ .



تَوْقِيعُ بِنظَرِ بَهْسَنِيٍّ ، مِنْ عَمَلِ حَلَبَ ، كُتِبَ بِهِ لِفَتْحِ الدِّينِ «صَدَقَةُ بْنُ زَيْنِ الدِّينِ»
 عَبْدَ الرَّحِيمِ الْمِصْرِيَّ ، بِ«الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ» ، وَهُوَ :

رُسم بالأمر - لازالت صدقاته العميمة تفتح لأولياء خدمته أبواب الخيرات ، ولا برحت تُهدى إليهم أنواع المسرات - أن يستقر... .. في وظيفة النظر بمدينة بهسنى المحروسة عوضاً عن بها ، بالمعلوم الذى يشهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت ، على العادة فى ذلك والقاعدة ، استقراراً يسر خاطره ، ويقر ناظره ؛ لأنه الماهر فى صناعته ، والرأىح فى متاجر بضاعته .

فليباشر هذه الوظيفة مباشرة حسنه ، لتصبح الأئسنة بشكرها معلنه ؛ وليُصرف قلبه فيما يعود نفعه عليه ، وليجتهد فيما يستجلب الأئنية إليه ؛ وليقبض معلومه أوان وجوبه هنيئاً ، وليتناوله بيد استحقاقه مرئياً ؛ والوصايا كثيرة وهو - بحمد الله تعالى - غير محتاج إليها ، لأنه الفاعل لها والدال عليها ؛ وتقوى الله تعالى عمادها ، وبه قوامها وسنادها ؛ فليتمسك بسببها فى الحركات والسكات ، والله تعالى يهيئ له أسباب المسرات .



توقيع بكتابة الإنشاء ونظر الجيش بدبركى ، كتب به للقاضى شهاب الدين « أحمد ابن أبى الطيب العمري العثماني » ، بـ « بالجناب الكريم » ، وهو :

رُسم بالأمر - لازال يجمل الثغور بمن تزهو برحيق كلمه الطيب [المناصب] ، ويكمل محاسنها بمن لم تزل الصحف تقود من جواد فضله أجمال جنائب ، وحبابها بشهاب يهتدى إلى المقاصد بنجم رأيه الناقب ؛ وسرها بكل نديب لم تزل كتمه ترد من الدطار الكئاب - أن يستقر... .. فى وظيفتى كتابة الإنشاء الشريف والجيش المنصور بدوركى المحروسة ، عوضاً عن فلان ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر

(١) لغة فى دبركى كما سلف قريبا وتقدم فى ج ٤ ص ١٣٢ من هذا المطبوع .

وَقِيَتْ . لِأَنَّهُ مِنْ بَيْتِ رُفِعِ عِلْمِ قَدْرِهِ عَلَى السَّحَابِ ، وَأَنْتَصَبَتْ رَأْيَهُ آرَائِهِمْ بِالْتِمِيزِ فِي مَوَاقِبِ الْعِزَّةِ عَنِ الْمَوَاقِبِ ، وَأُضِيفَ إِلَى مَجْدِهِمْ شَرَفُ الْكَمَالِ فَانْتَجَرَ بِالْإِضَافَةِ ذَيْلُ مَجْدِهِمْ عَلَى الْكَوَاكِبِ ، وَجَزَمَ أَوْلُو الْفَضْلِ بِنَسَبَتِهِمْ إِلَى الْمَعَالِي فَخَازُوا قَصَبَهَا أَسْتَحْقَاقًا وَمَا زَاخَمُوا عَلَيْهَا بِالْمَنَّاكِبِ ؛ وَأَسَّسَ أَصْلُهُ عَلَى عِمَادِ شَرَفِ «الْفَارُوقِ» وَ«ذِي الثَّوْرَيْنِ» فَتَنَزَعَ عَلَى أَكْمَلِ تَنَاسُلٍ بِتَنَاسُبٍ .

النيابة الثالثة

(مما يكتب من التواقيع بالولايات عن نواب السلطنة بها - نيابة بطرابلس)

وهي على ما تقدم في دمشق : من تقسيمها إلى تواقيع أرباب السيوف ، وتواقيع وظائف أرباب الأقاليم الدينية ، وتواقيع أرباب الوظائف الديوانية ، وأرباب الوظائف بمشيخة الأماكن وغيرهم ، وتقسيم ذلك إلى ما يفتح بـ «الحمد لله» ، وما يفتح بـ «أما بعد حمد الله» ، وما يفتح بـ «رسم بالأمر» .

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بشد الدواوين بطرابلس ، كتب به لصلاح الدين «صلاح الحافظي» ، بـ «الجناب الكريم» ، وهي :

الحمد لله الذي أيد هذه الدولة وسددها بأنواع الصلاح ، وعمر العالم بعديل ساطعها وجعل أيامه مقرونة بالنجاح ، وأقام لتدبير المملكة [كل] كفاء كاف مشهور باليمن والصلاح .

نحمده على نعمة الغامرة في المساء والصبح ، ونشكره على آلائه في كل غدو ورواح ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة ضوئية كالمصباح ،

وَأَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مِنْ أَصْطَفَاهُ وَأَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْحَنِيفِيِّ فَبَشِّرْ
وَأَنْذِرْ وَحَلِّ وَحَرِّمَ ... (١) ... وَأَبَاحَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلَاةً دَائِمَةً
مُسْتَمِرَّةً مَا حَيَّعَلَ الدَّاعِيَ إِلَى الْفَلَاحِ .

وبعد، فَإِنَّ أَوْلَى الْأَوْلِيَاءِ بِمُضَاعَفَةِ الْإِحْسَانِ ، وَأَنْ يَعْلَى لَهُ فِي الْمَكَانِ وَالْإِمْكَانِ -
مَنْ عُرِفَ بِأَجَلِّ الْمَبَاشِرَاتِ فِي الْفُتُوحَاتِ ، وَأَشْتَهَرَ فِيهَا بِالْكَفَايَةِ وَالصِّيَانَةِ وَبِحَمِيلِ
التَّذْيِيرِ وَحُسْنِ الصِّفَاتِ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الْمُتَفَرِّدَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَسَنَةِ ، وَأَتَّفَقَتْ عَلَيْهِ نَعْوَتُهُ الْجَمِيلَةَ
الْأَلْسِنَةَ ، وَالْوَحِيدَ بِهَذِهِ السَّجَايَا ، الْفَرِيدَ بِشَرَفِ الْمَزَايَا ، عَقِدَتْ الْخِنَاصِرُ عَلَيْهِ ،
وَأَقْتَضَتْ الْآرَاءُ أَنْ يَسْنَدَ تَذْيِيرَ الْمَمْلُوكَةِ إِلَيْهِ : فَإِنَّهَا لَمْ تَجِدْ لَهَا كُفْأً غَيْرَهُ ، وَلَا مَنْ
يَجْمَعُ شَمْلَ شَتَاتِ أَقْوَالِهَا وَلَمْ يَفْرِطْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالِ يَنْدُبُ لِتَذْيِيرِ الْمَمَالِكِ كُلِّ كُفٍّ كَافٍ ، وَيُورِدُ أَوْلِيَاءَهُ
مِنْ مَوَارِدِ إِحْسَانِهِ مَوْرِدًا عَذْبًا صَافٍ - أَنْ يَفُوضَ إِلَى الْجَنَابِ الْكَرِيمِ - أَدَامَ اللَّهُ
عُلُوَّ قَدْرِهِ ، وَأَيَّدَهُ بِالْمَعُونَةِ فِي أَمْرِهِ - شَدُّ الدَّوَابِ فِي الْمَعْمُورَةِ بِالْمَمْلُوكَةِ الطَّرَابُلسِيَّةِ ،
بِالْمَعْلُومِ الْمُسْتَقَرِّ ، الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى آخِرِ وَقْتِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ .



وهذه نسخة توقيع بالاستمرار في شدِّ الدواوين :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَرَنَ الشَّدَّةَ بِالْفَرَجِ وَجَبَرَ بَعْدَ الْإِنْكَسَارِ ، وَأَمْتَحَنَ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ
مِنَ الْحَيْنِ لِيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ فِي الْأَصْطِيبَارِ ، وَأَطْلَعَ فِي أَفْقِ الْعُلَا سَعْدَ السُّعُودِ سَاطِعًا

(١) بياض بالأصل ولعله : وحظر وأباح ، الخ .

بالتور بعد ما غار ، وجمع لمن أنقطع به حبل الرجاء من الخلق فتوكل عليه بين نيل
المطلوب وتمحيص الأوزار .

نحمده وفي محامده تطيب الآثار ، ونشكره على ما أسبل من النعم الغزار ؛ ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله كشف الغم بعد ما غم القلوب وغطى على
الأبصار ، وفرج الهم ، وقد كان آذلم ، وأظلمت منه النواحي والأقطار ؛ ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله المصطفى المختار ، سيد ولد آدم في الدنيا وسيدهم في دار
القرار ، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار ، وصحابة الأخيار ، ما أظلم ليل وأضاء نهار .

وبعد ، فإن الله تعالى لطف بهذه الدولة المعظمة في المقام والسير ، فما مضى
لأحد معها يوم سرور إلا والذي من بعده خير ؛ ونصب خيام عدلها على الخلق
وشرع أطناها ، ورغب العباد في فضلها العميم وفتح لهم بابها ؛ وجعلها كاشفة
للكروب الموجبة للحزن والضيق ، راشفة من خزائن ملكه ومعادن نصره كأس
رحيق ؛ تصل بقوة وتقطع ، وتفرق بارادته وتجمع ؛ ثم جعل المال نظام ملكها
القويم ، وقوام سلكها النظيم ؛ به تمضى أوامره ونواهيها ، وتجرى على السداد بما
يحبه ويرضيه ؛ فتعين إعداد من يقيم بعزمه عمده ، ويقعد من أخذ منه بغير استحقاق
من أقعد الدين زنده ؛ وقدر الله تعالى في هذا الوقت ما قضاها ، ونفذ حكمه فيمن
خرج عن طاعته وأمضاه ؛ فلم تبقى مملكة إلا ومسها وأهلها الإضرار ، ولا بقعة
إلا ولحق أهلها بأس أولئك الفجار ؛ فأدرك الأطف الإلهي ممالك الإسلام ، وحل
الركاب الشريف بأرض الشام ، فكان بردا وسلام ، ونجا المخلص وهلك الناكث
الناكل بقدوم سلطان الإسلام ؛ خلد الله ملكه [ليقذف] بالحق على الباطل ، وأيد
الله دولته الشريفة بعونه المتواصل .

وكان فلان له مباشراتٌ عديده ، وتأثيراتٌ حميده ؛ وآخر ما كان في وظيفة شدّ الدواوين بطرابلس : فباشرها مباشرةً جميلة الأثر، مشكورة السير عند من ورد وصدر ، ودبر مهماتٍ يعجز عن حصرها أولو العقول والفكر ؛ وحصل للديوان المعمور أموالاً كالطوفان ولكن بلا غرق ، وأستعجب منها كيف حصرتها الأقاليم أو وسعها الورق ! ؟ ؛ والذي كان بوظيفة الشدّ الآن زاهدٌ عنها ، ليس له رغبةٌ فيها ولا في شيء منها .

فتعين إعادة الجناز الفلاني إليها . ورسم بالأمر - لازلّت أيام دولته الشريفة تُصلح الشأن ، وتعيد الخير إلى ما كان - أن يستقر

فليعد إليها عود الحسام إلى غمده ، والماء إلى منهل وزده ؛ وليباشرها بمباشرتها المعروفة ، وعزائمه المألوفة ، وهممه الموصوفة ، مُسترفعا المتحصل ومصروفه ؛ وليتحقق أن الله تعالى سيصل رزقه فلا يوجس في نفسه خيفه ، وليجعل تقوى الله تعالى دأبه في كل قضية ثقيلة كانت أو خفيفة ، والله تعالى يمدّه بالطافه المطيقه ؛ بمنه وكرمه .



وهذه نسخة توقيع بنقابة العساكر بطرابلس :

الحمد لله الأول بلا آخر ، الغني في ملكه عن الناصر ، المتزه في سلطانته عن المؤازر ، المتوحد بعدم الأشباه والنظائر ، المبيد لكل مظاهر العناد مجاهر ، العليم بما تكنه الأفكار ويختمه الضمائر ، الرقيب على كل ما تردد من الأحوال بين سوادى القلب والناظر .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة يرغم بها كل جاحد وكافر ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث والشرك مدتهم الدياجر ، والرشد

قد حَيَّم عليه الضَّلالُ فما له من قُوَّةٍ ولا ناصِرٍ ، فأقام به الدِّينَ الحَنِيفِيَّ النَّيِّرَ الرَّاهِرَ ،
ورَفَعَ ذِكْرَهُ في سائر الأقطار والأمصار على رُءُوس المنابر ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله أَهْلِ
المكارم والمآثر ، ما حَمَدَ السُّرَى عند الصَّبَاحِ سائِرًا ، ونَحَمَدَ شَرُّ الشَّرِّ بِكُلِّ مُناضِلِ
ومناظرٍ ، وسلَّمَ تسلِيمًا كَثِيرًا .

وبعدُ ، فإنَّ أَوْلَىَّ من سَبَقَتْ إليه وُفُودَ النِّعمِ ، ومُنِحَ من الخيراتِ أَجْرَلِ القِسَمِ ؛
وَعُدَّتْ الأُمُورُ بعزائمها ، وأَعْتَمِدَ على هِمَّتِهِ التي هي في المَضَاءِ كَأَسِنَّتِهِ وِصَوَارِمِهِ ؛
وَرُعِيَتْ عُهودُ ولأَنَّهُ التي لا تُنْكَرُ ، وَوُصِفَتْ مَساعِيه التي آسَحَقَّ أَنْ يُجْمَدَ بها
ويُشْكَرَ - مَنْ إذا عَوَّلَ عليه في المُهِمَّاتِ كَفَّاهَا ، وإذا أَسْتُطِبَّتِ المُعْضَلاتُ به
شفاها ؛ وسارتِ أنباءُ مهابته غَوْرًا وَتَجَدًا ، وَأَتَّصَفَ بِحُسْنِ التَّدْيِيرِ الذي عليه من
الإقبالِ أَكْمَلُ إِجْدَا .

ولمَّا كانَ فِلانٌ هو الذي تناقَلَتْ تَباشيرُ أخبارِهِ الرَّجْبانِ ، وأُنْحِيَ على شَهامَتِهِ السَّيْفِ
والسَّنانِ ؛ وشَرُفَتْ بِمُجاسِنِهِ الأَقلامُ ، وأرْتَفَعَ ذِكْرُهُ بِالشَّجاعةِ على رُءُوسِ الأَعْلَامِ .

فَلذَلِكَ رُسمٌ ... لا زالَ لِلدِّينِ الحَنِيفِيِّ ناصِرًا ، ولِلأَعْداءِ قَامِعًا قَاهِرًا ، وَلِلخَلْقِ
مُؤَيِّدًا باطِنًا وِظَاهِرًا - أنْ يَسْتَقِرَّ الجَنابُ العالِي المِشارُ إليه أميرَ نَقَباءِ العِساكِرِ المَنْصُورَةِ
الطَّرابُلسِيَّةِ ، عِوضًا عَمَّنْ كانَ بها ، على عادته وقاعدته : لأنَّهُ الحَبْرُ الذي عُنِدَتْ على
خِبرَتِهِ الخِناصِرُ ، وَوَرِثَ الشَّهامةَ كَإِبرًا عن كَإِبرٍ ؛ وأُضْحِي بِتَدْيِيرِهِ واضِحَ الغُررِ ، شاهِدًا
له به العَيْنُ والبَصَرُ ؛ إنْ جالَ بين صُفُوفِ العِساكِرِ كانَ أَسَدًا ، وإنْ رَتَّبَ جُيُوشَها
أَحْصاها حِليَّةً وَعَدَدًا .

فليباشِرْ هذه الوظيفَةَ محرِّرًا أحوالِ العِساكِرِ المَنْصُورَةِ ، مقررًا لهم في مَنازِلِهِم على
أَكْمَلِ عادَةٍ وأَجْمَلِ صُورَةٍ ؛ بِمُناصِحَةٍ صُمِّغَ بِمِسْكَها ، ومُخالَصَةٍ قامَ مَقامَ واسِطَةِ جَوْهرِ

سَلِكِيهَا ، وَمُلَازِمَةَ خِدْمَةِ تَأَزَّرْتُ بِهَا أَعْطَافُهُ ، وَصَفَاءِ طَوِيَّةٍ شَرُفَتْ بِهَا أَوْصَافُهُ ؛
وَمَحَبَّةِ عَلِيلٍ جَمَعَ فِيهَا بَيْنَ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَإِخْلَاصِ يَمَحْسُنَ بِالْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مُلْتَحِفًا
بِظَلِّهِ : لِكَيْ يُتِمَّ اللَّهُ النَّعْمَ عَلَيْهِ كَمَا أْتَمَّهَا عَلَى أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ؛ وَلِيَقْصِدُ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى
فِي هَذَا الْأَمْرِ ، لَا رِضًا زَيْدٌ وَلَا عَمْرُو ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ فِيمَا تَوَلَّاهُ ، وَالْإِعْتِدَادُ
فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَغْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بنقابة الأشراف بطرابلس بـ «المجلس السامي» بالياء ، وكتب
فيه «القضائي» على خلاف الأصل ، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يرفع لَدَوِي الأوصال الشريفة قَدْرًا ، وَيُنْقَلِمُ إِلَى الرَّتَبِ
السَّيِّئَةِ وَيُعَلِّي لِمَنْ ذَكَرَا ، وَيَسْمَعُهُمْ مِنْ إِحْسَانِهِ بِمَا يَسْرُهُمْ قَلْبًا وَيَشْرَحُ صَدْرًا ؛
وَيُبَاغِيهِمْ مِنَ الْمَأْرَبِ أَوْفَاهَا ، وَمِنْ مَلَابِسِ الْقَبُولِ أَجْمَلَهَا وَأَسْنَاهَا - أَنْ يَسْتَقِرَّ فُلَانٌ
- أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - فِي نِقَابَةِ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ بِالْمَمْلُوكَةِ الطَّرَابُلسِيَّةِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ
عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ : أَسْتَقْرَارًا جَارِيًا فِيهِ عَلَى أَجْمَلِ الْعَادَاتِ ، وَأَعْتَادًا عَلَى مَا عَاهَدَ مِنْ
سَلَفِهِ الشَّرِيفِ الدَّاتِ ؛ وَرِعَايَةً لَهُ فِي تَجْدِيدِ الْمَسَارِ ، وَتَرْجِيحًا لِمَا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ
حُسْنِ الْكِفَايَةِ فِي كُلِّ إِيرَادٍ وَإِصْدَارٍ ؛ وَرِفْعَةً لِيَدِهِ الْبَاسِطَةَ عَلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِ ، وَتَقْوِيَةً
يَجِدُّ أَثْرَهَا فِي مَعْنَاهُ وَحِسَّهُ ؛ رَسْمًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ النَّعْمَ الْجَزِيلَ ، وَوَلَايَةً تُؤَلِّيه
مِنَ الْكَرَمِ سُؤْلَهُ ، وَعِنَايَةً تُصَبِّحُ بِهَا رُبُوعُ أُنْسِهِ مَا هُوَ لَهُ ؛ لِأَنَّهُ أَوْلَى أَنْ يُقَرَّ فِي هَذِهِ
الْوِظِيْفَةِ وَيُزَادَ ، وَأَحَقُّ أَنْ يُرْعَى لِمَا سَبَقَ لَهُ مِنَ السَّدَادِ ، وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يُضَاعَ
حَقُّهُ حَيْثُ لَهُ إِلَى رُكْنِ الشَّرَفِ الْمُنِيفِ اسْتِنَادٌ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ مَبْسُوطًا أَمَلُهُ فِي الْمَزِيدِ ، مَنْوُطًا رَجَاؤُهُ فِي نِعْمَانَا
بِاسْتِنَافٍ وَتَجْدِيدٍ ، مَحْوُطًا مَا بِيَدِهِ مِنْ كَرَمِنَا الْعَدِيدِ ؛ وَهُوَ غَنِيٌّ أَنْ نُثْنِيَّ لَهُ الْوَصَايَا

وُنِعِدَ، مَلِيٌّ بِحَسَنِ السَّجَايَا الَّتِي جُبِلَتْ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالتَّوْفِيقِ وَالتَّسْهِدِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُطَوِّقُ بِمَنِّ جُودِنَا مِنْهُ الْجِدَ، وَيُعِدُّ لِهَ سَحَابٍ رِفْدِنَا الَّتِي تُجْرِيهِ عَلَى مَا أَلْفَ مِنْ فَضْلِهَا الْعَدِيدِ؛ وَالْعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ - أَعْلَاهَا اللَّهُ تَعَالَى - أَعْلَاهُ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ .



وهذه نسخة تَوْفِيعِ بَشَدِّ الشَّوَانِي بِطَرَابِلِسَ، كُتِبَ بِهِ لِعَلَاءِ الدِّينِ «أَيْدِ غَمَشٍ» وَهِيَ:
رُسِمَ ... - لَأَزَالَتْ أَيْامُهُ، قَائِمَةٌ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَعْلَامُهُ، حَامِيَةٌ
عَلَى التَّنْقِاطِ مُهَجِّجَ الْعِدَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا يُقَرِّبُ لَهُمُ الْأَجَلَ - أَنْ يَسْتَقَرَّ فُلَانٌ فِي شَدِّ
الشَّوَانِي الْمَعْمُورَةِ الْمَنْصُورَةِ عَلَى الْعَادَةِ فِي ذَلِكَ، بِهَيْمَتِهِ الْعَلِيَّةِ، وَعَزَمَتِهِ الَّتِي هِيَ بِبَلُوغِ
الْمَقَاصِدِ مَالِيَّةٍ؛ وَشَهَامَتِهِ الَّتِي تُرْهِبُ الْعِدَا، وَشَجَاعَتِهِ الَّتِي تُلَيِّسُهُمْ أَرْدِيَةَ الرَّدَى؛
وَبَسَالَتِهِ الَّتِي تُبَسِّلُهُمْ فِي الْبَحْرِ فَتَنْصِرُهُمْ كَالْأَسْمَاكِ لَا يُسَامُ لَهُمْ صَدَى .
فَلْيَجْتَهِدْ فِي ذَلِكَ جِدَّ الْأَجْتِهَادِ، وَلْيَعْمِدْ فِيهِ السَّدَادَ وَالسَّدَادَ؛ وَلْيُوقِظْ أَجْفَانَ
سَيُوفِهِ مِنَ الْعَمَاضِ، وَلْيُرْهِبْ الْعِدَا بِسِدَّةِ وَطْأَتِهِ الَّتِي لَهَا الثَّبَاتُ فِي الْأَرْضِ؛
وَلْيَلْزِمِ مُوَاطَبَةَ الشَّوَانِي لَيْلاً وَنَهَاراً، وَلْيَكُنْ هُوَ وَمَنْ حَوْلَهُ لِمَنْ بِهَا أَنْصَاراً؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
يُجْزِلُ لَهُ مَبَاراً، وَيَرْفَعُ لَهُ مِقْدَاراً، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .



وهذه نسخة تَوْفِيعِ بَشَدِّ دَارِ الضَّرْبِ، كُتِبَ بِهِ لـ«عَلَاءِ الدِّينِ الدَّوَادَارِ»، وَهِيَ:
رُسِمَ ... - لَأَزَالُ إِحْسَانَهُ يَجُودُ غَمَاماً، وَفَضْلُهُ الشَّامِلُ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ إِمَاماً،
وَسَحَابٌ بِرَّ كَرَمِهِ هَامِيَةٌ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، هَامِلَةٌ عَلَى أَصْفِيَائِهِ، فَتَرَاهُمْ يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً
وَيَنْتَصِبُونَ قِيَاماً - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي شَدِّ دَارِ الضَّرْبِ: إِعَانَةٌ لَهُ عَلَى الْخِدْمَةِ
الشَّرِيفَةِ، وَإِرْفَاداً لَهُ بِمَعْلُومِهَا إِذْ هِيَ لَيْسَتْ لَهُ بِوُظُفِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ قَدراً،

وأحق بكل منزلة عليّة وأخرى ؛ وليكن هذه الجهة هي قانون المعاملة ، وسكّتها
بشعار الملك متصلة وبين الحق والباطل فاصله ؛ ومنها النقوش التي هي رستاق
الأرزاق ، وصدر كل إطلاق وقنطاق ؛ حكيم ما أرسل في حاجة إلا وأذن لها
بالنجاح ، ولا آستؤمن عليه أمرؤ باذن الإمام إلا وحق له [الاتصاف] بالصلاح
والفلاح ؛ هذا وهو في الأصل مذموم ، وطالبه محروم : لأنه مقسوم ، والأجل
محتوم ؛ ولكن تطهيره من الدنس واجب ، والحسبة في عبارته حتى يغدو وبودق
صفائه من الغش ناضب .

فليعتمد المشار إليه في شدّ هذه الجهة حسن التقوى ولا يحظ بعزمه أمورها لتكون
على السداد ، ويعتمد على السيد الناظر فإنه نعم العباد ، ويفوض إليه كشف الرؤاوص
وحك العيار فهو به أدري وأخرى وأدرب بادحاض غش الفساد ، وليتناول معلومه
المقرر له عند الوجوب والاستحقاق ، هنيئاً ميسراً خالصاً من التنازع والشقاق ،
ومثله فلا يدل على [صواب] : إذ تقوى الله تعالى كلمة الفصل وقصل الخطاب ،
والله تعالى يجعلها لنا وله زاداً وحرزاً ، وذخراً يوم المعاد وركزاً .^(١)



وهذه نسخة توقيع بشدّ البحر بمينا طرأ بلس ، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال سيفه قاطعاً من الأعداء تحراً ، وأمره نافذاً براً وبحراً ، وفعله
صالحاً دنياً وأخرى - أن يستقر الجنب المشار إليه في شدّ مينا البحر بطرأ بلس .

فليباشر هذه الوظيفة شارحاً لها صدراً ، فاتحاً لها بحسن مباشرته الجميلة بصراً
وفكراً ؛ باعناً لها في الآفاق بمباشرته ذكراً جميلاً ، باحثاً عما يتعلق بمتحصّل الميناً

(١) يريد ركزة واحدة الركاز المسال المدفون . وذكّر مراعاة للسجع .

المعمورة بكرة وأصيلا؛ مسويا بين الناس فيما رزق الله وفتح، وبعث من فضله
ومنع، بحيث لا يقدم عزيزا ولا يؤخر ذليلا، ولا يرعى في ذلك صديقا
ولا خيلا.

ويقدم خوف الله تعالى على خوف خلقه، وليسو بين الضعيف والقوي فيما
بسط الله من رزقه؛ وأكد ما نوصيه به تقوى الله تعالى فيما هو بصدده، فليجعلها
في أموره الباطنية والظاهرة من عده؛ والله تعالى يقدمه في مباشرته لاقتناء محاسن
المعروف وزبده، ويرزقه من الأجر على ما يعمله من الخير مع تجار هذا البحر بما هو
أكثر من زبده.



توقيع كريم بناية اللاذقية، من إنشاء القاضي تاج الدين بن البارباري، كتب به
لشمس الدين «أبن القاضي، بد«الجناب العالى»، وهو:

الحمد لله الذى زاد «شمس» الأولياء إشراقا، ومنحه فى هذه الدولة الشريفة إرفادا
وإرفاقا، وصان الثغور المحروسة بعزائمه التى سرت قلوبا وأقرت أحداقا، وجددت
لأولياتها من مواهبها عطاء وفاقا.

نحمده على حكمه وفعليه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تمنح
قائلها مزيد فضله؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أيدته الله بملائكته
المقرين، وشدد أزره من أصحابه بالآباء والبنين؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
أئمة الدين، صلاة تمنح قائلها عرف الجنان (والعاقبة للثقلين) وسلم تسليما كثيرا.
وبعد، فإن من شيم هذه الدولة إذا بدأت تعود، وإذا نظرت تجود، وإذا
قدمت وليا لحظته بأعين السعود.

وكان الجنابُ العالی - أدام اللهُ نِعْمَتَهُ - عَيْنَ الْفِلَادَةِ ، وَبَيْتَ السِّيَادَةِ ، وَمَعْدِنَ السَّعَادَةِ ؛ وَأَهْلًا أَنْ يُدَبِّرَ الْأُمُورَ ، وَيَسُدَّ الثُّغُورَ ، وَنِيَابَةَ اللَّادِئِيَّةِ مَجَاوِرَةَ الْبُحُورَ ، وَجَزِيرَةَ الْعُدُوِّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا نَهَارًا فَهِيَ فِي أَمْرِهَا لَهُ قَاعِدَةٌ فِي التُّحُورِ ؛ وَقَدْ رَأَيْنَاهُ أَهْلًا أَنْ يَصُونَ نَحْرَهَا ، وَيَتَقَلَّدَ أَمْرَهَا ؛ وَيَحْفَظَ بَرَّهَا ، وَيُدْفَعُ شَرَّهَا .

فلذلك رُسم بالأمر - أعلى اللهُ تعالى شرفه - أَنْ تُفَوَّضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ اللَّادِئِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَه .

فَلْيَسِرْ إِلَيْهَا سَيْرَ الشَّمْسِ فِي أَجْرَاجِ شَرَفِهَا ، وَلْيُقْبَلْ عَلَيْهَا إِقْبَالَ الدَّرَّةِ عَلَى التَّرَائِبِ بَعْدَ مُفَارَقَةِ صَدَفِهَا ؛ وَأَوَّلُ مَا نَأْمُرُهُ [بِهِ] : إِرْهَابُ الْعُدُوِّ بِالْعِدَّةِ وَالْعِيدِ ، وَإِظْهَارُ الْمَهَابَةِ فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَتَفْقُدُ الْإِيْزَاقِ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ اتِّكَالٍ عَلَى سِوَاهُ كَمَا يَفْعَلُ الْبَطْلُ الصَّنِيدُ ، وَلِيُخْلَعَ عَنْهُ مَلَابِيسُ الْوَشْيِ وَيَلْبَسَ الْحَدِيدَ ، وَلِيَهْجُرَ الْمَضَاجِعَ وَيَتَّخِذَ ظَهْرَ جَوَادِهِ مَسْتَقَرَّهُ الْعَيْدِ ، حَتَّى يَنْتَشِرَ لَهُ صِدْتٌ بَيْنَ أَهْلِ التَّثْلِيثِ كَمَا أَنْتَشَرَ صِدْتُهُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ .

وَأَبْسَطُ بِسَاطِ الْعَدْلِ لِيَطَّاهُ الْمَوَالِي وَالْعَيْدِ ، وَأَحْكَمُ بِالْحَقِّ فَالْحَقُّ مُفِيدٌ وَالبَاطِلُ مُبِيدٌ ، وَمَتَى تَسَامَعَ التُّجَّارُ بَعْدَكَ جَاءُوا بِالْأَصْنَافِ وَالْمَتَجَرِّ الْجَدِيدِ ، وَأَرْكَنَ إِلَى حُكْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ فَإِنَّهُ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، وَأَتَى اللهُ تَجِدَهُ أَمَامَكَ فِيمَا تَرُومُ وَتُرِيدُ ، وَتَمَسَّكَ بِالسَّيْرِ الْحَسَنَةِ يَزِدُكَ اللهُ رِفْعَةً وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالْمَزِيدِ ، وَعَقِبَهَا تَسْتَنْجِزُكَ تَشْرِيفًا شَرِيفًا مَقْرُونًا بِتَقْلِيدِ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا التَّقْلِيدِ ؛ وَاخْطُ الْكَرِيمَ أَعْلَاهُ حِجَّةً بِهِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



تَوْقِيعٌ بِنِيَابَةِ قَلْعَةِ حَصْنِ الْأَكْرَادِ ، كُتِبَ بِهِ لِشِهَابِ الدِّينِ «أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ» ،

وهو :

الحمد لله الذي أطلع في سماء الدين شهابا، وفتح لمن خافه وأتقاه إلى الخيرات
أبوأبا، وحباه من إفضاله وألبسه من حُللِ إنعامه ونعمائه أتوأبا .

نحمدُه على نِعَمِهِ التي أجزل لنا بِمَزِيدِ حَمْدِهَا أَنْعَمًا وَتَوَابًا ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ
وحدَه لا شريكَ له شهادةً نَحْمَدُهَا من النارِ حِجَابًا ، ونَعْتَدُ بِهَا في الآخرةِ مَفَازًا حَدَائِقَ
وأَعْنَابًا ، وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ؛ ونشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الذي شَرَّفَهُ على الأنبياءِ
مَنْصِبًا وَنِصَابًا ، وَسَبَّاهُ بِطَلْعَتِهِ وَطَلَبَتِهِ قُلُوبًا وَأَحْزَابًا ، وَقَرَّبَهُ إِلَى أَنْ كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ
وَأَسْمَعَهُ من لَدِيدِ كَلَامِهِ خِطَابًا ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ : أَكْرَمَ بِهِ وَبِهِمُ
آلًا وَأَصْحَابًا ! ؛ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعدُ، فإنَّ أَوْلَى من أَنْتَدِبَ، لِحِفْظِ المعاملِ الإسلاميَّةِ وَأَنْتَخِبَ، وأُحرى من
لِحَفْظَتِهِ حَيْنَ عِنَايَتِنَا فَكانَ إليها من العَيْنِ أَقْرَبَ، وَأَحَقَّ من اعْتَمَدَ على بَسَائِلِهِ
وإِيالِهِ بما سَبَرَ من الأنامِ والأيامِ وَجَرَّبَ - من عُرِفَ بِشِجَاعَةِ أَيْنَ منها عَمُرُوبِ
مَعْدِي، وَأَمَانَةٍ كَفَّتْ حينَ كَفَّتْ كَفِّ التَّعَدِي، وَعِفَّةٍ جعلها في أحوالِهِ كُلِّهَا نُصَبَ
العَيْنِ، وَسِياسَةٍ ما زالَ يُصْلِحُ بِهَا بينَ ذَوِي المُشاقَّةِ ذاتِ البَيْنِ ؛ وكانَ فِلاَنُ هو
الموصولُ المُقَدَّمُ، المُوصوفُ بِهذهِ الصفاتِ التي سُرَّ السَّاحِلُ بِها فَهَبَّ .

فلذلك رُسمَ بالأمر - لا زالَ يُطْلَعُ في آفاقِ الحُصُونِ المُصَوَّنَةِ شهابًا، ويرفعُ
الأولياءَ بِإِحسانِهِ الذي يُؤكِّدُ لهم في جُودِهِ أسبابًا - أنَ يَسْتَقِرَّ ^(١) نائِبًا بِقِلعةِ
حصنِ الأكرادِ المحروسِ وأعمالها، على عادةِ من تَقَدَّمَهُ ومُسْتَقَرَّ قاعدته .

فليأشُرْ ما وُلِّيناه وأولَّيناه : مُباشرةً تُسْفِرُ عن حُسْنِ فِطْنَتِهِ وذِكاؤِهِ ، وتُضِيءُ
الآفاقَ بِنُورِ شهابِها وَسَنانِهِ ، وتُظهِرُ مَعروفَها المَعروفَ بِعدمِ غيْبَتِهِ وخَفائِهِ ؛ مُعْتَمِدًا

(١) يابض بأصله ومراده الجنب العالی . أو المجلس العالی .

على الله تعالى في إبدائه وإنهائه ، شارحاً لكل قلب ألانه إحسانه بعد غلظته
وجفائه ، مانحاً من بحر جوده وعدله بالدر لا يجفائه ، مكرماً لمن بهذا المعقل : من
أمرائه وأجناده وأغنيائه وفقرائه ، مقيماً لمنار الشرع الشريف الذي لا تستقيم
الأمر إلا باتباعه وإبدائه ؛ وليظهر من شجاعته وبسالته ما لا فائدة في خفائه ،
وليظهر سيفه ، في وجه من أظهر حيفه ، وعدم خوفه ، من سطوة ربه وكرامته .

وأعظم ما نوصيه به التقوى ، فإنه بملازمتها يقوى ، على دفع الشر وفعل الخير
وإسدائه ، والوصايا كثيرة وهو المجرب بالعمل بها لمن يرغب في أسديلائه ، والله
تعالى يحرق بشهاب عدله كل مُتمرد



وأعلم أنه ربما كتب توقيع نائب حصن الأكراد مفتتحاً بـ «أما بعد حمد الله» .
وهذه نسخة توقيع نبابة حصن الأكراد ، كتب به باسم «شهاب الدين الجاكي»
بـ «الجناب العالی» ، وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعل شهاب الدين يتنقل في مطالع سعده ، وجدد
أثواب النعماء لمن قدمت هجرته وظهر خيره فأنجز له الإقبال صادق وعده ؛ وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُبلغ قائلها إنالة قصده ، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله الذي أيده الله بنصر من عنده ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا
من أنصاره وجنده ، صلاة دائمة يبلغ المؤمن بها غاية رُشده ؛ وسلم تسليماً كثيراً - فإن
أولى من شمله إحسان هذه الدولة الشريفة وتوَلَّه مُرادُه ، وأجزل عليه النعم فكان
أحق بها لحسن طويته فأجراه الله على أحسن عادته ، وبلغه غاية القصد ومعين
السعادة - من سلك مسالك الأمانة الثقات ، وأشهرت عنه العفة وحسن الصفات ،
فتعين تقديمه وتقريبه إلى أجل ولايات الفتوحات .

ولما كان فلان - أدام الله عزه، وأنجح قصده - هو المنعوت بصفات السداد، المشهور بالنهضة والشجاعة في هذه البلاد؛ الذي حوى المكارم والإفضال، ووافق خبره خبره في سائر الأحوال .

فلذلك رُسم بالأمر - لزال شهاب فضله ساطعا، ونور إحصانه لامعا - أن يستقر المجلس العالی الشهابي المشار إليه في ولاية الأعمال الحِصْنِيَّة والمناصف عَوْضًا عَمَّنْ بِهَا، على عادته وقاعدته : لأننا وجدناه تَمَسُّ أعيان الأُمائل، وأنقيناه قَلِيلَ النَّظِيرِ والمُضَاهِي والمُتَمَائِلِ؛ وعليه عُقِدَتِ الخَنَاصِرُ، وَأَتَفَقَتِ الآراءُ النَّاقِبَةُ في الباطن والظاهر؛ ولما جَمَعَ من كَرَمِ الشِّيمِ وجميل الخلال، وحاز من النباهة الرفيعة الذرا المديدة الظلال .

فليتوجه إلى محل ولايته، وليظهر ما أمكنه من العدل والإنصاف في ضمائه بحسن سياسته؛ وليُنصِفِ المَظْلُومَ مَن جَارَ عَلَيْهِ وأَعْتَدَى، وَيَتَّبِعْ في ذلك ما يُوَضِّحُ لَهُ من طريق منار الهدى؛ وليبسُطِ المَعْدِلَةَ ويمدِّدْ بَاعَهُ، وليبْدِ الظُّلْمَ وَيَقْصِمِ ذِرَاعَهُ؛ وليصرف همته في عمارة البلاد، وتأمين العباد، وسُؤْلُكِ سُبُلِ الرِّشَادِ؛ وليجتهد في سدِّ الخلال، وإصلاح ما فسد بغيره من الأحوال؛ وليجعل تقوى الله محجته، وأتباع العدل حُجَّتَهُ، وسُؤْلُكِ الحَقِّ عُدَّتَهُ؛ فقد جاءت التقوى في التنزيل مؤكده، ووردت في كثير من السور مررده؛ والله تعالى يُعِينُهُ على ما وَّلاهُ، ويحرِّسُهُ ويتولاه، بعد الخط الكريم أعلاه .



وهذه نسخة توقيع بناية قلعة المرقب والولاية بها، كتب به اصلاح الدين «خليل»، بـ «بالجناب العالی»، وهي :

الحمد لله الذى جعل هذه الدولة الشريفة مقرونة بالتأييد والنجاح ، ووفق أوليائها
إلى سؤلك سبيل السعادة وشيئها بالصلاح ، وخوّلهم فى أيامها المراتب العلية ليبتهلوا
بأدعيتهم وبدوامها فى المساء والصبح .

نحمده على نعيمه التى لا يبرح مخلصها فى أزيدايد وأرتياح ، ونشكره على آلائه شكراً
نستحق به المزيد كما أوضح فى القرآن أكل إيصاح ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة معلنة بالفلاح ، وأن محمداً عبده ورسوله الذى أنزل عليه فى محكم
كتابه العزيز : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغر الكرام الأشباح ، ما ترنم طائر على غصن وحيل
الداعى إلى الفلاح ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من عُدقت به نيابة أجل المعاقيل والثغور وفوّضت إليه ، وعوّل
فى حفظها ومباشرتها الحسنة الجميلة عليه - من عُدقت على حزمه الخناصر ، وورث
الشجاعة والشهامة كإبراً عن كإبر ، وهو الذى تمأ فرعاً وزكاً [أصلاً] ، وفاقى فى المكارم
على نظرائه قولاً وفعلًا ، فاضحى وإفر الثناء واضح الغرر ، شاهدها له به العين والبصر .
ولما كان فلان هو المنعوت بهذه الصفات ، والموصوف فى مواقع الحروب
بما لديه من الثبات والثبات ، المشكورة خدمته ، شاماً ومضراً ، المشهورة بين الهمم
همته ، براً وبحراً .

فذلك رمم ... - لازالت مراسيمه الشريفة مبنوثة بالعدل والإحسان ، ومعدلته
تستدعى بدوام دولته الشريفة لسان كل إنسان - أن تفوض إليه نيابة قلعة
المرقب المحروس ، والولاية بالأعمال الشريفة ، وما هو منسوب إليها ، على العادة
فى ذلك ومستقر القاعدة : إذ هو أحق بها وأهلها ، وأكمل [من] يجمع شتات شملها .

فليباشر ما نُدب إليه من هذه الجهات مباشرة تقصُر الأفكار عن تَوْهَمِها ،
والأبصار عن تَوْسَمِها ؛ والحواطر عن تَحْيَلِ مَبْنَاهَا ، و [الأذهان] عن تَمَثُّلِ صُورَتِها
ومعناها ؛ وليكن لمصالحها مُتَمَمِّحًا ، ولأحوالِ رجالها مُتَصَفِّحًا ، ولأقدارِ جهاتها مُرَبِّحًا ،
ولحواطرِ إبداءِ أحوالها على السداد مُرَبِّحًا ؛ ولوظائفِها مُقِيًا ، وللنظر في الكبير والصغير
من مصالحها مُدِيمًا ؛ ولحُرْمَتِها مُضَاعِفًا ، وعلى كَلِّ ما يتعين الاحتفالُ به من مُهمَّاتِها
واقفا ؛ ويُعدِّدُ للعدوِّ المخدولِ عند تحركه العزمَ الشديد ، ويهجر لبسَ الوشي ويتألف
لبسَ الحديد ، ويتخذ ظَهْرَ جِوَادِهِ مُسْتَقْرَه العتيد ؛ ويشمرُّ للجهادِ ذِيلاً ، ومعاذَ الله
أن يميلَ عنه ميلاً ؛ ويسيطرُ العدلَ للرعيِّه ، ويُعاملُهم المعاملةَ المرصِيه ، ويُحسِنُ
إلى الأمراءِ البحريِّه ، ويلاحظُ مصالحَهم في كلِّ قَضِيه ؛ ويتفقدُ الرجالَ ، وأربابَ
الأدراكِ والشَّوَانِي ويُحذِّرُهم من الإهمالِ ، ويأمرُهم باليقظةِ والاحترازِ في اللَّيْلِ
والنهارِ وسائرِ الأحوالِ ؛ ويعملُ ما يحتاج إليه من آلاتِ الجهادِ وليكن على حدِّر
مما يتجددُ كلَّ يومٍ ، ويُوقعُ الرهبةَ في قلوبِ الأعداءِ بِحَيْلِهِ في اليقظةِ وخباليه في النومِ ؛
ويتفقدُ الموانئَ في سائرِ الأوقاتِ في اللَّيْلِ والنهارِ ، ويُحذِّرُ أمراءَ الأيْزَاقِ من الغفلةِ
فإنَّ الغافلَ لا يزالُ على شفا جُرفِ هار .

وليتق الله في أقواله وأفعاله . والوصايا كثيرةٌ وهو أدربُ بها وأدرى ، وأبوابُ
الخيراتِ واسعةٌ وهو إليها أسرعُ وأجربُ ؛ وليشكر الله تعالى على ما ولَّاه ، والاعتمادُ
على الخطِ الكريمِ أعلاه .



وهذه نسخةٌ تُوَقِّعُ بِبَيَابَةِ حِصْنِ عَكَار ، كُتِبَ بِهِ لـ «ناصر الدين الكردي» ،

بـ «الجناب العالی» ، وهي :

الحمد لله الذى نصر هذا الدين الحنيفى بسيد البشر، وخص هذه الدولة الشريفة بالتأييد والظفر، ووفى الأولياء بجودها الذى لم يزل من ذمة الوفاء يُنظر .

نحمده على منته الذى طالما بدا فى جبهات الأولياء بشره وظهره، ونشكره على جوده الذى أغنى عن التحجيل والغرر، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُحصى قائلها يوم الفزع الأكبر، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أقام الله بسيفه الإيمان فأشتهر، وكف به يد الطغيان وزجر، صلى الله عليه وعلى آله ما أتصلت عين بنظر وأذن بخبر، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من رُعيته له خدَمٌ عديده، وعُرِفَتْ له فى أجل الثغور مباشراتٌ سعيده، وأشتهرت شهامته وكفايته فى الآفاق، وظهرت أمانته ظهور الشمس فى الإشراق، وتقدم بذلك على نظرائه وفاق .

ولما كان الجنب العالى هو المنعوت بهذه الصفات الجميلة، والمحتوى على هذه المزايا الجليلة، الذى شاعت شجاعته مع طهارة يد، ولا عجب فإن هذا السبل من ذاك الأسد!، وسارت الرُجبان فى الممالك بنهضتهما فى المباشرات، وسدَّ الخلل فى المهمات المُعضلات .

فلذلك رُسم ... - لازلنا أيامه مبنوثة بالعوارف والإحسان، ومعدته تستدعى بدوام دولته الشريفة لسان كل إنسان - أن تفوض إليه نيابة قلعة حصن عكار المحروس، على عادة من تقدمه وقاعدته، بالمرتب الشاهد به الديوان المعمور .

فليقدم خيرة الله تعالى ويتوجه إليها، ويصرف وجه الإقبال عليها، وينظر فى عمارتها ومصالحها، ويستدرك ما استهدم من بيوت حواصليها، ليصبح وجه هذا الثغر

(١) لعل الصواب «فإن أولى الأولياء بالمنصب من رعيته» الخ ليستقيم الكلام .

بِحُلُولِهِ بِهِ بِاسْمَا، وَيُنْشَرُّ لَهُ مِنْ حُسْنِ تَدْيِيرِهِ وَجَمِيلِ تَأْيِيرِهِ عَالِمًا، وَيُحَسِّنُ إِلَى الْأَمْرَاءِ
الْبَحْرِيَّةِ، وَيُتْرَكُ لَهُمْ مَنَازِلُهُمْ عَلَى الْعَادَاتِ الْمَرْضِيَّةِ، وَيُعَدَّلُ فِي الرَّعِيَّةِ، وَيُنْصَفُ
الْمُظْلَمَ مِنَ الظَّالِمِ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ، وَيُلْزِمُ أَرْبَابَ الْوُظَائِفِ مِنَ الْمُقَدِّمِينَ وَالرَّجَالَةَ
بِالْخِدْمَةِ بِالنُّوبَةِ عَلَى الْعَادَةِ، وَيُوصَلُ إِلَيْهِمْ مَعْلُومَهُمْ مِنْ جِهَاتِهِمُ الْمَعْتَادَةَ، وَيَتَّبِعُ
الْحَقَّ الْمُخَصَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ، لَا يَفْتَدِي بِرَأْيِ زَيْدٍ وَلَا عَمْرٍو، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ مُطَالِبٌ بِالْعَدْلِ
فِي وظيفته، فَإِنَّ كُلَّ رَاجِعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمُعْظَمُهَا تَقْوَى اللَّهِ
فِي سَائِرِ الْأُمُورِ: فَلْيَتَمَسَّكْ بِهَا يَقْوَى، فَإِنَّهَا السَّبَبُ الْأَقْوَى، وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوْلَاهُ فِي السِّرِّ
وَالنَّجْوَى، بَعْدَ الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ.



وهذه نسخة توقيع بديابة بلاطنس بـ«الجناب العالي»، وهي:

الحمد لله الذي أسبغ نعمه على أوليائه، وأجرل كرمه على أصفيائه، ونشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُنجي قائلها من وبيل العذاب، وتُجدد له
أسباب السعادة في الدنيا ويوم الحساب، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث
بالنور المبين، المخصوص بالدين المتين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأهله
وأصفيائه وأترابه.

وبعد، فإن القلاع المنصورة مما يتعين الاحتفال بأمرها، والأهتمام بحفظ
رجالها في سرها وجهرها، ومن أجل قلاع الساحل المحروس، وأجمل مساكن البحر
المانوس، قلعة بلاطنس.

فلذلك رسم... لا زالت صدقاته تشمل كل أوحد، وتجبر كل ولي أمجد - أن
يستقر... إذ هو الخير، الذي ليس لمعرفته نظير، والضابط الذي يحقق على

الجليل والحقير، والتقىير والقطمير، والشجاع الذى هو فى يوم النضال على أخذ العدو
لقدير، والضّرغام الذى أعطاه الله القوة والمعرفة التامة فهو بهما جدير .
فليسر إلى الثغر المحروس، ويعتمد فى أموره ما هو فيه من الخبرة مغروس .



وهذه نسخة توقع بتقدمة العسكر مجبلة ، كُتب به لـ «صلاح الدين الحافظى» ،
بـ «الجناب العالى» ، وهى :

الحمد لله الذى جعل هذه الدولة الشريفة تتقل كل ولي إلى درجات سعده ،
وتؤكد أسباب الارتقاء لمن حمدت ما أثره وحسنت سيرته فى اليوم والذى من بعده ،
وتجدد أثواب النماء لمن ظهر خيره وخبرته فأنجز له الإقبال صادق وعده .

نحمده على نعمه التى أجزلت لمستحقها مواهب رفده ، ونشكره على مننه التى
خصت كل كاف بتأثيل مجده ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
يلغ بها قائلها غاية قصده ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أيدته الله تعالى
بنصير من عنده ، وآمنه على وحي الرسالة فنصح الأمة غاية جهده ، صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه الذين كانوا من أنصاره وجنده ، صلاة دائمة باقية يبلغ بها المؤمن
غاية رشده ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن الجناب العالى لما تقدمت له مباشرات ، فى أجل الولايات وأحسن
النيابات ، وهو يسير فى كل منها أجمل سير ، ويحسن إلى رعيته فلا غرو أن يذكره
بكل خير ، كم قام بمهمات من غير عسف أهل البلاد ، وكم أعان الديوان المعمور
من غير ضرر للعباد ، وكم ميز أموالا فكانت أيام مباشراته أعياد ، وكم له من خدم
سار بها الركاب وبلغ بها المراد ، وكم أثنى عليه لسان القلم حتى تغد المداد ،

وَكَمْ وُصِفَتْ هِمَمُهُ وَحُسْنُ تَأْتِيهِ فِي كُلِّ تَوْقِيعٍ وَتَقْلِيدٍ عَلَى أَنَّ الْكَاتِبَ مَا زَاغَ عَنِ الْحَقِّ وَلَا مَالَ عَنِ الصَّدَقِ فِيهَا وَلَا حَادَ .

فَاقْتَضَى تَجَمُّدُ رَأْيِنَا الَّذِي مَا بَرِحَ بَعُونَ اللَّهُ يُصِيبُ ، وَجَمِيلُ فِكْرِنَا الَّذِي مَا دَعَوْنَاهُ لِأَمْرِ إِلَّا وَبِالْإِصَابَةِ بِحَمْدِ اللَّهِ يُجِيبُ ، أَنْ نُعَيِّنَ لَهُ وَظِيفَةً تُرِيحُهُ فِيهَا مِنَ التَّعَبِ ، وَنُوقِرُهُ مِنْ تَبَعَاتِ الطَّلَبِ ؛ وَكَانَ مَنْ فِي تَقْدِمَةِ الْعَسْكَرِ بِجَبَلَةٍ يَعْتَرِيهِ أَلَمٌ يَعُوقُهُ عَنِ الرُّكُوبِ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ وَالزُّوْلِ ، سِيَّيَا فِي هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي فِيهِ يَتَحَرَّكُ الْعَدُوُّ الْمَخْدُولُ .

فَلذَلِكَ رَسَمَ ... - لَا زَالَتْ أَيَّامُهُ الشَّرِيفَةُ تُبَسِّرُ أَسْبَابَ النَّجَاحِ ، وَعَوَارِفُهُ تُطَوِّئُ لَهَا أَرْضَ الْبُعْدِ عَنْ أَوْلِيَاءِهَا كَمَا تُطَوِّئُ لِذِي الصَّلَاحِ - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْجَنَابُ فِي تَقْدِمَةِ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ بِجَبَلَةٍ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقْدِمِهِ وَقَاعِدَتِهِ .

فَلْيَبْشُرْهَا بِمَبَاشَرَةٍ تَلِيْقُ بِسَجَاعَتِهِ ، وَتُعْهَدُ مِنْ حُسْنِ سِيَاسَتِهِ ، وَلِيُكْرِمَ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ ، وَلِيُرَدِّعَ مَنْ يَجِدُّ عَنِ الْحَقِّ أَوْ يَحِيفُ ؛ وَلِيَجْمَعَ الْأُمَرَاءَ الْمَقْدَمِينَ وَالْحَلِيقَةَ الْمَنْصُورَةَ عَلَى الرُّكُوبِ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَلِيَشْكُرَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى الْمُطِيفَةَ ؛ وَلِيَتَّقِظَ لِرَدِّعِ الْعَدُوِّ الْمَخْدُولِ ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّهَا أَسْتَرَعَيْنَاهُ أَمْرَ ذَلِكَ وَكُلَّ رَاجِعٍ مَسْئُولٍ ؛ وَلِيَتَحَقَّقَ أَنَّ الْعَدُوَّ الْمَخْدُولَ طَالِبٌ لِلْمُهَالِكِينَ مِنْهُمْ بِالنَّارِ ، وَهُمْ قَاصِدُونَ جَبَلَةَ فَتَكُنْ عِنْدَهُ يَقْظَةً وَأَسْتَبْصَارَ ؛ وَلِيَرْتَبِ الْأَيْزَاكَ وَلِيُعَمِّرِ الْمَوَانِي بِالرِّجَالِ ، وَيَتَفَقَّهْهُمْ فِي اللَّيْلِ أَكْثَرَ مِنَ النَّهَارِ ؛ وَلِيَهْجِرِ النَّوْمَ فِي طَلَبِ الطَّفَرِ وَالْمُنَى فَمَنْ سَهَرَ لِذَلِكَ مَا خَابَ ، وَلَا يَأْمُنُ مَكِيدَتَهُمْ وَيَغْتَرُّ بِهِمْ فَيَقُولُ : قَدْ ضُرِبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا بُسُورٌ لَهُ بَابٌ ؛ وَبَاقِي الْوَصَايَا فَهِيَ بِهَا أَعْلَمُ ، وَلَمْ يَبْرَحْ مُتَلَفَعًا بِشَوْبِهَا الْمُعْلَمَ ؛ وَمِمَّا كُنْهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا يَأْتَمُّ ، وَمَنْ تَرَكَهَا يَنْدَمُ ، وَمَنْ لَزِمَهَا فَهِيَ فِي الدَّارِينَ مُقَدَّمٌ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ ، وَالْإِعْتَادَ عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ رَجِمًا أَفْتَحُ تَوْقِيعُ مَقْدَمِ الْعَسْكَرِ بِجَبَلَةَ بِ«أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ» .
تَوْقِيعٌ بِتَقْدِيمَةِ الْعَسْكَرِ بِجَبَلَةَ ، مِمَّا كُتِبَ بِهِ لِحَسَامِ الدِّينِ الْعَلَاثِيِّ بِ«بِالْحَنَابِ
 الْعَالِي» وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي تُجْزِلُ لِكُلِّ وَدِيٍّ مِنْ مَوَادِّ فَضْلِهَا إِنْعَامًا ، وَتَمْنَحُ
 مِنْ عَوَارِفِهَا أَفْسَامًا ، وَتُبَلِّغُ مِنَ النُّجُجِ لِدَوَى الْأَسْتَحْقَاقِ آمَالًا وَتَجْعَلُ فِي نُحُورِ
 الْبَاغِينَ حُسَامًا ، وَالثَّمَادَةَ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ لِلْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ لِرِزَامًا ، وَتَرْفَعُ لَهُمْ
 فِي الْجَنَّاتِ مَقَامًا ، وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي مَحَا اللَّهُ بِنُبُوَّتِهِ عَنِ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ
 آثَامًا ، وَشَرَّفَهُ عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ وَجَعَلَهُ لِلْأَنْبِيَاءِ خِتَامًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 الَّذِينَ ظَفَرُوهُ وَبَايَعُوهُ دُهُورًا وَأَعْوَامًا ، صَلَاةً دَائِمَةً تَزِيدُ مُرَدِّدَهَا عِزًّا وَإِكْرَامًا -
 فَإِنَّ الْأَهْتَامَ بِكُلِّ جِهَةٍ هُوَ عَلَى قَدْرِهَا ، وَالْعِنَايَةَ بِقَطْرِهَا .

وَمَا كَانَتْ مَدِينَةُ جَبَلَةَ الْمَحْرُوسَةِ مَخْصُوصَةً بِمَقَامِ بَرِّ^(١) السَّنَدِ ، الرَّاهِدِ الَّذِي
 تَرَكَ الدُّنْيَا وَالْأَهْلَ وَالْوَالِدَ ، وَالْوَالِيَّ الْمُبَرِّزَ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ ، وَالْمَتَوَكِّلَ الَّذِي لَمْ يَدْنَحْ
 قُوَّتَ سَاعَةٍ لِسَاعَةٍ أَعْتَادًا عَلَى الرَّازِقِ - تَعَيَّنَ النَّظْرُ فِي أَمْرِهَا وَحِفْظِهَا مِنَ الْعَدُوِّ
 الْمَخْذُولِ ، وَإِنْ كَانَ بِهَذَا السَّيِّدِ السَّنَدِ قَد تَبَيَّنَ حِفْظُهَا ، وَكَانَ فَلَانٌ مِمَّنْ بَاشَرَهَا
 فَأَحْسَنَ فِيهَا الْمُبَاشَرَةَ ، وَكَلَّأَ حِفْظَهَا بِبِقَظَّتِهِ وَعَيْنِهِ السَّاهِرَةَ - أَقْتَضَى رَأْيُنَا أَنْ نُعِيدَهُ
 إِلَيْهَا ، وَنُسَبِّغَ ظِلَّهُ عَلَيْهَا .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ حُسَامُهُ قَاطِعًا مِنَ الْأَعْدَاءِ نَحْرًا ، وَفِعْلُهُ صَالِحًا دُنْيَا
 وَأُخْرَى - أَنْ يُعَادَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ إِلَى تَقْدِيمَةِ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ بِجَبَلَةَ الْمَحْرُوسَةِ ، عَوْضًا
 عَمَّنْ بِهَا ، وَعَلَى عَادَتِهِ وَقَاعَدَتِهِ .

(١) بياض بالأصول ولعله بركات السيد السندي .

فليعد إليها عود الحسام إلى غمده ، والماء إلى منهل ورده ؛ وليقدم خيرة الله في المسير إليها ، وليبسط العدل ليأمن أهلها بقدمه عليها ؛ وليكرم من بها من العسكر المنصور ، ويحسن إلى الرعية بها ليصبح خير مشكور ؛ ولينصف المظلوم ممن ظلمه ، وينشر للشرع الشريف علمه ؛ وليخلص الحق من القوى والضعيف ، والدني والشريف ؛ وليلزم من بهذا الثغر بعمل الزك المعتاد ، واليقظ لأمر العدو المخذول ومضاعفة الاجتهاد ، وليلازم تقوى الله تعالى في الأقوال والأفعال ، والله تعالى يمنعه من فضله ما يرجو من الآمال .



وهذه نسخ توابع لأرباب الوظائف الدينية بطرابلس .

توقيع بنظر الحسبة بطرابلس ، كتب به للقاضي « ناصر الدين بن شبيصة » وهو : الحمد لله مبشر الصابرين ، وموصل الأرزاق على يد أصفياه من العالمين ، ومعيد كل ولي إلى منصبه ولو بعد حين .

نحمده على فضله المبين ، ونشكره على أن جعلنا من عباده المؤمنين ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ندرها ليوم الدين ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين ، الذي أرسله بواضح الحجج ومحكم البراهين ، وأنزل عليه كتابا عربيا مبين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الغر المحجلين ، صلاة مستمرة على ممر الأيام والشهور والسنين ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من غزرتنا مواد رفده ، وأجزلتنا له حطوط سعده ، وبلغناه من إقبالنا غاية قصده ، وحمدنا تصرفه من قبل عند مارسم لما جدد [من] بعده ؛ وأعدناه إلى رتبة ألفت منه حسن السياسة والتدبير ، وعرف فيها بالكفاية والصيانة

وَيَمُنُّ النَّائِرُ - مَنْ لَهُ وَسَلْفُهُ فِي الْمَبَاشِرَاتِ الْجَلِيلَةِ يَدُ طَوْلَى ، فَكَانَ بوظيفته
أَحَقُّ وَأَوْلَى .

ولما كان المجلسُ العالى هو الْمُتَّصِفُ بصفات الكمال ، المشكور في سائر الأحوال ؛
فلذلك رُسم بالأمر - أنفذه الله في الآفاق ، وأجراه بِصَلَةِ الأرزاق - أن يُعادَ فلانٌ
- أدام الله نِعْمته - إلى نَظَرِ الحِسْبَةِ الشريفة بالمملكة الطَّرَابُلسِيَّةِ على عادته وقاعدته ،
مُضَافاً إلى ما بيده من بَيْتِ المال المَعْمُورِ : لأنَّه الفاضلُ الذى لا يُجارَى ، والعالمُ
بأحوال الرِّعِيَّةِ فلا يُناظرُ في ذلك ولا يُمارَى ؛ والفيلسوفُ الذى يُظهِرُ زَيْفَ كُلِّ
مُرِيْبٍ ، والنَّحْرِيُّ الذى يَجْبِرُته يَسِيرُ كُلِّ حَبِيبٍ وَلَيْبٍ .

فليَنظُرْ في الدَّقِيقِ والجَلِيلِ ، والكَثِيرِ والقَلِيلِ ؛ وما يُحْصَرُ بالمقادير وما لا يُحْصَرُ ،
وما يُؤَمَّرُ فيه بِمَعْرُوفٍ أو يُنْهَى عن مُنْكَرٍ ؛ وما يُسْتَرَى وَيُبَاعُ ، وما يُقَرَّبُ بِتَحْرِيهِ إلى
الجَنَّةِ وَيُبْعَدُ عن النار ولو لم يَكُنْ قَد بَقِيَ بينه وبينها إلا قَدْرُ باعٍ أو ذِرَاعٍ ؛ وكُلِّ
ما يُعْمَلُ من المَعَايِشِ في نَهَارٍ أو لَيْلٍ ، وما لا يُعْرَفُ قَدْرُهُ إلا إذا نطق لِسَانُ المِيزانِ
أو تَكَلَّمَ فَمُ الكَيْلِ ؛ ولِيعْمَلُ لَدَيْهِ مُعَدَّلاً لِكُلِّ عَمَلٍ ، وعِياراً إذا عُرِضَتْ عليه المَعاييرُ
يَعْرِفُ من جَارٍ ومن عَدَلٍ ، ولِيتَفَقَّدَ أَكْثَرَ هذه الأسبابِ ، ويُحذَّرُ من الغِشِّ : فإنَّ الدَّاءَ
أَكْثَرُهُ من الطَّعامِ والشَّرَابِ ؛ ولِيتَعَرَّفَ الأَسْعارَ ، ولِيسْتَعْلِمَ الأَخْبَارَ من كُلِّ سُوقٍ
من غيرِ إعلَامٍ لأَهْلِهِ ولا إِشْعارٍ ؛ ولِيقِيمَ عليهم من الأَمْنِيَّةِ من يَتُوبُ عنه في النَّظَرِ ،
ويَطْمَئِنُّ به إن غاب أو حَضَرَ ؛ ودارَ التَّقْوَدِ والضَّرْبِ التى منها تَبَثُّ ، وقد يكونُ
فيها من الزَّيْفِ ما لا يَظْهَرُ إلا بعدَ طَوْلِ اللَّبْثِ ؛ فَلْيَتَصَدَّقْ لِمَهْمَّها بِصَدْرِهِ الذى لا يَخْرُجُ ،
ولِيعْرِضَ منها على المَحَكِّ [من رأيه] ما لا يجوزُ عليه بَهْرَجٌ ، وما يعلقُ من الذهبِ
المَكْسُورِ ويروِصُ من الفِضَّةِ ويخرِجُ ؛ ولِيقِيمَ الضَّمَانَ على العَطَّارينِ والطَّرِيقَةِ

في بيع غرائب العقاقير إلا ممن لا يُستتراب فيه وهو معروف ، وبحظّ طبيبٍ ماهيرٍ
لمريضٍ مُعيّنٍ في دواءٍ موصوفٍ ، والطَّرِيقَةَ وأهلِ النّجامةِ وسائرِ الطوائفِ المنسوبةِ
إلى ساسانٍ ، ومن يأخذُ أموالَ الرّجالِ بالحيلةِ ويأكلُهم باللسانِ ، وكلّ إنسانٍ سوءٍ
من هذا القبيل هو في الحقيقة شيطانٌ لا إنسانٌ ، فامنعهم كلّ المنع ، وأصدعهم مثل
الرّجاجِ حتّى لا ينجبر لهم صدع ، وصبّ عليهم النّكالَ وإلا فما تُجدي في تأديبهم
ذاتُ التّأديبِ والصّفْعِ ، ومن وجدته قد غشّ مسلماً ، أو أكل باطلٍ ذرهما ،
أو أخبر مُشترَباً بزائدٍ ، أو خرج عن معهودِ العوائدِ ، أشهره بالبلدِ ، وأركبْ تلكَ
الآلةَ ففاه حتّى يضعف منه الجسدُ ، وغير هؤلاءِ [من فقهاء المكاتب ، وعالماتِ
النساء وغيرهما من الأنواع ^(١)] ممن يُخاف من ذمّه العاثر في سربِ الطباءِ والحدّادِ ،
ومن يُقيدُ على ذلك أو مثله وما يُحاذرُ ، أرشقهم بسهامك ، وزلزل أقدامهم
بإفدامك ، ولا تدع منهم إلا من أخترت أمانته ، واختبرت صيانتته ، والنّوابِ
لا ترض منهم إلا من يُحسن نفاذاً ، ويُحسب لك أجر استنابته إذا قيل لك : مَنْ
استنبت ؟ فقلت : هذا ، وتقوى الله هي نعم المسالك ، وما لك في كلّ ما ذكرناه
بل أكثره إلا إذا عملت فيه بمدّهيب مالِك ، والله تعالى يُسدّدك ويُرشدك ويوفّقك
إلى أحسن المسالك .



توقيع بالخطابة والإمامة بالجامع المنصوري بطرابلس ، كُتِب به للخطيب
« جمال الدين إبراهيم » ، بـ « المجلس السامى » بغيريا ، وهو :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال عودُ منائر الإسلام بماءِ إحسانه رطيباً ، ووردُ
شعائر الدين الحنيفيّ في أيامه الزاهرة قشيباً ، ومواجهه ومناقبه تُقيم لمادحه في كلّ

(١) الزيادة من « التعريف صفحة ١٢٦ » وهي لازمة لاستقامة الكلام .

وَأِدِّ شَاعِرًا وَلِحَامِيهِ فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيْبًا - أَنْ يُرْتَبَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ، الْإِمَامُ، الْعَامِلُ :
 - رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى السَّلْفَ، وَزَادَ مَجْدَ الْخَلْفِ - خَطِيْبًا وَإِمَامًا بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْمَعْمُورِ
 الْمَنْصُورِيِّ بِطَرَابُلُسِ الْمَحْرُوسَةِ، عِيُوضًا عَنْ فُلَانٍ، وَعَلَى عَادَتِهِ وَقَاعِدَتِهِ، وَبِمَعْلُومِهِ
 الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيْوَانِ الْمَعْمُورِ الْمَسْتَقَرِّ بِاسْمِهِ، إِلَى آخِرِ وَقْتٍ : رِعَايَةَ لِأَهْلِيَّتِهِ الْوَاصِحَةِ
 الدَّلَائِلِ، وَفِضِيلَتِهِ النَّاطِقَةِ الشُّوَاهِدِ الصَّادِقَةِ الْمُخَالِلِ، وَأَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي بِهَا تُعْرَفُ
 مِنْ أَبِيهِ الشَّمَائِلُ ؛ وَلِأَنَّهُ الصَّدْرُ ابْنُ الصَّدْرِ النَّجِيبِ، وَالخَطِيبُ الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ
 الْخَطِيبِ ؛ وَالْوَلَدُ النَّجِيبُ الَّذِي حَدَا حَدَّوْ وَالِدِهِ فِي الصَّلَاحِ مَا خَابَ وَلَا يَجِيبُ،
 وَالنَّجْلُ النَّبِيَّةُ الْمُهَدَّبُ الَّذِي أَشْبَهَ أَبَاهُ فِي الدَّيْرِ وَالْوَرَعِ : وَمَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ
 فِي النَّبَاهَةِ وَالتَّهْدِيدِ .

فَلْيَبْشِرْ هَذِهِ الْخَطَابَةَ وَالْإِمَامَةَ الَّتِي هُوَ ابْنُ جَلَالِهَا، وَطَّلَاعُ ثَنَائِهَا ؛ زَائِنًا جِلَالِهَا،
 زَائِدًا عَلَاهَا ؛ وَلِيَرَقْ ذِرْوَةَ هَذَا الْمَنْصِبِ الَّذِي هُوَ أَعْلَى الْمَنَاصِبِ الدِّيْنِيَّةِ، وَلِيَتَّقِ
 نِعْمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالشُّكْرِ الَّذِي يُوجِبُ الْمَزِيدَ وَيُكْسِبُ الْمَزِيَّةَ ؛ وَلِيَقْمُ مَقَامَ وَالِدِهِ
 فِي هَذِهِ الرَّتْبَةِ السَّنِيَّةِ، بِإِخْلَاصِ الْعَمَلِ وَصِدْقِ النَّيِّ ؛ مُجَلِّبًا فِي مِضْمَارِ الْبَيَانِ الَّذِي
 سَلَّمَتْ إِلَيْهِ أَعْتَهُ، وَأُلْقِيَتْ إِلَيْهِ أَرْزَمَتْهُ ؛ مُجَلِّبًا بِقَلَائِدِ الْمَوَاعِظِ وَفَرَائِدِ الْأَمْثَالِ أَعْوَادَ
 الْمُنِيرِ الَّذِي لَوْ أَمَكَّنَهُ لَسَعَى إِلَيْهِ، مُسْتَنَفًّا الْأَسْمَاعَ بِجَوَاهِرِ الْأَوَامِرِ وَزَوَاهِرِ الزُّوَاهِرِ
 الَّتِي يَصْدَعُ بِهَا عَلَيْهِ .

وَلْيَسِرْ كَسِيرَةَ وَالِدِهِ فِي الطَّرِيقَةِ الْمُثَلِّ وَسَلُوكِ الْمَنْهَجِ الْأَسَدِ، وَلِيَجْتَهِدْ فِي إِحْيَاءِ
 رُسُومِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَأَقْتِنَاءِ آثَارِهِ فِي الْعِلْمِ وَالزَّهَادَةِ حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ : هَذَا الشَّبْلُ
 مِنْ ذَاكَ الْأَسَدِ ؛ جَارِيًا عَلَى أَفْضَلِ الْعَوَائِدِ فِي دِيَابَتِهِ، سَارِيًا بِأَجْمَلِ الْقَوَاعِدِ مِنْ
 صِيَابَتِهِ ؛ وَلِيُوصَلَ إِلَيْهِ مَعْلُومُهُ الشَّاهِدُ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ الْمَسْتَقَرُّ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ، عَلَى
 عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ : لِاسْتِقْبَالِ مُبَاشَرَتِهِ أَحْيَانًا الْوُجُوبِ وَأَزْمَانِ الْأَسْتِحْقَاقِ،

رِزْقًا دَارًا ، سَارًا ، هَيَّيَا ، مَرَضِيًّا ، من غير تَغْيِيسٍ ، ولا تَقْيِيسٍ ، والاعتماد على
العلامة الكريمة أعلاه ، وثبوته إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تَوْقِيعِ بِحَطَابَةِ ، كُتِبَ بِهِ لِلشَّيْخِ «صَدْرِ الدِّينِ الخَابُورِيِّ» ، بـ «المجلس
السامى» ، بالياء ، وهى :

رُسم ... - لا زالت أيامه الشريفة تَضَعُ الأَشْيَاءَ فى محلِّها ، وتُفَوِّضُ المَنَاصِبَ
المُنِيفَةَ إلى أهلِها ، وتُشَرِّفُ صُدُورَ المحافلِ بصَدْرِ العلماءِ فى حَزْنِها وسَهْلِها - أن تُفَوِّضَ
إلى فلانِ الخَطَابَةَ بالجامعِ الناصرى المعروف "بجامع التوبة" بطرابلس المحروسية
وَجُوبًا وتَعِينًا ، أقتضى فى تَقَدُّمِ الفاضلِ على المَفْضُولِ تَيْقِنًا وتَبَيَّنًا ، لأنَّه الخَبْرُ الذى
لا يُجَارَى فى فضائله ، والبَحْرُ الذى يُجُودُ فى جُودِهِ بِفَوَاضِلِهِ ، والصَّدْرُ الذى مُلِئَتْ
بِقَوَائِدِهِ وقَرَائِدِهِ بِزَمَانِهِ محافلِ صُدُورِهِ وُصُدُورِ محافلِهِ ، كَمَ نَطَقَتْ ألسُنُ الأَقلامِ
بأفواهِ المحابرِ بِفَضْلِهِ فى الأقاليمِ والآفاقِ ، وكَمَ من عِبَارَةٍ بِفَصَاحَةٍ وبِلَاغَةٍ حَقَّقَتْ أَنَّهُ
بِهَا فَاتَ الفُصْحَاءَ والبُلغَاءَ وفاقَ ، لقد أصبحَ شَمْلُ هذا الجامعِ بهذا الفاضلِ الذى
طال أرتقابه له جَامِعًا ، وأَمْسَى وقد ظَفِرَتْ يَمِينُهُ من اليَمِينِ بِهِ وبالبركةِ بما لم يكن
بشئٍ منه فى مِثْلِ هذه الأيامِ طَامِعًا ، فلذلك بادرَ مِنبَرَهُ المُنِيفِ وحلَّ له حَقُّوَتَهُ
مُسَارِعًا ، ووَطَأَ - لَامِنِطَائِهِ إِيَّاهُ - صَهْوَتَهُ ، وغَفَرَ للدهْرِ بِهذهِ الحَسَنَةِ الجميلةِ فيما
سَلَفَ مِنْهُ هَفْوَتَهُ ، وعَلِمَ أَنَّهُ الخَطِيبُ الذى اسْتَقَرَّ يُطَالَعُ المَنَارِ من خُطْبَتِهِ بما يُفَجِّرُ
من العيونِ مَنَابِعَ المَدَامِيعِ ، وَيُسَوِّقُ إلى الآخرةِ : من أَلْفَاظِ يُسْتَفَّ بِهَا المَسَامِيعُ ،
وَأَنَّ قَسًا لا يُقَاسُ بِهِ فى خُطْبَتِهِ وَعِظَاتِهِ ، وَأَنَّ سَحَابَانَ يُوَدُّ من تَجَلِّهِ أَنْ يَسْحَبَ ذَيْلَهُ
على ماثره الماثورةِ عنه لِيُعْفَى آثارَ فَلَاتِ كَلِمَاتِهِ وَلَفَاتِ لَفْظَاتِهِ .

فليباشر هذه الوظيفة المباركة بالله تعالى مُدَّكِّراً ، وليأمر عباده ونهأهم عنه على
أسماعهم مُكِّراً ، ويعلم أنه في المحراب مناخ لربه ، وأقف بين يدي من يحول بين
المرء وقلبه ؛ فليعتصم بالله عز وجل في قوله وفعله ، ويتيقن أن الكلمة إذا خرجت
من قلب لا تقع إلا في مثله .

وفي إحاطة عامه المشهور ، وفضله المشهود المشكور ؛ ما يغني عن وصية بها
يتدكر ، وتذكرة في صحيفة فكره ترقم وتسطر ؛ وليوصل إليه معلومه على هذه
الوظيفة الشاهد به الديوان المعمور . وليوفر خاطره من التبديل في تحصيل معلومه
الجارى له وطلبه ، وليعامل بما يليق من الإجلال والإعظام بوظيفته الشريفة
والمحلّ العالى الرفيع من منصبه ؛ والعلامة الكريمة أعلاه ، حجة بمقتضاه ؛
إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخ تواريخ لأرباب الوظائف الديوانية بطرابلس :

نسخة توقيع بشهادة الجيوش بطرابلس ، كُتِبَ به للقاضي بدر الدين «محمد
أبن الفرفور» ، ووالده يومئذ ناظر الجيوش بها ، بـ «المجلس العالى» ، وهى :

أما بعد حمد الله الذى زين سماء المعالى ببدرها ، وأنبت فى رياض السعادة يانع
زهراها ، ورفع المناصب السنية إلى شرف محلها ومحل شرفها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة خالصة فى قولها وفعلها ، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله
بالملة الحنيفية قائماً بفرضها ونقلها ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر مبلغاً لرسالات
ربه كلها ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا ينحصر عددها ، ولا ينقضى أمدها ،
وسلم تسليماً كثيراً - فإن أولى من خطبته المناصب من هو أحق بها وأهلها ^(١) فيها

(١) بياض بالأصل ولعله : وله فيها الخ .

نسبة لا يُنكر فضلها، ومباشرة في الممالك الإسلامية مشهورات بالكفاية والعفة في برها وبحرها .

ولما كان فلان - حرس الله جنابه وأسبغ ظل والده - هو المعنى بهذه الإشارة، وتتمس هذه الحالة وبدر هذه الدارة .

فلذلك رسم - زاده الله تعالى عظمة وشرفا، ومنحه في الحنان قصورا وغرفا - أن يستقر ... : اقرارا لعين والده، وجمعا له بين طريف السعد وتالده؛ لأنه التبعة التي نشأت في رياش السيادة، والزهرة التي برزت في كيام السعادة؛ فلا يزال فرعه - إن شاء الله - بسعادة هذه الدولة الشريفة يمتد إلى أن يتأصل، وزهرته تزهر إلى أن تبلغ الإثمار وتتوصل .

فدباشر هذه الوظيفة المباركة مباشرة تظهر فيها كفايته عند الانتقاد، وتحمده فيها عفتي الاختيار والاختبار والرشاد؛ وليسلك في أماته سنن أبيه - أسبغ الله طله - التي أحكمها في كل ما أبدى وأعاد، ويتبع طرقه الهادية إلى سبيل السعادة والإرشاد؛ ويؤيد ما اكتسبه من والده عن سلفه من هذه الصناعة وهو أحق بهذا السند، ولا يخرج عن رأي أبيه - أيده الله - حتى يقول الناس: هذا الشبل من ذلك الأسد؛ ويشمر في تحصيل الفضائل التي تبلغ بها الآمال، وتصلح الأحوال؛ وليتأق هذه المباشرة بعزمه الشديد، بنفسه لا بالتقليد، فإنه شاهد ومسئول، بقوله يوفق في الاستحقاق وفي النقول والكقول؛ وتقوى الله هي السبب الأقوى؛ فليتمسك بحبلها يقوى؛ والوصايا كثيرة في ذلك ووالده بها أعلم، والله تعالى يسلكه سبيل الهدى فإنه أنجح الطرق وأسلم؛ والله تعالى يتولى عونه، ويديم صونه؛ والاعتماد



تَوْقِيعٌ بِكُتَابَةِ الدَّرَجِ بِطَرَابُلُسَ ، كُتِبَ بِهِ بِ«المجلس السامى» بالياء ، وهو :

رُسمُ بالأمر الشَّريف - لا زالت مَراسِمُهُ العَالِيَةُ تُطَلِّعُ فِي أَفلاكِ المَعَالِي بَدْرًا مُنِيرًا
 هَادِيًا إِلَى الفُضائلِ مَأْمُونًا مِنَ السَّرارِ ، وَمَكَارِمِهِ الوَافِيَةُ تَرْفَعُ مِنَ أَعْلَامِ المَعَانِي صَدْرًا
 كَبِيرًا رَشِيدًا فِي البَيانِ أَمِينًا عَلَى الأَثَرِ ، وَمَرَامِحُهُ الكَافِيَةُ تُقَرِّعُ عِيُونَ الأَعْيَانِ
 والأَخْيَارِ - أَنْ يُرْتَبَ فِلاَنٌ - ضَاعَفَ اللهُ تَعَالَى أَنْوارَ فُضائلِهِ الَّتِي يَأْتُمُّ بِهَا المُسْتَضِيءُ
 وَالمُهْتَدَى ، وَيَعُشُّو إِلَى قِراءَةِ المُسْتَعِينِ وَالمُقْتَدَى - فِي كُتَابَةِ الدَّرَجِ السَعِيدِ بِطَرَابُلُسَ
 المَحْرُوسَةِ بِمَا قُرَّرَ لَهُ مِنَ المَعْلُومِ الوَارِدِ فِي الأَسْتِثَارِ الشَّريفِ عَلَى ما يَتَعَيَّنُ بِقَلَمِ الأَسْتِيفاءِ
 جِهَتُهُ ، وَيُبَيِّنُ تَفْصِيلُهُ وَجُمْلَتُهُ ، نَظْرًا إِلَى اسْتِحْقاغِهِ الظَّاهِرِ ، وَفَضْلِهِ البَاهرِ ،
 وَبِلاغَتِهِ الَّتِي أَفْصَحَتْ عَنِ بَيانِ البَلِيغِ القادِرِ ، وَفِصاحَتِهِ الَّتِي بَلَّغَتْ الكَمالَ بَعُونَ
 المَلِكِ القادِرِ ، وَإِطْرابِهِ ، فِي إِطْرابِهِ ، وَإِعْجازِهِ ، فِي إِعْجازِهِ ، فَلَهُ فِي الدَّلائِلِ قُدْرَةٌ
 «الْمَنْصُورِ» وَفِي الفُضائلِ قُوَّةُ «النَّاصِرِ» ، طالَمَا أَزْهَرَ بِقَلَمِهِ «المُهْتَدَى» لِلصَّوابِ ،
 «السَّفَّاحِ» كَالسَّحابِ ، رَوَّضَ العُلُومَ وَالآدابَ ، وَأَظْهَرَ بَيانَهُ «المُنْتَصِرِ»
 فِي الخُطابِ ، «المُقْتَدِرِ» عَلَى الأَقْتِضابِ ، طُرُقَ الفُنُونِ ، وَأَصْحَمَةَ العِيونِ ، مُحْكَمَةَ
 الأَسبابِ ، وَسُبُلَ الحِكْمِ مُفْتَحَةَ الأَبوابِ ، فَهُوَ بِالسَّنَا وَالسَّناءِ بَدْرُ «المُسْتَرشِدِ» ،
 وَبِالْحَدَا وَالجَداءِ «مُعِزُّ» «المُسْتَجِدِّ» ، وَبِفَرطِ الحَياءِ وَالحياءِ سَحابُ المُسْتَمَطَّرِ
 وَ«المُسْتَظْهِرِ» ، وَبِغَرَبِ الذِّكَا وَالذِّكاءِ بَرَقَ «المُسْتَبْصِرِ» وَ«المُسْتَنْصِرِ» .

فَلْيَباشِرْ هَذِهِ الوَظيفَةَ المَبارَكَةَ «مُعْتَصِمًا» بِجَبَلِ التَّقْوَى ، «مُسْتَعصِمًا» مِنَ المُرَاقِبَةِ
 بِالسَّبَبِ الأَقْوَمِ الأَقْوَى ، مُجَدِّدًا رُسُومَ هَذِهِ الصَّناعَةِ الَّتِي رَبَّعُها قَد دَرَسَ وَمَحَلَّها
 قَد أَقْوَى ؛ فَإِنَّ «المُتَّقِيَ اللهُ» «الرَّاضِيَ» بِهِ هُوَ «الرَّاشِدُ» «القائِزُ» بِالسَّعادَةِ ،

و«المُتَوَكِّل» عليه «المُطِيع» له هو «الوَائِقُ» ببُلُوغِ القَصْدِ الحائِزِ لِلاِرَادَةِ ؛ وَلِيَطْرُقَ حُلَّ البَيَانِ بَوَثِي بِنَانِهِ الَّذِي أَصْبَحَ دِيبَاجُ الطَّرْسِ بِهِ «مُعْتَرًّا» ، وَلِيَقُومَ مَعَانِي البَدِيعِ بِعَامِلِ قَائِمِهِ الخَطِيءِ الَّذِي أَمْسَى الفَضْلُ بِهِ كَالسَّمْهَرِيِّ قَائِمًا مُهْتَرًّا ؛ «مُسْتَكْفِيًا» بِمَا يَصْرَعُهُ وَيُرْصَعُهُ نَظْمًا وَنَثْرًا مِنَ البِدَائِعِ ، «مُسْتَعْلِيًا» لِمَا يَرْفَعُهُ وَيَفْرَعُهُ مِنْ غُرَرِ الفِقْرِ ، وَدُرَرِ الفِكْرِ ، بِخَاطِرِهِ الوَقَادِ النِّقَادِ المُنْقَادِ الطَائِعِ ؛ «مُقْتَفِيًا» فِيمَا يُنْشِئُهُ آثَارَ مَا يُصْدُرُ عَنِ «الحَاكِمِ» وَ«الْأَمْرِ» ، «مَكْتَفِيًا» فِيمَا يُبْدِيهِ بِمَقْدَارِ مَا تَبْرُزُ بِهِ المَرَامِيسُ وَالْأَوَامِرُ ، «حَافِظًا» لِلسَّرِّ «العَزِيزِ» كَاتِبًا كَاتِمًا فَلَا يُعْضِدُهُ فِيهِ «عَاضِدٌ» وَلَا يَظْفَرُ بِهِ «ظَافِرٌ» ؛ «مَعْتَمِدًا» عَلَى الكِتَابَانِ فِي جَمِيعِ مَا يُورِدُهُ وَيُصْدِرُهُ ، مَقْتَصِدًا بِالتَّوْفِيقِ فِي سَائِرِ مَا يُخْفِيهِ وَيُظْهِرُهُ .

وَالْوَصَايَا مِنْ آدَابِهِ تُسْتَفَادُ ، وَالنِّصَائِحُ فَلَهَا مِنْهُ المَبْدَأُ وَإِلَيْهِ المَعَادُ ؛ فَلْيَتَسَمَّ ذِرْوَةَ أَعْلَاهَا ، وَلْيَتَسَمَّ نَفْحَةَ رَبَّاهَا



تَوْقِيعٌ بِشَهَادَةِ دَارِ الضَّرْبِ بِطَرَابُؤُسٍ ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالِ رَأْيِهِ الشَّرِيفِ يَقْرَبُ مِنَ الْأُمُورِ صَوَابًا ، وَلَا بَرِحَ أَفْقُ سَمَاءِ مَمْلَكَتِهِ الشَّرِيفَةِ يُطْلِعُ بِفَلَكَهِ بَدْرًا مُنِيرًا وَشِهَابًا - أَنْ يُرْتَبَ فَلَانٌ ... : لِأَنَّهُ العَدْلُ الَّذِي أَشْتَهَرَتْ عَدَالَتُهُ ، وَالْأَمِينُ الَّذِي بَهَرَتْ فَظْهَرَتْ أَمَانَتُهُ ؛ وَالرَّئِيسُ الَّذِي مَا بَرِحَ صَدَرَ المَحَافِلِ ، وَالْفَاضِلُ الَّذِي فَاقَ بِفَضْلِهِ عَلَى الْأَقْرَانِ وَالْأَمَائِلِ ، وَشَهَدَتْ بِزَاهَتِهِ المَشْهُورَةِ الْأَوَانِحُ وَالْأَوَائِلُ .

فَلْيَا شِرْهَذَةَ الوَظِيفَةَ مَبَاشِرَةً مَطَاقِقَةً لِعَدَالَتِهِ المَشْهُورَةِ ، مُعْرَبَةً عَنِ أَصَالَتِهِ المَخْبُورَةِ ، مُوَضَّحَةً عَنِ دِيَانَتِهِ الَّتِي عَدَّتْ فِي العَالَمِينَ مَعْرُوفَةً غَيْرَ مَنكُورَةٍ ؛ لِيُضَيِّحَ هَذَا المَنْصِبَ

مُشْرِقًا بِنُورِهِ ، سَنَى الْأَرْجَاءِ بِسَاطِعِ ضِيَاءِ شَمَاهِهِ وَنُورِ بُدُورِهِ ؛ وَهُوَ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - غَنِيٌّ عَنِ وَصِيَّةٍ مِنْهُ تُسْتَفَادُ ، أَوْ تَتَّبَعُ عَلَى أَمْرٍ مِنْهُ يُبْدَأُ وَإِلَيْهِ يُعَادُ ؛ وَلِيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَهُ الشَّاهِدَ بِهِ الدِّيَوَانَ الْمَعْمُورَ هَنِيئًا مُيسَّرًا ، وَلَا يَقِفُ أَمَلُهُ عِنْدَهُ : فَإِنَّا لَنَرَجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا .



تَوْقِيعُ بَنْظَرِ اللَّاذِقِيَّةِ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «بُرْهَانَ الدِّينِ» الْأَذْرَعِي ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - أَنْفَذَهُ اللَّهُ فِي الْآفَاقِ ، وَطَوَّقَ بِمَنِّهِ وَفَوَاضَلَ بِرِّهِ الْأَعْنَاقَ - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ - حَرَسَ اللَّهُ مُهْجَتَهُ ، وَأَهْلَكَ حَسَدَتَهُ - فِي نَظَرِ اللَّاذِقِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ وَقَاعِدَتِهِ ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيَوَانَ الْمَعْمُورُ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ : عَلِمًا بِأَمَانَتِهِ الْمَشْهُورَةِ ، وَكِتَابَتِهِ الَّتِي هِيَ بَيْنَ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ مَشْكُورِهِ ، وَخِبْرَتِهِ الَّتِي هِيَ فِي الْمُبَاشَرَاتِ مَعْرُوفَةٌ غَيْرَ مَنْكُورَةٍ ، وَكِفَايَتِهِ الْمَالُوفَةَ الْمُوقُورَةَ ؛ فَإِنَّهُ بَاشَرَ الْحِسْبَةَ الشَّرِيفَةَ وَنَهَى وَأَمَرَ ، وَأَتَّبَعَ فِي أَحْكَامِهِ مَا أَمَرَ بِهِ «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ» ؛ وَضَبَطَ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ بِمُحْسِنِ نَظَرِهِ وَمَيِّزٍ وَثَمَرٍ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُضُفِيَّةَ الْمُبَارَكَةَ مُبَاشَرَةً عَلَى أَجْمَلِ الْعَادَاتِ ، وَيَسْتَرْفِعْ مَا لَهَا مِنَ الْحُسْبَانَاتِ ، وَيُوصَلْ إِلَى أَرْبَابِ الْأَسْتَحْقَاقِ مَا لَمْ مِنْ الْحُقُوقَاتِ ، عَلَى مَا يَشْهَدُ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْوُضُفِيَّةَ مِنْ أَجْلِ الْمُبَاشَرَاتِ ، وَلِيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَهُ الشَّاهِدَ بِهِ الدِّيَوَانَ الْمَعْمُورُ هَنِيئًا مُيسَّرًا عَلَى جَارِيِ الْعَادَةِ لِمَنْ تَقَدَّمَ فِي الْقُرُوعِ وَسَائِرِ الْجِهَاتِ ، وَلِيَعْتَمِدَ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي سَائِرِ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَّاتِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .



توقيع أيضا في المعنى .

لا زالت صدقاته الشريفة تُقِيمُ لاتباع الحق برهانا، وتُسَدِّدِي إلى كلِّ أحدٍ خيرا وإحسانا - أن يرتب فلان ناظرا بالأذقية المحروسة وما هو مضاف إليها، على عادة من تقدمه وقاعدته ومعلومه الشاهد به الديوان المعمور : لأنه طالما باشر نظر بيت المال فوفر الأموال ، وأصلح ما فسد من الأحوال ، وسدد بحسن تدبيره الأقوال والأفعال ، وأظهر من الأمانة ما يميز به في مباشراته ، وفاق به على قرنائه وأهل زمانه وأوقاته ، ثم بانثر الحسبة فسلك فيها مسلك السر والجهر وصدق الخبر ، وسلك مسلك أمير المؤمنين عمر .

فليباشر هذا النظر بقلب مشرح ، وأمل منفسح ، وليظهر فيه ما جرب به من الأمانة ، وتجنب الخيانة ، وليجتهد في تحصيل أموال الديوان المعمور ، وينسط قلمه في إصلاح الأمور ، وليوصل إلى أرباب المرتبات ما هو لهم مستحق ، فأنهم به أولى وأحق ، وليوصل إليه معلومه أو أن وجوبه واستحقاقه



توقيع بمشاركة حصن الأكراد ، كتب به للقاضي « بدر الدين » بـ « المجلس العالى » ، وهو :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت مراسمه العالية تولى الأنام برآء ، وتجدد بإسباع الإنعام بشرا ، وتضوع في كل نأد من أندية الثناء والدعاء تشرا ، وتطلع في كل أفق من آفاق السيادة من صدور الأعيان وأعيان الصدور بدرا - أن يرتب فلان في مشاركة حصن الأكراد المحروس : لما هو عليه من العفة والصف ، والزهارة

التي عُرف بها وأتصف بها ، والرأسة التي أنتقلت إلى الخلف عن السلف ، والعدالة التي لا يتكلف لسلك نهجها : ومن العجب خلو البدر عن الكلف ! ؛ ثم حفظت بمباشرة الأموال ، وصلحت بملاحظته الأحوال ؛ وعقدت الخناصر على سيرته وحسن سيره ، وأشتهر بحملي تديره أوجب تقديمه على غيره .

فليأشر هذه الوظيفة التي هي من أجل الوظائف ، وليشكر ما أولي من المعروف وأسدى إليه من العوارف ؛ وليبدل جهده في صلاح الأحوال ، وتخير الأموال ، وتقرير القواعد على السداد ، وإجراء العوائد على وفق المراد ؛ فانه ممن دلت خبرته على جميل آثاره ، ولاحت الغبطة في اختياره الذي أغنى عن تقديم اختياره ؛ كيف لا ؟ وهو ممن نسا في خدور فنون الكفاية ، وأشتهر في مواطن النضال مع وفور الانتقال بحسن الإصا به ؛ فهو إن شاء الإثناء بلغ منه المرام ، وإن بسط الجرائد لتصرف قيل : هذا الكاتب النظام ؛ كم له من يد بيضاء في التبييض والتسويد ، وهمية عليا بلغ بها من السيادة ما كان يريد .

فليقدم خيرة الله تعالى في هذا الأمر ويجمعها إمامه ، وليتمسك بها مقتديا بمن قدمها أمامه ، وليكن عند حسن الظن به ليلعب من سعادة الدارين مرامه .
والوصايا التي يعم نفعها ، ويتعين على تناسب الأعمال جمعها ؛ به تسلك سبلها ، وعنه تؤخذ تفاصيلها وجمالها ؛ فليسلط منها الأقوم الأرشد ، وليتمسك بالافود الأحمدة ؛ بحزم وافر ، وعزم غير قاصر ؛ وليتناول معلومه الشاهد به الديوان المعمور أحيان الوجوب والاستحقاق رزقا دازا ، هنيا ميسرا سارا ؛ من غير تفتير ولا تكدير ، ولا تنغيص ولا تأخير .



تَوْفِيعٌ بِمَشِيخَةِ الْمَقَامِ الْأَذْهَمِيِّ ، كُتِبَ بِهِ بِاسْمِ الشَّيْخِ « تَبَدَّ اللَّهُ السُّطُوْحِي »
بِ« الْمَجْلِسِ الْعَالِي » ، وَهُوَ :

أما بعد حمد الله الذي سقى تَحْلَنَا بِبَيَّاتِهِ ، وَأَثَبَتْ عُشْبَنَا بِسَجَائِهِ ، وَأَقْرَأَ كِتَابَ
وَجْهِهِ وَأَغْنَانَا عَنْ وَجْهِ كِتَابِهِ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا مِنْ صِدْقِ أَوْلِيَانِهِ ، وَمَنَحَهُمْ
بِمَا آخَرَهُمْ مِنْ سَرَائِرِ وَوَاهِيَةِ وَعَطَانِهِ ، وَجَمَعَ قُلُوبَ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالِدِنَاءِ
بِوَسْطَةِ مَنْ أَحْبَبَهُ وَأَخْصَاءِ نُجْبَاتِهِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَجْمِ السُّرَى ،
وَلَيْثِ السُّرَى ، وَسَيِّدِ مَنْ وَطِنَ الثَّرَى ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ لِأَبْرَ
قَسَمَهُ رَبُّ السَّمَاءِ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا - فَلَمَّا كَانَ الْإِعْتِنَاءُ بِالْأُمُورِ الدِّيْنِيَّةِ مِنْ
الْوَاجِبَاتِ ، وَالْحَافِظَةُ عَلَيْهَا [مِمَّا] تُبَادِرُ إِلَيْهِ مِنَ النَّفُوسِ الرَّغْبَاتِ ، وَبُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى
فَهِيَ قِيَامُ الدِّينِ الْمَتِينِ ، وَلَا يَهْضُ بِعَارَتِهَا إِلَّا الَّذِينَ اتَّقَوْا وَآمَنُوا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ،
فَطُوبَى لَهُمْ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ .

ومن البيوت العاصمه ، والسراة الطاهره ، والمقامات التي إذا حلَّ بساحتها
أَكْمَةُ الْعَيْنِ بَصْرَتُهُ نُجُومًا زَاهِرَةً - مَقَامٌ مِنْ ذِكْرِ كَرَامَتِهِ أَشْأَمُ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ
وَأَيْمَنُ وَأَنْجَسُ وَأَتْهَمُ ، السَّيِّدِ الْجَلِيلِ وَلَى اللَّهُ « إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمٍ » ، سَيِّدِ الْأَوْلِيَاءِ ،
وَسُلْطَانِ الْأَتْقِيَاءِ ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَا سَارَ عَلَى الطَّرِيقِ سَائِرٌ ، وَمَا أَمْتَطَى ظَهَرَ قُلُوبِ
مُسَافِرٍ ، مَقَامٌ بِالزُّهْدِ مَوْصُوفٌ ، وَبِالْبَرَكَاتِ مَعْرُوفٌ ، وَهُوَ الْإِطْلَاقُ الْمَشْهُورُ ،
وَالْمَنَاهِلُ الْمَأْتُورَةُ ، فِي وَرْدِهَا الْمَبْرُورَةُ ، قَدْ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ يَدُ التَّبْدِيرِ ، وَعَادَ بَعْدَ طَوْلِ
سِمَاطِهِ فِي تَقْصِيرِ ، وَأَخْلَفَ فِيهِ النَّيَاتُ فَكَانَ فِي كَيْسِ الْفَقِيرِ ، فَكَشَفَ اللَّهُ
هَذِهِ النَّعْمَةَ ، وَأَدَامَ سَوَابِغَ النِّعْمَةِ ، وَأَسْبَلَ عَلَى هَذَا الْمَقَامِ ظِلَالَ الْحُرْمَةِ ،

(١) لعل الصواب « فكان في كيس النفي بعد أن كان في كيس » الخ .

وأرسل الله على عباده المتقين باعناً من عنده ، وأيقظهم لعلمه بأن كلاً واقفٌ عند أمره وحده ؛ وأنطق لسان من لا رآه لأمره ، فكشف غمّة هذا المقام وعزّل من يخاف عليه من سوء تدييره وشره .

فذلك رُسم - أن تفوّض مشيخة المقام الجليل الأذهمي بشعر جبلة المحروس - على ساكنه الرحمة والرضوان - إلى فلان - نفع الله ببركاته ، وأعاد على المسلمين من صالح دعواته - عوضاً عما كان بها يحكم أنفضاله حسب ما وردت المراسيم الشريفة - شرفها الله تعالى وعظمتها - عند اتصال العلوم الشريفة - زادها الله تعظيماً - بأمر المقام المشار إليه وأعتاد المتصرفين فيه : إذ وضعت الآن الأشياء في محلّها ، وأسندت الأمور إلى أهلها ، وقُلدت هذه المثوبة إلى من يُظهر سرائر فضيلتها ؛ ولحظت الآراء حجر هذا المقام والأثر ، ولا شك أن السعادة تُلحظ الحجر ؛ كم له من آيات مشهوره ، وكرامات بلسان الحمد مدكوره ، ومساج في الخيرات مبروره ؛ وقد عمّ الزوايا بأجناس المكارم ، وبسط للزائرين من إكرامه سباطاً يقول الزائر : هذا ولا حاتم :

تزور دياراً زارها جودٌ ككفه ، * ومن دُونها للزائرين مراحلُ ،
وزرجع عنها والجفون قريرة : * كما راجعت ماوى الحُقوف المساحل !

فليتلق - أعاد الله من بركته - هذه الولاية ، وليجعل للمشار إليه من خاطره الكريم أوفر عنايه ؛ ويستخلف عنه إذا توجه إلى ^(١) بحصن الأكراد فإنها مستمرة بيده وولايتها باقية عليه ؛ وأمرها في إبدائه وإعادته عليه ؛ والله تعالى يتولاه ، فيما ولّاه ؛ والاعتقاد

(١) بياض بالأصل ومراده الى مشيخة ... بحصن الأكراد .

قلت : وقد أتيتُ على جُملةٍ من توابع أرباب الوظائف : بدمشق وحلب
وطرابلس وأعمال كلِّ منها ، يستغني بها الماهرُ عما سواها ، ويقيسُ عليها ما عداها ،
إذ لا سبيلَ إلى استيفاء جميعها ، والإتيانِ على جملتها .

وفيما ذكر من هذه الممالك الثلاث تزييه على ما يكتب بحجةً وصَفَدَ اللتين هما
في رتبة طرابلس ، وتلويحٌ إلى ما عداها ، مما هو دونها كغزة إذا كانت نيابة ،
والكرك التي هي دون ذلك .

والله تعالى هو الهادي إلى التوفيق ، والمرشدُ للسداد ، بمنه وكرمه .

تم الجزء الثاني عشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث عشر

وأوله المقالة السادسة

(فيما يكتب في المسامحات ، والاطلاقات السلطانية ، والطرخانيات

وتحويل السنين والتذاكر ، وفيها أربعة أبواب)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل